

فاسيلييف

تاريخ
العربية
السعودية

من (المقدمة والجزء الاول)
مأشطة (الجزء الثاني والخاتمة)

А. Васильев
ИСТОРИЯ САУДОВСКОЙ АРАВИИ
На арабском языке

© Издательство «Наука», 1982 г.
© الترجمة الى اللغة العربية ، دار التقدم ، ١٩٨٦
طبع في الاتحاد السوفييتي

B_{050600000—201}
014(01)—86 223—86

تتمتع العربية السعودية في العالم المعاصر بنفوذ اكبر بكثير مما يفترضه عدد سكانها الاصليين ، وهو ٤-٥ ملايين في اواخر السبعينات .

فهى تمتلك حوالى ثلث موارد البترول المكتشفة فى بلدان العالم (ما عدا البلدان الاشتراكية) . وقد غدت اكبر منتج للبترول بعد الاتحاد السوفيتى واول مصدر له فى العالم . وعندما وجدت الطبقة الحاكمة السعودية نفسها عاجزة عن استثمار العائدات الخيالية من هذه المادة الخام القيمة جدا فى داخل البلاد صارت من اكبر مصدري الرأسمال ايضا ، وتفوق الملوك والامراء من آل سعود على اغنى طواغيت المال فى البلدان الرأسمالية من حيث الاحجام المطلقة لثرواتهم . ان القرارات التى تتخذ فى الرياض ، بالرغم من انها ليست مستقلة اطلاقا وغالبا ما تكون اضطرارية ومفروضة من القوى الخارجية ، انما تؤثر بصورة مباشرة او غير مباشرة على ميزان المدفوعات فى الولايات المتحدة الاميركية والكثير من الدول الرأسمالية الاخرى وعلى وتائر تطورها الاقتصادى ومستوى التضخم النقدى وعلى مستقبل الدولار وعلى سير النزاع العربى الاسرائيلى وعلى استقرار بعض انظمة الحكم فى البلدان النامية .

ويضاف الى العوامل الاقتصادية والمالية الفريدة دور العربية السعودية بوصفها مهد الاسلام . ففي اراضيها الحرمين الرئيسيان فى الاسلام - مكة المكرمة وفيها الكعبة التى يتجه المسلمون نحوها اثناء اداء فريضة الصلاة ويتوجهون اليها لاداء فريضة الحج ، والمدينة المنورة وفيها قبر الرسول . ان تعمق المشاعر الدينية فى الاقطار الاسلامية يضىء صبغة اسلامية على الكثير من النزاعات

الاجتماعية والسياسية الجارية فيها . ولذلك تزداد فى العالم الاسلامى اهمية العربية السعودية - سادن الحرمين .

لقد تعرضت البنية الاجتماعية والاقتصادية للعربية السعودية لتغيرات سريعة فى غضون حياة جيل واحد . فقد التصق الاقتصاد الرأسمالى السوقى الدخيل بالمجتمع العشائرى الاقطاعى التقليدى الذى لم يكن متهيئاً للتحويلات ولم تكن لديه لا الكوادر ولا الانظمة الحكومية والاجتماعية ولا النظام الحقوقى المناسب لهذا الغرض . وبدأ فى العربية السعودية التى يحكمها واحد من اعتق الانظمة فى المعمورة انفصام ممض فى الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والقانون والسيكولوجيا الاجتماعية .

بدى ان تقترن زيادة الاهتمام بهذا البلد بزيادة المطبوعات المكرسة له .

فخلال السنوات الاخيرة وحدها ظهرت فى الاتحاد السوفيتى بضع عشرات من الكتب والكراريس والمقالات الكبيرة فى المجالات والصحف عن العربية السعودية . ولكنه لم يكن لدينا حتى الآونة الاخيرة مؤلف شامل يحيط بمجمل تاريخ دولة آل سعود وتطورها الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ابتداءً من تأسيسها فى اواسط القرن الثامن عشر الميلادى وحتى ثمانينات القرن العشرين . ان هذا الكتاب الذى نضعه بين يدى القارئ الكريم عبارة عن محاولة لسد ذلك الفراغ .

اعتمدنا فى اعداد هذا الكتاب على عدة مجموعات من المصادر . وفى مقدمتها مصنفات تاريخية عربية وضعها مؤلفون من انصار آل سعود والوهابية وكذلك مؤلفون معادون لهم ومراقبون محايدون . ثم تأتى مؤلفات ابن عبد الوهاب واتباعه وابرز فقهاء الجزيرة العربية . وتتكون المجموعة التالية من المصادر من مذكرات الرحالة الاوربيين والدبلوماسيين والعلماء ورجال المخابرات الذين زاروا الجزيرة العربية والاقطار المجاورة لها فى القرون الثامن عشر - العشرين . وتلقى وثائق الادارة البريطانية-الهندية الاضواء على بعض قضايا القرنين التاسع عشر والعشرين . وتتضمن المطبوعات السعودية الرسمية معلومات عن الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والنظام الحقوقى فى البلاد . ويمكن اعتبار بعض المطبوعات الاميركية التى تحتوى على معطيات اجتماعية عن العربية

السعودية في عداد المراجع . كما اعتمدنا على الوثائق التي تحتوي على معلومات عن العربية السعودية والمحفوظة في ارشيف السياسة الخارجية لروسيا وارشيف السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي .

المصنفات العربية . لا يوجد بين المصنفات العربية المعروفة لدينا الا كتاب واحد الفه شخص تابع تطور الحركة الوهابية ودولة السعوديين منذ السنوات الاولى لنشوءهما . ونعنى كتاب «تاريخ نجد المسمى روضة الافكار والافهام لمرتاد حال لامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام» لمؤلفه حسين بن غنام وهو فقيه من الاحساء توفى عام ١٨١١ . فى الجزء الاول من الكتاب يستعرض ابن غنام بعض مؤلفات محمد بن عبد الوهاب . وفى الجزء الثانى يسرد تاريخ حروب الوهابيين من عام ١٧٤٦ حتى ١٧٩٦-١٧٩٧ .

ابن غنام من انصار تعاليم ابن عبد الوهاب . وهو يعتقد ان الله ألهم الوهابيين للقيام باعمالهم ، وان الشيطان كان وراء خصومهم . ويضطر المرء الى جمع المعلومات عن البنية الاجتماعية والسياسية للدولة السعودية الاولى حبة حبة . وممع ذلك فان مصنف ابن غنام يعتبر مرجعا فائق الاهمية . فالمادة التي يحتويها هى حصيلة متابعة شخصية للمؤلف او مستقاة من منابعها الاولى . والمصنف الثانى هو «عنوان المجد فى تاريخ نجد» من تأليف المؤرخ عثمان بن بشر النجدى الحنبلى ، وهو من فقهاء واحة شقراء فى منطقة الوشم والمعروفين فى الجزيرة العربية فى القرن التاسع عشر . وقد عايش الكثير من احداث الجزيرة بعد الفترة التى توقف عندها مصنف ابن غنام . وقد توفى ابن بشر فى ١٨٧١-١٨٧٢ . وكان ابن بشر متمسكا هو الآخر بالوهابية ، ولكنه تميز عن سابقه بسعة آرائه . فقد ادرج ابن بشر فى مصنفه وقائع قيمة عن بنية الدولة السعودية الاولى وعن الحياة الاجتماعية فى الجزيرة العربية . والتاريخ الذى يستعرضه ابتداء من عام ١٧٤٥ يقترن بجولات الى فترات تاريخية اقدم ويختتم ابن بشر مؤلفه بوصف احداث عام ١٨٥٤ .

وتتفق التواريخ التى يوردها ابن بشر فى امور كثيرة مع تواريخ ابن غنام . ويسجل ابن بشر النص الكامل لقصيدة سلفه بمناسبة وفاة ابن عبد الوهاب والتى وردت فى «تاريخ نجد» . الا

انهما يقدمان فى بعض الاحيان وصفا متباينا لوقائع بعينها ، ويركزان على احداث مختلفة فلا تتفق تواريخها وارقامها على الدوام . وربما لم يكن ابن بشر مطلعا على مؤلف ابن غنام . وعلى اية حال فهو لا يذكر فى المقدمة اسمه بين المؤرخين الذين يعرفهم . وهو عندما يورد خبر وفاة ابن غنام يعدد مزاياه كفقيه وشاعر دون ان يذكر كلمة واحدة عن مؤلفاته التاريخية .

ويمكن تدقيق صحة معلومات ابن غنام وابن بشر بمقارنتها مع الوقائع التى اوردها الاوربيون . ولم يطلع المؤرخون العرب والاوربيون على هذين المصنفين الا فى القرن العشرين .

ومما يثير الاستغراب ان المستشرقين الذين كتبوا عن جزيرة العرب لم يلتفتوا الى وقائع تاريخ الدولة السعودية التى اوردها المؤرخ الفرنسى منجيين فى ملحق بكتابه «تاريخ مصر فى عهد محمد على» . وكان منجيين قد وضع تلك الوقائع استنادا الى معلومات حصل عليها من حفيد ابن عبد الوهاب الذى نفى الى مصر بعد خراب الدرعية عام ١٨١٨ ، وكذلك من وهابيين آخرين على ما يبدو .

ويتضمن مؤلف ف . منجيين «تاريخ مصر» معلومات قيمة عن مجتمع الجزيرة ، وهى معلومات مستقاة من تقارير الادارة المصرية فى نجد فى العقد الثانى من القرن التاسع عشر .

وخلال السنوات الاخيرة جلب انتباه المستشرقين وبعض المؤرخين العرب كتاب «لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب» ، ومخطوطته الاصلية محفوظة فى المتحف البريطانى . وتعتبر اغلبية الباحثين هذا الكتاب مغفلا . وهو عبارة عن سجل فى ٧٦٤ صفحة يشمل فترة من تاريخ الجزيرة العربية تبدأ على وجه التقريب من العقد الرابع للقرن الثامن عشر وتنقطع فجأة عند احداث كانون الاول (ديسمبر) ١٨١٧ . ويعبر واضح السجل عن احترامه لابن عبد الوهاب ولكنه يعتبر مذهبه بدعة ، وقد استند فى ذلك الى رأى شيوخ من البصرة والزيبر .

يتكون «لمع الشهاب» من رؤوس اقلام كتبت استنادا الى روايات اشخاص شاركوا فى الاحداث والى اشاعات وخرافات . ولكن ذلك لا يحرم هذا المصنف من جملة مزايا لا جدال فيها ، وهى مزايا تجعله يحتل مرتبته بين المصادر العربية الثلاثة لتلك

الحقبة ، ونعنى كتابى ابن غنام وابن بشر وعرض منجى لسجل الوهابيين . فهذا المصنف الذى وضعه شخص غير متفق مع الوهابيين ولكنه موضوعى لدرجة كافية يعتبر قيما بسبب استقلالته بالذات وعدم اصطباغه بصبغة رسمية . ويتضمن «لمع الشهاب» معلومات اضافية حول طائفة من القضايا : طابع العلاقات القطاعية والقبلية فى الجزيرة ، والتجارة والصنائع فى نجد ، واشكال الشريعة عند القبائل البدوية ، وتنظيم السلطة وجهاز جباية الضرائب والنظام القضائى ، والقوات فى الدولة السعودية الاولى .

ومما لا شك فيه ان مؤلفات ابن عبد الوهاب المخطوطة من اقدم المصادر التى ظلت محفوظة حتى الآن . واثنان منها - «كتاب التوحيد» و«كتاب كشف الشبهات فى التوحيد» - يتفقان من حيث احكامهما الاساسية مع ما نشر مؤخرا من مطبوعات . الا ان مؤلفات ابن عبد الوهاب التى صدرت فى القرن العشرين قد تعرضت لتعديلات كبيرة من المحققين والمراجعين او طبعت استنادا الى صياغات اخرى لنفس هذه المؤلفات .

ويمكن الحصول على معلومات اضافية عن الحركة الوهابية والدولة السعودية الاولى وعلى مواد للتثبت من صحة الوقائع المعروفة من مؤلفات المؤرخين الحجازى احمد بن زينى دحلان ، واليمانى محمد بن على الشوكانى ، والعمانى سليل بن رزىق ، والمؤرخ المصرى الشهير عبد الرحمن الجبرتى ، والبحرانى محمد بن خليفة النبهانى ، والبصرى عثمان بن سند البصرى ، والبغدادى ابراهيم الحيدرى البغدادى .

وبعد ابن بشر واصل تسجيل التواريخ النجدية ابراهيم بن صالح بن عيسى الذى ولد فى شقراء سنة ١٨٥٣-١٨٥٤ . فان مصنفه «عقد الدرر فيما وقع فى نجد من الحوادث فى اواخر القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر» يتناول الاحداث المنتهية فى عام ١٨٨٥- ١٨٨٦ ، ولكنه كتبه او انجزه فى عهد مؤسس العربية السعودية المعاصرة عبد العزيز (ابن سعود) الذى يمتدحه فى مدخل الكتاب . ولم تتمكن من العثور على هذا المصنف . لذا اعتمدنا على كتابه «تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد» .

وهناك مصنف احدث هو «عنوان السعادة والمجد فيما استظرف من اخبار الحجاز ونجد» لمؤلفه عبد الرحمن بن الناصر . ويتناول الاحداث حتى منتصف ثلاثينات القرن العشرين . وقد استخدمنا هذا المرجع بصورة غير مباشرة ، عن طريق عرض مضمونه الذى قدمه . المستشرق الانجليزى فيلبى وبعض المؤرخين العرب .

ومن المصادر الهامة مصنف ضارى بن فهيد بن رشيد ، فهو يعبر عن وجهة نظر شمر بشأن الاحداث فى نجد فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . و«تاريخ ملوك آل سعود» فى اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين لمؤلفه الامير سعود بن هذلول ممثل احد افخاذ آل سعود .

وخلال السنوات الاخيرة بدأ استخدام عدة مصنفات مخطوطة . واحدها بقلم البسام استندنا اليها عند اعداد المواد المكرسة لتأسيس المملكة العربية السعودية فى الثلث الاول من القرن العشرين .

وتشكل مؤلفات محمد بن عبد الوهاب واتباعه مجموعة من المراجع الهامة جدا لدراسة المذهب الوهابى . وقد وصلتنا فى العديد من المستنسخات التى يحفظ بعضها فى مكتبات ومتاحف اوربا الغربية . وقد ورد عند ابن غنام او ابن بشر او كليهما ذكر المؤلفات التى تعبر عن جوهر الوهابية : «كتاب التوحيد» (وهو اقدم تلك المؤلفات ، وقد وضع فى ثلاثينات القرن الثامن عشر) و«كتاب كشف الشبهات فى التوحيد» و«كتاب الكبائر» و«مسائل الجاهلية التى خالف فيها رسول الله اهل الجاهلية» و«مختصر سيرة الرسول» . اما مؤلفات ابن عبد الوهاب الاخرى ، ومنها «مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد» و«اصول الايمان» و«فضل الاسلام» و«نصيحة المسلمين باحاديث خاتم المرسلين» و«الاصول الثلاثة وادلتها» و«الرسائل» الكثيرة فقد ادرجها بروكلمان فى مراجع كتابه «تاريخ الادب العربى» .

وقد صدرت مؤلفات ابن عبد الوهاب الآن استنادا الى المستنسخات المبكرة العائدة الى اواخر القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر ، مع انها ، على ما يبدو ، قد روجعت فيما بعد . ثم ان المعلومات التى جمعها المستشرقون الاوربيون عن

مذهب الوهابيين تطابق على العموم الاصول المعروضة في هذه المراجع .

وقد اشتهر عبد الله ، وهو ابن مؤسس الوهابية ، بتأليف كتب في الفقه ايضا . ومنها «الرسالة» التي نشرت في الترجمة الانجليزية لأول مرة نقلا عن مخطوطة عربية عام ١٨٧٤ في «مجلة جمعية البنغال الآسيوية» (المجلد ٤٣ ، الجزء الاول ، ص ٦٨-٨٢) (وذكرت المجلة ، خطأ هنا ، ان المؤلف هو حفيد محمد بن عبد الوهاب) . ثم نشرت في مجموعة «الهدية السنوية والتحفة الوهابية النجدية» التي صدرت عام ١٩٢٣/١٩٢٤ . و«الرسالة» قيمة لانها غير مثقلة بالاستشهادات والاحاديث والتعليقات وتعتبر بدقة عن بعض اصول الوهابية .

وكتب عبد الرحمن بن حسن ، حفيد محمد بن عبد الوهاب ، في امور فقهية كثيرة . فان مؤلفه «فتح المجيد» ، شرح كتاب التوحيد» عبارة عن تعليق ضاف على مؤلف ابن عبد الوهاب «كتاب التوحيد» .

ان العثور على مؤلفات خصوم الوهابية الآن اصعب بكثير مما في السابق . وبالإضافة الى مؤلفات ابن زيني دحلان وابن رزيق تجدر الاشارة الى مخطوطتين في المسائل الاصولية محفوظتين في مكتبة توبينغين في المانيا الاتحادية . وهما «رسالة في رد ابن عبد الوهاب» لمحمد بن عقالق الحنبلي الاحسائي و«المشكلات المضية ردا على الوهابية» لابن السويدي .

كتابات الاوربيين الذين زاروا الجزيرة العربية والبلدان المجاورة في القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر . كان الرحالة الدانمركي نيبور اول من حمل انباء الوهابيين الى اوربا قبل اكثر من مائتي عام .

وفي سبعينات القرن الثامن عشر زار الرحالة والعالم الموسوعي الفرنسي فولني الشام وفلسطين ، ولكنه لم يصل الى الجزيرة العربية . ومع ذلك تتميز ملاحظاته عن البدو الاعراب المترحلين على مقربة من غزة واحاديثه عن قبائل الجزيرة بدقة الملاحظة والاحكام .

وفي عام ١٨٠٧ زار الحجاز ومكة مخبر نابليون ، وهو اسباني اسمه باديا اي ليبلينج انتحل لنفسه اثناء تجواله اسم على بك .

ويحتل بوركهاردت مكانا بارزا بين الرحالة . فهو سويسرى كان يحمل الجنسية البريطانية ، وكان مندفعاً برغبة عارمة فى التجوال . وكانت الحجاز التى وصلها فى ١٨١٤-١٨١٥ مجرد مرحلة فى تجواله . وقد جمع معلومات كثيرة جدا عن الجزيرة العربية وعن حياة العرب استنادا الى احاديثه الشخصية — مع الحجازيين والنجديين . ولم يكتف بوركهاردت بدراسة تاريخ الوهابيين ومذهبهم وتركيب الدولة السعودية الاولى ، بل تناول كذلك العلاقات الاجتماعية والشريعة عند البدو والحضر على حد سواء واهتم باشكال الاسرة والملكية وجباية الضرائب . وكانت الثقافة الواسعة التى يتحلى بها هذا الرحالة وسعة افقه الى جانب النزاهة العلمية قد ساعدته فى تأليف كتب لولاها لبقيت معلوماتنا عن الجزيرة العربية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر شحيحة للغاية . ويجدر بنا ان نذكر بين مزايا بوركهاردت الكثيرة اسلوبه الممتع الذى لا يترك سبيلا امام الضجر المرهق فى مطالعة الكثير مما كتبه الرحالة الاوربيون .

وفى عام ١٨١٩ عبر الضابط البريطانى ج . سادلر شبه جزيرة العرب من القطيف الى ينبع .

وكتب الاوربيون عن الجزيرة العربية من البلدان المجاورة ايضا . ويحتل مرتبة الصدارة بين هذا النوع من المؤلفات «تاريخ الوهابيين» الذى اصدره عام ١٨١٠ ل . كورانسيه القنصل الفرنسى فى حلب . وكان كورانسيه قد شارك مع مجموعة من العلماء فى حملة نابليون على مصر ثم استقر فى حلب ، حيث عاش ثمانى سنوات . ويتضمن كتابه معلومات غير قليلة عن التاريخ السياسى لدولة السعوديين وبنيتها ومذهبها . الا ان كتاب كورانسيه «تاريخ الوهابيين» لا يخلو من الاخطاء والاحكام غير الرصينة . وجمع المدفعى الفرنسى ج . رايمون الذى كان فى خدمة والى بغداد — فواد فى العراق وضمها تقريراً بعث به الى وزارة الخارجية الفرنسية .

ونشر بريجين المعتمد السياسى لشركة الهند الشرقية فى البصرة (اعتباراً من عام ١٧٨٤) ثم فى بغداد ، مذكراته بعد مرور عدة عقود على عودته من الاقطار العربية . وقد وصلت الى الصحافة الروسية معلومات عن الوهابيين

بالاساس عن طريق اوربا الغربية . ومن اقدم الكتابات التى تم العثور عليها (بعد طبع «رحلة» فولنى) ما نشرته مجلة «بشير اوربا» . (فيسنيك يفروبي) فى عام ١٨٠٣ : «قدر للجزيرة العربية ان تكون مهد الثورات الاسيوية . الامام الجديد هناك عبد الوهاب لديه الآن . . . قوات غفيرة وهو يقترب من مكة» . وفيما بعد نشرت على صفحات «مجلة المنوعات الادبية» (١٨٠٥) ومجلة «بشير اوربا» (١٨١٩) مقالات القت الاضواء على الاحداث فى الجزيرة العربية .

ويقدم الرحالة الاوربيون الذين زاروا شبه جزيرة العرب بعد ج . سادلر فى القرن التاسع عشر مادة غنية ممتازة لايضاح حياتها الاجتماعية والسياسية . فهم يضيفون الى ما كتبته بوركهاردت وفولنى ونيبور والمؤرخون العرب ويشبتون شيئا فيه او ينفون شيئا آخر فيساعدون على دراسة مجتمع الجزيرة العربية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ومطلع القرن العشرين .

وفى الثلاثينات زار الضابط البريطانى د . ولستيد عمان وجاب ساحل الجزيرة . وفى ذلك الوقت تقريبا زار الفرنسى م . تاميزيه الحجاز وعسير ، وفى الاربعينات تجول العالم الفنلندى فالين فى ربوع الحجاز وشمال الجزيرة ، وزار الانجليزى ر . بارتون فى الخمسينات الحجاز وبادية الشام . وفى ١٨٥٤ زار الفرنسى ش . ديديه مكة . وفى ١٨٦٢-١٨٦٣ تسلل عضو سلك الجزويتين (اليسوعيين) المخبر الفرنسى و . بلغريف الى اواسط نجد وزار عاصمة الدولة الوهابية المنبثقة - الرياض ، وكذلك القصيم والاحساء . وقد ابدت الشكوك مرارا فى حقيقة رحلة بلغريف ، وذلك بسبب عدم دقته ، ولكن هذه الرحلة تأكدت الآن بالفعل .

وكان ل . بيلى المقيم البريطانى فى بوشهر قد زار الرياض فى ١٨٦٤-١٨٦٥ . وفى ذلك الوقت تقريبا زار الايطالى ك . غوارمانى شمال نجد .

وتجول العالم الاثرى والكاتب الانجليزى دوتى فى شمال نجد والحجاز فى ١٨٧٦-١٨٧٨ . ويعتبر مؤلفه تحفة فى ادب الرحلات الانجليزى . والمعلومات التى يوردها دوتى غنية جدا .

وتجدر الإشارة الى الرحالة الفرنسى يوبير الذى زار شمال نجد والحجاز فى ١٨٧٨ وفى ١٨٨٣-١٨٨٤ وقتل هناك ، والى الرحالة الانجليزى بلانت وعقيلته اللذين زارا بادية الشام وجبل شمر فى ١٨٧٨-١٨٧٩ و١٨٨١ ومربى الخيول الروس ستروغونوف وشرباتوف وعقيلته الذين قاموا برحلتين الى بادية الشام فى ١٨٨٨ و١٨٩٠ والضابط الروسى دافليتشين الذى زار الحجاز فى اواخر التسعينات .

ومن بين المؤلفات المكرسة لبدو الجزيرة الرحل نشير الى مؤلفات المستعرب والمخبر الالماني فون اوبينهايم الذى تجول فى بادية الشام فى تسعينات القرن التاسع عشر ، ولكن كتابه عن البدو بمجلداته الثلاثة لم يصدر الا بعد عدة عقود .

واستمر العصر الذهبى بالنسبة للمباحثين الاوربيين من دارسى الجزيرة العربية حتى شمل النصف الاول من القرن العشرين . ويبرز خصيصا بين جميع الباحثين فيلبى وديكسون . فقد صرف كلاهما قسما كبيرا من حياته فى الجزيرة العربية ودرسها من النواحي الجغرافية والاجتماعية والاثنوغرافية . وكان فيلبى ضابطا فى الجيش البريطانى الهندى . واعتبارا من عام ١٩١٧ عمل فى الفيلق البريطانى فى العراق ، وفى العام ذاته صار ممثلا سياسيا لبريطانيا عند ابن سعود . وفى بداية العشرينات عين مندوبا سياسيا بريطانيا فى شرق الاردن . وفى عام ١٩٢٥ ترك الخدمة الرسمية فى الجيش البريطانى واقام فى العربية السعودية واعتنق الاسلام بعد بضع سنوات . وفى فترة معينة مارس تجارة سيارات فورد . وكان واحدا من الوسطاء لدى توقيع اتفاقية امتياز شركة «ستاندارد اويل اوف كاليفورنيا» التى ارسى بداية شركة ارامكو الجبارة التى هى اول منتج للبترول فى العالم الرأسمالى . وقام فيلبى بدراسة عدد من مناطق العربية السعودية وخلف مذكرات كثيرة عن رحلاته .

اما نطاق رحلات ديكسون فهو اضيق من ذلك . كان ممثلا سياسيا لبريطانيا فى امارات شرق الجزيرة ثم مقيما سياسيا فى الكويت . وقد زار المناطق الوسطى من شبه جزيرة العرب . ويتضمن كتاباه «عرب البادية» و«الكويت وجاراتها» وصفا هاما ، فريدا من نوعه احيانا ، لحياة القبائل البدوية ونشاطها الاقتصادى

وبنيتهما الاجتماعية ، وكذلك طائفة من المعلومات الهامة عن تاريخ
العربية السعودية والكويت .

ويشغل لورنس مكانة خاصة ، فقد كان ضابطا للاتصال عند
شريف مكة ابان انتفاضة عرب الحجاز ضد الاتراك . وبعد الحرب
العالمية الاولى احتاجت الدعاية البريطانية الرسمية الى ابطال
فجعلت من لورنس واحدا منهم . وزادت من امجاده مؤلفاته التي
كتبها بومضات ادبية لا جدال في قيمتها . ولكن تلك لم تكن
مؤلفات عن الجزيرة العربية والانتفاضة العربية ضد الاتراك بقدر
ما كانت مؤلفات بقلم لورنس عن دوره شخصيا في هذه
الانتفاضة ، وليس دوره الفعلي طبعا ، بل الصورة التي تخيلها
عبر منظار الغرور الذي كان يعاني منه . ان الاهمية العلمية
لمؤلفاته ليست كبيرة .

وطاف العالم التشيكي أ . موسييل كثيرا في شمال الجزيرة
العربية والاقطار المجاورة لها اعتبارا من اواخر التسعينات وحتى
عام ١٩١٧ . و ابان الحرب العالمية الاولى كان يؤدي مهمات الاركان
العامة النمساوية - المجرية في جبل شمر . وقد نشر عدة مؤلفات
بعضها ذو طابع اثنوغرافي .

وتجدر الاشارة الى دراسة أ . جوسان المكرسة لبدو شمال
الجزيرة ، وكذلك الى مؤلفات ر . مونتان .

والفت عدة كتب المخبرة البريطانية والمستعربة الكبيرة
هيرترودا بيل . وكتب ب . توماس وصفا لرحلاته الى شمال
الجزيرة في العشرينات ودراسات عن وسطها وجنوبها .

ويهيئ مؤلفون آخرون في هذه الفترة الامكانية لادراك الوضع
الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لشبه جزيرة العرب في الثلاثينات
والاربعينات بشكل افضل . ومن هؤلاء المؤلفين الرحالة الانجليزى
و . سيبروك والقنصل الهولندى في جدة فان دير ميولين وقائد
السلك العربى في الاردن والكاتب الثر فيما بعد حول القضايا
العربية ج . غلوب وغيرهم .

ونجد معلومات تفصيلية عن الباحثين الاوربيين الذين درسوا
الجزيرة العربية في كتب أ . زيهمه وأ . رالى وس . زويمير
ود . هوغارت وف . بارتولد ور . كيرنان وج . بيرين .

وتشكل وثائق ومطبوعات الادارة البريطانية الهندية مجموعة

هامية من المراجع والمصادر التي لم يبدأ استخدامها فى البحث العلمى الا فى العقدين الاخيرين . ومن ابرزها مجموعة الاتفاقيات بين الهند والبلدان المجاورة ، وهى المجموعة التى اعدھا ك. ايتشيسون فى اواخر القرن التاسع عشر ونشرت لأول مرة فى كلكتا عام ١٨٩٢ . وصدرت الطبعة الثانية المزیدة من هذه المجموعة فى دلهى عام ١٩٣٣ .

وفى ١٩٠٨-١٩١٥ نشر ج. لوريمير ، وهو موظف فى الادارة البريطانية الهندية ، مؤلفا ضخما بعنوان «سجل الاحداث فى الخليج وعمان ووسط الجزيرة» . ويحتوى المؤلف على بضعة آلاف من الصفحات من القطع الكبير . وكان مخصصا خلال فترة طويلة للاستخدام الادارى ، ولم يتمكن علماء البلدان الاخرى من الاطلاع عليه الا بعد الحرب العالمية الثانية . وتكمن قيمته فى كونه يجسد وجهة نظر الادارة البريطانية الهندية بخصوص الاوضاع فى بلدان الخليج ومجموع المعلومات التى كانت فى حوزتها عن هذه المنطقة ابتداء من القرن الثامن عشر وحتى مطلع القرن العشرين . اما عيب مؤلف لوريمير هذا فهو قلة الاشارة الى المراجع .

وتتميز بقيمة معينة منشورات ج. سالدانا المكرسة لمنطقة الخليج فى القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين والتى استند فيها الى مواد الارشيفات البريطانية الهندية . ولكننا لم نتمكن من الحصول عليها ، واكتفينا بالاستفادة من استشهادات ر. ويندير الكثيرة بها فى مؤلفه «تاريخ العربية السعودية فى القرن التاسع عشر» .

المطبوعات السعودية الرسمية . نشرت احصائيات سعودية هامة ، بما فيها احصائيات عن قوام المجتمع السعودى ، فى «الكتاب الاحصائى السنوى» . كما تتميز مجاميع الوثائق والبيانات السعودية باهمية معينة .

لقد اسفر النزاع السعودى البريطانى بسبب واحات اليريمى عن ظهور «مذكرة حكومة العربية السعودية» بثلاثة مجلدات و«مذكرة» الحكومة البريطانية بمجلدين . وكانت الطبعة السعودية تستهدف اثبات عائدة الاراضى المتنازع عليها الى العربية السعودية ، ولكنها تضمنت فى الوقت ذاته طائفة من المواد الجديدة عن جباية الضرائب وعن القبائل .

وفي القرن العشرين ظهر بين المراجع العربية التي ألفها اشخاص ساهموا في الاحداث مرجع يمكن ان يقارن ، من حيث اهميته لدراسة مجتمع العربية السعودية فى القرن العشرين ، بكتاب «عنوان المجد فى تاريخ نجد» و«لمع الشهاب» بالنسبة للقرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر . ونعنى به كتاب خير الدين الزركلى باربعة مجلدات : «شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز» . بديهى ان هذا الكتاب يدافع ذون تحفظ عن مؤسس العربية السعودية وعن آل سعود وعن النظام السعودى عموما . ولكنه الى جانب ذلك عبارة عن مجموعة غنية من المعلومات الواقعية المتنوعة عن البلاد - من النشوء حتى تشكيل الجيش النظامى ، ومن النظام القضائى والحقوقى حتى الاثنوغرافيا ، ومن الاقتصاد حتى التفاصيل الفكاكية لحياة البلاط الملكى . وقد ادرج الزركلى الذى خدم مدة طويلة فى وزارة الخارجية ضمن كتابه عدة وثائق قيمة من الشعبة الدبلوماسية السعودية . ولكن من عيوب الكتاب عدم الاشارة الى الكثير من المراجع .

وترك لنا حافظ وهبه المصرى الذى خدم زهاء خمسين عاما عند الملوك السعوديين مذكرات تزيد من معلوماتنا عن تطور المجتمع السعودى . فقد كان ابن سعود يأتمنه فى المباحثات الدبلوماسية ، كما شغل وهبه مناصب ادارية هامة فى الحجاز بعد فتحه وترأس ديوان التربية وعمل سفيراً للسعودية فى لندن . وخلف عدة مؤلفات . ويتحدث وهبه عن النشاط الاقتصادى والتنظيم الاجتماعى للحضر والبدو فى وسط الجزيرة قبل ظهور الصناعة البترولية وعن حركة الاخوان .

والف فؤاد حمزة السورى الذى كان فى خدمة الملوك السعوديين ايضا عدة كتب تتضمن ، فيما تتضمن ، معلومات ذات طابع اجتماعى وسياسى واقتصادى عن العربية السعودية قبل عصر البترول .

ان مطبوعات المعارضة السعودية ، بما فيها المعارضة الثورية الديمقراطية ، قليلة . ولكنها قيمة لانها تكشف عن توجهات المنظمات المناضلة ضد النظام السعودى .

والى جانب المئات من المؤلفات السطحية التى لا تتسم بأهمية علمية فى الواقع اخذت تظهر فى المطبوعات العربية فى الثلاثينات

- السبعينات مؤلفات جادة . ومنها دراسة التطورات الاجتماعية والاقتصادية في منطقة القصيم النجدية والتي اعدّها الباحث السعودي عبد الرحمن الشريف في اواسط الستينات . وفي عام ١٩٦٥ اصدرت جامعة الدول العربية كتابا عن البدو الرحل في الاقطار العربية ، بما فيها جزيرة العرب .

وقدّم نزار الكيالي شرحا ضافيا لقوانين العمل . ويتناول محمد صادق (ولعله مصري) تطور الجهاز الاداري السعودي .

ان المؤلفات العربية في تاريخ العربية السعودية تستند بالاساس الى مصنّفات الجزيرة ، ولا تستخدم كثيرا المراجع والمطبوعات الاوربية . ثم ان المؤلفين العرب يقتصرون ، عادة ، على سرد الاحداث التاريخية دون ان يمحسوا مضامينها السياسية ناهيك عن مضامينها الاجتماعية والاقتصادية . ونلاحظ ذلك حتى عند افضل الباحثين .

وينفرد في هذا المجال بعض الشيء كتاب الباحث الحجازي عبد الحميد الخطيب «الامام العادل» الذي يتحدث عن عهد عبد العزيز . وهو يحتوي على طائفة من الوقائع التاريخية المجهولة او غير المعروفة كثيرا . وكان مؤلفه من خصوم السعوديين سابقا ومن مؤسسي الحزب الحجازي اللبرالي . وبعد تدمير الحزب عفا ابن سعود عن زعمائه الذين اعيد اليهم الاعتبار بعد فترة من الزمن . وكرس عبد الله عبد الجبار وفهد المارك دراسات للفكر والادب في العربية السعودية في القرن العشرين .

ويتناول الحقوقي صبحي المحمصاني بالتفصيل النظام الحقوقي في العربية السعودية .

واورد عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم بعض المواد الجديدة من الارشيفات المصرية وغيرها عن تاريخ الدولة السعودية الاولى ، كما اورد عبد الفتاح ابو عليه معلومات مماثلة عن الدولة السعودية الثانية .

ثم ان الكتب الجدالية المدافعة عن الوهابية والتي ألفها سليمان بن سحمان تتضمن ، بالاضافة الى الاصول الوهابية ، مقتطفات من مؤلفات خصوم الوهابية .

وفي «عصر البترول» ازداد مرارا عدد المؤلفات الاوربية الغربية والاميركية الخاصة بالعربية السعودية . بديهى ان حالة

اوربيين كثيرين تناولوا التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، بالإضافة الى ظهور عدد من المؤلفات الهامة .

فى بداية الخمسينات اجرى ف. فايدال بتكليف من ادارة ارامكو دراسة ميدانية لواحاح الاحساء ، وجمع طائفة من المعلومات الجديدة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية لسكانها .

وفى اواخر الستينات اعدت الباحثة اليابانية موتوكو كاتاكورا دراسة ميدانية مختصة اثنوغرافية واجتماعية واقتصادية فى وادى فاطمة بين مكة وجدة . وهذه الدراسة قيمة لانها تتضمن وصفا لسكنى الحضر والروابط بينهم وبين قبائل البدو ، والصلات الاجتماعية التقليدية واستخدام العلاقات البضاعية النقدية .

وهناك طائفة من الكتب الاميركية الجديدة حول العربية السعودية لا يمكن ادراجها رسميا فى عداد المراجع ولكنها تعتبر فى الواقع من المراجع . ومنها كتاب «جزيرة ابن سعود» بقلم موظفى ارامكو ليبيكيتشر ورينتز وستينيكه ، وقد نشر فى عام ١٩٥٢ ، وكتاب «العربية السعودية : سكانها ومجتمعها وثقافتها» بقلم ج . ليبسكى وآخرين ، وقد صدر عام ١٩٥٩ ، وكتابان صدرا عن وزارة العمل الاميركية بعنوان «قوانين العمل والتطبيق فى العربية السعودية» وكتاب شبه سرى بعنوان «الدليل الاقليمى للعربية السعودية» ، وقد صدرت منه عدة طبعات متجددة دوما .

ان هذه الكتب موضوعة على اساس المواد التى جمعت فى العربية السعودية مباشرة ، بما فيها الدراسات الميدانية الاثنوغرافية والانثروبولوجية والاجتماعية والاقتصادية . فقد استخدم واضعو «الدليل الاقليمى» ، مثلا ، تقارير ودراسات المخبرات الاميركية والسفارة الاميركية وعدد من دوائر ارامكو وكانت فى متناول ايديهم مواد الارشيفات وبعض التقارير الاحصائية الاصلية لمختلف الدواوين السعودية . وهذه الكتب غير مخصصة للجُمهور الواسع ، فهى مخصصة بالدرجة الاولى للخبراء والاشخاص المرتبطين بالعربية السعودية مباشرة - رجال الاعمال والمهندسين والدبلوماسيين والصحفيين . ولذا فهى غاصة بكميات كبيرة من الوقائيع والارقام وتحتوى على بعض التقييمات الموضوعية . الا ان نقطة الضعف المشتركة بينها ، شأن كل المطبوعات الاميركية بخصوص العربية السعودية ، هى طابعها

المتحيز للسياسة الاميركية ونشاط ارامكو . وان تقييماتها للنظام السعودي على اكبر قدر من الحذر ، فهي اقرب الى التزلف مما الى التحليل العلمى . ولكن بوسع الباحث ان يغترف من هذه المطبوعات معلومات عن طابع علاقات الارض واستثمارها والتغيرات فى الزراعة وخصائص نشوء الطبقة العاملة والبرجوازية ، والتطورات فى المجتمع السعودي واعادة تنظيم جهاز الحكم وتطور النظام الحقيقى .

والف ر . كناويرهيس كتابا قيما فى الاقتصاد السعودي فى اواسط السبعينات .

ومن المؤلفات الاخيرة ذات الطابع السياسى بل والصحافى على الاكثر ، والتي تتضمن تفاصيل هامة عن الاوضاع فى العربية السعودية ، كتاب «الجزيرة العربية بلا سلاطين» بقلم الكاتب الانجليزى ف . هولدى ، وكتابان الفهما بصورة مشتركة الباحثان الفرنسيان ل . شامبينوا وج - ل . سوليه . وتعتبر مقالات ب . بونينغان من الكتابات الصحفية الجادة .

وحلل ج . بارودى النظام الحقيقى فى العربية السعودية . وابدى مؤلفو كتاب «المملكة العربية السعودية» الصادر فى لندن ب . هوبدى وأ . كيليدار ود . لونج اهتماما كبيرا بالقضايا الاجتماعية والسياسية ، بما فيها تركيب السلطة والقانون .

ان المطبوعات الاوربية الغربية والروسية الصادرة قبل ثورة اكتوبر حول تاريخ العربية السعودية تتميز ، اساسا ، بطريقتها الوصفية التى تتجاهل الجانب الاجتماعى من الاحداث ، كما تتميز بملاحظات سطحية عن الدوافع السياسية لتلك الاحداث . ولا تعترف اكثرية المستشرقين الاوربيين بوجود اى تطور فى مجتمع الجزيرة حتى القرن العشرين . ولا يختلف عن ذلك كتاب المستشرق الروسى أ . كريمسكى «تاريخ العرب والادب العربى» بجزئين (١٩١١-١٩١٢) .

والمؤلف الاوربى الوحيد الذى يتناول بتفصيل كبير تاريخ السعودية كله هو كتاب فيلبى «العربية السعودية» الصادر فى عام ١٩٥٥ والذى سبق واشرنا اليه . وهو عبارة عن صيغة موسعة لكتابه الاسبق «الجزيرة العربية» الذى صدر عام ١٩٣٠ . واعتمد فيلبى فى سرد الاحداث كليا على مصنفات مؤلفى الجزيرة ابتداء من ابن

غنام وحتى ابن هذلول ، وكان اول اوربى قام بهذا العمل . ولكن فيلبى يتحاشى الاعتماد على المراجع الاوربية فى تاريخ الجزيرة ويبدى ادنى قدر من الاهتمام بتطور البنية الاجتماعية والسياسية والاقتصاد . ولا يمكن ان تنسب اليه فضيلة الموضوعية وعدم التحيز فى عرض الوقائع التاريخية . كان فيلبى مولعا بشخصية ابن سعود ، فاضفى صبغة مثالية على نشاط آل سعود . بيد ان المؤرخ الذى يتناول دراسة العربية السعودية لا يحق له ان يتجاهل كتب فيلبى فى ادب الرحلات ولا مؤلفاته التاريخية ، وذلك لان صاحبها اوربى مطلع عن كتب على خفايا الحياة فى الجزيرة العربية ، ولذا فهو قادر على الالتفات الى نقاط خفية يمكن ان يمر بها الباحثون الاكاديميون من الكرام .

وتجدر الاشارة الى ان الباحث التشيكي أ . موسيل قد استخدم هو الآخر المصنفات العربية .

ومن بين المؤلفات الاميركية المنشورة والمخصصة لفترات معينة فى تاريخ الجزيرة يبرز كتاب ر . ويندير الأنف الذكر : «العربية السعودية فى القرن التاسع عشر» ، وكتاب ج . ترويلر «ميلاد العربية السعودية الحديثة» المكرس للعقدين الاول والثانى من القرن العشرين . وكلا الكتابين يعتمدان على مراجع كثيرة متنوعة . الا انهما يقتصران بالاساس على سرد الاحداث السياسية . ان بعض المستشرقين الاوربيين ، مثل العالم المجرى ا . غولدزيهير ، يستعرضون بشكل صائب ، على العموم ، الجانب العقائدى الاصولى للوهابية ويشيرون الى السمات الخاصة للمذهب الوهابى . ونجد عرضا تفصيليا للاصول الوهابية فى مقالة مارغوليوس المنشورة فى الطبعة الاولى «لدائرة المعارف الاسلامية» باربعة مجلدات . وكتب المستشرق الفرنسى أ . لياوست عدة دراسات هامة مكرسة لابن تيمية ، سلف الوهابيين ، وتأثير مذهبه على معتقدات الطبقة الحاكمة فى المجتمع السعودى . كما ان لهذا المستشرق مقالة عن محمد بن عبد الوهاب فى الطبعة الجديدة من «دائرة المعارف الاسلامية» .

وفى المطبوعات السوفيتية كان م . تومارا اول من تناول موضوع الوهابية وتاريخ الدولة السعودية . ويعود له الفضل فى

طرح مسألة الجذور الاجتماعية للوهابية . الا ان القسم الاكبر من استنتاجاته قد عتق في الوقت الحاضر .

وكتب أ . بيرشيتس عدة دراسات عن الجزيرة العربية ونظامها الاجتماعي والسياسي واثنوغرافيتها . وعرض حصيلته دراسات استغرقت سنوات طويلة في كتاب جيد بعنوان «الاقتصاد والنظام الاجتماعي والسياسي في شمال الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر والثالث الاول من القرن العشرين» . وهذا الكتاب يتضمن كمية كبيرة من الوقائع المصنفة والمقتبسة من اغلبية الرحالة الاوربيين الذين طافوا الجزيرة العربية . كما يحتوي على تحليل ماركسي لمجتمع الجزيرة . وساعد كتاب بيرشيتس على الاستيعاب الافضل لمجموعة المصادر الاوربية ، المدونة . الا ان بعض احكام المؤلف قابلة للجدل . وقد استكمل بيرشيتس آراءه وطورها بقدر معين ، الامر الذي انعكس في مقالته التي ظهرت فيما بعد بعنوان «بعض خصائص نشوء الطبقات والعلاقات الطبقيّة المبكرة عند الرعاة الرحل» .

ويتيح كتاب ي . بيلاييف «العرب والاسلام والخلافة في اوائل القرون الوسطى» امكانية التعمق التاريخي في دراسة مجتمع الجزيرة العربية ومعتقداته على امتداد القرون . كما تهيم مؤلفات ن . ايفانوف عن القبائل العربية في شمال افريقيا وتاريخ المغرب والمجتمع العربي والعثماني لدارسي الجزيرة العربية مجالاً للمقارنات الاجتماعية والتاريخية الهامة .

والف ن . بروشين بحثاً بعنوان «العربية السعودية» . وقام باول محاولة في الدراسات السوفييتية لتحليل منشأ الرأسمالية السعودية وظهور وتطور العلاقات الرأسمالية ونشوء الطبقة العاملة في العربية السعودية .

واصدر ف . اوزولينغ كتابين جادين عن العربية السعودية ، وهما مكرسان بالدرجة الاولى لاقتصاد هذا البلد ، ولكنهما يحتويان في الوقت ذاته على مادة جيدة عن مجتمعه وعن تطور الانظمة والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية .

كما الفت ل . فالكوفا كتاباً عن السياسة الخارجية للعربية السعودية في الستينات والسبعينات بالاساس .

ويلقى كتاب غ . بونداريفسكي المكرس لحوض الخليج على

تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين الاضواء على بعض قضايا تاريخ الجزيرة خلال تلك الحقبة . ويمكن تتبع سير الحرب العالمية الاولى بالنسبة للجزيرة العربية فى كتاب م . لازاريف «سقوط السيطرة العثمانية فى العالم العربى» .

ويبدى الباحثون السوفييت اهتماما كبيرا بقضايا البترول وتأثير الصناعة البترولية على المجتمع فى بلدان الشرقين الادنى والاوسط ، بما فيها العربية السعودية .

وفى الختام تجدر الاشارة الى **الفهارس الخاصة بالعربية السعودية** ، التى وضعها ماكرو وهيورت دون وج . ستيفينس ور . كينغ والباحثان السعوديان يحيى محمود ساعاتى وعبد الله سالم القحطانى ، وكذلك الدليل الذى صدر فى واشنطن عام ١٩٥١ وقائمة المؤلفات الخاصة بالجزيرة العربية والمحفوظة فى المكتبة الوطنية بالقاهرة ، وكتاب «الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز . قائمة ببليوجرافية مختارة عن حياته واعماله» .

الجزيرة العربية قبيل ظهور الوهابية . الاقتصاد والمجتمع والسياسة

ظهرت دولة السعوديين في الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر الميلادي على اساس حركة المصلحين الاسلاميين الوهابيين .
بديهى ان دراسة مجتمع الجزيرة العربية بالدرجة الاولى يمكن ان تقدم لنا مفتاح فهم المذهب الوهابى واسباب تأسيس وتطور واندثار وبعث الدولة التى تحمل اليوم اسم العربية السعودية . ونستدرك هنا فنقول ان اهتمامنا منصب على المناطق الوسطى والشمالية والشرقية من شبه جزيرة العرب ، على نجد والاحساء . اما اليمن وعمان فلا نتناولهما بالدراسة . والسبب فى ذلك لا ينحصر فى كونهما قد احتفظتا باستقلالهما عن العربية السعودية ، بل يكمن بالدرجة الاولى فى احتفاظهما بالخصائص المتميزة تماما (الجغرافية والتاريخية والاقتصادية والسكانية والمذهبية) التى تقدم المبررات لاعتبار سكانهما شعبين مستقلين لهما مصيرهما وتركيبهما الاجتماعى والسياسى . لقد كان من الصعب على الحجاز ان يحتفظ باستقلاله لان الحرمين فى مكة والمدينة كانا يستثيران شهية جميع الامبراطوريات فى الشرق الاوسط . وكان النظام الاجتماعى ، والسياسى والاقتصادى فى الحجاز مشابها تقريبا للنظام فى نجد التى لم تشهد السيطرة الاجنبية فى الواقع . الا ان مكانة الحجاز كولاية للخلافة الاموية او العباسية ، لمصر او الامبراطورية العثمانية ، وكذلك العائدات السنوية من الحج قد جعلته يختلف عن جيرانه . ولذلك فعندما نتكلم عن «مجتمع الجزيرة» نعنى بالدرجة الاولى نجد ، مهد الوهابية ودولة السعوديين ، والمناطق المتاخمة لها من الشمال والشرق .

بحران من الرمال - صحراء النفود الكبرى فى الشمال والربع

الخالى فى الجنوب - يرسمان على وجه التقريب حدود نجد الشمالية والجنوبية . وتنسب نجد من الغرب الى الشرق من جبال الحجاز حتى الخط الساحلى على الخليج . ويمتد الانحدار العام لارضى البلاد من الغرب الى الشرق . ويتميز الطقس بتذبذب منتظم لدرجات الحرارة - من القىظ الساخن الجاف فى الصيف الى البرد الشديد نسبيا فى الشتاء . وغالبا ما تصادف سنوات جفاف مطبق . ولكن عندما تهطل الامطار تعتبر خيرا مخلوطا ببعض الشرور . فالسيول العارمة التى تجتاح الوديان تسفر عن كوارث فى بعض الاحيان . اشهر الوديان وادى الرمة الذى يبدأ فى الحجاز ، شمال شرقى خيبر ، ويتجه الى الشرق على مسافة ٣٦٠ كيلومترا تقريبا ثم يلتف نحو الشمال الشرقى ويضيع بين الرمال ثم يظهر باسم آخر هو الباطن وينتهى قرب البصرة فى العراق على مسافة الف كيلومتر تقريبا من «منبعا» . ومن الوديان الشهيرة الاخرى وادى حنيقة ووادى الدواسر ووادى نجران . والمياه الجوفية فى الوديان اقرب الى سطح الارض ، مما يوفر اسباب الحياة هناك . وفى وادى حنيقة بالذات ظهرت عدة واحات كبيرة صارت مهدا للوهابية وآل سعود . وتقع فى وادى الرمة المدينتان الرئيسيتان فى منطقة القصيم ، وهما بريدة وعنيزة .

نجد مقسمة الى مناطق ذات حدود مائعة . الا ان تلك المناطق نشأت تاريخيا ويتميز كل منها بوحدة جغرافية معينة . واهمها منطقة العارض التى يقطعها وادى حنيقة ، ومناطق المحمل وسدير والوشم . وتقع الرياض العاصمة فى منطقة العارض . واهم مناطق الجنوب الخرج المعروفة بآبارها العميقة واحواضها ، والافلاج التى ظلت باقية فيها قنوات الري الجوفية القديمة ، ووادى الدواسر . وفى الشمال تقع منطقتان هامتان هما القصيم وجبل شمر . وفى القصيم توجد المدينتان المتنافستان بريدة وعنيزة الواقعتان على الطريق من البصرة الى المدينة المنورة ، ولذا كانتا على الدوام مركزين تجاريين هامين . وتقع منطقة جبل شمر جنوبى صحراء النفود الكبرى ، وهى ابعد قسم شمالى من اقسام نجد .

لقد حملت الينا مراجع القرن الثامن عشر مشاهد متفرقة من الحياة الاجتماعية فى الجزيرة العربية . الا ان المعلومات الاحداث تمكنا من تصور اللوحة كاملة وان بالخطوط العامة . ان تباطؤ تطور القوى

المنتجة وثبات البنيات الاجتماعية طوال القرون يهيئان لنا فرصة «سحب» خصائص العلاقات الاجتماعية في الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر او مطلع القرن العشرين على القرون السابقة .

كانت حياة السواد الاعظم من سكان نجد والاحساء وكذلك الحجاز مرتبطة اساسا بنوعين من النشاط الاقتصادي - الزراعة السبيحية او الاروائية في الواحات والرعى البدوى .

الزراعة الاروائية . ان الطقس الجاف شبه الاستوائى فى القسم الاكبر من الجزيرة يستدعى ضرورة الارواء الاصطناعى فى الزراعة . وتنبجس الى السطح مياه جوفية وفيرة بهذا القدر او ذاك فى المناطق الشرقية من الجزيرة فقط . اما اغلبية المناطق الاخرى فالارواء ممكن بواسطة الآبار ، وفى حالات اندر تستخدم مياه الامطار او السيول . وفى بعض الاحيان تقع منابع المياه على بعد عشرات بل ومئات الكيلومترات عن بعضها البعض . ولكننا نصادف عددا كبيرا نسبيا من الواحات فى نجد حيث تتواجد الطبقات الحاوية للمياه على مقربة من سطح الارض ، وكذلك فى الاحساء .

وتطلب حفر الآبار جهدا كبيرا واموالا طائلة . وكانت الوسائل البدائية لرفع المياه تديرها الجمال والبغال والحمير . بديهى ان ذلك يحدد الاراضى الزراعية المروية وحجم الانتاج الزراعى . وكانوا يروون فداناً واحداً على وجه التقريب (خمسة الهكتار) من بئر عادى بعمق عشرة امتار تقريبا ترفع مياهه بواسطة شادوف او ناعور او غيره (١) .

وكانت النخيل هى المزروعات الرئيسية فى المناطق الشمالية والوسطى من الجزيرة . ويستخدم التمر طعاما بمختلف الاشكال ، وكان يمثل المحصول الزراعى الهام الوحيد الذى يسد حاجات الحضر والبدو على نحو ما فى سنوات «الرخاء» .

وتأتى الحبوب - الشعير والدخن والقمح والهرطمان - فى المرتبة الثانية بعد التمور . ومعروف ان كمية معينة من الحبوب كانت تنقل من نجد الى الحجاز فى بعض السنوات . وكانوا فى بعض الاماكن يزرعون الرز والقطن والخضر والفواكه .

وكانوا يجنون فى الاراضى المروية محاصيل كبيرة نسبيا ، الا ان الحجم الاجمالى للمحاصيل غير كبير بسبب محدودية الاراضى المفلوحة وقلة الاسمدة وهدائية الطرائق الزراعية . ان الجفاف

المتواصل الذى كتب مؤرخو الجزيرة والرحالة الاوربيون عن مصائبه
يعنى استحالة ضمان جنى محاصيل ثابتة حتى فى الاراضى المروية .
وفى فترات الجفاف الطويل الامد يجف بعض الآبار نهائيا . وعند
ذاك تهلك المزروعات وتتقلص مساحات الاراضى المفلوحة وتذبل
حتى النخيل وتغدو عقيمة ويعانى السكان من المجاعة فيموتون او
يرحلون عن ديارهم زرافات ووحدا . وعندما تهطل الامطار من
جديد يستأنف الفلاحون البذار ويشرعون برعاية ما تبقى من نخيل ،
ولكن بعض الواحات يكون قد اختفى الى الابد .

وليس الجفاف وحده من خصوم المزارعين . فان هطول الامطار
الغزيرة على ندرته يشكل خطرا عليهم ايضا . فيحدث ان تقشط
السيول العارمة الطبقة العليا من تربة الحقول مع بذارها وزرعها ،
وتدمر المساكن وتتلغ ثمار جهد السنين . وكان الجراد غالبا ما
يلتهم كل النباتات فيحرم الناس من اسباب العيش . وفى الغالب
لا تكفى المواد الغذائية اهالى الواحات حتى موسم الحصاد الجديد .
وكانت الاوبئة المتفشية (الكوليرا والطاعون) تجهز على قرى
بكاملها .

ان ضيق القاعدة الانتاجية والعوامل الطبيعية الضارة بالزراعة
(ناهيك عن العوامل الاجتماعية التى سنتناولها فيما بعد) والطرائق
الزراعية البدائية وانعزال الواحات عن بعضها البعض - كل ذلك
قد ادى الى تباطؤ شديد جدا فى تطور الاقتصاد . وكانت امكانية
تجديد الانتاج الموسع المنتظم ضئيلة وغالبا ما يلغىها التراجع الى
الوراء .

كانت الزراعة فى الواحات تتميز ليس بلم الجهود الاقتصادية
بل بثشتيتها ، وكان يسودها نشاط مجموعات صغيرة من الفلاحين
او عوائل منفصلة . ولم تكن هناك منشآت رى كبرى او مساحات
زراعية اروائية واسعة من شأنها ان تفرض على مجتمع الجزيرة فى
القرون الوسطى ضرورة التنظيم المركزى . ولم يكن تشتت الواحات
يتطلب توحيد المزارعين تحت لواء قيادة مركزية لاجل ممارسة
النشاط الاقتصادى المشترك .

الرعى البدوى وشبه البدوى . كان الرعى عند بدو الجزيرة
يقسم الى نوعين .

فالأعراب «الحقيقيون» هم البدو الرحل الذين يمارسون فى

الغالب او بالاساس تربية الابل التى تكاد تكون الماشية الاكثر شمولاً واحاطة بين سائر المواشى والدواب . فان لبن الابل الطازج او المخمر والجبن والزبدة تستخدم فى الطعام . وغالباً ما يعيش البدوى اسابيع طويلة على اللبن ومشتقاته فقط . وفى حالات خاصة كانوا ينحرون الناقة ويأكلون لحماً وشحمها . ويصنعون الانسجة من وبر الابل ، ويستخدمون جلودها لمختلف الاغراض ، كما يستخدمون بعرها وقوداً وبولها للغسل والعلاج . وكان الجمال الصبور المتحمل بشكل مدهش هو وسيلة النقل التى لا يستغنى عنها اطلاقاً فى اجتياز البوادر القاحلة . فالجمال فى الصحراء ، كما يقول فولنى بحق ، مهم لدرجة تجعل اختفائه منها يؤدى الى اختفاء سكانها جميعاً (٢) .

بيد ان قول المستشرق النمساوى شبرينغير : «البدوى طفيل على الجمال» قد انتشر على سبيل النكتة لا غير . فان عمل البدو من مربى الابل مرهق يتطلب مهارة وقدرة . ويتوجب عليهم ان يعرفوا جيداً ويستخدموا المراعى ويقتادوا الابل ويعالجوها ويحلبوها ويجزوا وبرها . وكانوا يعلمون صغار الابل على اداء مختلف الاعمال وعلى الانصياع للركوب والاحمال . وكان البدو يحفرون الآبار ويعتنون بها . وكانت المسافات التى تقطعها القوافل تبلغ آلاف الكيلومترات .

وكانت حياتهم غاصة بالحرمان . ففي الشتاء القارس احياناً تهلك صغار الابل وتجوع الماشية وتعجز ضروع النوق . وكان الحرمان والمخاطر تترصد بالبدوى فى الصيف القائلض ايضا ، حيث تنفد حتى الاحتياطات الشحيحة من التمر والحبوب ويقتات فقراء البدو على الجذور والثمار البرية ، ويهلك الكثيرون بسبب الجوع . وتقع المقابر عادة قرب مواقع البدو الصيفية (٣) .

ان الخيول العربية الشهيرة التى هى موضع افتخار لدى اصحابها وحسد لدى من سواهم ، كانت تستخدم للاغراض الحربية فقط وللاستعراضات . وفى رحلات القوافل الطويلة الامد كانوا يأخذون دوماً احتياطياً من المياه لاجل الخيول او يسقونها لبن الابل .

اما الرعاة الذين يمارسون فى الغالب او بصورة اساسية تربية الاغنام والماعز فلم تكن لديهم امكانية كبيرة للترحل فى الاماكن الخالية من المياه ، ولذا كان ترحالهم لا يتجاوز بضعة مئات من

الكيلومترات . وكان من اللزوم ان يعثروا على مصادر للمياه قرب المراعى .

ان المسافات غير البعيدة نسبيا للترحال فى الاماكن التى توجد فيها مصادر مائية ثابتة قد مكنت رعاة الضأن من ممارسة الزراعة . فكانوا يقطعون الترحال فى شهور الاعمال الزراعية لكى يعتنوا بالنخيل او بحقول الحبوب . وغدا العمل الزراعى رئيسيا بالنسبة لقسم من رعاة الضأن .

ونجد عند غ . فالين وصفا لهذا النوع من اقتران العمل الزراعى بالرعى البدوى فى شمال نجد : « بسبب العرى الوثقى التى تربط بين فخذى الشمرين نجد ان سكان القرى لا يزالون يتشبثون لدرجة معينة بعادات وتقاليد الحياة البدوية ، فى حين يزال البدو اعمالا تعتبر عادة امورا غير لائقة بهم . فان قسما كبيرا من الاولين يترحلون فى الربيع مع خيولهم وقطعانهم فى البادية ويعيشون بعض الوقت فى بيوت الشعر ، فى حين تمتلك عوائل بدوية كثيرة بساتين النخيل وحقول الحبوب . . . التى تفلحها بنفسها» (٤) .

ويقول أ . بوركهاردت ان احد افخاذ قبيلة حرب الحجازية «يملك عدة مشارب متواجدة فى بقعة خصبة يزرعون فيها الهرطمان والشعير . ولكنهم يعيشون فى بيوت الشعر ويقضون اكبر قسم من العام فى البادية» (٥) .

ولم تكن توجد بين رعاة الابل الرحل ورعاة الضأن شبه الرحل والحضر حدود معينة فيما يخص النشاط الاقتصادى عادة . فالكثيرون من البدو من رعاة الابل بدأوا بممارسة تربية الضأن . واستقر قسم من البدو الرحل فصاروا حضرا . وفى الوقت ذاته جرت عملية معاكسة هى تحول الحضر الى بدو . ان التوازن غير المستقر بين البدو والحضر يتوقف على الظروف الطبيعية والتاريخية فى الجزيرة العربية ، وما كان بوسعه ان يتجاوز اطرا معينة . وكان فائض السكان الرحل ينتقل الى الشمال . واذا استقر هناك فهو يقطع الصلة نهائيا ، على الاكثر ، بماضيه البدوى . وليس من قبيل الصدفة ان يقال بان العراق قبر الاعراب (٦) . ويشمل هذا القول سوربة بقدر ما . ولذلك ففى اطار الجزيرة العربية كان هناك توازن تلقائى بين التحضر والبدواة .

ويمكن لتقسيم سكان الجزيرة الى بدو من رعاة الابل وشبه بدو

من رعاة الضأن ان يتوافق مع تقسيمهم الى قبائل . وفي بعض الاحيان يمارس فخذ من القبيلة تربية الابل . ويمارس فخذ آخر تربية الضأن والماعز ، بينما يمارس الفخذ الثالث الزراعة كالحضر .

وكان الاقتصاد البدوى يعتمد على هطول الامطار اكثر من اعتماد الاقتصاد الحضرى عليه . فعندما تتساقط الامطار بوفرة تكتسب السهوب والبادى باعشاب ريانة وتتسمن القطعان وتزدهر حياة البدو الرحل . اما جفاف الصيف وبرد الشتاء والابوثة الحيوانية فتؤدى الى هلاك الماشية باعداد كبيرة والى المجاعة وانقراض البدو . وان امكانيات تجديد الانتاج الموسع والحصول على منتوج زائد اضيق فى الرعى البدوى مما فى الواحات .

الحرف والتجارة . كانت الحرف والصنائع المنزلية عند الفلاحين الحضر تسد حاجاتهم المحدودة جدا . كانوا يضفرون السلال والاكياس والحصر من سعف النخيل ويفتلون من اليافاها الجبال والاعنة ، ويستخدمون جذوعها فى صنع الادوات الزراعية وفى بناء المساكن . وكانوا يصنعون الاوانى الخزفية البدائية والانسجة الصوفية والقطنية .

وفى الوقت ذاته يصل الى السوق قسم كبير من منتوج البدو الحرفى الاقل تطورا (الانسجة الصوفية الخشنة والمصنوعات الجلدية) .

وفى الواحات الكبيرة تطورت بعض الشئ الصنائع الحرفية المختصة . وكان بين الصناع حدادون ونحاسون ولحامون وصاغة ونجارون وصناع سلاح واسطوات فى صنع التحف الخشبية وبناء وعمال طلاء وخصائيون فى صنع العجلات للنواعير واسكافيون وخياطون ومطرزون ومفصلون وصناع هواوين المرمر لدق القهوة وضافرو الحصر (٧) . وكان الصنفارون وصناع الاسلحة اكبر فئة من الحرفيين . وقد اطلق لفظ «الصناع» بالمعنى الضيق للكلمة عليهم بالذات . وبالمناسبة فان صناع الاسلحة كانوا يمارسون على الاكثر تصليح الاسلحة المستوردة . ونشأ تخصص معين لدرجة ما فى الانتاج فى بعض المناطق . الا ان من الصعب تحديد ملامح هذا التخصص قبل القرن الثامن عشر . ومن المعروف ، مثلا ، ان الناس «فى نجد كانوا ينسجون الاقمشة القطنية التى تستخدم فى خياطة ألبسة السكان وفى مبادلتها بالاصواف والماشية مع القبائل» (٨) ،

وفى بعض المناطق تطور صنع الانسجة الصوفية وخياطة العباءات منها (اشتهرت الاحساء بها خصوصا) وكذلك اقمشة بيوت الشعر . ولم يصادف وجود ورشات ضخمة فى الجزيرة العربية . وفى حالات نادرة فقط شكل الصناعات ما يشبه التنظيمات الحرفية .

كان قسم من الصناعات يترحل مع قبائل البدو . كانوا يصنعون حدوات الخيل ويصلحون السلاح او الادوات المنزلية وكان بعضهم يعالج الماشية اذا مرضت . وكان الصناعات الرحل انفسهم يمارسون تربية الماشية .

وكان من الصعب العثور فى الجزيرة العربية على مدينة بالمعنى الكامل للكلمة حيث لا تعتبر الزراعة المصدر الرئيسى لمعيشة اغلبية سكانها (٩) . وكانت مكة تمثل استثناء واضحا من القاعدة . وفى اغلب الاحوال كان مفهوم «الواحة الكبيرة» ومفهوم «المدينة» متطابقين فى الجزيرة العربية . وكانت عاصمة الدولة السعودية المرتقبة - الدرعية مكونة من عدة قرى متقاربة .

ولم تكن الصناعات تحدد ملامح الحياة الاقتصادية فى المدن - الواحات فى الجزيرة العربية . وكان دورها الهام فى حياة مجتمع الجزيرة يرتبط بالتبادل التجارى المكثف وكان نابعا من التقسيم العميق للعمل بين الزراعة والرعاة الرحل .

وكان اقتصاد البدو الرحل يتميز بطابع يعوزة الاكتفاء الذاتى ، وكان اقتصاد الزراعة افضل قليلا من هذه الناحية . ومع ان بعض البدو غالبا ما كانوا مضطرين الى ان يقتاتوا اساسا على لبن الابل ، فان السواد الاعظم منهم ما كان قادرا على الاستغناء عن المنتجات الزراعية والتمور والحبوب ، كما كانوا بحاجة الى المصنوعات الحرفية .. وقد وزع بوركهاردت مصروفات البدوى الموسر بالشكل التالى : اربعة احمال من القمح - ٢٠٠ قرش ، شعير للفرس - ١٠٠ قرش ، البسة - ٢٠٠ قرش ، بن وتبغ وحلويات ولحم غنم - ٢٠٠ قرش . ويشكل ذلك بمجمله ما يعادل ٣٥-٤٠ جنيهها استرلينيا (١٠) . ويبدو ان عدم ذكر التمور فى هذه القائمة يعود الى ان البدو الاثرياء يمكن ان يحصلوا عليها ليس عن طريق التبادل التجارى ، بل بشكل اتاوة من الزراعة الخاضعين لهم . ويبدو ان البدو البسطاء كانوا يقتنون ايضا الكثير من البضائع التى ذكرها بوركهاردت وان بكميات اقل .

وفي الصيف كان البدو يتقاطرون على الواحات الكبيرة والمراكز التجارية فيعرضون الماشية والاصواف والسمن والجبن لمبادلتها بالتمر والحبوب والاقمشة والحصر والحدوات والاسلحة والبارود والرصاص والمواد الطبية والبن والتبغ . وكان قسم من التجارة يجرى عن طريق التبادل العيني . الا ان مؤرخي الجزيرة يذكرون على الدوام اسعارا بالتعبير النقدي لمختلف البضائع ، مما يدل على تطور التداول النقدي في الجزيرة العربية آنذاك . ان نزوح البدو الرحل الصيفي الى المراكز التجارية يعتبر بالنسبة لهم وللحضر اعظم احداث السنة (١١) . ففي الاسواق الصيفية يجرى الجزء الاساسي من التبادل البضاعي بين البدو والحضر .

ولم يكن البدو يتاجرون في الواحات القريبة فقط . فقد كان نطاق صلاتهم التجارية اوسع بكثير ، وهو يتجاوز اطار شبه جزيرة العرب . كانت الابل في تلك الحقبة هي الباب الاساسي في صادرات الجزيرة حيث كانت تحظى بطلب واسع . كانت الابل تستخدم كوسائط للنقل ليس بالنسبة للجزيرة وحدها ، بل وللبلدان الاخرى في الشرق الاوسط . وكانت الجزيرة تصدر ايضا الاصواف والسمن والجلود والخيول الاصيلية . وساعدت التجارة الخارجية ، بقدر اكبر من التجارة الداخلية ، على تطوير العلاقات البضاعية النقدية في شبه جزيرة العرب .

وكان يصل الى شمال ووسط الجزيرة ، وخصوصا الى الحجاز ، الرز المصري والهندي والقمح والشعير من مصر واليمن . وكانوا يستوردون البن من اليمن والتوابل من الهند والفواكه المجففة من سوريا والسكر من مصر كما كانوا يستوردون الاسلحة والحديد والنحاس والرصاص لصنع الخراطيش والكبريت لصنع البارود (١٢) .

ويتحدث مؤلف «لمع الشهاب» فيقول : «الكفيلة (الكوفية) وصناعها في نفس نجد قليلون بل اكثر ما يلفيهم منها من جانب العراق ومن الاحساء والقطيف . . . والعباءة تصنع في بلدان نجد لكن قليلا واكثر مجيها من ملك العراق ومن الاحساء . . . وقد تلبس نساء الاغنياء منهم الحرير الهندي الذي يبلغ كل ثوب منه قيمة عشرين ريالاً واكثر بالوان عديدة من احمر واصفر واخضر . . . فتلبسه نساء الممولين واما صيغهم في امر حل النساء فذاك شيء

لا يضبط بالعدد لانهم يبالغون في ذلك جدا حتى الفقراء منهم لا بد ان يصيغوا شيئا من الزينة الذهبية لنسائهم قطعاً . . . واما الرجال فيزينون سيوفهم بكثير من الفضة وكذا بنادقهم يلبسونها من اطواق الفضة كثيرا وهكذا خناجرهم ورماحهم يطيبونها بالفضة . . . » (١٣) ..

ويضيف المؤرخ قائلا : «ومن صفات اهل نجد التجارة . فان كثيرا منهم تجار يسفرون الى اطراف الروم وبقية جزيرة العرب ولم يذهبوا بسلعة من نفس نجد الى ملك الروم وانما يحملون معهم الدراهم النقدية خاصة ويأتون من حلب او الشام بالبز الحرير وغيره وكذا بالنحاس ظروفها وغيرها والحديد والرصاص . . . وقد يسرون اهل نجد بخيل عناف الى اطراف ملك الروم بالتجارة لان خيولهم مرغوب فيها عند الاروام لشد علوها وهكذا يجلب اعراب نجد ابلا كثيرة الى حلب والشام للبيع .

وقد قال لي بعض الناس انا شاهدت تجار واهل نجد اهل القصيم منهم يبيعون تما في دمشق الشام وعرفت انهم يجلبونه من بلادهم وقد يسافر اهل نجد الى ارض مصر لكنهم لم يشتروا منها الا السلاح والمرجان واعلم ان تجارتهم في بقية بلاد العرب كذلك غالب ما يذهبون به الى هذه النواحي هو الدراهم ويأتون من اليمن بالقهوة كثيرا وبالورس والميعة واللبن واعلم ان ليس لاجل تجار اهل نجد خانات معينة للبيع والشراء بل جميع اموال التاجر في بيته . . . واما اهل بيع القليل منهم فلهم دكاكين وليس سوقهم مسقف مثل سوق اهل فارس ولا ضيق كضيقة بل سوقهم مكشوف لا سقف له وواسع الطريق جدا بحيث تمر القوافل المحملة فيه واعلم ان اجناس الهند من سكر وبلوج وهيل وقرنفل وقرفة وفلفل وكركم ونحو ذلك الاجناس كلها مرغوبة عند اهل نجد واكثر هذه يجلبونها من بنادر اليمن وقلما يأتون به من ساحل عمان ويأتيهم من طريق القطيف والبحرين شيء كثير . . .

ولهم اشتياق عظيم للسفر وهم غريبة وطاقة عجيبة بحيث يمكن الشخص منهم ان يتغرب عن امله ووطنه مدة عشرين سنة او اكثر وان يسافر عن بيته الى ملك الصين مثلا كما ان كثيرا من تجارهم اليوم جلوس ونزول في حلب وفي دمشق الشام ومنهم من هو في مصر . . . وايضا من جملة احوال اهل نجد الحضر منهم انهم يتعاطون

الزروع كثيرا ويستعملون غرس الاشجار والنخيل ويتعبون انفسهم عليها جدا وكذلك لاهل الحضر منهم غنم وبقر وابل وان لم تكن كثيرة لكن لابد لهم منها بقدر ما يسع المعاش لاجل الحليب واللحم والركوب .

واما احوال بدو نجد فانهم اهل بيت شعر خاصة ولا لهم غير المواشى شيء ولا يردون باهاليهم البلاد اصلا وما يأتى الرجال منهم لاجل التجارة قحطوا فانهم يدخلون المدن والقرى باهاليهم . . . » (١٤) .

وكان البدو يقدمون الابل والادلاء لاجل القوافل التجارية فى الجزيرة العربية ويشاركون فى تكوين القوافل خارج الجزيرة . وكانت توجد فى شمال الجزيرة اتحادات تجار الابل وادلاء القوافل المنتسبين الى قبيلة بنى عقيل . وقد استقروا فى مختلف ارجاء نجد ، الا ان بعضهم اقاموا فى العراق . وفى اواخر القرن الثامن عشر كانوا وحدهم يتمتعون بحق تشكيل القوافل التى تعبر بادية الشام وقيادتها وحمايتها (١٥) .

وكان التجار قد جمعوا ثروات طائلة . صحيح ان البيوتات التجارية فى نجد كانت اقل شأنًا من تجار الجملة الحجازيين . ففى جدة بلغت رساميل تجار البن والبضائع الهندية ما يعادل عشرات بل ومئات الآلاف من الجنيهات الاسترلينية .

واتسم الحج الى مكة والمدينة باهمية فائقة للجزيرة العربية عموما وللحجاز خصوصا . وكانت قوافل الحجاج الرئيسية تمر من شمال الحجاز قادمة من مصر والشام . وعبر المناطق الشمالية من نجد مع ميلان نحو الشمال او الجنوب على اختلاف السنين يمتد طريق الحج الايرانى العراقى مع ان اهميته كانت اقل من اهمية طريقى مصر والشام . وكان الطريق الرابع يأتى من موانئ الخليج ومن عمان عبر وسط نجد والحجاز ، اما الطريق الخامس فيأتى من اليمن الى مكة . ويقترن الحج بالتجارة ، وكان الحجاج يجلبون مختلف انواع البضائع . وقد أمن نقل الحجاج اسباب العيش للكثير من البدو .

عناصر العلاقات القبلية العشائرية فى الواحات . كان قسم كبير من السكان الحضر فى الجزيرة العربية يعتبرون انفسهم من هذه الافخاذ والقبائل او تلك . وكان ابناء القبيلة الواحدة من بدو وحضر على ارتباط وثيق فيما بينهم يمكن ان يظل قائما طوال حياة اجيال

عديدة . وفى بعض الاحيان كان ابناء القبائل المختلفة يعيشون فى احياء منفصلة فى نفس الواحات .

وكان الفلاحون واهل المدن الاصليون يعتقدون ان انسابهم تغوص عميقا فى انساب العرب .

وتشكل عدة عوائل كبيرة او صغيرة جماعة تسمى الحمولة . وكتب دوتى يقول «ان الجماعة تحالف طبيعى لاستثمارات تربط بين افرادها صلات القربى ولهم جد واحد . وهم متوحدون فيما بينهم تحت راية عمدتهم ورب الاسرة كله الذى يرث سلطة مؤسس الجماعة . وفى اطار هذه الاواصر والتقسيمات العائلية يمكن وجود الحياة المترابطة الآمنة فى بلد خاو خال من السلطة . ويعتبر الغرباء المنتسبون الى الجماعة حلفاء لاصدقائهم . ويعتبر المعتوقون زبائن للعائلة السائدة . . . وكلهم من «ابناء عمومة» الجماعة المعنية . . . ان الجماعات فى الواحات هى روابط يقطن افرادها فى عدة احياء او حارات . وعندما يتشاجر ابناء المدن من جماعات مختلفة يحاول زعمائهم المصالحة فيما بينهم ، مع ان ابناء المدن فى الواحات الكبيرة ذات التسيير الذاتى ، مثل عنيزة ، يراجعون الامير المتربع فى المجلس لاجل حل الخلافات بينهم . . . وقبل ان تهيب السلطة الوهابية الوثام المدنى كان سكان المراكز الكبيرة فى باطن الجزيرة فى نزاع دائم : جماعة ضد جماعة وسوقا ضد سوق» (١٦) . والشخص الذى يعيش خارج الجماعة وحيدا لا نسب له انما يعانى من صعوبات كبيرة ، فلا جماعة تحميه من التطاولات على حياته وامواله .

وكانت عوائل الامراء والشيوخ تتميز بصلات القربى الوثقى خصوصا ، مما يمنحها وزنا ونفوذا كبيرين . وغالبا ما توحد بينها الملكية المشتركة للارض والعائدات .

وقد ضعف التنظيم القبلى العشائرى لدرجة كبيرة لدى السكان الحضر ما عدا قسم منهم ممن انتقلوا الى حياة الاستقرار الحضرية مؤخرا ولم يقطعوا الصلات القديمة بالكامل . والشئ الوحيد الباقي فعلا هو العائلة الكبيرة والمجموعة غير الكبيرة نسبيا من ذوى القربى والتي تمثل الخلية القبلية المتبقية التى غالبا ما تنعت فى مطبوعاتنا الاثنوغرافية بالخلية الابوية (العشائرية) .

وكانت العائلة الكبيرة تمتلك الارض والاموال الاخرى بصورة مشتركة وتمارس تسيير استثمار غير موزعة وذلك باشراف الاب .

وبعد وفاة الاب يجرى تقسيم التركة . وكان للابن البكر حقوق تفضيلية في الميراث .

وظلت باقية في بعض مناطق الجزيرة العربية اشكال مختلفة للملكية المشاعة لاراضى افخاذ معينة . وفى الاماكن التى يجرى الارواء فيها من مصادر مائية كبيرة كان الريفيون يمتلكون المياه ويستخدمونها بصورة مشتركة . وفى بعض الاحيان كانت المراعى من الملكية المشاعة للحضر . واذا لم يكن سكان الواحات يمتلكون مراعى خاصة بهم فهم مضطرون الى رعى الماشية فى الاراضى العائدة لقبائل البدو الرحل (١٧) .

ان عادات التعاضد العشائرى كانت موجودة بقدر ما عند السكان الحضر . وكان المزارعون ينفقون بصورة مشتركة على رعاة وحراس ماشيتهم ويلتزمون بعادة كرم الضيافة . وظلت باقية تقاليد عونة الجيران . ويصادف ان لا يحصد مالكو الحقول السنابل الساقطة اذ يتركونها للفقراء . وفى بعض الاحيان يخصص للفقراء قسم غير محصود من الحقل او عدد من النخيل المثمرة (١٨) . الا ان العلاقات الاجتماعية فى الواحات لا تضبطها هذه الروابط العشائرية .

التقسيم الطبقي فى الواحات . بنتيجة عملية طويلة معقدة فى المجتمع الزراعى فى الجزيرة العربية خلال القرن الثامن عشر وقع قسم من الاراضى فى حوزة الوجهاء من بين البدو وكذلك الذين تحولوا الى حضر من زمان فى الواحات . فان حاكم واحة العيننة فى النصف الاول من القرن الثامن عشر ، مثلا ، كان يمتلك ارضا فى الاحساء ويستلم منها عائدات (١٩) . وكانت بساتين النخيل والجنائن والحقول ملكا للفقهاء ايضا . والمثال على ذلك املاك مؤسس الوهابية محمد بن عبد الوهاب (٢٠) ولكننا لا نجد عند مؤرخى الجزيرة والرحالة الاوربيين اشارة الى ان الملكية العقارية الكبيرة كانت سائدة او منتشرة فى نجد والحجاز والاحساء . فقد اشار بلغريف فى اواسط القرن التاسع عشر تقريبا الى ان الارض «نادرا ما كانت فى حوزة الملاك العقاريين الكبار مثل الاقطاعيين الهنود وكبار المزارعين الانجليز» (٢١) .

ان المزارعين الصغار المكبلين بالديون كانوا يفقدون ملكية الارض التى تنتقل الى المرابين الاثرياء والتجار . وكتب دوتى عن الفلاحين «ان الدائنين الاثرياء كانوا يلتهمون الفلاحين مع حصتهم من

الارض (بقدر لا يكاد يقل عما فى مصر والشام) ، ويكبلونهم لآمد طويل بالديون الربوية الجائرة» (٢٢) . ويبدو ان هذه الظاهرة كانت منتشرة كذلك عشية ظهور حركة الوهابيين فى القرن الثامن عشر ، والا فكيف يمكن تفسير اصرارهم على شجب الفوائد الربوية .

وكان الملاك العقاريون يقدمون قطع الاراضى الى الفلاحين على سبيل الايجار بمختلف الشروط . وكان الطريق الرئيسى للحصول على الريع هو المحاصة العينية التى تحدد مقاديرها بموجب العادات والتقاليد .

وكان الاستيلاء على مصادر المياه الكبيرة والصغيرة قد مكن اصحابها من بيع الماء وبالتالي الحصول على حصة من ريع الاراضى المروية . ولم تكن لدى الكثير من الفلاحين دواب عمل وما كان بوسعهم ان يستفيدوا من الآبار او المصادر العامة وفلاحة الارض بصورة مستقلة ، فكانوا مضطرين الى استئجار الدواب .

وكانت مختلف الاتاوات المفروضة على السكان تعود بمداخيل كبيرة على الوجهاء . ومن المعروف ، مثلا ، ان الامير الذى يتمتع بالسلطة السياسية كان فى اواسط القرن الثامن عشر يجبى ضريبة ما من السكان (٢٣) . وكانت الرسوم المفروضة على القوافل التجارية قد ادت كذلك الى اثراء الوجهاء بالدرجة الاولى . وكان حكام الحضر الاقوياء يملأون خزائنهم اثناء الغزوات الناجحة على الواحات المجاورة وعلى قبائل البدو الرحل وشبه الرحل . وغدت الغزوات المصدر الرئيسى للمداخيل بالنسبة للعديد من الاقطاعيين .

وتبين عائدات شريف مكة اساليب اثراء الوجهاء من حكام الواحات . كانت الرسوم الجمركية فى جدة تعود عليه باكثر المداخيل . وكان يشارك فى التجارة المربحة التى تمر عبر هذه المدينة ، وكان يمتلك سفنا بحرية ويبيع المواد الغذائية الى الحجاج . وقد فرض ضريبة نفوس كبيرة على الحجاج الفرس ، وكان يستلم الهدايا والهبات من الحجاج السنة الاثرياء . وكان يستحوذ على قسم من النقود التى تاتى من الاستانة الى مكة بمثابة هدية من السلطان العثمانى لاهالى مكة المكرمة . وترد الى خزينة الشريف عائدات الملكية العقارية من الطائف والواحات الاخرى ، وكذلك من الدور العائدة له . ويعتقد بوركهاردت ان الدخل السنوى

لشريف مكة كان يعادل ٣٥٠ الف جنيه استرليني (٢٤) . بديهي ان الشريف كانت له مكانة خاصة في الجزيرة العربية الا ان الامراء الآخرين كانت لهم بعض ابواب الدخل المذكورة اعلاه وان بقدر اقل .

ولم تتطور في الجزيرة اشكال ربط الفلاح الاعرابي بالارض مباشرة . فقد اشار نيپور الى «ان الفلاح المتذر من سيده كان حرا في تركه والانتقال الى مكان آخر» (٢٥) . الا ان عدم امكان الاستغناء عن حماية شخص قوى او فخذ قبلي في ظروف انعدام الامان قد ادى الى ظهور تبعية الفلاح شخصيا لامير الواحة مع ان هذه التبعية كانت ضعيفة جدا .

وكانت توجد في واحات الجزيرة دون شك ، في الحقبة موضوع البحث ، علاقات طبقية من طراز ما قبل الرأسمالية ، ويبدو انها نشأت لقرون عديدة قبل القرن الثامن عشر . ولكننا عندما نقول بانها علاقات «اقطاعية» علينا ان نستدرك ونذكر بان البنية الاجتماعية للسكان الزراعيين في الجزيرة التي هي على العموم من الاطراف المتخلفة في الشرقين الادنى والوسط ، كانت تكرر بشكل بدائي العناصر الاساسية للتنظيم الاجتماعي في البلدان الاكثر تطورا في هذه المنطقة . ولذلك فعندما نستخدم مصطلح «الاقطاعية» في تحليل مجتمع الجزيرة نعنى بها الاقطاعية الملازمة لبلدان الشرق الاوسط .

العلاقات القبلية العشائرية داخل قبائل البدو الرحل . ورد في «لمع الشهاب» تعداد لقبائل البدو الرحل في وسط وشرق وشمال وغرب الجزيرة في القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر (٢٦) ، الامر الذي لا نجد في المصنفات التاريخية الوهابية في تلك الحقبة . ويرى مؤلف «لمع الشهاب» ان اكبر قبيلة عربية (تذكرنا باتحاد القبائل) هي قبيلة عنزة التي تضم ثلاث مجموعات في كل منها حوالى ٦٠ الف رجل . ويقصد مؤلف الكتاب بهذا الرقم الخيالة القادرين على حمل السلاح . (وذكر منجبن ان نسبة الخيالة الى النساء والاطفال والعجزة والشيوخ هي الثلث (٢٧) ، وذلك يمكننا من تقدير العدد الاجمالى لافراد عنزة بحوالى نصف مليون نسمة) . واشتهرت عنزة بفن الفروسية . وكانت تقاليد العونة والنخوة والتعاضد عندها اقوى مما عند القبائل الاخرى . وعندما

يرتحل قسم من عنزة اثناء الجفاف من نجد الى المناطق شبه الصحراوية فى الشام فان ابناء هذه القبيلة المقيمين هناك يساعدون القادمين .

ويقول مؤلف «لمع الشهاب» ان القسم الاكبر من عنزة خضع للسعوديين بدون حرب . وذلك امر كبير الدلالة . فان الجهود التوحيدية المركزية لامراء الدرعية كانت ، على ما يبدو ، تستجيب لمصالح هذه القبيلة المنتشرة فى قسم كبير من شبه جزيرة العرب .

وكان لدى قبيلة شمر التى تقطن شمال نجد وتعتبر نفسها من ابناء قحطان ومن قبائل طى عشرون الف فارس . وكان لدى قبيلة حرب الحجازية ٣٠ الف رجل مسلح من البدو والحضر . وكان لدى قبيلة مطير النجدية التى اشتهرت بفارساتها وحماسها ١٤ الف فارس ، ولدى قبيلة عتيبة (من القحطانيين) التى قطنت نجد والحجاز ٤٠ الفا ، ولدى قبيلة البقوم ٤ آلاف ولدى قبيلة سبيع المخلصة للسعوديين كل الاخلاص ١٢ الفا ، ولدى قبيلة السهول ١٠ آلاف .

وفى جنوب نجد كان لدى قبيلة قحطان الجبارة ٥٠ الف فارس ، فلم يتجرأ احد على التحرش بها . وانضم القحطانيون الى السعوديين بشرط تأييد الدرعية لغزواتهم على تهامة ومرتفعات اليمن وحضرموت .

وكان لدى قبيلة العجمان خمسة الاف فارس . وكانت هذه القبيلة قد ارتحلت فى القرن الثامن عشر من منطقة نجران الى الشمال فازداد تعدادها وتقوت على ما يبدو . وفى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر قدمت الى سوح القتال فى شرق الجزيرة آلاف عديدة من المحاربين .

ويقول مؤلف «لمع الشهاب» ان بنى مرة او آل مرة الذين كانوا يقطنون اطراف الربع الخالى يشكلون الفى بدوى او يزيد . وكانت ظروف معيشتهم الصعبة قد ادهشت هذا المؤرخ العربى فلم يجد بدا من القول بانهم كانوا قادرين على ان يقتاتوا بلبن الابل وحده ويشربوا الماء المالح تقريبا .

واخيرا نجد ٣٠ الف فارس عند بنى خالد اسياذ شرق الجزيرة

فى اواسط القرن الثامن عشر ومنافسى امارة الدرعية فى عهد نهوضها .

ومما لا ريب فيه ان هذه الارقام تقريبية بعيدة عن الدقة . ولم يبد المؤرخ اهتماما بالقبائل غير الكريمة المحتد ولا المملوكين والمعنوقين والصناع الذين سنتحدث عنهم فيما بعد . الا ان تعداد القبائل يقدم لنا لوحة احصائية ، وان افتراضية ، لمجتمع البدو فى الجزيرة العربية آنذاك (ما عدا اليمن وعمان) . وقد بلغ العدد الاجمالى للخيلة البدويين حوالى ٤٠٠ الف شخص ، الامر الذى يشير الى ان عدد البدو الرحل فى الجزيرة يكاد يكون ١,٢-١,٥ مليون شخص .

كانت العائلة هى اصغر خلية فى القبيلة . وفى بعض الاحيان كانت مجموعة من ثلاث او اربع عوائل مترابطة بصلة القربى تمتلك «اموالا غير مجزأة بهذا القدر او ذاك» (٢٨) . ولكن هذه الظاهرة كانت نادرة . فان حاجات حياة الترحل ورعاية الماشية ورعيها لم تكن تستدعى فى ظروف الجزيرة توحيد جماعات كبيرة من الناس لاجل العمل المشترك .

وكانت عدة عوائل من ذوى القربى الحميمة او البعيدة الذين يتذكرون او يعرفون جدا مشتركا لهم تشكل جماعة قبلية صغيرة . وكانت الجماعة القبلية الكبيرة تشمل عوائل متوحدة بصلة قربى متباعدة . واكثر اسماء تلك الجماعة انتشارا العشيرة : كان افراد العشيرة مترابطين فيما بينهم بالتزامات وحقوق صارمة للتعاقد والمسؤولية المتبادلة . ويرأس العشيرة شيخ او قائد عسكري احيانا - عقيد . وكان للعشيرة كذلك عارف ومفسر لاصول العادات والاعراف . ولدى كل عشيرة اسمها الخاص وطمعتها وصيحتها فى الحرب وحيانا مقبرة خاصة بها . ويمكن للعشيرة ان تقبل انتساب بعض الغرباء اليها .

وبعد ذلك يأتى الفخذ او البطن وهو مجموعة من العشائر المترابطة بعلاقات نسب مفتعلة او حقيقية وبتحالف سياسى او حربى .

والدرجة التالية من البنية الاجتماعية للبدو الرحل هى القبيلة التى لها اراضيها وبعض خصائص اللهجة فى لغتها وسمات معينة لحياتها المعيشية وثقافتها ومعتقداتها ، كما لها طمعتها وصيحتها .

وكان أبناء القبيلة يعتبرون انفسهم اقرباء متحدرين من جد او سلف واحد . ويتراأس القبيلة شيخ وفيها ايضا عقيد وعدد من العراف المتضلعين فى معرفة العادات والتقاليد .

وكان تكتل القبائل يجرى حسب صلة القربى وكذلك لاعتبارات سياسية . وكانت العلاقات بين القبائل المترابطة بصلة القربى تضبط حسب العرف (٢٩) .

وظلت باقية داخل قبائل البدو الرحل الظواهر الفعلية الملازمة للمجتمع العشائرى . وفى مقدمتها ملكية القبيلة الجماعية للمراعى (الديرة) . وكانت حدود الاراضى العائدة للقبيلة مرسومة بتنشئين دقيق . ويقول فولنى «ان كل قبيلة من هذه القبائل تستأثر بمنطقة معينة تصبح ملكا لها . وتختلف القبائل من هذه الناحية عن الشعوب الزراعية بان اراضيها يجب ان تكون اوسع بكثير لكى تؤمن العلف للقطعان طوال العام . وتشكل كل من هذه القبائل مخيما او عدة مخيمات موزعة على المنطقة . وهى تستبدل مواقعها على الدوام فى هذه المنطقة حالما تلتهم القطعان الكلا حول المخيمات» (٣٠) .

وكان قسم كبير من الآبار واحواض المياه فى السهوب ملكا لقبائل البدو . ويقول بوركهاردت «ان اغلبية الآبار فى اعماق البادية وخصوصا فى نجد ملك مطلق لقبيلة ما او لاشخاص حفر اجدادهم تلك الآبار وعندما تنفد مياه الامطار فى البادية تنصب القبيلة خيامها قرب بئرها ولا يسمح لاي بدو آخرين بارواء ابلهم هنا» (٣١) .

ويمكن للقبائل والافخاذ والبطون ان تمتلك بصورة جماعية الاراضى المفلوحة فى الواحات (٣٢) . وكان البدو يقدمون تلك الاراضى على سبيل الايجار الى الزوج المعنوقين او الفلاحين العرب ويستلمون لقاء ذلك حصة من الغلة ويوزعونها على العوائل (٣٣) . وكان قسم كبير من جياذ الانسال ملكا عاما للقبيلة ، ولكن الافراس تعتبر على الدوام ملكية خاصة لاصحابها (٣٤) .

كانت لدى البدو الرحل عناصر كثيرة من التعااضد العشائرى فى الامور الاقتصادية ، مثل جز الاغنام الذى يتم تقديم الطعام اثناءه . وكان أبناء القبيلة الواحدة يساعدون بعضهم البعض فى المناسبات العائلية - الزفاف والختان واستقبال الضيوف .

واشتهر البدو بكرم الضيافة . وكانوا يعتبرون الاستهانة
بهذه العادات عيبا شنيعا . وكتب فولنى يقول : «إذا لمس
الغريب ، وحتى العدو ، خيمة البدوى يحصل على الحصانة الشخصية
إن صح القول . وحتى أخذ الثأر المستحق يعتبر عارا لا يحى
إذا جرى على حساب حسن الضيافة . وإذا وافق البدوى على اقتسام
رغيف العيش مع الضيف فما من قوة فى العالم ترغمه على خيانة
ضيفه» (٣٥) .

وتتسم بأهمية بالغة المعونة المادية التى يقدمها أبناء القبيلة
لمن تهلك قطعانه بسبب الجفاف او الامراض ولمن يفقد امواله
اثناء غزوات النهب . فالاموال المضیعة يعوض عنها بالماشية
والنقود والادوات المنزلية او مستلزمات الخيام . والعوائل التى
تصاب بكارثة تتلقى المعونة من اقاربها ، بينما تتلقى القبيلة
المتضررة المعونة من افرادها او من القبائل الاخرى المتحالفة معها .
وكتب دوتى يقول : مهما كان الشخص الذى تنهب امواله فان ذلك
يعتبر «مصيبه عامة للقبيلة كلها ، ولا ينبغي ان يظل احد ممن فقد
ماشيته فقيرا معوزا . والشيخ الحاكم يلزم جميع افراد القبيلة
بان يعوضوا للمتضررين فى غضون يوم او يومين عن كل الماشية
التى فقدوها» (٣٦) .

وتجدر الاشارة مع ذلك الى ان التعويض عن الخسائر بالشكل
الكامل لم يكن ممكنا فى اغلب الاحيان رغم متانة اواصر التضامن
العشائرى . فاذا فقدت القبيلة قسما كبيرا من قطعانها بعد هزيمة
حربية ماحقة فان عادة التعويض عن الخسائر لن تعود سارية
المفعول فى الواقع . ويتعرض الفقراء فى مثل هذه الاحوال للموت
جوعا . ويحدث الشئ ذاته اثناء الجفاف الفظيع او انتشار الوبئة .
فالخسائر آنذاك تصيب بهذا القدر او ذاك كل افراد القبيلة ، وفى
تلك الحالة لا يعودون قادرين فى الغالب على نجدة الاكثر تضررا .
ان عادة التعويض عن الخسائر لم تكن شيئا وهميا ، ولكن اطرها
مقيدة بالامكانيات الفعلية .

كانت العلاقات بين مختلف القبائل تضبط فى المقام الاول بأهم
عنصر فى الاعراف القبلية وهو الثأر (٣٧) . ويقول فولنى «ان
مصالح الامان المشترك قد اوجدت عند العرب منذ القدم قانونا
يتطلب غسل عار مقتل اى شخص بالثأر له من القاتل . ويأخذ

الثأر اقرب اقرباء القتيل . فان شرفه قد تلوث فى انظار سائر الاعراب لدرجة لا يمكن معها ان يستهين بواجب الثأر ، والا سيبقى شرفه ملوثا الى ابد الابد . ولذا ينتهز الفرصة السانحة لثأر للقتيل . واذا مات عدوه لسبب آخر يبقى هو غير راض اطلاقا ويأخذ ثأره من اقرب اقرباء القاتل . وتنتقل هذه الاحقاد بالوراثة من الاب الى ابنائه ولا تختفى الا باختفاء احد الفخذين اذا لم تتفق العائلتان على تسليم المذنب او دفع تعويض بالنقود او الماشية» (٣٨) .

وكان الثأر عند البدو يشمل عادة الاقارب من خامس ظهر . وفى الغالب تترك كل الجماعة التى يشملها الثأر قبيلتها وتبحث عن ملجأ وحماية عند شيخ قوى لقبيلة اخرى . وبعد ذلك تحاول تلك الجماعة البحث عن وسيلة الاتفاق بشأن دفع التعويض . واذا كان القتيل ليس من الوجهاء فان اقرباءه يوافقون على التعويض . ومقادير التعويض تختلف باختلاف المناطق والقبائل ، ولكنها مقادير كبيرة . ويشارك جميع اقارب القاتل فى تسديد التعويض . اما الشيوخ فلا يقبلون الا بالقتل ثأرا للقتيل (٣٩) .

وتشارك القبيلة كلها فى دفع التعويض لاطلاق سراح ابنائها من الاسر (٤٠) . وكان البدو الاثرياء يساعدون الفقراء عند الاقتضاء . وكانوا يقدمون الى اقربائهم الفقراء هدايا من اطعمة وألبسة وماشية . وبهذه الصورة يحصلون على شعبية . وكان من العيب على ابناء الوجهاء ان يتهموا بالبخل ، فى حين يعتبر السخاء اسما فضيلة (٤١) .

ولم يكن البدو يعرفون الضرائب المنتظمة . وكانوا يعتبرون «دفع الضرائب اهانة» (٤٢) . وان انعدام الضرائب داخل القبيلة من اهم الادلة على متانة العلاقات العشائرية .

ومع ذلك فحتى المراقبون المعجبون بتضامن البدو الرجل وتعاضدهم قد عثروا فى القبائل على ظواهر بعيدة عن المثاليات العشائرية .

عناصر التفاوت داخل القبائل البدوية . فى اواخر عام ١٧٨٤ زار فولنى شيخ قبيلة كانت تترحل فى منطقة غزة . ان مقارنة رفاه ممثل الوجهاء العشائريين هذا ، رغم انه لا يعتبر غنيا

بالمقاييس الاوربية ، مع حالة البدوى العادى تكشف عن امور كثيرة .

«كانوا يعتبرون الشيخ اغنى الجميع فى المنطقة . ولكنه خيل الى ان نفقاته لا تزيد على نفقات تاجر عادى ثرى . امواله المنقولة المكونة من الالبسة والبسط والسلاح والخيول والابل لا تتجاوز ٥٠ ألف ليرة . وتجدر الاشارة الى ان ذلك يشمل اربع افراس اصيلة بستة آلاف ليرة . . . ولذا فاذا تحدثنا عن البدو لا ينبغي لنا ان نضمن الكلمات مفاهيمنا المعتادة لمصطلح «السيد» . ان الشيخ الذى يقود مفرزة من ٥٠ خيالا لا يستنكف من اسراج حصانه بنفسه ومن تقديم الشعير والقش له . وفى بيت الشعر تعد زوجته القهوة وتعجن العجين بنفسها وتطبخ اللحم . وتغسل بناته . وقرباته البياضات ويتوجهن محجبات الى البئر لاضرار الماء بباريق يحملنها على رؤوسهن . وهذه اللوحة تشبه بالضبط ما وصفه هوميروس او «كتاب الوجود» فى قصة ابراهيم الخليل . . .

ان بساطة البدو او فقرهم ، ان صح القول ، من بساطة ظروف حياة شيوخهم . فان ملكية العائلة كلها تتكون من اموال اوردها هنا بالشكل الكامل تقريبا : عدد من الجمال والنوق والماعز وبضع دجاجات ، وقرس مع عدتها وبيت شعر ورمح طوله ١٣ قدما وسيف منحن وبندقية صدئة ، وغلليون ورحى وابريق ودلو جلدى ومقلاة لتحميم البن وحصير وبعض الالبسة وعباءة صوفية سوداء واخيرا ، وبدلا من كل الحلى الثمينة ، عدة اساوره وخلاخيل زجاجية او فضية ترتديها المرأة على قدميها او معصمها . واذا كان ذلك كله متوفرا فان العائلة تعتبر غنية» (٤٣) .

ان اوصاف فولنى هذه تصطبغ بالصبغة السياسية اكثر من الاثنوغرافية . ومع ان هذا الرحالة يصفى طابعا مثاليا على بساطة حياة الشيخ البدوى ، فان الفارق فى الحالة المالية للشيخ كبير جدا حتى اذا قارناه ببدوى يمتلك حصانا . اما البدو الفقراء فكانوا يعيشون فى ضنك اكبر بكثير .

ويقول فولنى : «لاحظت ان الشيوخ ، اى الاثرياء ، وخدمهم ، على العموم اطول قامه واكثر اكتنازا من سائر ابناء القبائل . . . ولا يفسر ذلك الا بطعامهم الاوفر مما لدى باقى الناس . ويمكن

القول ان البدوى البسيط يعيش دوماً في عز و يعانى من الجوع طوال الوقت . . . ان طعام اليوم الواحد للسواد الاعظم منهم لا يتجاوز ست اوقيات . وفي قبائل نجد والحجاز يصل الاعتدال في الطعام الى حده الاقصى . فان وجبة البدوى لليوم الواحد تتكون من ست او سبع تمرات منعسة في سمن ذائب وقليل من اللبن الطازج او المخمر . والبدوى يعتبر نفسه سعيدا اذا استطاع ان يضيف الى ذلك حفنة من الدقيق الخشن او قليلا من الرز . والبدو لا يأكلون اللحم الا في اكبر الاعياد . ففي حفلات الزفاف او المآتم ينحرون معزة صغيرة . ولا ينحر صغار الابل ويأكل الرز مع اللحم الا الشيوخ الاثرياء وقادة العساكر» (٤٤) .

وقد تجلى التفاوت في الاموال لدى قبائل البدو الرحل بشكل ملحوظ خصوصا في ملكية الماشية . فلئن كان الواحد من فقراء قبيلة عنزة لا يكاد يمتلك في مطلع القرن التاسع عشر ١٠ جمال ، فان قطعان البدو الاغنى تضم زهاء ٥٠ جمالا ، في حين ان عائلة الشيخ تمتلك عدة مئات من الابل (٤٥) . وكان اكثر الشيوخ قوة و ثراء يمتلكون عدة آلاف من الابل .

ان وجهاء القبائل الذين يضبطون الترحال الموسمى ويشاركون في توزيع المراعى صاروا يكتسبون حقوق الاسبقية للتصرف بالاراضى مع ان تعسفهم كان مقيدا بالعادات العشائرية . وكانت القطعان التابعة للشيوخ تحصل على المراعى الافضل . وكان هناك منذ القدم حمى لقطعان الشيوخ . وغدا قسم من موارد المياه ملكا لوجهاء البدو الرحل .

ومن نظام التعاضد القبلى ظهر استغلال البدو اثناء تسليمهم الماشية لاجل رعيها . فى بادى الامر كان تسليم الماشية يبدو بمثابة سلفة مؤقتة بشكل عدد من رؤوس الماشية تقدم الى ابن القبيلة الذى اصابه الاملاق (٤٦) . وقد انتشرت هذه الظاهرة عند بدو الجزيرة ومكنت كبار ملاك الماشية من صيانة قطعانهم ومضاعفتها .

والدرجة التالية فى الاستغلال هى تسليم الماشية على سبيل المحاصة الى الفقراء المعدمين وغير المعدمين ، حيث يستلم الملاك جزءا من النسل والمحاصيل الحيوانية (٤٧) . وكان تسليم الاغنام لاجل الرعى اكثر انتشارا . فان رعاة

الابل ما كان بوسعهم ان يأخذوا معهم الماشية الصغيرة اثناء الترحال الطويل الامد ، ولذا يتركون الاغنام عند رعاة الغنم من ابناء الافخاذ الاخرى او القبائل الغربية بغية رعيها . وفى هذه الحالة كان الاستغلال اكثر وضوحا وغير مـمـوـه بالاشكال العشائرية . واذا لم تتمكن عوائل الوجهاء من رعاية قطعان ابلها فهى تستخدم الرقيق او ابناء القبائل الاخرى ، ونادرا ما تستخدم ابناء قبيلتها .

وتحولت الاتاوات الخاصة بالصرف على كرم الضيافة الى واحد من اساليب استغلال البدو من قبل الوجهاء . وقال بوركهاردت : «عندما يأتى الضيوف ويتعين نحر كبش من اجلهم فان الاعراب يحضرون هذا الكبش عادة الى خيمة الشيخ . وفى بعض القبائل لا يسمح الاعراب بان ينحر شيخهم كبشه ، ولذا يزودون خيمته باللحوم حسب الدور» (٤٨) . ولما كان الشيخ «مضطرا الى استقبال الضيوف كثيرا جدا فهو يأخذ جملا او خروفا من هذا او ذاك ، والناس يقدمونهما له بطيبة خاطر ، وذلك لانهم لا يندر ان يأكلوا لحمها عنده بعد الضيوف» . بهذه الصورة اوضحوا للرحالة موسيل طبيعة هذه الاتاوات حتى فى مطلع القرن العشرين (٤٩) . وكانت القبيلة تساعد الشيخ فى اقتناء حصان . وعندما يتناقض قطيعه بسبب غزوات النهب يحاول ابناء القبيلة التعويض عن كل خسائره . وفى الحالات المماثلة لا يعوضون للبدوى العادى الا عن جزء من خسائره كما يقول بوركهاردت (٥٠) . ويستلم الشيوخ والعراف فى القبائل مكافأة على الفصل فى النزاعات القضائية .

وفى بعض الاحيان يقع البدو البسطاء فى تبعية شخصية بقدر ما للوجهاء . وساعد على ذلك نظام التجاء البدو الى شيخ قوى من قبيلتهم او من غير قبيلتهم (الدخلة) من اجل حمايتهم . وكانت تلتف حول هذا الشيخ «عوائل صغيرة لا تقوى بالقدر الكافى على الحياة المستقلة ، بل هى بحاجة الى الحماية والتحالف» (٥١) . وكانت الوصاية من اشكال التبعية الاكثر تطورا . فالفقراء فى هذه الحالة ينشدون حماية الشيخ لقاء مدفوعات معينة . وانتشر على نطاق واسع لجوء جماعات بكاملها الى وصاية الشيوخ طلبا للحماية . فالاشخاص الذين يخشون الثأر من جانب اهل القتل

يسعون الى الحصول على حماية الوجهاء من قبيلة اخرى . وعلى البدو ان يتحملوا مقابل ذلك بعض الواجبات ، ومنها واجبات اقتصادية . وان الحرية الشخصية لمثل هؤلاء الناس تكون مقيدة بعض الشيء (٥٢) .

ويدل على ضعف الاواصر العشائرية كذلك واقع ان المدين داخل القبيلة ملزم بان يسدد الدين بنفسه الى الدائن ، ولا أحد يساعد في ذلك ، خلافا لممارسة التعاقد وتسديد الدين لدائن غريب .

ويتبادر الى الذهن سؤال : هل وصل تحليل الاواصر العشائرية داخل قبائل البدو الرحل الى درجة تجعلها تتحول الى علاقات طبقية ؟ ان تحليل طابع ملكية اراضي المراعي والآبار يساعدنا في الجواب على هذا السؤال .

كتب كارل ماركس يقول : «ان الملكية العقارية تفترض احتكار اشخاص معينين للتصرف بقطع معينة من الاراضي بوصفها ميادين استثنائية لارادتهم الشخصية خاضعة لهم وحدهم» (٥٣) . فهل كان شيخ قبيلة ما او جماعة من الوجهاء يتمتعان بحق التصرف بالمراعي «بوصفها ميادين استثنائية لارادتهما الشخصية خاضعة لهما وحدهما» مع ان اشكال الملكية في القرون الوسطى لم تكن ناجزة لا جدال فيها ؟ وهل يمكن ، والحال هذه ، الكلام عن ملكية شيخ ما او جماعة من الوجهاء لقطع من اراضي المراعي ؟ وهل يعنى ذلك انها ، مثلا ، يتمكنان من بيع مراعي القبيلة للغرباء ؟ او تأجيرها والاستئثار بكل عائداتها ؟ وهل يستطيعان ان يستبدلاها باخرى ، في الواحة مثلا ؟ والامر الاهم هو هل يستطيعان ان يحرما ابناء قبيلتهما من حق الانتفاع بالمراعي ؟ في ظروف الجزيرة العربية قبل القرن العشرين لم تكن هذه التصرفات ممكنة ، او انها كانت تمثل حالات استثنائية نادرة وغير معروفة لدينا . كان حق الشيوخ والوجهاء في التصرف بالمراعي مقيدا ، على الاقل ، بانتمائهم الى قبيلتهم ، اى انهم كانوا ينتفعون بالاراضي المشاعية بسبب كونهم من ابناء تلك القبيلة ، وان كانوا وجهاء واثرياء يتمتعون بالامتيازات . وهذا طبعا يقيد حقهم في التصرف بالاراضي ويقيد امكانيات الطريقة الاقطاعية في تسيير الاقتصاد ، كما يقلل من الاستغلال الاقطاعي داخل القبيلة (٥٤) .

وفى بعض القبائل المترحلة المنفردة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يمكن ملاحظة مجرد اتجاه نحو العلاقات الاقطاعية ، وليس شيوع تلك العلاقات . فان تصفية الملكية المشاعية القبلية للمراعى فى العربية السعودية لم تنجز ولم تكتمل حتى الآن .

وتدل وقائع كثيرة على ان العائدات التى يستلمها الوجهاء فى قبيلتهم لم تكن كبيرة ، وفى بعض الاحيان لا تسد النفقات المرتبطة بتقاليد التضامن والتعاقد العشائريين . وانتشرت عند قبائل البدو ، فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على اية حال ، العلاقات العشائرية المستندة الى الملكية المشاعية للمراعى ومنايع المياه والى اواصر القربى المتينة والى تقاليد التعاقد والتضامن . ان عملية تشديد استغلال البدو البسطاء من قبل الوجهاء ، وهو الاستغلال المستند الى التفاوت فى الاموال ، كانت جارية ولكنها لم تبلغ بعد مرحلة شق قبائل البدو الرحل وتقسيمها الى طبقات . ونعتقد ان السبب الرئيسى لذلك يكمن قبل كل شيء فى ضعف تطور القوى المنتجة فى الاقتصاد البدوى وفى شحة معدل ومجموع المنتج الفائض . وما كان بوسع وجهاء البدو ان يشددوا استغلال ابناء قبائلهم اكثر من الحد الادنى المعين .

ان بقاء فئة كبيرة بل وغالبية من البدو «المتوسطين» او الفقراء الذين يمارسون شؤونا اقتصادية مستقلة فى قبائل البدو لهو دليل قاطع على عدم وجود العلاقات الاستغلالية الناجزة هنا . ولا يذكر الرحالة الاوربيون شيئا عن بدو تعرضوا للاستغلال داخل القبائل المترحلة . ويفترض ذلك ان اغلبية البدو تمتلك ماشية خاصة بها وهى ترعاها فى المراعى العامة .

ولكننا ، عندما نقيم طابع العلاقات الاجتماعية عند قبائل البدو الرحل ، لا يجدر بنا ان نتناولها بمعزل عن مجتمع الجزيرة عموما ، وذلك لان مثل هذا الاسلوب يشوه اللوحة الفعلية . فان سكان الجزيرة العربية البدو الرحل وشبه الرحل والحضر كانوا يمثلون كيانا اجتماعيا مترابلا واحدا . وان دراسة العلاقات المتبادلة بين مختلف جماعات السكان فى الجزيرة العربية ، ودراسة الكثير من السمات الخاصة بالحياة فى الجزيرة انما تتميز بأهمية خاصة وتقدم تحليلا للقبيلة البدوية وللمجتمع كله .

الغزوات . كان البدو ، فى ظل انعدام السلطة المركزية

القوية ، يقومون بالغزوات دوما . وكانت الماشية عرضة للنهب فى الغالب ، ويشمل النهب ادوات بيوت الشعر والاسلحة والالبسة والعبيد . وكانت سلع التجار تسلب منهم ، كما تسلب من الحضر مختلف المحاصيل والادوات الزراعية . وكان هنالك فارق بين الغزوات وبين الحرب الحقيقية بسبب المراعى والآبار . الا ان هذين النوعين من العمليات الحربية كانا متشابهين دوما .

كتب بوركهاردت يقول : «ان القبائل العربية فى حالة حرب دائمة تقريبا فيما بينها ، نادرا ما يحدث ان تتمتع قبيلة ما بلحظة من السلام المشترك مع سائر جيرانها . الا ان الحرب بين قبيلتين نادرا ما تستمر طويلا ، فالصلح يعقد بسهولة ، ولكنه يخرق لاتفه الاسباب . وان اسلوب خوض الحرب هو اسلوب الانصار ، فالمعارك الشاملة نادرة . والهدف الرئيسى لكلا الطرفين المتحاربين هو مباغته العدو بهجوم غير متوقع ونهب مخيمه . ولذا فان حروبهم لا تراق فيها الدماء عادة . ويهاجمون العدو ، عادة ، بقوات متفوقة عدديا فيتنازل لهم دون قتال . ثم ان عواقب الثأر الفظيعة تدرأ الكثير من النزاعات الدموية» (٥٥) .

وكتب فولنى عن غزوات البدو يقول : «لما كان الاعرابى نهابا اكثر مما هو محارب فهو لا يسعى الى اراقة الدماء . انه يهاجم فقط من اجل النهب والسلب ، واذا قوبل بمقاومة فهو يعتقد بان الغنيمة الزهيدة لا تستحق المجازفة بحياته . وبغية اثارة غضبه لا بد من محاولة اراقة دمه ، وعند ذاك يكون مصرا على الثأر والانتقام بقدر ما كان حذرا يتحاشى المخاطر . غالبا ما يلومون الاعراب على ميلهم الى النهب والسلب ، ولكن اللائمين الذين لا يريدون تبرير هذا الميل لم يلتفتوا بالقدر الكافى الى ان الميل الى النهب والسلب موجه ضد الغريب الذى يعتبره الاعراب عدوا ، ولذا يستند هذا الميل الى اعراف اغلبية الشعوب» (٥٦) .

كان الغزو يعتبر عملا نبيلًا جدا ، وكانت الرغبة فى النهب تثير دوما حماس البدو . وكانت المشاركة فى الغزوات طوعية ، ولكن المحاربين فى الواقع ، وخصوصا الشبان ، ما كان بوسعهم رفضها . فالامتناع عنها ينطوى على خطر الاتهام بالجبن وتضييع الاحترام لدى الاقارب وابناء القبيلة . وكتب نيبور : «يقال ان الفتى لا يستطيع ان يتزوج ما لم يجترح عدة مآثر» (٥٧) . وكانت

اسماء ابرز المشاركين فى الغزوات تتناقلها الالسن ويتغنى بها الشعراء . وحتى فى القرن العشرين يعدد المؤلفون اسماء الابطال الاماجد فى الفروسية البدوية .

وبنتيجة الغزوات يستطيع البدوى الفقير بعد غارة موفقة واحدة ان يصلح احواله المالية بل ويمكن ان يغدو موسرا . ومما لا شك فيه ان الغزوات كانت واحدا من اسباب بقاء فئة البدو الرحل المستقلين .

وكانت الغزوات مصدرا لاثراء وجهاء القبائل . فاليهم يرد اكبر وافضل جزء من الغنائم (٥٨) . ويتزعم الغزوات الشيوخ او العقداء . و«تفرد» للشيوخ حصة حتى اذا لم يشارك فى الغزوات . وليس من قبيل الصدفة ان غنائم الغزوات تعتبر من اهم مداخيل وجهاء البدو .

بديهي ان السلب والنهب المتواصلين فى الجزيرة العربية قد الحقا ضررا بالاقتصاد والقوى المنتجة . ويصادف ان الغزوات لا تمر دون اراقة دماء ، بل وتؤدى الى حروب ابادة قاسية . وبنتيجة المداهمات يمكن ان تهلك او تنقرض افخاذ وقبائل عن بكرة ابيها . ويقول فولنى «فى بعض الاحيان ترتقى قبيلة ضعيفة ، وينتشر نفوذها ، بينما يصيب الركود ، وحتى الابداء ، قبيلة اخرى كانت قوية فيما سبق» (٥٩) . ولاحظ جوسان مثل هذه الظاهرة بعد اكثر من مائة عام : «يمكن للقبيلة ان تختفى من البلاد باساليب عديدة ، وفى مقدمتها النزوح بسبب النزاعات الكبيرة او المجاعة المتواصلة فى المنطقة . . . والسبب الآخر الاكثر انتشارا لابداء هذه القبائل يكمن فى الحروب والغزوات الدائمة . فيكفى يوم منحوس واحد لابداء قبيلة بكاملها : الرجال جثث فى ساحة القتال والنساء يتوزعن على القبائل المجاورة او . . . يهلكن من الجوع» (٦٠) . ويمكن ان تنهار القبائل القوية فيما مضى ، وتفقد ابناءها وماشييتها ومراعيها وتخضع لقبائل اخرى وتندمج معها احيانا .

ولكن هل هناك سنة معينة فى انتصارات وهزائم القبائل ؟ كانت القوات المقاتلة لمختلف القبائل والافخاذ غالبا ما تتوقف على طابع اعمالها الاقتصادية ، وليس فقط على بسالة المقاتلين وموهبة القائد وشجاعته . فان رعاة الابل بالذات ، اى البدو الرحل

الحقيقيين ، هم الذين كانوا يمتلكون اكبر قدرة حربية . فالابل تمكنهم من التنقل بسرعة ولمسافات طويلة في البوادي الخالية من المياه ، وتحشيد القوات وتسديد الضربات المباغتة ، والتخلص ، عند الاقتضاء ، من الملاحقة واللجوء الى البادية التي لا يطالها العدو . وكان رعاة الابل قد قاموا باكثر الغزوات توفيقا وغالبا ما كانوا يخرجون من المعارك الكبرى ظافرين ، ولا احد ينافسهم الا امثالهم من رعاة الابل . ان القبائل والافخاذ من رعاة الابل هي بالذات الرابعة في الميزان العام للخسائر والغنائم بعد الغزوات ، اما رعاة الغنم شبه الرحل فكانوا الخاسرين . وفي سوح القتال المكشوفة كان الحضر ايضا يهايون البدو الحقيقيين في الغالب . فان سلامة روابطهم التجارية وماشيتهم التي ترعى في السهوب او اشباه البوادي ، وسلامة مزارعهم وبساتين نخيلهم غير المحمية بأسوار كانت تتوقف على العلاقات المتبادلة مع البدو . وكانت قبائل البدو القوية من رعاة الابل تفرض الاتاوات على القبائل الاضعف ، وخصوصا رعاة الغنم والحضر . وكانت الغزوات واحدة من طرق الاكراه وتبعية الجزية والخراج وحيانا تبعية الخدم والحشم .

الخوة او الخاوة . كانت الخوة التي يدفعها السكان الحضر وشبه الرحل الى البدو ترتدى منذ القدم لبوسا عشائريا وكأنها مكافاة على الحماية والوصاية . ولذلك اشتق اسمها من لفظ الاخوة . كتب بوركهاردت يقول : «تدفع الخوة عادة الى الشيخ او احد ابناء القبيلة الذين يتمتعون باحترام كبير . وحالما تتفق الجماعة مع اعرابي ما بشأن الخوة يطالب هذا الاخير فورا بجزء من المبلغ السنوي المتفق عليه ، ويشتري به بعض الاحتياجات ويتقاسمها مع اصدقائه لكي يكونوا ، بعد تناول جزء من الخوة ، شهود عيان على الاتفاق» (٦١) .

ويقول فالين ان الخوة تدفع ليس فقط الى حامى دافعها «شيخ المشايخ ، بل وكذلك الى كل شخص متنفذ في مختلف الافخاذ» (٦٢) . ويستقر قسم كبير من الخوة في جيوب وجهاء القبيلة ، ومع ذلك فان حصة منها تبقى عند ابناء القبيلة البسطاء . وكان الحضر والبدو شبه الرحل يدفعون الخوة الى عدة قبائل بدوية في وقت معا ، علما بان هذه القبائل تجمع الخوة بدورها من مختلف

الواحات وقبائل رعاة الغنم (٦٣) . وفي بعض الاحيان يقوم البدو شبه الرحل الذين يدفعون الخوة لمن هو اقوى منهم بجباية الجزية من القبائل او الواحات الاضعف .

وخلق ذلك كله اشكالا معقدة من التبعية ولكن جوهر القضية لم يتغير ، وهو ابتزاز قسم كبير من المنتج الفائض ، واحيانا قسم من المنتج الضروري ، من الحضر والبدو شبه الرحل الى البدو الاكثر جبروتا . وكانت الخوة مصدرا لعائدات كبيرة على وجهاء البدو الرحل وسائر البدو . وكانت قبائل البدو تتنازع على حق جباية الخوة . واثناء تلك المنازعات يهلك دافعو الخوة ايضا . ولم يكن بالامكان التخلص من نير جباة الخوة الا بالمقاومة المسلحة .

وتتحول علاقات الخوة احيانا الى علاقات تبعية الخدم والحشم ، وعند ذاك تشارك القبائل الخاضعة في الغزوات الحربية لاسيادها ، اى انها تدفع جزية الدم . ويقدم الشيخ التابع آيات التكريم الظاهري للشيخ المتبوع . وكانت تبعية بعض القبائل قد بلغت حدا جعل ديكسون ، مثلا ، ينعت قبيلة الرشايدة «بالاقنان» لقبيلة مطير ، وينعت قبيلة العوازم «بالخدم» لقبيلة العجمان (٦٤) . صحيح ان هذا القول يخص القرن العشرين ، ولكن مثل هذه العلاقات كانت ، على ما يبدو ، موجودة في السابق ايضا .

وكان البدو قد فرضوا رسوما على قوافل التجار والحجاج واطلقوا عليها كذلك اسم «الخوة» (٦٥) . واستخدم ابن بشر للدلالة على هذه الرسوم كلمة من نفس الاصل «خاوة» . وقد وردت عند ابن خلدون ايضا . وجمع ثروة كبيرة خصوصا وجهاء القبائل المسيطرة على طرق الحج .

وكان الباب العالي يدفع الى البدو مبالغ كبيرة لقاء مرور قوافل الحجاج العثمانيين الى مكة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وقدر بوركهاردت تلك المبالغ في بداية القرن التاسع عشر بـ ٥٠-٦٠ الف جنيه استرليني سنويا (٦٦) . وفي عام ١٧٥٦ ت لكأ والى دمشق العثماني في دفع النقود بل واعدم شيوخ البدو الذين جاءوا لاستلام المبالغ المقررة ، ولكن قبائل البدو توحدت بعد عامين وسحقت حرس الحجاج ونهبت القافلة وارغمت السلطات العثمانية من جديد على دفع هذه الضريبة (٦٧) .

وكان وجهاء البدو يستلمون كذلك مدفوعات تحددها الاعراف لقاء «حماية» الصناع والباعة المتجولين (٦٨) .

القبائل «الوضيعة» . العبيد والمعتوقون . ومن بين دافعي الجزية لقبائل البدو القوية كذلك من يسمون بالقبائل الوضيعة في الجزيرة العربية : الصلبة وهتيم والشرارات وفروعها . فبنتيجة التطور التاريخي الخاص غدت هذه القبائل مجزأة الى عدة افخاذ هائلة في شبه الجزيرة كلها بشكل جماعات غير كبيرة وليس لها ارض خاصة بها ، الامر الذي كان سببا في ضعفها . وكان اغلبها يترحل في اراضي الغير مع اصحاب تلك الاراضي . وكتب بوركهاردت يقول : «بين القبائل الكثيرة جدا التي تقطن بوادي الجزيرة لا توجد قبيلة اكثر تشتتا وتواجدا في جميع ارجاء هذا البلد من قبيلة هتيم . فيمكن للمرء ان يصادف خيام هذه القبيلة في سوريا وفي صعيد مصر والدلتا ونجد وبلاد الرافدين . . . وفي كل مكان تقريبا نجدها مضطرة الى دفع الاتاوات للقبائل المجاورة لقاء رعى الماشية» (٦٩) .

وكانت واسطة النقل الرئيسية عند الصلبة هي الحمير وليس الابل . ولم يكن الرعي عادة بقادر على اطعام هذه القبيلة ، ولذا اضطرت الى ممارسة نشاط يعتبر مهينا في مجتمع الجزيرة ، مثل بعض الصنائع . وصار البعض موسيقيين محترفين وراقصين ومطربين . وخدموا عند الوجهاء في هذه المهن (٧٠) . وكانوا يتكهنون باحتمالات الطقس ويشيرون الى مواقع المراعي الافضل ويتلقون الهبات في مقابل ذلك (٧١) .

وغدا افراد القبائل «الوضيعة» مادة للاستغلال والابتزاز بلا رحمة من قبل البدو الاقوياء . واورد دوتى مثالا فقال : «وصل عدد من ابناء عنزة الى الواحة وهم يقتادون في الدرب شخصا عاريا يشير الشفقة والحبل في عنقه . كان ذلك من ابناء هتيم . وكان البدو يصرخون كالمسحورين متهمين اياه بتأخير تسديد الخوة وقدرها عشرة ريالات . اقتادوه لكي يروا ما اذا كان هناك شخص في خيبر يدفع الخوة بدلا عنه كما وعدهم ، واذا لم يجدوا ذلك الشخص فسيسحبون هذا المسكين الى خارج المدينة ويقتلونه» (٧٢) . ان هذه الواقعة وحدها تبين مدى الهوة العميقة

التي تفصل بين البدو الاحرار وبين افراد القبائل «الوضيعة» ، ومدى قساوة اشكال استغلال البعض للبعض الآخر .

وقد ظلت العبودية (الرقيق) فى الجزيرة العربية قائمة طوال قرون (٧٣) . وكان العبيد ينقلون الى شبه الجزيرة فى الغالب من شرق ووسط افريقيا . كانت هناك حملات خاصة لتجارة العبيد تستولى عليهم او تشتريهم خصيصا ، كما ان بعض الحجاج كانوا يبيعونهم بغية تغطية نفقاتهم على زيارة الحرمين . كانت تجارة العبيد متركزة فى مكة على الاغلب ، ولكنها كانت تجرى ايضا فى مدن اخرى ، مثل الهفوف ومسقط . ويبدو ان عدة آلاف من العبيد كانت ترد الى الجزيرة سنويا . وفى حالات استثنائية كان الاعراب يتحولون الى عبيد .

كان اكبر عدد من العبيد متواجدا فى مركز تجارة العبيد - الحجاز ، حيث كانت كل اسرة مستقلة بهذا القدر او ذاك تسعى الى شراء الرقيق . وخارج الحجاز كانت العوائل الغنية فقط تمتلك عبيدا . كتب بلخريف : «صادفنا احيانا فى الجزيرة العربية زنوجا ، فى الجوف وجبل شمر والقصيم وسدير . ولكننا رأيناهم فقط يؤدون ادوار العبيد ، ونادرا ما صادفناهم فى منازل غير منازل اكثر الناس ثروة» (٧٤) . ويقول الرحالة ان عدد الزنوج والمولدين فى جنوب نجد كان فى ازدياد ، وكانوا فى بعض الواحات يشكلون اغلبية السكان . «فى الرياض كثير من الزنوج ، وعددهم اكثر فى منفوحة والسلمية وغالبا ما تصادفهم فى الخرج ووادى الدواسر واطرافهما» (٧٥) .

وكان وجهاء البدو يمتلكون العبيد ايضا . كتب بوركهاردت عن عنزة يقول : «كل شيخ قوى يكتنى سنويا خمسة او ستة عبيد وعددا من الاماء . . .» (٧٦) . وكانت الحال كذلك فى القبائل البدوية الاخرى .

كان العبيد يؤدون اصعب واقدّر الاعمال . كانوا فى القبائل المترحلة يرعون الماشية وينقلون الماء وينصبون الخيام ويرفعونها ويجمعون الاحطاب والوقود . وكان عمل العبيد يستخدم كذلك فى الزراعة والصنائع ، ولكن بقدر محدود جدا . . . فان الميدان الاساسى لاستخدامه هو الشؤون المنزلية حيث يؤدى العبيد واجبات الخدم والحراس ومدبرى المنزل .

وتجدر الإشارة الى بعض الخصائص الجوهرية لوضع العبيد في الجزيرة العربية . فالعبودية هنا كانت تتميز بطابع عشائري . وهذا هو السبب في المعاملة الطيبة نسبيا للعبيد . فالعبيد وخصوصا المولودون كانوا يغدون افرادا غير كاملي الحقوق في عائلة سيدهم . وفي بعض الاحيان يغدون ورثة لاملاك سيدهم . وكانت الاماء ، عند وجهاء المدن خصوصا ، تستخدم كجوار ويغدو ابناؤهن احرارا عادة ، ويصبحن هن حرائر بعد وفاة اسيادهن . كان العبيد محرومين ومهانين من الناحية الاجتماعية ، ولكنهم من الناحية الاقتصادية يعيشون بافضل من البدو الرحل او الفلاحين شبه الجياع . فقد كانوا يتمتعون بقسم من عائدات الوجهاء .

وكان الكثيرون من العبيد في الجزيرة قد حصلوا على الحرية واصبحوا معتوقين ولكنهم ظلوا يسمون بالعبيد ايضا . ولم يكن ذلك يشمل الجوارى وابناءهن فقط . ان عدد العبيد «الموروئين» لم يكن كبيرا في الجزيرة العربية .

كانت عملية عتق العبيد في القبائل البدوية اشد مما عند الحضر . فبعد مضي فترة معينة كان البدو دوما يمنحون الحرية للعبيد ويزوجونهم من نساء من بشرتهم . وقال بوركهاردت : «ابناء عنزة لا يعاشرون الاماء ابدا ، ولكنهم بعد بضع سنوات من الخدمة يمنحونهن الحرية ويزوجونهن من العبيد او ابناء العبيد المتبقين في القبيلة» (٧٧) . وكان المعتوقون يمارسون البيع والشراء والصنائع ويعملون خدما في منازل الاثرياء .

كان تحرير العبيد في ظروف الجزيرة العربية يتسم كذلك بمغزى آخر . فان احد شيوخ عنزة مثلا «يملك اكثر من خمسين عائلة من اناس كانوا في زمن ما عبيدا له ، وهم مدينون لسخاء هذا الشيخ بكل ما يملكون . ولا يحق له الآن ان يستحصل منهم الجزية السنوية ، لانهم صاروا يعتبرون من الاعراب الاحرار ، ولكنه يزوج بناتهم من عبيده الجدد ومن المعتوقين ، وعندما يستولى ذوو البشرة السوداء هؤلاء على غنائم كبيرة اثناء الحروب بوسع الشيخ ان يأخذ منهم ناقة جيدة ، وهم لا يرفضون ذلك ابدا» (٧٨) . وقد توحد بعض المعتوقين حسب السمة القبليّة الشكليّة ، إلا ان منزلة هذه القبائل الجديدة اوطأ من منزلة قبائل

الاعراب الاقحاح . وكان المعتوقون فى تبعية مالية وشخصية لوجهاء البدو .

كان السواد الاعظم من المعتوقين يمارس الزراعة . كانوا محرومين من الاراضى ، ولذلك صاروا يستأجرونها بالمحاصة من وجهاء الحضر والبدو فى الغالب (واحيانا من قبائل البدو الرحل بكاملها) . وكان المستأجرون المعتوقون يتعرضون لاستغلال بشع . يقول فالين : «انهم نادرا ما يبلغون الثروة والرفاه» (٧٩) . وظلت باقية كذلك تبعية المستأجرين المعتوقين الشخصية بقدر كبير لمالكى العبيد السابقين . وبالإضافة الى ذلك كان على المعتوق ، فى عدة حالات ، ان يعيد الى سيده ، قبل مغادرته ، الاموال التى استلمها اثناء التحرير (٨٠) ، الامر الذى لم يكن ممكنا على الدوام . وكان المستأجرون المعتوقون يرتبطون بالارض بقدر ما ، فضلا عن الريع الاقطاعى الذى يسددونه . ولذلك فان احوالهم اقرب الى احوال الاقنان مما الى احوال سائر فئات سكان الجزيرة .

كان استغلالهم من قبل وجهاء الحضر نوعا خاصا من الاستغلال الاقطاعى للاعراب المحاصيين . وكانت عائدات الاراضى التى يفلحها المعتوقون واحدا من اهم مصادر الدخل الخارجية (خارج القبيلة) لوجهاء البدو .

تنظيم السلطة وطابعها فى القبائل البدوية . اذا كانت تسود بين الوجهاء وبسطاء البدو داخل القبيلة المترحلة علاقات لم تصبح طبقية بعد ، فان وجهاء البدو خارج القبيلة صاروا استغلايين طبقيين . فهم يستلمون حصة الاسد من المداخل بشكل جزء من غنائم الغزوات وخوة وجزية من الحضر واشباه البدو والقبائل «الوضيعة» والصناع والباعة والحجاج وريع اقطاعى من الاراضى السيحية المقدمة على سبيل الايجار (٨١) . كان وجهاء البدو ، كما اسلفنا ، يستلمون من ابناء قبائلهم قسما ضئيلا من المنتج الفائض لعمليهم . الا ان الزراعة امنت انتاجية اعلى وساعدت على استغلال الفلاحين بقدر اكبر . زد على ذلك ان الوجهاء كانوا يسمحون لانفسهم ، خارج القبيلة ، بان يستأثروا بشكل جزية ، ليس فقط بالمنتج الفائض ، بل وبقسم من المنتج الضرورى فيحكمون على دافعى الجزية بالحرمان والجوع .

ان المداخل الخارجية الواردة على القبيلة تغني الوجهاء وتشدد

التفاوت في الاموال . الا ان قسما من هذه المداخل يصل الى ابناء القبيلة البسطاء ، الامر الذي ساعد على بقاء فئة البدو المستقلين وطمس التفاوت .

ان الطابع المزدوج لوجهاء القبائل بوصفهم من ابناء القبيلة الاكثر ثراء وجاها وبوصفهم مستغلين للسكان خارج قبيلتهم قد حدد خاصية السلطة السياسية عند البدو الرحل وفي مجتمع الجزيرة عموما .

فقد كان الشيخ داخل القبيلة بالدرجة الاولى رئيسا عشائريا للجماعة ومتصرفا بالنشاط الاقتصادي . كان يتزعم الرحلات الاساسية للقبيلة ويشرف على توزيع المراعى والآبار ويختار مكان نصب المخيم ومدة المكوث فيه . وكان بوسع الشيخ ان يضطلع بدور القاضى او الحكم فى النزاعات التى تنشأ داخل القبيلة واختلاف الآراء والشكاوى فى مسائل الاسرة والزواج والمعيشة ، وكان يتابع الالتزام بالعادات القبلية وخصوصا المرتبطة بأخذ الثأر ويراقب استعادة الاموال المسروقة . وكان يمثل القبيلة فى العلاقات مع العالم الخارجى . وبوسع الشيخ ان يغدو قائدا فى الحرب وان يعلن الحرب ويعقد الصلح (٨٢) .

وكان الشيخ يتخذ اهم القرارات بعد التشاور مع وجهاء القبيلة او مجلسها (٨٣) الذى احتفظ بسمات التنظيم الديمقراطى للمجتمع العشائرى . ويقول الرحالة الانجليزى دوتى : فى المجلس «يتكلم من يشاء ، ويرتفع هنا صوت ابناء القبيلة لانه من ابنائها» (٨٤) . ولا يستطيع الشيخ ان يعلن الحرب او يعقد الصلح بدون تشاور مبدئى مع ابناء القبيلة المسموعى الكلمة . واذا اراد ان ينصب مخيما فعليه ان يستطلع آراءهم (٨٥) .

ويقول دوتى ان المجلس كذلك «شورى للشيوخ ومحكمة اجتماعية ، ويراجعه ابناء القبيلة فى اى وقت للنظر فى شؤنهم . . . ويتشاور الشيخ مع الشيوخ الآخرين والوجهاء والاشخاص الارفع منزلة . ويصدر القرار دوما دون تحيز ودون اى ارتشاء . وهو قرار نهائى» (٨٦) . وبالإضافة الى ذلك يمارس العراف النظر فى الدعاوى القضائية . واذا اعترض المحكوم عليه بالغرامة المالية على القرار يضطر الى ترك القبيلة . ويتجلى الطابع العسكرى الديمقراطى للتنظيم القبلى فى تقسيم

السلطة فى الفخذ والقبيلة فى عدة حالات الى سلطة «مدنية» (الشيخ) و«عسكرية» (العقيد) . ويقول بوركهاردت : «لكل قبيلة عقيد ، اضافة الى الشيخ ، ويندر ان يتسلم شخص واحد كلا هذين المنصبين . فانا ، على اية حال ، لا اعرف مثالا على ذلك ، مع ان بعض الاعراب يقولون انهم رأوا شيئا كان بين اعراب منطقة البصرة عقيدا ايضا واذا شارك الشيخ فى الحملة فهو يخضع ، كسائر ابناء القبيلة ، للعقيد الذى لا تنتهى صلاحياته الا عندما يعود المحاربون الى ديارهم . وعند ذاك يعود الشيخ الى منصبه» (٨٧) . ويفيد مؤرخو الجزيرة والمعلومات الاحداث بان توافق سلطة الشيخ والعقيد كان ظاهرة اكثر حدوثا مما يعتقد بوركهاردت . ويمكن ان يغدو عقيدا ابن الشيخ او احد اقربائه . ولا ينسدر ان تربط اواصر القربى بين عائلتى الشيخ والعقيد . ولم تكن لدى زعيم القبيلة ، عادة ، شارات ظاهرية للسلطة ولم يكن يلتزم بمراسيم خاصة فى معاملة ابناء قبيلته . فالبدو البسطاء يتعاملون معه كما لو كان فى منزلتهم . وفى حالة وفاة او عجز الشيخ يختارون شخصا آخر بدلا عنه . ومن السجايما التى يجب توفرها فى زعيم القبيلة السخاء والشجاعة والذكاء والحكمة والثروة (الماشية والارض) . ويجب ان يكون له انصار كثيرون من الاقارب والخدم (٨٨) . واليكم ما كتبه فولنى عن شيخ قبيلة بدوية : «حقا ، فان شيخ المشايخ فى كل قبيلة يضطلع بواجب الانفاق على القادمين والذاهبين ، وهو الذى يستقبل الحلفاء وكل من يأتى اليه فى حاجة ما . وقرب خيمته ينصب بيت شعر كبير هو ملجأ لكل الغرباء والقادمين . وهنا بالذات تعقد الاجتماعات الكثيرة للشيوخ والوجهاء لانتقاء مواقف المخيمات او لشد الرحال ، ولتنظر فى مسائل الحرب والصلح والمنازعات مع الولاة العثمانيين او القرى ولتنظر فى الشكاوى والنزاعات بين الافراد . ويجب اطعام جميع هؤلاء الاشخاص الذين لا ينقطع سيلهم بالرغيف المخبوز على الرماد وبالرز ولحم الماعز او الجمال المشوى احيانا والقهوة - وباختصار يتعين على الشيخ ان يتحلى بكرم الضيافة» (٨٩) . وفى اغلب الاحوال يظل لقب الشيخ محصورا فى عائلة واحدة من الاعيان والوجهاء طوال عقود وحيانا طوال قرون . ويؤكد دوتى : «لا يستطيع ان يكون زعيما لعشيرة البدو اي بدوى

بسيط او اى شخص من غير تلك العشيرة وان كان يتفوق على الجميع من حيث الثروة والجاه والمواهب» (٩٠) .
وغالبا ما تنتقل السلطة من الاب الى الابن ، ولكنه فى حالة عدم توفر النصال اللازمة عند المرشح للسلطة تحال الى شخص آخر من الوجهاء . وتلك هى ايضا حال سلطة العقيد . وكان الشيخ والعقيد يتنافسان فى القبيلة ، وفى بعض الاحيان كان العقيد يستولون على منصب الزعيم المدنى . ويجرى داخل الفئة الحاكمة فى القبيلة صراع طاحن من اجل السلطة ، وترافق ذلك دسائس وقتل وانشقاق فى القبيلة .
وكان من بين الوجهاء الحاكمين ايضا عراف العادات والتقاليد فى القبيلة (٩١) .

ان تركز اهم المناصب الاجتماعية فى القبيلة البدوية بايدى كبار الوجهاء يدل على ان السلطة اخذت تفقد سماتها العشائرية . ولكن هل كانت لدى الشيخ مستلزمات السلطة الطبقية ؟ وبعبارة اخرى ، هل كانت وظائفه العشائرية الخارجية تكتسب مضمونا آخر ؟ نعم ، بقدر معين . فمما لا شك فيه ان الشيخ يخدم بالدرجة الاولى مصالح وجهاء البدو . فالوجهاء يستلمون بمساعدته افضل المراعى وافضل موارد المياه وحصة كبيرة من غنائم الحرب . وكان الشيخ لا يكتفى ، لكى يفرض ارادته ، باستخدام السخاء والمنزلة الشخصية الرفيعة ، بل يعتمد كذلك على قوة الفخذ الغفير وعلى الانصار وعلى مفرزته المكونة من العبيد والمعوقين . ولكنه رغم الاتجاهات الواضحة نحو تحول سلطة الشيوخ داخل القبيلة الى سلطة من النمط الاقطاعى ، فانها ، على ما نعتقد ، لم تتحول بعد الى سلطة اقطاعية فى تلك الحقبة .

وبغية ايضاح هذه المسألة يجدر بنا ان نتأكد مما اذا كان لدى وجهاء البدو جهاز خاص يتواجد فوق المجتمع وما اذا كانوا يستطيعون استخدام العنف بانتظام لفرض ارادتهم .

يقول فولنى : «ان نمط ادارة هذا المجتمع خليط ، فهو فى الوقت ذاته جمهورى وارشتراطى وحتى طغيانى دون ان يكون دقيقا فى اية صفة من هذه الصفات . فهو جمهورى لان الشعب فى هذا المجتمع يتمتع بالنفوذ الاول فى كل الشؤون ، ولا يجرى اى شىء بدون موافقة الاغلبية . وهو ارشتراطى لان عوائل الشيوخ

تتمتع بطائفة من الامتيازات الناجمة عن القوة فى كل مكان . واخيرا فهو طغيانى لان سلطة شيخ المشايخ غير محدودة ومطلقة تقريبا . وعندما تكون طباع الشيخ شديدة فيمكن ان يستفيد من سلطته الى حد سوء التصرف ، ولكن هناك حدودا ضيقة نسبيا حتى لسوء التصرف هذا . حقا ، فاذا اقترف الشيخ ظلما كبيرا ، اذا قتل اعرابيا مثلا ، فلا يستطيع تقريبا ان يتحاشى العقاب ، فان غضب الذين اهانهم لا يجعلهم يعيرون اهتماما للقبه ، ولذا يتعرض للثأر ، واذا لم يدفع لقاء الدم الذى اراقه فسيقتل من كل بد . . . واذا ائقل على رعيته بقساوته فانهم يتركونه وينتقلون الى قبيلة اخرى . ويستفيد اقرباؤه من اخطائه بغية تنحيته والحلول محله . ولا يستطيع استخدام قوات اجنبية ضدهم . وان رعيته يتفاهمون فيما بينهم بسهولة لا تمكنه من التفرقة بينهم وتشكيل كتلة كبيرة مؤيدة له . ثم كيف يستطيع شراء ذمم هذه الكتلة اذا كان لا يستلم من القبيلة اية ضرائب عندما يضطر القسم الاكبر من رعيته الى الاكتفاء بالضروريات واذا كانت ملكيته ضئيلة ومثقلة بنفقات كبيرة ؟» (٩٢) .

ولاحظ بوركهاردت «ان الشيخ ليست لديه سلطة فعلية على ابناء قبيلته . ولكنه يستطيع ان يحظى بنفوذ واسع عن طريق خصاله الشخصية . وهو لا يتمكن من اصدار الاوامر ولكنه يقدم النصائح . . . واذا حدث خلاف بين اثنين من ابناء القبيلة فالشيخ يحاول تسويته بالنصح والارشاد ، وليس بوسعه ان يصر على رأيه . ولا يتمكن اقوى زعيم لقبيلة عنزة من فرض ابسط عقوبة على واحد من اكثر ابناء قبيلته فقرا دون ان يجازف بالتعرض للثأر من قبل هذا الشخص واقربائه . والعقوبة الوحيدة المعروفة فى هذه القبيلة هى الغرامة المالية . . .» (٩٣) .

كان جهاز العنف الطبقي عند البدو الرحل فى طور الظهور . ولم تكن مقوماته الاساسية - الجيش والشرطة والسجون والآلة الادارية والمحاكم الطبقية - موجودة عمليا فى القبيلة . وان المفردة الشخصية للشيخ والمكونة من العبيد يواجهها التنظيم العسكرى الديمقراتى للقبيلة ، وهو تنظيم اقوى منها بكثير . والحالات التى نعرفها لاستخدام العنف داخل القبيلة تعود الى مطلع القرن العشرين ، مع انها يمكن ان تحدث ايضا فى وقت اسبق (٩٤) .

وفى ظل البنية التى كانت قائمة فى مجتمع الجزيرة عموما لم تكن لوجهاء البدو الرحل موضوعيا مصلحة فى تحطيم التنظيم العشائرى واستبداله بنوع من انواع آلة الدولة . فبالاعتماد على القدرة الحربية للقبيلة وعلى التنظيم القبلى فقط كان وجهاء البدو يمارسون سيطرتهم الطبقية على مجاميع السكان المتواجدين خارج القبيلة .

الطابع الاقطاعى للسلطة فى الواحات . لاحظت الباحثة والرحالة الانجليزية بلانت تقول : «المدن تطلب حماية شيخ مشايخ البدو فى

المنطقة ، وهو يؤمن ، لقاء جزية سنوية ، سلامة سكان المدن خارج اسوارها فيمكنهم من الترحال دون عائق على طول المسافة التى تشملها سلطته ، وهى ، اذا كنا نقصد شيخ قبيلة قوية ، سلطة تشمل مئات الاميال ومدنا كثيرة . وعند ذاك يقال ان المدن «عائدة» لهذه القبيلة او تلك ، ويغدو الشيخ البدوى وصيا عليها او حاميا الرئيسى . . .

ثم يستمر التطور . فالشيخ البدوى الذى يشرى على حساب الجزية من عدة مدن يبني لنفسه قلعة قرب احدى تلك المدن ويقضى اشهر الصيف فيها . ثم يغدو بسرعة حاكما للمدينة فى الواقع بفضل مكانته (لان اصله البدوى لا يزال يعتبر هو الانقى) وبالاغتراف على سيطرته فى البادية ، يتحول الشيخ من وصى على سكان المدينة الى سيد لهم . وعند ذاك يمنحونه لقب الامير ، فيغدو ملكا لجميع المدن التى تدفع له الجزية مع بقائه شيخا للبدو . (التشديد للمؤلف) . ومن جهة اخرى فان رأى العام فى المدينة يقيد الامير البدوى بقدر اكبر ، مع انه يمكن ان يكون طاغية . . . فالامير وان كان حرا فى تصرفاته الفردية ولكنه يعرف جيدا بانه لا يمكن ان يخرق قانون الجزيرة التقليدى غير المدون ويبقى بدون عقاب» (٩٥) .

كانت عملية تحول وجهاء البدو الى طبقة مهيمنة على الحضر فى الجزيرة العربية قد جرت بالتدريج . علما بانه يمكن ان نلاحظ الاشكال المتنوعة فى العلاقات المتبادلة بين الوجهاء وبين القبيلة والسكان الحضر ونمط الحياة المتباين والسلوك المختلف فى الحياة المعيشية . فان شيوخ القبائل الاقوياء او شيوخ اتحادات القبائل

كان بوسعهم ان يفرضوا السيطرة على الواحات او على مجموعة منها . ولكن وجهاء القبائل يصادف ان يحافظوا على نمط الحياة البدوى ويظلوا شيوخا بدويين فى الغالب . والمثال على ذلك هو ابناء آل حميد من قبيلة بنى خالد الذين سيطروا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر على منطقة الاحساء الزراعية الغنية ، ولكنهم فضلوا ، مثل الامويين الاوائل ، البقاء فى قبيلتهم المترحلة . ولم يكن ذلك يمنعهم من الاحتفاظ بحاميات فى الواحات الاساسية .

وبعد الاستيلاء على السلطة فى الواحات كان ابناء وجهاء البدو ينفصلون عن قبائلهم ويتحولون الى حكام اقطاعيين حضرا . علما بان مطاعمهم الاستغلالية ازاء سكانهم الزراعيين كانت تتعارض مع مصالح البدو الذين يشاركونهم فى استلام الاتاوات . وبعد ان يتحول شيوخ البدو السابقون الى قسم من وجهاء الحضر يقومون بالدفاع عن ممتلكاتهم ومداخيلهم دون اعتداءات البدو الرحل . ومن هذا الاصل يتحدر امراء الدرعية السعوديون وحكام حائل الرشيديون . واخيرا يقوم الحاكم الحضرى القوى ، بالتحالف مع بعض القبائل البدوية او بصورة مستقلة بغزوات على البدو المجاورين فينهبهم ويرغمهم احيانا على دفع الاتاوات .

لم تكن السلطة فى الواحات متركزة دوما فى ايدى اشخاص بعينهم . وفى بعض الاحيان كان المزارعون المتحدرون من قبائل مختلفة يتنازعون فيما بينهم ولا يخضعون لحاكم واحد ، اذ ان لديهم شيوخهم وامراءهم .

كانت سلطة الامير الحضرى تختلف اختلافا جوهريا عن سلطة الشيخ البدوى . فالحاكم فى الواحة لا يواجهه تنظيم عسكرى ديمقراطى عشائرى . وكان المزارعون الذين ضعفت روابطهم العشائرية رازحين تحت تبعية لوجهائهم اكبر بكثير من تبعية البدو . ولذلك فلا يثير الدهشة ان ينعت مؤرخو الجزيرة سكان الواحات بالرعية . وكان الامير الاقطاعى يعتمد من جهة على وجهاء الواحة الذين تربطه بالكثيرين منهم صلة القربى ، ويعتمد من جهة اخرى على مفرزته الخاصة المكونة من العبيد والمعوقين والجنود المرتزقة . وكان النظام القضائى فى الواحات مبنيا ، عادة ، على اساس الشريعة الاسلامية . ويمارس الامير شخصا امور القضاء الى جانب القاضي الذى يتحلى باعداد حقوقي وفقهي .

ان التركيب السياسى لامارة جبل شمر التى وصفها الرحالة فى اواسط القرن التاسع عشر والنصف الثانى منه يمكن ان يعتبر تكرارا لسمات تنظيم السلطة فى الدويلات - الواحات فى وسط الجزيرة فى القرن الثامن عشر . كان امراء حائل يديرون الدولة بمساعدة اقربائهم ، وبصورة رئيسية بمساعدة العبيد والمعتوقين الذين يتمتعون بثقة الحاكم بقدر اكبر مما يتمتع به اقرباؤه علما بان مشايخ آل رشيد اعتمدوا على مفارز من العبيد والمرتزة . وكان زعماء العبيد الذين يسمون بزلم الشيوخ يتسلمون اهم المناصب فى البلاط ومناصب الموظفين فى جهاز الدولة الناشئ . وكانوا ولاة او عمالا فى الواحات . وكانت اهم الدعاوى القضائية وبعض القضايا المدنية ينظر فيها فى مجلس الامير الذى يعقد جلساته امام الملأ ، ويشارك فيه ممثلو وجهاء حائل وكبار علماء الدين . وكان خرس الحاكم نفسه يضطلع بدور الشرطة فى امانة مشايخ آل رشيد . وكان هناك سجن فى حائل . وكانت العقوبات على الجرائم هى مصادرة الاموال والضرب بالعصى وقطع اليد (٩٦) .

الا ان نظام الدولة فى الواحات الاخرى كان اقل تطورا . فان دوتى الذى زار عنيزة ، المركز التجارى الكبير فى القصيم ، لم يجد هناك سجنا (٩٧) .

ومن السهل ان نلاحظ ان سند السلطة الاقطاعية فى الواحات هو حرس العبيد . فهذا الحرس المعتمد كليا على سيده وغير المرتبط بالسكان المحليين ، كان سلاحا مأمونا للعنف المنتظم الذى مارسه الوجهاء ضد بسطاء الناس . علما بان العبيد - المحاربين والشرطة والموظفين والعمال - كانوا يتمتعون بمكانة متميزة ويحصلون على مداخيل كبيرة ، وقد تحولوا فى الواقع الى جزء من الطبقة الحاكمة ، مع انه جزء خاص ذو حقوق مبتورة . وكانت فئة العبيد هذه قد حصلت فى بعض الحالات على وزن ونفوذ كبيرين فادعت احيانا بالسلطة العليا واستولت عليها . وحدث ذلك ، مثلا ، فى الرياض فى النصف الاول من القرن الثامن عشر ، وكذلك فى مكة فى اواخر الثمانينات من القرن المذكور (٩٨) . وتجبلى تأثير القوة العسكرية لمفارز العبيد بقدر ما على مشايخ البدو ايضا . الا ان امكانية تحول العبيد الى طبقة حاكمة فى الجزيرة العربية لم تتحقق

في سياق التطور التاريخي . ولكن الحرس التركي في عهد العباسيين والمماليك في مصر دليل على مدى الشوط البعيد الذي يمكن ان تقطعه مثل هذه الاتجاهات في المجتمع .

الفئات وال مراتب في مجتمع الجزيرة . ان البنية المتعددة الجوانب لمجتمع الجزيرة قد تعقدت بقدر اكبر بسبب عناصر التقسيم الفئوي والعادات والتصورات المرتبطة بها . وكانت هذه العناصر نابعة بالاساس من النشاط الاقتصادي والعلاقات العشائرية والتقسيم الطبقي .

كان البدو من رعاة الابل بالذات يعتبرون في الجزيرة انبل ممثلي النوع البشري . وكانوا هم انفسهم على اعتقاد راسخ بتفوقهم على الحضر واشباه البدو . وكانوا يعتبرون العمل الوحيد اللائق بهم هو الغزو وتربية الابل والقوافل وحيانا التجارة . وكان رعاة الغنم في القبائل البدوية الكريمة المحتد يشغلون مرتبة وضيفة ولا يتمتعون بالاحترام . وان تحول البدوى من راع للابل الى راع للغنم او مزارع يهبط به من منزلته «الرفيعة» لدرجة تجعل من الصعب عليه العودة الى حظيرة البدو الاقحاح (٩٩) . وكان البدو يبررون رفعة منزلتهم بانتسابهم الى اصول تغوص في اعماق القرون (١٠٠) .

ويقف في الدرجة التالية من سلم المراتب رعاة الغنم الذين ينظرون الى الحضر باستعلاء . ويأتى بعدهم الزراع اذا تهيأت لهم امكانية الوصول بانسابهم الى اجداد كريمي المحتد . ان التفاوت في مراتب هذه الفئات من السكان يعززه عدم وجود علاقات متينة للتزاوج فيما بينها . ومن النادر ان يوافق البدوى المعدم على تزويج ابنته من فلاح موسر .

وكان الوجهاء يحتلون منزلة اعلى من هذه الفئات الثلاث من سكان الجزيرة العربية والتي تتميز بدرجات مختلفة من المحتد الكريم . وكان الوجهاء يعتبرون انفسهم ارقى من سائر البدو الرحل بقدر ما يعتبر هؤلاء انفسهم انبل من الزراع . وان بيوتات شيوخ مشايخ القبيلة ، خلافا لسائر ابناء القبيلة الذين يعتبرون انفسهم خلفا لجد واحد ، غالبا ما تدعى باصول تختلف عن الاصول النبيلة الخاصة بالقبيلة كلها . ان دم افراد عائلة الشيخ (عند البدو) يفوق التقدير او انه (عند اشباه البدو) اغلى من دم سائر ابناء القبيلة .

وكان الشيوخ يخرقون اصول الزواج العشائري المرسومة بالعادة والتقاليد فيزوجون بناتهم من شيوخ قبائل اخرى ولا يتزوجون هم الا من بنات الشيوخ ، علما بان المهر المتعارف عليه بين الشيوخ اعلى بكثير من المهر العادى . ونعت دوتى وجهاء القبائل «بالارستقراطية من حيث الدم والاصل (الجد المشترك)» (١٠١) . وكان هذا ايضا هو رأى فولنى ، حيث يقول : «تضم كل قبيلة عائلة او عدة عوائل رئيسية يحمل ابناؤها لقب الشيوخ . وهذه العوائل تماثل عوائل الاعيان فى روما والنبلاء فى اوربا» (١٠٢) .

وكان الاقطاعيون الحضر يتباهون بتحدرهم من وجهاء البدو . وفى بعض الاحيان حاولوا الحفاظ على نمط الحياة البدوى واحتفظوا باواصر القربى مع وجهاء البادية .

وكانت القبائل «الوضيعة» (هتيم وغيرها) منبوذة فى مجتمع الجزيرة . واذا نعت شخص ما من قبيلة اخرى باسم تلك القبائل فهو يعتبر ذلك اهانة بالغة . وكان على ابناء القبائل «الوضيعة» ان يقدموا آيات التبجيل للاعراب الكريمى المحتد . والذين تجرى الدماء الطاهرة فى عروقهم لا يتزوجون ابدا من بنات القبائل «الوضيعة» (١٠٣) . وتحدث عن اصول هذه القبائل حكايات واساطير تحط من سمعتها . ولكن ذلك لم يمنع شباب عوائل الوجهاء من الاستفادة من التسيب الخلقى فى القبائل «الوضيعة» واقامة علاقات غرامية مع المحظيات منها . والشعر البدوى الشففى مليء بالامثلة من هذا النوع (١٠٤) .

ويعتقد بعض الباحثين فى العلم المعاصر ان اصول بعض القبائل «الوضيعة» تعود الى ما قبل العرب بل وحتى الى ما قبل الساميين (١٠٥) . ويرى آخرون انها ظهرت فى الجزيرة بعد ظهور العرب (١٠٦) .

كان الصانع فى مجتمع الجزيرة اكثر احتقارا من القبائل «الوضيعة» ، وكان احتراف الصنائع ، وخصوصا النسيج ، احط عمل يمكن ان يمارسه الاعرابى . وكانت كلمة «الصانع» تطلق للاهانة والتحقير . وحتى ابناء القبائل «الوضيعة» كانوا يستنكفون من الدخول فى علاقات زواج مع الصانع . وقد شكل بعض الصانع (وخصوصا الحدادون) طائفة منعزلة منتشرة فى كافة ارجاء شبه الجزيرة وكانوا يعتبرون انفسهم ابناء قبيلة واحدة (١٠٧) . ولم

يكن تنظيمهم يشمل الصناع من بين المعثوقين والأجانب ، وعلى اوطأ درجة من السلم الاجتماعى فى الجزيرة العربية يتواجد العبيد والمعتوقون . فهم وحدهم يقدمون على الزواج من بنات القبائل «الوضيعة» والصناع . ولا يستبعد ان يكون ذلك بالذات هو السبب فى التفرد الانثوغرافى للقبائل «الوضيعة» والصناع .

ان تقسيم مجتمع الجزيرة الى فئات ومراتب غالبا ما لا يتوافق مع تقسيمه الى استغلاليين ومستغلين . فلدى كل فئة «منبوذة» من فئات السكان - القبائل «الوضيعة» والصناع والعبيد - نخبة من ابنائها . وفى بعض الاحيان تتجاوز ثروة هذه النخبة ليس فقط ثروة البدو العاديين ، بل وحتى بعض وجهاء البدو . فالعبيد (من موظفى كبار الاقطاعيين) تفوقوا احيانا على الكثير من وجهاء الحضر والبدو . الا ان اكثر البدو فقرا كان ينظر باستعلاء الى العامل او الوالى الزنجى المتنفذ ، وما كان يوافق على تزويجه من ابنته فى اية حال .

مجتمع الجزيرة من خلال تطوره . مما لا شك فيه ان المجتمع الطبقي الاستغلالى كان موجودا فى الجزيرة العربية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . الا ان الحدود الطبقيه فيه تمتد بخطوط متعرجة ليس فقط بين الاغنياء والفقراء ، بين الوجهاء والرعية ، بل وكذلك بين البدو من رعاة الابل والسكان شبه الرحل والحضر ، بين القبائل الكريمة المحتد والقبائل «الوضيعة» ، بين الاحرار والعبيد . وفى بعض الحالات تطمس هذه الحدود فى غمار العلاقات العشائرية والفوارق الفئوية .

فهل يجوز القول بان النظام الاجتماعى موضوع البحث قد نشأ فى الجزيرة العربية فى القرن الثامن عشر فقط ؟ كلا ، بالطبع . صحيح ان قضية تحديد الاطر الزمنية لوجوده تتطلب دراسة خاصة . الا ان بعض معلومات الاوربيين ، مثلا ، عن الحياة فى الجزيرة خلال القرون الوسطى لا تتعارض مع المعلومات الاحداث . ومما يعزز وجهة النظر هذه ما كتبه ابن خلدون عن مجتمع شمال افريقيا فى القرن الرابع عشر ، فى المنطقة الصحراوية وشبه الصحراوية ، والذي يتميز بكثير من السمات المشتركة مع مجتمع الجزيرة العربية ، حيث انتقلت العلاقات الاجتماعية للقبائل العربية دون شك ، مع ترحالها الى شمال افريقيا . فان سمات النظام الاجتماعى

فى الجزيرة العربية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، مثل الحمية والدخلة واستبدال الثأر بالتعويض وحرس العبيد فى مكة ، كانت معروفة فى الجزيرة منذ فجر الاسلام (١٠٨) ، مع انه لا يستبعد ان مضمون بعض الانظمة اتسم خلال القرون العديدة بصبغة طبقية لدرجة اكبر . ان الصعاليك من شعراء الجاهلية يشبهون كثيرا فقراء البدو فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فى حين كان نعت ممثلى وجهاء القبائل فى القرنين السادس والسابع هو «اصحاب المئات» (المقصود مئات الابل) (١٠٩) . ونظرا لعدم حدوث اية تغيرات ثورية فى تطور القوى المنتجة فى الجزيرة خلال القرون الاخيرة حتى حلول القرن العشرين ، يمكن الافتراض ان مثل هذا النظام الاجتماعى ظل باقيا امدا طويلا مع بعض التعديلات والتعمق التدريجى للفوارق الطبقية .

ومنذ عهد النبى وحتى ظهور الوهابية لم تشهد الجزيرة العربية السلطة الموحدة والاستقرار والوئام . وطوال القرون ظلت مجزأة فى الغالب الى دويلات - واحات صغيرة او اتحادات لتلك الدويلات والى قبائل مترحلة او اتحادات لتلك القبائل . وكان التششت الاقتصادى للواحات والقبائل التى هى وحدات اقتصاديية مستقلة ، وكذلك نطاق البادية الخالية فى الجزيرة حيث كانت جزائر الحياة البشرية متباعدة عن بعضها البعض لمئات الكيلومترات ، بمثابة عوامل للامركزية .

ومما اعاق التوحيد كذلك الفوارق القبلية والمحلية بين سكان الجزيرة ولهجاتهم وتنوع وتناقض المذاهب والمعتقدات الدينية . وكانت لوجهاء القبائل والحضر مصلحة فى توسيع حدود سلطتهم من اجل زيادة مصادر الاثراء . واصطدمت مطامح كل من كتل وجهاء القبائل والحضر بمصالح جيرانهم المماثلة . واستنزفت القوى فى الصراع بينهم . ولكنه صادف ان هذه الكتلة او تلك من الوجهاء تنشر سيطرتها على نطاق واسع بالاعتماد على القدرة العسكرية للبدو او الحضر وبزعامة قائد موهوب . وبالنسبة نشأت دول على مساحات واسعة نسبيا . وكان التوسع المشترك الذى يؤمن غنائم الحرب حافزا رئيسيا للتوحيد . وكانت فى الجزيرة العربية مناطق شاسعة اختلطت فيها قوى الفوضى العشائرية

اللامركزية بالقوى التوحيدية المركزية . وتلك المناطق هي الحجاز ونجد والاحساء واليمن وعمان .

وبنتيجة احلال الامن وتقاطر الثروات من الخارج كان من الممكن فى اراضى الاتحادات الكبيرة على صعيد الدولة ان يجرى تطور القوى المنتجة بوتائر اسرع بعض الشيء . ولكن الحماس الحثيث كان يستنفذ فيما بعد ، ويؤدى الصراع الداخلى والتنافس الى تفتت متانة السلطة ، ويشدد الوجهاء استغلال السكان الخاضعين لهم فيسببون بظهور مقدمات التذمر الداخلى ، وتتفوق القوى اللامركزية الطاردة وتنهار الدول . وكانت هذه العملية تسير بسرعة فى حالة الكوارث الطبيعية او تفشى الوبئة .

ولذلك يمكن القول بان قوى التوحيد الكامنة كانت موجودة طوال القرون فى الجزيرة العربية المجزأة ، وان مفعول قوى التحلل الجبارة كان يبدأ فى اية دولة مركزية تنشأ هناك .

ولا تستثنى من ذلك الدولة السعودية الاولى فى الجزيرة العربية . ولكنها بلغت قوة واتساعا لم يسبق لهما مثيل منذ فجر الاسلام ، فى حين ترك العصر اثره فى طابعها وقرر مصيرها .

الامبراطورية العثمانية والجزيرة العربية . ضعف النفوذ الاجنبى فى الجزيرة عند اواسط القرن الثامن عشر . كانت الدول الاسلامية الكبرى التى نشأت وسقطت فى الشرقين الادنى والاوسط قد اثرت بصورة مباشرة او غير مباشرة على الجزيرة العربية . واعتبارا من القرن السادس عشر صار الاتراك العثمانيون عاملا دائما للسياسة فى الجزيرة . فعلى اثر احتلالهم لمصر جاء دور الحجاز ثم اليمن والاحساء وسائر مناطق الجزيرة العربية . وعين الباب العالى واليا له فى جدة - البوابة البحرية لمكة . ورابطت حاميات تركية غير كبيرة بين فترة واخرى فى مكة والمدينة وجدة وبعض المناطق الاخرى . وارسلت الاستانة بعض الموظفين الى مكة والمدينة . ومع ذلك كانت سلطة العثمانيين فى الحجاز اسمية ، وكان الحكام المحليون يتمتعون باستقلال كبير .

كانت السلطة فى مكة فى ايدى عوائل الاشراف المتنافسة التى كانت تبعث الى والى مصر والسلطان العثمانى نقودا وهدايا ثمينة . الا ان مكة كانت مدينة متميزة تعيش على الحج والتبرعات الخيرية من العالم الاسلامى كله . وكان السلاطين الجبابرة والمسلمون

الاطهار يثبرعون بالاموال لترميم الكعبة والمساجد والانفاق عليها
ولشق القنوات . وكان قسم من هذه الاموال يبقى في المدينة ولا
يندر ان يستقر في خزينة الشريف . كانت مكة منطقة هامة
للعثمانيين ، ولكنها بعيدة جدا فلم يستطيعوا ان يقيموا سيطرتهم
المباشرة عليها ، وفضلوا الابقاء على حكامها المحليين . وكانت عوائل
الاشراف المقيمة في الاستانة مستعدة دوما للمشاركة في دسائس
الباب العالي السياسية (١١٠) .

وعلى تخوم القرنين السادس عشر والسابع عشر ، في فترة
الفتن والقلق التي اجتاحت الامبراطورية العثمانية ، اكتسب وسط
وشرق الجزيرة العربية الاستقلال الفعلي عن العثمانيين مع ان والى
بغداد ووالى البصرة ظلا حتى اواخر القرن السابع عشر يؤثران على
سير الاحداث في الاحساء ونجد .

وفي مطلع القرن الثامن عشر دخلت الامبراطورية العثمانية
مرحلة الافول بعد هزيمة معركة فيينا عام ١٦٨٣ . ومع ان
العثمانيين استطاعوا في العقود الاولى من القرن الثامن عشر ان
ينتصروا على الفرس في الشرق فان ذلك لم يغير شيئا في سير
الامور . كانت الامبراطورية العثمانية لا تزال تمتلك مساحات شاسعة
في اوربا وآسيا وافريقيا حيث تركزت الثروات الطبيعية والموارد
البشرية . الا ان اساس الجيروت العثماني - النظام العسكري
الاقطاعي - اخذ يتفتت دون رجعة . وتدهورت القدرة الكفاحية
للاكتشارية الذين اسسوا عوائل ومارسوا الحرف والصنائع
والتجارة . وحل التسيب والفساد محل الانضباط السابق لدى جنود
وموظفي الامبراطورية العثمانية .

وبنتيجة الهزائم الحربية انتفى اهم مصدر لعائدات الطبقة
الحاكمة - نهب المغلوبين عسكريا . فاخذ الولاة والموظفون
العثمانيون ينهبون دون رحمة سكان الامبراطورية الكادحين وبالدرجة
الاولى الفلاحين . وجرى بوتائر سريعة خراب الزراعة التي هي اساس
اقتصاد الامبراطورية العثمانية .

ولم تكن الحياة ولا الملكية مضمونة في الامبراطورية العثمانية .
وكان السلطان وولاة الاقاليم والاقطاعيون والموظفون الاصغر غالبا
ما يعدمون الناس لسبب واحد هو مصادرة اموالهم فيما بعد . ولم
يتمتع بالامان الشخصي وحصانة الملكية الا علماء الدين . وبغية

تحاشى المصادرة كان اصحاب المقاطعات المدمرون وصغار المالكيين يحيلون مزارعهم ودورهم الى الاوقاف ويستخدمونها على سبيل الایجار .

وحصلت اقاليم الامبراطورية العثمانية على المزيد من الاستقلال ووقعت تحت سلطة الكتل القطاعية الضارية شبه التابعة . ولا يثير الدهشة ان يفقد الباب العالى السلطة فى هذه الظروف على اراضى الجزيرة العربية ايضا .

صار اشراف مكة يتصرفون بمزيد من الاستقلال ولا يعيرون اهتماما كبيرا للعثمانيين . وصار السلاطين يمنحون لقب والى جدة الى اشخاص لا يظهرون فى الحجاز على الاغلب . واخذ اشراف مكة يستأثرون بحصة متزايدة من مداخيل كمراك جدة . وكانت قبائل البدو تسيطر على طرق الحج الاخرى . وكانت متانة مواقع الباب العالى فى الحجاز انذاك تحددها ليس قوته العسكرية بقدر ما تحددها مصلحة وجهاء الحجاز والسكان جميعا بمداخيل الحجاج القادمين بالاساس من الامبراطورية العثمانية ، وبالهدايا الثمينة من السلاطين العثمانيين (١١١) . اما اليمن فقد احرزت الاستقلال الرسمى والفعلى بعد الغزو العثماني فى النصف الثانى من القرن السابع عشر .

فى سبعينات القرن السابع عشر لم المدعو براك ، وهو شيخ احد افخاذ قبيلة بنى خالد ، شمل القبيلة كلها وطرده المفارز العثمانية الصغيرة من واحات الاحساء وحمى شرق الجزيرة حتى من شبح السيطرة العثمانية (١١٢) .

وكان تضاؤل التدخل الاجنبى فى شؤون الجزيرة العربية قد تجل كذلك فى الضعف التدريجى الذى اصاب مواقع البرتغال على سواحل الخليج العربى . وفى اواسط القرن السابع عشر طرد البرتغاليون من عمان بعد ان استولوا عليها فى القرن السادس عشر . اما الانجليز والفرنسيون فان توسعهم الاستعماري فى الجزيرة العربية يعود على الاكثر الى النصف الثانى من القرن الثامن عشر . وكان اقتحام الفرس للمدن الساحلية فى شرق الجزيرة فى مطلع القرن الثامن عشر يجرى عرضا ولم يؤد الى تثبيت اقدامهم فى هذه المنطقة من الجزيرة العربية .

كانت الجزيرة العربية قبل ظهور الوهابيين متروكة لحالها بقدر كبير طوال عدة عقود من السنين .

نجد والحجاز والاحساء فى النصف الاول من القرن الثامن عشر .
تعرض وسط الجزيرة فى القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر لغزوات جيرانه من الشرق والغرب ، مع ان ذلك لم يستبعد بعض الحملات الموفقة التى قامت بها القبائل النجدية على واحات وقبائل الحجاز والاحساء . كان الحجازيون قد هاجموا تقريبا كل مناطق نجد ، وبالدرجة الاولى القصيم ، كما هاجموا القبائل البدوية فى وسط الجزيرة - عنزة ومطير والظفير . وكان بعض قبائل وواحات وسط الجزيرة تدفع الاتاوات لحكام مكة . ويذكر ابن بشر بعض الاشخاص من وجهاء الحجاز وينعتهم بأشراف نجد (١١٣) .
وفى بداية القرن الثامن عشر تدهورت الحالة الاقتصادية فى الحجاز . وبنتيجة المجاعة المرعبة خلت مكة من اهلها (١١٤) . واشتد فيها الصراع من اجل السلطة والنزاعات الداخلية حتى لم يعد بمقدور الحجازيين القيام بحملات على باطن الجزيرة . وكانت آخر الحملات الكبرى على نجد قد قامت فى اواسط عشرينات القرن الثامن عشر (١١٥) .

كان براك شيخ بنى خالد قد بدأ بعد ان سيطر على شرقى الجزيرة بغزوات على البدو المرحلين بين الاحساء ونجد ، ثم بغزوات على نجد . وواصل خلفاؤه توسعهم . وتعرضت الخرج وسدير وثادق والعارض لغزوات الاحسائيين . وفى عام ١٧٢٢ / ١٧٢٣ توفى زعيم بنى خالد بن سعدون عريعر (١١٦) . وادت الحزاقات التى اعقبت ذلك الى اضعاف الوحدة لدرجة كبيرة . ولم تكن فى نجد اتحادات كبيرة تلعب دور القوة المسيطرة . فقد احتفظت بعض الواحات والقبائل باستقلالها . وحتى الواحات - المدن ، مثل العيينة والدرعية والرياض ، التى كان مقدرا لها ان تلعب دورا هاما فى الصراع من اجل الزعامة فى نجد لم تكن ترتفع الى اعلى من المستوى المتوسط . وكانت مزيتها تكمن فى انها جميعا واقعة فى منطقة العارض ، وهى المنطقة الوسطى فى نجد ، حيث تلتقى كل الطرق التجارية . الا ان الموقع الجغرافى وحده لا يعطى مبررا للاعتقاد بانها بالذات كانت تستطيع ان تغدو مركزا للدولة الموحدة لعموم نجد ناهيك عن عموم الجزيرة .

ومن المستبعد امكان الموافقة على تأكيد فيلبى من ان الدرعية كانت فى مطلع القرن الثامن عشر احدى المدن التى تدعى بالسيطرة

ليس فقط فى نجد وحدها ، بل وحتى فى الجزيرة العربية كلها (١١٧) . فقد قال مؤلف «لمع الشهاب» انه لم يكن فى نجد «رئيس قاهر يردع الظالم وينصر المظلوم بل كان كل من الحكام حاكم بلده مدينة كانت او قرية وفى بدوها كذلك كل طائفة منهم لها شيخ وكبير يرجع امرهم اليه . . . والبلدة اذا قبائل شتى يرعون البرارى والقفار ويشربون المناهل والآبار وحكومة كل شيخ فى قبيلته برضاها فكلمن تقدم كرما وشجاعة رضوا به كبيرا لهم . وفيهم مشايخ صغار فى نفس قبيلة واحدة يخالفون رأى المشايخ الكبار . . . وكان اهل المدن فى نجد دائماً بعضهم يحارب بعضاً» (١١٨) .

كان الوضع فى القسم الاوسط من نجد فى العقود الاولى من القرن الثامن عشر يتميز بتوازن القوى بين الخصوم الرئيسيين . فقد اجتازت الدرعية توا مرحلة القلاقل والفتن الداخلية والصراع من اجل السلطة بين الوجهاء الحاكمين . وكان القتل والخيانات تتوالى الواحدة تلو الاخرى ، الى ان صار مؤسس سلالة السعوديين ، سعود بن محمد بن مقرن اميرا للواحة فى العقد الثانى . ويعتبر بعض السعوديين انفسهم من قبيلة بنى حنيفة ، بينما يعود بعضهم الآخر بنسبهم الى عنزة اكبر واقوى قبيلة فى وسط وشمال الجزيرة (١١٩) .

لم يكن عهد سعود طويلا . فقد توفى فى حزيران (يونيو) ١٧٢٥ (١٢٠) ، وبعد وفاته تنافس على رئاسة الواحة عدة اشخاص تنافسا مستميتا . واقترن الصراع بينهم بخيانات متبادلة وقتل لبعضهم البعض . واخيرا شغل مكان سعود ابن عمه زيد (١٢١) . كان حكام العيينة فى تلك السنوات مشغولين بالحروب ضد جيرانهم فى منفوحة وثادق ، وكذلك ضد القبائل البدوية فى اطرافهما . ولم تتجاوز العمليات الحربية نطاق الحملات المحلية . وفى عام ١٧٢٦/١٧٢٥ اجتاح العيينة وباء الكوليرا (١٢٢) . وكانت الضربة التى تلقتها شديدة لدرجة جعلتها تخرج لسنوات طويلة من الصراع فى سبيل السيطرة فى وسط نجد .

وانتهز زيد هذه الفرصة فهاجم الواحة الخالية فى العام التالى . واعرب امير العيينة محمد بن معمر عن استعدادة للخضوع له ، ولكنه استدرج الدرعيين الى منزله وقتل زيدا . وتمكن محمد بن

سعود من الفرار مع جماعة من المحاربين . فصار اميرا للدرعية (١٢٣) .

وفي اواخر الثلاثينات ومطلع الاربعينات استولى على السلطة في الرياض دهام بن دواس وهو رجل همام نشيط ظل طوال عدة عقود من اشد خصوم الدرعية تصلبا . واليكم قصة توليه السلطة كما كتبها ابن غنام : «كان ابوه رئيسا في بلد منفوحة متغلبا عليها فقتل اناسا من جماعته من المزاريع ظلما وعدوانا ، فبقى بعد ذلك زمانا ثم مات . وتولى بعده ابنه محمد ، فقام عليه ابن عمه زامل بن فارس هو وبعض اهل منفوحة فقتلوه واجلوا اخوانه ، ومن جملتهم دهام واحوته ، فاستوطنوا الرياض وكان واليها اذ ذاك زيد بن موسى ابا زرعة . فلما قتل زيد المذكور على غير سبب مأثور ، وكان الذي قتله أحد بنى عمه ، وكان معتوه العقل صعد اليه وهو نائم في عليية له فذبحه بسكين معه . فلما قتله جاءه عبد لزيد يقال له خميس فقتله . . . فتغلب العبد المذكور على بلد الرياض ، وكان اولاد زيد اذ ذاك صغارا وزعم انه قابض لهم حتى يتأهلوا لذلك . فاقام داليا عليها مدة يسيرة نحو ثلاث سنين ثم هرب خميس من الرياض خوفا من اهلها لامور جرت منه فأقام في الحابر مدة ثم اتى منفوحة فأقام بها مدة ، ثم عدا عليه رجل من اهلها كان قتل اباه زمن رياسته على الرياض فقتله ثم بقيت الرياض مدة يسيرة بلا رئيس ، وكان دهام بن دواس مدة تغلب خميس على الرياض خادما له . فلما بقيت الرياض بعد هروب خميس بلا رئيس ترأس فيها دهام بشبهة ان ابن زيد ابا زرعة هو ابن اخت دهام ، فزعم انه يكون نائبا عنه في ذلك حتى يكبر ويعقل ثم بعد ذلك يتخلى له عن الولاية فأجلاه عن البلاد . كرهه اهل الرياض وسعوا في عزله اذ لم يكن لهم حيلة الى قتله ، فاجتمعوا عليه واحاطوا بقصره وحصلوه فيه ، وكانوا عامة وغوغاء ليس لهم رئيس . فارسل اخاه مشلبا راكبا فرسا الى محمد بن سعود امير الدرعية يطلب منه النجدة والنصرة على تلك الرعية . . . فقام له محمد بالنصرة اتم قيام ، وارسل اليه من الجنود فثام ورئيسهم مشاري بن سعود ، فبلغ دهام بمجيئهم المرام والمقصود ، فخرج من قصره مع تلك الجنود وقتلوا من اهل الرياض ثلاثة او اربعة رجال ثم فروا بلا توان ولا امهال ، فبعدها قر ملكه فيها واقام رئيسها وواليها واقام مشاري

عنده شهورا ، ولم يتوقع ما صدر من الخبيث الشرور ، فاستفحل امره وتعظم فجره ونكره وتزايد على الرعية شره وتوالى عليهم ضره وتظاهر بامور واعلن بفجور تحاكي الافعال النمرودية والقضايا الفرعونية : فمنها انه غضب يوما على امرأة فأمر بفمها ان يخاط . . . ومنها انه غضب يوما على رجل فقطع من فخذه قطعة وقال : لا بد ان يسيغها مضغة مضغة . فحاول الرجل المعذب بعد ان لم يجد له مهربا ان يأكلها بعد ان تشوى فلم يسعفه بذلك فاكلها نعوذ بالله من البلوى . ومنها انه غضب يوما على رجل مسجون ذكر له انه فك باسنائه الحديد ، فأمر بمقمعة من حديد فضربت بها اسنانه . . . ومنها انه غضب على رجل آخر فأمر بقطع لسانه فقطعه بعض اعوانه ، وله قضايا مثل هذه كثيرة» (١٢٤) .

هذا المقتطف من ابن غنام عن تولى دهام بن دواس السلطة ، وكذلك المواد الخاصة بتطور الاحداث في الدرعية والعينة ، انما تكشف عن الصراع من اجل السلطة والنزاعات الضارية والغزوات المدمرة المتبادلة والنهب والسلب ، مما صار من اصول الحياة السياسية فى نجد فى النصف الاول من القرن الثامن عشر . ومما ساعد على تزعزع الحكم عدم الوضوح والدقة فى حق الميراث . فلا يندر ان يهب اخوة الحاكم المتوفى وابناء عمومته ضد ابنائه . ولا يمكن تفسير استيلاء عبد على السلطة فى الرياض فى تلك الحقبة الا بتزعزع نظام الادارة الاقطاعية فى الواحات .

وقد بلغ تعسف وطغيان الوجهاء فى الواحات اقصى الحدود . واتخذ الاستغلال طابعا وحشيا . وهناك مبررات للقول بان اشتداد استغلال المزارعين من قبل الاقطاعيين آنذاك قد ادى الى اشتداد الصراع الطبقي . فقد كتب ابن غنام عن انتفاضة السكان المتذمرين من دهام الى حد الغليان . ويمكن اعتبار ارسال ابن سعود اخاه لنجدة دهام مظهرا للتضامن الطبقي بين الاقطاعيين . ويبدو ان بعث الوهابيين للاصول الاسلامية القديمة التى تحرم الفوائد الربوية كان رد فعل على تعسف المرابين القاسى .

وفى القرن الثامن عشر تدهور الوضع الاقتصادى فى الجزيرة العربية . وكان الركود الاقتصادى فى الامبراطورية العثمانية فى القرن الثامن عشر ودمار القوى المنتجة وتقلص التجارة كل ذلك قد ادى فى بعض الاحيان الى تقلص مشتريات واسطة النقل الرئيسية -

الابل . وتدهورت التجارة مع الهند عبر الحجاز (١٢٥) . وكانت النزاعات والحزاقات في الامبراطورية العثمانية والخراب الذي اصاب السكان قد ادت الى تقلص الحج . وكانت لذلك كله آثار أليمة على بدو الجزيرة .

ويمكن الافتراض بان الحروب العثمانية الفارسية المدمرة في مطلع القرن الثامن عشر قد تركت اثرا فتاكا على الحج من ايران والعراق ، الامر الذي انعكس على مداخيل سكان نجد . وفي هذه الظروف ، على ما يبدو ، شدد البدو من نهب السكان الحضر المحليين والقوافل النادرة .

وما كان بالامكان تحقيق الاستقرار السياسى ووقف النهب البدوى وتأمين سلامة الروابط التجارية الا فى ظل دولة مركزية . وكان بوسع سياسة التخفيف من الظلم الطبقي ان تؤمن لمثل هذه الدولة دعما جماهيريا . ولكن كان من اللازم العثور على مصادر خارجية ، اى على غنائم الحرب ، لاثرياء الوجهاء وعدم الاضرار بمصالحهم . وفى هذه الفترة ولدت فى نجد حركة دينية جبارة نشأت على اساسها دولة مركزية كبرى .

محمد بن عبد الوهاب ومذهبه

حياة مؤسس الوهابية قبل بدء نشاطه السياسى . كتبت «مجلة
المنوعات الادبية» الروسية فى عام ١٨٠٥ تقول : «قبل حوالى نصف
قرن اسس هذه الطائفة - المقصود الوهابية - شيخ عربى اسمه
محمد . ويؤكد الوهابيون انه ابن عبد الوهاب بن سليمان . وتقول
رواية قديمة ان سليمان هذا ، وهو اعرابى فقير من قبيلة نجدية
صغيرة ، قد رأى فى المنام ان لهبا اندلع من بدنه وانتشر فى
البرارى على مسافات بعيدة ملتهما فى طريقه الخيام فى البوادر
والمنازل فى المدن . ارتعب سليمان من هذا الحلم وطلب له
تفسيراً من شيوخ قبيلته الذين اعتبروه بشير خير ، واخبروه بان
ابنه سيكون مؤسساً لمذهب جديد يعتنقه اعراب البادية وان
هؤلاء الاعراب سيخضعون سكان المدن . وقد تحقق هذا الحلم
ليس بشخص ابن سليمان عبد الوهاب ، بل بشخص حفيده الشيخ
محمد» (١) . هذه الرواية تجسد جيداً نفح تلك الحقبة ، مع ان
جفاف الوقائع التاريخية يخلع عما كتبه المجلة هالة الغيبية .

ولد مؤسس التيار الدينى والاجتماعى والسياسى الذى يسمى
بالوهابية فى الجزيرة العربية عام ١٧٠٣/١٧٠٤ فى عائلة دينية
فى العيينة (٢) . كان والده عبد الوهاب بن سليمان قاضياً
شرعياً . وكان هو المعلم الاول لابنه . وكان اخوه سليمان بن
عبد الوهاب قد ذكر للمؤرخ ابن غنام ان مؤسس الطائفة الاسلامية
الجديدة المرتقب قد كشف فى طفولته عن مواهب كبيرة وحفظ
القرآن قبل ان يبلغ العاشرة من العمر . واطلع الصبى على تفسير
القرآن والحديث وسيرة النبى . وفى الثانية عشرة بلغ محمد سن
الرشد فوجه ابيه .

وبعد الزواج ادى فريضة الحج بموافقة ابيه . وفيما بعد قضى

شهرين في المدينة المنورة ثم عاد الى اهله . وطاف كثيرا في
الاقطار المجاورة وزار الحجاز والبصرة مرارا ثم عاش في
الاحساء (٣) .

وتعلم في المدينة على يد شخص يدعى عبد الله بن ابراهيم
بن سيف، وهو من وجهاء واحة المجمعة في سدير . وتحدث الشيخ
محمد بن عبد الوهاب فيما بعد قائلا : «كنت عنده يوما فقال لي :
تريد ان اريك سلاحا اعددت له للمجمعة ؟ قلت : نعم . فادخلني
منزلا عنده فيه كتب كثيرة . وقال : هذا الذي اعددتنا
لها . . . » (٤) . ولمح ابن عبد الوهاب بذلك الى ان معلمه في
المدينة كان يعد «سلاحا فكريا» لمحاربة المعتقدات السائدة في
واحته .

وعندما كان ابن عبد الوهاب في البصرة دعا الى العودة الى
اصول التوحيد الحقيقي في الاسلام . «وتجمع عليه اناس في
البصرة من رؤسائهم وغيرهم فأذوه اشد الاذى واخرجوه
منها» (٥) . وفي الطريق من البصرة الى الزبير كاد يموت عطشا ،
الا ان احد سكان الزبير انقذه (٦) .

وبعد ذلك عاش ابن عبد الوهاب بعض الوقت في الاحساء عند
العالم الديني عبد الله بن عبد اللطيف . ثم توجه الى واحة حريملا
في نجد . وفي عام ١٧٢٦/١٧٢٧ انتقل الى هذه الواحة ابوه عبد
الوهاب بسبب خلافه مع حاكم العيينة الجديد الذي استولى على
السلطة بعد وفاة الامير السابق حامى العلماء (٧) . وفي حريملا
اخذ محمد بن عبد الوهاب يبشر بافكاره بنشاط جديد ، حتى انه
كان يتجادل مع ابيه . وامضى في هذه الواحة عدة سنوات ، وفي
هذه الفترة ألف «كتاب التوحيد» . ويقول ابن غنام عنه : «اشتهر
حاله في جميع بلدان العارض في . . . العيينة والدرعية
ومنفوحة . . . وكان الناس عند ذلك حزبين وانقسموا فيه فريقين
فريق احبه وما دعا اليه فعاذه على ذلك وبايعه وحذا حذوه
وتابعه وفريق انكر ذلك عليه» (٨) .

وفي عام ١٧٤٠/١٧٤١ توفي عبد الوهاب فصار محمد ، على ما
يبدو ، قاضيا بدل ابيه . وكانت حريملا آنذاك مقسمة بين فخذين
ربما كانا مستقلين عن بعضهما البعض . واثارت دعوة محمد بن
عبد الوهاب تذمر بعض سكان الواحة . ويقول ابن بشر : «وكان

فى البلد عبىء لآحدى القبىلىتىن ىقال لىهم الحمىان كثرى تعدىهم وفسقهم ، فاراد الشىخ ان ىمنعوا عن الفساد وىنفذ فىهم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . فهم العبىء ان ىفتكروا بالشىخ وىقتلوه باللىل سرا» (٩) . ونجا ابن عبء الوهاب بالصدفة واضطر على الفرار الى العىنة (١٠) .

وكتب المستشرقون الاوربىون عن رحلات ابن عبء الوهاب الى بغداد وبعض المدن الاىرائىة ودمشق . وانعكست هذه المعلومات كذلك فى «دائرة المعارف الاسلامىة» . وفى عام ١٩٣٣ كتب المستشرق المعروف مارغولىوٲ عن هذه الرحلات فى مقالة بعنوان «الوهابىة» اعتمد فىها على مصنف «لمع الشهاب» .

وفىفء «لمع الشهاب» ان ابن عبء الوهاب توجه فى رحلته وهو فى السابعة والثلاثىن من العمر . امضى ست سنوات تقربىا فى البصرة ، وخمس سنوات فى بغداد وحوالى السنة فى كردستان وسنتىن فى همدان (اىران) . وفى بءاية عهد نادر شاه انتقل الى اصفهان حىث امضى سبع سنوات ، وعاش فى قم ومدن اىرانىة اخرى ، وقضى ستة اشهر فى حلب وسنة فى دمشق وبعض الوقت فى القدس وسنتىن فى القاهرة ، ثم وصل الى مكة وعاء الى نجد ، وامضى سنة ونصفا او سنتىن فى اليمامة ، وفى سنة ١١٥٠ هجرىة (١٧٣٧/١٧٣٨ مىلادىة) استقر فى العىنة . وتوفى فى سنة ١٢١٢ (١٧٩٧/١٧٩٨) كما ىقول صاحب «لمع الشهاب» . وىؤكد مؤلف هذا الكتاب ان محمد بن عبء الوهاب كان ىغىر اسمه طوال الوقت . ففى البصرة اسمه عبء الله ، وفى بغداد احمء وفى كردستان محمد وفى همدان يوسف (١١) . وتبىن عملىة جمىع بسىطة ان ابن عبء الوهاب ، كما ىقول صاحب «لمع الشهاب» ، كان ىجب ان ىقضى فى اصفهان وقم وحلب ودمشق والقدس والقاهرة ما لا ىقل عن ١١-١٢ عاما . وهذا ىجعل عودته الى نجد تتم فى اواخر الاربعىنات ، الامر الذى ىتعارض حتى مع التاريخ الوارد فى «لمع الشهاب» بعد سطرىن من ذلك .

وىنسب مؤرخو الوهابىة ومنجىن عودة ابن عبء الوهاب الى نجد الى الثلاثىنات . وىؤكد اخبارهم كذلك المؤرخ الججازى فى القرن التاسع عشر ابن زىنى دحلان . فقد كتب ان ابن عبء الوهاب بدأ ىبشر بمذهبه فى نجد عام ١٧٣٠/١٧٣١ (١٢) .

وُعِدَت مصنفات الوهابيين معروفة لدى اغلبية المستشرقين الاوربيين على اثر صدور «دائرة المعارف الاسلامية» . ونجد في طبعتها الجديدة مقالة أ . لياوست المكرسة لمحمد بن عبد الوهاب والمعتمدة على ابن غنام وابن بشر (١٣) .

ان الزعم بان محمد بن عبد الوهاب صار حنبليا اثناء رحلاته ، لا سيما في قم التي هي احد مراكز الشيعة ، لا يصمد للنقد ، وذلك على الاقل لان اغلب علماء واحات نجد ، ومنهم اسلاف ابن عبد الوهاب كانوا حنبلين . زد على ذلك ان مؤلفاته ليس فيها ما يدل على اطلاعه على ارسطو ولا على دراسة الصوفية .

كان مؤلف مخطوطة «لمع الشهاب» من خصوم الوهابيين . ولذلك يمكن الافتراض بانه لم يكن قد حضر مجالس محمد بن عبد الوهاب وان كان معاصرا له ، وان معلوماته عن حياته ليست من مصدرها الاول .

الا ان ما كتبه مؤرخو نجد عن مكوث محمد بن عبد الوهاب في جنوب العراق وشرقي الجزيرة شحيح جدا . ولا يستبعد ان العالم الديني الشاب النشيط النابه استطاع ان يصل مع القوافل الى بغداد والى المدن الايرانية القريبة والى الشام . وقد كتب عن هذه الامكانية ، مثلا ، المؤرخ الدقيق للدولة السعودية الاولى منير العجلاني (١٤) .

وقد اثرت رحلات محمد بن عبد الوهاب الطويلة واقباله ومثابرته على دراسة الفقه تأثيرا حاسما على تكوين مذهبه . فقد تهيأت له امكانية الاطلاع على المذاهب والمعتقدات الدينية في الجزيرة والبلدان المجاورة وتحديد موقفه منها ودراسة العلوم الدينية وتفسير القرآن والحديث وشروحه وجمع الحجج اللازمة لوضع مذهبه . واخذ هذا المذهب يعبر عن خط معين في تطور الاسلام بالاستناد الى الظروف الملموسة للحياة الاجتماعية والسياسية والروحية في الشرقيين الادنى والوسط عموما وفي وسط الجزيرة العربية خصوصا .

السنة والبدع في تاريخ الاسلام . كان الدين في القرون الوسطى هو الشكل السائد للمعتقدات الايديولوجية . وكانت التيارات السياسية والاجتماعية تتخذ اشكالا دينية او تتستر بزى ديني . وكان البحث عن اشكال ايديولوجية جديدة ولبوس

أيديولوجي جديد، للتعبير عن المضمون الاجتماعي الجديد قضية معقدة وطويلة الامد وغير محدودة العاقبة . وكان ذلك يحدث عادة مع اكبر الانقلابات التاريخية فقط . فالحركات الاجتماعية والسياسية الصغيرة كانت مضطرة الى الاكتفاء بالازياء الايديولوجية القديمة . وغالبا ما كانت تستخدم المذاهب الدينية السائدة . وهذا امر يلزم تاريخ الاقطار الاسلامية بقدر اكبر مما يلزم تاريخ البلدان المسيحية .

ظهر الاسلام في المجتمع الحجازي في الثلث الاول من القرن السابع الميلادي ، وقد جسد ، فيما جسد ، التمايز الاجتماعي البدائي والعلاقات الطبقية الناشئة هناك . وللم يستطع النظام الديني للعرب المتجلى في القرآن وحده في بادئ الامر ان يلبي بالكامل متطلبات المجتمع الاكثر تطورا في البلدان الاخرى التي فتحوها . ودعت الحاجة الى اضافة طابع على الاسلام يستجيب بقدر اكبر لذلك المجتمع الاقطاعي ولمصالح طبقته الحاكمة . وهذا هو منشأ الكثير من الاحاديث عن سيرة النبي ونشاطه . وغدت تلك الاحاديث بمثابة مجموعة قوانين السلوك والاراء المعتمدة على سلوك وآراء الرسول لكافة احوال الحياة . واطلق على هذه القوانين اسم «السنة» .

وانتهى وضع الاحاديث على وجه التقريب في مطلع القرن العاشر الميلادي ، اي بعد حوالي ثلاثمائة عام من ظهور الاسلام . كان عدد الاحاديث ضخما جدا . وهي حتى بالشكل الذي جمعت فيه واقرت حسب الاصول الاسلامية تتضمن الكثير من الغموض والمتناقضات . وحتى الاحاديث الواضحة كانت تفسر باشكال مختلفة لصالح مختلف الفئات والجماعات ، وبموجب ظروف المكان والزمان . وفيما بعد اخذ كل تيار ديني يجد لنفسه احاديث تبرر توجهاته . واستخدم تفسير القرآن على هذا النحو ايضا . ولذا يمكن بخصوص تطور الفقه تكرار ما قاله الباحث المجري ا . غولدزيهير : «ان تاريخ الدين . . . هو في الوقت ذاته تاريخ تفسير التنزيل» (١٥) .

وتجسدت في السنة التقاليد الثابتة . الا ان تغير ظروف الحياة استوجب تغيير العادات وتغيير التقاليد على اثرها . ويجري تكيف الاسلام للواقع المتغير عن طريق تبريك التقاليد الجديدة

واثبات مطابقتها للسنة . ويتحقق ذلك بواسطة اجماع الفقهاء او بواسطة القياس .

اما المستجدات التى لم يرد ذكرها فى الاحاديث الصحاح فتنتعت بالبدع . وتبقى البدعة على طرفى نقيض مع السنة ما لم يتم اجماع عليها . وتعنى البدعة رأيا او شيئا او عملا لم يكن معروفا فى السابق او لم تجر العادة على ممارسته .

وهكذا كان تبريك البدعة وتحويلها الى حديث هو جواب الدين الاسلامى على تغير الحياة الاجتماعية والاقتصادية وهو رد فعل الاسلام على الواقع المحيط به وتكيفه لمتطلبات المكان والزمان . وفيما يخص مسألة فهم السنة ، والموقف من البدع بالاساس ، نشأت فى الاصولية الاسلامية (السنية) اربعة مذاهب ، واكثرها مرونة بهذا الخصوص المذهب الحنفى واكثرها تشددا الحنبلى الذى رفض البدع رفضا باتا . وتعتقد الحنبلية ان ما ينص عليه القرآن والسنة فقط ، وبالشكل الذى ينصان عليه فقط ، هو الشرعى من وجهة نظر الممارسة الدينية . بديهي ان الحنبلية تتناول طائفة واسعة من المسائل داخل الاسلام ، وان اختلافها مع المذاهب الاخرى يشمل ميادين متفرقة ، الا ان ما يميزها هو رفض البدع . ولكن من الصعب جدا البقاء على هذه المواقف المتشددة التى ترفض كليا امكانية تكيف الاسلام لمتطلبات الحياة . ولذا اضطرت الوهابية فيما بعد (وهى ، كما سنرى ، شكل متطرف للحنبلية) الى استحسان الاذاعة والتلفون والتلفزيون وقوانين العمل والضمان الاجتماعى . بيد ان رفض البدع حسول الحنبلية مع ذلك الى المذهب الاكثر تشددا من المذاهب الاسلامية ، مما ادى الى ضيق انتشاره . وظل الحنبلليون المتشددون يشكلون طائفة صغيرة فى مواجهة المذاهب الاسلامية الاخرى لانهم انطلقوا من مواقف اصولية المتناهية . فى حين كانت تعاليم الطائفة والشرك بمثابة النوافذ التى يتسرب منها التذمر . ولا يندر ان تنضوى حركات المظلومين تحت راية معتقدات الطوائف .

وكان من البدع التى دخلت الاسلام تقديس الاولياء . واذا كان الرومان يدرجون فى عداد آلهتهم آلهة المناطق التى يلدحونها بامبراطوريتهم من اجل تقوية التأثير الايديولوجى على المؤمنين فى تلك المناطق ، فان المسيحية سلكت لهذا الغرض

طريق عبادة الاولياء المحليين . وحل محل عبادة الالهة المحليين
تقديس القديسين المسيحيين الذى تشبّع بالعبادات السابقة بعد
تغييرها بالشكل المناسب . وسار الاسلام على طريق مماثل . فان
تقديس الاولياء فى الاسلام ذو اصل محلى جاهلى بالاساس . ولكن
الاولياء وانصار النبى وابرز الفقهاء ازالوا اصنام الجاهلية
والقديسين المسيحيين وحلوا محلهم . وبعد ان تشرب الاسلام
بتلك العبادات غدا ديننا شاملا عزيزا على جماعات واسعة في
مختلف المناطق والاصقاع .

وكان انتشار تقديس الاولياء يرتبط ارتباطا وثيقا
بنشاط متصوفى الاسلام . فقد نسبوا الى الاولياء القدرة على
اجتراح المعجزات مجتذبين جماهير المؤمنين . وقال المتصوفة ان
بلوغ الحقيقة الالهية غير ممكن الا بالحدس والاشراق الذى يتحقق
بمختلف الوسائل . والانسان يلتزم بالتقشف كي يندمج
بالخالق . وابدى المتصوفة ، وخصوصا فى الفترة المبكرة ، ازدهار
باعتبارات المجتمع الاقطاعى واستهانوا بالشعائر الاسلامية
المقننة .

فى القرن الحادى عشر ادخل الغزالى ، الذى هو بمثابة توماس
الاكوينى فى المسيحية بعض عناصر التصوف الى الاصولية
الاسلامية ، ومنها الحب الغيبى للخالق . وفى الوقت ذاته ادرج
الغزالى فى الاسلام بعض الافكار العقلانية التى قال بها الاشعرى
فقيه القرن العاشر الميلادى . وهكذا نشأ بالخطوط العريضة
مذهب سنى شامل يضم ليس فقط الجانب الدينى الشعائرى ، بل
وكذلك الفلسفة والقانون والشرعية ، والمبادئ السياسية والاصول
المعيشية وآداب السلوك .

وكان من ممثلى الاتجاه المتطرف فى الحنبلية الفقيه الشامى
تقى الدين بن تيمية (القرن الرابع عشر) . وهو من اهم الشخصيات
واكثرها تناقضا فى الفقه والفكر الفلسفى الاسلامى .

ففى الفقه كان فى خطبه ومؤلفاته ينادى بتغيير اشكال
الاصولية الاسلامية القائمة آنذاك ويضع السنة والبدع على طرفى
نقيض بشكل قاطع . وقد عارض كل البدع التى تبتعد عن اصول
الاسلام فى النظرية والتطبيق . كما عارض ابن تيمية ادراج اراء
العشرين الفلسفية فى الاسلام ، وعارض المتصوفة كما رفض

تقديس الاولياء والرسول . وشجب زيارة قبر الرسول في المدينة المنورة قائلا بانها لا تطابق الاسلام ، مع انها صارت تعتبر من سنين طويلة عملا متمما لحج بيت الله .

ورفض ابن تيمية اراء العلماء الذين استخدموا الاجماع ليضفوا طابعا شرعيا على مثل هذا التقديس . واستند الى السنة وحدها . وصار عماد الدين الحنيف ، الغزالي ، هدفا للحنبليين «الجدد» من اتباع ابن تيمية . وكان من شدة تطرف ابن تيمية انه اختلف في بعض المسائل حتى مع الحنبلين .

ولم يحظ هذا الفقيه الشامي بالاعتراف في حينه ، فقد كانوا يخرجونه من محكمة دينية الى اخرى حتى مات في السجن عام ١٣٢٨ بعد ان ترك حوالى ٥٠٠ مؤلف . وكانت جماعة صغيرة من اتباعه ، واولهم وابرزهم ابن القيم ، قد احاطت اسمه بهالة من التقديس . ويقول غولديهير «ان تأثيره فيما بعد استمر بصورة خفية طوال اربعة قرون . وكانت مؤلفاته موضع بحث دقيق وقد لعبت في الاوساط الاسلامية دور القوة الصامتة التى تفجر العداء للبدع من حين لآخر» (١٦) .

الاسلام في الامبراطورية العثمانية . اصبحت الحنفية المذهب الرسمي للاسلام في الامبراطورية العثمانية . وهى اكثر المذاهب الاربعة مرونة ، مع ان المذاهب الاخرى كانت تحظى بالاعتراف . وتعود الصياغة النهائية للنظام الدينى هنا الى القرنين الخامس عشر والسادس عشر . واتخذ السلطان العثمانى لنفسه لقب خليفة المسلمين ليعزز مكانته بذلك .

كان علماء الدين من اكثر جماعات السكان نفوذا فى الامبراطورية . وكان على رأس علماء الدين هناك مفتى الاستانة شيخ الاسلام الذى يضاهى منصبه منصب الوزير الاول . ويأتى بعده قاضيان ثم سائر علماء الدين الكبار . وحاول الباب العالى ان يشرف على العلماء عن طريق المصادقة على تعيين القضاة المحليين الذين يمارسون الرقابة على الشؤون الحقوقية والادارية والمحترسين الذين يتابعون التزام المؤمنين بمبادئ الاخلاق ويراقبون المنظمات الحرفية للصناع والتجار .

وكان الانحلال العام فى الامبراطورية العثمانية قد اصاب علماء

الدين المسلمين ايضا . فان فساد العلماء وجشعهم وظلمهم قد ألّب السكان عليهم .

وكان شيوخ المتصوفة الذين تغلوا في القرن الثامن عشر عن الكثير من مواقفهم المعارضة للسلطة قد اقتسموا الجاه والمال مع علماء الدين في الامبراطورية العثمانية في القرن المذكور . وغطت الامبراطورية شبكة من جماعات الدراويش المتصوفة . وازداد عدد الدراويش كثيرا آنذاك ، وارتبط بجماعاتهم كثير من المنظمات الحرفية والمهنية وسكان بعض الاماكن . فقد اشتهرت على نطاق واسع ، مثلا ، صلات جماعة الدراويش البكتاشيين مع الانكشارية . وكان المتصوفة لا يزالون كالسابق يعلقون اهمية استثنائية على تقديس الاولياء الذين يضمون ، عندهم ، كل الانبياء من آدم حتى محمد وكثيرا من الصوفيين المشهورين . وكان هناك اولياء على قيد الحياة . وايد علماء الدين السنة كذلك تقديس الاولياء ، وكل من عارض ذلك كان يجازف بالوقوع ضحية في ايدي المتعصبين . وكان المتصوفة ينشدون الاغاني ويعزفون على الآلات الموسيقية . وكان بعضهم يتعاطى المشروبات الكحولية ويدخن السجائر والمخدرات . كما كانوا يمارسون علم التنجيم والسحر وقراءة الغال .

كانت للجزيرة العربية علاقات واسعة ففى ميدان الفكر والثقافة ، فضلا عن العلاقات الاقتصادية والسياسية ، مع البلدان الاكثر تطورا في الشرقين الادنى والوسط . ومع ذلك فان بعض العزلة لهذه الجزيرة الشاسعة وخصائص نظامها الاجتماعى قد ولدت الكثير من الاشكال الخاصة للحياة الروحية هناك .

المعتقدات والعبادات في الجزيرة العربية قبل ظهور الوهابية .

مما يثير الانتباه انتشار الحنبلية في واحات نجد ، وكان ذلك ظاهرة فريدة بالنسبة للعالم الاسلامى . وعندما يذكر مؤرخو الوهابية وفاة الاشخاص المشهورين في عصرهم لا ينسون العلماء الحنبلين . فما هي اسباب بقاء الحنبلية في هذه الارحاء ؟

ان وسط الجزيرة المعزول بحكم طائفة من الملايسات عن المناطق الاخرى الاكثر تطورا في الشرق الاوسط لم يبتعد كثيرا عن مستوى النظام الاجتماعى الذى كان قد بلغه العجاز في فجر الاسلام ، اى مستوى المجتمع الاستغلاى البدائى لدرجة كبيرة .

وفي العقائد الاسلامية المبكرة التي وضعت في القرون الاولى لنشوء الاسلام كثير من الاشكال الفكرية للعلاقات الاجتماعية للحجاز في فجر الاسلام ، ومن اعراف وعادات مكة والمدينة التي باركتها الاحاديث . ولما كانت الحنبلية تعترف من حيث المبدأ بالاسلام المبكر فقط فقد كانت على العموم تستجيب لحاجات مجتمع وسط الجزيرة في القرن الثامن عشر .

كان وسط وشرق الجزيرة مهملين دوماً من الامبراطوريات الاسلامية في الشرق الاوسط . وقد حافظا على اصالتهما . ولذا كانت هناك ظروف ملائمة لمختلف تيارات «الزندقة» مثل الخوارج والاباضية . وخلال حقبة طويلة ظلت قائمة في الاحساء دولة القرامطة القوية ذات التركيب الاجتماعي الفريد .

اما بخصوص المناطق الاخرى في الجزيرة فان قسماً كبيراً من سكان عمان كانوا ينتمون الى الطائفة الاباضية ، وفي اليمن كانوا ينتمون الى الطائفة الزيدية الشيعية المعتدلة . وفي المناطق الشرقية والشمالية الشرقية للجزيرة والمرتبطة مع جنوب العراق ومع ايران كان الكثير من العرب من الشيعة . وفي بعض مناطق اليمن ونجران كان يقطن اليهود (١٧) . ويقول نيبور انه يصادف وجود صائبة في الاحساء (١٨) .

ان الاعلبية في مدن ووحدات الحجاز تتكون من المسلمين من مختلف المذاهب الاصولية .

وكانت جميع المذاهب الاسلامية في الجزيرة تتعايش بوثام مع عبادة الاولياء المنتشرة على نطاق واسع في الجزيرة كلها ، بل وحتى مع بقايا عبادة الاوثان . وقد ترك لنا ابن غنام وصفاً مفصلاً لمعتقدات سكان الجزيرة العربية (١٩) . فقد كتب عن الفترة التي ظهر فيها محمد بن عبد الوهاب يقول : «كان غالب الناس في زمانه متضمنين بالارجاس متلطنين بالانجاس . . . فعدلوا الى عبادة الاولياء والصالحين وخلعوا ربقة التوحيد والدين . . . » وكانوا يترددون على الاولياء او على اضرحتهم طالبين منهم عمل الصالحات او تخليصهم من المصائب والخائبات ، ويرجون ذلك من الاحياء والاموات . وكثير منهم «يعتقد النفوس والاضرار في الجمادات كالاحجار والاشجار . . . ولعب بعقولهم الشيطان . . . وجعلوا لغيره ما يجوز صرفه الى سواه وزادوا على اهل الجاهلية» .

«وكان في بلدان نجد من ذلك امر عظيم والكل على تلك الاحوال مقيم». وفي وادي حنيفة كان هناك ضريح زيد بن الخطاب . وكانوا يترددون عليه راجين تخليصهم من المصائب والنكبات . وفي الجبيلة والدرعية كانوا يقدسون قبورا دفن فيها ، كما يقال ، بعض انصار الرسول . وفي منطقة الفدا كانت تنمو نخلة يأتى اليها الرجال والنساء يطلبون التبريك ويقومون «باقبح الافعال» . وتتقاطر على النخلة النساء العانسات وكل منهن تصيح «اريد زوجا . .» . وكان الناس يلتفون حول النخلة ويلقون عليها الزينة .

وعلى مقربة من الدرعية كان هناك غار مقدس يسمى غار بنت الامير يتركون فيه الخبز واللحم . ويقال ان بعض الارجاس ارادوا ذات مرة ان يوقعوا ببنت الامير ، فاستعانت بالله وانفتح الجبل امامها عن الغار الذي صار محجة للعباد . وفي الخرج على مقربة من الدرعية ، كان يعيش ولى اسمه تاج . وكانوا يتوجهون اليه طلبا للتبريك ويرجونه تحقيق المعجزات وازالة الغمة . وكانوا يدفعون له لقاء ذلك . اشتهر الولي بانه اعمى ولكنه يسير من غير قائد يقوده . وكان الحكام المحليون يخافونه .

وفي مكة يوجد ضريح ابي طالب وقبر ميمونة بنت الحارث ام المؤمنين وقبر خديجة وغيرها . وكان الرجال والنساء يخاطبون هذه القبور بصيحات عالية طالبين منها العون . وكان الشيء ذاته يجرى عند قبر عبد الله بن عباس في الطائف .

ويقال ان «قبر حوى» موجود في جدة . وانشى هناك معبد يأوى اليه المفلسون والمدينون والصلوص . وحتى الشريف لا يستطيع اخراجهم منه . ففي عام ١٧٩٥/١٧٩٦ التجأ الى هذا المعبد تاجر بلغت ديونه ٧٠ الف ريال ، وبذلك ارغم دائنيه على تأجيل الدفع . وكانت القرابين تذبح عند قبور الاولياء .

وفي اليمن كانت تجرى مواكب يطعن المشاركون فيها انفسهم بالسكاكين .

وسمع ابن غنام عن عبادة الاولياء خارج الجزيرة ايضا . ففي الشام ومصر الامثلة على ذلك كثيرة حتى ان المؤرخ لم يذكرها . واعرب عن استيائه كذلك من عبادة ضريح الامام علي في العراق . وكتب يقول ان الشيعة كانوا يعتقدون بان زيارة هذا الضريح افضل

من سبعين حجة . ويذكر ابن غنام الاضرحة والمساجد الكثيرة حول
قبور الاولياء في البصرة والساحل الشرقى من الجزيرة العربية
والبحرين .

وتوجد معطيات تفيد بوجود المتنبيين فى بعض الاماكن . وقد
شجبههم محمد بن عبد الوهاب بحزم (٢٠) .

وقال عبد الرحمن بن حسن حفيد محمد بن عبد الوهاب ان
الاعراب كانوا آنذاك ينحرون القرايين للجن ويطلبون منها ان
تشفيهم من الامراض (٢١) . وكتب بلغريف يقول : «قبل ظهور
الوهابية كان سكان الجوف (فى شمال الجزيرة) ، شأنهم شأن
جميع سكان الجزيرة ، قد انهمكوا فى عبادة شبه وثنية وراحوا
يقدمون الجنى المحلى» . وحتى بعد مرور اكثر من مائة عام على
ظهور الوهابية كان سكان الجوف ، كما لاحظ بلغريف ، «شأن
اغلبية اشقائهم قد استبدلوا من زمان المحمدية بالصنمية المحلية
والعبادة شبه السبائية والابتهالات الموجهة الى الشمس ونحو
القرايين للموتى» (٢٢) .

البدو والاسلام . يشير جميع دارسى الجزيرة العربية الى ان
الاسلام يغرس بصعوبة بين البدو . وقد اشار فولنى فى حينه الى
موقف البدو اللامبالى من الفرائض الاسلامية . «فالبدو القاطنون على
الحدود مع العثمانيين يتظاهرون بانهم مسلمون لاعتبارات سياسية ،
ولكنهم ضعيفو الايمان وتدينهم ضعيف الى درجة يعتبرون معها كفر
ليس لديهم نبى ولا قانون . وهم بانفسهم يعترفون بان دين محمد
فوق مستواهم . فكيف تقوم بالوضوء اذا كنا لا نمتلك ماء ؟ وكيف
نقدم الصدقة اذا كنا لسنا اغنياء ؟ وما حاجتنا الى الصيام فى شهر
رمضان اذا كنا صائمين طوال العام ؟ ولماذا نذهب الى مكة اذا كان
الله موجودا فى كل مكان ؟» (٢٣) .

ويقول بوركهاردت ان البدو قبل الوهابية غالبا ما كانوا لا
يعرفون الاسلام عموما (٢٤) .

ويؤكد بلغريف «ان دين محمد لم يحدث طوال ١٢ قرنا الا
تأثيرا ضعيفا او لم يحدث اى تأثير بين جماهير البدو الرحل . . .
وفى الوقت ذاته فان البدو المحاطين بمسلمين صادقين بل ومتعصبين
والمعتمدين عليهم احيانا كانوا يعتقدون فى بعض الاوقات ان من
الحكمة القول بانهم مسلمون» (٢٥) .

ويقول مونتان ان البدو الذين يهتدون بالاجرام السماوية في تجوالهم قد ابتدعوا عبادة الشمس والقمر والنجوم (٢٦) . واستنادا الى مراقبة قبائل شمال الجزيرة استنتج بلغريف «ان الاله بالنسبة للبدو هو زعيم يقيم اساسا ، كما يخيل الينا ، على الشمس وهم يجسدونه بالشمس بمعنى ما» (٢٧) .

وهذا ما التفت اليه ايضا الرحالة الفنلندي فالين الذى طاف الجزيرة العربية فى منتصف القرن التاسع عشر . فقد كتب يقول «ان قبيلة «معزة» ، شأن اغلبية القبائل التى لم ترغم على تبنى تعاليم الطائفة الوهابية الاصلاحية فى فترة تصاعد سلطتها فى الجزيرة ، لا تعرف اطلاقا الدين الذى تعتنقه . وبالكاد اذكر انى صادفت احدا من افراد القبيلة الذين كانوا يؤدون الفرائض الاسلامية او لديهم ابسط فكرة عن اصول الاسلام واركانه الاساسية . ويمكن فى الوقت ذاته قول العكس بدرجة معينة عن البدو الذين صاروا من الوهابيين او كانوا منهم فى السابق» (٢٨) .

وبعد عدة عقود من رحلات فالين كتب دافليتشين وهو احد ضباط الاركان العامة فى جيش روسيا القيصرية : «ان اعراب البادية لا يتميزون بالتدين اطلاقا ، وهم يخلطون مع الدين كثيرا من العادات والاساطير الفريدة التى تتعارض تماما مع التعاليم الاسلامية» (٢٩) .

وظلت باقية عند البدو عبادة الاجداد . فقد كتب جوسان ان البدو كانوا يقدمون القرابين للاجداد او لله عن طريق الاجداد . ويجرى ذلك بفخفخة كبيرة بعد الانتصار فى الغزو . ولا يفوت الرولة اية مناسبة لنحر ناقة على قبر جدهم احياء لذكراه (٣٠) . ويرتبط بعبادة الاجداد وجود «المركب» عند البدو ، وهو عبارة عن هودج خاص على ظهر الجمل يعتقدون بانه ملجأ لروح جدهم ، ولذا يقدمون له القرابين . ويجلس فيه الحادى وهو عبد او غلام ، واحيانا بنت الشيخ او اجمل فتاة فى القبيلة تستحث المحاربين فى القتال (٣١) . ولا بد ان نتذكر بهذا الخصوص كاهنات الجاهلية اللواتى كن يمتطين الابل ويستحثن البدو فى القتال .

وهكذا كانت فى الجزيرة العربية قبيل ظهور الوهابية طائفة واسعة من المذاهب والاتجاهات الاسلامية ابتداء من الحنبلين وسائر مذاهب السنة وانتهاء بالزيدية والشيعة والاباضية . كما

انتشرت على نطاق واسع عبادة الاولياء والصالحين ، واختلطت بالاسلام او حلت محله المعتقدات والعبادات الجاهلية كالسحر والوثنية وعبادة الشمس والارواح والجمادات وعبادة الاجداد . تلك هي التركة الروحية التي نشأت على اساسها اراء محمد بن عبد الوهاب ، وتلك هي البيئة التي عاش فيها .

التوحيد وشجب عبادة الاولياء هما اساس مذهب الوهابية . ان الطريق الذي قطعه محمد بن عبد الوهاب في تكوين مذهبه يتلخص ، على ما نعتقد ، في الدراسة المباشرة منذ الطفولة للفقه الاسلامي والطموح الى معالجة الدين وتغيير الحياة الاجتماعية طبقا للمثل العليا للاسلام بعد تفسيرها وفهمها بشكل متميز . ويمكن ان نتصور كيف اوضح ابن عبد الوهاب لنفسه الخلل والاضطراب والتشويش في العالم المحيط به : فقد نسي الناس الاسلام الحقيقي وذلك هو سبب الانحطاط الخلقي العام الذي تنجم عنه المشاكل السياسية والفوضى الاقتصادية والركود والخراب . وبغية انقاذ العالم الغارق في الآثام لا بد من تنقية الدين واستعادة الشكل الذي كان عليه في القرون الثلاثة الاولى من نشوئه .

ان اهم فكرة كانت تدور في بال ابن عبد الوهاب اثناء رحلاته ودراسته للفقه هي التوحيد الذي هو المحور الرئيسي للاسلام . وهو يعتقد بان التوحيد يعنى الاعتقاد بان الله وحده خالق العالم وسيده الذي يمنحه القوانين . ولا احد ولا شيء مما خلقه بقادر على الخلق مثله (٣٢) . والله ليس بحاجة الى معونة من احد مهما كان عزيزا عليه . والله على كل شيء قدير . وما من احد غيره يستحق التبجيل والاجلال والتقدير (٣٣) .

الا ان العالم الاسلامي في رأى الواهبين ابتعد عن مبادئ التوحيد . فالناس ينساقون وراء البدع التي هي ام الكبائر (٣٤) . ويمنحون ما خلقه الله صفات الخالق وقدراته . فهم يؤمنون اضرة الاولياء والصالحين ويقدمون لهم النذور والقرايين ويطلبون العون منهم معتقدين بانهم قادرون على عمل المعروف والنهي عن المنكر (٣٥) . ويطلقون نعوت الله حتى على النباتات والاحجار ، الامر الذي يتعارض مع التوحيد الحقيقي (٣٦) .

وطالما لا يجوز «الاشراك بالله» (٣٧) او اطلاق نعوته على ما خلق فيجب تحديد وضبط الشعائر ، اذ ان البدع لا تجوز فيها ايضا .

ويقول الوهابيون : لا يجوز تقديم القرابين الا لوجه الله . ولا يجوز طلب المعونة الا من عند الله . ولا يجوز الاستجارة الا بالله (٣٨) . فالملائكة والرسل والاولياء والصالحون لا يمكن ان يشفعوا للمسلمين امام الله على آثامهم (٣٩) . ولا يجوز تقديم النذور الا لوجه الله (٤٠) . ولا يجوز الافراط في تبجيل الصالحين وانصار الرسول والاولياء . ولا يجوز بناء الحضرات حول قبورهم ، ولا يجوز الافراط في العناية بقبورهم وتحويل اضرحتها الى اصنام . يجب احترام الاولياء وتقديرهم ولكن لا تجوز عبادتهم (٤١) .

وكان للوهابيين موقف خاص من النبي محمد . فقد كانوا يعتبرونه انسانا من البشر اختاره الله لاداء رسالة النبوة . ولكن لا يجوز تأليهه وعبادته ولا يجوز طلب شيء منه . كما لا يجوز تقديس قبره ، ولكنه يمكن زيارته دون طلب شيء منه او الاستنجاد والاستغاثة به . الا انه سيسفح للمسلمين امام الله في يوم القيامة . ولا يجوز عبادة الاماكن المرتبطة بحياة محمد (٤٢) .

واعتبر الوهابيون جميع انواع العبادات والمعتقدات التي تتعارض مع هذه المبادئ «شركا» .

ودعا محمد بن عبد الوهاب الى مكافحة السحر وشعوذة (٤٣) وقراءة الفأل مع انه لم يركز على ذلك . وشجب كذلك بقايا الوثنية مثل التعويذ والرقى والطلاسم (٤٤) .

ان مصدر الاسلام في رأى الوهابيين هو الكتاب والسنة فقط . وكانوا يعترفون بالائمة الاربعة مؤسسي المذاهب السنية (٤٥) ، وكذلك بشيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية وابن القيم . (القرن الرابع عشر) . ولكنهم رفضوا في الواقع نظريات وممارسات جميع الاجيال اللاحقة . وقد اخطأ بعض الرحالة والباحثين عندما قالوا بان الوهابيين يرفضون السنة كلها ولا يعترفون الا بالقرآن وحده (٤٦) .

ان «الوهابية» تسمية اطلقها على هذه الحركة خصومها او الناس من غير ابناء الجزيرة . وقد ترسخت هذه التسمية في مطبوعات المستشرقين . اما اتباع محمد بن عبد الوهاب فكانوا يسمون انفسهم بالتوحيديين او المسلمين فقط ، ولا يسمون بالوهابيين اطلاقا . وقد اقتبس الوهابيون تشكيلة حججهم وتهجمهم الشديد على عبادة الاولياء وعلى البدع من ابن تيمية وابن القيم . صحيح ان

الوهابيين لم يتعمقوا في القضايا الدينية والفلسفية المعقدة كما فعل ابن تيمية . واعلنوا انهم يختلفون مع هذا الفقيه في بعض المسائل الشعائرية والمعيشية الطفيفة (٤٧) . الا ان مؤلفات ومؤلفات ابن القيم كانت في الواقع ملازمة لهم . وقد استشهد محمد بن عبد الوهاب مرارا بمقتطفات من ابن تيمية وابن القيم . وظلت محفوظة بعض مؤلفات ابن تيمية منسوخة بخط محمد بن عبد الوهاب (٤٨) . واستشهد بفتاياه القرن الرابع عشر كذلك مؤرخ الوهابيين ابن غنام (٤٩) . وكتب عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب يقول : «وعندنا ان الامام ابن القيم وشيخه (يقصد ابن تيمية) اما ما حق من اهل السنة وكتبهما عندنا من اعز الكتب» (٥٠) . لقد بعثت الوهابية في الاسلام النهج المتشدد الذي يرفض كل البدع ويدعو الى العودة الى الكتاب والسنة غير المشوهة .

ومن ناحية الاصول الاسلامية يبدو الوهابيون من انصار الاستقامة في الدين الحنيف . وهذا هو رأيهم ورأى اغلبية الباحثين الموضوعيين من عرب وغيرهم ، من معاصري حركتهم في بدايتها ومن ابناء الاجيال اللاحقة .

ويقول بوركهاردت ان فقهاء القاهرة المعارضين للوهابية عموما قد اعلنوا بانهم لم يعثروا على اثر للزندقة في تعاليمها ، ولما كان هذا التصريح قد ادلى به اصحابه على مضض فهو لا يشير الكثير من الشكوك . وبعد ان قرأ العديد من فقهاء القاهرة كتابا للفه محمد بن عبد الوهاب اعلنوا بالاجماع انه اذا كان هذا هو رأى الوهابيين فانهم ، اي الفقهاء ، يؤيدون هذه العقيدة دون قيد او شرط (٥١) . واكد الفقيه الجزائري الناصري ان معتقدات الوهابيين صائبة تماما (٥٢) . وأشار المؤرخ البصري ابن سبويه الى ان الوهابيين هم حنبليو الازمان السالفة (٥٣) . ويعتقد ل . كورانسيز ان الوهابية هي الاسلام في نقاوته الاولى (٥٤) .

وفي العصر الحديث كتب طه حسين يقول ان هذا المذهب . . . «ليس الا الدعوة القوية الى الاسلام الخالص النقي المطهر من شوائب الشرك والوثنية» (٥٥) .

الا ان الوهابيين الاوائل ، كما نعتقد ، طائفيون لانهم عارضوا المذهب السني بشكله الذي كان سائدا آنذاك وان كانت معارضتهم مطلقة من مواقع تنقية هذا المذهب . واعتمدوا على ابن تيمية في

نضالهم ضد السنة القويمين (وشيوخهم الغزالي) . وكان النضال ضد
المعتقدات السائدة انطلاقا من النزعة القويمة الاكثر تشددا يتسم
بطابع طائفي مثل محاولات تحطيم او تجديد او تغيير بعض اسسها .
وفى القرن العشرين فقط ، عندما ذابت او امحت المظاهر المتعصبة
جدا فى الوهابية فقدت الحركة نفسها شكلها الطائفي المتشدد .

وقد انتشر على نطاق واسع فى المطبوعات الاوربية والعربية
نعت الوهابيين بالصفاء والنقاوة وبأنهم «بروتستانت الاسلام» .
وكان كورانسيز اول من استخدم هذا النعت (٥٦) وكرره بعده
بوركهاردت (٥٧) . وتلك مقارنة للوهابيين بالتيارات الاوربية فى
الحركة الاصلاحية فى القرون الوسطى حسب سمة شكلية صرف ،
اى حسب الطموح الظاهرى الى «تنقية» الدين الاول «الحقيقى» من
الشوائب التى علقته به فيما بعد . ومن هذه الناحية فقط يمكن
الكلام عن التشابه الخارجى بين ظاهرتين مختلفتين تمام الاختلاف
من حيث مضمونهما الاجتماعى والسياسى .

لقد ظهرت الوهابية فى ظل انفصام نفسانى خطير وفى ظروف
عدم الرضا من حالة الحياة الروحية آنذاك ، وكانت بمثابة رد فعل
على الازمة الروحية فى مجتمع الجزيرة العربية ، وخصوصا مجتمع
نجد ، الذى كانت تهوم فيه ، ربما بصورة غير واعية ، مطامح
تبتغى مثالا عليا جديدة .

ولم يكن محمد بن عبد الوهاب الشخص الوحيد الذى شعر
بحاجة الى تجديد الاسلام فى الجزيرة العربية فى ذلك العصر . فليس
من قبيل الصدفة ان معلمه فى المدينة المنورة عبد الله بن ابراهيم
بن سيف كان يعد «سلاحا فكريا» لتغيير الدين . وكان فقيه صنعاء
محمد بن اسماعيل (توفى عام ١٧٦٨/١٧٦٩) قد دافع فى مؤلفاته
عن الدين الخالص . وعندما سمع بدعوة محمد بن عبد الوهاب الف
قصيدة فى مدحه (٥٨) . وكان فى اليمن فقيه اسمه محمد المرتضى
(توفى عام ١٧٩٠) وكان يستنكر سلوك الدراويش (٥٩) . وفيما
بعد نشط فى اليمن فقيه آخر لقبه الشوكانى (توفى عام ١٨٣٤) ،
الف كتبها ووضع شروحا لمؤلفات ابن تيمية . وفى تلك الكتب
والشروح رفض زيارة القبور وعبادة الاصنام معتبرا ذلك اشراكا
بالله . وربما كانت له صلة بابن عبد الوهاب فى نجد (٦٠) .
ولا يستبعد ان هذه الاسماء ليست كل ما فى قائمة الاشخاص

الذين صاروا وهابيين فيما بعد وصاغوا تعاليم الوهابية . وكما هو الحال اثناء الانعطافات الاجتماعية والسياسية الكبيرة الشأن بهذا القدر او ذاك يظل تحليلها الفكري «معلقا في الهواء» ان صح القول . ووقعت بذور الدعاية الوهابية فى تربة كانت ممهدة بهذا القدر او ذاك لتقبل المذهب الجديد ونمت حيثما توفرت الظروف الاكثر ملاءمة لتحقيق الافكار الاجتماعية والسياسية التى طرحها الوهابيون .

ان التعاليم الوهابية تتناول بقدر كبير ميدان علم اصول الدين ، ولكن لها من الناحية الاجتماعية والسياسية مضمونا اصيلا لا جدال فيه . ولا يغير من جوهر الامر ان مؤلفات محمد بن عبد الوهاب تتكون بنسبة ٩٠-٩٥٪ من مقتطفات مأخوذة عن فقهاء القرون الاولى من نشوء الاسلام ومن الاحاديث الصحاح .

المضمون الاجتماعى للوهابية . تتضمن مؤلفات مؤسس الوهابية احكاما لا لبس فيها وهى تجسد مصالح الوجهاء وموجهة ضد الفقراء . فالجمهور البسيط يجب ان يخضع لاصحاب السلطة (٦١) ، كما يؤكد طبقا لاصول الاسلام . وان عذاب الجحيم من نصيب كل متمرد على الامراء (٦٢) .

واعتبرت الوهابية دفع الزكاة واجبا وليس مطلبا طوعيا ، وبذلك جعلت الضرائب المركزية المفروضة لاستغلال السكان ، بمن فيهم البدو ، مبدءا دينيا لا مناص منه (٦٣) .

ان الاشخاص الذين يعتنقون الوهابية لا يعفون من واجباتهم ازاء اسيادهم او دائنيهم . وقال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ان خصوم الوهابية يكذبون عندما يزعمون «بان من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون» (٦٤) . .

وقد قدمت الوهابية نظاما دقيقا جدا للتمويه على القهر والتفاوت الطبقيين ، وهو نظام مقتبس من تقاليد الاسلام التى مر عليها آنذاك اكثر من الف عام . فقد طالبت الوهابية الامراء والوجهاء بمعاملة الرعية بالعدل ، اى بتنظيم القهر الطبقي . ودعا الوهابيون الى العناية بالعبيد والخدم والاجراء (٦٥) . وكانوا يغازلون مشاعر الفقراء بمدح الفقر وذم الجشع زاعمين بان الفقير يدخل الجنة بصورة اسهل (٦٦) . ولاحق الوهابيون فى التطبيق نشاط المرابين (٦٧) .

وكانت التعاليم الوهابية تدعو الى الوثام الاجتماعى : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته : فالامام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل

راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ومسؤولة عن رعيته ، والولد راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (٦٨) .

وكان ذلك ، وإن بصورة جزئية ، هو هدف تقوية التبشير «باخوة» المسلمين (٦٩) . وبعد حوالي مائة وخمسين عاما من ذلك استخدمت فكرة «الاخوة» بشكل مكيف بعض الشيء في حركة الاخوان . وأكد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب قائلا : «والعرب اكفاء بعضهم لبعض ، فما اعتيد في بعض البلاد من المنع دليل التكبر وطلب التعظيم ، وقد يحصل بسبب ذلك فساد كبير» (٧٠) .

بديهي ان المذهب الوهابي ينطوى على طائفة من الاصول الاخلاقية الصالحة لمختلف فئات السكان والمختلطة مع التوجهات الطبقية . فقد اوصت الوهابية الناس بالطيبة والحرص (٧١) وتنفيذ الوعود التي يقطعونها على انفسهم (٧٢) وبالصبر (٧٣) والصدق ومساعدة الضير وعدم ممارسة الافتراء والنميمة والثروة . وادانت الوهابية البخل والحسد وشهادة الزور والجبن (٧٤) . وحددت الوهابية ادق تفاصيل السلوك البشري . وقدمت النصائح فيما يخص كيفية الضحك والعطاس والتثاؤب والمعانقة والمصافحة والتنكيت وهلمجرا (٧٥) .

ومما لا جدال فيه ان الوهابية كانت بقدر ما تتميز بالسماح الملازمة للحركات الشعبية التعادلية الموجهة ضد الظلم الطبقي المفرط . الا ان الظلم المنظم يبقى ظلما ، والاستغلال المعتدل يبقى استغلالا مع ذلك . ولم يكن بوسع اية تغييرات سطحية في آلية العلاقات الطبقية التي دعت اليها الوهابية ان تغير من جوهر هذه العلاقات مع ان الفلاحين الذين يتعرضون للاستغلال قبل غيرهم لم يواجهوا ذلك باللامبالاة . فالفلاحون يلتزمون دوما جانب دعاة تخفيف او «تنظيم» الاستغلال . ولذلك حظى الوهابيون لدرجة كبيرة بتعاطف فلاحى نجد في اواسط القرن الثامن عشر عندما اشتد الظلم الطبقي والاستغلال .

ومع ذلك كان مركز ثقل المذهب الوهابي متواجدا في الميدان السياسي اكثر مما في الميدان الاجتماعي .

التعصب والجهاد . كان الوهابيون يعتبرون جميع المسلمين

المعاصرين لهم والذين لا يؤمنون بتعاليمهم أكثر شركا من الجاهليين
في الجزيرة العربية (٧٦) .

وكان سليمان شقيق محمد بن عبد الوهاب قد تزعم لامد طويل
الحركات المناوئة للوهابية في العديد من واحات نجد . وقد اشار
الى ان التعصب من السمات الملازمة للوهابية . وكتب المؤرخ
الحجازي ابن زيني دحلان «وقال له اخوه سليمان يوما كم اركان
الاسلام يا محمد بن عبد الوهاب فقال خمسة فقال بل انت جعلتها
سته السادس من لم يتبعك فليس بمسلم هذا ركن سادس عندك
للالاسلام» (٧٧) .

وكتب عن هذا التعصب ايضا ابن سند : «واعلم ان اتباع ابن
سعود عندما قتل طعيس العبد الاسود ثوينيا (شيخ المنتفق في
الفرات الاوسط) مدحوه وحمدوه بقتل ثويني لكنهم يعتقدون كفر
ثويني بل وكفر جميع من على وجه الارض من المسلمين الذين لم
يعتقدوا معتقدهم . . .» (٧٨) .

ان الوهابيين عندما عارضوا الشكل السائد للاسلام آنذاك قد
ساروا الى ابعد من الطائفيين العاديين . ويعتقد بيلاي «ان اتباع
جميع الاتجاهات والتيارات والطوائف في الاسلام يعتبرون مسلمين
بموجب التصورات الراسخة لدى المسلمين انفسهم» (٧٩) . اما
الوهابيون فلا يعتبرون خصومهم مسلمين بل مشركين وكانوا
يعتقدون ان جميع الذين سمعوا دعوتهم ولم يتبعوها كفر . وفيما
بعد كان موقف الوهابيين حتى من «اهل الكتاب» اخف من موقفهم
من المسلمين غير الوهابيين . فقد سمحوا لليهود والنصارى
بالصلاة في المنازل وفرضوا جزية طفيفة على كل واحد منهم (٨٠) .
وعندما كان الوهابيون يحتلون واحة او مدينة يحطمون الشواهد
والاضرحة على قبور الاولياء والصالحين ويحرقون كتب الفقهاء الذين
يختلفون معهم (٨١) .

وربما كانت الممارسات الدينية للوهابيين تختلف عن مذهب
ابن عبد الوهاب ووصاياه الرسمية . وقد اتهم فقهاء كثيرون
الوهابيين بعدم احترام الرسول . وينكر المؤلفون الوهابيون
المحدثون جميعا هذا الاتهام بغضب شديد . ولعل الرغبة في التقليل
من مكانة النبي محمد بوصفه «خليل الله» قد ادت عمليا الى التقليل
من دوره في الاسلام وتجلت في «عدم الاحترام» المذكور .

وانتشر على نطاق واسع الرأى القائل بان الوهابيين منعوا تعاطى القهوة (٨٢) . الا ان الوقائع تدحض هذه الاقوال ، ولكنه لا يستبعد ان بعض المتعصبين جدا قد رفضوا هذا الشراب .

واتخذ التعصب بين الوهابيين اشكالا متطرفة جامعة . فان اعتقادهم بان خصومهم كفرة ومشركون صار مبررا للتساوة ضدهم . وفى الوقت ذاته صار التعصب وسيلة لتلاحم وانضباط الوهابيين حيث يستحثهم على تحقيق المآثر الحربية والقيام بالحملات والغزوات على المشركين . وهكذا تهيأت المقدمات الفكرية لاعلان الجهاد ضد جميع المختلفين مع الوهابيين .

فهل من داع للكلام عن المزايا التى يوفرها المذهب الوهابى للامير الذى يتسلح بهذا المذهب ؟ فهو يتحول من زعيم لغزوة عادية على جيرانه الى مناضل فى سبيل الدين النقى ، اما خصومه فيصبحون من خدم الشيطان وعبداء الاوثان والمشركين . وعندما اعتبرت الوهابية الجهاد من اهم مسلماتها صارت منذ ظهورها ايدىولوجية للتوسع الحربى .

الاتجاهات التوحيدية . لم تكن الوهابية مجرد راية لحروب الغزو والفتح ، بل كانت تبريرا فكريا للاتجاهات التوحيدية فى الجزيرة العربية . فان معارضة عبادة الاولياء وتحطيم اضرحه الصالحين وقطع الاشجار المقدسة - كل ذلك كان يعنى فى ظروف الجزيرة العربية تحطيم السند الفكرى والروحى للتجزئة الاقطاعية العشائرية . فان وجهاء واحة ما عندما ظلوا بدون ولى خاص بهم فقدوا حقهم بالتفوق والاصالة كما فقدوا عائدات زيارة ضرايح هذا الولى .

واكد الوهابيون ان على الناس البسطاء ان يطيعوا حاكمهم ، الا اذا امر بمعصية (٨٣) . وكان المناضلون فى سبيل التوحيد ، وعلى رأسهم ابن عبد الوهاب ، هم اعلى جهة يرجع اليها الناس فى تحديد المعصية . وان اى عمل يقوم به الحكام ضد امير الدرعية يعنى الرعية من واجب الانصياع لهم ويحطم سند سلطة الحكام المحليين . وكانت الوهابية تنطوى بالدرجة الاولى على افكار توحيد نجد ووجهائها فى الصراع ضد خصومهم التقليديين اشراف الحجاز . فقد منعت الوهابية زيارة العتبات المقدسة فى مكة والمدينة (ما عدا الكعبة) ومنها قبر الرسول ، الامر الذى كان سيحرم الحجازيين من

قسم كبير من عائداتهم . وفى تلك الظروف التاريخية كان الحجازيون يتعاطفون مع الصيغة الرسمية للإسلام فى الامبراطورية العثمانية التى هى المصدر الرئيسى للحجاج . وكان فقهاء الحجاز يخشون من تضييع منزلتهم ومعها امتيازاتهم وعائداتهم فى حالة انتصار الوهابيين . ولذا فمن الطبيعى ان علماء الحرمين لم يوافقوا على ان يقوم احد النجديين بتعليمهم الاسلام «الحقيقى» .

ويتضح من احكام وممارسات الوهابية اتجاهها المحدد تماما والمناهض للصوفية ، وعلى وجه الدقة شجبتها للصوفية بالشكل الذى انتشرت به فى الامبراطورية العثمانية فى القرن الثامن عشر . صحيح ان تعاليم الوهابيين لم تتضمن تهجمات سافرة على هذا التيار فى الاسلام . حتى ان عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب قال ذات مرة انه ليس ضد الصوفية (٨٤) . الا ان هذا القول ، على ما يبدو ، مجرد استدراك تكتيكى . فمن وجهة نظر الوهابية الحقيقية المعتمدة على الكتاب والسنة وتعاليم فقهاء القرون الثلاثة الاولى للإسلام تعتبر الصوفية بدعة وواحدة من امهات الكبائر . وان شجب عبادة الاولياء ورفض السحر والشعوذة موجهان فى الواقع ضد الدراويش المتصوفة . ولا يغيبن عن البال ان منع التبغ والافيون (٨٥) والمسبحة والموسيقى والانشاد الصاحب وحلقات الذكر والرقص واحد من اهم محرمات الوهابية الثابتة (٨٦) . وكان هذا المنع يشمل على الاكثر الممارسات الفعلية ، ففى مؤلفات الوهابيين نجد الاهتمام به اقل مما فى كتابات الرحالة الاوربيين .

وعندما عارض الوهابيون البدع من حيث المبدأ وساروا باحكام الحنبلية الى حدها الاقصى رفضوا فى الواقع المذهب السننى الرسمى للامبراطورية العثمانية ، اى الحنفية . ولذلك يمكن القول بان الوهابيين عارضوا الاسلام بالشكل الذى كان قائما به فى الامبراطورية العثمانية .

ان حظر التبغ والالبسة الحريرية والاحتفالات الصاخبة لم يكن يمثل مجرد موقف من البدع يطبق عمليا . فقد كان رد فعل لسلطان نجد على المظاهر الخارجية لنمط حياة الوجهاء العثمانيين . وكتب بوركهاردت «ان الوهابيين يحتقرون الفخفة فى اردية الحجاج الاتراك» (٨٧) . وقال ان اعراب الجزيرة متدمرون من المحاكم الفاسدة والتعسف فى الامبراطورية العثمانية ومن لاجاة الاتراك ومن

الشذوذ الجنسي الذى يمارسونه على المكشوف (٨٨) . وأشار ج . رايمون ، وهو مدفعى فرنسى كان يعمل فى خدمة والى بغداد ، الى ان الميول المعادية للاتراك كانت منتشرة على نطاق واسع فى الجزيرة العربية . وقال له احد الاعراب : سيأتى اليوم الذى نرى فيه العربى جالسا على عرش الخلافة . فقد مر علينا زمان طويل ونحن تحت نير مغتصبى السلطة (٨٩) .

ان تمرد الوهابيين على الاسلام العثمانى ، كما بينت الاحداث ، قد تجاوز كثيرا الاطار الدينى واتسم بطابع سياسى وعسكرى . لقد كان ذلك صداما بين نظام الدولة العربى فى الجزيرة وبين الامبراطورية العثمانية . وصارت الوهابية راية للحركة الوطنية العربية ضد النفوذ العثمانى فى الجزيرة .

وكان اتجاه الوهابيين المستشرس ضد الشيعة ينطوى كذلك على جنين افكار النضال ضد الفرس بوصفهم من غلاة الشيعة ، الا ان ذلك لم يظهر خلال الاحداث اللاحقة على نطاق واسع من الناحيتين العسكرية والسياسية .

* * *

كان مذهب الوهابية نتيجة لازمة روحية خطيرة فى الجزيرة العربية اساسها العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وقد شكل هذا المذهب جناحا متطرفا للحنبلية ، اذ رفض كل البدع فى الفرائض والعبادات وطالب بالعودة الى الكتاب والسنة فقط .

ومن الناحية الاجتماعية كانت الوهابية تخدم مصالح الوجهاء ، فقد باركت ونظمت وموهت علاقات الظلم والاستغلال . وكانت فى الوقت ذاته تنطوى على عناصر ملازمة لحركات المساواة التعاقدية ، الامر الذى استهوى جماهير واسعة من سكان الجزيرة .

وعندما وضع مذهب محمد عبد الوهاب الوهابيين على طرفى نقيض مع سائر المسلمين حولهم الى طائفة متراصة واجج التعصب لديهم . وكانت ضرورة الجهاد ضد المشركين التى اعلنها مذهب الوهابية قد جعلت منه راية لحروب الفتوح والغزوات .

وصارت الوهابية سلاحا فكريا لحركة التوحيد المركزية فى شبه الجزيرة العربية .

وقد بارمّت الوهابية نضال وجهاء نجد السياسى والعسگرى من اجل السيطرة فى الجزيرة العربية ضد الحجازيين بالدرجة الاولى . وعندما عارضت الوهابية شكل الاسلام السائد فى الامبراطورية العثمانية تحولت الى صيغة فكرية للحركة الوطنية لعرب الجزيرة ضد الاتراك .

ووجد الوهابيون تربة صالحة فى الواحات . ويعزى ذلك بالدرجة الاولى الى ان المذهب الجديد كان عقيدة لمجتمع طبقى استغلالى .

ان الكثير من توجهات الوهابية ، وبالدرجة الاولى تسديد الزكاة ، قد نفر البدو ، وخصوصا ابناء القبائل الكريمة المحتد ، ناهيك عن عدم مطابقة الكثير من التصورات الاسلامية لمعتقدات وعبادات البدو الرحل . الا ان افكار الجهاد التى اعلنتها الوهابية ، اى الغزو تحت راية الاسلام ، تنطوى على سمة جذابة بالنسبة للبدو . وعلى هذا الاساس كان بالامكان انضمام البدو الى الوهابيين والتحالف بين وجهاء الحضر ووجهاء البدو فى ظروف معينة ولفترة زمنية محددة .

محمد بن عبد الوهاب وخطواته الاولى فى السياسة . عندما انتقل محمد بن عبد الوهاب الى العيينة سارع الى كسب رضا الامير عثمان بن حمد بن معمر . وقال له حسبما رواه المؤرخون : «انى ارجو ان انت قمّت بنصر لا اله الا الله ان ينصرك الله تعالى وتملك نجدا واعرابها» . وكان هذا الاقتراح يناسب الامير . وسرعان ما ربطت اواصر القربى بين عائلتى محمد بن عبد الوهاب وحاكم العيينة (٩٠) .

وبغية تحقيق احكام الوهابية شرعا بتدمير الاضرحة المحلية . وقطع محمد بن عبد الوهاب شخصا الشجرة التى كان سكان تلك المنطقة يقدسونها (٩١) .

ثم جاء دور ضريح احد الصحابة وهو زيد بن الخطاب المدفون فى الجبيلة . وكان ذلك ضريحا محليا يتوارد عليه الزوار . واراد سكان الواحة ان يقاوموا تدمير ضريح وليهم ، ولكن عثمان ومعه ستمائة محارب كان يحمى محمد بن عبد الوهاب الذى حطم شاهد القبر بنفسه (٩٢) .

وبعد ذلك جرى فى الواحة رجم امرأة اقترفت اثما . وطبق ابن

عبد الوهاب احكام الشريعة حرفيا فأمر برجمها بالاحجار (٩٣) .
ويقول ابن غنام : «فخرج الوالى عثمان وجماعة من المسلمين
فرجموها حتى ماتت ، وكان اول من رجمها عثمان المذكور ، فلما
ماتت امر ان يغسلوها وان تكفن ويصلى عليها (٩٤)» . وشاع نبا
هذا الحادث فى الارحاء كثيرا الرعب فى قلوب الذين انحرفوا عن
الاسلام الحقيقى ، كما يقول ابن غنام (٩٥) . واعلنت الوهابية عن
نيتها فى تطبيق مبادئها دون رحمة .

وبلغ نبا هذه الجريمة اسماع حاكم الاحساء والقطيف وبدو
اطرافهما سليمان بن محمد بن غرير الحميدى . وكانت العيينة
تعتمد عليه بقدر ما . وعلى اية حال فان جزءا من تجارتها يمر عبر
مرافئ الاحساء . زد على ذلك ان امير العيينة كانت له فى الاحساء
بساتين نخيل واملاك اخرى يستلم عائدات منها . وامر سليمان
الحميدى عثمان بقتل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهدده ، ان لم
يفعل ، بقطع مؤن الاغذية والالبسة عنه وحرمانه من العائدات (٩٦) .
ولعل اسباب تصرف سليمان الحميدى هذا تعود الى الضغط
الذى مارسه عليه العلماء المحليون المستأثرون من انتشار المذهب
الجديد الذى ينسف مواقعهم . زد على ذلك ان زعيم بنى خالد كان ،
على ما يبدو ، يخشى من تزايد قوة الوهابيين الذين اعتبرهم خطرا على
سلطته .

الا ان امير العيينة لم يتجراً او ربما لم يرغب فى قتل الشيخ
المتنفذ فنفساه (٩٧) . ولا يستبعد ان عثمان بن معمر كان يريد
الانتظار بعض الوقت ليعيد الفقيه الذى لا يقر له قرار .

واستقر محمد بن عبد الوهاب فى الدرعية عام ١٧٤٤-١٧٤٥
(٩٨) . وكانت عنده فى هذه الواحة جماعة من الاتباع ومنهم اثنان
من اخوان اميرها محمد بن سعود وكذلك زوجة الامير . ونزل محمد
بن عبد الوهاب عند احد تلاميذه وشرع حالا بالاتصال بحاكم
الدرعية . وساعد شقيقا الامير وزوجته على التقارب بينهما (٩٩) .
وكان محمد بن سعود الذى يعد خططا حربية طموحة مطلعا على مذهب
الفقيه المشهور ولذا قدر آفاق الوهابية حق قدرها .

وتوافقت رغبة محمد بن عبد الوهاب الذى ينشد الدعم العسكرى
ورغبة الامير الطموح الذى ينشد الدعم الدينى فى توحيد جهودهما
وتم التحالف المنشود . وطلب ابن سعود من محمد بن عبد الوهاب

ان لا يغادر الدرعية وسعى الى جعله يوافق على الضرائب السابقة المفروضة على سكان الواحة . وقال له الامير «ان لى على الدرعية قانونا آخذه منهم فى وقت الثمار واخاف ان تقول لا تأخذ منهم شيئا» . الا ان محمد بن عبد الوهاب وافق على الشرط الاول ورفض الثانى ووعد ابن سعود بان غنائه من الغزوات والجهاد ستكون اكبر من هذه الضريبة (١٠٠) .

ويبين ذلك ان امير الدرعية حاول ان يحتفظ بحق الاستغلال الاقطاعى لرعيته ، وهو غير مشروع ، على ما يبدو ، من وجهة نظر الشريعة الاسلامية . الا ان محمد بن عبد الوهاب الابد نظرا اقترح على ابن سعود ان يتخلى عن تلك الضريبة وذلك بغية تحقيق هدفين ، هما الحفاظ على نقاوة المذهب وكسب تأييد السكان المحليين الذين خفت اعباؤهم فى الحال . وكان محمد بن عبد الوهاب يرى ان ذلك كله يمكن التعويض عنه ، وقد تم التعويض عنه فعلا ، بالغنائم الحربية الهائلة .

بهذا تنتهى المرحلة الاولى من تاريخ الوهابية ، وهى ، ان صح القول ، مرحلة التطور الجنينى والتجريب والاختفاقات والصياغة السياسية . ومنذ الانتقال الى الدرعية ارتبطت حياة محمد بن عبد الوهاب ارتباطا لا ينفصم بمصير امارة الدرعية والدولة السعودية .

قيام الدولة السعودية الاولى (١٧٤٥-١٨١١)

على اثر انتقال محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية لحق به الكثير من اتباعه من العيينة وسائر واحات نجد .

كانت عاصمة الدولة السعودية الشاسعة آنذاك تعيش حياة البؤس . ولم يتمكن ابن سعود حتى من تأمين الاغذية لاعز تلاميذ محمد بن عبد الوهاب الذى كان يمارس تأثيره بقوة الاقناع فقط (١) .

واطلع محمد بن عبد الوهاب اتباعه وانصاره على مبادئ مذهبه واوحى لهم فكرة ضرورة الجهاد ضد الكفرة (٢) .

وبعد اولى غزوات الدرعيين على جيرانهم وزعت الغنائم بالعدل طبقا لاحكام الوهابية : الخمس لابن سعود والباقي للجنود : ثلث للمشاة وثلثان للخيلة . وكان التمسك بالوهابية يكافأ ماديا . واذا كان الغزو فى السابق مجرد حملة شجاعة ، فقد تحول الآن الى انتزاع اموال المشركين واحالتها الى المسلمين الحقيقيين .

ولم تكن عمليات الوهابيين الحربية تختلف عن النزاعات العادية بين الدويلات - الواحات . غارة سريعة وكمين تنصبه بضعة عشرات من المحاربين وبضع عشرات من الابل او الاغنام التى يتم الاستيلاء عليها فى حالة الانتصار واشجار نخيل مقطوعة وحقل منهوب او عدة منازل منهوبة - تلك هى «منجزات» الدرعيين فى السنوات الاولى بعد مجئ محمد بن عبد الوهاب اليهم .

الا ان راية تجديد الدين منحت امير الدرعية وزنا ومنزلة . واخذ مؤرخو نجد يلقبونه بالامام . وصار يعتبر اميرا للمؤمنين ، اى لجميع المنضمين الى الوهابية . واثناء الصلاة كان فى مقدمة جمهور المصلين .

فرض زعامة الدرعية فى وسط نجد . كان المحاربون من العيينة

بزعامه عثمان بن معمر انصارا ثابتين للدرعيين ، حتى ان اميرا من العيينة قاد القوات التي توحدت في السنوات الاولى (٣) . وارتبط عثمان بن معمر بالسعوديين بصلة قرى حيث زوج ابنته من عبد العزيز بن محمد . وفي عام ١٧٤٨ ولد ابنهما سعود الذى بلغ الوهايون اوج قوتهم فى عهده (٤) . الا ان العداء حتى الموت بين الاقارب ظاهرة عادية تماما فى الجزيرة العربية ، فلا داعى للدهشة من تطور الاحداث لاحقا . وكان لموقف محمد بن عبد الوهاب الذى لم ينس ان امير العيينة نفاه منها اهمية حاسمة فى التنافس بين حكام الدرعية والعيينة .

واتهموا امير العيينة كذلك بانه اجرى مراسلات سرية مع حاكم الاحساء محمد بن عقاليق وأعد العدة للخيانة . وفى حزيران (يونيو) ١٧٥٠ قتل الوهايون من ابناء واحته بعد صلاة الجمعة . وصار حاكما للواحة قريبه مشارى بن ابراهيم بن معمر المعتمد على الدرعية (٥) . وبعد عشر سنوات فقدت العيينة استقلالها نهائيا . فقد نحى محمد بن عبد الوهاب مشارى واسكنه الدرعية مع عائلته وعين بدلا منه شخصا خاضعا للسعوديين كليا . ووصل محمد بن عبد الوهاب شخصا الى العيينة وامر بتدمير قصر آل معمر (٦) . وبعد خمس سنوات من التحالف بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود كانت سلطة امير الدرعية لا تزال موضعا للشك والمجادلة حتى فى اقرب الواحات . وفى ١٧٥٠-١٧٥٣ حاولت امارات منفوحة وحريلا وضمري التي كانت بين اوائل الذين تحالفوا مع الوهابيين ان تفصم عرى التبعية للدرعية (٧) . وشجع الانتفاضة فى حريلا سليمان اخو محمد بن عبد الوهاب . وبعث الى كافة ارجاء نجد رسائل شجب فيها تعاليم اخيه . وبتأثير الدعاية المناهضة للوهابية بدأت القلاقل حتى فى العيينة (٨) . الا ان عبد العزيز تمكن مع ٨٠٠ من المشاة و٢٠٠ من الخيالة من الاستيلاء على حريلا فى عام ١٧٥٥ ، وفر سليمان الى سدير (٩) .

وظل امير الرياض دھام بن دواس المنافس الرئيسى للسعوديين . وكانت الغزوات من الدرعية والرياض على بعضهم البعض تجرى كل عام تقريبا . وقاتل مع دھام على التوالي سكان مناطق وواحات الوشم وسدير وثادق وحريلا . الا ان الوهابيين كانوا هم الجانب المهاجم فى الغالب .

وعلى مسرح الاحداث فى نجد ظهر الاحسائيون من جديد فى اواخر الخمسينات ، وقد قادهم خلال بضع سنين حتى ذلك الحين زعيم نشيط هو عريعر بن دجين . فقد قاموا بحملة على وسط الجزيرة ، ولكنهم لم يوفقوا فيها . وانتقلت المبادرة مرة اخرى الى الدرعية .

وفى اواخر عام ١٧٦٤ قام زعيم القبائل البدوية فى منطقة نجران الحسن بن هبة الله بحملة على الدرعية . ودحر قوات عبد العزيز عن آخرها ، حيث كبدها حوالى ٥٠٠ قتيل و ٢٠٠ اسير . وابدى محمد بن عبد الوهاب دهاءا دبلوماسيا كبيرا فسارع لعقد الصلح على اساس دفع تعويضات الحرب وتبادل الاسرى . وانسحب النجرائيون دون ان ينتظروا وصول عريعر من الاحساء (١٠) . ووصلت قوات عريعر المسلحة بالمدافع الى ضواحي الدرعية فى بداية عام ١٧٦٥ . وانضم اليها الكثير من النجديين ، بمن فيهم دهام امير الرياض وزيد بن زامل امير الخرج . الا ان حصار الدرعية اخفق (١١) .

وفى ذلك العام توفى محمد بن سعود . وخلفه عبد العزيز . ويشير ابن غنام وابن بشر الى ان عبد العزيز لم يكن ولى العرش فقط ، بل كان اماما للوهابيين .

وبعد الهزة التى نجمت عن الهزيمة امام النجرائيين وغزو الاحسائيين تماثلت امارة السعوديين للشفاء بسرعة . واستمر توسعها بوتائر متسارعة ، وفى اواخر الستينات اخضع الوهابيون كليا الوشم وسدير وهاجموا واحة الزلفى الواقعة شمال شرقى مقاطعة القصيم النجدية الغنية وشنوا حملات ناجحة على البدو جنوبى وشرقى نجد . وخضعت مفارز من قبائل سبيع والظفير للوهابيين . وفى عام ١٧٦٩-١٧٧٠ اقسم القسم الاكبر من القصيم يمين الولاء للوهابية والسعوديين (١٢) .

وفى هذه الظروف غدا وضع الرياض المطوقة من جميع الجهات باتباع او حلفاء الوهابيين ميثوسا منه . وفى احدى المناوشات قتل الدرعيون اثنين من ابناء دهام . وتدهورت معنويات امير الرياض العجوز . وعندما وصل الوهابيون فى صيف ١٧٧٣ الى الرياض رأوا ان المدينة خالية من سكانها . وفر امير الرياض مع عائلته . وحذت حذوه اغلبية السكان الذين كانوا يخشون ، وليس بدون حق ، من

ثأر خصومهم القدامى . وهلك كثير من سكان الرياض فى الطريق بسبب الحر والعطش ، كما سقط الكثيرون بسيوف الوهابيين (١٣) . وانتهى الصراع من اجل السيطرة فى وسط نجد بعد ان استغرق حوالى ربع قرن . ولكنه لم يخرج عن نطاق النزاع القبلى . وتفيد حسابات المؤرخين التى هى ربما اقل مما فى الواقع ان عدد القتلى بلغ ٤-٥ آلاف شخص يشكل اتباع دهام اكثر من نصفهم . ويمكن ان نوافق على رأى فيلبى الذى كتب يقول : «حتى ذلك الحين كان عبد العزيز يتربع منذ ثمانى سنوات على عرش الدرعية التى كانت اكبر شأنا بقليل من سائر (primus inter pares) الدويلات العديدة فى الجزيرة العربية (١٤) . الا ان الوهابيين حصلوا على قاعدة متينة لمواصلة توسيع دولتهم .

كانت سلطة السعوديين قائمة ليس فقط على قوة السلاح . فكل واحة تضم الى الدولة يصلها من الدرعية علماء وهابيون يدعون الى التوحيد الحقيقى . واخذ قسم من سكان نجد يعتبر الدرعية ليس مجرد عاصمة لامارة قوية بل ومركزا روحيا ، ويعتبر حكام الدرعية ليس مجرد امراء اقوياء بل ومناضلين فى سبيل تقاوة الدين . ولا يغيب عن البال ان العلماء وانصار الوهابيين فى الامارات المعادية للدرعية كانوا يفتتون المقاومة من الداخل . وعلى العموم تمكن السعوديون بصعوبة كبيرة ، رغم الجهود الهائلة ، من قهر مقاومة الامراء المستقلين . وكان واضحا اثر قوى التجزئة واللامركزية والفوضى القبلية . ولذا تعين مرور عشرة او اثنى عشر عاما على سقوط الرياض لتقع نجد كلها تحت سيطرة الدرعية .

توحيد وسط الجزيرة العربية . بعد ضم الرياض صار الخصم الرئيسى للسعوديين فى نجد هو زيد بن زامل الامير الداھية الشجاع وحاكم الدلم ومنطقة الخرج كلها . وقد حاول من جديد اجتذاب قبائل نجران للمشاركة فى مكافحة الوهابيين . ولهذا الغرض توجه بطلب الى امير نجران ليرسل محاربين لنجده ووعده بمكافأة معينة . ووصل ابناء نجران ولكنهم بدلا من تقديم النجدة اخذوا يبتزون النقود وينهبون سكان الخرج . فاحفق التحالف المنشود .

وفى منتصف السبعينات دخل محاربو بنى خالد وعلى رأسهم

عريعر نجد قادمين من الاحساء واحتلوا بريدة فى القصيم ونهبوها
بوحشية . وكان العديد من حكام واحات نجد المتذمرين من سلطة
السعوديين مستعدين لدعم الاحسائيين ، ولكن عريعر توفى بغتة .
وبدا عند بنى خالد صراع من اجل الرئاسة . وفاز فى هذا الصراع
مؤقتا احد ابناء عريعر وهو سعدون ، الا ان امراء الدرعية اخذوا
يحرضون اخوانه ضده (١٥) .

وخلال السنوات القليلة التالية كان الاحسائيون يظهرون فى
نجد كل عام تقريبا . وشاركت مع بنى خالد فى الغزوات قبائل
سبيع والظفير . وكان عدد من واحات نجد تارة ينضم الى الوهابيين
وتارة يفصل عنهم ويعمل بصورة مستقلة وتارة يتحالف مع اعداء
الدرعية .

ويبين مشهد هام ذكره منجيز سير العمليات الحربية آنذاك .
فقد انشأ الوهابيون قرب الدلم قلعة للتضييق على عمليات مفارز
زيد بن زامل . وكانت مشارف القلعة صعبة المنال وقد وقفت فى
حمايتها عساكر وهابية مختارة . وبغية اخراج العدو من القلعة انشأ
اهل الدلم باشراف احد الفرس القاطنين فى الواحة برجا متنقلا على
اربع عجلات ولبسوه بالرصاص لحمايته من النار . ودخله محاربون
ودحرجه آخرون نحو القلعة . الا انه تلكا عند مشارفها ، ولم ينقذ
المحاربين القابعين فى البرج المتنقل الا عملية مستميتة لمفرزة من
شجعان الدلم (١٦) .

ورغم المقاومة وسعت الدولة السعودية نفوذها واراضيتها
بالتدريج . وبعد احتلال الوهابيين لواحة المجمعة توقف عمل انشط
الدعاة المعادين للوهابية ، ونعنى سليمان بن عبد الوهاب . فقد
نقل مع عائلته الى الدرعية حيث ظل حتى وفاته (١٧) .

وفى مطلع الثمانينات تقرر مصير القصيم نهائيا . فطوال عدة
سنوات استمرت القلاقل والنزاعات التى تخللتها عمليات ضد
الدرعية . ولم يخفت أوار العداء القديم ، وظل باقيا مفعول علاقات
التحالف والترابط والنفور والتضاد السابقة . وفى عام ١٧٨٢ دخل
القصيم سعدون بن عريعر على رأس قوات بدوية من بنى خالد وشمير
والظفير . وكان مصمما على طرد الوهابيين . وانضم اليه زيد بن
زامل وقواته . وطوال عدة اسابيع حاصروا بريدة التى ظلت موالية

للوهابيين ، ولكن دون جدوى هذه المرة . وانحل الائتلاف المعادى للوهابيين وغادر الاحسائيون نجد (١٨) .

وفى عام ١٧٨٣ قتل زيد بن زامل . وتزعم الدلم ابنه براك . الا ان مكانة الامير الجديد كانت مضعضة بسبب التنافس داخل الاسرة الحاكمة (١٩) .

وفى الفترة ١٧٨٣-١٧٨٦ اصاب نجد جفاف مرعب وتفشيت المجاعة . وغدت حالة الخرج التى حاصرها الوهابيون ميثوسا منها . وفى عام ١٧٨٥ تم احتلال الدلم بهجوم سريع . وقتل الامير وبعض انصاره . واقسمت منطقة الخرج كلها يمين الولاء للسعوديين . وعين القائد العسكرى الوهابى سليمان بن عقيصان حاكما للدلم (٢٠) .

وفى تلك السنوات على وجه التقريب خضعت للدوعية الافلاج والدواسر ، مع ان الانتفاضات ضد الوهابيين استمرت امدا طويلا فى الدواسر (٢١) .

وشعرت اقوى القبائل البدوية فى الجزيرة العربية بثقل قبضة حكام الدوعية . وعندما دحر الوهابيون بدو الظفير فى عام ١٧٨١ انتزعوا منهم كل ما يملكون : ادوات المخيمات و١٧ الف نعجة وماعز وه آلاف جمل و١٥ حصانا (٢٢) وقام الوهابيون كذلك بغزوات على آل مرة وقحطان وسبيع وبني خالد . وتوغلوا فى الشمال واخضعوا جبل شمر فى النصف الثانى من الثمانينات (٢٣) .

واكتمل التفاف اراضى وسط الجزيرة حول الدوعية . ومع ان بعض العمليات كانت لا تزال جارِية فى بعض المناطق ضد السعوديين فلم يعد جائزا اعتبار الامراء المحليين من منافسيهم . وفى افضل الاحوال كانوا شبه تابعين لهم ، وفى الغالب كانوا صنائع مباشرين للدوعية يؤدون دور الولاة (٢٤) .

وادمى تعزيز سلطة آل سعود ونفوذهم عموما الى جعل عبد العزيز ومحمد بن عبد الوهاب يقدمان فى عام ١٧٨٨ على خطوة هامة . فقد امنا لسعود حق ولى العرش بالوراثة والامام عبد العزيز لا يزال على قيد الحياة . واخذ محمد بن عبد الوهاب على عاتقه مهمة جعل مدن ومناطق الدولة تقسم يمين الولاء . وكان سعود قد حظى اصلا بشعبية واسعة بفضل بسالته وانتصاراته الحربية ومشاركته فى تصريف شؤن الدولة (٢٥) . وكان الإعلان عن ولى العهد قد عزز

اسرة آل سعود لانه امن انتقال السلطة بصورة اسهل نسبيا من الامير الى ابنه .

ان وراثة الابن لاييه شئ معتاد فى الجزيرة العربية ولكنه غير الزامى . فالسلطة كانت تنتقل حسب الاقدمية فى العمر داخل الفخذ وحسب السجايا الشخصية لاقرب الاقرباء . وتعود الكلمة الحاسمة فى اختيار الامير الجديد الى كبار الوجهاء . وان اصرار المؤرخ الوهابى ابن غنام على تبرير شرعية يمين الولاء لسعود يشير الى ان فكرة لزوم انتقال السلطة من الاب الى ابنه صادفت ، على الأرجح ، بعض المقاومة والاعتراض .

وبالاعتماد على موارد وسط الجزيرة بدأ الوهابيون تقدما ناجحا فى جميع الاتجاهات : نحو الشرق والشمال الشرقى - الى الاحساء وجنوب العراق ، ونحو الغرب - الى الحجاز ، ونحو الجنوب الغربى - الى اليمن ، ونحو الجنوب الشرقى - الى عمان ، ونحو الشمال الى حدود الشام .

الوهابيون فى شرقى الجزيرة . مما سهل هجوم الوهابيين على الاحساء النزاعات الداخلية فى هذه المنطقة الغنية . وفى عام ١٧٨٥-١٧٨٦ دبر اقرب اقرباء سعدون بن عريعر مؤامرة ضده . وطلبوا من شيخ المنتفق ثوينى بن عبد الله ان يؤيدهم . فبدأت العمليات الحربية .

ومنى سعدون بالهزيمة فى الاشتباك الحاسم وولى هاربا . وطلب من الدرعية ان تمنحه اللجوء فاستقبلته بحفاوة . وتفيد بعض المعلومات انه سرعان ما توفى بعد ذلك . وصار دويحس حاكما للاحساء بعض الوقت (٢٦) .

وخف ضغط الوهابيين على الاحساء فترة قصيرة بسبب الغارة غير المتوقعة التى قام بها شيخ المنتفق ثوينى على القصيم فى ١٧٨٦-١٧٨٧ . فقد جمع قوات كبيرة مزودة بالمدفعية . وشاركت معه فى هذه الغزوة بعض قبائل شمر وكذلك سكان الزبيـر . وحطمت قوات ثوينى عدة قرى فى القصيم ولكنه—ا ردت على اعقابها (٢٧) .

وبعد ان عاد ثوينى الى منطقة قبائل المنتفق اراد ان يستولى على البصرة ويعلن عن نفسه حاكما لها . الا ان والى بغداد سليمان باشا المستقل فى الواقع عن الباب العالى هاجم ثوينى فى خريف

١٧٨٧ هـ قرب مدينة سوق الشيوخ ، ثم امر فيما بعد برصف ثلاثة ابراج من جماجم قتلاه . وفر ثويني وصار حمود بن ثامر شيخا للمنتفق (٢٨) .

ونصادف كثيرا فى كتابات مؤرخى الجزيرة التى تتناول بداية نشاط الدولة الوهابية معلومات عن الاشتباكات بين قوات السعوديين والبدو . ولكنه فى اواخر الثمانينات تلاحظ مشاركة متزايدة من بدو بعض القبائل فى الحملات التى يشنها الوهابيون انفسهم . وقد كرر ابن بشر الاشارة الى ذلك مرارا .

وكان الوهابيون يقومون سنويا بحملات على اعماق الاحساء حتى بلغوا سواحل الخليج . ولم يكتف الوهابيون بغزو واحات شرق الجزيرة وقبائل بنى خالد ، بل هاجموا كذلك قبيلة المنتفق شمالى الاحساء (٢٩) .

وقمع الوهابيون المقاومة بمنتهى القسوة . فقد كتب ابن غنام ان الوهابيين عندما عادوا ذات مرة من الواحات وجدوا «اكثر الرجال . . . فى بيت من البيوت ، وكانوا ثلاثمائة نفس فقتلوا جميعا» (٣٠) .

وفى خريف ١٧٨٨ صار بعض افخاذ قبيلة بنى خالد يقاتل فى صف الوهابيين . ونصبت الدرعية زيد بن عريعر شيخا لمشايخ بنى خالد . الا ان الاحساء كانت لا تزال غير راضخة بعد (٣١) . فان المقاومة اللاحقة التى ابداهها سكانها وانتفاضاتهم المتكررة تدل على ان الميول المعادية للوهابية كانت قوية هنا . وربما يعزى ذلك الى وجود عناصر شيعية قوية فى الاحساء ، والى كون وجهائها الذين تعودوا على اعتبار النجديين جهة لهجماتهم لم يستطيعوا الرضوخ لدور الخضوع .

وفى ١٧٩١-١٧٩٢ اجتاح سعود بالحديد والنار واحات شرقى الجزيرة فاحتل القطيف . وفى تلك الاثناء قام سليمان بن عفيصان بغزوة على قطر (٣٢) . الا ان الاحساء كلها سرعان ما هبت فى انتفاضة عارمة . ودحر بنو خالد صنيعه الوهابيين ، وصار شيخا للاحساء براك بن عبد المحسن الذى بدأ غزواته فورا على البدو والواحات الخاضعة للسعوديين الا ان بنى خالد اندحروا فى احدى المعارك ففقدوا اكثر من الف شخص . واعربت واحات الاحساء عن خضوعها لسعود . وظل الوهابيون شهرا فى هذه المنطقة فدمروا

قباب الاضرحة وجميع العتبات المقدسة للشريعة . وتوجه العلماء الوهابيون الى المدن والواحات هناك (٣٣) .

وفى معمران اخضاع الاحساء ، فى عام ١٧٩٢ ، توفى مؤسس الحركة الوهابية محمد بن عبد الوهاب (٣٤) . وكان شخصية بارزة بالنسبة لعصره ومجتمعه وطبقته . وكان يتحلى ببسالة وحماسة متناهيتين . فان تحدى النظام الدينى فى الجزيرة العربية آنذاك ومواجهة حماة القديم الهائجين يتطلبان بسالة منقطعة النظير . وتعرضت حياته للخطر مرارا ، وقد اجلى ثلاث مرات ، ولكن ذلك لم يشن عزيمته . وساعد محمد بن عبد الوهاب لدرجة كبيرة ، بخطبه الحماسية وبلاغته ، على نجاح الحركة الدينية التى بدأها وعلى توسيع الدولة السعودية . وكتب ابن بشر عنه انه نشر «راية الجهاد بعد ان كانت فتنا وقتالا» (٣٥) . ويقول منجى : «كان يتحلى باكبر قدر من فن الاقناع ويخلب الالباب بخطبه . . .» (٣٦) .

ويشير مؤلف «لمع الشهاب» الى نقطة هامة اخرى وهى ان محمد بن عبد الوهاب بالذات علم سكان الدرعية ، كما يزعمون ، على صنع واستخدام السلاح النارى (٣٧) . واذا كان قد اضطلع بهذا الدور الذى لا يميز الفقهاء فيمكن الافتراض بان مكانته فى تأسيس اماره الدرعية وانتصاراتها الحربية اكبر مما يشير اليه مؤرخو نجد .

كان محمد بن عبد الوهاب يتحلى بهمة حياتية فائقة . ويقول منجى انه «كان يهوى النساء وله عشرون زوجة انجب منهن ١٨ طفلا» (٣٨) . وقد غدا خمسة من ابنائه وكثير من احفاده فقهاء معروفين .

وترك محمد بن عبد الوهاب لورثته ارضا فيها نخيل واشجار فاكهة وحقول وتبلغ عائداتها ٥٠ الف درهم ذهبى سنويا ، بالاضافة الى مكتبة تضم بضع مئات من الكتب . وبعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب صار ابنه حسين ، وهو ضرير تقريبا ، مفتيا للدرعية ، وبعده شغل اخوه هذا المنصب .

ان اسرة الفقهاء التى صارت تسمى آل الشيخ قد احتفظت بوزنها ونفوذها ومكانتها فى الدولة السعودية حتى اليوم ، ولكن احدا من احفاد محمد بن عبد الوهاب لم يرتفع الى منزلة مؤسس الوهابية فى اماره الدرعية .

وفى تلك الاثناء بدأت فى الاحساء من جديد انتفاضة ضد سلطة النجديين . فقد قتل سكان الهفوف ثلاثين من ممثلى الدرعية - الحاكم والموظفين والعلماء الوهابيين وسحلوا جثثهم فى شوارع المدينة ومثلوا بها على رؤوس الاشهاد . وايدت الهفوف عدة واحات اخرى . وكان صنيعه الوهابيين زيد بن عريعر ، زعيم بنى خالد ، قد خان اسياده وشارك فى الانتفاضة .

وفى خريف ١٧٩٣ توجه سعود مع قوات كبيرة الى الاحساء . ونهبت قواته البدوية كل ما صادفته فى طريقها وقتلت دون رحمة كل من ابدى مقاومة ودمرت بساتين النخيل واستأثرت بمحاصيل التمور ورعت الماشية فى الحقول . وكان منافس زيد بن عريعر وخصم الوهابيين سابقا براك بن عبد المحسن قد انتقل الى جانبهم . واعربت الاحساء كلها عن خضوعها لهم . وعين براك بن عبد المحسن اميرا للاحساء (٣٩) ، ولكنه حاول فى ربيع ١٧٩٦ ان يتخلص من سلطة الوهابيين الذين انشغلوا بعمليات حربية غربية وجنوب غربية نجد (٤٠) . وبعد عدة اشهر وصل سعود مع جيش قوى الى الاحساء وقمع الحركة فيه من جديد (٤١) .

وكتب ابن بشر فى وصف اخضاع الاحساء يقول : «فلما اصبح الصباح رحل سعود بعد صلاة الصبح فلما استتوا (يقصد الوهابيين) على ركائبهم وساروا ثوروا بنادقهم دفعة واحدة . فاظلمت السماء وارجفت الارض وتأرجح الدخان فى الجو واسقط كثير من النساء الحوامل فى الاحساء . ثم نزل سعود . . . وظهر عليه جميع اهل الاحساء على احسانه واساءته . وامرهم بالخروج اليه فخرجوا فاقام فى ذلك المنزل مدة اشهر يقتل من اراد قتله ، ويجلى من اراد جلاءه ويحبس من اراد حبسه ، ويأخذ من الاموال ، ويهدم من المحال ، ويبنى ثغورا ويهدم دورا ، وضرب عليهم الوفا من الدراهم وقبضها منهم . وذلك لما تكرر منهم من نقض العهد ومناوذة المسلمين ، وجرحهم الاعداء عليهم . واكثر فيهم سعود القتل . فكان مع ناجم بن دهييم عدة من الرجال يتخطفون فى الاسواق لاهل الفسوق ونقض العهد . . . فهذا مقتول فى البلد ، وهذا يخرجونه الى الخيام ويضرب عنقه عند خيمة سعود ، حتى افناهم الا قليلا . وحاز سعود الاموال فى تلك الغزوة ما لا يعد ولا يحصى . فلما اراد سعود الرحيل من الاحساء امسك عدة رجال من رؤساء

اهلها . . . وظهر بهم الى الدرعية واسكنهم فيها واستعمل في الاحساء اميرا ناجم المذكور ، وهو رجل من عامتهم» (٤٢) .

هكذا تم اخضاع شرق الجزيرة العربية للوهابيين وصارت تابعة للسعوديين الممتلكات العائدة في الجزء القارى لاسرة آل خليفة الحاكمة في البحرين (٤٣) .

وفي بداية التسعينات كانت على اشدها ايضا العمليات الحربية غربى نجد .

امارة السعوديين والحجاز قبل عام ١٨٠٢ . بعد بدء الحركة الوهابية وتوسع امارة السعوديين لم تنشب اية صدامات حربية بين حكام الدرعية ووجهاء الحجاز .

ولم تكن سلطة شريف مكة مساعد الذى حكمها من ١٧٥٢ حتى ١٧٧٠ متينة . ففي نهاية حكمه خيم على مكة خطر فقدان الاستقلال الواسع الذى كانت تتمتع به فى الامبراطورية العثمانية . وفى عام ١٧٦٩ اعلن حاكم القاهرة على بك استقلال مصر عن الباب العالى . وضم الحجاز الى ممتلكاته بيد ان محاولة على بك لتأسيس دولة عربية مستقلة لم تكلل بالنجاح . فتخلص الحجاز من حكم المصريين (٤٤) . ويقول مؤرخو الجزيرة ان السعوديين ومحمد بن عبد الوهاب اقاموا مع حكام مكة علاقات ودية . وعلى اثر انتقال محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية وصل الى مكة ثلاثون فقيها وهابيا للحصول على موافقة بالحج واجراء حوار مع فقهاء مكة . واعتبر فقهاء مكة ، كما يفيد دحلان تعاليم الوهابيين زندقة فظيعة وكفرا . وامر شريف مكة بان تنشر فى رسائل بكل مكان ادلة تثبت كفر الوهابيين وبان يقيد هؤلاء الكفرة بالسلاسل ويزج بهم فى السجن . وتمكن قسم منهم من الفرار فحملوا الى الدرعية اخبار ما حدث (٤٥) .

وفى مطلع السبعينات اجرى محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز مراسلات مع شريف مكة وتبادلوا الهدايا . وفى تلك السنوات لم يعرقل الاشراف احيانا حج الوهابيين . وعندما صار سرور حاكما لمكة فى عام ١٧٧٣ بعث اليه عبد العزيز هدايا ثمينة ليعرب عن المودة (٤٦) .

ويبدو ان حكام مكة والدرعية كانوا يقيمون علاقات ودية معتدلة فيما بينهم طالما ان مصالح النجديين والحجازيين لم تتصادم مباشرة وطالما كان الحجازيون يخشون تدخل المصريين او الاتراك فى

شؤونهم . اما تعاليم الوهابيين فان علماء الحجاز ووجهاءه قد استقبلوها بالعداء على الاكثر منذ البداية .

وتمكن حاكم مكة سرور من التخفيف من غلواء عوائل الاشراف وتعزيز مواقعه في الحجاز (٤٧) . ولكنه على اثر وفاة سرور صار شريفا لمكة في عام ١٧٨٨ غالب بن مساعد وهو فتى لا يمتلك سلطة فعلية فظل لبعض الوقت اداة في ايدي عبيد ومملوكي الامير السابق الذين اخذوا يضيّقون على السكان المحليين فصاروا يضمرون لهم حقدا . وهذا ما ساعد غالب في القريب العاجل على التخلص من العبيد العاصيين وتعزيز منزلته . وكان غالب محاربا شجاعا وسياسيا نافذ البصيرة . فاستطاع ان يقيم علاقات طيبة مع القبائل البدوية المجاورة لمكة ، وقام بالغزوات معتمدا على هذه القبائل وعلى حرس العبيد المكون من بضع مئات من الاشخاص بعد تجديده (٤٨) .

وفي عام ١٧٩٠-١٧٩١ اعد شريف مكة حملة على نجد من قوات بعشرة آلاف محارب و٢٠ مدفعا . الا ان محاولاته في السيطرة على واحات نجد المحصنة قد اخفقت ، فتركه حلفاؤه من بعض قبائل البدو . وعاد الى مكة مع النواة الاساسية لقواته . وفي صيف ١٧٩١ الحق سعود هزيمة ماحقة بحلفاء الشريف في منطقة جبل شمر بعد ان شاركوا في حملاته ، ونعني بدو شمر ومطير . وفر البدو تاركين للوهابيين غنائم وفيرة جدا - حوالى مائة ألف من الغنم والماعز وبضعة آلاف من الابل (٤٩) .

وبدأت فصائل الوهابيين غزوات على المناطق الواقعة بين نجد والحجاز وعلى الواحات والقبائل الخاضعة لشريف مكة . وفي ايار (مايو) ١٧٩٥ حاصر سعود تربة التي هي مركز استراتيجي هام على مشارف الحجاز (٥٠) .

وفي صيف العام نفسه وردا على هجوم الوهابيين قام الحجازيون بغزوة على نجد . وتشجع غالب بنجاح هذه الغزوة فجهز في شتاء ١٧٩٥-١٧٩٦ قوات كبيرة جديدة مزودة بالمدافع للقيام بحملة في اعماق الجزيرة العربية . وقد ابيدت هذه الحملة عن اخرها على يد القوات الموحدة التابعة للدرعية والمكونة من بدو مطير وسبيع والسهول والدواسر والعجمان وبعض من قبائل عتيبة على ما يبدو . ويؤكد ابن غنام ان غنائم الوهابيين بلغت ٣٠ الفا من الابل و٢٠٠ ألف من الغنم والماعز (٥١) .

وارغمت الهزيمة الماحقة غالب على توقيع الصلح (٥٢) . وكان واضحا ان النجديين متفوقون في القوات . فقد واصلوا تقدمهم نحو الجنوب حتى وصلوا نجران والحدود الشمالية لليمن (٥٣) . ويبدو ان اتصالاتهم مع سكان عسير تعود الى تلك الفترة .

كانت قبيلة عتيبة الجبارة الخاضعة في السابق لاشراف مكة قد انضمت الى امارة الدرعية في ١٧٩٧-١٧٩٨ . ووافق البدو على تنفيذ كل احكام الوهابية وتسديد الزكاة ودفع تعويضات الحرب لقاء العمليات العدائية السابقة . ويقول منجبن ان البدو دفعوا من كل عائلة اربعة ريالات ، ومن كل فخذ كمية معينة من السلاح والخيول والابل (٥٤) .

وفي عام ١٧٩٨ حاول غالب الذي ضمت قواته مرتزقة من الاتراك والمصريين والمغاربة ان يتقدم مرارا نحو الحرة وبيشة ، ولكنه دحر . وسيطر امير الدرعية على بيشة . وا قدم شريف مكة من جديد على الصلح وسمح للوهابيين بالحج (٥٥) . وبعد عامين ، كما يقول ابن بشر ، ادى سعود وعائلته وبعض قواته فريضة الحج لاول مرة ، وفي السنة التالية قام بالحج للمرة الثانية . وقدم هناك الهدايا بسخاء وحصل على انصار (٥٦) . وفي هذا الوقت بالذات اقام عثمان المضايفي ، وهو من اقرباء شريف مكة ، ارتباطا معه وعرض عليه خدماته (٥٧) .

وغدا واضحا ان الوهابيين يكادون يخضعون الحجاز بالكامل .
فشل حملتي والي بغداد على الاحساء . في نفس فترة غزو الاحساء ، وخصوصا بعد اخضاعها قامت فصائل الوهابيين بحملات على المناطق الواقعة شماليها . فقد تعرضت لهجماتهم قبائل وقرى جنوب العراق . واستعد والي بغداد الذي دفعه الباب العالي لمحاربة الوهابيين .

كان والي بغداد انذاك يتمتع بحظوة خاصة عند الامبراطورية العثمانية . فبعد الحروب التركية الفارسية المدمرة وبعد الفتن والنزاعات الداخلية استولى المماليك على السلطة في بغداد . واعتبارا من عام ١٧٨٠ حكم بغداد بصورة مستقلة في الواقع سليمان باشا ، وهو مملوك جورجي لوالى بغداد السابق . واضطرت الاستانة الى الموافقة على تسنمه لهذا المنصب .

كان توسع امارة الدرعية في هذه المنطقة يستهدف الشمال

الشرقي . وفي هذا الاتجاه كانت القبائل العربية تنزح عموما طوال القرون . فمن المعروف ، مثلا ، ان قبائل شمر في القرن الثامن عشر تغلغلت في اعماق العراق بعيدا حتى انها انتقلت الى ما وراء دجلة (٥٨) . واثناء القحط الفظيع في وسط الجزيرة في الستينات انتقل بعض سكان نجد الى الزبير وشمالها (٥٩) .

وكانت قبائل البدو المترحلة في جنوب العراق قد اقامت علاقات وثقى مع مدن العراق وقراه . وكانت لحكام بغداد مصلحة في مساعدة البدو لاجل حماية الطرق التجارية والقرى والمدن ، كما كان هؤلاء الحكام يشتررون من البدو ماشية الحمل والركوب . وواصل ولاية بغداد تقاليد حكام ما بين النهرين منذ آلاف السنين فراخوا يمنحون الهدايا لشيوخ البدو ، بل ويسلحونهم لكي يصدوا الحملات البدوية المنطلقة من مناطق وسط الجزيرة العربية . وكان استخدام قبائل المنتفق وغيرهم في محاولة لتقويض سلطة الوهابيين في الاحساء يستجيب كليا لهذه السياسة .

وتزعم ثويني الحملة على الوهابيين . كان زعيم المنتفق السابق هذا قد طاف امدا طويلا عندما اجلى بعد اخفاق محاولته لترسيخ اقدامه في البصرة حتى انه حل بعض الوقت بمثابة ضيف كريم على الدرعية . ثم استولى على السلطة في قبيلته من جديد ، كما تفيد بعض الروايات . وتوجه بطلب الى سليمان باشا ليسلحه ضد الوهابيين (٦٠) . وتقول رواية اخرى ان ثويني اقنع والى بغداد بان يسلمه السلطة في المنتفق ووعدته بالقيام بحملة على نجد ودحر الوهابيين ، وعند ذاك نحى سليمان باشا حمود بن ثامر عن رئاسة القبيلة وعين ثويني بدلا عنه (٦١) .

وفي مطلع عام ١٧٩٧ بدأ ثويني حملته على الوهابيين . كان تحت قيادته جنود القوات النظامية بالاضافة الى فصائل من البصرة والزبير . وانضمت الى حملته بعض افخاذ بنى خالد برئاسة براك بن عبد المحسن الذي هرب من الاحساء .

وجمع عبد العزيز كل قواته مدركا خطورة الموقف . وامر البدو المخلصين له بان يحتلوا اراضي قبيلة بنى خالد التي يمكن ان تنضم الى ثويني ، كما امرهم بحماية الابار الرئيسية . وعلى اثر ذلك ارسلت الى الاحساء اكثر قوات الوهابيين صمودا ، وهي مكونة من حضر العارض .

وبدأت في الاحساء معارك طاحنة بين قوات ثويني والوهايين ،
الا ان الحظ ابتسم لحاكم الدرعية فجأة . ففي معمعان الحملة قتل
ثويني على يد عبده الاسود طعيس ، وهو وهابي متعصب . قطعوا
عنق طعيس في الحال الا ان مقتل ثويني قد قرر مآل النزاع .
انفصل بنو خالد بزعامة براك عن المنتفق ، الامر الذي جعل
الاضطراب يستولى على قوات ثويني . وذعرت فصائل البدو والترك
واخذت تنسحب على عجل الى الشمال تاركة الاسلحة والذخيرة . ووقع
معسكر ثويني كله ومدفعيته في ايدي الوهايين في حزيران (يونيو)
١٧٩٧ . وطاردت الفصائل الوهابية العدو حتى وصلت مشارف
الفرات الاوسط (٦٢) .

وفي العام التالي تغلغل الوهابيون في بادية الشام ، كما وصلوا
الى مدينتي سوق الشيوخ والسماوة في العراق (٦٣) .
في اواخر التسعينات كان الباب العالي يبعث الى والي بغداد
باوامر متواصلة للقضاء على الوهايين . وعين على باشا قائدا
للجيش . وقد اختلفت المؤرخون في تحديد وقت الحملة العراقية
على الاحساء . وبغية ايضاح التواريخ الفعلية يجدر بنا ان ننطلق
من افادة شاهد العيان بريجيز الذي وصل الى بغداد بصفة مندوب
سياسي بريطاني في لحظة قيام جيش على بالحملة . تحركت قوات
الجيش من بغداد نحو الفرات الاوسط باحمال ثقيلة واخذت تستوعب
في الطريق المتطوعين من البدو . ولذا ما كان بوسعها ان تظهر في
الاحساء قبل اواخر عام ١٧٩٨ واوائل عام ١٧٩٩ ، وهذا يتفق مع
ما اورده ابن بشر وابن سند ومنجيين .

كان الجيش الذي بعثه والي بغداد يضم المشاة والخيالة وكذلك
فصائل البدو غير النظامية من قبائل شمر والمنتفق والظفير .
وتجاوز عدد افراد تلك القوات عشرة الاف شخص . وسلم سكان
الهفوف والواحات الاخرى وصاروا تحت رحمة على . وقاتل الوهابيون
المتركزون في الحصون فصدوا ببسالة كل الهجمات . ولم تفد
المهاجمين في بعض المواقع لا المدافع ولا آلات الحصار ولا الحفر
تحت الاسوار . وانهارت معنويات القوات الهاجمة وبدأت تنسحب
والوهايون يلاحقونها . وجرت مكاتبات بين علي وسعود وتم بينهما
الاتفاق على الصلح (٦٤) . وكان السبب في اخفاق علي هو ضعف
المعنويات عموما وصعوبات اجتياز الاماكن الخالية من مياه الشرب

والتي يسيطر عليها الوهابيون . ثم ان حماس الهجوم عند الوهابيين لم يستنفد بعد ، وقد حول التعصب الدينى والانضباط النجديين الى مقاتلين صامدين .

وفى عام ١٧٩٩ وصل الى بغداد ممثل امير الدرعية لاجل مصادقة الوالى على الاتفاق بين سعود وعلى . وترك لنا ح . بريجيز الذى حضر لقاء رسول الدرعية مع والى بغداد وصفا طريقا لهذا اللقاء . فقد جرى فى قصر الوالى الاعداد اللازم لترك انطباع لدى سكان البادية . استقبلت رسول الدرعية بطانة سليمان باشا مرتدين افخر الالبسة وقد ارتسمت امارات الغضب على وجوههم . وكان الرسول الوهابى فى لباس متواضع . وقد ابعد مستقبلية وتوجه رأسا نحو سليمان باشا الذى كان يرتدى لباسا من حرير وفرو مزينا باحجار كريمة . وجلس الرسول جنب الباشا وقال له ما فحواه : يا سليمان السلام على من اتبع الهدى . بعثنى عبد العزيز لاسلمك هذه الرسالة واستلم منك تصديقا على الاتفاقية الموقعة بين ابنه سعود وخادمك على . فليتم ذلك بسرعة وبالشكل الصحيح . ولعنة الله على من يخون . ثم اضاف بلهجة شديدة : اذا كنت تنشد النصح فاستنصح عبد العزيز . قال ذلك ملمحا الى ان الوهابيين يعتبرون سليمان من المشركين . ومد يده الى الوالى بالاتفاقية المكتوبة على قصاصة من ورق (٦٥) .

كان واضحا ان حكام الدرعية لا يقيمون ثمنا للاتفاقية مع والى بغداد . وتوجه مبعوث خاص من سليمان باشا الى الدرعية لاجل التفاوض مع سعود . وحاول ان يحصل على التزامات من الوهابيين بعدم مهاجمة العتبات الاسلامية فى الفرات الاوسط . ولكن سعود قهقهه وقال لرسول الوالى : «جميع غربى الفرات لنا وشرقيه له . . .» (٦٦) .

ومما شجع الوهابيين الانباء التي وردت عن دخول جيش نابليون مصر فى عام ١٧٩٨ وعجز الباب العالى امام الغازى الفرنسى . فى عام ١٨٠١ حل الانجليز محل الفرنسيين فى مصر . وغدت الجزيرة العربية طرفا بعيدا لمسرح العمليات الحربية الرئيسى . وهذا ما اطلق ايدى الوهابيين فى مواصلة توسعهم .

تدمير كربلاء . اختمرت لدى امراء الدرعية خطة الاستيلاء على كربلاء وفيها العتبات المقدسة الشيعية التي يكرهونها ، وخصوصا

ضريح الامام الحسين حفيد النبي محمد . وحقق الوهابيون نواياهم في اذار - نيسان (مارس - ابريل) ١٨٠٢ (٦٧) .

اعتاد المستشرقون الاوربيون والسوفييت على اعتبار نيسان ١٨٠١ تاريخا لتدمير كربلاء . واذا تناولنا مصادر هذه المعلومات نجد ان هذا التاريخ قد ذكره ج . روسو (٦٨) ول . كورانسيز (٦٩) وبوركهاردت (٧٠) وف . منجيين (٧١) .

اما المراجع التاريخية العربية ، ومعها من الاوربيين فيلبي (٧٢) ، فننقل هذا الحادث الى العام التالي : اذار - نيسان ١٨٠٢ . والاساس المعتمد في ذلك هو مصنف ابن بشر . ويؤيد هذا التاريخ ابن سند (٧٣) وج . رايمون (٧٤) و«مجلة المنوعات الادبية» (٧٥) . وجميع هذه المصادر قريبة زمنيا من الاحداث .

والقول الفصل بهذا الخصوص ، وهو لصالح عام ١٨٠٢ ، وارد في تقرير وصل من العراق الى سفارة روسيا في الاستانة وكتب قبل صيف عام ١٨٠٣ . فالشخص الذي عاش آنذاك في العراق وتحدث شخصيا مع شهود عيان عن تدمير كربلاء من المستبعد ان يخطئ لعام كامل بخصوص تاريخ هذا الحادث الهام (٧٦) . وبالمناسبة فان مقارنة ذلك بنص التقرير الوارد من العراق عن تدمير كربلاء على يد الوهابيين والذي تضمنه كتاب ج . روسو بعد ست سنوات تدل على تماثلهما الحرفي تقريبا . ومن الصعب القول كيف وصل تقرير القنصل الفرنسي في العراق الى سفارة روسيا في الاستانة . اما تغيير تاريخ احتلال الوهابيين لكربلاء في كتاب روسو فلعله ناتج عن تهاون المؤلف او سهو المطبعة .

ويبدو ان روسو وكورانسيز هما المصدر الاول للمعلومات غير الصحيحة بهذا الخصوص . فهما على العموم يتناولان التواريخ بشيء من التصرف . اما بوركهاردت ومنجيين المطلعان على مؤلفاتهما فقد اوردا هذا التاريخ دون تمحيص . وقد كتب المستشرق الفرنسي أ . دريو في مقدمته لتقرير رايمون المطبوع ان كورانسيز في مقالاته المبكرة اعتبر عام ١٨٠٢ ايضا هو تاريخ تدمير كربلاء (٧٧) .

ويقول كاتب التقرير : «رأينا مؤخرا في المصير الرهيب الذي كان من نصيب ضريح الامام الحسين مثالا مرعبا على قساوة تعصب الوهابيين . فمن المعروف انه تجمعت في هذه المدينة ثروات لا تعد ولا تحصى وربما لا يوجد لها مثيل في كنوز الشاه الفارسي . لانه

كانت تتوارد على ضريح الحسين طوال عدة قرون هدايا من الفضة والذهب والاحجار الكريمة وعدد كبير من التحف النادرة . . . وحتى تيمورلنك صفح عن هذه الحضرة ، وكان الجميع يعرفون ان نادر شاه قد نقل الى ضريح الامام الحسين وضريح الامام على قسما كبيرا من الغنائم الوافرة التى جلبها من حملته على الهند وقدم معه ثروته الشخصية وها هى الثروات الهائلة التى تجمعت فى الضريح الاول تثير شهية الوهابيين وجشعهم منذ امد طويل . فقد كانوا دوما يحلمون بنهب هذه المدينة وكانوا واثقين من نجاحهم لدرجة ان دائنيهم حددوا موعد تسديد الديون فى ذلك اليوم السعيد الذى تتحقق فيه احلامهم .

وها قد حل هذا اليوم فى الاخير ، وهو ٢٠ نيسان (ابريل) ١٨٠٢ . فقد هجم ١٢ الف وهاى فجاة على ضريح الامام الحسين . وبعد ان استولوا على الغنائم الهائلة التى لم تحمل لهم مثلها اكبر الانتصارات تركوا كل ما تبقى للنار والسيوف . . . وهلك العجزة والاطفال والنساء جميعا بسيوف هؤلاء البرابرة . وكانت قساوتهم لا تشبع ولا ترتوى فلم يتوقفوا عن القتل حتى سالت الدماء انهارا . . . وبنتيجة هذه الكارثة الدموية هلك اكثر من اربعة الاف شخص . . . ونقل الوهابيون ما نهبوه على اكثر من اربعة الاف جمل (٧٨) .

وبعد النهب والقتل دمروا كذلك ضريح الامام وحولوه الى كومة من الاقذار والدماء . وحطموا خصوصا المنائر والقباب لانهم يعتقدون بان الطابوق الذى بنيت منه مصبوب من ذهب» (٧٩) .

وبنفس هذه الصبغة تقريبا يصف منجيين تدمير كربلاء ولكنه يقول ان الوهابيين اقدموا على مجزرة فى المدينة ، غير انهم رأفوا بالنساء والاطفال والشيوخ والعجزة . ودمروا قبة ضريح الحسين . وحصل الوهابيون على اغنى الغنائم ، ومنها سيوف مرصعة بالاحجار الكريمة ، ولؤلؤة هائلة بحجم بيضة الحمام . وقد استأثر سعود شخصيا بالسيوف واللؤلؤة . واستولوا كذلك على مزهريات وفوانيس من المعادن النفيسة وحلى ذهبية ملبسة على الجدران وسجاجيد فارسية ونحاس ملبس بالذهب من السطوح . ووقعت فى ايدى الوهابيين كذلك احتياطات فوطات كشمير والاقمشة الهندية والغان من السيوف العادية والغان وخمسائة بندقية وعبيد

سود ومبالغ هائلة من النقود المعدنية . واستمر النهب ثمانى ساعات . وعند الظهر غادر الوهابيون كربلاء (٨٠) .

وكتب المؤرخ الوهابى ابن بشر عن هذا الحادث يقول : «سار سعود بالجيوش المنصورة والخيال العتاق المشهورة من جميع حاضر نجد وباديتها والجنوب والحجاز وتهامة وغير ذلك وقصد ارض كربلاء . . . فحشد عليها المسلمون وتسوروا جدرانها ودخلوها عنوة وقتلوا غالب اهلها فى الاسواق والبيوت . وهدموا القبّة الموضوعّة (بزعم من اعتقد فيها) على قبر الحسين . واخذوا ما فى القبّة وما حولها واخذوا النصيبية التى وضعوها على القبر وكانت مرصوفة بالزمرّد والياقوت والجواهر واخذوا جميع ما وجدوا فى البلد من انواع الاموال والسلاح واللباس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك مما يعجز عنه الحصر ولم يلبثوا فيها الا ضحوة وخرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الاموال وقتل من اهلها قريب الفى رجل» (٨١) .

ولم يواجه الوهابيون اية مقاومة تقريبا . ويعزى ذلك الى ان قسما من السكان توجهوا للزيارة الى النجف . ومن المحتمل كذلك ان حاكم كربلاء ، وهو سنّى متعصب ، لم يتخذ الاجراءات اللازمة للدفاع عن هذه المدينة (٨٢) .

كان تدمير كربلاء افدح هزيمة لسليمان باشا العجوز . وكان السلطان يتحين الفرصة من زمان لتنحية هذا الوالى المستقل الذى كان له داخل العراق ايضا خصوم يتحلون بقدر كاف من الفتوة والنشاط . ومما زاد فى تدهور وضع الوالى ان الشاه الفارسى فتح على كان يلومه دوما متهما اياه بالعجز عن تأمين حراسة العتبات الشيعية ، ويهدده بارسال قوات فارسىة الى كربلاء (٨٣) . وبالفعل فبعد بضع سنين من تدمير كربلاء بدأت فارس تحارب ولايئة بغداد . الا ان المسؤولين فى بغداد كانوا يعتقدون بعدم امكان الحاق الهزيمة بالوهابيين فى اعماق الجزيرة العربية . ولذا وجهوا جل اهتمامهم لتعزيز المدن وترميم كربلاء وضريح الحسين .

استيلاء الوهابيين على مكة مؤقتا ورد فعل الباب العالى . بعد

تدمير كربلاء غدا الحجاز مسرحا رئيسيا للعمليات الحربية . وحتى ذلك الحين ادى سعود فريضة الحج مع قواته وعائلته مرتين

ليستعرض قوته العسكرية ويتأكد من الموقف في الحجاز محليا .
وانضمت قبائل عسير الى الوهابيين (٨٤) .

كانت احوال غالب في تلك الاثناء معقدة . واثار ابتزازه وادارته المتعسفة استياء في مكة والمدن الاخرى . وكانت الرسوم المتزايدة دوما في جدة قد حرمتها من تعاطف التجار . ورجحت كفة النجديين ، وصار الاشراف يطلبون السلاح من الاستانة . الا ان الباب العالي كانت لديه آنذاك هموم اكثر خطورة من تهديد الوهابيين لمكة . وفي اواخر عام ١٧٩٨ وصل الى مكة فرمان من السلطان تضمن طلبا بتعزيز تحصينات المدن في الحجاز خوفا من احتمال هجوم القوات الفرنسية . وجرى ترميم اسوار جدة واخذ السكان يمارسون الاستعدادات الحربية (٨٥) .

وفي عام ١٧٩٨ قصفت العمارة البريطانية بقيادة الاميرال بلانكيت مدينة السويس المحتلة من قبل الفرنسيين . وفي طريق العودة التقت العمارة مراسيها في جدة . وطالب الانجليز بوقف تجارة الحجاز مع مصر . ووافق الشريف على هذا الطلب شفويا ، ولكن التجارة استمرت ، بل وان غالب اقام اتصالات مع الفرنسيين ، ولكنه لم يحل دون ارسال فصيلة من متطوعي الجزيرة الذين حاربوا ضد الفرنسيين في صعيد مصر (٨٦) . ورغم الجهود التي بذلها غالب لزيادة حرسه وفصائل المرتزقة تقلصت قواته العسكرية بسبب انفصال بعض قبائل بدو الحجاز (٨٧) . الا ان اكبر خسارة مؤلمة بالنسبة له هي انتقال قريبه ومساعدته المقرب عثمان المضايقي الى صف الوهابيين ، وقد بدأ هذا الاخير بجمع البدو الذين كانوا في السابق من انصار غالب (٨٨) .

وبدأ المضايقي بهجوم نشيط على الحجاز . وفي عام ١٨٠٢ استولى بدون قتال تقريبا على مدينة واحة الطائف ونهبها بلا رحمة . وقتل الوهابيون حوالي ٢٠٠ من السكان ودمروا عددا من المنازل . وكان البدو يدهمون المدينة يوميا وينهبون كل ثمين ، وقد اتلفوا آلاف الكتب (٨٩) .

وكان تدمير كربلاء لا يزال عالقا بالذاكرة في الاستانة ، فصار المسؤولون هناك يخشون كثيرا على مصير مكة وحاولوا اتخاذ بعض الاجراءات لمقاومة الوهابيين . وفي اواخر آذار (مارس) ١٨٠٣ كتب ا . ايتالينسكي سفير روسيا في الاستانة الى بطرسبورغ يقول :

«فى ظروف الوضع الراهن يعتقد الباب العالى ان الخطر عليه نابع فقط من نوايا فرنسا ومن حركات التمرد لعدة قبائل عربية تسمى الوهابية وعدد العسكريين لديها زهاء ٦٠ الف شخص . وهم يتوقون الى الاستيلاء على ثروات الحرمين فى مكة والمدينة وينوون معارضة المحمدية بمذهب التوحيد وبغية جعلهم يحترمون القرآن ارسل اليهم من هنا عالم فقيه متبحر فى هذا الكتاب ، بينما تتخذ اجراءات اخرى ، فقد عينت قوات يراد لها ان تهاجمهم من جهة الخط البادى من البصرة الى العريش فى حين سيهاجمهم الشريف من جهة الحجاز» (٩٠) .
الا ان محاولات الحيلولة دون سقوط مكة قد اخفقت .

فى اواخر اذار (مارس) ١٨٠٣ توجه سعود مع قوات الوهابيين الرئيسية الى الحجاز . وفى تلك الاثناء كان فى مكة حجاج مسلحون من الشام ومصر والمغرب ومسقط وبلدان اخرى . ولكنهم رفضوا المشاركة فى العمليات الحربية ضد الوهابيين . اما الشريف الذى ظل مع قلة قليلة من المحاربين المخلصين له فقد فر الى جدة واخذ يعزز تحصيناتها على عجل . وبعث سعود الى اهالى مكة رسالة عرض فيها آراء الوهابيين ووعد بالرافة بمن ينصاع لهم .

وفى نيسان (ابريل) ١٨٠٣ دخل الوهابيون بانتظام الى مكة (٩١) . وبعد اداء مراسيم الحج اخذوا يدمرون كل الاضرحة والمزارات ذات القباب والتى انشئت تكريما لابطال فجر الاسلام . ومسحوا من وجه الارض كل المباني التى لا تناسب معتقداتهم . والزموا اهالى مكة باداء الصلاة بانتظام وبدون البسة حريرية ، كما الزمهم بعدم التدخين بحضور الاخرين . واحرقوا اكوام الغلايين فى الساحات ، وحرم بيع التبغ . والغيت الصلاة فى المساجد تكريما للسلطان العثمانى . وعين الوهابيون عبد المعين ، شقيق غالب ، حاكما لمكة . وبدلا من القاضى التركى عين فقيه من الدرعية قاضيا لمكة . وخلافا لسابقه التركى ترك هذا القاضى انطبعا وكانه يحكم بالعدل (٩٢) .

اثار نيا احتلال مكة الذعر والهلع والاكتئاب فى الاستانة . وسدد فقدان مكة اقصى ضربة الى سمعة الخليفة العثمانى ومكانته بوصفه حامى الحرمين والمدن المقدسة . فقد كان السلطان - الخليفة يسمى نفسه رسميا على النحو التالى : «نحن خادم وحامى الحرمين فى مكة والمدينة انبل المدن واقدس العتبات واللذين تقيم جميع الامم

شطرهما اثناء الصلاة ، وكذلك مدينة القدس الطاهرة . انا الخليفة الاعلى والملك السعيد لممالك واقاليم ومدن لا تعد ولا تحصى تشير حسد ملوك العالم وتقع فى آسيا واوربا وعلى البحر بين الابيض والاسود وفى الحجاز والعراق . . . » (٩٣) وغيرها وهكذا دواليك .

وجاء فى «مذكرة انباء الاستانة واخبارها» التى اعدتها سفارة روسيا ما يلى : «ان الخلافات التى تنهش احشاء الامبراطورية التركية ونهب الوهابيين لمكة والاتاوات المتزايدة بلا انقطاع كل ذلك اثار عند رعاى هذه العاصمة استياء شاملا من الحكومة» (٩٤) .

كان يجب القيام بشىء الا ان الاستانة عجزت عن ارسال قواتها لمحاربة الوهابيين ، فطلبت المساعدة من عكا وبغداد .

ويقول ايتالينسكى : «القرار الذى اتخذه الديوان الوزارى الحاكم لاستخدام (والى عكا احمد) باشا الجزائر ضد الوهابيين حطى بدعم هام . . . لسبب غير متوقع . فقد استلم الباب العالى رسائل مستعجلة من الجزائر تتضمن انباء غزوات عبد الوهاب وتقول بعدم وجود عوائق تحول دون تقدمه اللاحق وتشير الى نيته فى احتلال الشام . . . واخيرا يعرب الجزائر عن استعدادده للنهوض فى وجه هذا العدو الخطر على الدين والعرش ويعد بالقضاء عليه وتشتيت قواته فى غضون ستة اشهر واعادة الممتلكات التى نهبها الى الباب العالى» (٩٥) .

وكتب والى بغداد الى الباب العالى بانه متوجه فى حملة للبحث عنهم فى عقر دارهم وانه ينوى ابادتهم ولديه من اجل ذلك خيالة بخسمة الاف فارس ومشاة ١٠ آلاف رجل و٦٠ ألف جمل ، ويأمل بان هذه الحملة يمكن ان تتم فى غضون ستة اشهر . وطلب من الباب العالى مدفعية وبارودا وخياما .

وعندما استلم الباب العالى هذه المعلومات من حاكمى الشام والعراق «اخذ يعلل نفسه بالامال بالتخلص من الخوف نهائيا فى القريب العاجل» . الا ان سفير روسيا يشك فى قدرة بغداد على تسديد الضربة ويلاحظ بحق «ان الجزائر يفكر بالاستيلاء على دمشق الشام اكثر مما يفكر بالحملة على الوهابيين» (٩٦) .

ومع ذلك تمكن الباب العالى من ارسال فصيلة تركية غير كبيرة بقيادة شريف باشا الى الحجاز . ولم يتمكن امير الدرعية هذه

المرة من تثبيت اقدمه في الحجاز لان عدد قواته تقلص كثيرا بسبب الامراض (٩٧) . وكتب روسيتي يقول : «ان الامراض التي تفشت في جيش عبد الوهاب ارغمته على رفع حصار جدة . والتقت قوات شريف باشا بقوات شريف (مكة) فتمكنت من دخولها» (٩٨) . وظلت قلعة المدينة التي رابط فيها فصيل من الوهابيين تبدي مقاومة بعض الوقت ثم سقطت في تموز (يوليو) ١٨٠٣ .

وكتب ايتالينسكي ٢٥ آب - ٣ ايلول «ان الباب العالي استلم من المدينة المنورة تقارير من شريف باشا والى جدة وصلت بعد ٥٠ يوما . وهي تؤكد الانباء التي وصلت سابقا عن الانتصار الذي تم على الوهابيين قرب جدة والمدينة وعن انسحابهم الى عاصمتهم الدرعية» (٩٩) .

وكان مقتل امير الدرعية عبد العزيز ضربة جديدة للوهابيين . ففي خريف عام ١٨٠٣ قتل في مسجد الطريف بالعاصمة على يد درويش غير معروف يدعى عثمان ، وهو كردى من احدى قرى الموصل . وكان هذا الدرويش قد حل ضيفا على البلاط . وعندما سجد عبد العزيز اثناء الصلاة في الصف الامامى من المسلمين هجم هذا الدرويش الذي كان في الصف الثالث على الامير وقتله بطعنة من خنجر ، ثم جرح أخاه عبد الله . وعم المسجد هرج ومرج وتمكن الجريح عبد الله من ضرب الدرويش بالسيف ، واجهز عليه الآخرون في الحال (١٠٠) .

وتفيد بعض المعلومات ان قاتل عبد العزيز شيعى هلك كل افراد عائلته اثناء غزو كربلاء (١٠١) . وكتب منجب ان عمامته احتوت على رسالة بنص مكتوب بالفارسية : «ربك ودينك يوجبان عليك قتل عبد العزيز . اذا تمكنت من الفرار ستحظى بمكافأة سخية واذا مت فابواب الجنة مفتوحة امامك» (١٠٢) . ان هذا النبأ يشبه لدرجة كبيرة تكتيك الاسماعيلية فى القرون الوسطى والروايات المرتبطة بنشاطهم . وكان ابن بشر يشك فى ان مقتل الامام عبد العزيز كان ثارا لكربلاء ، وذلك لان القاتل كردى والاكراد سنة كما هو معروف (١٠٣) . يؤكد مؤلف «لمع الشهاب» ان والى بغداد بعث عميلا الى الدرعية ودفع بسخاء لعائلته فيما بعد (١٠٤) . ومع ذلك يظل جواب السؤال عن هوية قاتل عبد

العزیز ودوافع سلوكه فی طی الافتراضات . فقد كان لدى الوهابیین عدد كبير من الاعداء الحاقدين عليهم .

واسرع سعود الى الدرعية بعد مقتل ابيه ، وبايعه سكانها فی الحال . واعترفت كل المناطق بالامير الجديد . وبعث سعود الى حكام المناطق رسائل عاهدہم فيها على ان يلتزم بالعدل ، ولكنه سينتقم بلا رحمة من العصاة والمتأمرين .

السيطرة على الحجاز . فی العام التالى اخذ الوهابيون من جديد يضيّقون على خصومهم فی الحجاز واستمرت طوال العام المعارك التى شارك فيها الاتراك الى جانب قوات الشريف .

وفى عام ١٨٠٥ هاجمت قوات غالب وعددها حوالى ١٠ آلاف شخص اتحاد القبائل الموالية للوهابیین وعلى رأسها الامير عبد الوهاب ابو نقطة وهو من شيوخ عسير ومنى الشريف غالب بهزيمة فقد فيها بضع مئات من القتلى ، واغلبهم من الاتراك (١٠٥) . ويبدو ان حلفاء غالب البدو قد تركوه ، بينما دحرت نهائيا الفصيصة التركية فى قواته . وعلى اثر ذلك طوق الوهابيون مكة واعاقوا الحج (١٠٦) وتأجج العداء من جديد بين الاتراك والشريف غالب آنذاك ، فرفض الاتراك مساعدته .

وفى شتاء عام ١٨٠٥-١٨٠٦ عزم سعود على تسديد ضربة قاضية الى غالب . وحاصر مكة بدو بزعامة عبد الوهاب ابى نقطة وعثمان المضايقى وسالم بن شكيان (امير بيشة) . وفى تلك الفترة (من ١٨٠٤ حتى ١٨٠٩) كانت الجزيرة العربية تعاني من قحط شديد . وبفضل طرق القوافل الامينة كانت الاغذية تصل بانتظام الى نجد ، الامر الذى خفف من اعباء اهاليه . الا ان الوضع لم يعد يطاق فى مكة المحاصرة . وصار الناس يأكلون الكلاب والجلود . ولم تنجح محاولة الانتقام من انصار الصلح فطلب غالب ذلك الصلح . ودخلت القوات الوهابية مكة (١٠٧) .

وسرعان ما اقتنع غالب بعدم جدوى مقاومته للوهابیین فاعلن الخضوع لهم فى عام ١٨٠٦ . وفى العام ذاته وصلت الى مكة جماعة من العلماء الوهابیین وعلى رأسهم الفقيه حميد بن ناصر للتبشير بافكار تجديد الاسلام (١٠٨) . وكان نجاح الوهابیین فى اقامة سلطتهم شمالي مكة من الاسباب التى دفعت غالب للكف عن المقاومة .

فمنذ عام ١٨٠٣ تبنى عدد من مشايخ قبائل حرب المذهب الجديد ووصل دعاة الوهابية اليهم . ولم تتكلم بالنجاح محاولة احتلال المدينة المنورة رأسا في عام ١٨٠٣ . الا انها استسلمت عام ١٨٠٥ (١٠٩) .

وفي الوقت ذاته احتل الوهابيون ينبع الواقعة تحت سيطرة شريف مكة .

وتم ضم الحجاز الى دولة السعوديين . صحيح ان تبعيته للوهابيين كانت اقل من تبعية بعض مناطق نجد او الاحساء ، مثلا . واحتفظ شريف مكة باستقلال كبير ، فلم يدفع الضرائب لا هو ولا رعيته . الا ان عائداته من الرسوم الجمركية في جدة تقلصت كثيرا ، لانه لم يعد باستطاعته ان يجبي تلك الرسوم من التجار الوهابيين . وتقلصت عائداته الاخرى ايضا .

يقول بوركهاردت : «ظلت بيد الشريف سلطة كبيرة مع ان الحجاز قد احتل . فان اسمه ومنصبه الرفيع وتأثيره الشخصي على الكثير من القبائل البدوية التي كانت لا تزال تقاوم سعود ، وكذلك الهدايا الثمينة التي يقدمها لسعود عندما يزور هذا الاخير مكة - كل ذلك جعل زعيم الوهابيين يتساهل بخصوص بعض تصرفات غالب» (١١٠) . كانت سلطة سعود في مكة متوازنة مع نفوذ غالب ، اما جدة فقد ظلت بالاساس تحت سيطرة غالب . ولتحقيق المزيد من التوازن عين المضايقي حاكما للطائف وخضعت له بعض قبائل الاطراف .

توقف الحج من الامبراطورية العثمانية . اعتبارا من عام ١٨٠٧ اخذ سعود يؤدي فريضة الحج سنويا على رأس قواته . وكان عادة يعين موزعا قرب المدينة المنورة لتجمع الوهابيين ثم يتحرك نحو الجنوب . وفي الطريق تنضم اليه فصائل من عسير والطائف ويبدو من مناطق الحدود بين الحجاز ونجد وعسير ومحاربون من مختلف مناطق نجد وجبل شمر بزعامة امرائهم . وكان سعود كل مرة يوزع الصدقات في مكة ويتبادل الهدايا مع غالب ويحمل كسوة ثمينة للكعبة (١١١) . وقد شهد ابن بشر حج سعود ذات مرة وترك وصفا تفصيليا له (١١٢) .

وقد اجلى سعود من الحجاز القضاة والموظفين العثمانيين الذين

كانوا في مكة والمدينة . وكان يعزّز دوما تحصينات المدينة المنورة ويحتفظ بحامية قوية فيها يستبدلها كل عام .

واعتبارا من عام ١٨٠٣ اخذ الوهابيون يعيقون بمختلف الوسائل قوافل الحجاج من ارجاء الامبراطورية العثمانية ، ومنها الشام ومصر . كانت قوافل الحجاج التي تتوارد على الحجاز سنويا تحضر معها المحمل وهو عبارة عن هودج مزين بفخامة على ظهر جمل يحظى بالتقدير . وفي المحمل كسوة الكعبة او نسخ من القرآن او نفائس الاحجار الكريمة . ويسير مع الحجاج موسيقيون يعزفون على الطنبور والطبول وغيرها . وكان بعض الحجاج يحضرون معهم مشروبات وتراققهم محظيات . ولا بد ان يشير ذلك تدمير الوهابيين لانه يتعارض مع اصول الدين ومبادئهم الاخلاقية .

وطالب الوهابيون بان تصل قوافل الحجاج الى الحجاز بدون محمل وبدون آلات موسيقية . واخذوا في الوقت ذاته يزيّدون ضريبة الحج . وفي عام ١٨٠٣ دفع كل حاج شامى الى الوهابيين ٨ بيزات مقابل حق دخول مكة . وسرعان ما اضطر الحجاج الى دفع ١٠ بيزات عن الشخص الواحد و ١٠ بيزات عن كل من دواب الركوب و ٧ بيزات عن كل قنطار من الاحمال و ١٠٠ كيسة عن مرور القافلة كلها (١١٣) . وفي عام ١٨٠٥ اخذوا من القافلة الشامية ٢٠٠ كيسة ولكنهم سمحوا بالدخول لحجاج منفردين (١١٤) . ويقول كورانسيّز ان الاتراك حاولوا في عام ١٨٠٦ شراء حق اداء فريضة الحج بمبلغ هائل هو الفا كيسة (مليون بيزة) ولكن قافلة الشام لم تتمكن من دخول مكة مع ذلك (١١٥) .

وبغية تأمين السماح بالحج تظاهر والى دمشق يوسف باشا بانه يلتزم بكل فرائض الوهابية . فقد منع الخمر وامر بغلق جميع الاسواق في دمشق اثناء الصلاة وفرض تقييدات مشينة على اهل الكتاب (زيا خاصا وهلمجرا) ، بل ومنع حلق اللحية . وكتب بازيلى «ان الوهابيين طالبوا ، وليس دون سبب ، بعدم احتواء القافلة على غلمان او حليقى اللحي عموما» (١١٦) . وفي عام ١٨٠٧ - ١٨٠٨ حاولت قافلة الشام ان تدخل مكة بدون محمل ولا سلاح ولا موسيقى ولكن دون جدوى (١١٧) . وتوقف في الواقع توارد وجبات كبيرة من الحجاج من الباب العالي .

بريطانيا والصراع من اجل عمان . لم يقتصر تقدم الوهابيين على

العمليات الحربية في الحجاز وشمال شرقي الجزيرة العربية في بداية العقد الاول من القرن التاسع عشر . فقد تمكنوا من فرض سيطرتهم تدريجيا على كل الساحل العربي للخليج بما فيه البحرين وتغلغلوا في اعماق عمان اكثر فاكثر .

كان سكان عمان مكونين من مجموعتين من القبائل : الاباضية الهناوية وسنة الغفري . وكان الصراع بين هاتين المجموعتين قد حدد تاريخ عمان طوال القرون . وهو الذي سهل تغلغل الوهابيين الى هذه البقاع . ونشير ، دون ان ندخل في التفاصيل ، الى ان سلطان ، احد ابناء احمد بن سعيد زعيم وامام الاباضية الذي طرد الفرس من عمان في عام ١٧٤٤ ، صار حاكما لمسقط في عام ١٧٩٢ . ولكن سلطان لم يعتبر زعيما روحيا (اماما) ، وادى ذلك الى اضعاف سلطته . وعلى الساحل العماني من الخليج ، وهو ساحل تخترقه الروافد والخلجان والمرافئ الملائمة ، كانت تعيش قبائل اخرى تمارس التجارة البحرية والقرصنة وصيد اللؤلؤ والاسماك . كانوا من اهل السنة وكانوا منعزلين عن الهناوية وعن الغفري (١١٨) . وفي عام ١٨٠١ شن سلطان بن احمد حملة على البحرين . وطلب سكان البحرين النجدة من الدرعية . وطرد الوهابيون المسقطيين والحقوا بهم خسائر فادحة ، ولكنهم جعلوا البحرين تابعة لدولة السعوديين (١١٩) .

وقبل ذلك بقليل بعث عبد العزيز الى عمان نسخة من مؤلف لمحمد بن عبد الوهاب ، وطالب بتبني المذهب الوهابي والخضوع لسلطة الدرعية . وفهم العمانيون ، واغلبهم من الاباضية ، مضمون الكتاب بشكل فريد . فقد كتب المؤرخ العماني ابن رزيق ما معناه ان هذا الكتاب يحل قتل جميع المسلمين غير المتفقين مع محمد بن عبد الوهاب والاستيلاء على املاكهم واستعباد ابنائهم واستحلال نسائهم دون موافقة ازواجهن (١٢٠) . ورفض الاباضية مطالب الوهابيين (١٢١) ، الا ان الغفري تحالفوا مع امام الدرعية .

وورد في «لمع الشهاب» ان الوهابيين في العقد الاخير من القرن الثامن عشر بدأوا بالحملات على عمان بقيادة مطلق المطيري وابراهيم بن عفيصان وحولوا مجموعة واحات البريمي الى قاعدة لهم (١٢٢) . وكانت البريمي ملتقى لطرق القوافل المؤدية الى شواطئ الخليج العربي وخليج عمان والجبل الاخضر .

وفى عام ١٨٠٠-١٨٠١ قام جيش الوهابيين بحملة موفقة على عمان قادها سالم الحرق احد مملوكى عبد العزيز . واقسم صقر حاكم مدينة رأس الخيمة التى هى مرفأ هام من الناحية الاستراتيجية ومركز لقبيلة القواسم يمين الولاء للوهابيين (١٢٣) . ووقعت تحت سيطرتهم المشيخات والامارات الصغيرة الاخرى على شاطئ الخليج العربى .

وغدا حاكم مسقط سلطان فى تبعية للدرعية . حاول ان ينظم المقاومة ضد الوهابيين فصمم على تقوية الصلات مع والى بغداد الذى كان مبعوثوه يحرضونه من زمان على محاربة العدو المشترك . وفى اواخر عام ١٨٠٤ توجه شخصيا مع اسطول الى البصرة . وفى طريق العودة الى مسقط نشبت معركة مع اسطول رأس الخيمة قتل فيها سلطان (١٢٤) .

وعاد الى مسقط قريبه بدر الذى كان منفيا الى الدرعية مؤملا بان يركز اقدامه بمساعدة حماته الوهابيين . وبقي على دسست الحكم عدة سنوات وحاول غرس المذهب الوهابى ولكن دون نجاح كبير (١٢٥) . فان ابناء سلطان بن احمد ثاروا فى عام ١٨٠٧ وازاحوا بدر وفى البداية التزم حاكم مسقط الجديد سالم ومن بعده اخوه سعيد بالخضوع للسعوديين ، ولكنهما رفضا فيما بعد دفع الاتاوات واخذوا يستعدان للعمليات الحربية (١٢٦) . وطلب سعيد النجدة من الشاه الفارسى فارسلى اليه هذا بضعة الاف من الجنود (١٢٧) . وفى ١٨٠٨-١٨٠٩ بدأ المسقطيون مع حلفائهم من صحار العمليات الحربية ضد رأس الخيمة ولكنهم اعلنوا عن خضوعهم للسعوديين بعد ان فقدوا عدة الاف من الاشخاص (١٢٨) .

وغدا سكان الساحل عمانى للخليج العربى ، وخصوصا قبيلة القواسم الذين توحدوا تحت سلطة السعوديين وكفوا عن الحزازات الداخلية ، قوة كبيرة راح اسطولها المكون من بضع مئات من السفن الكبيرة والصغيرة يجوب الخليج سيذا فيه . وفرضوا الرسوم والضرائب ونهبوا السفن التجارية العائدة لشركة الهند الشرقية التى تمخر البحر بين بومباى والبصرة (١٢٩) .

ونعيد الى الاذهان ان المؤرخين الغربيين يركزون على «الطابع القرصنى» المزعوم لسكان ساحل الخليج العربى . الا ان الحقيقة هى انهم كانوا يعيشون بالدرجة الاولى على الملاحة البحرية التجارية (دون

ان يستنكفوا عن القرصنة اذا سنحت الفرصة) وكانوا يعتبرون السفن البريطانية منافسة فتاة لهم . وينبغي على الاكثر اعتبار «قرصنتهم» ضد السفن البريطانية حربا ضد القادمين غير المرغوب فيهم .

وقد اصطدم توسع امارة الدرعية في عمان وساحل الخليج العربي مع المصالح البريطانية الاستعمارية .

في اواخر القرن الثامن عشر ترسخت سيطرة بريطانيا نهائيا على الهند ، حيث تمكنت بعد صراع دام قرنين تقريبا من التفوق على سائر منافسيها الاوربيين . وكان الانجليز قد سعوا الى الابقاء على الخليج العربي مفتوحا امام تجارتهم وخاليا من نفوذ اية دولة يمكن ان تهدد الهند . وظلت فرنسا اخطر دولة عليهم في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ، ولذا اعتبر الانجليز المتمركزون في الهند حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ مظهرا للخطر القديم . ولم يغير انهزام الفرنسيين في مصر فيما بعد خططهم (المشكوك في امكان تحقيقها) الرامية الى التقدم نحو الهند عن طريق الشام والعراق والخليج العربي مثلا .

وعلى تخوم القرنين الثامن عشر والتاسع عشر صار الوكلاء التجاريون البريطانيون في البلدان المرتبطة بالخليج العربي يتحولون الواحد تلو الآخر الى ممثلين سياسيين . وفي عام ١٧٩٨ وقعت بريطانيا معاهدة مع حاكم مسقط موجهة ضد الفرنسيين ، ولكنها ارسيت بداية تبعية مسقط لبريطانيا . وبعد عامين وصل ممثل بريطانيا الى المدينة .

وحاولت بريطانيا ان تقيم علاقات ودية مع حكومة السعوديين التي كانت تتقوى آنذاك . وكانت وكالة شركة الهند الشرقية التي كانت موجودة في البصرة في اواخر القرن الثامن عشر تبعث الهدايا دوما الى سعود (١٣٠) . وكانت للانجليز مصلحة في دعم تجارتهم المنتعشة بين بومباي والبصرة ، وكذلك في سلامة الطريق البريدي من الهند الى الشام عبر البصرة . وحاولوا اقناع الوهابيين بعدم المساس بسعاة البريد من البصرة الى حلب (١٣١) .

بيد ان الانجليز لم يكونوا يتورعون كذلك عن استخدام القوات العسكرية . فان الفصيل الوهابي الذي اقترب في عام ١٧٩٨-١٧٩٩ من الوكالة البريطانية المتواجدة آنذاك في اراضي الكويت الحالية

قد تراجع امام مدافع سفينة حربية بريطانية (١٣٢) . وبغية تسوية النزاع على نحو ما وصل الى الدرعية رينو ممثل شركة الهند الشرقية (١٣٣) . وكان يريد الحصول من الوهابيين على ضمانات للمصالح البريطانية فى الخليج العربى ، ولكنه لم يبلغ مقصده . وحاول الانجليز فى عام ١٨٠٥ ان يفرضوا الحماية على الكويت الا ان اميرها عبد الله الصباح فضل ان يبقى مستقلا (١٣٤) .

وفى العقد الاول من القرن التاسع عشر شنت السفن الحربية البريطانية عمليات حربية مباشرة ضد اسطول عرب عمان ، وفى عام ١٨٠٥ شنت اول حملة على القواسم (١٣٥) . وغدا المسقطيون حلفاء طبيعيين للانجليز .

وفى عام ١٨٠٩ زحف سعيد بن سلطان بقواته واسطوله الذى قاده ضابط انجليزى على رأس الخيمة . وتوجهت اليها عمارة حربية بريطانية . وقام الانجليز بانزال قواتهم بعد ان دحروا اسطول العمانيين الضعيف التسليح . وازالوا المدينة من سطح الارض ودمروا كل المستودعات واحواض بناء السفن وقتلوا السكان المحليين (١٣٦) . وكانت هزيمة حلفاء السعوديين واتباعهم ضربة شديدة للدرعية .

واخذ حاكما البحرين والزابارة من آل خليفة يديان تدمرهما من سلطة الوهابيين فاقتيدا الى الدرعية رهينتين . وهرب ابناؤهما الى مسقط وطلبوا النجدة من الانجليز . ودمرت السفن الحربية البريطانية حامية الوهابيين فى الزبارة ثم فى المنامة . واخفقت محاولات الدرعية لاستعادة سلطتها فى البحرين مع ان البحرينيين ظلوا يدفعون جزية ما الى السعوديين (١٣٧) .

وبعد جلاء الانجليز من رأس الخيمة عمرها سكانها من جديد . ورغم تدمير رأس الخيمة مجددا فى عام ١٨١٦ فقد تمكن القواسم فى العام التالى من جمع قوات بحرية كبيرة نسبيا وظهروا على بعد ٧٠ ميلا عن بومباى (١٣٨) . ولكن تلك الاحداث جرت فيما بعد . فى مطلع القرن التاسع عشر سعى الانجليز الى فرض سيطرتهم على البحر فى هذه المنطقة . ولم تكن سياستهم آنذاك تنص على تدخل نشيط فى الاحداث فى الجزيرة العربية . فلم تكن قوى الانجليز كافية لهذا الغرض ، ثم ان المكافأة التى يتوقعونها فى صحارى الجزيرة ضئيلة للغاية . وكان خصومهم الفرنسيون قد

ابعدوا عموما عن مسرح الجزيرة مع ان نابليون ، كما يعتقد المؤرخ التركي المعروف أ . جودت ، كان بوسعه ان يقيم اتصالا مع السعوديين (١٣٩) . الا ان فرنسا كانت مشغولة في مسارح العمليات الحربية الاوربية ، ثم ان الفرنسيين فقدوا في عام ١٨١٠ جزيرة موريشيس القاعدة الرئيسية لاسطولهم في المحيط الهندي . وقد بلغ نفوذ الوهابيين في عمان اوجه في عهد القائد العسكري السعودي مطلق المطيرى في بداية العقد الثانى من القرن التاسع عشر . وبالرغم من الدعم البريطانى اضطر حاكم مسقط سعيد بن سلطان لدفع ٤٠ الف ريال الى امير الدرعية (١٤٠) . ويبدو ان الوهابيين توغلوا في نفس تلك الفترة الى الجنوب الغربى ، الى ما وراء مسقط ، واقتحموا حضرموت ، حيث كان اوائل المبشرين الدرعيين قد وصلوا في عام ١٨٠٣-١٨٠٤ . ولم تكن جهودهم الدعائية موفقة آنذاك ، الا ان حضرموت دفعت هذه المرة الجزيرة الى الدرعية (١٤١) . غير ان مطلق المطيرى قتل في عام ١٨١٣ خلال مناوشة غير كبيرة . وفى تلك الاثناء بدأ الغزو المصرى للجزيرة ، فاخذ الوهابيون يسحبون قواتهم من عمان . وكان بعد هذا البلد وعداء الاباضية للوهابية ومقتل القائد العسكري الموهوب مطلق وغزو المصريين للحجاز والاجراءات المضادة التى اتخذتها بريطانيا - كل تلك العوامل اعاقت توسع امارة الدرعية في جنوب شرقى الجزيرة .

الزحف على عسير واليمن . على تخوم القرنين الثامن عشر والتاسع عشر انضمت عسير الى الوهابيين . وعلى اثرها رضخت امارة ابو عريش للدرعية (١٤٢) . ويصعب القول ان سيطرة الوهابيين على المناطق الواقعة جنوبى مكة كانت سيطرة كاملة . فهناك على الاصح حلفاء للسعوديين بحقوق منقوصة ، وليس رعية بالمعنى الكامل .

وفى وقت زحف الوهابيين على اليمن كان الوضع هناك ملائما لتوسعهم . فالبلاد منقسمة على نفسها بسبب الخلافات الداخلية والفوضى العشائرية والاقطاعية . وفقد ائمة الزيدية سلطتهم على المنطقة الساحلية الا ان التوسع فى اليمن لم يحقق نصرا كاملا . فان حملة قوات امير الدرعية عام ١٨٠٥-١٨٠٦ على نجران لم تتكامل بانتصار حاسم مع ان حاميات وهايبة ظلت فى قلاع تلك المنطقة .

ووقعت الحديدية في ايدي الوهابيين مرارا . وظلت المنطقة الجبلية في اليمن مستقلة في الواقع مع ان قوات السعوديين حاصرت صنعاء في عام ١٨٠٨ (١٤٣) .

لقد مارس الوهابيون دعاية نشيطة في اليمن وكانوا يرسلون اليها كل عام تقريبا جماعة من العلماء ولكن دون جدوى . وكان الشافعيون من سكان الساحل - تهامة اليمن - يتعاطفون مع المذهب الوهابي بسبب عدائهم لائمة صنعاء الزيديين . الا ان الشافعيين ما كانوا راغبين بالتفريط في استقلالهم الفعلي والخضوع للسعوديين .

وكان حمود ابو مسمار صاحب ابي عريش الذي شملت سلطته جزءا من تهامة اليمن قد انضم الى الوهابيين ، حتى انه شارك ، على ما يبدو ، في العمليات الحربية ضد امام صنعاء (١٤٤) . الا ان ما كان يقلقه هو ارتفاع نجم جاره ومنافسه حاكم عسير عبد الوهاب ابو نقطة تحت رعاية الوهابيين . ويقول ابن بشر ان سعود استدعى كلا الرجلين المتنافسين الى الدرعية وحاول اصلاح ما بينهما ولكن دون جدوى . واحس سعود بان روح التمرد تتصاعد عند ابي مسمار فأمره بشن حملة على صنعاء الا ان صاحب ابي عريش رفض .

وبعد ان توفرت لدى سعود ادلة على عدم ولاء تابعه المشاكس هذا اخذ يجمع المحاربين من كافة ارجاء الجزيرة للقضاء عليه . وبلغ عدد القوات الوهابية حوالى ٥٠ الف شخص ، مع ان هذا الرقم قد تكون فيه مبالغة . وكان يقاتل الى جانب ابي مسمار بدو من نجران واليمن . وفي اواخر عام ١٨٠٩ نشبت معركة ضارية قتل فيها ابو نقطة . ولكن قوات ابي مسمار منيت بالهزيمة ، ففر من المعركة وراح يعزز مواقعه في عاصمته ابو عريش التي لم يتمكن الوهابيون من احتلالها . وبامر من سعود شغل منصب ابي نقطة قريبه طامي بن شعيب (١٤٥) .

غزو العراق والشام . اذا تناولنا من جديد الوضع في الحدود الشمالية الشرقية للدولة السعودية نرى للوهلة الاولى ان الاحداث تطورت بصورة ملائمة للوهابيين .

فما كاد سليمان باشا يقضى نحبه في آب (اغسطس) ١٨٠٢ حتى بدأ صراع مستميت من اجل السلطة شارك فيه الانجليز والفرنسيون بشكل محموم . وتمكن كيخياه على قريب سليمان من

القضاء على منافسيه فصار واليا لبغداد . واحتفظ بالسلطة خمس سنوات تقريبا . كانت الولاية مضعفة بسبب القلاقل الداخلية والانتفاضات الشعبية وبسبب نضالات الاكراد المتواصلة . وفي آب ١٨٠٧ ذبح الوالى على فى احد المساجد . وبعد قليل استولى على منصبه كوجوك سليمان الذى ظل واليا حوالى ثلاث سنوات وانشغل بالحرب ضد الاكراد والوهايين حتى قتل فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٨١٠ . واستمرت الصدامات الحربية مع الفرس فى النصف الثانى من العقد الاول من القرن التاسع عشر .

وطوال السنوات التى اعقبت تدمير كربلاء قام الوهايين بغزوات عنيدة على العراق . ولكن حملاتهم التى استمرت حتى عام ١٨١٠ كانت محصورة فى نهج القرى غير المحمية وفى نهج البدو . ورغم المشاكل الداخلية فى العراق لم يتمكن الوهايين من تحقيق نجاحات تضاهى غزو كربلاء .

ولم تسفر عن انتصارات حاسمة كذلك غزوات الوهايين على الشام مع ان القبائل البدوية فيها اخذت تدفع الجزية لامير الدرعية فى مطلع القرن التاسع عشر (١٤٦) . وفى عام ١٨٠٨ بعث سعود رسالة الى مشايخ دمشق وحلب ومدن الشام الاخرى طالبا تبني المذهب الوهابى والخضوع لسلطة سعود ودفع الجزية . وساد الذعر والاضطراب ودمرت فصائل الوهايين القرى فى اطراف حلب ، وتغلغلت فى فلسطين فى الوقت ذاته . وقد اتخذت اجراءات عاجلة لحماية المدن الا ان الوهايين لم يتجرأوا على اقتحامها (١٤٧) .

وفى عام ١٨١٠ قام سعود مع بضعة آلاف من المقاتلين بغزوة جسورة للشام ونهب بضع عشرات من القرى ووصل الى دمشق تقريبا (١٤٨) . وكانت تلك آخر حملة له فى الاتجاه الشمالى . لقد بلغت اماره الدرعية اقصى حدود توسعها . وانتشرت سلطة السعوديين فى شبه الجزيرة العربية كلها تقريبا ، ودفع لهم الجزية حتى سلطان مسقط وامام اليمن وحكام حضرموت . وخضعت لامير الدرعية القبائل القاطنة فى البوادر والفيافى الممتدة حتى اراضى الهلال الخصيب . ويقدر مؤلف «لمع الشهاب» عدد السكان الخاضعين للسعوديين فى نجد بـ ٣٠٠ ألف وفى الحجاز وتهامة ٤٠٠ ألف وفى اليمن ٤٠٠ ألف او اكثر وفى شرقى اليمن ٢٠٠-٣٠٠ ألف وفى

شرقى الجزيرة ٤٠٠ الف وفى القبائل المترحلة ، مثل عنزة ، فى
البوادر بين المدينة المنورة والشام حوالى ٤٠٠ الف ، وفى عمان
وسواحلها من بدو وحضر ٢٠٠ الف (١٤٩) . وهكذا ضمت اماره
الدرعية عموما حوالى ٢,٤ مليون نسمة . وهذا الرقم يبدو واقعا ،
مع ان ما يخص اليمن قليل او ربما لم يدرج المؤلف عمدا هذا البلد
كله ضمن دولة السعوديين .

النظام الاجتماعي والسياسي في امارة الدرعية

لم تغير الوهابية النظام الاجتماعي في الجزيرة العربية مع ان فئة الوجهاء والاعيان في امارة الدرعية الشاسعة قد برزت من بين سواد السكان وكان نشاطها الاستغلالي منظما بعض الشيء . ان استئثار الوجهاء الحاكمين بالثروات عن طريق النهب والجزية ومصادرة الاموال وفرض الضرائب واستلام بدلات الايجار قد اتسع ولكنه لم يكن يختلف من حيث الجوهر عن الممارسات السابقة .

النهب في الغزوات والغرامات الحربية . كانت حملات الوهابيين تحت راية تجديد الدين تستهدف تحقيق مهمات دنيوية بحثة تتلخص في زيادة ثروات حكام الدرعية ووجهاء الجزيرة المرتبطين بها (وجهاء نجد بالدرجة الاولى) . ويدل ما كتبه مؤرخو الجزيرة والرحالة الاوربيون على ان الغزو ظل هو الطريق الرئيسى لحصول الوجهاء والاعيان على الثروة . وكتب المؤرخ الوهابى ابن بشر يقول ، بعد ان عدد الضرائب التى وردت الى الدرعية : «وما ينقل اليها من الاخماس والغنائم اضعاف ذلك» (١) . ويعتقد بوركهاردت كذلك ان الاخماس تحتل المرتبة الاولى بين عائدات حاكم الدرعية (٢) .

كانت غزوات الوهابيين الاولى تنتهى بالاستيلاء على بضعة عشرات من الابل والاغنام ونهب الحقول او بساتين النخيل ، اما في سنوات اوج قوتهم فقد كانت غنائمهم تبلغ عشرات الآلاف من رؤوس الماشية المنهوبة . وفى عام ١٧٩٦ بعد دحر قوات شريف مكة وقع فى ايدي الوهابيين ٣٠ الفا من الابل و٢٠٠ الف من الاغنام والماعز (٣) .

ويقول ابن بشر انه عندما تم فى عام ١٧٩٠-١٧٩١ دحر قبائل مطير وشمر حصل الوهابيون على «غنائم كثيرة من الابل

والغنم والاثاث والامتعة» . وسرعان ما تعرض سائر البدو لمثل هذا المصير . فقد كان الوهابيون يطاردونهم يومين او ثلاثة «ويأخذون منهم الاموال ويقتلون الرجال» (٤) . ان المصنفات التاريخية العربية غاصة بوقائع من هذا النوع .

وكما هو حال الغزوات البدوية كان النهب الوهابي يسفر عن تجريد القبائل المستضعفة ليس فقط من المنتج الزائد ، بل وكذلك من قسم كبير من المنتج الضروري ، وغالبا ما يحكم على السواد الاعظم من السكان المنهوبين بالموت جوعا . ولم يقتصر النهب على البسطاء من ابناء القبائل او سكان المدن ، فقد تعرض للنهب الوجهاء والاعيان ايضا . الا ان هؤلاء لا يندرون ان يعرضوا عن خسائرهم على حساب بسطاء البدو او الفلاحين . وكان الوهابيون المنتصرون يرأفون عادة بحال الوجهاء ، ويفضلون اقامة علاقات طيبة معهم . وكان الوجهاء المغلوبون يفقدون استقلاليتهم السابقة ، ولكنهم يصبحون جزءا من الطبقة الحاكمة في الدولة السعودية .

ويدل كبر حصة غنائم الحرب في مداخل الدولة الوهابية على طابعها الحربي التوسعي . فقد تعرضت للنهب القبائل والمدن والواحات والمناطق غير المنضمة اليها او التي حاولت التخلص من سلطة امراء الدرعية . وكانت الحروب والغزوات والنهب والتوسع المتواصل من اهم شروط وجود الدولة السعودية .

وكان مستوى تطور القوى المنتجة في الجزيرة العربية لا يزال عاجزا عن تمكين الوجهاء والاعيان الوهابيين من الاستئثار بمنتج عمل السكان بواسطة الانواع الاكثر تنظيما من الاستغلال بنفس المقادير التي يؤمنها النهب السافر . وبغية الحفاظ على مداخل الطبقة الحاكمة تعين على امارة الدرعية ان تتوسع بلا انقطاع . وفي حالة توقف التوسع لن يتمكن الوجهاء الحضر ، وخصوصا وجهاء البدو ، من استلام المداخل التي تعودوا على استلامها من السكان الخاضعين لهم . وفي تلك الحالة تنتفي دوافع توحيد الوجهاء والاعيان في اطار دولة موحدة . وفي ذلك يكمن التناقض الداخلي الرئيسي للدولة الوهابية الاولى التي كانت تحمل في احشائها منذ لحظة ظهورها جنين هلاكها وسقوطها .

وكان المصدر الآخر لاثراء الطبقة الحاكمة هو الغرامات ، وهي

عبارة عن جزية نقدية او عينية تفرض على القبائل او الواحات الخاضعة للوهابيين او المنظمة اليهم . وكانت الغرامات تفرض مرة واحدة ، ولكن تسديدها قد يستمر عدة سنوات فيكتسب شكل الجزية او الضريبة المتواصلة .

ففى عام ١٧٨٧-١٧٨٨ فرضت على اهالى واحات وادى الدواسر الذين اخضعهم الوهابيون غرامات بمبلغ الفى ريال كان يجب تسديد الف منها فوراً (٥) .

وبعد ان منى امير الاحساء عريعر بالهزيمة فى هجومه على الوهابيين تهياً امير الدرعية للتنكيل بحلفائه الذين انتقلوا الى صف الاحسائيين . وطلبت منه واحات المحمل وئادق ان يعفوا عنها ، فعفا عنها ، ولكنه فرض عليها ، كعقوبة ، غرامات «من ثمر الزرع والتمر» (٦) .

وفى عام ١٧٦٧-١٧٦٨ انضم الى الوهابيين سكان الوشم وسدير و«بايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة» . والتزموا بان يدفعوا الى الدرعية غرامات نقدية وعينية (٧) . وعندما اخضع امير الدرعية سكان الحوطة والحريق واليمامة والسلمية وقسم من الخرج فرض عليهم جزية «بما شاء من النقود» (٨) .

وفرض الوهابيون غرامات بشكل نقود واسلحة وافضل الخيول مع عدتها على قبائل البدو المجاورة لمكة (٩) .

الاستيلاء على الملكية العقارية . لم يورد المؤرخون الوهابيون عن انتزاع الاراضى من الفلاحين وتحويلهم الى مستأجرين الا انباء متفرقة وشحيحة .

عندما احتل عبد العزيز الرياض «ملك يبوتهنا ونخيلها الا قليلها» (١٠) . ويبدو ان مساكن اهل الرياض غدت ملكا لامير الدرعية . ولكن ماذا يستفيد من هذه الملكية اذا كان الكثير من سكان الرياض قد هربوا ؟ وهل يستطيع الامير ان يؤجر تلك الدور ؟ لعل امير الدرعية قد باع فى اغلب الظن الادوات المنزلية المنهوبة وليس واضحا كذلك كيف جرى التصرف بالنخيل . فمن الذى صار يسهر عليها ؟ وما الذى يعنيه المؤرخ بقوله «الا قليلها ؟» ربما كانت هذه النخيل ملكا لانصار الوهابيين من اهالى الرياض او ان عبد العزيز وزعها على المقربين اليه .

ونجد معلومات اكثر تحديدا عن بساتين النخيل في الخرمة .
فقد احتل الوهابيون الواحة ووافق سكانها على اعادة النخيل الى
بيت المال (١١) . اما باقى المزروعات المغروسة بين النخيل او
فى الحقول الخالية من النخيل فلا نعرف عنها شيئا . (وبالمناسبة
فان شروط هذا الاتفاق لم تنفذ . فقد اعتبرها عبد العزيز سهلة
جدا ، ولذا امر بتدمير اسوار الواحة وتهديم قسم من الدور وطرد
جماعة من السكان) .

وفى معرض الحديث عن مداخل الدولة السعودية اشار
بوركهاردت الى ان بيت المال (الخزينة) يقسم الى قسمين احدهما
للإمام والآخر للدولة . «ويتسلم زعيم الوهابيين القسم الأكبر من
مداخله من عائدات املاكه الخاصة . وقد جرت العادة على ان يذهب
احدى مناطقه او مدنه اذا كانت قد تمردت لأول مرة . واذا تكرر
التمرد لا يكتفى بالذهب ، بل يصادر كل اراضى السكان ويحيلها
الى بيت المال . ثم يهدى قسما منها الى الغير ، ولكنه يترك القسم
الأكبر لاصحابها السابقين الذين يتحولون الى مستأجرين ويجب
عليهم ان يدفعوا له تبعا للظروف ثلث المحصول او نصفه . ان
ملكية الاشخاص الذين شاركوا انشط مشاركة فى التمرد تحال الى
غيرهم . اما هم انفسهم فيطردون او يقتلون . . . وفى الوقت
الحاضر يعود القسم الأكبر من الملكية العقارية فى نجد الى بيت
المال اى خزينة الدولة . وان ملكية كل الاراضى فى القصيم التى
كان سكانها يتمردون دوما قد تركت لهم على سبيل الايجار .
والكثير من القرى فى الحجاز وفى الجبال الواقعة على جانب اليمن
يعود الى بيت المال ايضا» (١٢) .

ان نظام استغلال السكان الخاضعين الذين يتحدث عنهم
المقتطف اعلاه يبدو على العموم ناجزا وكاملا ، مع ان الكثير من
جوانبه يبقى غامضا ، ومن ذلك ، مثلا ، مسألة ما اذا كان بدل
الاجار يرد الى بيت المال او يوضع تحت تصرف امير الدرعية
شخصيا . ومن يقصد بوركهاردت بكلمة «الغير» ، هل يقصد
الفلاحين الذين استقروا فى المناطق التى استولى عليها الوهابيون
ام يقصد ملاكا جددا يستأجر الملاك السابقون الاراضى منهم ؟
سؤال تصعب الاجابة عليه .

ان معطيات هذا الرحالة الاوربى والمصنفات العربية تكمّل

بعضها البعض ، ولكنها متعارضة بعض الشيء . وهناك مبررات تجعلنا نصدق بقدر اكبر ما يقوله مؤرخو الجزيرة . فان ابن بشر ، مثلا ، كانت له علاقات مع موظفي المالية في البلاط وقد استقى معلوماته منهم شخصا . اما بوركهاردت فكان يتناول الكثير من ظواهر الحياة في الجزيرة من مواقع الاوربي المتحيزة دون قصد . ان مؤرخي الجزيرة لا يتحدثون الا نادرا جدا عن ملكية الاراضى المحالة الى بيت المال . وهم يشيرون في عدة حالات فقط الى وجود الخراج (ضريبة الارض) في الدولة الوهابية ، ولكنهم لا يحددون طابعه . واذا كان الخراج هو ايجار الارض الذى يقدم لقاء اراضى الدولة فان معطيات بوركهاردت تحصل على برهنة كافية الى حد ما . وفى هذه الحالة يمكن الكلام عن اعادة توزيع مكثفة لملكية الاراضى فى الدولة السعودية وعن التوافق بين ريع الارض والخراج الذى يجبيه بيت المال .

وعندما ابدى حليف الوهابيين امير حريملا مبارك بن عدوان تذمرا اقترح عليه محمد بن عبد الوهاب وامير الدرعية قائلين «خذ من نخيل حريملا ما تريد واجلس عندنا ولك الحشمة والوقار وخراجك علينا» . وصار مبارك بـن عدوان اسيرا فخريا عند الوهابيين (١٣) . ولكنه ، على ما يبدو ، احتفظ بريع بساتين النخيل .

الزكاة . من اهم المستحدثات فى امارة الدرعية فرض ضريبة مركزية منتظمة على جميع سكان الدولة بشكل الزكاة المنصوص عليها فى القرآن لمساعدة الفقراء والمساكين والتي هى واحد من اركان الاسلام . ان الاهداف الدينية المتجسدة فى بعث الزكاة تستجيب بافضل شكل لمتطلبات ومهمات الدولة السعودية الاقطاعية . وأشار ابن بشر وهو يتحدث عن استيفاء الزكاة الى ان «الاسلام الحقيقى» انتشر فى نجد وقال «بعث العمال لقبض الزكاة وخراج الثمار بعد ان كانوا قبل ذلك يسمون عند الناس مكاسا وعشارا» (١٤) .

ويقول هذا المؤرخ النجدي انه كانت تخرج من الدرعية سنويا جماعات لقبض الزكاة من البدو . وكل جماعة تتكون من سبعة اشخاص تضم اميرا وكاتبا وحامل الدفتر وجابيا لجمع النقود من بيع الابل والغنم والماعز المخصصة لتسديد الزكاة ، بالاضافة

الى ثلاثة حراس مسلحين يقومون بجمع القطعان واقتيادها وحراستها . وكان حكام الدرعية يرسلون الى البدو اكثر من سبعين جماعة لقبض الزكاة . وكان هناك مخولون خاصون باستيفاء الزكاة من محاصيل المزارعين ومن القرى الصغيرة والكبيرة وموظفون لاستيفاء الزكاة من البضائع (١٥) .

وكتب بوركهاردت يقول «كان جياة الزكاة يرسلون سنويا من الدرعية الى مختلف المناطق والقبائل . وهم يستلمون مبلغا نقديا معيناً مقابل عملهم وكذلك نفقات السفر» (١٦) .

وتبين معلومات ابن بشر ان جماعات قبض الزكاة كانت تعيش على حساب الاشخاص الذين تستوفى عنهم الزكاة (١٧) . وهذا يهيئ الفرصة للفساد .

وتبلغ الزكاة عشر محصول الاراضى الديمية وخمس محصول الاراضى الاروائية ورابع العشر من رأسمال التاجر (١٨) . ويقول بوركهاردت انهم كانوا يأخذون ريالاً من قبيلة عنزة لقاء كل خمسة جمال وثمان نعجة واحدة لقاء كل ٤٠ رأساً من الغنم ، وما يعادل ٧ شلنات على كل حصان (١٩) . ولكنه يمكن الافتراض بان مبلغ الزكاة يختلف باختلاف المناطق .

ويصعب تحديد المبالغ الاجمالية للزكاة التى كانت ترد الى الدرعية ، مع ان ابن بشر قد اورد بعض الارقام وكتب يقول : «واخبرنى احمد بن محمد المدلجى قال كنت كاتباً لعمال علوى من مطير مرة فى زمن عبد العزيز . فكان ما حصل منهم من الزكاة فى سنة واحدة احد عشر الف ريال . قال وكان عمال بريه من مطير رئيسهم عبد الرحمن بن مشارى بن سعود . فكان ما جبى منهم اثنى عشر الف ريال . ومن هتيم سبعة الاف ريال . وكانت زكاة مطير فى تلك السنة ثلاثين الف ريال . وكان عنزة اهل الشام وبوادرى خيبر وبوادرى الحويطات المعروفات ومن فى نجد من عنزة يبعث اليهم عوامل كثيرة ويأتون منهم باموال عظيمة . واخبرنى من اثق به قال اناخ فى يوم واحد تحت الطلحة المعروفة عند باب بلد شقرا اربع عوامل من عمال بوادرى الشام ، كل عاملة معها عشرة آلاف ريال . قلت ويأتى غير ذلك من زكاة بوادرى شمر وبوادرى الظفير قريب ما يأتى من عنزة ، ومن قحطان وبوادرى حرب وعتيبة وجهينة وبوادرى اليمن وعمان وآل مرة والعجمان

وسبيع والسهول وغيرهم ما يعجز الحصر . وتؤخذ منهم الزكاة على الامر الشرعى ولا يؤخذ فيها كرائم الاموال ولا دونها الا من غيب من ابله او غنمه شيئا عن الزكاة فيؤخذ منه الزكاة والنكال» (٢٠) .
ويبدو ان حجم واردات الزكاة فى الدرعية قد ازداد بقدر اكبر فى عهد سعود بن عبد العزيز .

فقد قال عنه ابن بشر ما يلى : «واما عماله الذين يبعثهم لقبض زكاة الابل والغنم فى بوادى جزيرة العرب مما وراء الحرمين الشريفين وعمان واليمن والعراق والشام وما بين ذلك من بوادى نجد فذكر لى بعض خواص سعود ممن قد صار كاتبا عنده ، قال : كان يبعث الى تلك البوادر بضعا وسبعين عاملة فى كل منها سبعة رجال واخبرنى ذلك الرجل ان سعودا بعث عماله لبوادر الغز المعروفين فى ناحية مصر * ، وبعث عماله ايضا لبوادر يام نجران وقبضوا من الجميع الزكاة وقال : آتوا عمال آل فدعان المعروفين من بوادى عنزة بزكاتهم بلغت اربعين الف ريال من غير خرج العمال وثمانى افراس من الخيل الجياد . قال : وهذا اكثر ما تأتى به العاملة من تلك العمال كل سنة ، واقل ما تأتى به العاملة من اولئك العمال المذكورين ثلاثة آلاف ريال والفين ونصف ، قال : والذى يأخذه سعود على بندر اللحية المعروفة فى اليمن مائة وخمسون الف ريال وهو لا يأخذ الا ربع العشر ، ومن بندر الحديدة نحو ذلك

قلت : واما غير ذلك مما يجىء الى الدرعية من الاموال من القطيف والبحرين وعمان واليمن وتهامة والحجاز وغير ذلك وزكاة ثمار نجد وعروضها واثمانها لا يستطيع احد عده ولا حصره . . . » (٢١) .

ولم يذكر ابن بشر المبلغ الاجمالى لمداخيل امراء الدرعية . وربما لا يعرف ذلك المبلغ الامراء انفسهم . وقد قدر بوركهاردت العائدات السنوية لبيت مال الوهابيين بمليون ريال ، علما بان افضل الاعوام عاد عليهم بمليونى ريال (٢٢) . الا ان الرحالة لم

* الا يقصد المؤلف بدو سيناء او صحراء النقب قرب غزة ؟

يؤكد على ما إذا كان هذا الرقم يضم غنائم الحرب ومختلف انواع الغرامات ام انه يضم الضرائب فقط .

ويقول مؤلف «لمع الشهاب» ان العائدات الضرائبية السنوية لسعود فى عز جبروته بلغت كما يلى : ٤٠٠ الف ريال من سكان نجد البدو والحضر و ٥٠٠ الف من بدو الشام واليمن وتهامة وعمان وحوالى ٤٠٠ الف من الاحساء و ٢٠٠ الف من القطيف و ٤٠ الف من البحرين ، و ٣٠٠ الف من اليمن (من السكان الحضر على ما يبدو) و ٢٠٠ الف من بدو الحجاز وبعض المناطق الاخرى و ١٢٠ الف من رأس الخيمة (بما فيها حصة النهب) و ١٢٠ الف من حضر وبدو (٩) عمان ، فضلا عن نفقات القوات الوهابية هناك . اما غنائم الغزوات فلا تعد ولا تحصى . وكان سعود شخصيا يستلم مداخيل كبيرة بشكل هدايا من الحجاج الاثرياء ، وكانت الاراضى التى يملكها فى نجد والاحساء تعود عليه بـ ٣٠٠ الف ريال (٢٣) وهكذا يصل المبلغ الاجمالى لمداخيل امير الدرعية بشكل ضرائب حسب معلومات «لمع الشهاب» الى مليونى ريال تقريبا . وهذا يتفق مع ما قاله بوركهاردت .

كانت عائدات الامراء السعوديين هائلة بالنسبة للجزيرة العربية آنذاك . ولكنه ينبغي ان نأخذ بعين الاعتبار التذنب الكبير فى الاسعار من موسم لآخر او من منطقة لآخرى . ويكفى القول ان حمل الحطب فى الدرعية ، كما يقول ابن بشر ، يكلف ٥-٦ ريالات وان ثمن النخلة الواحدة يصل الى ٥٠ ريالا (٢٤) . ان الطابع الطبقي للدولة السعودية التى كانت تخدم مصالح وجهاء الجزيرة العربية قد تجلى كذلك فى ميدان التوزيع المركزى للثروات . ولكنه لا يمكن تحديد المبالغ المطلقة والنسبية لنفقات الدولة الا بصورة تقريبية .

البلاط السعودى . ان الاموال التى تنفق على بلاط امراء الدرعية واسرة محمد بن عبد الوهاب تشكل واحدا من ابواب الصرف الرئيسية . لقد تجمعت كملكية شخصية للسعوديين ثروات بشكل اراض فى الواحات وماشية واحجار كريمة ومجوهرات واموال اخرى . وكتب ابن بشر يقول ان ثلث الضرائب المستحصلة فى منطقة الاحساء ينفق على بلاط السعوديين واسرة ابن عبد الوهاب والخاصية (٢٥) .

ان عوائل الوجهاء العرب عموما كبيرة للغاية . فالاموال الكثيرة تمكن ابناء الوجهاء من التزوج من اربع نساء على الاقل كما ينص القرآن ، بالاضافة الى الجوارى . وان التغذية الجيدة والظروف الصحية الافضل بعض الشيء مما لدى باقى السكان تقلل من وفيات الاطفال فى العوائل الموسرة . وكانت عائلة السعوديين كبيرة جدا (الامير واخوانه واولاده واعمامه وابناء عمومته وابناؤهم) . ويقول بوركهاردت انه كان لدى سعود عدة زوجات ووصايف حبشيات (٢٦) .

ان امراء الدرعية بعد ان انضوا تحت لواء الوهابية التمسى باركت سلطتهم والتي تدعو الى البساطة والاعتدال صاروا يعيشون بقدر كبير من البذخ والفخفة بالنسبة للجزيرة العربية . و اشار كورانسيز الى «ان سعود ذاق طعم الترف وكان لا بد من ان يتأثر به» . ويضيف المؤرخ الفرنسى قائلا : ذلك هو طريق جميع الطوائف التى «تبدأ بالبساطة والتقشف لتجذب الجماهير وتنتهى بالترف للزعماء» (٢٧) .

ونقرأ فى «لمع الشهاب» عن سعود ما يلى : «وكان تحتاه اربع نسوة بالعقد وست جوار من القرج ارسل بعض الناس خفية الى اطراف بلاد الروم فاشتروهن له بقيمة كبيرة قيل كل واحدة اشتراها بثلاثة آلاف ريال او اكثر لانهن متناهيات فى حسن الصورة وايضا له عشر وصايف حبشيات بعضهن اهداه له الشريف حمود ابو مسمار صاحب ابى عريش وتهامه اليمن وبعضهن اتوه به القواسم اهل راس الخيمة من ما اكتسب من الغنائم وقد غير بنيان البيت الذى كان لابييه عبد العزيز فوسع عرصته وبنى غرفا وخلوات وعين لكل امرأة موضعا خاصا هى وخدمها واما لباس نسائه فكان اطيب لباس وغالبه من الحرير الهندى المصنوع بالذهب احمر او اصفر او اخضر وغير ذلك من الالوان وكذلك يلبس من بز الشام الحرير العال المطرز بالذهب

وقد جملهن من الحلى شيئا عظيما من الذهب المرصع بالجواهر النفيسة من الياقوت الاحمر وغيره كثيرا وكان يرسل بعض الناس الى ملك فارس فيشترون له ذلك وكان سعود يترف فى الماكول كما يترف فى الملبوس وغالب قوته وقوت عياله الرز وصار اكل الحنطة لديهم قليلا واتخذ له اناسا من اهل

الاحساء او القطيف يصنعون له الاطعمة الحسنة من اللحوم المقلية والطيور المحشية والحلويات . . . » (٢٨) .

وكتب رايمون «ان سعود يجب ابداء كل مظاهر الفخفة . وكل شىء فى قصره يدل على العظمة والبذخ ولا يرفض اى شىء من اجل تزيين القصر . ولا يبخلون بالذهب واللؤلؤ واغلى الاقمشة الهندية من اجل جعله اكثر روعة . ويقال ان عبادة سعود بدیعة الصنع للغاية وقد كلفته ما لا يقل عن ٦٠ الف بيزة» (٢٩) .

فى اقوال رايمون مبالغة . ولكن من الواضح ان امراء الدرعية فى تلك الازمان الغابرة لم يبخلوا على انفسهم بالترف الذى يتمكنون عليه . والى جانب الماشية والاراضى والاحجار الكريمة والسلاح المزين بالنفائس والقصور والقلاع كانوا يمتلكون كذلك الخيول الاصيلة التى يعتز بها وجهاء الجزيرة كل الاعتزاز . ومن المعروف ان سعود بن عبد العزيز اتفق اموالا طائلة على رعاية تلك الخيول . وبلغ عدد الخيول الاصيلة فى قطعانه ٢٥ الف رأس (٣٠) . وخصص منها ٦٠٠ حصان لاشجع البدو والمماليك (٣١) . وكان لدى كل من ابناء سعود ١٠٠-١٥٠ حصانا ، وكان عند ولى العهد عبد الله ٣٠٠ (٣٢) . كان امراء الدرعية يستولون على الخيول فى الغزوات ويستلمونها بشكل هدايا وزكاة وغرامات ، ولا يتورعون حتى عن ابتزازها . كتب بوركهاردت يقول «الاعراب يتشكون من انه عندما يمتلك احد ما حصانا جيدا فان سعود يجد ضده تهمة ما بخرق القانون او بسوء السلوك لى يبرر مصادرة ذلك الحصان» (٣٣) .

وكانت اموال كبيرة تنفق على الضيافة التقليدية . وفى كل يوم يحل على سعود بضع مئات من الضيوف (٣٤) . وكان سعود يخصص للضيوف سنويا ٥٠٠ صاع من الرز والقمح (٣٥) . (يتراوح الصاع فى الجزيرة العربية ما بين لتر واحد ولتريين ونصف) . وخلال يومين من ولاء زفاف احد ابناء سعود التهم الضيوف ١٤٠ ناقة و١٣٠٠ خروف (٣٦) .

ان ضيوف سعود الكثيرين لم يكونوا من الفقراء عادة . وكان سخاء الامير يعم الموسرين فى الغالب . ثم ان الغذاء المقدم للضيوف يختلف . فالوجهاء يقدم لهم اللحم والرز ، والاقل منهم جاها يقدم لهم التمر والبرغل (٣٧) .

وكان سعود يمتلك عددا كبيرا من العبيد . كتب ابن بشر يقول : «وماليكه الذكور اكثر من خمسمائة مملوك وقال غيره : ستمائة الذكور وقال آخر ان ماليكه الف الذكور اكثر من خمسمائة ومائتان الاناث والذي يظهر من القصر آخر رمضان الف وثلثمائة فطرة عن خدمه وعبيده وما فى قصره من الايتام» (٣٨) . وكان عبيد الامير يتمتعون بالامتيازات بالمقارنة مع مجموع سكان الجزيرة الفقراء شبه الجياع . وكانوا يشكلون حرس البلاط وحاشية شخصية للامير . وقد ارتقى بعضهم الى مناصب عليا فى الدولة . فان المملوك الخرق صار قائدا للقوات الوهابية فى المعارك (٣٩) . وقد تم اعتناق الكثيرين من العبيد .

واحتفظ بلاط السعوديين ، وخصوصا فى المراحل الاولى ، ببساطة العادات ، و«بديمقراطيتها» اذا استخدمنا المصطلحات الحديثة . ولم يظهر بشكل واضح جدا الانفصال الظاهرى بين اصحاب السلطة والامير الاقطاعى وبين جمهور السكان . ومن الناحية الظاهرية احتفظ امير الدرعية ببعض التشابه مع شيوخ القبائل البدوية . فان ابسط البدو كانوا يخاطبونه بدون رسميات : يا سعود ، يا ابا عبد الله ، يا ابا شوارب (٤٠) . وكتب كورانسيز عن «بساطة وخشونة العادات» (٤١) فى بلاط امير الدرعية . كان مجلس سعود مفتوحا للجميع . ويستطيع كل قادم ان يؤمل فى كرمه وحسن ضيافته . وكان الامير شخصيا ينظر فى شكاوى رعيته . وكان حكمه القضائى يتميز بالسمات العشائرية . وقد كتب بوركهاردت ان سعود بنفسه كان احيانا يجلد الكاذب ، ولكنه يأسف لذلك طويلا فيما بعد ، ويطلب من المحيطين به ان يخففوا من غضبه (٤٢) .

وكان سكان الدرعية غالبا ما يحضرون دروس الفقه التى يأتى اليها جميع الوجهاء وابناء محمد بن عبد الوهاب وابناء سعود واقاربه . وكان الامير نفسه يحضرها . «فاذا اجتمع الناس خرج سعود من القصر ومعه دولة وجلبة عظيمة تسمع جلبتهم كأنها جلبة النار فى الحطب اليابس من قرع السيوف بعضها بعضا من شدة الازدحام ، لا ترى فيهم الابيض من الرجال الا نادرا ، بل كلهم مماليكه عبيد سود ، ومعهم السيوف الثمينة المحلاة بالذهب والفضة ، وهو بينهم كالقمر تبين فى فتن سحاب . فاذا اقبل على ذلك قام

له الذين في طريقه لئلا يطأهم العبيد حتى يخلص الى مكانه . فيسلم على الكافة ثم يجلس بجانب عبد الله ابن الشيخ وهو الذي عليه القراءة في ذلك الدرس . فاذا تكامل سعود جالسا التفت للعلماء والرؤساء من المسلمين . . . ودخل القصر وجلس في منزل من منازل القريبة للناس ورفعوا اليه حوائجهم حتى يتعالى النهار ويصير وقت القيلولة فيدخل الى حرمه . . . وكان من احسن الناس كلاما واعذبهم لسانا واجودهم بيانا فاذا سكنت قام اليه اهل الحوائج من اهل الشكايات من البوادي وغيرهم وكان كاتبه على يساره فهذا قاض له حاجة وهذا كاتب له شكاية وهذا دافعه وخصمه الى الشرع فيجلس في مكانه ذلك نحو ساعتين حتى ينقضى اكثرها ، ثم ينهض قائما ويدخل القصر ويجلس في جلسة في المقصورة ويصعد اليه كاتبه ويكتب جوابات تلك الكتب التي رفعت اليه في ذلك المجلس» . .

كان الحراس يحيطون بسعود دوما . وعندما يصلي في مسجد القصر يحرسه عبدان ، وعندما يخرج الى الصلاة مع الناس يرافقه ستة عبيد يحملون السيوف : اثنان امامه واثنان خلفه واثنان وراء الصف الثاني من المصلين (٤٣) . وقد اتخذت هذه الاجراءات تحوطا للطوارئ بعد مقتل ابيه عبد العزيز في المسجد .

ويستنتج مما ذكره ابن بشر مع ذلك انه نشأت في بلاط السعوديين مراسيم خاصة للفصل الظاهري بين الوجهاء والشعب والتأثير على بسطاء الناس عن طريق الابهة والفخخة عند الحاشية والخدم وخصوصا اداب السلوك وهلمجرا .

نفقات الدولة خارج بلاط الامير . كانت الهدايا التي يقدمها امراء الدرعية الى الوجهاء والاعيان بشكل عيني (خيول اصيلة واسلحة وماشية) وبشكل مكافأة مالية واحدا من اساليب اعادة توزيع الثروات المستحصلة داخل الطبقة الحاكمة . وكتب بوركهاردت ان امير الدرعية كان يهدى لشيوخ البدو ما بين ٥٠ و ٣٠٠ ريال (٤٤) . وقال ابن بشر ان امير الدرعية كان «كثير العطاء والصدقات للدرعية من الوفود والامراء» (٤٥) .

وتلقى المعلومات الخاصة بالميزانيات المحلية وميزانيات المناطق ضوئا اضافيا على طابع النفقات في الدولة الوهابية . ويتوقف بوركهاردت طويلا عند هذه المسألة . صحيح ان ملاحظاته

تتم عن رغبة غير متعمدة في تصوير جهاز الدولة الوهابية بصورة اكثر تنظيما مما كان عليه فعلا .

ويقول بوركهاردت «ان جميع المداخيل ، ما عدا زكاة البدو ، ترد الى بيت المال . ولكل مدينة او قرية ذات شأن بيت مال محلي يدفع له السكان ما يترتب عليهم . وفي بيت المال كاتب يعثه زعيم الوهابيين ويأمره بعدم السماح للشيخ المحلي باساءة التصرف بالاموال باى حال . ولا يسمح للشيوخ لا باستحصال النقود ولا بالتصرف بما يتم جمعه منها .

فهذه الاموال مخصصة للخدمات العامة وهى تقسم الى اربعة اقسام . يرسل ربع الى بيت المال المركزى فى الدرعية ، ويخصص ربع للتخفيف من اعباء الفقراء . . . وهو ينفق على علماء الدين الذين يرشدون التلاميذ وعلى القضاة وعلى اعمار المساجد وصيانة الآبار العامة . . . ويخصص النصف للصرف على الجنود الفقراء الذين يزودون بالاغذية اثناء الحملات ، ويزودون بناقاة عند الاقتضاء ، وكذلك على الضيوف . وان النقود المخصصة للضيوف تسلم الى الشيوخ الذين يفتحون مضايف ليتوقف فيها الضيوف ويتغذون . وتخصص لهذا الغرض كذلك الضرائب العينية (٤٦) .

ان هذا المقتطف لا يقدم جوابا على اسئلة كثيرة . فليس واضحا ما اذا كان بيت المال المحلي يستلم قسما من الزكاة او انه يفرض ضرائب اضافية ، وما اذا كان بيت المال المركزى يساهم فى النفقات المحلية . وكتب بوركهاردت ان المركز يعوض عن الخسائر الناجمة عن الكوارث الطبيعية وغزوات الاعداء (٤٧) . ولكن هل ان ذلك مشاركة من بيت المال المركزى فى النفقات المحلية لمرة واحدة او انه يجرى على الدوام ؟

واورد ابن بشر تقسيما آخر للميزانية المحلية فقد كتب عن توزيع امير الدرعية لاموال الاحساء يقول : «والذى يحصل من بيت مال الاحساء يقسم ثلاثا ، ثلث يدخره لشغوره وخراجا لاهله والمرابطة فيها ، وثلث خراجا لخيالته ورجاله ونوابه وما يخرج له لقصره وبيوت بنيه وبيوت آل الشيخ وغيرهم فى الدرعية ، وثلث يباع بدراهم وتكون عند عماله لعطاياه وحوالاته . . . ويحصل بعد ذلك ثمانون الف ريال تظهر للدرعية» (٤٨) .

وهكذا كانت الاموال المحلية توزع في عدة اتجاهات اساسية .
ينفق القسم الرئيسى منها على الاغراض الحربية - لتأمين حاجـة
الجنود الفقراء وتزويد الحاميات بالاغذية ودفع الرواتب والالفاق على
الخيالة (اي الوجهاء المسلحين) . والباب الهام الثانى للصرف هو
الهدايا التى تقدم الى الوجهاء المحليين الذين يحتلون اهم المناصب
فى الادارة الوليدة ويتصرفون بجزء من النفقات ، وليس بدون نفع
شخصى طبعا . اما النفقات على «الفقراء» فتغطى حاجات علماء الدين
والقضاة .

الاعمال الخيرية . يتحدث ابن بشر عن سجايا امير الدرعية عبد
العزیز فيقول : «وكان عطاؤه للضعفاء والمساكين فى الغاية ، فكان
منهم من يكتب اليه منه ومن امه وزوجته وابنه وابنته من كل واحد
كتابا وحده ، فيوقع لكل كتاب منهم عطاءه فكان الرجل يأتية بهذا
السبب عشرون ريالاً واقل واكثر . وكان اذا مات الرجل من جميع
نواحي نجد يأتى اولاده الى عبد العزیز وابنه يستخلفونه فيعطيهـم
عطاء جزيلاً . وربما كتب لهم راتباً فى الديوان . . . فى كل وقت
وكل سنة يعطى كل اهل بلد وكل اهل ناحية الف ريالاً واقل
واكثر . . . واخبرنى كاتبه قال ان عبد العزیز اخذه يوماً صداع
فدعانى وقال اكتب صدقة لاهل النواحي فأملى على لاهل منفوحة
خمسائة ريال . واهل العيينة مثل ذلك . واهل حريملا سبعمائة
ريال ، واهل المحمل الف ومائة ريال ولجميع نواحي نجد على هذا
المنوال . قال قيمتها تسعون الف ريال . واتى اليه يوماً خمسة
وعشرون حملاً من الريالات ، فمر عليها وهى مطروحة ، فنخسها
بسيفه . وقال : اللهم سلطنى عليها ولا تسلطها على ، ثم بدأ فى
تفريقها» (٤٩) .

ووصف ابن غنـام المجاعة المرعبة التى اجتاحت نجد فى اواسط
الثمانينات من القرن الثامن عشر حيث ارتفعت اسعار المواد الغذائية
الى اقصى حد وهلك الرجال والنساء ناهيك عن الشيوخ والاطفال .
كان الناس يسقطون اثناء الصلاة بسبب الهزال . واستمرت المجاعة
عدة سنوات . وعندذاك بدأ عبد العزیز باطعام الارامل والايـتام
والضعفاء (٥٠) .

وهكذا طبقت الدولة السعودية عملياً واحداً من المستجدات
العبرية (او على الاصح المكتسبات) التى جاء بها الاسلام ، ونعنى

الاعمال الخيرية او العمل بالمعروف . فهذا العمل الذى «يفتح» امام القائمين به ابواب الجنة فى الآخرة كان يحميمهم فى الدنيا ولو مؤقتا من غضب الفقراء وانتفاضاتهم وتمرداتهم . وكانت الاعمال الخيرية تجرد الفقراء من سلاحهم الفكرى وتوحى اليهم بان خلاصهم من الجوع والحرمان والتخفيف من اعبائهم يتمان ليس بالكفاح الحازم ، بل بصدقات الاثرياء والوجهاء . ولعبت اعمال السعوديين الخيرية دورا سياسيا لا يقل اهمية : فقد تحسنت الاوضاع المادية بعض الشيء لسكان المناطق الوسطى من الدولة الوهابية على حساب الاطراف ، وادى ذلك الى زيادة ولاء اولئك السكان لامراء الدرعية . وكان قسم من الاموال المخصصة للاغراض الخيرية يقع فى ايدي الوجهاء والاعيان المحليين او يخدمهم بصورة غير مباشرة اذ يخلصهم من لزوم الاتفاق من جيوبهم على فقرائهم . وكانت الاعمال الخيرية فى امارة الدرعية بمثابة ترجمة للتضامن العشائرى فى مواجهة الكوارث .

البنية السياسية للدولة وتنظيم السلطة . لقد توحدت بقوة السلاح تحت سلطة امير الدرعية مختلف المناطق والقبائل البدوية . وكانت درجة تبعيتها للدرعية متباينة .

ويقول ابن غنام ان القبائل او الواحات عندما يجرى ضمها الى الوهابيين تقسم امام الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامير ابن سعود على خوض الجهاد ضد المشركين (اى غير الوهابيين) وتقديم العون للوهابيين (٥١) . وعندما انضم سكان الخرمة والمجمعة الى الوهابيين بعثوا وفدا الى الشيخ والى عبد العزيز للاعراب عن رغبتهم فى التمسك بالاسلام واداء كل الفرائض بما فيها الزكاة ، ولكنهم طلبوا السماح لهم بعدم المشاركة فى الجهاد خلال عامين (٥٢) . فما الذى يعنيه مثل هذه الاتفاقيات ؟ لقد كانت تلك ، بالدرجة الاولى ، تحالفات عسكرية التزم فيها الطرف المنضم الى الوهابيين بشن العمليات الحربية ضد غير الوهابيين . وهذا هو الامر الرئيسى . وليس من قبيل الصدفة ان تأجيل المشاركة فى الجهاد عامين كان يعتبر استثناء من القاعدة .

لقد الزم التحالف مع الوهابيين القبائل والواحات بان تدفع ضريبة دائمية الى بيت المال المركزى وقيد استقلالها بقدر كبير .

وفى عام ١٨٦٥ زار المندوب البريطانى ل . بيل الدولة الوهابية التى بعثت مع عاصمتها الجديدة الرياض بعد تدميرها على يد المصريين . و اشار الى مختلف اشكال تبعية القبائل التى انضمت او ضمت الى الوهابيين للرياض . ويمكن ، ببعض التصرف الحذر ، تطبيق اقواله على الدولة الوهابية الاولى .

كانت بعض القبائل تدفع الضرائب وتشارك فى الحملات الحربية وتؤدى مختلف الواجبات ، بينما تقوم قبائل اخرى برعى الماشية فى نجد واطرافها واذا تعرضت لهجوم من طرف ثالث فان الوهابيين لا يتدخلون . والمجموعة الاخرى من القبائل تلتزم بعدم الاعتداء على القبائل الخاضعة لامير الرياض ، مقابل التزام مماثل من جانب هذه القبائل الاخيرة . وتتكون المجموعة الرابعة والاخيرة من قبائل لا تعترف بسلطة امير الرياض ولكنها تدفع الاتاوات له . (٥٣) .

وكانت السلطة المركزية تتخذ الاجراءات لالغاء العادات العشائرية القديمة فى حل النزاعات وتسعى الى تسوية التناقضات المحلية فى اطار الدولة الموحدة . وافاد بوركهاردت ان النزاعات القبلية فى الدولة الوهابية تحل من قبل امير الدرعية نفسه . وهو يعاقب بشدة المذنبين فيها (٥٤) .

واستخدم السعوديون قسما من الوجهاء والاعيان المحليين الذين انضموا اليهم بمثابة سند وحليف لهم . وفى بعض الاحيان ظل الامراء والشيوخ السابقون على دست الحكم فى القبائل والواحات . ولكنه بقدر اتساع الدولة الوهابية وتعزز السلطة المركزية اخذت الدرعية تستبدل الحكام المحليين اكثر فاكثر بممثلى الافخاذ والبطون المنافسين لهم او ابناء الاسر التى لم يكن لها فى الماضى امل فى الارتقاء .

ويقول بوركهاردت : «يعتقد الوهابيون ان من الضرورى استبدال جميع الشيوخ تقريبا فى القبائل التى ضموها اليهم . ولم يتركوا السلطة فى ايدى ابناء الشيخ بل احوالوها الى اسر الاعيان المنافسة . وعندما احتل محمد على الحجاز اعاد حقوق الشيوخ المحليين وانشأ بذلك معقلا ضد الوهابيين» (٥٥) .

ومن الاجراءات التى اتخذها السعوديون لضمان ولاء القبائل والواحات للسلطة المركزية الاجراء المعرج فى ممارسات الغزاة

والفاتحين ، ونعنى اخذ الرهائن . وفى بعض الاحيان يأخذون عددا من الاعيان بمثابة رهائن بعد اداء يمين الولاء من قبل الواحة او الفخذ (٥٦) . وكان بعض الشيوخ المتمردين يقيمون بصورة دائمية فى الدرعية ، وقد عين بدلا منهم اشخاص موالون للسلطة المركزية . وبغية اضعاف القدرة الكفاحية للبدو وتشويش تنظيمهم فرضت الاقامة فى الدرعية على بعض عقدا القبائل (٥٧) .

وهكذا ، بدلا من الشيوخ والامراء السابقين المستقلين رسميا وفعليا ظهر اتباع لامير الدرعية يكادون يكونون غير مستقلين او صنائع سافرون له . وكتب بوركهاردت يقول «يتلقى كبار شيوخ البدو من الزعيم الوهابى لقبا تقديريا هو امير الامراء . ان سلطة هؤلاء الامراء على الاعراب محدودة جدا ، ولا تزيد الا قليلا على السلطة التى يتمتع بها الشيخ البدوى المستقل ، ما عدا كونه يستطيع ان يفرض الخضوع للقانون بحسب المخالف او فرض غرامة عليه» (٥٨) . ان هذا «القليل» هو اهم سمة تميز الشيخ فى الدولة السعودية عن زعيم القبيلة فى عصر ما قبل الوهابية : اى تعزيز السلطة العامة (السجون والغرامات) وفصل السلطة العامة عن جمهور البدو .

كان امراء المناطق من اتباع السعوديين يجمعون القوات ويساعدون جياة الضرائب . وسلطتهم يقيدھا القضاة القادمون من المركز (٥٩) .

وجاء فى «لمع الشهاب» : كان شأن السعوديين حيث تولوا بلدا كبيرة او كورة بنوا حصنا فى تلك البلد على حدة عن حصنها الاول ان كان لها حصن وبحثوا حوله خندقا ان كانت الارض صلبة واحكموا بنیان القلعة ورتبوا فى الحصن قدر خمسمائة رجل عسكرى او الف رجل على قدر البلاد وخارجها وسموهم الامنا اما من اهلها ان استصلحوهم او من غيرها من بلاد لكن بشرط كشف حالهم عن الاستقامة التامة بحسب الاعتقاد بهذا الدين ويعينون لهؤلاء متاعا كثيرا ربما كفاية سنتين او ثلاث سنين ويجعلون فى الحصن ايضا بنادق عديدة وبارودا كذلك وربما جعلوا فى بعض الحصون مدافع» (٦٠) .

وعين الوهابيون المفتين والقضاة فى الواحات . وفى القرى الصغيرة كانوا يعينون قضاة فقط كما يقول «لمع الشهاب» . وكانت

رواتبهم تأتي من بيت المال . وكانوا يبعثون قابضي الزكاة الى كل واحة . وفي بعض الاماكن كان هناك اربعة جباة ، وفي بعضها الآخر سبعة . وهم مستقلون عن الامير ولكنه كان يساعدهم في قبض الزكاة . كما كان يعين محتسب وظيفته مراقبة اداء الشعائر الدينية وصواب عقد الصفقات التجارية ومراعاة المقاييس والاوزان واداء القضاة لواجباتهم وقطع دابر الارثشاء (٦١) .

وهكذا ، يمثل السلطة المحلية الامير قائد الحامية وكذلك القاضي (او المفتي) وجباة الزكاة والمحتسب .

كان امراء الدرعية يتون في اهم شؤون الدولة بعد التشاور مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابنائهم واحفاده وعلماء الدين ووجهاء القبائل واعيان الواحات وافراد عائلة السعوديين .

ويقول ابن غنام انه عندما عاد سعود منتصرا من الاحساء «قصد والده والاهل والذرية ، واستقر مجلسه مع والده واعيان الرعية» (٦٢) . وتحدث ابن بشر عن سعود بمزيد من التحديد فقال : «ومع ذلك اذا اهمه واراد انفاذ رأى ارسل الى خواصه من رؤساء البوادي واستشارهم فاذا اخذ رأيهم وخرجوا من عنده ارسل الى خواصه واهل الرأى من اهل الدرعية ثم اخذ رأيهم . فاذا خرجوا ارسل الى ابناء الشيخ واهل العلم من اهل الدرعية واستشارهم . وكان رأيه يميل الى رأيهم ويظهر لهم ما عنده من الرأى» (٦٣) .

ولا توجد معطيات تفصيلية عن تنظيم السلطة المركزية في الدولة السعودية الاولى . وليس معروفا ما اذا كان لدى امراء الدرعية مجلس دائم من كبار الوجهاء والاعيان . فالمؤرخون الوهابيون يتحدثون عن وجود ديوان عند الامير ولكنهم لا يحددون وظائفه . وعلى اية حال فقد كانت هناك دوائر او مصالح مركزية . **علماء الدين والقضاة** . . قدم علماء الدين الوهابيون دعما كبيرا للسياسة التوحيدية لامراء الدرعية . وقد اوردنا امثلة على مشاركتهم الواسعة المستمرة في اهم شؤون الدولة . وكان مؤسس الوهابية الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتمتع بمنزلة رفيعة للغاية . وفي السنوات الاولى لتحالفه مع محمد بن سعود لم يكن مجرد عالم دين ومعلم ومفتٍ . فقد قام بتنظيم القوات ومارس الشؤون الداخلية والخارجية واجرى المكاتبات والمراسلات مع علماء الدين في الجزيرة

وبشر بتعاليمه ودعا الى التمسك بالولاء لامير الدرعية (٦٤) . وساهم مساهمة نشيطة فى تأسيس وادارة الدولة الوهابية . وكانت دعوة الشيخ قد ضيقت الوهابيين وورست صفوفهم حول الامير واجبت تعصبهم . وما كان عبد العزيز يوزع غنائم الحرب الا بعد التشاور مع محمد بن عبد الوهاب .

كان محمد بن عبد الوهاب يحافظ على سمعته فلا يستأثر صراحة بدرهم واحد من غنائم الحرب . وبعد احتلال الرياض التى كانت الخصم الرئيسى للدرعية فى نجد اعتزل محمد بن عبد الوهاب شؤون الدولة واناط بعبد العزيز مراقبة بيت المال وكرس نفسه لشؤون الدين والمذهب والدعوة (٦٥) . وانهك ابناء الشيخ واحفاده بتأليف كتب الفقه استنادا الى تعاليمه وبتفسير مؤلفاته (٦٦) . وعلى هذا النحو نشأت مدرسة رجال الدين الوهابيين التى ظلت سالمة بعد الغزو المصرى .

وكتب ابن بشر عن امير الدرعية يقول : «وكان رحمه الله تعالى مع ذلك كثير العطاء والصدقات للرعية من . . . القضاة واهل العلم وطلبته ومعلمة القرآن والمؤذنين وأئمة المساجد» . وبعد انهاء التعلم كان الشبان يحصلون على هدايا كبيرة (٦٧) . وكان بيت المال ينفق على تلاميذ ابناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦٨) . وكانت النفقات على المساجد والقائمين على خدمتها تعتبر بالطبع من اسمى وانبل نفقات بيت المال . ويقول منجى ان المساجد فى الدولة السعودية ، تعتمد ماليا على جزء من العشر وعلى عائدات الاوقاف المخصصة لها . ويديرها مدير يعينه علماء الدين» (٦٩) . ومما يؤسف له اننا لم نعر على معطيات اخرى تثبت وجود وانتشار اموال الاوقاف فى الجزيرة العربية . ويقول مؤلف «لمع الشهاب» ان محمد بن عبد الوهاب وعائلته يمتلكان اراضى واسعة ، وبلاضافة الى ذلك كان يستلم مداخيل هائلة من بيت المال وهدايا من الامراء التابعين (٧٠) .

وكانت الدرعية ترسل علماء الدين الى جميع الواحات والمدن والقبائل الهامة . وكانت مهمتهم تتلخص فى توعية السكان دينيا واجتثاث تمسكهم بالمذاهب الاخرى وفرض اصول الوهابية واثارة الحماسة الحربية والولاء للدرعية . وقد افتتحت كتابتيا قام علماء الدين فيها بتعليم القراءة والكتابة وتجويد القرآن . ويقول

بوركهاردت ان علماء الدين جمعوا مكتبات كبيرة فى الدرعية . وكانت لدى سعود كذلك مكتبة كبيرة (٧١) .

وكان القضاة الوهابيون يمارسون القضاء مسترشدين بالكتاب والسنة (٧٢) على اساس المذهب الحنبلى . وكانت الشريعة تغرس بنجاح اكبر فى الواحات التى تتسم بتمايز طبقى متطور .

اما البدو فان الشريعة الاسلامية لا تطبق عندهم الا قليلا (٧٣) . ودخل النظام القضائى الوهابى فى خلاف شديد مع العرف البدوى . وهناك مبررات للافتراض بان العرف هو الذى فاز مع ان ازدياد الوظائف الطبقية لاعيان القبائل البدوية قد وسع امكانيات تطبيق الشريعة . وفى الوقت الحاضر شهد كاتب هذه السطور محاكمة فى منطقة مأرب فى اليمن الشمالى . فان المحافظ نظر فى النزاعات القبلية استنادا الى العرف وحده .

وحدثت بعض التغيرات فى مطاردة المجرمين قضائيا وانزال العقوبة بهم فى الدولة الوهابية . وبموجب الشريعة كانوا يقطعون يد اللص او يفرضون عليه غرامة حسب الظروف (٧٤) .

وكما هو الحال فى عهد النبى محمد سعى الوهابيون الى تقييد الثأر فاستبدلوه بتعويض قدره ١٠٠ ناقة او ٨٠٠ ريال . (اورد بوركهاردت هذه المعلومات دون ان يؤكد ما اذا كان ذلك يسرى على جميع مناطق الجزيرة) . ويبدو ان السعوديين تمكنوا من تضيق مفعول عادات الثأر بعض الشيء دون ان يقضوا عليها .

ولم يكن الوهابيون يعترفون بعادات الحماية التى يقدمها بعض ابناء القبائل للمجرمين .

الاقتصاد والتجارة (الجوانب الايجابية للمركزية) . لاول مرة خلال قرون عديدة ساد الاستقرار الجزيرة العربية ، وخصوصا مناطقها الوسطى ، وان بصورة مؤقتة . فقد اتخذ الامراء اجراءات لا هوادة فيها لاحلال الامن فى الطرق وحماية التجارة الداخلية من النهب وحماية الملكية . وكتب المؤرخ البصرى ابن سنة ان ضمان الامن والسلامة فى الطرق يكاد يكون واحدا من الوصايا الاساسية للوهابيين (٧٥) . ويقول ابن بشر عن عبد العزيز «كان رحمه الله تعالى رافقا بالرعية شديدا على من جنى جناية من الاعراب او قطع سبيلا او سرق شيئا من مسافر بحيث من فعل شيئا من ذلك

اخذ ماله نكالا او بعض ماله او شيئا منه على حسب جنايته وادبه
غير ذلك ادبا بليغا . . .» (٧٦) .

واستحدث امراء الدرعية نظام المسؤولية المشتركة للقبائل
عن الامن في اراضيها . كما الغى الوهابيون الرسوم التي كانت
تتقاضها القبائل لقاء «حماية» و«مرافقة» القوافل ولقاء مرورها في
اراضيها .

فالتجار والرحالة ، كما يقول ابن بشر «لا يخشون احدا من
جميع البوادي مما احتوت عليه هذه المملكة لا بحرب ولا سرق .
وليس يؤخذ منهم شيء من الاخاوات والقوانين التي تؤخذ على
الحجاج . وبطل جميع الاخاوات والجوائز على الدروب التي للاعراب
التي احيوا بها سنن الجاهلية . يخرج الراكب وحده من اليمن
وتهامه والحجاز والبصرة والبحرين وعمان ونقرة الشام ولا يحمل
سلاحا بل سلاحه عصاه لا يخشى كيد عدو ولا احد يريده بسوء
(٧٧) . . . وكانت الاقطار والرعية في زمنه (عبد العزيز) آمنة
مطمئنة في عيشة هنية . وهو حقيق بان يلقب مهدى زمانه . لان
الشخص الواحد يسافر بالاموال العظيمة اى وقت شاء شتاء وصيفا
يمينا وشمالا شرقا وغربا في نجد والحجاز واليمن وتهامة وغير ذلك
لا يخشى احدا الا الله لا سارقا ولا مكابرا» (٧٨) .

وقد استفاد السكان الحضر ، سكان الواحات والمدن ، من
استتباب الامن والاستقرار . فقد توقفت الغارات على نخيلهم
وحقولهم (٧٩) . وفي ظروف الدولة المركزية ما كان بوسع البدو
ان يستحصلوا الاخاوات بالاعتماد على العنف الحربى او التهديد
باستخدامه وتهيأت مقدمات الغاء علاقات الاتاوة . ويصعب القول الى
اي مدى سارت مثل هذه الاتجاهات .

وكتب ابن بشر يقول : «وكانت جميع بلدان نجد من العارض
والخرج والقصيم والوشم والجنوب وغير ذلك من النواحي فى ايام
الربيع يسحبون جميع مواشيهم فى البرارى والمقالى من الابل والخيول
الحياد والبقر والاغنام وغير ذلك ليس لها راع ولا مراعى بل اذا
عطشت وردت على البلدان ثم تصدر الى مقاليلها حتى ينقضى الربيع
او يحتاج لها اهلها . . . وربما تلقح وتلد ولا يدري اهلها الا
اذا جاءت وولدها معها ، الا الخيل الجياد ، فان لها من يتعاهدها فى
مقاليلها لسقيها وحدها بالحديد .

وكانت ابل اهل سدير ونجائبهم وخيلهم مسيبات ايام الربيع
فى الحمادة وفى اراط والعبلة ، ومعها رجل واحد يتعاهدها ويستقيها
ويزور اهلها ويرجع اليها وهى فى مواضعها فيصلح ربطها وقيودها
ثم يغيب عنها . وكذلك خيل اهل الوشم ونجائبهم . وهكذا يفعلون
بها . وكذلك خيل عبد العزيز وبنيه وعشيرته فى النقعة الموضع
المعروف قرب بلد ضرمى ، وفى الشعيب المعروف بقرى عبيد من
وادي حنيفة وليس عندها الا من يتعاهدها لمثل ما ذكرنا . وكذلك
جميع النواحي تفعل ذلك . . .

وكان فى الدرعية راعية ابل كثيرة وهى ضوال الابل التى توجد
ضائعة فى البر والمغازات جمعا او فرادى ، فمن وجدها من باد او
حاضر فى جميع اقطار الجزيرة اتى بها الى الدرعية خوفا ان تعرف
عندهم . . . وجعل عبد العزيز عليها رجلا يقال له عبيد بن يعيش
يحفظها ويجعل فيها رعاة ويتعاهدها بالسقى والقيام بما ينوبها .
فكانت تلك الابل تتوالد وتتناسل وهى محفوظة . فكل من ضاع له
شئ من الابل من جميع البادية والحاضرة اتى الى تلك الابل . فاذا
عرف ماله اتى بشاهدين او شاهد ويمينه ثم يأخذه» (٨٠) .
كان الواقع الاقتصادى للدولة الوهابية الاولى بعيدا ، طبعاً ،
عن الصورة الطوباوية التى رسمها ابن بشر . فقد حدث نهب فى
الطرق (والا لما عاقب امراء الدرعية احدا) وحدث هجوم على بساتين
وحقول السكان الحضر ، وقامت انتفاضات متكررة للبدا واهل
الواحات .

وقد وصف المؤرخ الحجازى احمد بن زينى دحلان النهب فى
الدروب عندما بدأ الوهابيون يستولون على الحجاز تدريجياً ، وكان
امير مكة هو الشريف عبد المعين الموالى لهم (٨١) .
كانت اجراءات الوهابيين الرامية الى احلال الامن فى الطرق
والغاء الرسوم «الجمركية» الداخلية وحماية الملكية قد هيأت
امكانيات ملائمة للتجارة داخل الجزيرة العربية . وتوفر حافز اضافى
للتبادل فى مجتمع الجزيرة ، وهو تبادل متطور اصلاً . ولكن
المقصود ، ونحن نؤكد على ذلك ، هو التجارة الداخلية بالذات .
فان سياسة الوهابيين فى ميدان التجارة الخارجية كانت تدميرية
كما سنتأكد ادناه .

وقد اثرى البعض بقدر هائل بمقاييس الجزيرة من التجارة ،

وخصوصا فى سنوات القحط عندما ارتفعت الاسعار لدرجة كبيرة جدا . وكتب يوركهاردت يقول «فى نجد كانوا يتاجرون اساسا بالمواد الغذائية - واكد منجبن هذه المعلومات ايضا (٨٢) - فالقبائل القادمة من اعماق البادية تشتري ما تحتاج اليه . وطالما ان سنوات القحط تتكرر فان الاثرياء يكسبون كميات كبيرة من الحبوب . ولم يتدخل سعود فى ذلك مطلقا ، وفى سنوات شحة الاغذية كان يسمح ببيع الحبوب بالاسعار التى يحدونها هم مهما كان ذلك صعبا على الفقراء . وكان يقول ان النبى محمد لم يمنع ابدا الحصول على اى ربح ممكن من الاموال» (٨٣) . وبالمناسبة فان الوهابيين منعوا الربا طبقا لاصول فجر الاسلام (٨٤) .

وقد ساعد تطور التجارة داخل الجزيرة على ازدهار الدرعية عاصمة الدولة . وقد زارها ابن بشر فى عهد سعود وترك لنا وصفا للمدينة حيث كتب يقول : «ولقد رأيت الدرعية بعد ذلك فى زمن سعود . . . وما فيه اهلها من الاموال وكثرة الرجال والسلاح المحلى بالذهب والفضة الذى لا يوجد مثله والخيال الجياد والنجايب العمانية والملابس الفاخرة وغير ذلك من الرفاهيات ما يعجز عن عدده اللسان ويكل عن حصره الجنان والبنان . ولقد نظرت الى موسمها يوما فى مكان مرتفع وهو فى الموضع المعروف بالباطن ، بين منازلها الغربية التى فيها آل سعود المعروفة بالطريف ومنازلها الشرقية المعروفة بالبجيرى التى فيها ابناء الشيخ . ورأيت موسم الرجال فى جانب . . . وموسم النساء فى جانب وموسم اللحم فى جانب وما بين ذلك من الذهب والفضة والسلاح والابل والاغنام والبيع والشراء والاخذ والاعطاء وغير ذلك وهو مد البصر . ولا تسمع فيه الا كدوى النحل من النجناج وقول بعت وشريت والدكاكين على جانبيه الشرقى والغربى ، وفيها من الهدوم والسلاح والقماش . . .» (٨٥) .

ويضيف ابن بشر «وكان قوة هذه البلد وعظم مبانيها وقوة اهلها وكثرة رجالها واموالها لا يقدر الوصف صفتها . . .» فلو ذهبت اعد رجالها واقبالهم فيها وادبارهم فى كتائب الخيل والنجايب العمانية وما يدخل على اهلها من احوال الاموال من سائر الاجناس التى لهم مع المسافرين من اهلها ومن اهل الاقطار لم يسعه كتاب . . .

وكان الداخل فى موسمها لا يفقد احدا من اهل الافاق من اليمى
وتهمامة والحجاز وعمان والبحرين وبادية الشام ومصر واناس من
حاضرهم الى غير ذلك من اهل الافاق ممن يطول عددهم هذا الداخل
فيها وهذا خارج منها وهذا مستوطن فيها .
وكانت الدور لا تباع فيها الا نادرا واثمانها سبعة الاف ريال
 وخمسة الاف والدانى بالف ريال واقل واكثر وكل شىء بقدره على
هذا التقدير .

كروة الدكان الواحد فى الشهر خمسة واربعون ريالا وسائر
الدكاكين الواحد بريال فى اليوم وشىء نصف ريال . وذكر لى ان
القافلة من الهدم اذا اتت اليها بلغت كروة الدكان فى اليوم الواحد
اربعة اريل .

واراد رجل منهم ان يوسع بيته ويعمره فاشتري نخيلات تحت
هذا البيت يريد قطعها وتعمير موضعها كل نخلة باربعين ريالا
 وخمسين ريالا

وكان غلا الحطب فيها والخشب الى حد الغاية حتى قيل ان حمل
الحطب بلغ خمسة اريل وستة الذراع من الخشبة الغليظة
بريال» (٨٦) .

لقد غدت الدرعية مركزا تجاريا كبيرا للجزيرة العربية . فعندها
تلتقى الطرق التجارية من كافة اجزاء الجزيرة . وكانت وفرة الشروات
المنهوبة المتواردة على المدينة قد خلقت انتعاشا مفتعلا وتسببت
فى تجمهر اعداد غفيرة من الناس مما ادى الى ازدياد الغلاء . ولم
تكن موجودة آنذاك المقدمات الاقتصادية الضرورية لانشاء مراكز
سكنية كبرى من هذا القبيل . وتدل على ذلك الاسعار الباهظة
للاخشاب والنخيل والحطب . ومع ذلك اسفرت سلامة الطرق عن
تعزز الصلات الاقتصادية داخل الجزيرة بقدر ما ، وان بصورة
مؤقتة .

وادت الاجراءات الاقتصادية والسياسية والفكرية لمركزية
الدولة الى ظواهر لم يشهدها وسط الجزيرة فيما مضى . فقد ظهر
اتجاه نحو تكوين وحدة فوق القبائل . وكان ذلك امرا مدهشا جعل
المؤرخ الوهابى ابن بشر يهتف متعجبا وان بشىء من المغالاة :
«والرجل يأكل ويجلس مع قاتل ابيه واخيه كالاخوان» (٨٧) . وأشار
ابن سند الى ان الوهابيين ازالوا غارات البعض على البعض وصار

جميع البدو رغم الفوارق بينهم ، من حُرموت الى الشام اخوة وابناء شخص واحد . وكان بالامكان ان يرى المرء في بعض المناطق خيمة لعنزة وخيمة لعتيبة وخيمة لحرب وكانوا يعيشون بوائم (٨٨) .

الا ان العساكر ظلت هي الاداة الرئيسية للسياسة المركزية ولرصف صفوف مختلف المناطق والقبائل في اطار الدولة السعودية . وطالما ان العساكر قوية ومظفرة ظل وجود اماراة الدرعية مكفولا .

العساكر . كتب بوركهاردت يقول ان سعود واباه لم يحتفظا بجيش نظامي ابدا ما عدا بضع مئات من الجنود المختارين كانت لهما في الدرعية (٨٩) ، ولكن جميع الرجال ما بين الثامنة عشرة والستين كانوا يعتبرون ملزمين بالخدمة العسكرية (٩٠) . وكان كل بدوى او حضري صحيح الجسم وقوى يعتبر في الواقع محاربا .

عندما ينوى امير الدرعية القيام بغزوة يبعث رسلا الى شيوخ القبائل ويأمرهم بالحضور في يوم معين الى منطقة بئر معين . ويقول ابن بشر «ولا يتخلف احد عن ذلك الموعد لا حقير ولا جليل ، لا من بواى الحجاز ولا العراق ولا الجنوب ولا غير ذلك» . واذا تختلف احد تفرض عليه غرامة . وكان اشخاص مختصون يبعثهم الامير فيأخذون الغرامة بشكل مختلف الاموال والجياد والابل ويضربون المذنبين» . . . ويعذبون المجرم بانواع العذاب . . . ولا يتجاسر احد ان يقول لهم شيئا ، او يشفع فيه بل كلهم طائعون مذعنون» (٩١) .

وكتب المؤرخ البصرى ابن سند يقول : «فاذا اراد ابن سعود قتال قرية او قبيلة فاولا يرسل الى القرى التى اطاعته ويطلب من كل قرية مقدار العسكر المفروض على تلك القرية او القبيلة فيأتى اليه . . .» (٩٢) .

وكتب الرحالة الاسباني باديا - اى - لييلينج «عندما يحتاج امير الوهابيين الى العساكر يكتب الى مختلف القبائل ويحدد عدد المحاربين الذين يتعين ارسالهم اليه» (٩٣) .

وكتب منجيين بهذا الخصوص : «قبيل بدء الحملة الحربية كان سعود يطلب من المناطق ان ترسل له العدد اللازم من العساكر . وكان الامراء يصدرن الاوامر لمن هم تحت سلطتهم . وكان كل من وجهاء المدينة والمنطقة يقود محاربيه المسلحين بنفسه الى المكان المخصص له ويبقى رئيسا وقائدا لهم طوال فترة الحرب .

وتتشكل فى كل منطقة مفارز خاصة بقيادة اميرها ، وفى كل مفرزة كاتبان وامام . وتتلخص وظيفة الامام فى اداء الصلاة فى المعسكر ، وهو فى الوقت ذاته حكم فى الخلافات التى يمكن ان تنشأ» (٩٤) . كانت اكبر قبائل وسط الجزيرة - عنزة وقحطان ومطير - تخضع لاوامر حكام الدرعية وان كانت تقيم بعيدا عن مسرح العمليات الحربية (٩٥) . صحيح ان وصف الغزوات يبين ان القبائل القريبة فقط تشارك فيها بالقدر الكامل عادة .

وكتب منجني «ان كل محارب يحمل معه سلاحه وطعامه وذخيرته . وكانوا يقدمون للمحاربين الفقراء مساعدة فى التجهيز . والاثرياء يزودون اسرة الفقير بما تحتاج اليه . ويستطيع الشخص الذى يطلب منه الامير المشاركة فى الغزو ان يقدم شخصا آخر بدلا عنه لهذا الغرض . وهو يزوده بكل ما يلزم او يتعهد بمنحه جملا او حصانا . ولم يكن الرجالة والهجانة على الجمال يستلمون اية اجور . اما الخيالة فيستلمون علفا للحصان وراتبا شهريا» (٩٦) . ويقول بوركهاردت ان قوت الجندى يتكون من ١٠٠ اوقية من الدقيق و٥٠-٦٠ اوقية من التمر و٢٠ اوقية من السمن وكيس من القمح او الشعير للشعير وقربة ماء (٩٧) .

بديهي ان هذه الاحتياطات اقصى ما يمكن ان يأخذه المحارب ، وان كميتها تختلف باختلاف مدة الغزوة . وقد اشار ابن سند الى ذلك . فهو يقول ان ابن سعود نفسه يحدد مقدار الدواب او الذخيرة التى يتعين على المشاركين فى الغزوة ان يأخذوه معهم . ولكنه لم يكن يحب الغزوات التى تطول اكثر من شهر ، كيلا يزود الجنود بالعتاد والاغذية بنفسه . ففي الغزوة التى لا تزيد على شهر يتزود المحاربون بما هو ضرورى بانفسهم ، واذا زادت الفترة على الشهر فان امير الدرعية يقدم لهم جزءا (٩٨) . واذا جاء المتطوعة سيئى التجهيز فان الامير الوهابى يعيدهم من حيث جاءوا ، ثم يعاقب الواحات او القبائل التى ارسلتهم اليه بهذه الصورة .

ان المؤونة الشخصية التى يتزود بها المحاربون تعفى بيت المال من الاهتمام بتغذيتهم وتزيد من استقلالية العساكر فى الحملات . الا ان تجنيد المحاربين وتهيئة المؤونة لهم كانا عبئا ثقيلا على القسم الفقير من السكان . وهم لا يستطيعون ، مثل الاغنياء ، ان يقدموا البديل عن الخدمة العسكرية ، وكانوا يضيعون الايدي

العاملة ، ولا يمكن لاية معونة ان تعوض عن فقدان المعيل . ولا يعول المحاربون البسطاء الذين يشاركون فى الغزوات على شىء سوى حصة فى الغنائم . ولذلك فان سكان الواحات والبدو ، كما يقول بوركهاردت كانوا كثيرا ما يتهربون من المشاركة فى الحملات (٩٩). وبعد اقتطاع خمس غنائم الحرب لصالح امير الدرعية يقسم الباقي على المحاربين . ومن المقرر ان الفارس ، اى ممثل الوجهاء والاعيان ، يستلم بقدر حصتى الرجالة . وفى الواقع ، على ما يبدو ، كان الوجهاء يستأثرون بحصة الاسد . وشار رايمون الى ان الجند فى عهد عبد العزيز كانوا يتشكون من الظلم فى توزيع الغنائم ، حيث يستلم قادتهم حصة الاسد . وكان يتعين على امير الدرعية ان يتدخل ويحق الحق (١٠٠) .

وكتب بوركهاردت ان حرس امراء الدرعية يتكون من افضل الجنود وعددهم ٣٠٠ شخص . وهذا الحرس هو الاحتياطى الرئيسى فى سوح القتال . وهم مسلحون جميعا افضل تسليح وينفق الامير عليهم (١٠١) . ولا يذكر المؤرخون النجديون شيئا عن مثل هذا الحرس . فهم يتحدثون فقط عن العبيد المسلحين . ويبدو ان الحرس الشخصى للامير يضم المماليك المسلحين والاحرار . كان سعود منذ الطفولة وحتى شيخوخة يحب الغزو والجهاد . وشارك معه فى الغزوات علماء الدين من الدرعية والواحات القرية . وكان يترك فى العاصمة احد ابنائه خليفة له ، وهو عبد الله فى اغلب الاحوال (١٠٢) . ويقول ابن بشر ان سعود يثير الرعب فى الاعداء «فاذا سمعوا بمغزاه هرب كل منهم وترك اخاه واباه وماله وما حواه» (١٠٣) .

ويقول منجى «خلال الحملات النهارية والليلية تخصص مقدمة ومؤخرة . وتتقدم العساكر بطابور او عدة طوابير تبعا للملابسات . وكان الامراء دوما يقودون المحاربين الخاضعين لهم . وتسيير الخيالة والهجانة فى مقدمة الطابور وفى مؤخرته . والوسط ينحصر للمدفعية والرجالة الذين يمتطى كل اثنان منهم جملا . واثناء الحملات يقتات الوهابيون على التمر مع لبن الابل ونادرا ما يتناولون الخبز واللحم .

ويدخل الوهابيون المعركة بشكل كتائب . ويترك الرجالة الجمال تحت رعاية الخدم (١٠٤) . وعندما يقترب العدو او يتفوق

تغدو الجمال بمثابة الدروع الواقية للمتحاربين . وتكون كل كتيبة من سكان منطقة معينة يتزعمهم امير او وجيه قروى . صفوف المحاربين مزدوجة وعندما يتعب الصف الاول او يتكبد خسائر كبيرة يحل محله الصف الثانى . وتنقل جنث القتلى من ساحة القتال ومن العيب عدم مواراتهم التراب . وفى حالة الهزيمة تنسحب العساكر بلا دعر ولا اضطراب . واذا منى العدو بالهزيمة فان الرجالة لا تطارده ، ولكن الخيالة والهجانة تطارده لمسافة معينة» (١٠٥) .

وفى المعسكر «يعرف كل فرد مكانه . والقائد فى وسط المعسكر . والخيالة حول خيمته . وعلى مقربة من المعسكر مخافر الرجالة والخيالة . ويجرى استبدال الخفراء كل اربع وعشرين ساعة . وفى النهار الجميع ينامون ولا ينهضون الا لاداء الصلاة خمس مرات . وفى الليل يتجاذبون اطراف الحديث ويجودون القرآن ويحكون الحكايات والقصص .

كان الانضباط متشددا عند الوهابيين . فالقائد الذى لا يؤدى واجباته او الذى يبدر منه ما يثير الشكوى ينحى من منصبه . واحيانا تفرض عليه غرامة . وتجرى معاقبة الجنود المذنبين بالجلد بالعصى . واذا اقترف الجندى جريرة كبيرة تقطع رقبته . ويفعلون به الشيء ذاته اذا فر من العدو» (١٠٦) .

وفى الواحات الكبيرة والمدن (فى الاحساء والتقصيم ومكة والمدينة) كانت لامراء الدرعية حاميات من النجديين الموالين لهم (١٠٧) .

كانت عساكر الجزيرة العربية مسلحة بالسيوف والحراب والخناجر والرماح القصيرة للرجالة والدروع والهاوات والبنادق الحارقة والمسدسات (١٠٨) . وكان الوهابيون يصنعون البارود بانفسهم (١٠٩) . واحيانا كانوا يرتدون خوذا واردة حماية جلدية (١١٠) . وكانت لدى الوجهاء قمصان من زرد (١١١) . ولدى المحارب كذلك خنجر مشدود الى حزامه وحقيبة مليئة بالخرطيش . وكان لدى البعض مسدسات (١١٢) . ولم تستخدم البنادق الحارقة كثيرا ، فلم تكن السلاح الرئيسى لدى العساكر . ويقول ابن بشر انه كان لدى سعود ٣٠ مدفعا كبيرا و٣٠ مدفعا

صغيرا (١١٣) . وقد تم الاستيلاء على اكثر هذه المدافع من العدو ولم تستخدم تقريبا في القتال .

وبلغ عدد العساكر تحت رايات امير الدرعية ٥٠ الفا (١١٤) وكان الاوربيون ميالين الى المبالغة ، فيذكرون ارقاما مثل ١٠٠ الف و ١٢٠ الفا وحتى ٢٠٠ الف (١١٥) . لم يكن للوهابيين نظير في شبه الجزيرة ، ولكن ذلك لا يعنى انهم كانوا منتصرين دوما .

مقدمات تحليل وسقوط الدولة السعودية الاولى . اتضح ان مهمة اخضاع شبه جزيرة العرب كلها كبيرة على امراء الدرعية . فان اراضي الجزيرة الشاسعة وسوء طرق المواصلات عبر البوادي القاحلة والجبال الوعرة جعلت المناطق منعزلة عن بعضها البعض وخلقت الصعوبات امام الغزوات وتموين العساكر . ولم تكن الطاقات والعساكر كافية لامراء الدرعية كي يخضعوا المناطق الجبلية في اليمن وحتى في الحجاز وساحل مسقط وحضرموت ، وكى يشبثوا مواقعهم في تهامة ونجران . وكان ذلك يشكل تهديدا متواصلا ومصدرا للاضطراب في اطراف الدولة وارغم الوهابيين على تبديد قواهم واموالهم على العمليات الحربية التي لم تنته دوما بالعقوبة المثلثي «للمشركين» وبثواب «الموحدين» بغنائم وفيرة .

ولم تكن العساكر الوهابية خارج شبه الجزيرة العربية وفي المناطق الصحراوية بقادرة على خوض معارك كبيرة ناجحة . فبعد غزو كربلاء ، كما اسلفنا ، لم تقع في ايدي الوهابيين اية مدينة محصنة وان كانت صغيرة في الشام او العراق . كانت عساكر السعوديين تحجم امام المدن المحصنة والمحمية ببسالة وبمعرفة في الفن العسكري .

كانت حماسة الوهابيين في الهجوم تتسم بطابع حروب الغزو في القرون الوسطى . ومن الصعب التكهّن بمصير دولتهم لو كانت قد ظهرت قبل القرن التاسع عشر بعدة قرون . بيد ان سير التطور التاريخي لا يعترف باية افتراضات . فعندما تجاوز الوهابيون اطار الجزيرة العربية التي كان مستواها هو مستوى القرون الوسطى اصطدموا بالقوات الاكثر تطورا للامبراطورية العثمانية والتي سبقتهم من حيث التطور بعدة قرون . في تلك الاثناء كانت بعض ولايات الامبراطورية العثمانية تقوم بمحاولات مستميتة ، وان دون جدوى حتى ذلك الحين ، من اجل التحول الى دولة عصرية . وتبنت

بالدرجة الاولى التكتيك الحربى الاوربى والتنظيم العسكرى
الاوربى . ومنى الوهابيون بالهزيمة فى الصدام مع جيش مدرب
ومسلح على الطريقة الاوربية .

ويمكن فى وقف التوسع بحد ذاته خطر على وجود الدولة
السعودية . فان المشاركة فى الغزوات الموفقة والنهب المشترك ،
كما اسلفنا ، هما الامر الرئيسى الذى وحد وجهاء واعيان مختلف
الواحات والقبائل . وعندما تباطأ التوسع العسكرى لامارة الدرعية
بعد ان بلغ حدوده الطبيعية ، ثم توقف فى الواقع فقد التوحيد
كثيرا من جاذبيته بالنسبة لوجهاء الجزيرة . وتقلص ورود الثروات
المنهوبة . وصار بوسع الوجهاء الاقطاعيين ان يحصلوا على مداخيل
اكثر عن طريق تطبيق سياسة مستقلة وممارسة الغزو التقليدى .
وكانت القبائل البدوية الجبارة تشعر خصوصا بثقل نير الدولة
المركزية . فالكثير من البدو الذين لم يكونوا يعرفون الضرائب
فى السابق وابدا صاروا يسددون الزكاة الالزامية خوفا من التنكيل
الشديد ، وكثيرا ما اخذوا يتمردون . وكان البدو مستعدين دوما
للتخلص من نير الوهابية . ولم يكن اعترافهم بالوهابية الا ظاهريا
كما يقول بوركهاردت (١١٦) . وكانت غنائم الحرب تعوض بشكل
ما عن تسديد الزكاة وفقدان مداخيل مختلف انواع الاخاوات ،
ولكنه فى حالة توقف الغزوات الناجحة صار عبء الدولة المركزية
ثقيل لا يطاق .

كان الاستغلال الضرائبى والاتاوات والغرامات فى بعض
الحالات اثقل من مزايا السلامة والامن والاستقرار . وعند ذاك كانت
قبائل ومناطق بكاملها ترفض دفع الاتاوات (١١٧) . وكان سعود
يقوم سنويا بعدة حملات ليس فقط على اطراف الجزيرة المتمردة
او ولايات الامبراطورية العثمانية ، بل وكذلك على القبائل والمناطق
المتمردة فى دولته .

وسارت داخل الدولة السعودية عملية التعمق المتزايد فى
فوارق الملكية والتناقضات الطبقيّة . وصار وجهاء وسط الجزيرة
الذين اثروا من الغزوات يبتعدون اكثر فاكتر عن بسطاء البدو
والفلاحين ويتذوقون طعم الترف والفخفة . وتعمقت الهوة بين
الدعوة الوهابية الموجهة الى الرعية وبين نمط حياة الوجهاء
والاعيان .

وكانت الحملات البعيدة تلهى فلاحي نجد عن الاعمال الزراعية دون ان تكافئهم دوما بالغنائم . وكانت من اسباب تدمير قسم من السكان الحضرة ضرورة تسديد بدل الايجار للاقطاعيين او للدولة بالاضافة الى الزكاة .

ان تضائل مصلحة الوجهاء والاعيان في وجود الدولة المركزية بعد توقف التوسع ، وتدمير البدو واعيانهم من سلطة السعوديين ، وخيبة امل الفلاحين المزارعين في امراء الدرعية والوهابية - كل ذلك كان مقدمات موضوعية ، خارجة عن ارادة الامراء ، لتحلل الدولة المركزية في الجزيرة العربية . كانت تلك المقدمات موجودة بشكلها الكامن ، ولكنها لم تظهر الا بعد فترة زمنية طويلة نسبيا . الا ان بعض الاجراءات السياسية والاقتصادية التي فرضها التعصب الضيق على امراء الدرعية قد ادت الى تفاقم الصعوبات امام الدولة وعجلت في تحللها .

وكان تعصب الوهابيين الشديد قد حملهم على قطع العلاقات التجارية مع «المشركين» ، اى مع غير الوهابيين . وحتى عام ١٨١٠ ظلت التجارة مع الشام والعراق محرمة (١١٨) . وكانوا اذا وجدوا تاجرا في طريق يؤدي الى «المشركين» صادروا بضاعته كلها (١١٩) . ومن السهل تصور الضربة الفظيعة التي تتلقاها الحياة الاقتصادية في بعض المناطق في حالة التطبيق الحرفى للاوامر المتعصبة .

بيد ان الحاجات الاقتصادية كانت اقوى من القرارات المتهورة والتعصب الاعمى . فقد تقلصت تجارة الجزيرة مع «المشركين» ولكنها ظلت مستمرة . وفي فترة تأزم العلاقات مع مصر والعراق والشام لم تتوقف تجارة القمح (١٢٠) . وكان الوهابيون انفسهم يبيعون في الهند المجوهرات المنهوبة (١٢١) . ان امراء الدرعية عندما قاموا بمحاولة فاشلة لاقامة «الحصار الذاتى» على الجزيرة وعجزوا عن الاستغناء عن التجارة مع «المشركين» قد اساءوا الى سمعتهم هم .

وكانت سياسة الوهابيين تدميرية خصوصا بالنسبة للحجاز . وكانت الضربة الاشد قد نجمت عن منع وصول اغلبية الحجاج من الامبراطورية العثمانية . ولم يعد البدو يستلمون بدل مرور القوافل عبر اراضيهم ولا اجور دواب الحمل . وفقد عدد غفير من

المتسولين المحترفين والادلاء وسدنة العتبات المقدسة مداخيلهم .
ولم تعد هدايا السلطان السنوية تصل الى الحرمين (١٢٢) .
وبنتيجة ذلك ، كما يقول الجبرتى ، لم يعد سكان مكة والمدينة
يستلمون ما يعيشون عليه : الصدقات والاغذية والنقود . فآخذوا
نساءهم واطفالهم وتركوا ديارهم ولم يبق هناك الا الذين لم يكونوا
يعتمدون على تلك المصادر للعيش . وتوجه اولئك الناس الى مصر
والشام وسافر قسم منهم الى الاستانة (١٢٣) .

وعندما اجتاحت المجاعة بسبب الجفاف المرعب الجزيرة العربية
طوال خمس او ست سنوات كانت الاغذية تصل الى الحجاز مع ذلك
من بلدان اخرى . بيد ان عمليات الوساطة او السمسرة وبيع
البضائع من قبل الحجاج هي الانواع الرئيسية للتجارة فى الحجاز .
وهى بالذات التى تضررت اكثر من غيرها . وتقلص مرور البضائع
عبر جدة بسبب التقلص الشديد فى عدد الحجاج الذين كان كثير
من البضائع يجلب من اجلهم ، فى حين ان تجار البن والاقمشة
الهندية لم يجروا على الظهور فى المرفأ ، لانهم يعاملون معاملمة
«المشركين» . واصاب الكساد التجارة مع مصر . وتجلى الاثر
السلبى لذلك كله ليس فقط عند التجار الاثرياء بل وكذلك بسطاء
الناس فى جدة ومكة ومدن اخرى ، لانهم هم ايضا مرتبطون
بالتجارة . واصاب الافلاس كثيرين منهم ، وخلت جدة من
اهلها (١٢٤) .

والغى امراء الدرعية مختلف الاتاوات الجائرة وحالوا دون
الابتزاز من جانب شريف مكة او آغا المدينة المنورة . ولكنهم
فرضوا الزكاة الالزامية فى المناطق غير الخاضعة للشريف مباشرة .
ويمكن ان نتصور مشاعر البدو او سكان المدينة المنورة الذين
فقدوا مداخيلهم من الحج وصاروا مضطرين على تسديد الزكاة .
لقد تركت لشريف مكة مداخيله ، ولكنها تقلصت كثيرا بسبب
تقلص توارد الحجاج وركود التجارة ومنع استحصال الرسوم من
التجار الوهابيين ، ناهيك عن الاثر الذى تركه فيه فقدان
الاستقلال السياسى .

ولم تكن المشاركة فى الغزوات لتبشر سكان الحجاز عموما
بخير ، فقد تعودوا الحصول على اسباب العيش باساليب اسهل .
ويكفى القول ان سكان المدينة المنورة الذين كانوا يمتلكون جيادا

قد باعوها فوراً لتفادى الاستدعاء للخدمة في عساكر
الوهابيين (١٢٥) .

وكانت العادات الصارمة «النقية» التي استحدثت في مكة
تتعارض مع عادات ومفاهيم سكانها . ان الانتماء الى الحرم الشريف
قد ولد لدى سكان مكة شعوراً بالتفوق على سائر المسلمين ، الامر
الذى قدم لهم تبريرات جاهزة للتسيب (١٢٦) . وكانت الانظمة
الجديدة تحظى بتأييد علماء الدين الاتقياء والمؤمنين الصادقين ،
ولكنها كانت ثقيلة على اغلبية السكان . وكان ثقيلاً ايضاً الشعور
بالاهانة بسبب الخضوع للنجديين لأول مرة بعد قرون عديدة .
ان كل هذه العوامل الاقتصادية والسياسية والسيكولوجية قد
اثارت في الحجاز جو العداء والحقد على الوهابيين الذين كانت
مكانتهم وسلطتهم تستندان الى القوة العسكرية فقط .

وكان بوسع اى دافع خارجى قوى ان يؤدى الى بدء عملية
تحلل الدولة السعودية الاولى ، فى حين ان التناقضات التى كانت
تفتتها من الداخل ببطء قد اكتسبت طابعاً تدميراً .

دحر الوهابيين على ايدى المصريين (١٨١١-١٨١٨)

مقدمات لتوسع العملة المصرية على الجزيرة العربية . كان احتلال الوهابيين لمكة والمدينة المنورة قد الحق ضررا هائلا بسمعة السلطان العثماني سليم الثالث . فان خليفة المسلمين وسادن الحرمين الشريفين لم يكن قادرا على تأمين الحج لرعيته وهو واحد من اركان الاسلام الخمسة .

وبعد الاطاحة بالسلطان سليم الثالث حاول السلطان الجديد الذى كان فى السابق لعبة فى ايدى الانكشارية اعادة الحجاز مهما كلف الثمن الى حظيرة الامبراطورية العثمانية . واتضح انه لا امل فى محاولات دفع والى بغداد ووالى دمشق الى العمليات النشيطة ضد الوهابيين .

وكانت الامكانية الواقعية الوحيدة لدحر امارة الدرعية هى استخدام قوات والى مصر الذى اخذ يتقوى .

وعندما ترسخت اقدام محمد على فى مصر وصار واليا للقاهرة فى عام ١٨٠٥ كلفه الباب العالى بمهمة استعادة الحرمين من الوهابيين . كان الوالى الجديد مشغولا بتعزيز سلطته ومكافحة منافسيه والمماليك والدفاع عن مصر دون الانجليز ومهتما بالاصلاحات الداخلية فلم تكن لديه طوال عدة سنين قوى كافية لمعالجة شؤون الجزيرة العربية . ولكنه اعتبارا من نهاية عام ١٨٠٩ اخذ يبدى اهتماما جديا بالتحضير للحملة (١) .

ولم تكن رغبة الباب العالى السبب الرئيسى الوحيد الذى دفع حاكم مصر المستقل فى الواقع للقيام بحملة طويلة الامد وباهظة التكاليف على الجزيرة العربية . كان محمد على يأمل من وراء تحرير الحرمين الشريفين بتقوية سمعته فى الامبراطورية العثمانية كلها وبكسب شعبية كبيرة . وكانت خطط والى القاهرة ، مثل خطط على

بك في حينه ، تستهدف السيطرة على تجارة السلع الهندية والبن
اليمنى التى تمر عبر جدة ، ثم الاستيلاء على اليمن نفسه . وكان
محمد على ينوى كذلك ، من وراء الشعارات النبيلة لتحرير مكة
والمدينة المنورة ، اخراج الجنود الذين نصبوه على دست الحكم
فى مصر ولكنهم تحولوا الى قوة خطيرة للغاية وصاروا يقيدون
اعماله . واخيرا فان الباب العالى قد وعد ، على ما يبدو ، فى
مباحثات غير رسمية بتسليم ولاية دمشق الى احد ابناء محمد على
حالما يتم تحرير مكة والمدينة (٢) .

كان بضع مئات من العمال يمارسون بناء السفن فى السويس ،
وحتى اذار (مارس) ١٨١٠ كانت هناك تقريبا عشرون سفينة
جاهزة (٣) .

ثم بنيت عدة سفن اخرى . وحول المصريون احد مرافئ البحر
الاحمر الى قاعدة رئيسية لتموين الحملة وعززوا القلاع فى القسم
الشمالى من طريق قوافل الحجاج من مصر الى الحجاز حيث ارسلوا
اليها حاميات من الجنود المغاربة المرتزقة ، ووزعوا الهدايا على
القبايل البدوية (٤) .

وفى الاول من اذار (مارس) ١٨١١ فتك والى مصر بالمماليك
فى قلعة القاهرة ، ثم استمر قتلهم فى المدينة كلها . تمت تصفية
منافسى محمد على الخطرين فى الوجه البحرى .
وكانت الحرب فى اوربا قد ازالَت مؤقتا خطر اقتحام دولة من
الدول الاوربية لمصر وساعدت على القيام بالحملة على الجزيرة
العربية .

وعين لقيادة الحملة طوسون ابن محمد على وهو فتى شجاع
كان لا يزال آنذاك فى السادسة عشرة او الثامنة عشرة من العمر
(٥) .

وبغية الحصول على تأييد شريف مكة غالب بدأ محمد على
مراسلات سرية معه . ووعد الشريف بالتأييد . وكانت المعلومات
التى حصل عليها رجال محمد على تبعث على الارتياح . فان سكان
الحجاز يكونون العداء للوهابيين وكأنما كانوا ينتظرون «الترك»
كمخلصين لهم . (فى بادئ الامر دخل محمد على الجزيرة العربية
وكأنما نزولا عند ارادة السلطان العثمانى ، ولذا استقبل السكان
جيشه بوصفه جيشا تركيا) . وكانت مثل هذه المعلومات تتوارد

على حاكم مصر من مصادر اخرى ايضا ، فقرر ان الوقت قد حان (٦) .

هزيمة طوسون في وادى الصفراء . فى اواخر العقد الاول من القرن التاسع عشر لوحظ ضعف العمليات الهجومية لامارة الدرعية . فبعد تدمير كربلاء والاستيلاء على الحجاز لم يحقق الوهابيون انتصارات كبيرة . فقد الحق الانجليز المتحالفون مع اهل مسقط عدة هزائم شديدة بالوهابيين فى البر والبحر ومكنوا البحرين من الخروج على الدرعية . وقامت فى عمان تمردات متواصلة على الوهابيين .

وادى الجفاف والقحط فى الجزيرة العربية لسنوات عديدة وحتى عام ١٨٠٩ الى اضعاف تحرك الدولة السعودية . ومما زاد فى الطين بلة وباء الكوليرا الذى تفشى آنذاك . ففى الدرعية وحدها كان يموت يوميا عشرات الاشخاص (٧) . وكانت الخلافات فى الاسرة الحاكمة تفتت سلطة السعوديين من الداخل .

الا ان الدولة السعودية احتفظت ببعض جوانبها القوية . فان تعصب الوهابيين القتالى لم يستنفد بعد . وكان امراء الدرعية لا يزالون قادرين على الاعتماد على مفارز صلبة من حضر نجد وبعض القبائل البدوية . ثم ان الطبيعة الصعبة فى الجزيرة اخيرا كانت الى جانب الوهابيين فى الكفاح ضد العدو الخارجى .

كان الجيش المصرى المكون من المرتزقة الاتراك والالبان والمغاربة مسلحا بصورة جيدة ، ولديه مدفعية . وكانت لدى العديد من قادته خبرة الحروب ضد الفرنسيين والانجليز وكانوا مطلعين على التكتيك الحربى الاوروبى . بيد ان الانضباط والمعنويات عند الجيش لم تكن عالية آنذاك .

وفى آب (اغسطس) ١٨١١ ارسل قسم من القوات المصرية الى الحجاز بحرا للاستيلاء على ينبع بواسطة الانزال ، بينما توجهت الخيالة بقيادة طوسون الى هناك برا . ويقول بوركهاردت انه ارسل عن طريق البحر ١٥٠٠ جندي ، بينما وصل مع طوسون ٨٠٠ فارس (يذكر عبد الرحيم أ . عبد الرحيم ، استنادا الى الارشيفات المصرية ، ان عدد الذين جاءوا معه ثلاثة آلاف ، بمن فيهم البدو) . ووصل مع طوسون واحد من افضل القادة العسكريين عند محمد على

وهو احمد الملقب بونا برت ، وكان بمثابة مستشار عسكري عنده ، وكان هو القائد الفعلي .

وفى تشرين الاول (اكتوبر) من العام ذاته احتلت قوات الانزال البحرى المصرية مدينة ينبع ، ولم تكن فيها قوات وهابية ، بل كانت هناك حامية صغيرة خاضعة لشريف مكة ولم تبد فى الواقع اية مقاومة (٨) . ونهب الجنود كل ما كان فى ينبع «من الودائع والاموال والاقمشة والبن وسبوا النساء والبنات الكائنات بالبندر واخذوهن اسرى ويبيعونهن على بعضهم البعض» (٩) . ومن المستبعد ان يحظى سلوك الجنود هذا باستحسان السكان . بيد ان المهمة الرئيسية للمرحلة الاولى من الحملة قد نفذت فقد تم الاستيلاء على رأس جسر هام لمواصلة العمليات ضد الوهابيين .

وفى تشرين الثانى (نوفمبر) وصل طوسون وخياله الى ينبع . ويقول ابن بشر ان اكثر من ١٤ الف شخص تحشدوا فى ينبع (١٠) . وحتى لو اخذنا بنظر الاعتبار ان بوركهاردت حاول التقليل بعض الشئ من تعداد القوات المصرية فان عدم تطابق ارقامه مع ارقام المؤرخ النجدى يثير الدهشة . ويبدو ان حاميات اخرى ارسلها محمد على سابقا الى القلاع على طريق القوافل قد التحقت بقوات طوسون فى مسيرتها بالاضافة الى بعض البدو (١١) . ظل طوسون عدة اسابيع فى ينبع ، وبعد ان وصلت امدادات من مصر سار بقواته نحو المدينة المنورة .

كان سعود مطلعاً على استعدادات محمد على الحربية ، فقد اطلعه مخبروه فى القاهرة على انبائها . ويبدو ان ذلك هو سبب اهتمامه المتواصل بتعزيز المدينة المنورة . وعندما احتل طوسون ينبع عبأ سعود افضل قواته وارسلها الى الحجاز بقيادة ابنه عبد الله . وشغل ١٨ الفا من الوهابيين ، بمن فيهم ٦٠٠ من الخيالة ، مواقعهم عند وادى الصفراء على منتصف الطريق بين ينبع والمدينة (١٢) .

ونشبت المعارك الحاسمة فى كانون الاول (ديسمبر) . كان جيش طوسون يلاحق قبيلة حرب التى لم يقم معها علاقات ودية فدخل فى ممر جبلى ضيق قرب وادى الصفراء وتعرض لضربات قوات الوهابيين المختارة التى لم يكن لطوسون اى علم بوصولها . وفر الجيش المصرى البالغ تعدادة ٨ آلاف شخص . ولم تنقذ

الموقف بسالة طوسون شخصيا . فقد دمرت قواته تدميرا وفقدت نصف افرادها . ولم ينقذ المصريين من الهلاك عن بكرة ابيهم الا انشغال الوهابيين بنهب المعسكر الذى تركوه ، فعادت الى ينبع بقية ضئيلة من قوات طوسون الا ان الوهابيين لم يهاجموا هذه المدينة . فظل المصريون يحتفظون باهم رأس جسر (١٣) .

ووصف الجبرتى سلوك جنود طوسون حالما لاحت اولى علامات الهزيمة : «فما يشعر السفلائيون الا العساكر الذين فى الاعالى هابطون منهزمون فانهمزوا جميعا وولوا الادبار وطلبوا جميعا الفرار وتركوا خيامهم واحمالهم واثقالهم وطفقوا ينهايون ويخطفون ما خف عليهم من امتعة رؤسائهم فكان القوى منهم يأخذ متاع رفيقه الضعيف ويأخذ دابته ويركبها وربما قتله واخذ دابته وساروا طالبيين الوصول الى السفائن بساحل البريك لانهم كانوا اعدوا عدة مراكب بساحل البريك من باب الاحتياط ووقع فى قلوبهم الرعب واعتقدوا ان القوم فى اثرهم والحال انه لم يتبعهم احد لانهم لا يذهبون خلف المدبر ولو تبعوهم ما بقى منهم شخص واحد فكانوا يصرخون على القطائر فتأتى اليهم القطيرة وهى لا تسع الا القليل فيتكاثرون ويتزاحمون على النزول فيها فيصعد منهم الجماعة يمنعون البواقى من اخوانهم فان لم يمتنعوا مانعوهم بالبندق والرصاص . . .» (١٤) .

كان الجبرتى من الازهریین المعارضين لمحمد علي . وقد قدم توضيحاته لاسباب هزيمة القوات المصرية : «ولقد قال لى بعض اكابرهم الذين يدعون الصلاح والتورع اين لنا بالنصر واكثر عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهبا وصحبتنا صناديق المسكرات ولا يسمع فى عرضينا اذان ولا تقام به فريضة ولا يخطر فى بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين والقوم اذا دخل الوقت اذن المؤذنون وينتظمون صفوفًا خلف امام واحد بخشوع وخضوع واذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة اذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة للحرب وتتأخر الاخرى للصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك لانهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته وينادون فى معسكرهم هلموا الى حرب المشركين المحلقين الذقون المستبحين الزنا واللواط والشاربين الخمر والتاركين للصلاة الاكلين الربا القاتلين الانفس المستحلين المحرمات» (١٥) .

وبالاضافة الى الاسباب العسكرية الصرف - عنصر المباغثة عند الوهابيين وسوء الموقع عند القوات المصرية ، ومعنويات الوهابيين التى كانت لا تزال مرتفعة ، وتدهور معنويات جنود طوسون - لعب دورا كبيرا عجزه فى تلك الفترة عن اقامة علاقات ودية مع القبائل البدوية المحلية . فان قوات طوسون مرت بمناطق كان سكانها حلفاء للوهابيين ولم يقرروا بعد مهاجمتهم .

احتلال الحجاز . كان تصحيح الاوضاع قد تطلب استمالة شيوخ البدو المحليين . وتطلب ذلك اموالا . وسرعان ما وصلت تلك الاموال من مصر .

كتب قنصل روسيا فى مصر ش . روسيتى : يقول «ان استمرار تصدير الاطعمة من هنا (من الاسكندرية) الى مالطة واسبانيا يقدم له (لمحمد علي) وسيلة لسد العجز فى خزينته ويمكنه من انفاق الاموال اللازمة على استئناف تحصين هذه المدينة . . . وعلى الاستعدادات الهامة للحملة على عبد الوهاب . والحال تصل من تركيا الى الاسكندرية بلا انقطاع قوات جديدة يرسلها هو بفصائل صغيرة الى ينبع عن طريق السويس . ويقال ان عبد الوهاب يتخذ من جانبه اجراءات نشيطة لمواجهة هذه الحملة الجديدة . ويوجد خلاف شديد بين عبد الوهاب المذكور وشريف مكة . . . » (١٦) . وكتب ش . روسيتى كذلك عن الاشاعات الدائرة عن الاستعداد للحرب بين فرنسا وروسيا . وكان ذلك قد ساعد والى القاهرة فى العمل دون ان يعبا كثيرا بالدول الاوربية .

ووصلت الى ينبع امدادات جديدة ومعدات حربية ، واجتذب طوسون بالهدايا الكبيرة شيوخ قبائل جهينة وحرب وكثيرا من الحضر . وخصص راتب شهرى لكل شيخ من شيوخ القبائل (١٧) . كان التذمر من الوهابيين فى الحجاز قد تحول من زمان الى حقد ، ولذلك اخذت سياسة طوسون هذه تعود بشمارها .

وفى خريف ١٨١٢ توجه طوسون على رأس قوات كبيرة نحو المدينة المنورة واقترب منها فى تشرين الاول (اكتوبر) دون ان يواجه مقاومة فى الطريق (١٨) . وكانت حامية من الوهابيين بسبعة آلاف شخص تدافع عن المدينة . الا ان المرضى ، كما يقول ابن بشر ، اصاب قسما كبيرا من الجند . ولم يكن سكان المدينة راغبين كثيرا فى القتال الى جانب الوهابيين .

واخذ طوسون يقصف المدينة بالمدفعية ففتحت الانفجارات
ثغرات فى اسوارها . واستسلمت المدينة المنورة . والتجأت
حامية الوهابيين الى قلعة المدينة ، ولكن الجوع ارغمها على ترك
القلعة بعد ثلاثة اسابيع ، فى تشرين الثانى (نوفمبر) . ووعد
طوسون بالسماح بجلاء بقايا الحامية الوهابية بشروط
مشرفة (١٩) . ويقول منجيين ان جنود طوسون تصرفوا تصرفا
نييلا (٢٠) ، الا ان بوركهاردت المطلع عن كذب على سير الحملة
يقول ان هؤلاء الجنود قتلوا ونهبوا فى الطريق اغلبية
الوهابيين (٢١) . وارسلت الى القاهرة ٤ آلاف اذن اقتطعت من
الوهابيين واعدت لارسالها الى الاستانة (٢٢) . وانتقل آغا المدينة
المنورة حسن الى صف المصريين ولكنه اعتقل ونفى الى الاستانة
حيث اعدم . وعين حاكما للمدينة بدلا عنه توماس قيس وهو
اسكتلندى اسر فى مصر واعتنق الاسلام (٢٣) .

ولعب الشريف غالب على حيلين . فقد كان مسرورا لهزيمة
الوهابيين وكان يأمل فى التخلص من ظلمهم بمساعدة المصريين .
الا انه لم يكن راغبا فى تقوى مواقع والى القاهرة فى الحجاز
لدرجة كبيرة . وكان افضل ما يناسب غالب هو استنزاف القوات
المصرية وقوات الوهابيين وعودة السلطة الفعلية فى الحجاز اليه .
وها هو يقسم الولاء من جديد لسعود الذى ادى فريضة الحج
آخر مرة فى نهاية عام ١٨١٢ (٢٤) ، ويستعد لتسليم مكة وجدة
الى قوات والى القاهرة . وفى تلك الفترة كان معسكر قوات
عبد الله يربط ليس بعيدا عن مكة . الا ان مصنفات ابن بشر
والمصادر الاخرى لا تشير الى قيام الوهابيين باستعدادات ما
لعمليات حربية . ولم تكن سلبية سعود وابنه تعنى بانهما لم يفهما
مدى الخطر الذى يتهدهما . ولا يمكن ان يفسر سكوتهما الا بالحالة
الداخلية للدولة الوهابية وعدم الاستقرار فى المؤخرة وعدم امانة
البدو .

وفى كانون الثانى (يناير) ١٨١٣ احتل فصيل مصرى غير كبير
مدينة جدة بلا قتال . وخوفا من تلقى ضربة غادرة من غالب سحب
عبد الله الحامية الوهابية من مكة وانسحب بجيشه كله الى
الخرمة . وفر عثمان المضايقى وعائلته من الطائف . وسقطت مكة ،
والطائف بعد بضعة ايام ، ووقعتا فى يد طوسون بلا قتال (٢٥) .

واعلن غالب ، وعلى اثره قبائل الحجاز البدوية ، الولاء للاسياد الجدد .

وانتزع المصريون الحجاز من الوهابيين بدون جهود حربية كبيرة رغم هزيمتهم الفادحة ولعب الدور الحاسم فى انتصارهم عداء الحجازيين لامير الدرعية وللوهابية وكذلك الذهب المصرى الذى وزع بسخاء على وجهاء واعيان البدو وعلى البدو انفسهم ، واخيرا انتقال شريف مكة الى جانب والى القاهرة .

وبمناسبة احتلال المدينتين المقدستين اقيمت فى القاهرة احتفالات صاخبة اطلقت فيها نيران المدافع واجريت الالعاب النارية . وتوجه رسول من محمد علي الى الاستانة يحمل مفاتيح مكة والمدينة المنورة وجدة . وكتبت السفارة الروسية من الاستانة تقول : «حضر جميع اعضاء الحكومة العثمانية لاستلام المفاتيح فى مسجد ايوب ، ومن هناك نقلت الى السلطان فى السراى . وفى ذلك اليوم دوت ثلاث مرات صليات المدفعية من جميع بطاريات المدينة والاسطول ومضيق البحر الاسود احتفالا بهذا الحادث . واستمرت الاحتفالات سبعة ايام» (٢٦) . وعين السلطان العثمانى طوسون واليا لجدة ، واستلم محمد علي والشريف غالب هدايا ثمينة من السلطان (٢٧) .

ولم تعد الشهور التالية على المصريين بما يفرحهم . ففى ربيع وصيف ١٨١٣ قام الوهابيون بغزوتين موفقتين على الحجاز . وظهر سعود بنفسه قرب المدينة المنورة مع انه لم يتمكن من احتلالها . وهجم اهالى عسير الذين ظلوا مواليين للوهابيين على الفصائل المصرية قرب اسوار مكة وجدة تقريبا .

وفقد جيش الاحتلال المصرى بسبب الارهاق والحر والامراض المتواصلة الناجمة عن سوء التغذية وتلوث المياه عددا من الجنود اكبر مما فقده فى المعارك . ويقول منجى ان جيش والى القاهرة فقد خلال هذه الحملة ٨ آلاف شخص و٢٥ الف جمل . وكان هلاك دواب الركوب والنقل قد حرم المصريين من امكانية المناورة والمسيرات البعيدة وايصال العتاد والذخيرة والاغذية فى الوقت اللازم . وبدأت آمال البدو فى والى مصر تخبى ، وصاروا يتعاونون مع قواته على مضض (٢٨) .

وفى خريف ١٨١٣ ابتسم الحظ لطوسون من جديد . فقد قام القائد العسكرى الوهابى عثمان المضايقى بغارة على الطائف ولكنه منى بالهزيمة وفر . وقبض عليه بدو عتيبة وسلموه الى غالب (٢٩) . ثم ارسل الى القاهرة ومنها الى الاستانة حيث اعدم .

سياسة محمد علي فى الحجاز . كان حاكم مصر يدرك بان الوهابيين لم ينتهوا رغم احتلال الحجاز . فقرر ان يتوجه شخصيا الى الجزيرة العربية ويدرس الموقف هناك ، ويؤدى فريضة الحج فى الوقت ذاته . وفى خريف ١٨١٣ وصل محمد علي مع بضعة آلاف من الجنود الى جدة (٣٠) . واستقبله غالب . وعاهد احدهما الآخر بالصدقة ، واقسما على ذلك فى الكعبة . الا ان خلافا جديا كان يختمر بين الوالى والشريف .

كان مركز شريف مكة قويا بحيث لا يسمح بالتطاول السافر على سلطته . وكان مبعث قوته وجود بضعة آلاف من العبيد المسلحين والجنود المرتزقة والحجازيين الموالين له وسيطرته على قلعة مكة (٣١) . الا ان الوالى الداهية اعتقل غالب غدرا فى اواخر عام ١٨١٣ بزعم ان السلطان طلب ذلك وارغم محمد علي شريف مكة تحت تهديد الموت بان يصدر امره الى ابنائه ليكفوا عن المقاومة ، وبعد ذلك نفاه مع عائلته كلها الى القاهرة . وعين محمد علي بدلا منه صنيعته يحيى بن سرور وهو من اقرباء الشريف غالب وصادر اموال الشريف من نقود واثاث وبضائع وبن وتوابل بلغت قيمتها ما يعادل ٢٥٠ الف جنيه استرلينى .

الا ان السلطان امر باعادة قسم من تلك الاموال الى الشريف غالب الذى اقام فى سالونيكى وتوفى فيها بعد بضع سنوات (٣٢) .

لقد فاز محمد علي دون شك من حيث الهدف البعيد الذى يتلخص فى اخضاع الحجاز بصورة تامة . فقد جرد شريف مكة من السلطة والنفوذ واستبعد احتمال انتقال غالب الى صف الوهابيين . ووضع يده على مداخل الشريف السابقة كلها تقريبا وساعد ذلك على تمويل الحملة الباهظة . واخيرا حرم الباب العالى من امكانية الاستفادة من التناقضات بينه وبين غالب .

الا ان النتيجة المباشرة لغدر محمد علي تجلت فى غضب سكان الحجاز ، وخصوصا البدو ، ولجوء الكثير من عوائل الوجهاء الى

الوهابيين خوفا من التنكيل ومشاركتها في الحرب الى جانب الوهابيين . وكان من بين هؤلاء الشريف راجح وهو قائد عسكري شجاع . كما التجأ الى الوهابيين جزء من حرس غالب (٣٣) . ومن الناحية العسكرية كان الاخفاق يلاحق محمد علي في بادى الامر . ففي اواخر ١٨١٣ واول ١٨١٤ منيت قواته بالهزيمة في تربة والقنفذة .

وعندما استولى الانزال البحرى على مدينة القنفذة قتل الجنود كثيرا من السكان العزل وقطعوا آذانهم لارسالها الى الاستانة كدليل على البسالة في القتال . وقال ج . فيناتي الذي شارك في هذا الانزال ان الجنود كانوا احيانا يقطعون آذان الاحياء لكي يحصلوا على المكافاة الموعودة (٣٤) . وتوحد السكان المحليون الغاضبون بسبب ذلك حول طامي امير عسير الذي حاصر القنفذة وقطع عنها مياه الآبار الموجودة حولها ثم بدأ الهجوم بعد ان استنزف قوى المحاصرين . وفر الجنود الى السفن في هرج ومرج . وقتل الكثيرون منهم وغرق آخرون او هلكوا في الطريق بسبب العطش (٣٥) .

كان محمد علي يدرك بانه اذا لم يحقق نصرا حاسما في الجزيرة العربية فان مكانته في مصر سوف تتزعزع ، ولذا بدأ باتخاذ اجراءات عاجلة لمواصلة الحملة . وفرضت ضرائب اضافية على الفلاحين المصريين ، ووصلت الى جدة امدادات جديدة وذخيرة وعتاد واغذية . فصارت المدينة بمثابة مستودع رئيسي . ووصلت عدة مئات من الخيالة من بدو ليبيا المواليين لمحمد علي باشا . وكانوا سندا ثميننا له لانهم متعودون على العمليات في الظروف الصحراوية . وازدادت وسائل النقل بآلاف الجمال التي اشترى محمد علي بعضها من الشام وجلب البدو الليبيون بعضها الآخر . واتفق محمد علي مع امام مسقط حول ارسال السفن لنقل القوات (٣٦) .

واتخذت خطوات لتحسين العلاقات مع السكان المحليين . والغى محمد علي بعض الاتاوات المرهقة جدا وقلص الرسوم الجمركية في جدة . ووزع النقود على المحتاجين ورمم الكعبة وقدم الهدايا لعلماء الدين وكشف خبيصا عن ورعه وتدينه . وامر جنوده بان لا يمارسوا النهب والتنكيل وان يدفعوا ثمن ما يأخذونه

من اغذية . وتغير موقف الحجازيين من قوات محمد علي نحو
الافضل (٣٧) .

الا ان الامر الرئيسى يتلخص فى استئناف الحج . فقد استلم
البدو تقودا من قافلة الشام بعد ان كانت السلطات العثمانية لا
تدفع شيئا منذ عشر سنين . واسفر توارد عشرات الآلاف من
الحجاج عن ازدهار احوال سكان الحجاز من جديد (٣٨) .

وكانت وفاة امام الدرعية سعود فى ربيع ١٨١٤ (٣٩) قد
افادت الى مصر . فان موهبة سعود كقائد عسكرى ورجل دولة
معروفة للجميع . ولم يبخل ابن بشر بالكلمات فى مدحه ، فرسم
له صورة الحاكم المثالى التى وردت اوصافها فى الكثير من
الروايات الشفهية وفى الادب العربى . ويقول المؤرخ ان سعود
كان محبوبا عند الرعية . وكان جيد الاطلاع على الكتاب والسنة
بفضل تعلمه على يد محمد بن عبد الوهاب . وقد كافح فى سبيل
الاسلام وخاض الجهاد ببسالة . وكتب وصايا للرعية ادهشت
الجميع بعمق معرفة الفقه ، ودل على افكاره بآيات من القرآن
واقوال من الحديث ومقتطفات مما كتبه اشهر الفقهاء . ودعا الى
الامتناع عن المحظورات : الزنا والنميمة والافتراء والاكاذيب
والربا . وكان متواضعا ورعا سخيا وكان بسيطا فى معاملته
المقربين اليه . كان فطينا حاد الذكاء وقد حظى باعجاب كبير
وشعبية واسعة (٤٠) .

فى فترة وفاة سعود كان الوهابيون قد فقدوا الحجاز كله
وعمان والبحرين وقسما من تهامة . وتسلم ابنه عبد الله دولة
انتابها الخراب . وبعد ان قهر مقاومة المتذمرين ثبت مركزه على
العرش واخذ يستعد لمواصلة الحرب ضد جيش محمد علي . وتشير
اغلبية المؤرخين الى ان عبد الله كان محاربا شجاعا ، ولكنه اقل
من والده من حيث الدهاء السياسى والمرونة وسائر خصال رجل
الدولة . وربما كان فى هذا القول بعض الحق . فالتاريخ يدين
المغلوبين بوصفهم غير موهوبين ، مع ان الملايسات اقوى منهم
فى كثير من الاحيان .

انتصار المصريين فى معركة بسل وتقدمهم نحو عسير . اخذت
سياسة محمد علي فى الحجاز تؤتى ببعض الثمار . فقد تمكن من
تحسين العلاقات مع البدو . والدليل على ذلك ما قاله ابن بشر

من ان عبد الله هاجم مرارا القبائل البدوية الحجازية الموالية لمحمد علي . واضطر امام الدرعية الى القيام بحملة تنكيلية ضد بدو مطير ايضا (٤١) . وفى اواخر عام ١٨١٤ تمكن محمد علي من الاتصال مع الشريف راجح واقناعه بالعودة للخدمة عنده ودفع له مبلغا ضخما .

وحتى ذلك الوقت صارت لدى محمد علي قوات كافية . ويقدر بوركهاردت تلك القوات بـ ٥ آلاف شخص ، ولكن محمد علي كان يعتقد بان لديه ٢٠ الفا (٤٢) . ويبدو ان الرقم الحقيقى هو بين هذا وذاك .

وفى اواخر ١٨١٤ وبداية ١٨١٥ حشد الوهابيون فى بسل ، على مقربة من تربة ، جيشا بلغ ٣٠ الفا كما يقول ابن بشر ، و ٢٠ الفا كما يقول بوركهاردت . واكثر من نصفه احضره طامى بن شعيب من عسير . وترأس تلك القوات الموحدة فيصل شقيق عبد الله . وفى كانون الثانى (يناير) ١٨١٥ نشبت معركة انتصرت فيها قوات محمد علي المتحالفة مع البدو . ودفع محمد علي ٦ ريالات مقابل كل قتيل من الاعداء . واحتفل محمد علي بالنصر حيث اعدم فى مكة مئآت الاسرى . وبلغت خسائر الوهابيين عدة الاف .

ثم احتلت قوات محمد علي تربة ورنية وبيشة . ووصل المصريون الى ساحل البحر الاحمر واستولوا على القنفذة . وجرى تسليم زعيم عسير طامى بن شعيب الى محمد علي الذى ارسله الى مصر ثم الى الاستانة حيث اعدم . وكان محمد علي ينصب على القبائل البدوية فى كل مكان اناسا طائعين له (٤٣) . وبنتيجة العمليات الحازمة التى شنّها محمد علي تم دحر الوهابيين فى عسير وفى المناطق الهامة من الناحية الاستراتيجية بين الحجاز ونجد وعسير .

وبعد عدة اشهر عاد محمد علي الى مصر حيث وصلته انباء عن القلاقل . وبالإضافة الى ذلك كان محمد علي ، بعد احتلال الحلفاء لباريس ، يخشى من انزال جديد يقوم به الانجليز على مصر او من هجوم الاتراك (٤٤) .

دخول طوسون القصيم والصلح مع عبد الله . لم تكلل بالنجاح محاولة طوسون الاولى لدخول القصيم . فقد عاد ادراجه عندما علم بظهور عبد الله مع قوات كبيرة . الا ان التذمر فى القصيم من

سلطة الوهابيين قد اشتد . واتصل وجهاء الرس بطوسون ووعدوه بالمساعدة اذا دخل القصيم . وتحرك طوسون بلا ابطاء مع عدد غير كبير من القوات نحو مدينة الرس ودخلها . ودمر هنا قسما من التحصينات وفرض الضرائب على السكان ونصب معسكرا على مقربة من المدينة مؤمنا تزويد الجيش بالاغذية على حساب السكان المحليين . فلم يتمكن من تأمين المؤن من المدينة المنورة بصورة منتظمة .

وكانت قوات عبد الله مرابطة فى عنيزة . وقام الوهابيون بهجمات متفرقة باتجاه الرس وكانوا يستولون على قسم من القوافل القادمة من المدينة المنورة . فقد وقع فصيل الامدادات الذى قاده توماس قيس فى كمين نصبه الوهابيون وايبى (٤٥) . واستمرت العمليات الحربية سجلا طوال عدة شهور حتى صيف عام ١٨١٥ . (٤٦) .

غدت حالة طوسون عصبية للغاية . فان ضغط الوهابيين الشديد كان يمكن ان يدمره . بيد ان قوى عبد الله لم تكن كافية على ما يبدو ، ثم انه كان يخشى تمرد اهل القصيم فى مؤخرته . وتم توقيع الصلح بشروط تعكس توازن القوى المترجح هذا . ونص الاتفاق على توقف العمليات الحربية . وترك جيش طوسون القصيم وكف المصريون عن التدخل فى شؤون نجد . وتؤكد ضمان حرية التجارة والحج للجميع . واورد ابن بشر وبوركهاردت كلاهما هذه المعلومات عن الاتفاقية . الا ان الرحالة بوركهاردت اورد بضعة شروط اخرى من الاتفاقية : يجب ان تخضع لعبد الله كل القبائل المتواجدة شرقى الحناكية . ويقول بوركهاردت كذلك ان عبد الله وافق على اعتبار نفسه من رعية السلطان العثمانى . ويؤكد المؤرخ المصرى المعاصر أ . عبد الرحيم هذه الحقيقة استنادا الى وثائق من ارشيفات القاهرة (٤٧) .

ووصل مبعوثو عبد الله مع طوسون الى القاهرة خريف عام ١٨١٥ (٤٨) .

وبعد انسحاب طوسون اخذ عبد الله ينحى امراء القصيم الذين ابدوا ترددا اثناء وجود الفصيل المصرى فى الرس ، او الذين تعاونوا مباشرة مع طوسون ، وبدأ كذلك عمليات تأديبية ضد بدو حرب ومطير الذين خانوا العهد .

والى الجنوب من ذلك ، فى مناطق بيشة وتربة ورينة التى كانت ، باعتقاد بوركهاردت ، مستثناة من الاتفاقية بين عبد الله وطوسون ، استمرت الصدامات بين الوهابيين والقوات المصرية (٤٩) .

واثارت اعمال عبد الله التذمر فى القصيم ، ناهيك عن البدو ، فارسلت شكاوى الى محمد علي . وفى المراسلات التى جرت بين عبد الله وبين محمد علي وابنه وردت اشارات متكررة الى خرق الوهابيين لشروط الاتفاقية (٥٠) .

ارتفعت منزلة محمد علي فى الامبراطورية العثمانية بفرض سيطرة مصر على الحجاز . واخذ محمد علي يطالب الباب العالى بتسليمه الشام على سبيل المكافأة عن الانتصارات فى الحجاز . ولذا اصبحت اكثر الحاحا بالنسبة له مهمة تثبيت اقدامه فى الحجاز وفى الجزيرة العربية عموما بتقويض الدولة السعودية الاولى نهائيا (٥١) .

احتلال نجد من قبل ابراهيم باشا . عين ابراهيم الابن الاكبر لمحمد علي لقيادة الحملة هذه المرة . وظلت معروفة احدى الطرائف التى قيلت بمناسبة تعيين ابراهيم قائدا للحملة الجديدة . يقال ان محمد علي جمع قواده العسكريين فى القاهرة قبيل بدء الحملة ليناقش معهم خطة العمليات . ثم اشار محمد علي الى تفاحة موجودة وسط سجادة كبيرة مفروشة فى القاعة . وقال : من يحضر هذه التفاحة ويسلمها لى دون ان يمس السجادة برجليه سيقود القوات . انبطح المقربون الى الوالى على الارضية ولكنهم لم يبلغوا التفاحة . وعند ذاك اقترب ابنه ابراهيم ، وهو قصير القامة ، من السجادة فطواها وبلغ التفاحة وسلمها الى ابيه . وهكذا لمح لآبيه ، كما يقال ، ان القوات المصرية تحت قيادته سوف تطوى «سجادة» بوادى الجزيرة فى البداية بتأمين المواصلات والعلاقات الطيبة مع السكان المحليين (٥٢) .

كانت مثل هذه المبادئ بالفعل اساسا للسياسة المصرية فى الجزيرة العربية اثناء حملة ابراهيم . فقد كان يفهم جيدا ان التوغل فى اعماق الجزيرة مستحيل بدون مساعدة البدو ، ولذا سعى الى اجتذابهم . ولهذا الغرض الغى ابراهيم الزكاة الوهابية على البدو ،

وراح يدفع المال نقدا لقاء كل الخدمات . الا ان فلاحى مصر هم الذين دفعوا ثمن انتصارات ابراهيم .

كان ابراهيم عارفا بمدى العداء الذى خلفته تصرفات وتعسف جنوده المتباينين فى الحجاز ، ولذا حاول ان يترك انطباعا طيبا عند الاعراب بورعه وتقواه ونبله وايفائه بالوعد . وقد قطع بكل حزم دابر اية اعمال للعنف ضد السكان المحليين الى ان تم تدمير الدرعية .

فى تلك الاثناء اصاب الضعف دولة السعوديين . وكانت القبائل البدوية الرئيسية مستعدة فى اية لحظة لتقلب لها ظهر المجن . وابتعد وجهاء واعيان واحات وسط الجزيرة عن الوهابيين بسبب التوقف التام تقريبا فى مسيل الثروات المنهوبة . وكان السكان الحضر يتذمرون من الحروب المتواصلة الطويلة الامد والاتاوت التى لا تنقطع . ولم تكن منزلة عبد الله رفيعة كمنزلة ابيه سعود . ولم يبق سندا لامراء الدرعية فى كل مكان الا علماء الدين الوهابيون .

وما كان بوسع المصريين ان يرسلوا الى نجد قوات غفيرة . الا ان جنودهم صاروا يختلفون عن اولئك الذين قاموا بالانزال فى الحجاز قبل ست سنوات . فهم الآن يجيدون تدبير حصار القلاع وبناء الطوابى الحامية من الهجمات المباغطة واستخدام المدفعية بمهارة ليست قليلة . وكان مع ابراهيم مدربون من جيش نابليون واطباء اوربيون (٥٣) .

اما عساكر عبد الله فقد ظلت على غرار المتطوعة العشائرية والحضرية كما كانت سابقا . وكان الوهابيون متخلفين عن المصريين من حيث الاعداد الحربى . صحيح انهم كانوا يقاتلون فى ظروف مناخية تعودوا عليها ويدافعون هذه المرة عن ديارهم ونخيلهم وحقولهم ، الا ان وطنيتهم النجدية لم تكن قوية ، وكانت المشاعر التى يكنونها لآل سعود آنذاك متعارضة .

ويبدو ان عبد الله كان يدرك تعقد الموقف بالنسبة له . كان ينوى دحر المصريين فى معركة مكشوفة ، وفى حالة الاخفاق كان يريد ان يرغمهم على محاصرة واحة محصنة بعد اخرى وينسحب الى وسط نجد . وكانت صعوبات الحملة وسط الجزيرة البعيدة عن

قواعد التموين لا بد وان ترغب المصريين ، كما يعتقد على التخلي عن نيتهم في احتلال نجد .

وفى خريف ١٨١٦ وصل ابراهيم الى المدينة المنورة مع قوات كبيرة . وجاءته من مصر قوات جديدة واغذية ومعدات . واجتذب ابراهيم القبائل فى ضواحي المدينة للعمل معه وبدأ زحفه البطيء على نجد . وبعد ان احتل الحناكية انشأ فيها معسكرا محصنا . ودعا اليها زعماء القبائل المجاورة وقدم لهم الهدايا واستعرض جيشه امامهم . وفى تلك الاثناء وصل من الاستانة نيا منحه لقب باشا . وكان ذلك بمثابة مغازلة لمشاعره لا اكثر ، فهو لا يعنى اى دعم له .

وفى تلك الاثناء كانت القبائل البدوية تبتعد عن عبد الله الواحدة تلو الاخرى . فان زعيم مطير فيصل آل دويش ، مثلا ، جاء الى ابراهيم وعرض عليه خدماته مقابل تعيينه فيما بعد اميرا للدوعية . ووصل عبد الله الى القصيم وهاجم المصريين ولكنه منى بهزيمة . وقتل كثيرون من الوهابيين واقتطعت آذانهم وارسلت الى القاهرة .

وفى صيف ١٨١٧ اقترب ابراهيم من الرس وبدأ حصارا استمر عدة شهور . ودافع المحاصرون عن انفسهم ببسالة . ويمكن الافتراض من ضراوة المعركة ان عبد الله الذى يفهم الهمية الاستراتيجية للرس قد ترك هناك افضل ما كان متوفرا لديه . وخلال الحصار الطويل لمدينة الرس كان عبد الله على مقربة منها دون ان يتمكن من نجاتها بشكل فعال . ولم يتمكن من دخول المدينة عبر المعارك الا قافلتان وهابيتان .

وبلغت خسائر ابراهيم ثلاثة الآف وخمسمائة شخص . واغلبهم بسبب الامراض . فالحصار فى اوج الصيف ، مما زاد فى الصعوبات امام جيش ابراهيم . ولكنه كان يتمتع بمزايا المدفعية ومختلف آلات الحصار والقيادة الماهرة . والامر الهم انه استلم امدادات . فان عبد الله لم يتمكن من قطع طرق التموين . وكان للذهب المصرى الذى وزعه ابراهيم بسخاء ولالغاء الزكاة على البدو اثر كبير بهذا الخصوص .

وفى تشرين الاول (اكتوبر) استسلمت الرس بشروط مشرفة . والتحقت حامية الوهابيين المتبقية حاملة اسلحتها بقوات

عبد الله (٥٤) وحسبما يقوله ج . سألير كان مصير الرس يختلف بعض الشيء . فالمدينة لم تستسلم ، بل وعدت بالاستسلام للمصريين بعد ان يحتلوا عنيزة (٥٥) .

كان يقود الدفاع عن عنيزة اشخاص من اقرباء امام الدرعية . وكانت حامية الوهابيين مزودة بالموءن والذخيرة بصورة جيدة . ولكن المدينة احتلت بعد عدة ايام من الحصار ، واستسلمت حاميتها بشروط مشرفة . والتحق المحاربون الوهابيون حامليـن السلاح بعبد الله (٥٦) .

ولم يحاول امام الوهابيين ابداء مقاومة اكثر لجيش ابراهيم فى سوح مكشوفة . فان احتياطات مصر تحمى ظهر ابراهيم . وكان هجومه بطيئا ، ولكنه لا مرد له . وبعد عنيزة استسلمت بريدة ، وفى اواخر عام ١٨١٧ اعلنت القصيم كلها عن خضوعها لابراهيم (٥٧) . وكتب ابراهيم باشا لايه ان كل سكان المنطقة يكرهون حجيلان امير بريدة العجوز وكذلك عبد الله (٥٨) . فى البداية انسحب عبد الله الى شقراء حيث كان يجرى على جناح السرعة بناء المنشآت الدفاعية ، وبعد ذلك انسحب الى الدرعية .

ظل ابراهيم فى بريدة حوالى الشهرين لاستلام الامدادات . ثم تحرك نحو شقراء . وذكر منجبن ان عدد قوات ابراهيم قليل جدا - الف جندى . ويبدو ان هذا الرقم اقل مما فى الواقع . وبعد ذلك ذكر منجبن الرقم ٤٥٠٠ جندى دون ان يوضح ما اذا كان البدو بضمنهم ام لا . ولكن الحقيقة هى ان ابراهيم تمكن من قهر نجد بقوات قليلة نسبيا . الا ان حملته على شقراء شارك فيها بدو مطير وحرب وعتيبة وبنى خالد . وكان اولئك من البدو الذين كانوا آخر من خضع للوهابيين واول من قلب لهم ظهر المجن . وكتب ابن بشر بمرارة يقول انه سار مع ابراهيم كثير من زعماء القبائل ووجهاء الواحات فى نجد بأمل الغنيمة والاستقلال المرتقب ، ولكن آمالهم خابت بعد سقوط الدرعية اشد خيبة (٥٩) . فعندما ترك ابراهيم المـسـدن التى احتلها كان يدمر فى البداية كل التحصينات ويأخذ رهائن معه (٦٠) .

وفى كانون الثانى (يناير) وصل ابراهيم الى ضواحي شقراء . وبعد القصف المدفعى بدأ اقتحام المدينة . وسقطت شقراء بعد

عدة ايام . واطلق سراح حاميتها بعد ان جرد افرادها من السلاح ووعدوا بانهم لن يشاركوا فى الحرب . واستولى ابراهيم على الوشم كلها (٦١) . ثم احتل سدير والمجعة بلا قتال فى الواقع ، واعلنت حريملا والمحمل عن خضوعهما (٦٢) .

وتحرك ابراهيم من شقراء الى ضرمى التسى كان يدافع عنها محاربون اشداء من الخرج . ورغم القصف المدفعى واستخدام تكتيك الحصار لم يتمكن ابراهيم باشا من ارغام الحامية على الاستسلام . الا ان القوى لم تكن متعادلة . واقتحم جنود ابراهيم المدينة ونكلوا بأهلها جزاء لهم على المقاومة . وقطعوا آذان القتلى ، كما هوى العادة ، وارسلوها الى القاهرة . ونهبوا المدينة عن آخرها . وجرى ذلك فى شباط (فبراير) - آذار (مارس) ١٨١٨ (٦٣) . وبذلك فتح الطريق نحو الدرعية .

سقوط الدرعية . فى نيسان (ابريل) جرى المشهد الاخير من فاجعة الدولة السعودية الاولى . فقد بدأت معركة الدرعية . ومع ان واحات ومدن نجد سقطت الواحدة تلو الاخرى فى يد الغازى المصرى ، الا انه كان فى كل منها وهايون راسخو العقيدة رفضوا حتى فكرة التعايش سلميا مع «المشركين» وظلوا مخلصين حتى النهاية لآل سعود . وتقاطروا على الدرعية للمشاركة فى المعركة الاخيرة .

وواجهت القوات المصرية فصائل من العاصمة والواحات الاخرى فى وسط الجزيرة . وقادها ثلاثة من اشقاء عبد الله ، وهم فيصل وابراهيم وفهد . وكانت فى الدرعية قوات من منفوحة بقيادة العقيد الشجاع عبد الله بن مزروع وكذلك فصائل من حريق وسدير . وكان كهول من سكان العاصمة يدافعون عن مراكز الاسناد الصغيرة . وكانت هناك مفاوز تحت قيادة ابناء آل سعود وافراد عائلة آل معمر وغيرهم من القادة البارزين (٦٤) .

وكان تحت امره ابراهيم باشا حوالى الفين من الخيالة و٤٣٠٠ من الجند الالبان والأتراك و١٣٠٠ من الخيالة المغاربة و١٥٠ من المدفعيين ومعهم خمسة عشر مدفعا وكذلك ٢٠ من المختصين بالبنادق و١١ من المختصين بالقذائف (٦٥) .

كانت واحة الدرعية تمتد لعدة كيلومترات بشكل خط على طول وادى حنيقة . وتتكئون المدينة نفسها والواحة من عدة نزل

متلاصقة . وتطل على المنطقة قلعة الطريف ومسجدها ومختلـف
المباني التابعة لها . وهى محمية بصخرة جبلية عالية من جهة وبقناة
من الجهة الاخرى .

بدأ ابراهيم هجومه ببطء على طول الوادى . وبعد المناوشات
الاولى مع العدو ترك المترددون عبد الله وانتقلوا الى ابراهيم
وزودوه بمعلومات عن الوضع فى المدينة . وكان تفوق المصريين
فى المدفعية قد مكنهم من تدمير تحصينات الوهابيين ، وكان
المهاجمون يجمعون انفسهم من الهجمات المباغتة ببناء الطوابى على
النمط الاوروبى هنا كما فعلوا فى السابق . ومرت لحظة خيل فيها
للوهابيين انهم سينتزعون النصر . فقد انفجر مستودع البارود
الرئيسى عند ابراهيم وتوجه الوهابيون فى هجوم سريع ولكنه
اخفق .

كان توارد الاغذية والذخيرة والامدادات على ابراهيم طوال
الوقت قد أمن النجاح لرحفه البطيء . وكان المرضى والجرحى من
قوات ابراهيم ينقلون الى مستشفى انشىء فى شقراء . وكانوا
يتمثلون الى الشفاء هناك احيانا ويعودون الى صف المقاتلين .
وارغم ابراهيم الامراء الذين التحقوا به على ان يرسلوا الى الدرعية
محاربين يقاتلون تحت ألوته . وكان جنود جدد يحتلون مواقع
الجنود القتلى من افراد قوات ابراهيم فى حين كانت صفوف
المدافعين عن الدرعية تتضاءل . وكان من اسباب ذلك نقص
الاغذية فى الواحة (٦٦) .

وغدت حالة الوهابيين ميئوسا منها . وتكررت حالات الفرار .
وفى مطلع ايلول (سبتمبر) بدأ الهجوم العام على المدينة . واحتـمى
عبد الله وقسم من اقربائه فى قلعة الطريف . وفى ٩ ايلول اقدم
عبد الله على المفاوضات بعد ان ادرك ان كل شىء قد ضاع .
وتوجه الى معسكر المصريين عمه عبد الله بن عبد العزيز وعلي
ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكذلك محمد بن مشارى بن
معمر . وطالبهم ابراهيم باشا بالاستسلام . واتفق مبعوثو عبد الله
معه على الاستسلام بشروط مشرفة لسكان واحدة الدرعية الذين
كانوا لا يزالون يقاومون . وقاتل عبد الله ومحاربوه المرابطون
فى القلعة قتالا باسلا يومين آخرين . وأوصل ابراهيم الى منطقة
القلعة كل مدفيـته ، وفى ١١ ايلول استسلم عبد الله .

وانتهت ستة اشهر من المعارك الطاحنة (٦٧) . وفقد
السعوديون اثناء تلك المعارك زهاء عشرين من اقرباء الامام بمن
فيهم ثلاثة من اخوانه . وقدر ابن بشر الخسائر العامة للوهايين
برقم صغير يشير التساؤلات ، وهو ١٣٠٠ شخص ، بينما يقول ان
خسائر ابراهيم فى معركة الدرعية حوالى ١٠ آلاف (٦٨) . وافاد
ابراهيم فى رسائله الى القاهرة والاستانة بان الوهابيين خسروا
١٤ الفا من القتلى و٦ آلاف من الاسرى ، ومن بين الغنائم ٦٠
مدفعا (٦٩) .

وبمناسبة احتلال الدرعية جرت فى القاهرة فى تشرين الاول
(اكتوبر) ١٨١٨ احتفالات بهيجة اطلقت فيها نيران المدافع واجريت
الالاب النارية وكان الناس يسرحون ويمرحون (٧٠) . وعلى اثر
ذلك اعرب السلطان عن ارتياحه العميق عندما بلغه نبأ هزيمة
«اعداء الاسلام» (٧١) واعرب شاه ايران فى رسالة الى محمد علي
باشا عن تسمينه لدحر الوهابيين (٧٢) .

نقل عبد الله عن طريق القاهرة الى الاستانة بصحبة اثنين من
المقربين اليه فى مطلع كانون الاول (ديسمبر) . وافادت السفارة
الروسية من الاستانة : «فى الاسبوع الماضى قطعت رؤوس زعيم
الوهايين ووزيره وامامه الذين اسروا فى الدرعية ونقلوا الى
العاصمة مؤخرا . وبغية اضاء المزيد من الفخفة على الانتصار على
ألد اعداء المدينتين اللتين تعتبران مهد الاسلام امر السلطان فى
هذا اليوم بعقد المجلس فى القصر القديم فى العاصمة . واحضروا
الى القصر الاسرى الثلاثة مقيدين بسلاسل ثقيلة ومحاطين بجمهور
من المتفرجين . وبعد المراسيم امر السلطان باعدامهم . قطعت
رقبة الزعيم امام البوابة الرئيسية للقديسة صوفيا ، وقطعت رقبة
الوزير امام مدخل السراى وقطعت رقبة الثالث فى احد الاسواق
الرئيسية فى العاصمة . وعرضت جثثهم ورؤوسها تحت الابط . . .
وبعد ثلاثة ايام القوا بها الى البحر .

وامر صاحب الجلالة باداء صلاة عمومية شكرا لله على انتصار
سلاح السلطان وعلى اباداة الطائفة التى خربت مكة والمدينة ونشرت
الذعر فى قلوب الحجاج المسلمين وعرضتهم للخطر (٧٣) .

الوهابية خارج الجزيرة العربية . ان تعاليم محمد بن عبد
الوهاب التى بدت وكأنها ظاهرة خاصة بالجزيرة العربية وحدها قد

وجدت لها بغتة انصارا فى بلدان اخرى تبعد عن الجزيرة آلاف الكيلومترات . لقد نشرها الحجاج الذين كانوا فى مكة فى مطلع القرن التاسع عشر . فقد وجد شجب الوثنية ورفض عبادة الاولياء ومكافحة البدع ونشر الجهاد ضد «الكفرة» و«المشركين» والجمع بين الشعارات الطبقية والتعادلية - معتقدات وممارسات الوهابيين - تربة صالحة فى بلدان ذات انظمة اجتماعية وسياسية متباينة بعد تكيف وتعديل مناسب . ووصلت الوهابية الى الهند واندونيسيا وافريقيا .

وكان لتعاليم محمد بن عبد الوهاب تأثير كبير فى الهند . فقد استخدم بعض احكامه المصلح الاسلامى والسياسى الهندى سيد احمد بارلوى ، وهو من اتباع المفكر الاسلامى المعروف ولى الله شاه . وكان سيد احمد قد باشر بدعوته فى مطلع القرن التاسع عشر . وفى العشرينات حج الى مكة واطلع هناك على تعاليم محمد بن عبد الوهاب وتبناها . وعندما عاد الى الهند اتخذ من باتنا مقرا له واخذت تتوارد عليه جموع الانصار .

وفى عام ١٨٢٤ اعلن سيد احمد الجهاد ضد الكفار ، ثم ، فى عام ١٨٢٦ اجتاحت قواته البنجاب واخذت تفتك بالسيك . وفى عام ١٨٣٠ احتل الوهابيون بيشاوار واسسوا دولة لهم حتى انهم بدأوا بسك قطع نقدية تحمل اسم احمد . ولكن امام الوهابيين قتل فى العام التالى . ونشط اتباعه اعمالهم فى المناطق الاسلامية من الهند ، وخصوصا فى الشمال وفى البنغال الشرقية واصلوا الجهاد ضد المستعمرين الانجليز .

وكتب مؤلف انجليزى بمرارة فى القرن التاسع عشر «كان المبشرون المتمردون الذين وعدوا المؤمنين بالخلاص او الجنة قد اجبوا الحق على الانجليز والذى كان يضمه بعض المسلمين الهنود . وكانت كل صلاة يؤدونها مفعمة بهذا الحق» (٧٤) . كان نضال الوهابيين ضد السيطرة البريطانية قسما فى حركة الشعب الهندى ضد الاستعمار . واستمر هذا النضال عدة عقود حيث كان يشتد تارة ويخفت تارة اخرى . ومعروف جيدا دور الوهابيين الكبير فى انتفاضة ١٨٥٧-١٨٥٩ الشعبية ضد المستعمرين (٧٥) . وعلى الحدود الشمالية ، فى سيتان ، صمد المركز الوهابى فى وجه حوالى عشرين حملة من القوات الاستعمارية . ولم يندحر الا

فى عام ١٨٦٣ . الا ان نشاط الوهابيين استمر بعد ذلك . وكانت السلطات البريطانية ، كما يقول المؤرخ الانجليزى و. هنتر ، تعتبرهم «جماعة . . . تشكل ، فى رأى جميع الحكومات التى حلت محل بعضها البعض ، مصدرا لخطر دائم على الامبراطورية الهندية» (٧٦) .

ودفعت الوهابية بعض الحجاج الاندونيسيين الذين أموا مكة فى العقد الاول من القرن التاسع عشر الى ممارسة النشاط الاصلاحى . ففى سومطرة بدأت حركة دينية سياسية استخدمت عددا من الشعارات الوهابية . وكانت فى البدايـة موجهة ضد السكان المحليين غير المسلمين ، ثم اكتسبت طابعا منائيا للهولنديين . وطوال حوالى خمسة عشر عاما ، اعتبارا من عام ١٨٢١ ، خاض المستعمرون الهولنديون الحرب ضد وهابيى سومطرة .

ويرى بعض الباحثين ان الوهابية مارست تأثيرا معينا على حركة عثمان دان فوديو فى غرب افريقيا فى مطلع القرن التاسع عشر والتى ادت الى تأسيس دولة سوكونو الشاسعة هناك ، وكذلك على السنوسيين فى ليبيا (٧٧) .

وكان سلطان مراكش مولاي سليمان (١٧٩٢-١٨٢٢) الذى اشتهر بثقافته وورعه وحرصه على الاسلام قد استخدم الافكار الوهابية فى مكافحة التجزئة الاقطاعية والعشائرية فى البلاد . وواجه نشاط المرابطين الانفصالى بمبدأ : سلطة واحدة ودين واحد ودولة واحدة . وتقليدا للوهابيين شجب السلطان الشعائر السنوية لتكريم الاولياء والغي مختلف الضرائب التى لا ينص عليها القرآن واخذ يرسل الى مناطق البربر قضاة مسلمين يعملون على نشر الشريعة واجتثاث العرف القبلى عند البربر . وكانت اصلاحات مولاي سليمان الوهابية تشكل خطرا على المصالح المادية للجمعيات الدينية والمرابطين وسلطتهم بل وحتى على وجودهم . فتوحدوا ، الا القليل منهم ، ضد السياسة الوهابية للحكومة والحقوا الهزيمة بالسلطان وارغموه على التنازل عن العرش (٧٨) .

من سقوط الدرعية حتى جلاء المصريين عن الجزيرة العربية (١٨١٨ - ١٨٤٠)

السياسة المصرية في الجزيرة العربية بعد دحر الوهابيين .
بعد سقوط الدرعية لم يعد للدولة السعودية الاولى وجود . واصبح المصريون اسبيادا بالتمام والكمال في اواسط الجزيرة ، واخذوا يزيلون بالحديد والنار نفوذ آل سعود والوهابيين .
عذبوا الامراء والعقهاء والفقهاء واطلقوا النار عليهم فرادى وجماعات وربطوهم الى فوهات المدافع ومزقوهم بالقذائف تمزيقا .
وارغموا سليمان بن عبد الله ، حفيد محمد بن عبد الوهاب ، على الاستماع الى انغام الربابة قبيل الاعدام ساخرين من مشاعره الدينية (١) . وفي مدن ووحدات جبل شمر والقصيم والدلم قتلوا افراد عوائل الوجهاء والاعيان والعقهاء واستولوا على اموالهم (٢) .
وارسلوا افراد عوائل آل سعود وآل الشيخ ووجهاء نجد (حوالي ٤٠٠ شخص مع النساء والاطفال) للإقامة في مصر . وتمكن بعضهم من الهرب فيما بعد ، بينما ارتقى بعض قليل الى مناصب عالية في مصر . وغدا احد احفاد محمد بن عبد الوهاب وهو عبد الرحمن بن عبد الله ، محاضرا للفقهاء الحنبلي في الازهر (٣) .
وكتب الكاتب ج . سادلر «ان تاريخ حملة ابراهيم باشا عموما يكشف عن سلسلة من اشجع القساوات الوحشية التي اقترفت خلافا لاکثر الالتزامات قدسية . ففي بعض الحالات اغتنى من نهب نفس القبائل التي ساهمت بقسط في انتصاراته ، وفي حالات اخرى ينتزع ثروات نفس اعدائه المغلوبين الذين تمكنوا في وقت ما من تحاشي غضبه» (٤) .

وبعث محمد علي الى ابراهيم امرا بازالة عاصمة الدولة الوهابية من الوجود . وقبيل تدمير المدينة ابتز المصريون النقود من اهلها ونهبوهم دون رحمة . ولم يستلم فيصل بن وطبان آل دويش منصب

امير الدرعية ، بل طالبه المصريون بان يسدد لهم الزكاة للسنوات الخمس التى كان مدينا بها للسعوديين . فرفض زعيم مطير تلبية هذا الطلب وارتحل الى الفرات الاوسط (٥) .

وانتهز عدد من افراد عائلة آل عريعر فرصة سقوط الدولة السعودية فاستولوا على السلطة فى الاحساء . الا ان ابراهيم باشا طردهم من شرقى الجزيرة وصادر كل اموال آل سعود ونهب الواحات (٦) .

وكانت بريطانيا التى تكره اماره الدرعية تراقب بتذمر تعزز المصريين فى الجزيرة العربية . وقامت عمارة بريطانية بانزال فى القطيف (٧) . وكتب فيلبى يقول «يصعب الافتراض بان انزال القوات البريطانية فى القطيف فى وقت احتلال المصريين للاحساء تقريبا كان يمثل شيئا غير استعراض العضلات ضد المصريين . فقد كان بسط نفوذهم على ساحل الاحساء تحديا للمواقع البريطانية فى ساحل الصلح البحرى مع ان المصريين يمكن ان يعتبروا انفسهم ورثة لسلطة الوهابيين فى هذه المنطقة» (٨) .

كان الانجليز يريدون ان يعرفوا نوايا المصريين فى الخليج . فارسلوا ج . سادلر لمقابلة ابراهيم باشا . وكان ج . سادلر اول اوربى اجتاز الجزيرة من شرقها الى غربها وشاهد انقراض الدرعية . الا ان ابراهيم باشا غادر نجد فى اواسط عام ١٨١٩ وتوجه الى المدينة المنورة . ولم يكن للعمليات المشتركة التى اقترحها عليه سادلر ضد الوهابيين اى معنى . زد على ذلك ان مصر عموما كانت ذات وجهة مناوئة للانجليز . ورفض ابراهيم اقتراح الانجليز بشأن التعاون وطرد سادلر من جدة فى خريف ١٨١٩ . وسرعان ما غادر فصيل الاحتلال البريطانى القطيف بعد ان فقد كثيرا من جنوده بسبب الامراض (٩) .

فى اواخر عام ١٨١٩ دمر الانجليز راس الخيمة من جديد . ووضعت الادارة الانكلوهندية ما يسمى «بمعاهدة الصلح العامة» التى فرضت فيما بعد على جميع حكام الساحل والبحرين (١٠) . وكانت تلك فى الواقع معاهدة الحماية التى اضيفت اليها بمر السنين مواد جديدة متزايدة .

وسرعان ما ادرك ابراهيم باشا ان عائدات البلد لا تسد نفقات احتلاله . فالقوات المصرية بعيدة عن القاهرة بألاف الكيلومترات

وبعيدة عن قاعدتها الرئيسية التعبوية في الحجاز بمئات الكيلومترات . واخذ السكان ، من بدو وحضر ، يضمرون للغزاة عداء متزايدا . ولم يكن عدد الجمال كافيا . ولا يندر ان يستولى البدو على قوافل الاغذية . ويمكن تصور المجاعة التي اجتاحت نجد اذا علمنا انه في وقت ما حتى جنود ابراهيم كانوا يقتاتون على الاعشاب . وقامت تمردات في جيش الاحتلال (١١) .

واخيرا قرر ابراهيم ان يجعل قسما كبيرا من قواته من نجد ومن شرق الجزيرة ، فهو يعرف ان اباه يسعى بالدرجة الاولى الى السيطرة على حوض البحر الاحمر وليس على اواسط الجزيرة العربية . وحشد المصريون قواتهم في منطقة الرس .

وقبيل الانسحاب دمروا كل القلاع والتحصينات الدفاعية واقتادوا الماشية وقطعوا النخيل وخربوا الحقول . وكتب ج . سادلر : «كان سكان منفوحة آنذاك في حالة يرثى لها ، في حالة اسوأ مما كانت في اى زمان في الماضى منذ ان قامت سلطة الوهابيين . فان اسوار المدينة التي هي الحامى الرئيسى لمليكتهم قد ازيلت من سطح الارض واخذ الاتراك محصول الموسم ولم يكن بالامكان هنا لا شراء القمح ولا الشعير . ولم تبق في القرى ولا فرس واحدة» (١٢) .

وبعثت الخلافات القبلية والمحلية بتغاضى سافر او مستتر من جانب الاسياد الجدد ، وبدأت النزاعات واخذ البعض يغزو البعض الآخر . وتعرضت طرق القوافل للخطر . وحتى في المدن لم يكن السكان يتجرأون على الخروج الى الشارع بدون سلاح . ونشأ انطباع وكأن سياسة المصريين تتلخص في اغراق وسط الجزيرة في حالة الفوضى والركود والخراب والغناء احتمال انبعائه (١٣) . وكانت الحاميات المصرية الصغيرة لا تلعب دور العامل الايجابي للمركزية واحلال النظام ، بل غدت مجرد اداة للنهب والدمار .

كانت الدولة السعودية تحت الانقاض وقد قهرت عساكرها ودمرت ادارتها . وبدا وكان قوى التشتت والتجزئة التي انطلقت من عقاليها بعد دحر الوهابيين قد مزقت التوحيد السابق شذو مذر . ولكنه بقيت داخل مجتمع اواسط الجزيرة القوى التي تمكنت قبل نصف قرن ونيف من رص صفوفه وتأسيس امارة الدرعية . بعد تصفية الدولة السعودية كان مزارعو نجد وتجارها وصناعها

يتحسرون على العهود القديمة ، عهود الاستقرار والسلامة الشخصية وسلامة الملكية والمداخيل . وكانت حروب السعوديين الموفقة التي عادت بغنائم وفيرة قد رسمت حولهم هالة فى انظار وجهاء نجد . وراح الفقهاء الوهابيون الذين سلموا بجلودهم يدعمون الذكريات ويتغنون بامجاد السعوديين الغابرة .

والى جانب النزاعات القبلية الاقطاعية كان هناك تيار لرص الصفوف وسعى الى توحيد نجد بغية طرد المحتلين الاجانب واستئناف الظروف الملائمة للحياة الطبيعية والنشاط الاقتصادى . وبين تطور الاحداث لاحقا ان وجود الدويلات - الواحات الصغيرة والمتناهية فى الصغر قد عفا عليه الزمن . فبعد بضع سنوات من سقوط اماراة الدرعية اسفرت الحركة الواسعة للامة ضد الاحتلال الاجنبى عن بعث الدولة السعودية التى اختيرت الرياض هذه المرة عاصمة لها .

النزاعات القبلية الاقطاعية فى ظل الاحتلال المصرى . حل خليل باشا ابن اخت محمد علي محل ابراهيم باشا كحاكم للجزيرة العربية . الا ان خليل باشا سرعان ما توفى وعين بدلا عنه اخوه احمد شكرى يكن بك الذى ظل فى الجزيرة باسم احمد باشا حتى عام ١٨٢٩ حيث استدعاه محمد علي الى القاهرة وعينه رئيسا لحرييته (١٤) .

وفى خريف ١٨١٩ عين محمد بن مشارى بن معمر حاكما لنجد . وهو من العائلة التى حكمت العيينة فى فجر الحركة الوهابية . حاول ابن معمر ترميم انقراض الدرعية ، الامر الذى واجهه السكان بالاستحسان . واخذ اهالى مناطق الاطراف يبعثون الوفود اليه ليعبروا عن تأييدهم (١٥) . وامنت الامطار الوفيرة محصولا لا بأس به وساعدت ابن معمر على التخفيف من المجاعة . الا ان الاغذية لم تكن كافية مع ذلك .

و ظهر منافسون لابن معمر . فقد بعث ماجد بن عريعر ، وهو من شيوخ بنى خالد ، سلطته فى شرقي الجزيرة . وحكم آل عريعر تلك الانحاء حتى عام ١٨٣٠ (١٦) .

وظهر على مسرح الاحداث فى نجد تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود ، وهو ممثل فرع جانبى من آل سعود ، وقد فر من المصريين بعد سقوط الدرعية . وكان بعض الوقت يعمل الى جانب ابن معمر (١٧) .

وكان احد اخوان آخر امام سعودى وهو مشارى بن سعود بن عبد العزيز ، قد فر من الحرس المصرى فى الطريق من المدينة المنورة الى ينبع ، ثم ظهر فى سدير حيث اعلن نفسه اماما ، وفى اذار (مارس) ١٨٢٠ استولى على الوشم . وحظى ببعض التأييد فى القصيم وفى مناطق اخرى . بيد ان ابن معمر تمكن من الاعتماد على قبيلة مطير ودحر قوات مشارى وتأسيره (١٨) .

ظلت سلطة بن معمر مضعضة . واخذ المتذمرون يلتفون حول تركى بن عبد الله . واقتربت الصدامات الحاسمة بين المتنافسين . واخيرا استولى تركى على الدرعية بسرعة كبيرة حتى تمكن من تناول الطعام فى وليمة الغداء التى كان الامير السابق قد اعدّها لضيوفه . ثم تحرك نحو الرياض حيث قبض على ابن محمد بن معمر . وفى الاسر قتل بن معمر مع ابنه (١٩) . كان حكم بن معمر قد استمر عاما واحدا تقريبا . وكان من اسباب سقوطه تلوث سمعته كعميل للمصريين وبقاء آل سعود رفيعة كالسابق .

وعندما بلغت انباء الاضطرابات فى نجد محمد علي قرر تعزيز الحاميات فى اواسط الجزيرة . وفى خريف ١٨٢٠ وصل الى القصيم حسين بك مع امدادات وقرر التخلص من الامير السعودى . وتحصن انصار تركى فى قلعة الرياض ، ولكنهم بعد حصار قصير من المصريين وافقوا على الاستسلام للأسر بشرط الحفاظ على حياتهم ، الا انهم فيما بعد قتلوا كلهم تقريبا . وتمكن تركى من الهرب (٢٠) . وفى اذار ١٨٢١ امر حسين بك جميع اهالى الدرعية الذين عادوا اليها بان يجتمعوا واعدوا اياهم بتوزيع الاراضى عليهم . وعندما جاء ٢٣٠ من اهالى الدرعية قتلهم الجنود المصريون . وكان القتل والسجن بلا محاكمة وتقطيع الاعضاء والتعذيب امورا معتادة فى نجد . وكانت الحاميات فى المدن تنهب الاهالى . ويقتطع الجنود النخيل ويخربون الحقول . وفر الكثير من السكان الى البوادر او غادروا نجد (٢١) . وكتب ابن بشر يقول «وترأس عليهم الشيطان» (٢٢) . وفى عام ١٨٢١ تفشى وباء الكوليرا فزاد فى الطين بلة .

وقبيل العودة الى مصر جمع حسين بك رهائن من مدن عديدة وحبسهم فى الحصن الذى انشأ فى ثرمداء (٢٣) . وظلوا هناك الى ان وصل الى نجد فى ربيع ١٨٢٢ قائد مصرى جديد هو حسن بك الذى انشغل بجمع الاتاوات والنهب . واصبح الامر لا يطاق ، حتى

ان انتفاضات كثيرة ومقاومة مسلحة قامت ضد المحتلين رغم الارهاب . ولم تكن لدى المصريين قوات كافية ، فاکتفوا بابقاء حاميات في عدة مدن هامة - الرس وشقراء وبريدة وعنيزة وثرمداء والرياض (٢٤) .

لقد اخفقت المحاولات الاولى لبعث السلطة المحلية من قبل ابن معمر في البداية ثم من قبل اثنين من افراد العائلة السعودية . الا ان الوهابية احتفظت بجذور عميقة بين اهالي نجد ، في حين كانوا يتصورون ان العائلة السعودية هي منفذة المشيئة الالهية على الارض .

بعث سلطة السعوديين في عهد تركي . بعد ان وفق تركي في الهرب من المصريين عام ١٨٢٠ ظل متخفيا طوال عدة سنوات ، في المناطق الجنوبية على ما يبدو ، ولكنه ظهر من جديد على مسرح الاحداث في نجد في ايار (مايو) او حزيران (يونيو) ١٨٢٣ ، حيث يشير ابن بشر الى عمليات فصيله الصغير في الحلوة (٢٥) .

ووجد تركي حلفاء وانصارا له من بينهم سويد حاكم مدينة جلاجل في سدير (٢٦) . ووصلت مع سويد فصائل من بعض المناطق الاخرى . فتشجع تركي وقام بغزوة على مدينتي منفوحة والرياض المتواجدتين قرب بعضهما البعض وفيهما حاميات مصرية من ٦٠٠ شخص . ولم تكن جميع المناطق بعد تؤيد الامير تركي . وعلى اية حال فان ابن بشر ذكر ان ثرمداء وحريملا والخرج تعاديه وان قسما كبيرا من واحات الوشم وسدير فضل الانتظار (٢٧) .

وفي تلك الاثناء بدأت في القصيم انتفاضة شاملة ضد المصريين سببها الاتاوات والابتزاز من جانب حسن بك . واضطر المصريون على الجلاء الى الحجاز وتركوا حاميتين في الرياض ومنفوحة فقط (٢٨) .

وانتهز تركي فرصة ضعف المواقع المصرية في نجد في عامي ١٨٢٣-١٨٢٤ فوسع نفوذه في المنطقة المحيطة بالرياض ومنفوحة وعزل الحاميتين المصريتين واخضع سدير والمجعة والوشم . وفي اواخر تموز (يوليو) ١٨٢٤ شدد تركي الضغط على الرياض وثرمداء والخرج . واجلست الحامية المصرية من منفوحة . وبعد عدة شهور من الحصار سقطت الرياض على يد تركي وتم جلاء المصريين من الحجاز

واعلنت بعض مناطق التصيم عن اعترافها بحكم تركى . وتم تطهير واسط نجد كلها من المحتلين (٢٩) .

استمر حكم تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود من عام ١٨١٣ ، عندما بدأ يحتل نجد ، حتى مقتله فى عام ١٨٣٤ . ويرى الكثيرون من المؤرخين ان تركى هو مؤسس الدولة السعودية الثانية لانه كان يحكم بصورة مستقلة رغم اعترافه بسلطة الامبراطورية العثمانية شكليا والمصريين فعليا . ولكنـه لا يمكن الكلام عن الاستقلال الحقيقى للامارة الجديدة الا بعد جلاء المصريين نهائيا من الجزيرة العربية عام ١٨٤٠ . كان الائمة السابقون يتحدرون من عبد العزيز بن محمد بن سعود ، فى حين ان تركى وجميع الحكام اللاحقين ، بمن فيهم الملك الحالى فهد وهو من سلالة تركى كانوا يتحدرون من عبد الله بن محمد بن سعود .

وفى اواخر عام ١٨٢٤ استقر تركى فى الرياض التى ظلت عاصمة لنجد ثم للعربية السعودية بأسرها حتى اليوم . وبدأ انشاء المسجد والقصر والتحسينات وفى نيسان (ابريل) - ايار (مايو) ١٨٢٥ توجه امير الرياض الى منطقة الخرج واخضعها بعد عدة معارك (٣٠) .

وسيطر تركى على العارض والخرج والحوطة والمحمل وسدير والافلاج والوشم . وفى منطقة القصيم خضعت له بعض الواحات فقط . وظلت منطقة جبل شمر فى الواقع ليست فى متناول يد الامير . وربما كان تركى يدفع الحد الادنى من الضريبة للسلطات العثمانية ، او على الاصح للمصريين مباشرة فى الحجاز او فى القاهرة (٣١) ، مع ان ابن بشر لا يشير الى ذلك .

وكان بعض الفارين قد عادوا الى نجد التى سادتها فترة من الاستقرار المؤقت . وكان من ابرز العائدين مشارى بن عبد الرحمن بن مشارى بن سعود الذى فر من مصر . وفى عام ١٨٢٥ عين حاكما للمنفوحة . وفيما بعد قتل مشارى هذا الامير تركى غدرا . ووصل من المنفى احد احفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهو عبد الرحمن بن حسن الفقيه الكبير ومعلم جيل كامل من افراد آل الشيخ الاصغر منه سنا (٣٢) . وقد بعث الى انحاء نجد على الفور رسائل طالب فيها الجميع ، وخصوصا الفقهاء والامراء ، بالعودة الى «الاسلام الحقيقى» ورفض ممارسات المشركين من ادعياء الاسلام والخضوع لامام

المسلمين . واتخذ الشيخ عبد الرحمن سيرة جده الشهير مثالا وقدوة لخدمة الدين الحقيقية (٣٣) . ويقول الرحالة السويدي فالين ان عبد الرحمن كان قاضيا في الرياض عام ١٨٤٥ (٣٤) ، اما بلخيرف الذي زار الرياض عام ١٨٦٢ فيتحدث عنه بوصفه «الزعيم الروحي للبلاط» (٣٥) . وتعززت سلطة السعوديين الدنيوية من جديد بفضل تأثير الوهابية مع انها لم تعد تتميز بالتعصب الذي كانت عليه في السابق .

بديهي ان تركي قد حاول تسديد الضربة الى البدو ، بعد ان احتل عدة مناطق ذات سكان حضر بكثافة كبيرة نسبيا . وفي الفترة ١٨٢٦-١٨٢٨ قام بغزوات على قبائل بني خالد وهتيم والدواسر وغيرها . وسرعان ما ارسل العديد من شيوخ قبائل سبيع والسهول والعجمان وقحطان وكذلك مطير (الامر الذي افرح الامير تركي بخاصة) وفودا اعربت عن خضوع تلك القبائل له . وبالمناسبة فان ذلك لم يمنعها من الحث بالوعد والقيام بغزوات جديدة (٣٦) . وكان من الاحداث الهامة في ١٨٢٧-١٨٢٨ فرار فيصل ، ابن تركي ، من الاسر المصري (٣٧) . فقد كان مقدرا له ان يحكم اماره الرياض مرتين .

ان عدم وجود منافسين كبار وعدم تدخل المصريين او الاتراك مؤقتا في شؤون نجد قد مكن الرياض من اخضاع القصيم وان بصورة غير كاملة (٣٨) . ثم جاء دور جبل شمر (٣٩) . وفي عام ١٨٢٧ قتل يحيى ، شريف مكة ، فعين محمد علي بدلا منه محمد بن عبد المعين بن عون الذي ظل في هذا المنصب حتى عام ١٨٥١ .

واتضح ان عسير كان عسيرا على محمد علي . فقد دحر اهل هذه المنطقة مرارا في معارك مكشوفة ولكنه لم يتمكن من السيطرة عليها .

شرق وجنوب شرق الجزيرة في عهد تركي . لم تكن في شرقي نجد قوات تستطيع ان تهدد اماره الرياض كالقوات المصرية في الحجاز . وبديهي ان تركي الذي عزز مواقعه في نجد قد بدأ غزوات على الشرق ، على الاحساء . في تلك الاثناء كان محمد وماجد من آل عريعر قد حكما هذه المنطقة منذ عشر سنوات تقريبا . وربما

كانا قد عينا رسميا من قبل محمد علي او ربما كان يدفعان له
الاتاوة (٤٠) .

وفي عام ١٨٣٠ اجتاح نجد تجمع بدوى كبير من بنى خالد
وسبيع وعنزة ومطير وبنى حسين . وبالإضافة الى حضر نجد المواليين
لتركي التزم جانبه قسم من البدو من قبائل اخرى . ونشبت معركة
استمرت عدة ايام بين اهل نجد وخصومهم ، وانتهت بمقتل ماجد آل
عريعر وتدمير بدوه . وتقررت فى هذه المعركة مسألة من سيسيئر
على شرقى الجزيرة ، هل هم آل سعود ام آل عريعر (٤١) .
وسيطر تركى على الاحساء .

وخلافا للامراء السابقين واللاحقين طبق تركى وفيصل فى
الاحساء سياسة متسامحة (٤٢) ، الامر الذى ساعدهما فى التمرکز
هنا . وتجدر الاشارة الى ان امراء الرياض رغم استخدامهم راية
الوهابية السابقة ، قد ابتعدوا عن التوقع الطائفى والتعصب للذين
كانا ملازمين لسابقيهم . ومن الصعب اعتبار انصارهم من افراد
الطائفة الوهابية . ولذا فسوف نستخدم مصطلح «الوهابيين» بصورة
محدودة .

وفى اواخر عام ١٨٣٠ فرض تركى سلطة السعوديين على حاكم
البحرين عبد الله بن احمد آل خليفة (١٨١٦-١٨٤٣) الذى كان
يسيطر كذلك على قسم كبير من قطر . وفى تلك الفترة توافقت
مؤقتا مصالح امير الرياض وسلطان مسقط الموجهة ضد البحرين .
وبعد ذلك اختلفا فيما بينهما . وبعد مرور اقل من ثلاث سنوات
قطع حكام البحرين علاقات التبعية للرياض حتى الواهية منها . وفى
عام ١٨٣٤ انتقل عبد الله آل خليفة الى الهجوم وحاصر المرفأين
السعوديين القطيف والعقير (٤٣) .

وقبل فرض السيطرة السعودية على شرقى الجزيرة اخذ الانصار
القدامى للنجديين ينشطون فى جنوب شرقى الجزيرة . وفى عام
١٨٢١ استولى سعد بن مطلق ، وهو ابن حاكم البريمى السعودى
السابق ، على مجموعة واحات البريمى الهامة استراتيجيا واخضع
قسما من عمان (٤٤) . وعندما ثبت تركى فى عام ١٨٢٤ منصبه
كحاكم للرياض اجرى معه مباحثات سلطان بن صقر ، حاكم الشارجه ،
وراشد بن حميد من العجمان وكان قسم كبير من سكان الشارجه
وعجمان يتعاطفون مع الوهابيين كالسابق (٤٥) . وفى الوقت ذاته

اجرى حكام امارات الساحل مفاوضات مع الانجليز مؤملين بمساعدة منهم ضد خطر الوهابيين . الا ان الانجليز آنذاك كانوا متمسكين بسياسة عدم التدخل فى الشؤون الداخلية للجزيرة العربية (٤٦) . وفى عام ١٨٢٨ مهد انصار الوهابيين على ساحل الخليج العربى وخليج عمان التربة لتدخل جديد من قبل القوات الموالية للرياض . وعين تركى اميرا للبريمى هو عمر بن محمد بن عفيصان الذى بدأت غزواته للمناطق الداخلية من عمان ومنطقة الباطنة الساحلية (٤٧) . وفى عام ١٨٣٢ اعتدت قوات النجديين الكبيرة على عمان عبر البريمى . ووافق سلطان مسقط سعيد على دفع ٥ آلاف ريال لامير الرياض . ثم اتفقا على مساعدة بعضهما البعض فى اخماد الانتفاضات فى اراضيها واقتسما ساحل الجزيرة الجنوبى الشرقى (٤٨) . ويقول الدبلوماسى والمؤرخ الانجليزى ولسون «ان ساحل الخليج العربى كله اعترف بسلطة الوهابيين منذ عام ١٨٣٣ وصار يدفع لهم الجزية» (٤٩) .

الوضع فى اماره الرياض فى عهد تركى . فى مطلع الثلاثينات كانت مكانة تركى فى الرياض راسخة تماما . فان نجد المخربة التى ارهقتها نير الاحتلال كانت خاضعة لسلطة تركى . الا ان خلافا نشب فى عائلة السعوديين . ففي عام ١٨٣١ تمرد مشارى بن عبد الرحمن حاكم منفوحة مع بعض افخاذ قبيلة قحطان على الامير . ولكنه فر بسبب عدم حصوله على تأييد واسع . وفى عام ١٨٣٢ عاد الى نجد بعد ان عفا عنه الامير (٥٠) .

كان محدودية موارد الدولة الجديدة وعدم امكان الحصول على غنائم وفيرة فى الغزوات قد دفعا الوجهاء والاعيان الى تشديد استغلال الرعية ، وكان امير الرياض يجد صعوبة كبيرة فى فرض مبادئ معاملة السكان «بالعدل» . واورد ابن بشر حادثة ذات دلالة . ففي عام ١٨٣٢ عاد تركى من الهفوف الى الرياض وعقد المجلس الكبير للامراء واخذ يلومهم بصرامة لانهم يعاملون الناس بتعسف ويأخذون منهم ما ليس لهم حق به بموجب القانون . وقال فيما قال : «وانكم اذا ورد امرى بالمغزا حملتموهم زيادة لكم واياكم وذلك فانه ما معنى ان اجعل على اهل البلدان زيادة ركاب فى غزوهم الا الرفق بهم وانى ما حملتهم الا بعض ما حملهم الذين من قبلى وانه اذا ورد عليكم امرى فرحتهم بذلك لتأكلوا فى

ضمنه وصرتم كراصد النخل يفرح بشدة الريح ليكثر الساقطة عليه
واعلموا اني لا ابيحكم ان تأخذوا من الرعايا شيئا ومن حدث منه
منكم ظلم على رعيته فليس ادبه عزله بل اجليه عن وطنه . (ثم
قال للرعايا) ايما امير ظلمكم فاخبروني . . . » (٥١)

واوصى الامير تركي الرعية بان يعرضوا تدينهم في الايمان
بالتوحيد واداء الصلاة ودفع الزكاة . وشجب امير الرياض الربا
وحذر من محاولات الالتفاف على منع ممارسته واوصى جميع الحكام
بان يوحدوا الموازين والمكاييل في اقاليمهم وطالب بان لا يحث
احد باية صفقة او اتفاقية حتى اذا كانت معقودة مع اهل الذمة من
يهود او مسيحيين او زرادشتيين والزم الامراء بان يمنعوا التدخين
ويشجعوا التعليم الديني ويبنوا المساجد (٥٢) .

ورغم القحط المتوالى فان الاوضاع الاقتصادية في اواسط
الجزيرة ابان حكم تركي قد استقرت بقدر ما بعد النهب والنزاعات
والاقتتال . ولكن بعض الناس في سدير والقصيم ماتوا من المجاعة
الناجمة عن الجفاف في ١٨٢٦-١٨٢٧ ايضا . وفي مطلع الثلاثينات ،
وبفضل المحصول المتوسط والاستقرار النسبي انخفضت الاسعار
وتوقفت المجاعة (٥٣) . الا ان وباء الكوليرا تفشى في نجد في عهد
تركي . ظهر هذا الوباء في ١٨٢٨-١٨٢٩ ثم في ١٨٣٠-١٨٣٢ .
وفي نيسان (ابريل) آيار (مايو) ١٨٣١ انتشرت الكوليرا بين الحجاج
في مكة ، فتوفي حوالى ٢٠ الفا منهم . وهلك ثلث حجاج قافلة
الشام ، كما هلك نصف حجاج قافلة نجد . وفي العام التالى اجتاح
الوباء نجد كلها . ووصف ابن بشر لوحة مرعبة حيث توفي عدد هائل
من الناس ولم يبق من يتمكن من دفنهم . ولا احد يحرس الاموال
المتروكة . وكانت الماشية تنفق لان احدا لا يقدم لها العلف
والماء . وتوفي كثير من الاطفال في المساجد لان آباءهم عندما
اصيبوا بالمرض تركوهم في المساجد على امل ان يساعدهم احد
هناك . ولكن لم يبق احد ليساعد اولئك الاطفال . فقد خلت الواحات
من اهلها (٥٤) .

مقتل تركي والفترة الاولى من حكم فيصل . لم تكن القبائل
البدوية في اواسط الجزيرة تهتم كثيرا بمنزلة امير الرياض ،
فكانت تتصرف بصورة مستقلة .

وفي عام ١٨٣٣ بدأ حاكم البحرين عمليات حربية ضد امير

الرياض وفى بداية عام ١٨٣٤ تعرضت مرافئ الاحساء الى ضربات
البحرانيين الذين اعتمدوا على اسطولهم وعلى قلعة الدمام على ساحل
الجزيرة العربية (٥٥) . وحاصر فيصل بن تركى بلدة سيهات التى
تمركز فيها انصار البحرين . وفى تلك اللحظة وصل نبأ مقتل ابيه
فى الرياض على ايدى مرتزقة مشارى بن عبد الرحمن الذى استولى
على السلطة فى العاصمة . رفع فيصل الحصار فوراً واسرع الى نجد .
يعتقد البعض ان مشارى فعل فعلته بتكليف من المصريين .
ويعتقد البعض الآخر ، ومنهم لوريمير ان لحاكم البحرين ضلعا فى
قتل تركى (٥٦) . ولكن مطامح مشارى الشخصية هى التى لعبت ،
على ما يبدو ، الدور الرئيسى . فى التاسع من ايار (مايو) ١٨٣٤
خرج تركى من باب جانبى بعد صلاة الجمعة فاحاط به ثلاثة اشخاص ،
شهر احدهم المسدس واطلق النار على الامام . وحاول عبد الامام
زويد ان يدافع عنه ، فتمكن من اصابة احد القتلة بجرح قبل ان
يقبضوا عليه . وبعد ذلك فر الى فيصل . وظهر مشارى فى الحال
شاهرا سيفه وطالب السكان بان يبايعوه (٥٧) .

كان تركى حكيما . ولم يكن يستخدم القوة بلا رحمة الا فى
حالة الضرورة . ومن الادلة على عدم تمسكه بالتأثر موقفه من مشارى ،
قاتله فيما بعد . وبالمناسبة فان العفو عن الخصوم لم يكن ظاهرة
استثنائية فى الجزيرة العربية ، بل كان دليلا على ضرورة المساومات
مع الاقرباء والشخصيات القوية . وكان تركى يتسم بالسخاء ، شأنه
شأن الحكام السعوديين الذين سبقوه ، وحاول ان يحد من جشع
وجهائه واعيانه . وتجدر الاشارة الى انه درس فى وقت ما التطبيب
عند العوام واشتهر بانه حكيم (٥٨) . وكان بتصرفاته الذكية قد عجل
فى انسحاب المصريين من نجد . وكانت اواسط الجزيرة موحدة فى
عهده طوال احد عشر عاما .

واسفر مقتل تركى عن نزاعات قبلية واضطرابات فى نجد
استمرت تسعة اعوام . وخلال هذه الفترة اعتلى عرش الرياض اربعة
من آل سعود .

ولم يبق مشارى بن عبد الرحمن فى السلطة غير شهر ونيف .
فقد وصل فيصل وانصاره العاصمة وباغتوا مشارى وقبضوا عليه .
ففى ليلة ٢٨ ايار (مايو) ١٨٣٤ ارسل فيصل الى الرياض محاربين
من ابناء المدينة مؤملا بانهم سيواجهون بمقاومة اقل من اهلها .

واصطدموا بجماعة من الحرس فعرفوهم ولكنهم تمكنوا من ان يتخذوا مواقع حول القلعة . وعندما سمع مشاري اطلاق النار نصب المتاريس فى القلعة . وفى صباح اليوم التالى احتل فيصل المدينة وبدأ حصار القلعة . ثم اقتحم محاربوه القلعة . وتم القبض على مشاري واعدم (٥٩) .

استلم فيصل زمام الحكم وهو فى حوالى الاربعين من العمر فى اوج نضوج قابلياته الجسمانية والروحية . واسرع لتقبل البيعة من اهالى العاصمة واستدعى القضاة من مختلف المناطق الى الرياض حيث حلوا ضيوفا عليه طوال شهر تقريبا ثم عادوا الى ديارهم بعد ان اغدق عليهم فيصل الهدايا . وبعد ذلك وجه الامام الى الواحات والبوادر رسالة دعا فيها الجميع للمولاء له . واخذ امراء الواحات وشيوخ البدو يتقاطرون على الرياض ليعربوا عن ولائهم للحاكم الجديد . وبعد ذلك فقط ارسل فيصل عملاءه الى البوادر لجمع الزكاة .

الا ان مقتل تركى قد زعزع السلطة فى امارة الرياض . فقد رفض اهالى وادي الدواسر والافلاج وقبيلة قحطان دفع الزكاة واضطر فيصل ان يرسل اليهم فصائل لاختاد القلاقل (٦٠) . وسرعان ما اضطرب شرقى الجزيرة ، حيث نشبت معارك بين عساكر امير الرياض التى قادها المملوك زويد وبين البحرانيين الذين حاصروا القطيف والعقير من جديد ، ولكنهم واجهوا خطرا آخر يتمثل فى مطامع ايران . ووافق حاكم البحرين على دفع جزية رمزية مقدارها الفا ريال ، والتزم فيصل بحماية البحرين من العدوان الخارجى . ورفع الحصار عن القطيف والعقير (٦١) .

كان نفوذ امير الرياض فى عمان كبيرا فى اواسط الثلاثينات . وفى شتاء ١٨٣٥-١٨٣٦ تأكد كولونيل الاسطول الانكلوهندى ج . ويلستاد ورفيقه وايتلوك ، وهما يتجولان فى هذا البلد تحت حماية سلطان مسقط سعيد ، من ان الوهابيين فى عمان كانوا احيانا اقوى من السلطان (٦٢) . الا ان عداء الاباضية ومعارضة الانجليز جعلوا مواقع النجديين هنا غير مأمونة اطلاقا .

الا ان فيصل كان قلقا اشد القلق للانباء الواردة من الحجاز ، حيث تأكد له ان المصريين يستعدون لهجوم جديد على نجد .

فبعد الهزائم الجديدة فى عسير فى ١٨٣٣-١٨٣٤ حاول محمد

علي مرة اخرى فى عام ١٨٣٥ ان يستولى على هذا الاقليم الذى كان يعتبره مفتاح الجزيرة . الا ان قواته منيت بالهزيمة من جديد . وقبل ان تنتقل الى الاحداث المرتبطة بالهجوم المصرى الاخير على نجد من المناسب ان نتحدث عن امارة جديدة لا يعرف عنها الكثير بعد ، وقد شاركت فى قصة الجزيرة العربية الفاجعة . ونعنى امارة جبل شمر التى قدر لها ان تلعب دورا هاما فى اواسط الجزيرة .

بعد سقوط امارة الدرعية بدأت النزاعات فى جبل شمر . فقد هب ضد الامير محمد آل علي الحاكم هنا فخذ من قبيلته هو آل رشيد ، ولكنه منى بالهزيمة . فقد طرد زعيم هذه الامارة اسرة على آل رشيد وابناه عبد الله وعبيد من حائل عاصمة الامارة (٦٣) . وبعد عدة سنوات دخل عبد الله فى خدمة تركى امير الرياض وتصادق مع ابنه فيصل . وكان من بين العقداء الذين بايعوا فيصل بعد مقتل ابيه مباشرة .

وكان فيصل ينتظر الفرصة ليشكر صديقه المخلص ، فاستفاد من الشكاوى على حاكم حائل صالح بن عبد المحسن آل علي ونحاه من منصبه . وبعد ازالة المنافسين امسك الاخوان عبد الله وعبيد بزمام السلطة فى جبل شمر وسرعان ما اخذا ينشئان قلعة فى العاصمة فى محلة البرزان التى غدت فيما بعد رمزا لامجاد وجبروت آل رشيد .

واعرب الاخوان عبد الله وعبيد آل رشيد عن ولائهما للامير فيصل الذى اكد تعيينهما لحكم جبل شمر وارسل الى حائل فقيها وهايبا ، ولكن الاخوين آل رشيد اخذا فى الوقت ذاته يهيئان الجمال ويرسلانها الى المصريين فى المدينة المنورة (٦٤) .

هزيمة فيصل . كان المصريون قد طلبوا من امير الرياض فيصل ان يشارك فى حملاتهم على اهالى عسير الذين هم حلفاء له سرا ، او ان يقدم الجمال للقوات المصرية . تملص فيصل بلياقة دون ان يلبى هذا الطلب ولكنه ارسل اخاه الى مكة يحمل الهدايا لاحمد باشا (٦٥) .

فى عام ١٨٣٥-١٨٣٦ لم تسقط الامطار الموسمية فى اواسط الجزيرة فبدأ القحط والمجاعة ، ونزح قسم كبير من سكان نجد الى منطقة البصرة والزابير . و اشار ابن بشر الى ظهور مذنب فى كوكبة

الدب الكبير واعتبر ذلك نذيرا بالقحط ، وفسر القحط بدوره على انه عقاب على الخطايا التي اقترفت بمقتل الامام تركى (٦٦) . ولكن اذا صدقنا التكهنات فان المذنب والقحط كانا يندران بمصائب اكبر بكثير . فقد عزم محمد علي على فرض سلطته على نجد ونصب هناك صنيعته خالد وهو ابن الامام سعود الشهير . وكان هذا الامير الشاب الذى قضى سنوات عديدة فى بلاط محمد على هو الاخ الاكبر من اخوان عبد الله الذين ظلوا على قيد الحياة بعد اعدامه فى الاستانة . وفى تموز (يوليو) ١٨٣٦ زحفت من القاهرة قوات بقيادة اسماعيل بك ، وهو مدير سابق لشرطة القاهرة . وتتكون هذه القوات من اترك والبان ومغاربة وبدو مصريين ، وهى معززة بالمدفعية .

وبعد ان نزل اسماعيل فى ينبع واصل زحفه الى المدينة ومن هناك الى الحناكية . اما فيصل الذى يعرف ان التدخل سيجرى عبر القصيم فقد شغل هذه المنطقة ونصب معسكرا فى الرس التى هى بوابة القصيم من جهة الحجاز . الا ان جنود فيصل كانت تعوزهم ارادة القتال وكانوا منسحقين بائسين ، اذ لا يزالون يتذكرون جيدا مصير اخوانهم الاكبر وابائهم . وعندما بدأ فيصل فى نيسان (ابريل) ١٨٣٧ سحب الاليات الثقيلة الى عنيزة اصاب الذعر عساكره فاخذوا يتفرقون (٧٦) .

وعاد فيصل مع جماعة من اتباعه المخلصين الى الرياض واتضح له ان روح الهزيمة استولت على اهالى العاصمة الذين لا يريدون باية حالة دعمه والتضحية بالنفس والاموال من اجله (٦٨) . وعندما ادرك فيصل ان الوضع فى العاصمة غير مأمون توجه نحو الجنوب ، الى الخرج ، ثم ذهب الى الهفوف حيث وضع حاكمها الموالى له ، عمر بن عفيصان ، قواته تحت تصرفه . وظل فيصل فى الهفوف حتى تموز (يوليو) ١٨٣٧ .

اعترفت القصيم بسلطة خالد بن سعود بدون مقاومة تقريبا . وبعد ذلك ارسل المصريون فصيلا نظاميا ومتطوعة من القصيم للاستيلاء على جبل شمر . واقنعهم عيسى آل على ، وهو احد المرتدين من افراد الاسرة التى اسقطت فى حائل ، بان يعينوه اميرا . ويبدو ان المصريين لم يكونوا يثقون بالاخوين من آل رشيد . وتم احتلال المدينة سلميا تقريبا . وفر عبد الله واخوه عبيد . وعاد قسم

كبير من المصريين الى القصيم بعد ان اكتفوا بغرامات حربية نقدية .
الا ان عيسى لم يتمكن من البقاء في حائل الا بضعة شهور . فان
ابتزاز وقساوة حماته المصريين جعلوا الاهالى يهبون فى وجه المحتلين
وصنائعهم ، ويحرضهم فى ذلك الاخوان عبد الله وعبيد اللذان اختبأ
في البادية . واصبح الوضع عسيرا لا يطاق بالنسبة للمصريين ،
فاجلوا عن جبل شمر . وارتحل معهم عيسى بن علي . وعاد عبد الله
بن رشيد حاكما لجبل شمر (٦٩) .

وفى ايار (مايو) ١٨٣٧ دخل اسماعيل بك وخالد الرياض .
وانتهت رسميا الفترة الاولى من حكم فيصل (١٨٣٤-١٨٣٧) .

وتعزى سرعة هزيمة امير الرياض وسهولة احتلال المصريين
لنجد الى فظاعة شيخ ابراهيم باشا وذكر احتلاله للبلد والمصائب
التي لحقت به . فالنجديون يتذكرون تفوق المصريين فى العساكر ،
وخصوصا فى المدفعية . وكانت اواسط الجزيرة كلها قد اضعفها
القطط والمجاعة والابوثة . ومما لا شك فيه ان ظهور خالد بن سعود
قد ولد انقساماً بين الموالين لآل سعود . وعلى اية حال فان اهالى
نجد لم يبدأوا بالتمرد على المحتلين الا بعد ان ادركوا بان الخضوع
لن يحميهم من التعسف والنهب .

وبعد الاستيلاء على الرياض ارسل خالد رسالة الى امير الحريق
تركى الهزاني يطالبه فيها بالخضوع ، ولكنه استلم ردا يكشف عن
طبيعة الامزجة فى الواحات الجنوبية : «ان كان الامر لك ولا يأتينا
فى ناحيتنا عسكر من الترك فنحن رعية لكم وان كان الامر للترك
فنحن لهم محاربون» (٧٠) .

وفى تموز (يوليو) ١٨٣٧ توجه اسماعيل بك وحلفاؤه بقوات
قدرها ٧ آلاف شخص تقريبا الى الجنوب ولكنه لحقت بهم هزيمة
ماحقة فى معركة الحلوة . وكانت الهزيمة شديدة لدرجة جعلت
البدو ، حلفاء المصريين ، ينتزعون منهم الخيول ليهربوا عليها من
ساحة المعركة باسرع ما يمكن . وترك المصريون مدفعيتهم كلها .
وفر خالد واسماعيل بك وبعض الضباط المصريين مع فصيل صغير .
وهكذا ، ففي تموز ١٨٣٧ تم دحر قسم كبير من قوات الاحتلال
المصرية فى نجد (٧١) . وحاول فيصل استعادة العاصمة ، فحاصرها ،
ولكنه لم يتمكن من احتلالها بعد شهرين من الحصار .

وكانت قوات المتخاصمين متعادلة مؤقتا ، مع ان امدادات مصرية

وصلت الى القصيم فى بداية عام ١٨٣٨ وقد بعثها خورشيد باشا من المدينة . وتم بين فيصل والمصريين اتفاق نص على تقسيم نجد فى الواقع الى قسمين . ظل فيصل مسيطرا على شرقى الجزيرة والبريمى وجزء من جنوب نجد . وكانت اواسط نجد خاضعة رسميا لخالد (٧٢) .

ولكن خورشيد باشا وصل شخصيا الى نجد فى حزيران (يونيو) ١٨٣٨ . وكانت من المهمات الرئيسية لحملته كالسابق جمع الجمال لارسالها الى الحجاز . وفى عنيزة جاء عبد الله الى خورشيد باشا من حائل واقنعه بالاعتراف به اميرا لمنطقة جبل شمر الخاضعة للمصريين (٧٣) .

وجاء شيوخ القبائل البدوية الكبرى ليعبروا عن خضوعهم لخورشيد باشا . وطوال عدة شهور قام خورشيد باشا بتعزيز عنيزة كقاعدة رئيسية له وبنى فيها قلعة متينة .

وفى تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٣٨ توجه المصريون الى الرياض وانضمت اليهم متطوعة بقيادة خالد بن سعود . وكان مجموع ما عند خورشيد من قوات ٤ آلاف مقاتل و ١٠ مدافع . وتحركت تلك القوات نحو الجنوب للقضاء على فيصل المتمركز فى الدلم . وبعد حصار استمر اكثر من شهر سقطت الدلم فى ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٣٨ . واضطر فيصل للمرة الثانية الى السفر الى مصر بمثابة اسير . وللمرة الثانية سقطت اواسط الجزيرة مدمرة تحت اقدام المصريين (٧٤) .

الفترة الاخيرة من الاحتلال المصرى . استمر حكم خورشيد باشا كعامل لمحمد علي فى نجد سنة ونصف . وكان المصريون هذه المرة يعتبرون نجد ليس دولة معادية يجب تدميرها وتخريبها ، بل جزءا من ممتلكاتهم الدائمة . وكان خورشيد يأمل فى بسط سلطته من اواسط الجزيرة الى الاحساء وعمان (٧٥) وربما العراق ايضا (٧٦) . وفر امير الاحساء عمر بن عفيصان الموالى لفيصل واعرب الباقون عن خضوعهم للمصريين الذين ارسلوا حامياتهم الى مدن شرقى الجزيرة .

وحاول خورشيد باشا عبثا ان يرغم حاكم البحرين على دفع الجزية مجددا لصنيعة المصريين امير نجد خالد ووضع جزيرة تاروت وقلعة الدمام تحت السيطرة المصرية وكذلك تسليم عمر

بن عفيصان الذي فر الى البحرين (٧٧) . وبدا القلق على الانجليز .
ومنذ عام ١٨٣٨ كان ثلقتصل البريطاني العام في القاهرة
الكولونيل كامبيل قد حذر محمد علي من محاولات التمركز في منطقة
الخليج ، ومنها البحرين . واصدرت السلطات البريطانية في الهند
امرا الى الاميرال ف . مايتلاند قائد العمارة البحرية في الخليج بان
يدافع عن البحرين عند الاقتضاء (٧٨) .

وعندما سمع حاكم البحرين عبد الله آل خليفة انباء انتصارات
محمد علي في الشام والجزيرة العربية فضل دفع جزية رمزية الى
خورشيد بمبلغ الفى ريال سنويا مع انه رفض ان يكون له ممثل
فى جزر البحرين .

وفى عامى ١٨٣٨ و ١٨٣٩ ظهر وجود مصرى فى الكويت ايضا .
فقد وصل مخبر من خورشيد باشا الى المشيخة لشراء اغذية . وكتب
لوريمير ان هذا المخبر كان على ما يبدو يؤدى وظائف سياسية
وتجسسية فيما يخص نية خورشيد باشا لانتزاع العراق من
الأتراك . وكان حاكم الكويت جابر الصباح يخشى المصريين لدرجة
كبيرة ، حتى انه قدم للمندوب المصرى مكان الشرف فى مجلسه
الى جنبه . وكان رد فعل الانجليز شديدا جدا بهذا الخصوص .

وفى الوقت ذاته اخذ خورشيد باشا يزحف نحو عمان . ونصب
هناك صنيعته سعد بن مطلق الذى كان يخدمه مثلما يخدم الامير
السعودى فيصل . وايدته ابو ظبى والشارجة ، ولكن دوى وام
القوين امتنعتا عن تأييد المصريين . وكان المقيم البريطانى
الكابتن هانيل قد زار امارات الساحل ووقع اتفاقيات مع اربعة من
حكامها الذين وعدوا بتأييد الانجليز . وكتب هانيل رسالة الى سعد
بن مطلق ينصحه فيها بالعودة الى نجد ، واخذ يحرض قبائل عمان
ضده .

كانت قوات محمد علي تحقق الانتصارات فى المعارك فى عسير
ولكنها لم تتمكن من السيطرة على البلد . وفى ايلول (سبتمبر)
١٨٣٧ قام اهل عسير بانتفاضة جديدة . وتم اخماد الانتفاضة فى
ايار (مايو) ١٨٣٨ ، ولكن احمد باشا المقيم فى مكة وابراهيم باشا
كوجوك الموجود فى الحديدة كانا فى عام ١٨٤٠ لا يزالان يشنان
حملة غير موفقة (٧٩) .

ويعزى استيلاء بريطانيا على عدن فى عام ١٨٣٩ الى الرغبة فى

الحيلولة دون تقدم المصريين فى عسير واليمن وانشاء قاعدة بحرية بريطانية ومحطة للفحم فى القسم الشمالى الغربى من المحيط الهندى .

فى عام ١٨٤٠ انهارت امبراطورية محمد علي . فاصدر امره الى قواته بالجلء عن نجد واليمن فى اذار (مارس) ١٨٤٠ . وفى حزيران (يونيو) سار على قدم وساق انسحاب قوات خورشيد من نجد والمنطقة الشرقية وانسحاب قوات ابراهيم كوجوك من اليمن . كان محمد علي بحاجة الى تحشيد قواته قريبا من مصر تحوطا لما اذا كانت ستتشب حرب كبرى بين مصر وفرنسا من جهة ، وبين تركيا والانجليز وحلفائهم من جهة اخرى .

وغادر المصريون اواسط الجزيرة العربية الى الابد . ولكن احدا لم يكن يعرف ذلك آنذاك . فقد تركت فى نجد حاميات رمزية من جنود مصريين . كان عليهم ان يرفعوا العلم ويدعموا خالد (٨٠) .

الدولة السعودية الثانية (١٨٤٣-١٨٦٥)

فى العقد الخامس من القرن التاسع عشر اذيت مصر فى الواقع من المسرح السياسى فى الجزيرة العربية . ولم تكن لدى الباب العالى بعد امكانية ورغبة فى التدخل النشط فى شؤون نجد . وكان الانجليز مشغولين بتعزيز مواقعهم على ساحل الخليج العربى وخليج عمان وفى عمان نفسها . ومن جديد تركت اواسط الجزيرة وشأنها وتهيأت فيها الظروف لبعث الدولة السعودية فى اراضى محدودة .

من جلاء المصريين حتى عودة فيصل . لم يتمكن الامير خالد من البقاء فى دست الحكم بعد جلاء قوات خورشيد من اواسط الجزيرة الا عاما واحدا . وعندما استسلم محمد علي فى عام ١٨٤٠ ابدى الباب العالى ادعاءه فى نجد متحججا بان الذى احتلها كان واليا للمسلطان العثمانى ، ولذا يجب اعتبار خالد تابعا للعثمانيين . وعلى اية حال ، هذا ما قاله المؤرخ التركى المعروف جودت (١) . الا ان مواقع خالد كانت تضعف وتتهور . فقد كان مكروها من قبل الجميع بوصفه صنيعة للمصريين . وخلال فترة نفيه الى مصر تكونت لديه فكرة ما عن التعليم الاوربى ، الامر الذى اضر به فى نجد ، ولم يخدمه على ما يبدو . وكان قد انهك فى الملمات ، مما الحق ضررا كبيرا بسمعته . اما الجنود المصريون المتبقون فقد انخرطوا فى الابتزاز ولم يكونوا يستلمون رواتبهم (٢) . وبدأت النزاعات القبلية الاقطاعية من جديد .

وعندما توجه خالد الى خورشيد باشا فى آب (اغسطس) ١٨٤١ لتوديعه رفع راية الانتفاضة احد اقربائه البعيدين وهو عبد الله بن ثنيان ، ابن حفيد مؤسس الاسرة السعودية والممثل الوحيد لفرع آل ثنيان الذى حكم نجد فى فترة ما . وكان ابن

ثنيان قد فر في السابق الى قبيلة المنتفق ففى جنوب العراق ثم ظهر فى نجد وحظى بتأييد حاكم الحريق تركى الهزاني الحليف السابق للإمام فيصل وآل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكذلك قبائل سبيع وعجمان وآل مرة . وفى الخريف سحب خالد قواته الى المنطقة الشرقية اما طلبا للنجاة واما املا ففى استجماع القوى . ولكنه لم يعد بعد ذلك الى الرياض مطلقا .

وبعد خروج خالد فرض ابن ثنيان سيطرته على نجد . وكانت لديه فى البداية بعض مئات فقط من الاتباع ، ولكن عددهم ازداد كثيرا فيما بعد . وفى اواخر عام ١٨٤١ استولى بن ثنيان على الرياض . وبعد ان وافقت الحامية المصرية فى القلعة على الجلاء تحررت نجد بالكامل من القوات الاجنبية . ويبدو ان الحاميات المصرية الاخرى قد تفرقت . فنحن لا نعرف عنها شيئا بعد الآن (٣) . حاول ابن ثنيان تعزيز مركزه كأمير للرياض ، ولكن سلطته لم تشمل فى الواقع القصيم وجبل شمر والمنطقة الشرقية . وقد وجه حملته الاولى الى الاحساء عندما كان خالد لا يزال موجودا فيها مع فصيل من المرتزقة المصريين . ومنى خالد بهزيمة ففر الى البحرين ثم الى الكويت ، ومن هناك الى الحجاز حيث اقام واخذ يستلم راتباً من محمد على (٤) .

وارسل امير نجد الى الهفوف عمر بن عفيصان الذى تمكن بالتدريج من فرض سيطرة النجديين على هذه المنطقة ، بل واستطاع ان ينتزع العقير من البحرين .

كانت اساليب ابن ثنيان قاسية ، وربما كانت موروثة عن الاحتلال المصرى . فقد كان كثيرا ما يفتك بخصومه ، مثل آل سديرى الذين عارضوه ، وذلك خلافا لتقاليد الجزيرة العربية التى تنص على العفو عند المقدرة . وكان الاهالى يكرهونه لانه حاول على ما يبدو ان يجمع المزيد من الاموال بشكل زكاة من البلد المدقع . وكان المؤرخ الشمرى ضارى بن الرشيد يعتبره رجلا شجاعا ولكنه اراق دماء كثيرة وقتل كثيرا من المؤمنين . كان الناس يكرهونه ويحبون فيصل (٥) .

هرب فيصل بن تركى من مصر فى عام ١٨٤٣ بعد ان كان اسيرا فيها منذ عام ١٨٣٨ . ويعتقد بعض المؤرخين ان عباس باشا حفيد محمد علي ساعده على الفرار . والاغلب ان محمد علي

وورثته ادركوا ان وجود امارة مستقلة في اواسط الجزيرة العربية يجعلها خصما للامبراطورية العثمانية (٦) .

ووصل فيصل الى جبل شمر حيث استقبله عبد الله آل رشيد واخوه عبيد بالترحاب بوصفه صديقا قديما . كانت سلطة عبد الله قد شملت كثيرا من القبائل غير الشمرية . «كان جميع البدو من القصيم حتى حوران ، ومن بلاد ابن سعود في شرقي نجد حتى جبال الحجاز ، خاضعين وملزمين بالاعتراف بسلطة ابن رشيد حيث يدفعون له الزكاة» (٧) . وعندما اقتضت الحاجة الاختيار بين السيطرة المصرية والتبعية لفيصل اختار عبد الله التبعية ، لا سيما وان فيصل كان صديقه الشخصي ، الامر الذي يعتبر عاملا سياسيا ليس بقليل الاهمية في ظروف الجزيرة . وعرض حاكم حائل على الامير فيصل رجلا ودوبا ونقودا . وعبأ ابن ثنيان انصاره ولكن افراد عساكره سرعان ما بدأوا يفرون .

ومما اعاق خطط فيصل العداء بين اهالي جبل شمر والقصيم ، وخصوصا بين اهالي جبل شمر ومدينة بريدة . وكان متوقعا ان حاكم بريدة سيضمّر العداء لفيصل لان ابن رشيد صار من انصاره . الا ان مدينة عنيزة ربطت مصيرها بمنافسه ابن ثنيان . وانتقلت نجد بالتدريج الى جانب فيصل - في البداية انتقلت القصيم ، ثم سدير والوشم . وفر ابن ثنيان الى الرياض . وحظي فيصل بتأييد قبائل سبيع والسهول والعجمان وكذلك مطير . وفي صيف ١٨٤٣ سقطت الرياض ، وتم القبض على ابن ثنيان وتوفي في السجن في تموز (يوليو) من العام ذاته ، ويعتقد المؤرخ ضاري بن الرشيد ان حرس السجن اعدموا الامير المخلوع ، فقد كان بينهم اشخاص قتل الامير اقاربهم في حينه . وعندما سلم فيصل منافسه الى هذا الحرس كان قد حكم عليه بالموت بهذه الطريقة (٨) .

وبعثت الامارة النجدية من جديد بعد تسع سنوات من الفوضى والصراع الداخلي والاحتلال الاجنبي . وصار فيصل سيدا في دياره من جديد لمدة تقرب من عشرين عاما . كانت القوى المركزية تعمل بسرعة كبيرة على توحيد مناطق اواسط الجزيرة وشرقيها كلما ظهرت شخصية قوية وانعدم الخطر الخارجى المباشر . ومما لا ريب فيه ان فيصل كان حاكما قويا . وكانت لديه

خبرة الحياة في مصر الاكثر تطورا وخبرة الحكم في ظروف الجزيرة العربية والقدرة على الجمع بين الشدة واللين والاستعداد للمساومة مع الاصرار . وكانت الصلات المتزايدة مع المصريين والأتراك والانجليز قد حملت امير الرياض على ابداء المزيد من الاعتبار للعالم الخارجى .

بعث امارة السعوديين في الرياض . نشأت الدولة السعودية الجديدة على مساحة من الاراضى اقل من اراضى امارة الدرعية . وكانت الحركة الانفصالية قوية فيها رغم الاستقرار المتزايد . ويقول فيلبى : سرعان ما استأنفت نجد فى عهد فيصل «سير الامور الطبيعى المعتاد ، ولكن ذلك لم يكن على الاطلاق مرادفا للحياة فى سلام ووثام وازدهار ، لتلك الامور التى كانت على الدوام ظواهر نادرة او تتخللها ظواهر اخرى فى البادية» (٩) .

كانت المهمة الاولى للامير بعد السيطرة على المناطق الوسطى فى نجد هى استعادة المنطقة الشرقية . وفى خريف ١٨٤٣ حاصر مدينة الدمام التى يسيطر عليها البحرانيون . وفى تلك الاثناء نشب فى جزر البحرين نزاع داخل الاسرة الحاكمة وفر الحاكم السابق الى القسم القارى واستقر فى الدمام . وفى الوقت ذاته سدد فيصل الضربة الى قبائل المناصير وآل مرة وبني هاجر التى ساعدت على تموين القلعة .

وفى اذار (مارس) ١٨٤٤ استسلمت حامية البحرين . واستولت العساكر النجدية على غنائم كبيرة . وبدلا من البحرانيين ترك امير الرياض فى القلعة حامية نجدية من مائة شخص . ووافق حاكم البحرين الجديد محمد بن خليفة على استئناف تسديد الاتاوات السنوية للرياض وتسديد الديون مقابل تصفية منافسه . وهكذا بدأ فيصل مرحلة جديدة من حكمه حيث دمر قوات البحرانيين التى لم تكن كبيرة ولكنها كانت تقضى مضجعه ، واستأنف سيطرته على جزر البحرين (١٠) .

واندلعت فى المنطقة الشرقية انتفاضات مرتبطة بالصراع بين قبيلتى بنى خالد والعجمان . كان بدو العجمان يسلكون الطريق المعتاد لنزوح قبائل الجزيرة - من الجنوب الى الشمال او من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى . وكانوا قد نزحوا من نجران ضعفاء مشتتين . ولم تكن لدى النازحين الجدد مراعاة خاصة بهم ،

فصاروا يعتمدون على القبائل الاخرى حيث تحولوا الى زبائن لها غير متكافئين . بيد ان الامير تركى اخذ يدعمهم وهياً لهم امكانية الاقامة فى المنطقة الشرقية ، وهى منطقة عائدة تقليديا لبنى خالد . ويبدو ان من اهداف هذه الاقامة ايجاد قوة توازن لمواجهة بنى خالد ووجهائهم الذين كانوا يتمردون على الرياض بين الحين والاخر ، بل وكانوا ينافسون امراءها فى وقت ما .
وصار العجمان اكثر قوة وجسارة .

وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٨٤٥ هجم عليهم فيصل بعساكر كبيرة ، وفى عام ١٨٤٦ دمرهم عن بكرة ابيهم . وحضر صفار شيوخ العجمان وحلفاؤهم من سبيع الى الامام فيصل واعلنوا عن خضوعهم له . وطوال خمسة عشر عاما لم يسمع احد شيئا عن العجمان (١١) .

وبعد ان فرض فيصل سيطرته على المنطقة الشرقية انشغل بالجنوب ، بالاflاج ووادى الدواسر . وفى عام ١٨٤٥ ارسل قواته الى الافلاج لاختاد القلاقل هناك (١٢) .

وعندما كان امير الرياض مشغولا باخماد حركة العجمان واحلال النظام فى المناطق الجنوبية من نجد اندلع من جديد العداء القديم بين القصيم وجبل شمر . وسدد عبيد ضربة شديدة الى فصيل من عنيزة ونظم عبيد آل رشيد شعرا بخصوص انتصاره . وفيما بعد ، عندما زار الجزيرة شارلز دوتى ، وهو من اعظم الرحالة الانجليز ، سمع ذلك الشعر تتناقله الالسن (١٣) . كانت قصيدة عبيد افتخارا عاديا بالنصر . فهو يتبجح بكونه قد قتل ٩٠ من الاعداء حتى تعبت يده من حمل السيف وتخثر دم الاعداء على ردفه . وواجه ابن رشيد صعوبة كبيرة فى تهدئة فيصل الذى اشتاط غضبا بسبب الحرب بين اتباعه . وبعث حاكم جبل شمر الى امير الرياض رسالة توضيحية منظومة ، يقال انها اثرت فى فيصل تأثيرا حسنا (١٤) .

وطالما كان عبد الله بن رشيد على قيد الحياة ظلت العلاقات ودية بين حائل والرياض . واعتبر عبد الله نفسه تابعا لفيصل ، ولكنه احتفظ باستقلالية واسعة . وبالإضافة الى الصداقة التى تربط بين الاميرين فقد ربطت بينهما صلة القربى ، اذ تزوج عبد الله الابن الاكبر لفيصل من ابنة عبد الله بن رشيد ، بينما

تزوج طلال ابن حاكم حائل من ابنة فيصل (١٥) . وكان عبيد ، شقيق حاكم حائل ، يقضى كل سنة شهرين او ثلاثة فى الرياض حيث يحل ضيفا على فيصل . وقد توسعت منطقة جبل شمر الى الشمال . ففي عام ١٨٣٨ مثلا انضمت اليها منطقة الجوف وهى واحة كبيرة تقع على بعد ٣٥٠ كيلومترا تقريبا شمال غربى حائل . وفى ايار (مايو) - حزيران (يونيو) ١٨٣٧ توفى عبد الله . وحل محله ابنه طلال البالغ الخامسة والعشرين من العمر ، وبعث الى الرياض ابلا وخيلا بمثابة هدية تعبر عن استمرار تبعيته للحكومة المركزية (١٦) .

مشكلة القصيم . الصراع مع العجمان . لم يتمكن فيصل من فرض سيطرته بصورة تامة على القصيم . وكانت هذه المنطقة ، كما تفيد حسابات يوبير الخاصة بالسبعينات ، تضم حوالى ٢٠ مدينة وقرية . وكان فى بريدة التى تعيش بالاساس على تجارة الابل والنقل بالقوافل حوالى ١٠ آلاف نسمة (١٧) . وقبل ستينات القرن التاسع عشر حكمها اكبر اقطاعى المنطقة - آل عليان . وكان عدد سكان عنيزة ، حسب معطيات يوبير ، ١٨-٢٠ الفا . وكان يعيش حوالى الف شخص آخرين فى القرى المحيطة بها (١٨) . وكان امراء الاسرة الاقطاعية التى حكمت عنيزة ، آل زامل ، شأنهم شأن سائر الامراء ، ينتمون الى وجهاء البدو الذين استقروا فتحولوا الى حضر ، ولكن سلطتهم على العكس ، كانت مقيدة كثيرا . ونعت الرحالة عنيزة بانها «جمهورية مدنية» ، ونعتوا اميرها بانه «أول المتكافئين» ، بل وقالوا عنه انه بمثابة «رئيس جمهورية منتخب» (١٩) .

وكان القول الفصل فى شؤون عنيزة يعود للثرياء من اهاليها الذين يقدمون الى المتطوعة جملا او جملين مع اثنين او اربعة من الهجانة ويدفعون بدلا دائما للصرف على الحراس والعبيد وتسديد اجور الرعاة وتكاليف الضيافة العامة . وكانوا يشاركون مع الاعيان والوجهاء الاقطاعيين فى تصريف شؤون عنيزة عن طريق مجلس الامارة (٢٠) . ويصادف ان تتوتر العلاقات بين الوجهاء الاقطاعيين والتجار وبين فقراء المدينة ، الامر الذى تدل عليه بصورة غير مباشرة ملاحظة دوتى : « . . الكثير من الفقراء يعارضون زامل بغضب مكشوف يلومونه وهو صبور حكيم» (٢١) .

وفى عام ١٨٤٦-١٨٤٧ عندما غزا شريف مكة نجد ابدى اهالى القصيم استعدادهم للتعاون معه (٢٢) . وبعد انسحاب الحجازيين غيّر امير الرياض حكام المدن الرئيسية . الا ان شتاء وريبع ١٨٤٨-١٨٤٩ قصرما فى اخماد انتفاضة جديدة فى القصيم . فالوجهاء المحليون لم يعترفوا بالامراء الذين عينتهم السلطنة المركزية ، اذ كانوا يؤيدون هذا الفرع من العوائل الحاكمة سابقا او ذاك . وكان القتل يعقب الخيانات ، الخيانة تعقب فترات السلم ، وكانت المبايعة تعقب العصيان المتكرر ، ولكن المنطقة ظلت غير خاضعة .

وكان امير بريدة عبد العزيز آل عليان هو الزعيم المعترف به للمنطقة . وقد نجاه فيصل عدة مرات ولكنه كان يعينه من جديد كل مرة . وغدا عبد العزيز حاكما لبريدة من جديد فى مطلع عام ١٨٥١ . ويبدو ان امير الرياض لم يتمكن من الحصول على تأييد وجهاء القصيم ولم يستغن عن المساومة مع زعيمها المعترف به (٢٣) .

وفى السنوات الثلاث اللاحقة انصب اهتمام امير الرياض على غزوات مختلف القبائل . ففى ايار (مايو) ١٨٥٤ تمردت عنيزة من جديد . ولم يكن وجهائها ، وخصوصا آل زامل ، راضين عن حكم جلوى ، عامل الامير فيصل ، فى القصيم . ويقول دوتى ان حاكم القصيم هذا كان ينهب السكان ويستأثر باموالهم (٢٤) . وبدأ التمرد .

وكانت مشاركة الفقراء فى هذا التمرد قد اضفت عليه صبغة جديدة . فقد هب ضد مضايقات امير الرياض القسم الاكثر فقرا من السكان ، فى حين لم يؤيد التجار الاثرياء المتمردين . وعلى اثر جلوى فر من عنيزة الشيخ عبدالله ابو بطين الذى كان قاضيا لهذه المدينة مدة طويلة واخلص الولاء للرياض . وصار عبدالله بن يحيى آل زامل الملقب سليم اميرا لعنيزة .

وفى اواخر ١٨٥٥ انتهى التمرد صلحا . واضطر فيصل الى تنحية حاكم المنطقة الذى عينه بنفسه ، بينما ظل زعيم المتمردين عبدالله بن يحيى فى منصبه (٢٥) .

وفى اواسط الخمسينات هطلت امطار غزيرة وكان المحصول جيدا فهبطت الاسعار . الا ان وباء الكوليرا تفشى فى نجد اذذاك .

كان الوباء قد بدأ فى الهند ونقل الحجاج عدواه الى مكة فى عام ١٨٤٦ ، وانتشر منها فى اوربا واميركا .

وفى عام ١٨٦٠ واجه امير الرياض تمردا جديدا من العجمان الذين صاروا اكثر جسارة . وارسل الامير قوات كبيرة بقيادة ابنه عبدالله الى الشرق ، حيث نشبت على مسافة ثلاثين كيلومترا تقريبا جنوبى مدينة الكويت فى ٩ نيسان (ابريل) ١٨٦٠ معركة جديرة بالتقاليد البدوية الجاهلية . فقد اجلسوا الفتيات من قبيلة العجمان وبنات او قريبات الشيوخ فى هودج خاصة على سبعة جمال . واسبلت سبع من اجمل بنات عوائل الوجهاء شعورهن وارتدين افضل ملابسهن وظهرن فى مقدمة البدو يطلقن صيحات الحرب . وكان المحاربون متحمسين الى اقصى حد ، لانهم يرون بام العين انهم سيحاربون ، فيما يحاربون ، من اجل سلامة بناتهم الحسنات اللواتي يمثلن شرف القبيلة . وكانت المعركة دموية لان العجمان واجهوا قوات من ابناء المدن والحضر الاكثر تنظيما وانضباطا وهى قوات عززها محاربون من قبائل سبيح والسهول وقحطان ومطير . وقتل حوالى ٧٠٠ من العجمان ففروا تاركين الفتيات والجمال وكل ما يملكون . واختبأ فى الكويت من ظل على قيد الحياة . وعمت البهجة والاحتفالات بهذا الحادث فى الرياض وكذلك فى البصرة والزبير اللتين تضررتا من غزوات العجمان وارسلتا بعد النصر هدايا ثمينة الى عبدالله (٢٦) .

الا ان النصر الحقيقى كان بعيدا . فالعجمان احتفظوا بقوات كثيرة وتحالفوا مع قبيلة المنتفق القوية فى جنوب العراق . وسرعان ما بدأت القبيلتان غزو اطراف البصرة والزبير والكويت . واعلن فيصل الجهاد . ونشبت معركة الجهراء فى ٢٧ آذار (مارس) ١٨٦١ ، وتم من جديد دحر العجمان والمنتفق . وحاصر النجديون خصومهم ودفعوهم الى مياه الخليج ، وعندما ارتفع المد ابتلعت المياه حوالى الف وخمسمائة محارب ممن لم يكونوا مطلعين على هذا النوع من الاخطار . وأثار النصر موجة جديدة من الفرح فى العراق وفى نجد على حد سواء (٢٧) . الا ان انتصارات عبدالله الدموية على العجمان قد تركت لعشرات السنين حقدا عليه فى هذه القبيلة ، الامر الذى كان فيما بعد من الاسباب التى حرمته عرشه . وبعد النصر شرقا توجه عبدالله الى القصيم . وقرر عبد العزيز

امير بريدة الهرب خشية مواجهة مخاطر اكبر . توجهه الى عنيزة ومنها الى مكة . الا ان فصيلا ارسله عبدالله بن فيصل اختطف عبد العزيز في الطريق وقتله مع ابنه . واختطف ابن آخر لحاكم بريدة ممن كانوا قد شاركوا في حملة عبدالله على العجمان وقتل في السجن (٢٨) .

ورغم الانتصارين الكبيرين في ١٨٦٠-١٨٦١ واجهت اماره فيصل خطرا جديدا . وكان مبعثه هذه المرة ايضا هو القصيم ، خصوصا عنيزة . كان اهالي عنيزة قد نعتوا تمردهم على الرياض في ١٨٥٤-١٨٥٥ بالحرب الاولى ، اما العمليات الحربية التي بدأت في عام ١٨٦٢ فقد نعتوها بالحرب الثانية .

ظهر محاربون من عنيزة في ضواحي بريدة ، ونشبت صدامات في المنطقة كلها . واعلن فيصل الجهاد من جديد . ونشبت معركة كبرى في اطراف عنيزة في ٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٦٢ . وذكر دوتى تفاصيل تلك المعركة (٢٩) . ساعدت النساء رجال عنيزة بتزويدهم بالماء وحمل الجرحى . وكان رجال عنيزة مسلحين ببنادق القنابل . وقاتل محاربو امير الرياض اساسا بالرمح والسيوف . وفي معمعان المعركة هطلت الامطار فتغطلت بنادق فصيل رجال عنيزة فاندحروا وابيدوا عن بكرة ابيهم تقريبا . وقتل منهم حوالى ٢٠٠ شخص . وكانت عساكر امير الرياض حوالى الف محارب . ويتضح من ذلك نطاق العمليات الحربية .

واضطر اهالي عنيزة الى الاحتماء بأسوار مدينتهم . وفي بداية عام ١٨٦٣ استلمت عساكر امير الرياض قرب عنيزة امدادات من جبل شمر والمنطقة الشرقية . وكانت لدى قوات الحصار عدة مدافع . وطلب رجال عنيزة الصلح (٣٠) . ولما كان امير الرياض عاجزا عن تدمير عنيزة وافق من جديد على العفو عن اهالي المدينة وابقاء حكامهم السابقين (٣١) .

علاقات نجد مع الحجاز والحكومة العثمانية في عهد فيصل .
كانت علاقات نجد مع الحجاز معقدة دوما . وظل الباشوات العثمانيون في جدة والمدينة وشريف مكة يدعون بحق التدخل في شؤون اواسط الجزيرة . وفي عام ١٨٤٦ شن الشريف محمد بن عون حملة على نجد متحججا برفض فيصل دفع الاتاوات للباب العالي . وقد جرت العادة على ان يدفع امير الرياض ١٠ آلاف ريال ،

وربما كان ذلك من شروط «فراره» من مصر (٣٢) . والحجة الاخرى لحملة الشريف هي القلاقل فى القصيم التى جعلت حاكم مكة يأمل فى الحصول على مساعدة فعالة فى هذه المنطقة (٣٣) .

كانت عساكر محمد بن عون تتكون من حوالى الفى شخص ، وهم بالاساس من البدو . ومعهم فصيل صغير من القوات التركية النظامية . وفى ربيع ١٨٤٧ وصل الشريف الى القصيم دون ان يواجه مقاومة فى الطريق . الا ان فيصل كان يستعد بهمة للحرب . وكانت القوى متعادلة تقريبا ، فكان الطرفان يتحاشيان الاشتباك فى معركة . وارسل فيصل «هدية» الى محمد بن عون ، وهى فى الواقع اتاوة لمرة واحدة بمبلغ ١٠ آلاف ريال ومعها خيول وابل (٣٤) . ويبدو ان الاتفاق نص من جديد على دفع ١٠ آلاف ريال سنويا ، ولكن من الصعب القول بكيفية تنفيذه . وفى عام ١٨٥٤-١٨٥٥ اثناء القلاقل فى الحجاز تخلف فيصل عن ارسال الجزيرة (٣٥) .

حاولت السلطات العثمانية ان تحقق فى عسير واليمن ما لم يتمكن والى مصر من تحقيقه . وفى نيسان (ابريل) ١٨٤٩ قامت القوات التركية بانزال من السفن الحربية فى الحديدة . ووصل الى الحديدة ايضا فصيل بقيادة شريف مكة محمد بن عون . ووافق امام اليمن على وجود حامية عثمانية فى صنعاء ودفع الاتاوات الا ان الاتراك انهزموا فى عسير واليمن فى عام ١٨٥١-١٨٥٢ .

وعزز شريف مكة مواقعه واقام علاقات طيبة مع قبائل عسير ومع قبيلة حرب الحجازية ، كما اقام ارتباطا مع عباس باشا والى مصر . الا ان هذا السلوك بالذات اثار ارتياب السلطات العثمانية . وفى عام ١٨٥٢ وصل الى والى جدة امر بنفى الشريف محمد بن عون وابنيه الاكبرين الى العاصمة العثمانية . وامكن القيام بذلك بخديعة غادرة . وعين المدعو عبد المطلب شريفا لمكة (٣٦) . اجتاحت الحجاز فى الخمسينات قلاقل خطيرة كان من اسبابها تأخر دفع رواتب الجنود الاتراك سنة كاملة . وفى ١٨٥٥-١٨٥٦ فقد الاتراك مؤقتا السيطرة على مكة وتعين عليهم ان يبذلوا جهودا كبيرة لاستعادة سلطتهم هناك باعادة ابن عون الذى ورث ابنه عبدالله منصبه بعد عامين . وطرد اهالى عسير الحاميات العثمانية . ولم يتمكن الاتراك من ارسال القوات بانتظام الى سواحل الجزيرة

العربية على البحر الاحمر واحتلال عسير من جديد فى عام ١٨٧١
الا بعد شق قناة السويس عام ١٨٦٩ (٣٧) .

فى عام ١٨٥٨ قتل فى جدة نائب القنصل البريطانى ونائب
القنصل الفرنسى واربعة عشر من الرعايا المسيحيين ، ونهبست
منازلهم . وفر الذين ظلوا على قيد الحياة الى الفرقاطة البريطانية
«سايكلوبس» التى قصفت المدينة وقامت بانزال فصيل بريطانى
غير كبير . وبحضور الانجليز قطعت رقاب ١١ شخصا ، ثم جرى
اعدام مدير الشرطة ورئيس الحزبيين والقائم مقام (٣٨) .

ومع ان اماره الرياض كانت آنذاك مستقلة فى الواقع عن
الامبراطورية العثمانية التزم فيصل بقدر كبير من الحذر وسعى الى
تحاشى الصدام مع الاتراك . ولم يقيم بغزوات على الشام والحجاز
والعراق . وفى عام ١٨٥٥ وعام ١٨٦٠ اكد فيصل فى مراسلاته
مع الانجليز بشأن الاوضاع فى الخليج بأنه يعتبر نفسه تابعا
للباب العالى (٣٩) . وكان هذا التأكيد نافعا له فى علاقاته مع
الانجليز . وكان الموظفون العثمانيون ، عندما تقتضى مصالحهم ،
يتحدثون ايضا عن السيادة العثمانية فى اواسط الجزيرة .

التناقضات بين اماره الرياض وبريطانيا فى منطقة الخليج .
كتب ج . لوريمير عن السياسة البريطانية ازاء اماره الرياض يقول
«انها عدم التدخل فى امارات الساحل والمقاومة المعتدلة فى سلطنة
عمان والمعارضة بلا هوادة فى البحرين» . وهو يرى ان هذه
السياسة مبعثها «هجمات الوهابيين العدوانية المتواصلة على طول
خط الساحل» (٤٠) .

الا ان امير الرياض كان يعتبر المناطق الساحلية ملكا له .
فقد تحدث الامير فيصل عن دولته الى بيلى وقال له ما فحواه :
انها تشمل اراضى الجزيرة العربية من الكويت عبر القطيف ورأس
الخيمة وعمان ورأس الحد وكل ما يقع وراء ذلك . هذا ما وهبنا
الله (٤١) . واضاف فيما بعد : مستقط تابعة لنا . وقد اخذناها
بقوة السلاح (٤٢) . ويرى امير الرياض ان الانجليز عندما يفرضون
حمايتهم على حكام الساحل انما يتدخلون فيما لا يعينهم (٤٣) . ولكن
فيصل يعرف قوة بريطانيا .

ظلت العلاقات بين فيصل وحاكم الكويت ودية (٤٤) . الا ان
حربا طويلة الامد كانت قائمة بين نجد والبحرين .

ولم تسفر الصدامات الجديدة بين اماره الرياض والبحرين
فى عام ١٨٤٥-١٨٤٦ عن انتصار لاي من الطرفين . ولم يستمر
الصلح طويلا . ففى خريف ١٨٥٠ اندلعت الحرب من جديد بين
نجد والبحرين . واحتلت عساكر فيصل قطر . وحظى امير الرياض
بدعم من فرع انقلب على عائلة حكام البحرين ، الامر الذى ساعده
فى تكوين اسطول له والتحضير لانزال على جزر البحرين . الا ان
عمارة بريطانية ارسلت آنذاك للدفاع عن البحرين ، فانقذت حاكمها
من الهزيمة . واضطر فيصل الى الاتفاق بشأن الصلح مع
البحرانيين ، ولكنه تمكن من جعلهم يدفعون الاتاوات والديون
السابقة . كما انه نصب فى قلعة الدمام منافسى حكام
البحرين (٤٥) .

وفى عام ١٨٥٩ ، عندما تهيأ النجديون للهجوم من جديد على
البحرين ابلغ المقيم البريطانى فى منطقة الخليج الكابتن جونس
الامير فيصل بان الحكومة البريطانية تعتبر البحرين «امارة مستقلة»
وهى مستعدة للدفاع عنها دون اية هجمات (٤٦) .

وفى عام ١٨٦١ فرض الكابتن جونس بمدافع العمارة البريطانية
على شيخ البحرين اتفاقية كالاتفاقيات التى اضطرت الامارات
الصغيرة على ساحل الصلح البحرى ان تقبل بها فى السابق .
وغدت البحرين محمية بريطانية ولم تعد تتعرض لادعاءات الحكام
السعوديين . صحيح انها ظلت تدفع الاتاوات لامير الرياض لقاء
ممتلكاتها فى قطر .

وفى العام نفسه حاول الانجليز ان يخلصوا انفسهم من
التبدلات غير المتوقعة فى العائلة الحاكمة البحرانية وبعثوا انذارا
لفيصل يطالبونه فيه بطرد منافس حاكم البحرين من الدمام .
وقصفت العمارة البريطانية الدمام دون ان تنتظر وصول الجواب .
وفر من القلعة محمد بن عبدالله آل خليفة (٤٧) .

وفى عام ١٨٦٧ نشبت من جديد معركة بين عساكر امير
المنطقة الشرقية والبحرانيين . ويقول النبهانى ، مؤرخ البحرين ،
ان تلك كانت آخر معركة فى البحرين لان الانجليز وصلوا بعد
ذلك .

وكانت عمان ايضا موضع تنافس بين النجديين والانجليز .
وبعد ان عاد فيصل الى دست الحكم فى عام ١٨٤٥ سرعان ما ارسل

الى البريمى قوات بقيادة سعد بن مطلق . وكان هذا العقيد حاكما للبحرين حوالى ثلاثين عاما وخدم عند تركى ثم عند ابنه فيصل فى العهد الاول من حكمه ، وعند خورشيد باشا وخالد ثم عند فيصل من جديد ، وكان مطلعا اطلاقا ممتازا على شؤون عمان . وطلب الشيوخ المحليون النجدة من الانجليز ، الا ان هؤلاء كانوا لا يزالون يتحاشون التدخل المباشر فى شؤون البر .

وعلى اثر وصول سعد بن مطلق الى البريمى طالب عددا من الحكام المحليين بدفع الاتاوات ، ومنهم سلطان مسقط وحاكم الصحار . وعزز مطلبه بارسال فصيل الى مسقط . الا ان الانجليز اخذوا يمارسون الدوريات عند ساحل الباطنة ، فانسحب سعد بن مطلق ووافق على استلام جزية سنوية من مسقط مقدارها ٧ آلاف ريال .

وفى عام ١٨٤٨ تمكّن حاكم ابو ظبى من الاستيلاء على البريمى . الا ان منافسيه من دوى والشارجة ساعدوا ابن مطلق على العودة بعد بضعة شهور . ثم نجاه فيصل من منصبه عام ١٨٥٠ وسرعان ما توفى .

وفى آذار (مارس) ١٨٥٠ ، عندما تقلصت الحماية النجدية فى البريمى الى ٥٠ شخصا استولى حاكم ابو ظبى على البريمى من جديد . وفى عام ١٨٥٣ وصلت الى هنا عساكر بقيادة عبد الله ، ابن الامام فيصل . واسرع شيوخ العشائر وحكام امارات الساحل للاعراب عن خضوعهم للرياض . فقد كان نفوذها كبيرا آنذاك ، الا ان المعتمد البريطانى الكابتن كمبيل تمكن من مقابلة الحكام المحليين وارغامهم على توقيع «معاهدة الصلح الدائمة» . ووصلت عساكر النجديين الى مسقط فانقذتها العمارة البريطانية من جديد ، الا ان حاكمى الصحار ومسقط التزما بدفع ١٢ الف ريال سنويا الى الرياض .

وفى كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥٣ غادر عبدالله البريمى بعد ان عين احمد السديرى حاكما لها ، وظل هذا الاخير فى منصبه حتى عام ١٨٥٧ . ورغم التبعية للانجليز ظلت مسقط والصحار وامارات الخليج تدفع الاتاوات لامارة الرياض . ولم تكن الاراضى التى يشرف عليها النجديون محددة بدقة ، فهى تتقلص تارة وتوسع تارة اخرى ، مع ان لديهم احيانا عمال جباية الزكاة فى قسم كبير

من اراضي عمان . وورث منصب احمد السديري ابنه تركي الذي ظل حاكما للبريمي من ١٨٥٧ حتى ١٨٦٩ (٤٨) .

النظام الاجتماعي السياسي والحياة الاقتصادية في الدولة السعودية الثانية . كان امير الرياض ، مثلما في الدولة السعودية الاولى ، اماما للمسلمين ، اى انه قائد عام وحاكم اعلى وكذلك رئيس السلطة التنفيذية . وكان يبت شخصا في اهم مسائل السياسة الداخلية والخارجية والقضايا المالية والحربية ويتخذ القرارات بشأن الغزوات او الصلح ويشرف بنفسه على تنفيذها ويراقب استقبال وارسال الممثلين الدبلوماسيين واستلام وارسال الرسائل الرسمية ، ويمارس الشؤون المتعلقة بالحلفاء والاتباع والجيران والقبائل البدوية .

ولم يكن بلاطه كبيرا ، كما لم يكن مثقلا بالرسميات وبالجهاز البيروقراطي . وفي اهم المسائل كان الامير يتشاور مع اقرب اقربائه الذين يعتبر ولاءهم له اسمى من المصالح المحلية . ولعبت عائلة آل الشيخ كذلك دورا هاما مع ان احدا منها لم يبلغ منزلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه (٤٩) .

وكان توزيع المناصب المربحة والرفيعة قد ساعد على تلبية المطالب المتعارضة لافراد العائلة . واعلن فيصل ان عبدالله وريثه واشركه في الشؤون الحربية وفي حكم الرياض والمناطق الوسطى . ومنح فيصل ابنه الثاني سعود المنافس لعبدالله استقلالا كبيرا في حكم المناطق الجنوبية . وسلمت الى محمد ، الابن الثالث ، المناطق الواقعة شمالي العاصمة . ومال محمد الى عبدالله في خلافه مع سعود . وكان الابن الاصغر عبد الرحمن الذي كان سيغدو فيما بعد اب مؤسس الدولة السعودية الجديدة قد ولد في عام ١٨٥٠ وكان آنذاك صغير السن لا يصلح لوظيفة مستقلة (٥٠) . الا ان تقسيم الامارة بين ابناء فيصل ساعدهم على كسب انصار في مناطقهم ، الامر الذي هيا اساسا للنزاعات المرتقبة التي ادت الى تمزيق الدولة السعودية الثانية .

وتدهورت صحة فيصل في السنوات الاخيرة من حياته . فعندما كان في مصر اصيب بالرمد ، وربما بالترخوما ، وغدا اعمى كليا عندما قام العقيد ل . بيلي ممثل الادارة الانكلوهندية بزيارته

الثانية الى الرياض . وكان فيصل آنذاك فى حوالى السبعين من العمر فلم يتمكن من تصريف شئون دولته بنشاط فسلم زمام الامور الى عبدالله . وكتب ر . ويندر يقول «ان عائلة السعوديين افرزت فى اللحظات الحاسمة اقوى الاشخاص الذين يتمتعون بالفتنة وقوة الطباع والذين تمكنوا من السيطرة على مختلف العناصر الانفصالية فى مملكتهم الشاسعة واستطاعوا ان يؤمنوا العدالة الصارمة» (٥١) . وكان من هؤلاء الرجال الاشداء فيصل بن تركى . ورغم موقف الانجليز المعادى لامارة السعوديين اعترف المقيم البريطانى ل . بيلى قائلا : «ما كان بوسعى الا أن لاحظ ان الامير فيصل ، فى رأى الجميع ، كان حاكما عادلا صارما وموفقا الى اقصى حد فى قمع العادات الوحشية للقبائل . وكان يريد ان يغرس بينها عادات اكثر تنظيما وتوجيه اهتمامها الى الزراعة والتجارة . وكان يخيل لى انه لا احد يحب الامير ، ولكن الجميع معجبون به . وكانوا يتحدثون عنه برهبة اختلط فيها الاحترام بالكرهية على نحو طريف» (٥٢) .

وبعد اللقاء الاول مع فيصل رسم بيلى صورته على النحو التالى : «وجدت الامام جالسا فى الركن الابعد للغرفة على سجادة صغيرة جذابة متكئا بظهرة الى تكية ثقيلة . . . وعندما اقتربت منه نهض بصعوبة . اخذ يدى وتلمسها . كان ضريرا ، الا ان محياه رائع بتقاسيم معتدلة وتعلوه مسحة من الهدوء والصرامة والاطمئنان . كان يبدو فى اكثر من السبعين ، وملابسه فاخرة تنم عن ذوق رفيع . وعلى كوفيته عمامة من حرير اخضر . نبرات صوته عذبة وكلماته هادئة موزونة كانت هيئته تدل على الاعتزاز بالنفس وتكاد تتسم بالارقة . ولكن المرء يشعر بانه يمكن ان يكون قاسيا دون رحمة» (٥٣) .

ان درجة السيطرة المركزية القائمة فى مختلف مناطق واقاليم الدولة السعودية الثانية ، شأنها شأن الدولة السعودية الاولى ، تختلف من منطقة لآخرى وتتقلص كلما ابتعدت المسافة عن الرياض . ويعود دور للوضع الداخلى فى هذه المنطقة او تلك ولوزنها النسبى وللمعتقدات الدينية عند اهلها . وكان حاكم الرياض يعين الامراء وكذلك علماء الدين فى المناطق الوسطى .

وكانت من اسباب القلاقل فى القصيم محاولات امير الرياض لتقوية سلطته هناك . وقد اضطر الى ترك ابناء الوجهاء المحليين فى اماكنهم . وكانت العلاقات مع جبل شمر معتدلة الى حد مدهش ، وذلك لان الرياض لم تحاول بسط سيطرتها بصورة مباشرة على جبل شمر واكتفت بالتبعية الاسمية . وكانت هناك علاقات ودية بين الاسر الحاكمة وقد عززها التزاوج بينها ، وكانت تلك الاسر بحاجة الى مساعدة بعضها البعض عسكريا .

وكان امراء الهفوف يعينون دوما من بين النجديين . ولم يكن سكان المنطقة الشرقية متعاطفين كثيرا مع الرياض والوهابيين ، الا ان اهمية هذه المنطقة كبيرة لدرجة جعلت امير الرياض يرى ضرورة الاحتفاظ بحاميات دائمية هناك .

وكانت للنجديين حامية فى البريمي ، كما عين لها امير من الرياض . الا ان مجموعة واحات البريمي احتفظت بسمات المنطقة الجبوية اكثر من الهفوف .

وكما كان الحال فى الازمان السالفة ظل الاحتفاظ بالرهائن فى العاصمة وسيلة لارغام المناطق والقبائل على الولاء . وعندما دعا فيصل ببلى لزيارة السجن قال له بانه سيرى هناك الآن حوالى سبعين من شيوخ العشائر (٥٤) .

وكانت القبائل البدوية على درجات متباينة من التبعية لامير الرياض ، الا ان فيصل لم يتمكن ابدا من السيطرة عليها بالشكل الذى كان فى زمن الدولة السعودية الاولى . فقد شهدت سنوات حكمه الكثير من التمردات البدوية المتواصلة .

وكانت الوهابية فى الدولة السعودية الثانية قد فقدت جزئيا طابعها المتعصب المتشدد . ويبدو ان الخبرة الشخصية التى اكتسبها فيصل فى مصر قد اوحى اليه ان المصريين والحكومة العثمانية اقوى بكثير من نجد وان استفزازهم بابدء مظاهر التعصب الدينى يعنى جلب الهلاك لنجد . الا ان المشاعر الدينية كانت تشتت فى بعض الاحيان .

كان التنظيم العسكرى لامارة الرياض فى عهد فيصل مثلما كان فى عهد السعوديين الاوائل . فقد كان على كل مدينة او قبيلة ان تقدم فى حالة الاستدعاء عددا معيناً من المقاتلين والدواب .

وكانت تلك الارقام تسجل فى سجلات تعتبر كذلك اساسا لجباية الزكاة . وعندما يصدر الامير امرا بالتعبئة يخبر الحكام المحليين بعدد المحاربين الذين يحتاج اليهم ، بينما يتحمل هؤلاء الحكام مسؤولية جمعهم وتموينهم . ويشمل الاستدعاء عادة نصف العدد الالزامى للمحاربين . وفى الحالات الاستثنائية تستدعى كل القوات طبعاً . وكان المحاربون يأتون مع سلاحهم الخاص وماشييتهم . وكانت الحكومة ، من الناحية النظرية ، تقدم العتاد اللازم . وكان الفرسان اكبر شأناً ، ولذا كانوا يتمتعون بالامتيازات .

كانت كل قبيلة او مدينة تشكل فى عساكر امير الرياض وحدة خاصة لها رايتها .

وعندما تنتهى الحملة الحربية يجرى حل العساكر كلها . ولا تستلم المتطوعة رواتب منتظمة ، الا ان اربعة اخماس الغنائم تقسم بين المحاربين - حصة للمشاة او الهجانة وحصتان للفرسان . ويحال الى بيت المال خمس الغنيمة . ولدى الامير فصيل من الحرس الشخصى مكون من حوالى ٢٠٠ عبد ومعتوق ، كانوا عند الاقتضاء يمارسون وظيفة الشرطة . وكان السكان الحضر يشكلون نواة عساكر نجد (٥٥) .

كانت عند النجديين بضعة مدافع ، ولكن من المشكوك فيه انهم استخدموها الا فى حالات نادرة جداً . ولم يتخذ فيصل خطوات جدية لتشكيل اسطول حربى . فبدلاً من ذلك كان يعول على شبه اتباع كالبحرين . وبديهي ان حكام السواحل كانوا يجدون الاعذار للتملص من تنفيذ مطالبه . زد على ذلك ان المعاهدات التى فرضها الانجليز عليهم قيدت امكانيات العمل بالاشتراك مع الرياض (٥٦) . ولم تكن الضرائب فى عهد فيصل لتختلف عنها فى ظل الدولة السعودية الاولى . . كان الزراع يدفعون زكاة الحبوب فقط والثمار القابلة للكيل والحفظ : ١٠٪ من محاصيل الاراضى الديمة و٥٪ من محاصيل الاراضى السيجية . وكان البدو يدفعون زكاة الماشية فى حدود ٢,٥-٥٪ من قيمة الذهب والفضة ، وكذلك نفس النسبة من قيمة بضائع التجار . ويمكن ان يعفى من الزكاة الذين يحصلون على دخل سنوى اقل من الحد المعين . الا ان ضرائب اضافية تطبق فى حالة الحرب (٥٧) .

ومما كان الحال سابقا تتوارد على بيت المال مگوس الحج
واتاوات مسقط والبحرين والامارات الاخرى وعائدات ممتلكات
حاكم الرياض .

ولا يمكن حساب المداخيل العامة للدولة على وجه التدقيق .
وقدم العقيد بيلي اثناء زيارته للرياض جردا تقريبا للسكان
والمداخيل والعساكر . وتفيد حساباته ان سكان نجد والاحساء ،
والمقصود على ما يبدو الحضر فقط ، بلغوا ١١٥ الف نسمة ، وان
المداخيل ٦٩٢ الف ريال وان عدد المحاربين ٧٩٠٠ (٥٨) . اما البدو
فقد حدد عددهم الاجمالى بـ ٢٠ الفا ومداخيلهم ١١٤ الف ريال .
وهكذا بلغت مداخيل الدولة ، فى رأى بيلي ، ٨٠٦ آلاف ريال . وهو
يضيف اليها اتاوات مسقط وجبل شمر والبحرين والاقاليم الاخرى ،
وكذلك مليونى ريال تجبى من الحجاج (٥٩) . وربما كانت هناك
مبالغة فى ارقام العائدات ، بينما قد يكون عدد الحضر والبدو اكثر
من الرقم المذكور . ولعل بيلي اخذ فى الحسبان الذكور الراشدين
فقط .

وقدر بلغريف المداخيل العامة للدولة بما يعادل ١٦٠ الف
جنيه استرلينى (٦٠) .

والمعلومات المتوفرة عن نفقات الدولة السعودية الثانية اقل
من تلك . واذا اهلنا نفقات اسرة الامير وبلاطه فان نصف
النفقات ، على ما يبدو ، يصرف على الاغراض الحربية ، بينما
يخصص الباقي للشؤون الاجتماعية - صيانة الآبار والمساجد
وكذلك معونات المرضى والعجزة ورواتب الموظفين الذين تعينهم
الحكومة المركزية ورجال الدين والمعونات المقدمة الى الشيوخ
المحليين وامراء الاقاليم (٦١) .

وكان قسم كبير من الزكاة يسدد عينا ، ولكنه يدفع نقدا فى
بعض المناطق .

وكانت العملة الرئيسية هى الريال الذهبى (ريال
ماريا تيريزا) ، ومع ذلك استخدم فى التداول الشلن الانجليزى
والنقود العثمانية والفارسية الذهبية والفضية . وفى المنطقة
الشرقية غالبا ما كانت تستخدم النقود الهندية . وفى منطقة سواحل
الخليج استخدم ما يسمى بالنقود الطويلة ، وهى قطع نقدية
معدنية مستطيلة تشبه الالبزيم النسوى وعليها كتابة عربية .

كانوا يصكونها من النحاس ويضيفون اليها قليلا من الفضة . وكانت هناك نقود طويلة فضية (٦٢) .

وفى عهد فيصل صار تصدير الخيول العربية الاصيلة بابا لعائدات ثابتة . وكانت خيول جبل شمر تصدر عبر الكويت ، اما الخيول الاخرى فتصدر عبر القطيف والعقير . وفى عام ١٨٦٣ بيع عن طريق الكويت ٦٠٠ من الخيول العربية بسعر متوسط قدره ١٥٠ ريالاً للرأس الواحد . وارسل عباس باشا من مصر عدة بعثات لشراء الخيول . وكان الرحالتان الاوربيان المعروفان فالين وغوارمانى قد زارا الجزيرة العربية بحجة شراء الخيول . الا ان عدد الخيول المتبقية كان فى عام ١٨٦٤ قليلا جدا ، واتضح ان الخيول التى ارسلها فيصل الى الاستانة سيئة للغاية مما اثار استياء الباب العالى الذى منع تصدير الخيول طوال اربعة اعوام . ولم يكن بالامكان تطبيق هذا المنع عمليا (٦٣) .

وقبل اكتشاف البترول كان صيد اللؤلؤ هو العمل الرئيسى لسكان سواحل الخليج . الا ان الاحساء اقل شأنا فى صيد اللؤلؤ من البحرين وامارات الصلح البحرى وقطر . وكان لؤلؤ الخليج يرسل الى بومباى ، ومن هناك يباع الى اوربا . ونجد عند لوريمير وصفا ضافيا لصيد اللؤلؤ مع قواعده الاجتماعية والمالية الثابتة . ومع ان ما كتبه لوريمير يخص عام ١٩٠٦ الا ان اللوحة التى رسمها من المستبعد ان تكون قد تغيرت منذ ستينات وسبعينات القرن التاسع عشر . ولئن كان قد مارس صيد اللؤلؤ فى سواحل امارات الصلح البحرى ٢٢ الف شخص ، وفى قطر حوالى ١٣ الف شخص وفى البحرين حوالى ١٨ الف شخص وفى الكويت ٩٢٠٠ ، وفى واحة القطيف مارسه حوالى ٣٤٠٠ شخص فقط (٦٤) .

* * *

تمكنت الدولة السعودية الثانية من الانبعاث والنهوض بسبب توقف التدخل الخارجى فى شؤون نجد . وكانت مصلحة قسم كبير من وجهاء واعيان نجد وتجارها وصناعها وزراعتها فى التوحيد وتأيد الفقهاء الوهابيين وارتفاع منزلة آل سعود قد مكنت فيصل من بسط سيطرة الرياض على قسم كبير من اواسط الجزيرة وشرقيها . الا ان علائم الضعف والخور ، واحيانا عجز السلطة

المركزية ، والنزعة الانفصالية لدى الاقطاعيين ونزوات القبائل البدوية كانت واضحة لدرجة كبيرة لا تجعل احدا من المعاصرين يتوقع لامارة الرياض عمرا مديدا . وكان اقليم جبل شمر القوى حليفا اكثر من كونه تابعا طيعا . ودافعت القصيم عن استقلاليتها فى تمردات متكررة . وكانت القبائل البدوية تتحدى فيصل المرة بعد المرة . وخيم ظل الامبراطورية البريطانية من جهة الخليج وبحر العرب ، وكانت قد ابتلعت فى الواقع الامارات الصغيرة على سواحل شبه الجزيرة . واضيف الى ذلك كله تعمق الخلافات والانقسام داخل اسرة امير الرياض .

الفصل الثامن

سقوط امارة الرياض ونهب امارة جبل شمر (١٨٦٥-١٩٠٢)

الانقسام فى عائلة الامراء . توفي فيصل بن تركى فى كانون الاول (ديسمبر) ١٨٦٥ . وفى الحال بدأ الصراع من اجل السلطة بين ابنائه . وتسلم مقاليد الحكم ولى العهد عبدالله الذى حظى بتأييد سكان العارض وكذلك اخيه الاصغر محمد . وكان اخوه الآخر - سعود - منافسا له . واخذ الانجليز الذين لهم مصلحة فى اضعاف امارة الرياض يشجعون مطامع سعود . كان عبدالله يسعى فى امارته الضعيفة غير المستقرة الى تقوية المركزية فاثار بذلك استياء الوجهاء والاعيان فى الاطراف (١) .

ويقول بلغريف ان عبدالله كان رجلا نشيطا شجاعا ، ولكنه كان صارما قاسيا ، الامر الذى يروق لسكان المدن المحافظين . اما سعود فكان صريحا سخيا يحب الفخفة ، الامر الذى يروق للبدو (٢) . ان فيلبى متفق مع اقوال بلغريف هذه بالخطوط العريضة (٣) .

كانت ام سعود واحدى زوجاته من قبيلة العجمان الذين يكرهون عبدالله وصاروا من اخلص حلفاء سعود . اما قحطان فقد ايدوا عبدالله (٤) .

وكان اول ما فعله عبدالله بعد ان تولى الحكم هو قضايما عمان وليس الصراع مع اخيه ، فهذا الصراع سيأتى وقته . قبيل وفاة فيصل كان ابن قيس حاكم الرستاق فى عمان ، وهو من ابناء فرع جانبى للعائلة الحاكمة فى مسقط ، قد ثار على قريبه ثوينى سلطان مسقط وطلب المساعدة من تركى آل سديرى حاكم البريمى . وتم فى اواخر عام ١٨٦٤ طرد قوات ثوينى بمساعدة فصيل تركى آل سديرى . وانتهازا حاكم الرياض فيصل هذه الفرصة فحاول ارغام سلطان مسقط على دفع اتاوة له مقدارها ٤٠ الف ريال بدلا من ١٢ الفا ، وعزز طلبه هذا بارسال قوات الى

هناك (٥) . الا ان ثوينى وافق ، بنصيحة من الانجليز ، على دفع ١٢ الفا فقط . وفى العام نفسه استولى على مدينة صور ثوار ايدهم فصيل من النجديين بقيادة عبد العزيز بن مطلق ، شقيق سعد بن مطلق الشهير . بديهي ان المدينة تعرضت للنهب وكان بين المتضررين تجار هنود ورعايا بريطانيون . وعجز ثوينى عن طرد النجديين فدفع لهم ١٠ آلاف ريال ، ثم ٦ آلاف اخرى .

واخذ الانجليز يساعدون ثوينى وبعثوا باحتجاج الى الرياض . ووافق عبدالله الذى امسك بزمام الحكم فى الامارة على اطلاق سراح جميع الاسرى الذين تم القبض عليهم فى صور واعادة الاملاك ولكنه لم يقل شيئا بخصوص التعويضات (٦) .

واوصى بيلى السلطات البريطانية فى الهند بمساعدة سلطان مسقط (٧) . وسرعان ما ارسل اليه المدافع . وتلقى امير الرياض فى الوقت ذاته انذارا يطالب بتقديم الاعتذار والوعد بعدم تكرار مثل هذه الاعمال فى المستقبل ودفع التعويضات . والا فالانجليز يهددون بتدمير قلاع الامير على الساحل والاستيلاء على سفنه . وانتقل الانجليز من التهديدات الى الافعال . فقد اطلقت السفينة الحربية البريطانية «هاى فلاير» النار على عجمان التى كانت مرفأ للنجديين على ساحل عمان فى الخليج . وفى بداية شباط (فبراير) ١٨٦٦ دمرت القلعة فى القطيف وعدة سفن صغيرة فى مرفئها . وبعد محاولة فاشلة لانزال قوات فى الدمام اطلقت «هاى فلاير» النار عليها . ثم قصفت السفينة البريطانية صور المتمردة ودمرت فيها زوارق السكان . الا ان السلطان ثوينى قتل آنذاك على يد ابنه سالم ، الامر الذى خلق المصاعب امام المناورات السياسية للانجليز (٨) .

وبدأت مراسلات بين عبدالله والمعتد البريطاني بيلى . وسعى امير الرياض الى الحيلولة دون تدهور العلاقات والى تأمين اعتراف الانجليز به حاكما للامارة وابعاد الدسائس البريطانية المحتملة وتوجيهها صوب سعود ، ولذلك اتفق عن طريق ممثله مع بيلى بشأن التسوية (٩) .

كان عبد الله يدرك ان الانجليز ضده ، ولذا لعب لعبة الضعيف فحاول ان يجد فى الاتراك عوناً له على الانجليز ، الامر الذى كلفه غالبا فى آخر المطاف .

وفى تلك الاثناء استجمع سعود القوات فى مناطق جنوب نجد للصراع فى سبيل عرش الرياض . وعزز عبدالله عاصمته (١٠) ، وعبأ سكان المدن وبدو نجد ووجههم ضد اخيه المتمرد . وبعد ان اصيب سعود بجراح ثخينة فر من ساحة المعركة الى بدو آل مرة ، ونكل امير الرياض بانصار سعود وعاقب القبائل والواحات المتمردة فى وادى الدواسر .

وبعد ان عالج سعود جراحه تحدى اخاه عبدالله من جديد بعد اربعة اعوام .

استمرار النزاعات . فى اواخر الستينات نشب فى البحرين من جديد صراع داخل الاسرة الحاكمة ، واسفر هذا الصراع عن فرار احد افراد العائلة والتجائه الى السعوديين وشن غزوات متبادلة وتدخل الانجليز الذين لم يسمحوا لامير الرياض هذه المرة ايضا بان ييسط نفوذه على البحرين (١١) .

اجتاحت القلاقل عمان بعد مقتل ثوينى . وكان عهد حكم سالم الذى قتل اباه قصيرا . فقد انتهى بتمرد جديد قام به عزان بن قيس من الرستاق الذى استولى على مسقط فى الاول من تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٦٨ . وقد رفع راية الاباضية المحافظة . واستمرت السلطة الجديدة فى ساحل عمان حتى عام ١٨٧١ فقط ، ولكنها ظلت باقية عشرات السنين فى المناطق الداخلية .

وفى عام ١٨٦٩ قتل امير البريمى تركى آل سديرى فى الشارجة عندما حاول التدخل فى النزاع المحلى . وفى حزيران (يونيو) ١٨٦٩ تمكنت القبائل المحلية بعد الاتفاق مع عزان من الاستيلاء على البريمى بمساعدته . وقد رفعت تلك القبائل رايات الاباضية وتوجهت ضد الوهابيين الذين تعتبرهم زنادقة (١٢) .

فى تلك الاونة اعترف الانجليز بان البريمى جزء من الدولة السعودية ، وقد كتب المندوب البريطانى فى مسقط المقدم ديزبرو فى آب (اغسطس) ١٨٦٩ يقول : «ان عزان ، حسب تقديراتى ، قد استولى على البريمى ظلما وعدوانا وبلا مبرر . ولا بد له من توقيع انتقام الوهابيين» (١٣) .

لم يكف عزان بالاستيلاء على البريمى ، بل رفض دفع الاتاة للرياض . وكان رد فعل عبد الله حازما ، اذ كتب الى عزان بانه ينوى التوجه نحوه بعشرين الف محارب (١٤) . وفى تلك الاثناء

كان سعود قد تحالف مع عزان . ونشأ ضد عبدالله ائتلاف بين سلطان مسقط الجديد - عزان وحاكم ابو ظبي وسعود بن فيصل . وحاول شقيق عبدالله ان يقوم بهجوم على قطر ، ولكنه هزم والتجأ الى البحرين . وظهر تصور بان الانجليز يقفون من وراء ظهر سعود ، وربما لم يكونوا يقدمون له مساعدة مباشرة ، ولكنهم على اية حال ، لم يعترضوا على اعماله (١٥) .

استمرار نهوض جبل شمر . في اذار (مارس) ١٨٦٨ انتحر حاكم حائل طلال آل رشيد ، الامر الذي يعتبر من اندر الظواهر في شبه الجزيرة . و اشار المؤرخ ابن عيسى الى ذلك الحادث قائلا ان طلال اختل عقله فانتحر (١٦) .

ومع ان امير حائل حكم المنطقة الواسعة بصورة مستقلة تقريبا ، فانه لم يعلن القطيعة ابدا مع فيصل وابنه عبدالله ، بل كان يقدم لهما مساعدة عسكرية كبيرة . وكانت وفاة طلال قد هيأت الامكانية لاعادة النظر في العلاقات المتبادلة بين حكام حائل والرياض ، وخصوصا عندما توفي بعد عام واحد عبيد بن علي عم طلال العجوز والمتنفذ في الوقت ذاته . كان عبيد من انصار التعاون مع آل سعود . وقد نعته بلغريف بالتعصب (١٧) اما في رأى آن بلانت فهو «البطل الرئيسى لتقاليد شمر» (١٨) ، وهو شجاع كريم سخي . وكان تقدير دوتى لعبيد رفيعا ايضا ، حيث اعتبره عقيدا وشاعرا تتناقل الالسن قصائده (١٩) .

كان طلال قد فرض سيطرته على خيبر وتيماء الواقعتين شمالي المدينة المنورة . ومع ان حاكم حائل كان يتصرف بصورة مستقلة بقدر كاف ، فمن المشكوك فيه انه كان يستطيع ان يجمع قوات شديدة البأس تكفى لتحدى حاكم الرياض .

كان امير شمر يتميز بالتسامح الدينى وقد سمح للشيعنة واليهود بان يقيموا ويتاجروا في حائل ، وكان يجبى منهم ضرائب غير قليلة (٢٠) . وكتب بلغريف «ان التجار من البصرة ومشهد علي وواسط والباعة من المدينة وحتى من اليمن كانوا يستقرون في سوق حائل الجديد بعد عروض مغرية . وقدم طلال لبعضهم مقاولات رسمية ، وهي نافعة لهم وله بقدر واحد . ومنح البعض الآخر امتيازات وتسهيلات ، وكان يولى الجميع الدعم والحماية» (٢١) . وبالاموال الواردة الى بيت المال من الغزوات

والحج والتجارة انجز طلال قلعة بارزان وانشأ حول العاصمة سورا ارتفاعه سبعة امتار ، وبنى حى السوق ومسجدا كبيرا وكثيرا من الآبار العامة (٢٢) .

واذا كان الدين فى جبل شمر لا يلعب دور القوة التوحيدية الاولى فان التعاضد القبلى ادى هذه الوظيفة . وحتى الحضر فى حائل والمدن الاخرى كانوا يعتبرون انفسهم من ابناء شمر بالدرجة الاولى ، و«موحدين» بالدرجة الثانية . لقد لعب البدو فى اماره جبل شمر دورا اكبر مما فى اماره الرياض . الا ان سيطرة قبيلة واحدة كانت تؤمن استقرار السلطة فى منطقة محدودة ، ولكنها كانت عائقا امام توسيع اماره جبل شمر ، لانها تثير حفيظة القبائل القوية الاخرى .

كان طلال يدفع الاتاوات لفیصل وعبدالله بشكل خيول وحصة من الضريبة المفروضة فى حائل على الحجاج الفرس وحصة من الغنائم . الا ان نفوذ الرياض فى اواسط الجزيرة اخذ يضعف ، بينما صارت الراية الخضراء الحمراء لاماره جبل شمر ترتفع . وكتب فالين بحق منذ عهد عبدالله بن الرشيد : «اننى اعتبر اهالى شمر دون ريب من انشط القبائل فى الجزيرة حاليا . وان سلطتهم ونفوذهم يشملان جيرانهم اكثر فاكثر من عام لآخر» (٢٣) .

وورث متعب شقيق طلال العرش . وبعد عشرة شهور قتل متعب فى مجلسه بيد بندر الابن البكر اطلال ، وصار بندر اميرا ، ولكنه ظهر لديه منافس خطر هو عمه محمد بن عبدالله آل رشيد ، الابن الثالث لمؤسس السلالة . وقد قتل هذا بندر فى عام ١٨٧٤ ، عارفا بان الثأر ينتظره واخذ الامير الجديد يلاحق اخوان بندر الخمسة فانتقم من اربعة منهم . واعترفت جبل شمر بالامير الجديد . ومع ان حكمه بدأ بالانتقام الدموى من منافسيه ، فانه دشن عهدا من الازدهار والسلطة القوية فى الامارة (٢٤) . وكتب فيليبى يقول «لم تكن الحكومة فعالة ابدا مثلما كانت فى عهده» (٢٥) .

تعتبر كتابات ضارى بن رشيد التى استخدمها ويندير على نطاق واسع اهم مرجع فى تاريخ آل الرشيد منذ وفاة طلال حتى استيلاء محمد على السلطة .

وخلال امد طويل لم تخرج اماره آل الرشيد عن اطار جبل شمر

واقرب الواحات اليها - خيبر وتيماء والجوف . وقدر الرحالة عدد السكان الخاضعين لحائل فى اواخر القرن التاسع عشر (قبل ضمها الى نجد) ما بين ٢٠ و ٥٠ الف نسمة من الحضر ، ومثل هذا العدد تقريبا من البدو . وتفيد معطيات اخرى ان عدد البدو يمكن ان يكون ضعف عدد الحضر (٢٦) .

كان حاكم جبل شمر يلقب بالامير او شيخ المشايخ ، اى انه ظل زعيما لاتحاد قبائل شمر التى يعتمد عليها (٢٧) . وكان آل رشيد يحكمون بمساعدة اقربائهم ومغارز خدمهم الشخصيين . وفى ظل الصراع المتواصل تقريبا داخل الاسرة الحاكمة وعدم الثقة بالاقرباء كان الامير يعتمد اكثر فاكثر على مغارز الخدم والمرزقة المصريين والأتراك . وتفيد معطيات فالين ان مفرزة الامير تتكون من ٢٠٠ شخص تقريبا (٢٨) ، ويذكر رحالة الستينات - الثمانينات من القرن التاسع عشر الرقم ٥٠٠-٦٠٠ . ومنهم ٢٠ شخصا يشكلون حرس الامير الاكثر اخلاصا ، وحوالى ٢٠٠ شخص كانوا فى حائل اما الباقون فيرافقون التجار والحجاج وجماعات جباة الزكاة ويؤدون حسب الدور الخدمة فى الحاميات فى المناطق الملحقة بالامارة .

وكان بين افراد مغارز الامير محاربون بسطاء و«رجال شيخ المشايخ» . وهذا المصطلح يطلق على كبار افراد المفرزة وكذلك على المقربين الى الامير ، وعموما على كل من يتمتع بثقة خاصة لديه . والكثيرون منهم متحدرين من العبيد . وكان «رجال الشيخ» يمثلون كبار الموظفين وقادة مفرزته والقائمين على امور القصر وحكام ممتلكات الامير (٢٩) . وبعد ان تطورت الامارة صاروا يترأسون مختلف اصعدة جهاز ادارة الدولة . واعتبارا من سبعينات وثمانينات القرن التاسع عشر كان بين اكثر المتنفذين فى الامارة ، كما يقول الرحالة ، صاحب المضاييف فى القصر وصاحب بيت المال والكاظم الاول وحامل الراية والجليلس ووزير آل الرشيد (٣٠) .

كان امراء جبل شمر ملتزمين بتقاليد كرم الضيافة التى يرمز اليها القدر النحاسى الضخم الذى يحمله بصعوبة اربعة من الرجال الاشداء . وفى ثمانينات القرن التاسع عشر كان القصر يستضيف يوميا ١٥٠-٢٠٠ شخص ، ويصل هذا العدد الى ١٠٠٠ شخص اثناء مرور القوافل الكبيرة (٣١) .

ومع تطور نظام الدولة طبقت الشريعة باتساع متزايد ، مما ضيق على العرف والعادات . وهذا امر اشار اليه الرحالة (٣٢) . وكان من بين العقوبات قطع الايدى ومصادرة الاموال على العصيان ضد الامير والسجن على السرقة وعلى رفض دفع الزكاة ، والجلد بالعصى على الضرب والاصابة بجراح ، والغرامات المالية (٣٣) . واستخدم مقر آل رشيد السابق بمثابة سجن ، الا ان الرهائن والسجناء الذين يتمتعون بمنزلة رفيعة صاروا منذ ستينات القرن التاسع عشر يحتجزون في مضيف القصر الجديد (٣٤) . وكان لحائل عمالها المباشرون فى الاطراف ، ولكنهم فى الغالب كانوا من الوجهاء المحليين . وظل شيوخ جميع قبائل البدو يحكمونها كلسابق . ونظرا لقلة التزام واخلاص الهجانة البدو اخذ آل الرشيد يعتمدون اكثر فاكثرا على سكان المدن والواحات وعلى حرس من العبيد . وقدر غوارمانى الحد الاقصى لعساكر جبل شمر فى ستينات القرن التاسع عشر بـ ٦,٥ آلاف شخص ، واذا اضيف اليها محاربو المناطق الملحقة يبلغ هذا العدد ٩ آلاف (٣٥) . ويقول نولدى ان الامراء فى التسعينات كان بوسعهم ان يقدموا ٤٠ الف محارب (٣٦) . وتمتطي العساكر ظهور الجمال ، بينما يركب الوجهاء الخيل . والاسلحة هى الرماح والسيوف ، واحيانا السلاح النارى . وكانت هناك عدة مدافع (٣٧) .

وفى عهد محمد الرشيد (١٨٧١-١٨٩٧) بلغت اماره جبل شمر اوج ازدهارها . ففي السبعينات تم الاستيلاء على العال وقرى فى وادى السرحان حتى حدود وادى حوارن . وكان استمرار ركود اماره الرياض والتحالف مع الباب العالى قد مكنا محمد من بسط نفوذه على مدن القصيم فى البدايه ، ثم فى عام ١٨٨٤ على نجد كلها . وما كان بإمكان اماره جبل شمر ان تنهض الا بتضعضع اماره الرياض ذات الكثافة السكانية الاكبر والتي تمتلك قدرة عسكرية كبيرة دون شك . كانت حروب السعوديين فى مطلع القرن وغزوات المصريين الفتاكة والنزاع القبلى المضمنى كل ذلك شمل جبل شمر بقدر اقل من اواسط نجد . واستفاد عدد من الحكام المحنكين من هذه الظروف الملائمة بالنسبة لهم فجعلوا من حائل لوقت قصير سيده لواسط الجزيرة كلها .

سقوط اماره الرياض . استيلاء الاتراك على الاحساء . فى خريف

١٨٧٠ عقد سعود بن فيصل من جديد تحالفا مع قبائل العجمان وآل مرة ودخل العقير واستولى على الاحساء . وارسل عبدالله اخاه محمد على رأس عساكر لاستعادة السيطرة على الاحساء وعاصمته الهفوف . وفى كانون الاول (ديسمبر) ١٨٧٠ نشبت فى البادية معركة الجودة . وفى اللحظة الحاسمة التزم بدو سبيع الذين جاءوا مع محمد جانب سعود فحقق هذا نصرا تاما . وتم القبض على محمد بن فيصل وزج به فى سجن القطيف حيث ظل حتى اطلق الاتراك سراحه . واعلن الاقليم الشرقى كله البيعة لسعود (٣٨) . ثم ارتبك امير الرياض عبدالله بن فيصل الذى يواجه الهزيمة وادى ذلك الى ازدياد تدهور الاوضاع فى امارته . وفى تلك الاثناء حل جفاف مرعب ، مما ادى ، طبعا ، الى قلاقل وفتن جديدة (٣٩) .

وفى نيسان - آيار (ابريل - مايو) ١٨٧١ تحرك سعود ، اخيرا ، نحو الرياض .

وعندما دخل العاصمة نهبت عساكره البدوية هذه المدينة وسكانها لدرجة جعلت الجميع يحقدون عليه . واندلعت النزاعات القبلية فى نجد من جديد . واشار ابن عيسى الى ان السلطة الجديدة كانت ضعيفة فشموشت الامور لدرجة اكبر وتدهورت الاوضاع بسبب المجاعة وارتفاع الاسعار ، وصار الناس يأكلون جيف الحمير ، ومات الكثيرون بسبب الجوع ، وترك الناس يواجهون الموت والمصائب والنهب والقتل والفساد (٤٠) . ولكنه ينبغي ، كما يرى ر . ويندير ، ان نأخذ بعين الاعتبار ان ابن عيسى كان من انصار عبدالله .

وواجهت الامارة المحتضرة خطرا جديدا . فان الى بغداد مدحت باشا ، وهو حاكم عثماني كبير معروف ومن انصار السياسة النشطة ، قد قرر الاستفادة من الموقف وازافة اراضى جديدة الى الامبراطورية العثمانية التى تقلصت اراضيها . واسفرت اعماله فى شرقى الجزيرة العربية عن نشوب ازمة دبلوماسية بين لندن والاستانة (٤١) .

وادعى مدحت باشا بان السيادة العثمانية تشمل نجد وبان عبدالله بن فيصل كان مجرد قائم مقام للاتراك . وكانت الحجة للتدخل هى «استعادة النظام ونجدة القائم مقام المذكور ضد شقيقه العاصي» (٤٢) .

وارسل الاتراك اسطولهم لغزو الاحساء ، وقد حصلوا من حاكم الكويت على حوالى ٣٠٠ سفينة اخرى . وكانت القوات النظامية مكونة من اربعة آلاف شخص ، من المشاة بالاساس ، وكذلك الفرسان والمدفعية . وارسلت قبائل المنتفق عن طريق البر حوالى ثلاثة آلاف شخص . وفى آيار (مايو) ١٨٧١ نزلت القوات التركية فى رأس تنورة وزحفت نحو القطيف دون ان تواجه مقاومة . وبعد معارك غير كبيرة احتل الاتراك المدن والقلاع الرئيسية فى الاقليم كله . وهكذا فقد الاخوان السعوديان الاقليم الشرقى بسبب العداء العائلى . وفى الوقت ذاته تقريبا فقد السعوديون واحات البريمي . وفى خريف العام ذاته زار مدحت باشا الاحساء ، ولكن محاولة غزو الرياض اخفقت .

واستمر الصراع داخل اسرة آل سعود . وظهر عبدالله فى الاراضى المحتلة من قبل الاتراك ، فى حين طرد سعود من الرياض مؤقتا ، وقد طرده عمه عبد الله بن تركى شقيق الامير فيصل . واستجمع سعود حلفاءه من العجمان وآل مرة واخذ يهاجم الحاميات التركية ، ولكن دون جدوى (٤٣) .

وفى اواخر ١٨٧١ ومطلع عام ١٨٧٢ عاد عبدالله من جديد الى الرياض ، الا ان الوضع فى الامارة كان ميئوسا منه . فالمجاعة مستمرة ، وكان الناس ، كما يقول ابن عيسى ، يأكلون الجيف والجلود واوراق الشجر (٤٤) . وحاول الاخوان ان يتعاونوا ضد الاتراك ، ولكن دون جدوى .

وفى آذار (مارس) ١٨٧٣ عاد سعود مجددا الى الرياض . واستمرت المعارك سجالا بين الاخوين ، واقتربت ، كالعادة ، بالتهب والقتل . ونظرا لان عبدالله بن فيصل اخذ يعتمد على الاتراك زاد الانجليز من دعمهم لسعود حتى انهم ارسلوا اغذية له (٤٥) .

وفى منتصف السبعينات ظهر على المسرح عبد الرحمن الابن الرابع للامير فيصل . كان قد ولد فى عام ١٨٥٠ على وجه التقريب . ويعتقد ر . ويندير ان عبد الرحمن يؤيد سعود ، بينما يتصور فيليبى ان عبد الرحمن التزم جانب عبدالله (٤٦) . ولا يستبعد انه كان متذبذبا فى اختيار احد الاخوين الاكبر .

وفى آذار (مارس) ١٨٧٤ تخلى الاتراك عن حكم الاحساء مباشرة لكى يقللوا النفقات . وصار زعيم بنى خالد وهو من آل عريعر اداة

لتنفيذ سياستهم . وكان ناصر باشا بن سعدون والى البصرة التى تشكلت اداريا من جديد وزعيم قبيلة المنتفق قد عينه متصرفا . وتم سحب القوات النظامية التركية واستبدلت بمفرزة شرطة عثمانية .

وتزعم عبد الرحمن بن فيصل فى عام ١٨٧٤ انتفاضة على الاتراك فى الاقليم الشرقى . والتحق به قسم من قبائل العجمان وآل مرة وبدو آخرون . وانزل ناصر باشا بن سعدون فى العقير ٢٤٠٠ جندي من القوات النظامية مزودين باربعة مدافع فتم دحر الثائرين . والتجأ عبد الرحمن الى سعود فى الرياض . وتعرضت الهفوف لنهب من الغالبيين استمر ثلاثة ايام . وترك ناصر باشا الاقليم فى شباط (فبراير) ١٨٧٥ بعد ان عين متصرفا فيه (٤٧).

وكانت سلطة سعود فى نجد متضععة . وفى اواخر عهده لم تعد جبل شمر والقصيم تخضعان له . وصارت الرياض مركزا لامارة صغيرة مقطعة الاشلاء فى اواسط الجزيرة . وانقطعت العائدات المنتظمة . ولما كان سعود يعتمد على بدو العجمان فان سكان الواحات والمدن لم يكونوا راضين عنه .

وفى كانون الثانى (يناير) ١٨٧٥ توفى سعود ، وربما كانت وفاته بسبب الجدري ، مع ان معطيات اخرى تفيد بانـه مات مسموما (٤٨) .

وصار عبد الرحمن بن فيصل حاكما للرياض : وبدأ يخوض القتال ضد اشقائه الاكبر وضد حلفائهم من البدو . وفى تلك الاثناء ثار عليه فى العاصمة نفسها اولاد اخيه سعود الذى حل محله . وتوجه عبد الرحمن ، خوفا من ابناء اخيه ، الى عبد الله ، فقرر الاخوة الثلاثة تشكيل جبهة موحدة بزعامة عبد الله ضد اولاد سعود الذين تمكنوا من السيطرة على الرياض بضعة اسابيع . ثم فر اولاد سعود واحتفظوا بحلفائهم فى اقليم الخرج وفى الاحساء .

ودخل عبد الله الرياض من جديد . وخلال السنوات الاحدى عشر التى مرت على وفاة فيصل تبدلت السلطة فى المدينة للمرة الثامنة (٤٩) .

واورد فيلبى الجدول الزمنى التالى للحكم فى الرياض بعد وفاة فيصل (٥٠) :

- عبدالله بن فيصل من ٢ ديسمبر ١٨٦٥ حتى ٩ ابريل ١٨٧١ .
- سعود بن فيصل من ١٠ ابريل ١٨٧١ حتى ١٥ اغسطس ١٨٧١ .
- عبدالله بن تركي من ١٥ اغسطس ١٨٧١ حتى ١٥ اكتوبر ١٨٧١ .
- عبدالله بن فيصل من ١٥ اكتوبر ١٨٧١ حتى ١٥ يناير ١٨٧٣ .
- سعود بن فيصل من ١٥ يناير ١٨٧٣ حتى ١٦ يناير ١٨٧٥ .
- عبد الرحمن بن فيصل من ٢٦ يناير ١٨٧٥ حتى ٢٨ يناير ١٨٧٦ .
- اولاد سعود بن فيصل من ٢٨ يناير ١٨٧٦ حتى ٣١ مارس ١٨٧٦ .
- عبدالله بن فيصل من ٣١ مارس ١٨٧٦

وفي عام ١٨٧٨ قامت انتفاضة جديدة ضد الاتراك في الاقليم الشرقي ، ولكنها هزمت بعد انتصاراتها الاولى (٥١) .

وكتب دوتي يقول : «الرياض وضواحيها هي كل ما تبقى من ممتلكات الوهابيين . وغدت الرياض امانة صغيرة ضعيفة مثل بريدة . ان المدينة الكبيرة المبنية من الطوف والتي كانت في السابق عاصمة لاواسط الجزيرة غارقة في الصمت . ومضيفها الفسيح مهجور (قصر الامير الوهابي المبنى من الطوف اوسع من القصر في حائل) . خدم ابن سعود يغادرون نجمه الذاوي ويتوجهون . . . الى العمل عند محمد بن رشيد . ولا يخضع احد من البدو للوهابيين . القرى الكبيرة في شرقي نجد طردت جامعي الزكاة التابعين لعبد الله» (٥٢) .

وفي عام ١٨٨٠ ولد لعبد الرحمن الذي هو الابن الرابع لفيصل ، طفل سماه عبد العزيز ، وامه سارة ابنة احمد السديري (٥٣) . وعندما بلغ عبد العزيز السابعة من العمر عهدوا بتربيته الى معلم هو قاضي الرياض . . الا ان الصبي كان مهتما باللعب بالسيف والبنديقية اكثر من اهتمامه بالدروس الدينية ، مع انه تمكن من قراءة القرآن في الحادية عشرة من العمر . وفي الرابعة عشرة عندما كان ابوه يقيم في المهجر في الكويت بدأ عبد العزيز ، ملك العربية السعودية فيما بعد ، دراسة الفقه والعلوم الدينية الاخرى بصورة جادة تحت اشراف عبدالله بن عبد اللطيف الذي اصبح فيما بعد القاضي الاول للرياض ومفتيها . كانت الشهور التي قضتها اسرة عبد الرحمن في التجوال بين قبائل آل مرة قد هيأت للامير الشاب امكانية التطلع في العادات والاخلاق البدوية واساليب وحيثيات العمليات العربية للبدو الرحل . واخذ عبد العزيز ، بصحبة ابيه

او لوحده ، يتردد على مجالس شيخ الكويت ويطلع على تشابكات السياسة فى الجزيرة العربية وعلى قرارات الامير القضائية . وكانت الحالة المادية لعبد الرحمن بن فيصل فى المهجر مزرية حتى انه لم يتمكن من تزويج ابنه الاكبر الا بمعونة الاصدقاء . وفى هذه الظروف اختمرت احلام عبد العزيز الطموح الى استعادة كرامة العائلة وممتلكات آل سعود وامجادهم وثرواتهم (٥٤) .

نهوض اماره جبل شمر بعد سقوط اماره السعوديين . اخذت الواحات والمناطق وقبائل البدو تنفصل الواحدة تلو الاخرى عن الرياض وتنتقل طوعا او كرها الى حماية آل الرشيد وتدفع الاتاوات لهم . ولم توفق محاولات عبدالله لابعاد قبضة آل الرشيد الثقيلة . وكان محمد بن الرشيد يلعب مع امير الرياض لعبة القط والفار . واشتد التنافس فى القصيم بين الاسرة الحاكمة سابقا فى بريدة آل عليان وبين الحكام الجدد من آل مهنا الذين ايدتهم حائل . وكان توزيع القوى على النحو التالى : الرياض تتعاون مع عنيزة وتعتمد على تأييد عتيبة ومطير ، اما حائل فهى تؤيد بريدة وتتعاون مع قبيلة حرب (٥٥) .

وفى تلك الاثناء حاول اولاد سعود بن فيصل ان يتحدوا ابن الرشيد . فجمعوا قسما من قبائل عتيبة وبعض سكان واحات العارض ، ولكنهم اندحروا (٥٦) . الا ان اماره عبد الله الصغيرة كانت تتمزق مزقا (٥٧) .

وفى تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٨٧ استولى اولاد سعود بن فيصل على الرياض والعارض واسروا امير الرياض . وتمكن الامير قبل ذلك بقليل من طلب النجدة من حاكم حائل الذى لم يتردد فى قطف الثمرة الناضجة . وكان طلب عبدالله حجة بيد محمد بن الرشيد «لانتقذه» ولبسط سلطة آل الرشيد على كل ممتلكاته . وتوجه ابن الرشيد الى الرياض على رأس قوات كبيرة ، ففر اولاد سعود الى الخرج . واطلق امير جبل شمر سراح عبدالله من السجن ونقله الى العاصمة حائل «حفاظا على سلامته» ، وترك واحدا من اكثر القادة العسكريين اخلاصا ، وهو سالم آل سبهان الذى لا يعرف الرحمة اميرا للرياض (٥٨) .

كان عبد العزيز الذى صار فيما بعد ملكا للعربية السعودية يرى ان هناك ثلاثة اسباب لسقوط عمه الامير عبدالله : «لم يستقم الامر

عبدالله لثلاثئة اسباب : «اولا - وجود ابناء اخيه فى الخرج يحرضون القبائل عليه ، ثانيا - مناصرته لآل عليان امراء القصيم السابقين على اعدائهم آل مهنا الامراء الحاكمين فى ذاك الحين . وكان هذا جهلا من عبدالله فى وقت ضعفه ليس من الحكمة ان يتحزب لبني مغلوب فيضعضع نفوذه فى القصيم . ثالثا - ظهور محمد بن الرشيد الطامع بحكمهم نجد . فقد تحالف مع آل ابي الخيل . . . وكانوا كلهم يدا واحدة على ابن سعود» (٥٩) .
وانتهى وجود دولة السعوديين الثانية رسميا فى اواخر عام

١٨٨٧ .

وفى آب (اغسطس) من العام التالى تمكن حاكم الرياض سالم آل سبهان من اللحاق باولاد سعود . ويتضح النطاق الفعلى لقواتهم من عدد افراد فصيل شمر الذى طاردهم - ٣٥ شخصا لا غير . وقد قتل ثلاثة من اولاد سعود ، وقتل الرابع قبل ذلك ، اما الخامس فقد فر الى حائل املا فى العفو من ابن الرشيد . وتقول رواية اخرى ان الابن الاخير لسعود كان اسيرا فخريا فى حائل (٦٠) .

وفى شتاء ١٨٨٩/١٨٩٠ قام الشمريون بغزوة وصلوا فيها الى الحجاز . وعندما عاد ابن الرشيد الى العاصمة علم بان ضيفه الاسير عبدالله بن فيصل مريض وان حالته خطيرة . فسمح له بالعودة الى الرياض مع اخيه عبد الرحمن بن فيصل . عاد عبدالله الى عاصمته الخالية وتوفى فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٨٨٩ (٦١) . وقبل ٢٤ عاما من ذلك ، عندما تربع على العرش ، كانت امارة الرياض تمتد من جبل شمر حتى المناطق الداخلية فى عمان ، ومن الخليج حتى الحجاز وحدود اليمن . وعندما توفى وهو تابع لحائل لم يكن عنده غير منطقة العارض وسيادة اسمية على الوشم وسدير . وكان ثلث تلك الفترة تقريبا هاربا مشردا ، بينما كان آخرون يحكمون الدولة المتداعية . ونعته فيلبى بالحاكم «غير القدير» . الا ان مجمل الملابسات غير الملازمة ، وليس الضعف الشخصى ، هى الاسباب الحاسمة فى هلاك دولة السعوديين (٦٢) .

وصار عبد الرحمن اميرا للرياض . وقد اصطدم فى عام ١٨٩٠ مع حاكمها الشمرى سالم واعلن الانتفاضة عليه . وحاصرت قوات ابن الرشيد الرياض ، الا ان المدينة كانت آنذاك قد تعززت كثيرا . واخلق الحصار ، فعقد الطرفان هدنة . وظل عبد الرحمن حاكما

للرياض وبعض المناطق المجاورة لها ولكن بصفة تابع فى الواقع
لمحمد بن الرشيد (٦٣) .

وفى تلك الاثناء فضل اهالى عنيزة وبريدة فى القصيم التحالف
مع عبد الرحمن ضد جبل شمر بعد ان تأكد لهم ان سلطة الشمريين
تتقوى عليهم وان الضرائب تزداد والامتيازات تنقلص .
وفى اواخر عام ١٨٩٠ تشكل ائتلاف واسع نسبيا للعناصر

المناهضة لآل الرشيد من بين اهالى القصيم وانصار عبد الرحمن
وقبائل مطير . وجمع ابن الرشيد كل قواته ، بما فيها وحدات من
قبائل شمر وكذلك من حلفائها من بدو الظفير وحرب والمنفق .

وكتب أ . موسيل يقول ان ابن الرشيد «بعث ٤٠ رسولا على
اربعين ناقة موشحة بستائر سوداء الى مختلف افخاذ وبطون شمر
التي خيمت انذاك بين كربلاء والبصرة . وكان يراد للمستائر السوداء
ان تبين بوضوح لجميع رعايا الامير محمد بان عارا اسود سيلطخهم
اذا لم يهبوا فورا لنجدة زعيمهم» (٦٤) . ونشبت معركة كبيرة هى
وقعة المليدة فى القصيم اقتتلت فيها من الجانبين آلاف عديدة من
المحاربين . وربما كانت تلك اكبر معركة منذ الغزو المصرى .

واستمر القتال سجالا طوال شهر . الا ان عبد الرحمن ، لسبب
ما ، لم يهب لنجدة حلفائه وتركهم وحيدين فى مواجهة الشمريين .
واخيرا ، فى كانون الثانى (يناير) ١٨٩١ لجأ محمد بن الرشيد الى
الحيلة متظاهرا بالانسحاب ، ولكنه نظم بعد ذلك هجوما مضادا
مباغتاً . جمع بضعة آلاف من الجمال فى الوسط وحركها الى الامام
بعد ان اطلق النار على القصيميين . وتقدم المشاة من وراء الجمال .
وسدد الهجأة والفرسان فى وقت واحد ضربات من الجناحين . وفقد
القصيميون ما بين ٦٠٠ و ١٢٠٠ شخص ، وفر الكثيرون الى الكويت
والعراق والشام (٦٥) . وعزز ابن رشيد لعشر سنين تقريبا مواقعه
كحاكم بلا منازع لاوراسط الجزيرة .

وعندما بلغ عبد الرحمن بن فيصل نبأ هزيمة حلفائه فر الى
البادية . وبعد تجوال طويل استقرت عائلته فى عام ١٨٩٣ فى
الكويت تحت حماية شيخها محمد الصباح . وخصصت الحكومة
العثمانية لعبد الرحمن معاشا متواضعا بستين ليرة ذهبيّة
شهريا (٦٦) . وانتقلت السلطة كاملة فى الرياض الى عجلان وهو

من عبيد محمد بن الرشيد . وتم تقسيم نجد الى عدة مناطق خاضعة لجبل شمر .

وغدا حاكم جبل شمر سيدا لبلد مستنزف مخرب ، ومحرور من منفذ الى البحر . وكتب جميع الرحالة الذين زاروا اواسط الجزيرة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر عن البساتين الذابلة والنخيل الميتة والابار التى اجتاحتها الرمال والقرى الموات . ولم تكن الدولة الخائرة بقادرة على حماية الواحات من البدو . ونزح آلاف الناس الى العراق او الى سواحل الخليج .

وتضررت التجارة . وكتب امين الريحانى عن الاحوال العvisية التى واجهها التجار آنذاك (٦٧) . واسفرت مخاطر نقل البضائع بطرق القوافل التجارية عن تذبذب فى الاسعار ونسقت العلائق الاقتصادية وادت الى افلاس الصناع والتجار .

وفى العقد الاخير من القرن التاسع عشر لم تحل دون الانتفاضات الا القوة العسكرية لدى محمد بن الرشيد . ولكن القلاقل بدأت على اثر وفاته ، واخذها بوحشية الامير الجديد لجبل شمر عبد العزيز بن الرشيد . فقد نهب المدن والقرى بلا رحمة وخنقها بالغرانات الحربية . ولكنه تورط فى صراع مع الكويت فعجز عن السيطرة على النزاعات القبلية الاقطاعية التى تصاعدت فى كل مكان وعن الحيلولة دون نهب البدو للواحات . وقال موسيل : «كان الحضر جميعا يحنون الى سلطة قوية تحمى اموالهم وحياتهم» (٦٨) .

آل الرشيد فى اواخر القرن التاسع عشر . يقول المؤرخ خالد الفرج : «اعتمد محمد العبدالله الرشيد فى تشييد امارته على سياسة «فرق تسد» واتكأ على قوة عشيرته «شمر» وهى من كبريات القبائل المشهورة بالفروسية والشجاعة . . . وخص الاتراك بكثير من المجاملة والمسايرة لان طرفى طريق الحجاج الذى يقوم آل رشيد على ايراده ، وهما العراق والحرمان ، فى ايديهم ، حتى انه اعترف بخضوعه للسلطان عبد الحميد . وتعددت منه الرسل والهدايا الى «الباب العالى» وحاز النياشين الرفيعة وقبل المعتمدين المندوبين من الحكومة العثمانية . فصارت تعتمد عليه ، وتعدده من اكبر المخلصين لها ، وتراه الوسيلة الفعالة التى قضت على آل سعود ومحت امارتهم من الوجود ، فاغدقوا عليه العطاء وخصوه بالساعات والتعصيد . وكان على الاجمال رجل وقته ، الى ان توفى سنة ١٣١٥هـ

(١٨٩٧ م) مريضاً بذات الجنب ، عقيماً لم يخلف ولداً (٦٩) .
وورث الحكم عنه ابن اخته عبد العزيز المتعب الذى كان فى
حوالى الثلاثين من العمر ، وكان محارباً بأسلاً ومغامراً ، ينساق
للغضب والاستعجال فى اتخاذ القرارات . كان يجيد استخدام السيف
أكثر مما يجيد السياسة ، وكان يفعل قبل أن يفكر (٧٠) . وفى
غضون عشر سنين بدد القسم الأكبر من الارث الذى خلفه له خاله
الجبار .

ولم تستطع إمارة جبل شمر أن تلعب دور الدولة الموحدة
المستقرة . فهى تستند الى قبيلة شمر ، ولذا اعتبرها سائر السكان
أداة سيطرة اتحاد قبلى واحد على القبائل الأخرى وليس سلطة لعموم
الجزيرة العربية تتجاوز الأطر القبلية . وفى أواخر القرن التاسع
عشر وقعت إمارة جبل شمر فى تبعية متزايدة للإمبراطورية العثمانية
فغدت وسيلة لنقل النفوذ العثماني الى شبه الجزيرة ، ولذلك فإن
تدمير واستياء أعراب الجزيرة من حكم الأتراك شمالاً أمراء حائل
أيضاً . وكانت بريطانيا قد عززت مواقعها على ساحل الخليج وأعاقت
محاولات الأتراك لاستعادة مواقعهم ، وأخذت تؤيد منافسى إمارة جبل
شمر . وأخيراً ، بعد وفاة محمد الرشيد ، لم تتمكن العائلة الحاكمة
الفاريقة فى النزاعات من ترشيح أى حاكم بمنزلة عبد العزيز بن عبد
الرحمن مؤسس العربية السعودية المرتقب . وكانت كل هذه العوامل
التي أضيفت إليها فيما بعد المشاركة فى الحرب العالمية الأولى الى
جانب الأتراك قد أسفرت عن غروب وسقوط إمارة جبل شمر القوية .

تنافس الدول على حوض الخليج فى مطلع القرن العشرين
والوضع فى الجزيرة العربية . لقد بين تاريخ الدولتين السعوديتين
الأولى والثانية بوضوح مدى تشابك مصير الجزيرة العربية مع التطور
العام للوضع فى هذه المنطقة من العالم . فإن مستقبل الكيانات
الدولية فى الجزيرة حدده ليس فقط تناسب القوى فى البداية ،
وأحياناً ليس تناسب القوى فيها بالذات ، بل وكذلك القرارات
المتخذة فى لندن واسطنبول والقاهرة وبرلين وكذلك بطرسبورغ
وباريس .

كانت أقوى دولة استعمارية فى أواخر القرن التاسع عشر -
بريطانيا - قد استولت ، بعد شق قناة السويس فى ١٨٦٩ ، على
مصر عام ١٨٨٢ وسعت الى السيطرة المباشرة او غير المباشرة على

الجزيرة العربية كلها . وكانت الامبراطورية الاستعمارية البريطانية في الهند قد شددت اليها بشكل اوثق سلطنة عمان وامارات ساحل الصلح البحرى وقطر والبحرين . وكان قد جاء دور الكويت التى كانت رسميا تحت السيادة العثمانية .

ومع ان الخليج العربى كان من الناحية النظرية ممرا مائيا دوليا ، فقد غدا عمليا بحيرة بريطانية . كانت المواصلات البرقية الامبراطورية تمر عبر الخليج العربى الى الهند والى اوستراليا . وكانت حصّة بريطانيا العظمى والهند البريطانية فى صادرات بلدان الخليج ٤٠٪ ، وفى وارداتها ٦٣٪ . وكانت جميع البضائع تقريبا تصدر وتستورد من هناك على سفن تحمل العلم البريطانى (٧١) وكان الاسطول البحرى الحربى البريطانى يسيطر على الخليج والمحيط الهندى .

وكان المندوب البريطانى السامى فى منطقة الخليج يسمى «بالمعتمد السياسى لصاحب الجلالة ملك بريطانيا فى الخليج الفارسى والقنصل العام فى فارس وخوزستان» . وكان على حد تعبير نائب الملك فى الهند كيرزون «ملكا غير متوج للخليج الفارسى» (٧٢) . وعلى الساحل العربى من الخليج كان لبريطانيا معتمدون سياسيون خاضعون لها فى مسقط والكويت والبحرين . وكان المعتمد السياسى مسؤولا امام الحكومة البريطانية الهندية ، وكان كقنصل عام ، خاضعا للسفير البريطانى فى طهران .

لقد طرحت السياسة البريطانية فى الخليج العربى مهمة مزدوجة هى السيطرة على طرق المواصلات البحرية وغيرها من الطرق المؤدية الى الهند واحلال «الوئام البريطانى» («Pax Britannica» فى الخليج والذى يقصد به سيادة المصالح التجارية البريطانية وعدم السماح بدخول دول اخرى اليه .

وفى اواخر القرن التاسع عشر شمل تناحر الدول الكبرى وتوسعها الاستعمارى حوض الخليج . وكانت الامبراطورية الالمانية تبحث بشكل مسعور خصوصا عن مكان لها تحت الشمس . وكانت حكومة غليوم الثانى التى اعلنت بانها «حامية الاسلام» قد اخذت تتقارب اكثر فاكتر مع حكومة السلطان العثمانى وتعزز بنشاط مواقعها الاقتصادية والسياسية والعسكرية فى الامبراطورية العثمانية . واعتبارا من اواخر الثمانينات ظهرت فكرة مد سكة حديد

اسطنبول - بغداد واوصلها الى الخليج بغية التغلغل الى هذه المنطقة بدون الطرق البحرية التي تسيطر عليها بريطانيا . وفي عام ١٨٩٩ حصل الالمان على امتياز اولى لمد السكة المذكورة مع ايصالها الى الكويت . وظهر خطر نشوء خط استراتيجى مباشر بين برلين والخليج ، الامر الذى يهدد السيطرة البريطانية فى الخليج والجزيرة العربية والشرق الاوسط كله . وفى غرب الجزيرة كان الالمان يساعدون الاتراك فى مد سكة حديد الحجاز التى تربط بين دمشق والمدينة المنورة .

وكانت بريطانيا فى اواخر القرن التاسع عشر تعتبر روسيا القيصرية التى تحالفت مع فرنسا منافسا خطرا ايضا فى هذه المنطقة . ونوقش فى بطرسبورغ بصورة جدية مشروع الحصول على امتياز لمد سكة حديدية عبر القفقاس الى الخليج . وليس من قبيل الصدفة ان السلطات البريطانية فى الهند اعتبرت زيارات السفن الحربية الروسية والفرنسية الى موانئ الخليج «عرض العلم» ومحاولاتها للعثور على مكان لمحطة فحمية تحديا مباشرا (٧٣) . واشتدت التناقضات الانكلوفرنسية بشأن مسقط التى حاول الفرنسيون فى ١٨٩٩ ان ينشئوا محطة للفحم فيها . وفى عام ١٩٠٣ قامت السفن الروسية والفرنسية بزيارة مشتركة لموانئ الخليج والجزيرة العربية (٧٤) .

وفى اواخر القرن التاسع عشر بدأ تغير فى السياسة البريطانية التقليدية ازاء الامبراطورية العثمانية . ففى السابق كانت لندن تسعى الى الحفاظ على وحدة تلك الامبراطورية مؤملة فى اخضاعها بالكامل واستخدامها فى الصراع ضد روسيا . الا ان مركز ثقل المصالح البريطانية فى شرقى البحر الابيض المتوسط وفى الشرق الاوسط انتقل تدريجيا من القسطنطينية الى مصر وبلاد الرافدين . ولعب ازدياد النفوذ الالمانى فى الامبراطورية العثمانية دورا غير ضئيل فى تغيير تلك السياسة . واخذ سولزبرى الذى صار من جديد رئيسا لوزراء بريطانيا عام ١٨٩٥ يتحدث عن اقتسام الامبراطورية العثمانية . وكان المقصود ان تكون الجزيرة العربية وحوض دجلة والفرات ، شأن مصر والسودان ، منطقة للسيطرة البريطانية . وفى سياق هذه الخطط كانت لندن تعتبر الاحتفاظ بالسيطرة على الخليج من اكبر المهمات .

وفي عام ١٩٠٣ زار اسطول بريطاني يحمل علم كيرزون نائب الملك في الهند موالي الخليج العربي . وكان ذلك اكبر اسطول اجنبي في مياه الخليج منذ عهد العمارة البرتغالية البوكيركا عام ١٥١٥ . ودافع كيرزون في خطبه عن المواقع البريطانية بالاسلوب الملازم للعصر الاستعماري عصر «نير الانسان الابيض» .

ومع ان ركود الامبراطورية العثمانية استمر في اواخر القرن التاسع عشر الا ان مواقعها في الجزيرة العربية تعززت بعض الشيء بسبب تقوية وتحسين الجيش وتطور المواصلات . وكان الاتراك ، بعد الانجليز ، اهم عامل في شؤون الجزيرة .

وكان افتتاح قناة السويس قد غير بصورة جوهرية مكانة الاتراك في غربي الجزيرة . فلئن كانت تصل الى هنا في السابق طواير من الجنود المتعبين بعد مسير طويل عبر البادية وكان مجرد ارسالهم يكلف غالبا ، فقد صار الجنود يرسلون بحرا عن طريق القناة . وفي سبعينات القرن التاسع عشر استطاع الاتراك ان يحتلوا اليمن وعسير من جديد (٧٥) .

بديهى ان والى جدة وشريف مكة كانا في نزاع دائم فيما بينهما . وكانت العلاقات بين والى جدة وحاكم مكة عون الذى تسلم هذا المنصب اعتبارا من عام ١٨٨٢ قد تآزمت في الثمانينات . فقد بدأ والى باداء اعمال عامة فحسن تزويد جدة بالمياه واعاد بناء ترعة زبيدة وانشأ مبنى جديدا لحاكمية المدينة كما انشأ عنابر ومباني للخبراء . وسمح والى العثماني لعون باداء وظائفه القضائية ولكن فقط في المسائل المرتبطة بعشيرته والبدو والاشخاص من غير الاتراك والذين ولدوا في مكة نفسها . واخذ الاتراك يشرفون على طرق القوافل ويقومون بحملات على قبيلة حرب بدون موافقة شريف مكة . وتقلصت عائدات عون من الرسوم الجمركية . وعند ذاك انتقل شريف مكة وقسم من ابرز افراد عائلته مع الوجهاء والتجار ومفتي الشافعيين والعلماء الآخرين الى المدينة المنورة احتجاجا على تصرفات والى حتى تمكنوا من اقناع السلطان بتنحيته (٧٦) .

وكان والى الجديد جمال باشا اكثر حذرا من سابقه . وازداد نفوذ شريف مكة بعض الشيء ، الا ان الصدام بينه وبين الباشا استمر . وتردى موقف العرب من الاتراك . وبعد وفاة عون في عام ١٩٠٥ تسلم منصب الشرافة علي صنيعة الاتراك . وفي تلك

الفترة اندلعت ثورة تركيا الفتاة ، فنحى جمال باشا بوصفه من انصار النظام السابق . وبعد فترة قصيرة من الغموض في الموقف عين لمنصب الشرافة في خريف ١٩٠٨ الزعيم المرتقب للانتفاضة العربية الحسين بن علي الذي كان اسيرا فغريا في الاستانة منذ عام ١٨٩٣ مع اولاده الثلاثة علي وعبدالله وفيصل (٧٧) .

وفي عام ١٩٠٨ نفسه افتتحت في الحجاز سكة حديد معان - المدينة المنورة . وادى مد هذه السكة الى تحسين كبير في المواقع العسكرية الاستراتيجية للاتراك في غربي الجزيرة .

الا ان الامبراطورية العثمانية في شرقي الجزيرة لم تتمكن من تعزيز مواقعها بسبب مقاومة بريطانيا وبسبب تصاعد الميول المعادية للاتراك عند عرب الجزيرة .

وسعت الكويت التي غدت في اواخر القرن التاسع عشر مرفأ رئيسيا لباطن الجزيرة ومركزا تجاريا مزدهرا الى التقليل من تبعيتها للاتراك ، وهي تبعية شكلية اصلا . واخذ شيخ الكويت محمد الصباح يتدخل على نحو نشيط في الصراع داخل الجزيرة ، حيث كانت امانة جبل شمر التابعة للعثمانيين تشكل خطرا فعليا عليه ، ولذلك وفر الحماية لعبد الرحمن بن فيصل الذي يدعى باحقية في عرش الرياض . واحتفظ هذا الامير الذي فر من الرياض بعلاقات مع واحات وقبائل اواسط الجزيرة فشجع الميول المناهضة للشمريين هناك . وفي عام ١٨٩٦ قتل محمد الصباح واخوه بيد اخيه الثالث مبارك الذي غدا شيخا للمدينة ولقبائل اطرافها (٧٨) . وصار هذا الحاكم الجديد للكويت يمارس طوال عشرين عاما تقريبا تأثيرا غير قليل على الاحداث في الجزيرة .

وكانت قبيلة المنتفق القوية وعلى رأسها فخذ آل سعدون في جنوب العراق عاملا له شأنه في السياسة في اواسط الجزيرة . الا ان المنتفق كانوا يعتبرون البادية مجرد جهة لغزوات النهب .

وفي تلك الاثناء كانت الحكومة البريطانية مشغولة البال بالخطط الالمانية التركية لاستعادة الكويت ووضعها تحت السيطرة العثمانية المباشرة وتأمين منفذ سكة حديد برلين بغداد الى البحر (٧٩) . وحاول الاتراك مرارا الاستيلاء على الكويت ونفى الشيخ مبارك الى اسطنبول . وكان مبارك يدرك ذلك فيطلب الحماية من الانجليز الذين كان في الماضي يتحاشى التعاون الوثيق معهم .

وفرضوا عليه معاهدة سرية غدت الكويت بموجبها محمية بريطانية .
ووقعت في ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٩ . والتزم الشيخ ، فيما
التزم ، بعدم تقديم امتيازات لاحد ما عدا بريطانيا (٨٠) . وعادت
بخفي حنين البعثة الالمانية التي وصلت الى الكويت في العام التالي
للحصول على حق اىصال سكة حديد بغداد الى الكويت (٨١) .
وصار الانجليز يشعرون بالقلق من اماره حائل بوصفها تابعة
مخلصة للاتراك . وكان السعى الى اضعاف هذه الامارة احدى
مهمات السياسة البريطانية في شبه الجزيرة ، مع ان ذلك لم يكن
يستبعد في بعض الحالات استخدام الانجليز اماره حائل لاغراضهم .
واخذوا يؤيدون خصوم الاتراك وجبل شمر في الجزيرة العربية ،
الامر الذى كان له تأثير هام ، ان لم نقل حاسم ، على نجاح عودة آل
سعود الى السلطة في نجد .

بعث امارة الرياض في مطلع القرن العشرين (١٩٠٢-١٩١٤)

في مطلع القرن العشرين نشأ في الجزيرة العربية من جديد وضع ملائم لبعث امارة الرياض . فان سلطة حائل كانت قائمة على القوة العسكرية لقبيلة شمر وحلفائها وعلى مساعدة الاتراك ، ولكن تأييدها من جانب سكان نجد كان يتقلص باطراد . واخذت بريطانيا تتدخل في شؤون الجزيرة سعيا منها الى اضعاف اعتماد الامارات المحلية فيها على الباب العالي واخضاعها للحماية البريطانية في آخر المطاف . وغدت عائلة آل سعود التي استقرت في الكويت مركز جذب طبيعيا لجميع النجديين المتذمرين من حكم آل رشيد .

استيلاء الامير الشاب عبد العزيز على الرياض والسيطرة على المناطق المجاورة لها . في خريف عام ١٩٠٠ تزعم عبد الرحمن بن فيصل غزوة موقعة على احد بطون قحطان ووصل الى مناطق السدير . وبعد ان عاد الى الكويت اخذ يستعد لحملات عسكرية اكثر جديّة واتساعا على نجد (١) .

واستنادا الى السياسة العامة الموجهة ضد آل رشيد تحالف شيخ الكويت مع زعيم المنتفق سعدون باشا ابو عجمي (٢) . وفي اواخر ١٩٠٠ - اوائل ١٩٠١ جمع حاكم الكويت عساكره المكونة من البدو والحضر وتوجه الى القصيم . والتحق به عبد الرحمن وبعض الامراء السعوديين الآخرين الذين انضوت تحت رايتهم اقسام من قبائل العجمان ومطير (٣) . وكتب آداموف قنصل روسيا في البصرة : «حقق الجيش الكويتي نصرا وتمكن من الاستيلاء على الرياض نفسها ، ومن هناك تحرك مبارك ظافرا نحو حائل عاصمة آل رشيد» (٤) . ويبدو ان مبارك بالغ في التباهي بانتصاراته الاولى . وتمكن عبد العزيز بن متعب من الحصول على اسلحة اضافية من

الاتراك فعباً كل قواته (٥) فدحر الكويتيين وحلفاءهم في شباط - آذار (فبراير - مارس) ١٩٠١ على مقربة من واحة الصريف (٦) . وفي تلك الاثناء حاول عبد العزيز بن عبد الرحمن ان يستولى على حصن المسمك في عاصمة اجداده الرياض . وتمكن فصيله مع الكويتيين من اقتحام المدينة ، الا ان الحاكم الشمري عجلان بن محمد تمركز في الحصن وتحمل الحصار . وعندما علم عبد العزيز بنتيجة معركة الصريف عجل في العودة الى الكويت .

كانت بريطانيا تشجع اعمال الكويت وحلفائها بصورة مباشرة او غير مباشرة . ويعتقد قنصل روسي في البصرة آداموف ان بريطانيا التي لها مصلحة في اضعاف جبل شمر كانت تتف من وراء مبارك . واشترى شيخ الكويت كميات كبيرة من بنادق «مارتينى» الانجليزية في البحرين (٧) .

واخذت السلطات العثمانية في العراق تحشد قواتها العسكرية لتسدد ضربة الى الكويت بحجة «احلال النظام» ، ولكنها لم تتجراً على القيام بذلك خشية الصدام مع الانجليز (٨) . وبنتيجة صراع معقد تمكنت الدبلوماسية العثمانية بدعم من برلين من الاتفاق في ايلول (سبتمبر) ١٩٠١ على الاحتفاظ بالوضع القائم في الكويت ودرء احتلال القوات البريطانية لهذه المشيخة (٩) . وكانت روسيا في بداية القرن العشرين ، كما جاء في توجيه سري الى آداموف قنصلها في البصرة ، تسعى كذلك الى الابقاء على الوضع القائم في حوض الخليج كما هو (١٠) .

وبعد الاتفاق مع الاتراك هجم حاكم حائل على المشيخة التي اصابها الضعف بعد هزيمة الصريف . وحاصر ابن متعب موقع الجهراء على ساحل الخليج . الا ان الانجليز بعثوا سفينة حربية اطلقت النار على معسكر الشمريين . واخذت الاسلحة الانجليزية تتوارد على المشيخة ، بينما احتج القائم بالاعمال البريطاني في اسطنبول في لقاء مع السلطان على اعمال الشمريين . وبعد اسبوعين او ثلاثة من حصار ميثوس منه عاد ابن متعب الى حائل بامر من السلطان .

واقنع عبد العزيز اباه بان يسمح له مرة اخرى ان يجرب حظهُ في الرياض . فتوجه في حملة على رأس اربعين محارباً فقط كما تفيد اغلبية المراجع ، وكان بينهم شقيقه محمد بن عبد الرحمن وابن عمه عبدالله بن جلوى . وفي تشرين الثاني - كانون الاول

(نوفمبر - ديسمبر) ١٩٠١ توجهوا عبر الاحساء نحو الجنوب الى الربع الخالى . وفى الطريق اجتذب هذا الفصيل محاربين من قبائل العجمان وآل مرة وسبيع والسهول . وتحول الفصيل الى قوات من عدة آلاف شخص . واخذ عبد العزيز يغزو بهذه القوات القبائل المعادية وقرى نجد التى ظلت موالية لآل الرشيد .

وعندما علم ابن متعب باعماله بعث برسائل الى السلطات العثمانية فى بغداد والبصرة طالبا ابعاد عبد العزيز عن الاحساء . وعلم البدو بذلك فتركوا الامير الشاب خشية بطش الاتراك . فظل عبد العزيز مع جماعته الاولى التى لا يتجاوز عددها الاربعين شخصا . وادرك عبد الرحمن ان اعمال ابنه تتحول الى مغامرة خطيرة فطلب منه العودة الى الكويت والتخلى عن خطة الاستيلاء على الرياض . وارغمت السلطات التركية فى الاحساء فصيله على ترك المنطقة . وقضى عبد العزيز شهر رمضان فى واحة يبرين (١١) .

يبدو ان ابن متعب لم يعر اهتماما كبيرا لهجمات الامير الشاب ، مما افاد هذا الاخير . وقرر عبد العزيز المجازفة مرة اخرى رغم ممانعة ابيه . وفى ١٢ كانون الثانى (يناير) ١٩٠٢ ظهر فى اطراف عاصمة السعوديين السابقة .

وبعد ان اخذ قسطا من الراحة فى واحة صغيرة ترك فيها جماعة من افراده مع الابل والخيول واوصاهم بالفرار اذا لم يعد فى الفجر . اما الباقون فتوجهوا الى اسوار المدينة . وفى ظلام الليل اجتاز المحاربون وعلى رأسهم عبد العزيز سور المدينة فى منطقة «الشمسية» ، وتركوا احتياطا عشرة رجال وتوجهوا الى صاحبهم جويسر الذى كان يعيش قرب منزل الحاكم الشمري عجلان بن محمد . كان عجلان متزوجا من احدى نساء الرياض وكان يعودها نهارا ، ويفضل قضاء الليل مع الحامية التى يوجد فيها زهاء ٨٠ شخصا فى حصن المسمك . اطعم جويسر عبد العزيز ورجاله ثم تسللوا الى منزل زوجة عجلان . لم يجدوا عجلان فيه ، ولكنهم حبسوا زوجته وامرأة اخرى فى احدى الغرف . واستدعى عبد العزيز شقيقه محمد مع الرجال العشرة الذين تركهم وراء سور المدينة . واجتمع الفصيل كله فى منزل عجلان . وقالت زوجته انه يمكن ان يأتى اليها بعد صلاة الصبح فقررروا الانتظار . وبلغ التوتر اوجه عند هذه الجماعة الصغيرة التى كانت تشعر تماما بالصبغة المغامرة لاعمالها .

حل صباح ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٢ . واخيرا ظهر من بوابة الحصن عجلان مع حرس غير كبير . فاطلق عبد العزيز ورجاله النار وهرعوا الى عجلان . حاول الشمرليون الهرب . وفي اللحظة الاخيرة فقط قتل عبدالله بن جلوى عجلان عند باب الحصن .
لقد استفاد رجال عبد العزيز من عنصر المباغتة فانتقموا من الحامية الشمرية الموجودة في الحصن ، ثم قتلوا من كان في المدينة . واطلق سراح عشرين من الشمريين بكلمة شرف بعد ان اعتصموا في البرج . وكانت خسائر الامير الشاب هي قتيلا وثلاثة جرحى لا غير . وكان انتصاره الرائع غير المتوقع قد خلب ألباب اهالى نجد بالطبع ، وفيما بعد صار الشعراء والرواة يتغنون به في روايات وقصائد كثيرة (١٢) .

واقسم اهل الرياض يمين الولاء لعبد العزيز الذى بدأ على الفور بتحسين اسوار المدينة . وعندما علم ابن متعب بنبأ سقوط الرياض استولى عليه الهياج واقسم بان يثأر من اعدائه التقليديين . ونزح من الفرات الاوسط الى حائل ليجمع العساكر ويتوجه الى الرياض ، الا ان الاستعدادات استغرقت عدة اشهر (١٣) .

وفى تلك الاثناء وصلت امدادات الى عبد العزيز من الكويت - سبعون مقاتلا وعلى رأسهم اخوه سعد . وتمكن الامير الشاب من القيام بحملة على الجنوب واحتلال الخرج قبل وصول الشمريين .
وفى آيار (مايو) ١٩٠٢ وصل ابوه عبد الرحمن الى الرياض . ويجمع المؤرخون العرب والاوربيون على ان الاب والابن كانا يفهما بعضهما البعض جيدا ، وكانت الثقة بينهما قد ساعدت على استقرار الدولة الجديدة . فالامير العجوز كان ، كما يبدو ، يقدر قابليات ابنه تقديرا واقعيا . وعندما جمع عبد العزيز العلماء ووجهاء الرياض وطالبهم باداء يمين الولاء لابييه رفض عبد الرحمن هذا التكريم واعلن ان ابنه هو الامير ، وصار عبد العزيز حاكما للرياض وهو فى الثانية والعشرين . وظل ابوه مستشارا رئيسيا له واماما للمسلمين (١٤) .

اثبتت جسارة عبد العزيز فى الاستيلاء على الرياض انه يتحلى بخصال الشيخ والامير : البسالة والمهارة فى القيادة والموقفية . واثبتت الاحداث اللاحقة ان عبد العزيز كان شخصية بارزة دون ريب بمقاييس الجزيرة العربية . وهذا ما اجمع عليه كل المؤرخين

والرحالة من عرب واوربيين . فقد تمرس عبد العزيز فى المنفى وتضلع فى اخلاق البدو وعاداتهم ونقاط ضعفهم وقوتهم ، وكان يجيد التحكم فيما عرفه عن البدو . والى جانب ذلك كان يدرك بان عليه ان يعتمد بالاساس على سكان نجد الحضر ، ولذا اولاهم عناية دائمة . وكان يدرك قوة الدين فاقام علاقات طيبة مع علمائه منذ البداية .

جرت العادة فى المطبوعات الاوربية ، والعربية جزئيا ، على تسمية مؤسس الدولة السعودية الحديثة باسم اسرته : ابن سعود . ولذا سوف نستخدم نحن ايضا هذا الاسم فى بعض الاحيان . وقد تركت لنا المستعربة الانجليزية هيرتودا بيل فى كتابها «الحرب العربية» صورة ادبية لعبد العزيز ، مع انها تخص فترة متأخرة من حياته : «يداه نحيفتان باصابع رفيقة ، وتلك سمة منتشرة بين القبائل العربية الاصيلة . ورغم طول قامته وعرض منكبيه يدل مظهره على التعب ، ولكنه تعب اقرب الى الارتقاء العربى وليس صفة فردية . انه تعب شعب عريق منطو على نفسه عباً قواه الحيوية لدرجة كبيرة ولم يغترف من الطاقة الا اقلها خارج حدود بلاده الوعرة . ان حركاته المتأنية وابتسامته الطيبة البطيئة وعينييه اللتين تتطلعان بفطنة من تحت حاجبين ثقيلين - كل ذلك يضيف الى خصاله جاذبية ، ولا يتفق مع المفهوم الغربى للشخصية النشيطة . ومع ذلك تشير الاحاديث عنه الى تحمله البدنى النادر حتى فى الجزيرة العربية ذات الظروف الصعبة» (١٥) . ونحن نترك «الارتقاء العربى» و«الانطواء على النفس» على ذمة المستعربة الملتزمة بالمدرسة الاستعمارية البريطانية ، ولكننا نشيد بتقييمها الرفيع عموما لشخصية امير الرياض .

انتهم عبد العزيز فرصة الهدوء التى هياها الشمرىون فسدد ضربات فى جميع الاتجاهات محاولا ان يؤمن حول الرياض على الاقل الحد الادنى من الاراضى لتكون لديه القدرة العسكرية والاقتصادية اللازمة لمواصلة الحرب .

وخلال تلك الفترة اثارت الاحداث فى الجزيرة العربية اهتمام لندن وبرلين وبطرسبورغ فضلا عن اسطنبول . ومارست الدبلوماسية الالمانية ضغطا على السلطان العثمانى بغية توفير منفذ امين لسكة حديد بغداد الى الخليج . وكان حاكم حائل الذى حاول

استعادة السيطرة على جنوب نجد واثقا من الدعم التركي . الا ان بريطانيا كانت من وراء ظهر خصومه الكويتيين ، والسعوديين في التطبيق العملي (١٦) .

وفى تموز - آب (يوليو - اغسطس) ١٩٠٢ تمكن امير شمر من مهاجمة الرياض وقام في الطريق بغزوات على القبائل والواحات المعادية له . وتدل هجماته على واحات الوشم والمحمل والقصيم على ان سكان هذه المناطق كانوا ضده (١٧) .

بدأ ابن سعود يجمع المتطوعين من سكان مدن العارض وبدو الدواسر وآل مرة . ولم يتمكن الشمريون من الاستيلاء على العاصمة الرياض رأسا لانها صارت جيدة التحصين . ولذا فضل ابن متعب عدم اقتحام المدينة وراح يقوم بحملات حولها وخصوصا على الخرج . واستمرت الصدامات والمناوشات بين الطرفين في ايلول (سبتمبر) حتى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٢ ، الا ان الوباء الذي تفشى بين الشمريين حسم الامر لصالح عبد العزيز . واضطر ابن متعب على الانسحاب نحو الشمال (١٨) .

وبعد ان عاد ابن متعب من حملته الفاشلة على الرياض قام بغزوات جديدة . وظل كالسابق يعتبر حاكم الكويت مبارك عدوه الرئيسي فقرر ان يسدد الضربة اليه . وفى هذه المرة هب عبد العزيز مع عدة آلاف من رجاله لنجدة الكويتيين في كانون الثاني - شباط (يناير - فبراير) ١٩٠٣ . وهجم الكويتيون بقيادة جابر والنجديون بقيادة ابن سعود ومن التحق بهما من قبائل العجمان وآل مرة وسبيع والسهول وبني هاجر وبني خالد والعوازم على بدو مطير الذين كانوا مواليين لآل الرشيد . وقتل في المعارك احد زعماء مطير وهو عماش آل دويش وابنه (١٩) . وكانت نتيجة المعركة غامضة . وهذا ما يستفاد من تقرير قنصل روسيا في البصرة ، حيث كتب عن هزيمة الحلفاء الكويتيين والسعوديين على ايدي مطير (٢٠) .

وفى تلك الفترة زار عبد الرحمن بن فيصل الكويت وتقابل مع قنصل روسيا في بوشهر (٢١) . الا ان تلك الخطوة اتخذت على الاكثر لتهديد الانجليز بغية ارغامهم على تقديم المساعدة لامير الرياض ، وليس لاقامة اتصالات سياسية فعلية مع روسيا . وفى ربيع ١٩٠٣ حاول الشمريون للمرة الاخيرة الاستيلاء على الرياض ،

الا انهم انهزموا امام حاميتها بقيادة عبد الرحمن ابى عبد العزيز . كانت اولى انتصارات عبد العزيز تعنى بعث نواة امارة الرياض بدعم نشيط من الكويتيين ، وبدعم غير مباشر من الانجليز .

التقدم نحو القصيم . فى كانون الثانى (يناير) ١٩٠٣ تقابل ممثل ابن سعود مع المعتمد السياسى البريطانى فى البحرين وطلب منه الحيلولة دون انزال القوات التركية فى حالة استيلاء امير الرياض على الاحساء . ولم يحصل ابن سعود على جواب محدد ، الا ان الادارة الانكلوهندية صارت اكثر فاكثر تراقب نشاط عبد العزيز بعين الرضا (٢٢) . وبتبريك منها تعزز التحالف بين حاكم الكويت مبارك وامير الرياض عبد العزيز وشيخ المنتفق سعدون ضد جبل شمر . وفى آذار (مارس) عقدوا اجتماعا فى الكويت واتفقوا على الاعمال المشتركة (٢٣) .

وفى عام ١٩٠٣ صار الشمريون اكثر فاكثر يفلتون السيطرة على المناطق الواقعة جنوبى القصيم (٢٤) .

وفى تلك الاثناء حدثت تغيرات جديدة فى الوضع الدولى . فقد نشطت بريطانيا هجومها على منافسيها الالمان والروس فى حوض الخليج . وفى تشرين الثانى - كانون الاول (نوفمبر - ديسمبر) ١٩٠٣ زار نائب الملك البريطانى فى الهند كيرزون بلدان الخليج بصحبة عمارة حربية وبفخفة كبيرة . وكانت الحرب النجدية الشمرية جزءا من الصراع بين الدول الكبرى من اجل النفوذ فى حوض الخليج .

وفى مطلع عام ١٩٠٤ زحفت قوات امير الرياض بسرعة نحو القصيم . وفى آذار (مارس) ١٩٠٤ على وجه التقريب اقتحم الفصيل الذى ارسله مدينة عنيزة حيث قتل القائد العسكرى الشمرى فهيد السبهان فى سوقها الكبير (٢٥) .

ولكن المدينة لم تكن قد احتلت بعد . وفى المعركة التى نشبت قرب عنيزة دحر عبد العزيز قوات الشمريين التى قادها ماجد بن حمود (٢٦) . وشارك فى المعركة الى جانب الشمريين بعض اقارب عبد العزيز من ابناء اخوته واحفاد عمه سعود بن فيصل الذى ادعى بعرش الرياض . وعرفهم عبد العزيز ونعتهم «بالعرايف» ، وهذا المصطلح يطلقه البدو عادة على ابلهم التى يستولى عليها العدو ثم تستعاد فى حملة مضادة . وكان ابن سعود ، بما يلزمه من تسامح

تقليدى ، وعلى الاصح مرونة كبيرة وبصيرة نافذة وقدرة على تجريد
الاعداء الذين لم يعودوا خطرين من سلاحهم ، قد عفا عن اقاربه
هؤلاء بلا قيد او شرط واقترح عليهم اما البقاء معه واما الانضمام
الى آل الرشيد . وفى تلك الآونة قبلوا اقتراحه بالتصالح والتعاون
والضيافة ، ولكنهم بعد حين صاروا مجددا من اخطر اعدائه (٢٧) .
وعين ابن سعود احد ابناء الوجهاء اميرا لعنيزة ، وهو عبد
العزیز آل سليم الذى عاد من منفاه فى الكويت مع اتباعه المسلحين .
وبعد سقوط عنيزة بعث اهالى بريدة وفدا الى ابن سعود طالبين
السماح لهم بمهاجمة الحصن فى مدينتهم ، والذى تمركزت فيه
حامية من الشمريين . فان الاستيلاء على عنيزة اقنع اهالى بريدة
بان الاحداث فى تلك اللحظة تتطور لصالح امير الرياض . زد على
ذلك ان آل مهنا (وهم من ابرز بطون بريدة الذين كانوا فى السابق
فى المهجر الكويتي) قد وصلوا الى عنيزة مع فصيل غير كبير ،
منتظرين فرصة استلام مقاليد السلطة مجددا (٢٨) .

وكان الطريق الى بريدة مفتوحا ، فبعث ابن سعود الى المدينة
فصيلا بقيادة صالح آل مهنا ابا الخيل . وفيما بعد ، عندما دخل
عبد العزيز بريدة اقسم له سكانها يمين الولاء . وسلمت الحامية
الشمرية المكونة من ١٥٠ شخصا الحصن فى حيران (يونيو)
١٩٠٤ ، بعد ان وافق ابن سعود على السماح لهم جميعا مع اسلحتهم
بالذهاب الى حائل (٢٩) .

وباحتلال عنيزة وبريدة شملت سلطة ابن سعود المنطقة الممتدة
من الرياض حتى القصيم عبر الوشم . الا ان ابن متعب تمكن من
اقتناع الاتراك بان يقدموا له مساعدة اكبر . وعندما علموا بان عبد
العزیز ضم القصيم الى امارته شعروا بالقلق وبعثوا الى نجد فصيلا
قوامه الفا جندي مع ستة مدافع بقيادة العقيد حسن شكرى (٣٠) .
وفى حيران (يونيو) ١٩٠٤ نصب ابن متعب معسكرا فى
قصبية - فى منتصف الطريق تقريبا بين حائل وبريدة ، وهناك
استقبل الحامية الشمرية التى سمح لها ابن سعود بمغادرة
بريدة (٣١) .

وقبيل العمليات الحربية الحاسمة بعث حسن شكرى برسالة
الى عبد العزيز عندما كان هذا الاخير لا يزال فى عنيزة وحذره من
العواقب الوخيمة للعمليات الحربية ضد حاكم حائل . وكتب العقيد

التركي يقول : «ان جلالة الخليفة الاعظم بلغه اضطراب الفتنة في بلاد نجد ، وان يدا اجنبية محرقة لها . فلهذا السبب بعثني اليكم حقنا للدماء ولمنع التدخل الاجنبى في بلاد المسلمين» . ثم تشكى كاتب الرسالة من تعاون عبد العزيز مع مبارك الذى يتعاون مع بريطانيا الدولة الاجنبية الكافرة . واقترح بلهجة متعالية على عبد العزيز بان يعرض شكواه على السلطات العثمانية وليس على مبارك الذى اعلن العصيان على الخليفة . وأشار شكرى الى انه حليف ليس فقط لآل الرشيد ، بل ولجميع الذين ينشدون المعونة والدعم من الامبراطورية العثمانية ، وقال بانه اذا رغب ابن سعود ايضا فى هذه المساعدة فبوسعه ان يتمتع بنفس النعم التى يتمتع بها آل الرشيد من الحكومة العثمانية (٣٢) .

شعر حاكم الرياض بالقلق ، ولكنه كان متصلبا فى موقفه . ورد على تلك الرسالة بجواب جاء فيه : «وأما الآن ، فلا نقبل لكم نصيحة ولا نعترف لكم بسيادة ، والاحسن انك ترجع من هذا المكان اذا كنت لا تود سفك الدماء . فان تعديت مكانك هذا ، مقبلا الينا ، فلا شك اننا نعاملك معاملة المعتدين علينا . . . فان كنت حرا منصفاً فلا يخفاك ان سبب عدم اطاعتي هو عدم ثقتي بكم . . . وخلاصة القول ان كل العمال الذين رأينا انهم خائنون منافقون . فلا طاعة لكم علينا ، بل نراكم كسائر الدول الاجنبية» . ثم يستشهد عبد العزيز بالوضع فى اليمن والبصرة والحجاز وبسلوك الاتراك هناك لتوضيح اعماله . واعاد الى الازهان نهب سلطات الحجاز للحجاج امام الكعبة . وحذر الامير فى ختام رسالته العقيد بانه اذا تحرك الاتراك نحو المنطقة الخاضعة له فانه سيعاملهم معاملة المعتدين (٣٣) .

وفى صيف ١٩٠٤ حاول ابن سعود الاعتماد على الانجليز فى صراعه ضد الاتراك وصنيعتهم فاقام اتصالات مع الميجر بيرسى كوكس الذى كان قد صار قبل حين معتمدا سياسيا لبريطانيا فى منطقة الخليج . وقبل ذلك كان كوكس مساعدا للمعتمد البريطانى فى الصومال خلال الفترة من ١٨٩٢ حتى ١٩٠١ وقنصلا فى مسقط للفترة من ١٩٠١ حتى ١٩٠٤ . وقدر له ان يلعب دورا هاما فى العلاقات الانكلوسعودية حتى احالته على التقاعد فى ١٩٢٣ . وبإشرافه عمل المستعربون المعروفون ولسن وبيل وفيلبى .

وكانوا يمثلون جيل الموظفين والمخبرين والعسكريين الاستعماريين البريطانيين الذي يعتبر كيبلمنغ اميرا لهم . وكانوا يعتقدون ، بهذا القدر او ذاك من الاخلاص ، بانهم يتحملون «عبء الانسان الابيض» عندما يدافعون عن المصالح الاستعمارية البريطانية ، الا ان الكثيرين منهم كانوا يقومون بدراسات عميقة ، وكانوا ، على سبيل المثال ، مطلعين جيدا على شؤون الجزيرة العربية .

لقد اعتبرت بريطانيا ظهور القوات التركية فى نجد خرقا لاتفاقية ١٩٠١ بشأن المحافظة على الاوضاع القائمة . وبعثت لندن الى الباب العالى احتجاجا شديد اللهجة (٣٤) .

وبعد ان رأى العثمانيون وابن متعب استحالة اقناع عبد العزيز بالرضوخ لمطالبهم قرروا البدء بالعمليات الحربية . كان لدى الاتراك حوالى الفين من المشاة او ثمانى كتائب (١١ كتيبة حسب رواية اخرى) من القوات النظامية وستة مدافع خفيفة وكمية كبيرة من النقود والذخيرة والاسلحة والاغذية . وبالإضافة الى الشمرين التحق بقوات جبل شمر ابناء قبيلتى هتيم وحرب ، وكذلك سكان حائل . وعندما علم عبد العزيز باقتراب العدو قرر مواجهته فى معركة مكشوفة . وخرجت من بريدة نحو الغرب قواته المكونة من ابناء الرياض والقصيم والخرج وقبائل مطير . على هذا النحو نشأ الموقف قبيل معركتى الشنانة والبكيرية اللتين اتسمتا بأهمية كبيرة لتقرير مستقبل اواسط الجزيرة كاهمية استيلاء عبد العزيز على الرياض (٣٥) .

الصراع مع الاتراك والشمرين من اجل القصيم (١٩٠٤-١٩٠٦)
لم تكن موقعة البكيرية معركة فاصلة واحدة بل سلسلة من الصدامات الكبيرة والصغيرة . حدثت الموقعة فى اواسط تموز (يوليو) ١٩٠٤ على وجه التقريب . وتؤكد مراجع الجزيرة ان عدد القتلى من القوات النظامية التركية بلغ ما بين الف والف وخمسمائة شخص ، ومن حائل ٣٠٠-٥٠٠ شخص ، اما القوات السعودية فقد فقدت حوالى ١٠٠٠ شخص . يبدو ان هذه الارقام مبالغ فيها جدا ، وعلى اية حال فهى تشمل الخسائر بسبب وباء الكوليرا والقيظ والامراض . ومن شهود العيان على هذه المعركة المؤرخ ضارى بن فهد بن الرشيد الذى اكد ان متعب فقد مائة محارب ، بينما فقد عبد العزيز مائتين (٣٦) . وهكذا اتسع نطاق الصدامات والصراع

لان احتلال الرياض مثلا ، اسفر عن مقتل بضعة اشخاص لا غير .
وفي معركة البكيرية اصيب عبد العزيز بجراح ثخينة كاد يفقد حياته بسببها (٣٧) .

الا ان المعركة اخذت تتحول لصالح امير الرياض . ويفيد لوريمير بان احد القادة العسكريين الاتراك قتل ، كما قتل عدد كبير من الجنود (٣٨) . واستولى ابن جلوى على كل المدافع التركية واخذ كثيرا من الاسرى . وانهك ابن متعب في نهب قرى القصيم وترك كل مؤنه ومعداته الثقيلة تحت حراسة مفرزة صغيرة عند البكيرية . وعندما سمع باقتراب قوات عبد العزيز التي استلمت امدادات ارسل على الفور قسما من قواته لنجدة مفرزة الحراسة ، ولكن بعد فوات الاوان . فقد استولى عبد العزيز على كل مستودعائه وعلى مدينة البكيرية (٣٩) .

وتوجه ابن متعب الى منطقة الرس والشنانة في القسم الغربي من القصيم ، فوصلها في آب (اغسطس) من العام نفسه مؤملا ، على ما يبدو ، في الحصول على مساعدة الاتراك من الحجاز . الا ان مدينة الرس التي كانت خاضعة له في السابق قررت هذه المرة الانضمام الى امير الرياض ، ولذا نصب الشمريون معسكرهم في الشنانة . ووصل الى نفس المنطقة عبد العزيز مع قواته الاساسية ، الا ان كلا الخصمين لم يدخلوا في قتال ، وربما كان ذلك بسبب حر الصيف . وتفشى وباء الكوليرا في معسكر ابن متعب ، بينما اخذ البدو من كلا الطرفين يتفرقون لانهم لم يجدوا الغنائم المنشودة . وظلت عند ابن متعب وحدات تركية من العراق وافراد من جبل شمر فقط ، كما ظل في المعسكر السعودي ابناء المدن المخلصين لعيد العزيز . وفي اواخر ايلول (سبتمبر) نشبت بين الطرفين معركة قرب الشنانة ، فر الاتراك بنتيجتها مع الشمريين . وفقدوا بضع عشرات من الاشخاص فقط ، لكن السعوديين المنتصرين فازوا بكل اعتدة معسكر العدو وجماله واغنامه واغذيته واسلحته وعدة صناديق مليئة بالنقود الذهبية (٤٠) .

كان انتصار عبد العزيز هاما بخاصة لانه احرز ضد عدة كتائب من القوات التركية النظامية . وتجدر الاشارة كذلك الى ان القوات التركية كانت تعاني من فرار افرادها وانها تقاتل في ظروف غير معروفة لها وغير ملائمة اطلاقا ، في معمعان قيظ فظيع .

الا ان دحر الاتراك بدا لعبد العزيز انتصارا خطرا جدا ، فبعث الى والى البصرة رسالة طلب فيها معونة مالية معتبرا نفسه من اتباع الباب العالي (٤١) ومحاولا ابعاد خطر حملة تركية جديدة . وبعد ان استلمت السلطات العثمانية فى وادى الرافدين تأكيدات عبد العزيز بولائه للسلطان جهزت رغم ذلك قوات من السماوة الى نجد بثلاثة آلاف شخص مع المدفعية بقيادة احمد فيضى باشا من الفيلق الذى يتواجد مقره فى بغداد . وبالمناسبة فان فيضى باشا كان مهتما بثرائه الشخصى اكثر من اهتمامه بنجاح الحملة ، فاشترى بثمان بخس دواب نقل لا تصلح لشيء ولم يتمكن من تأمين نقل المقاتلين والذخيرة الى اعماق الجزيرة فى الوقت اللازم (٤٢) . وقد بدأت حملته فى كانون الثانى (يناير) ١٩٠٥ . وفى مدينة الزبير ، شمالى الكويت ، جرى لقاء بين والى البصرة احمد مخلص باشا وعبد الرحمن ، والد عبد العزيز ، ومبارك شيخ الكويت . واطلع والى البصرة الوفد السعودى بان الباب العالي عين عبد الرحمن قائمقاما وقرر بان القصيم يجب ان تكون منطقة محايدة عازلة بين آل الرشيد وآل سعود . وطلب الاتراك بان يسمح لهم بابقاء حامية فى بريدة واخرى فى عنيزة لضمان حياد القصيم . ولجأ عبد الرحمن الى تكتيك التملص فوعد بطرح هذه الاقتراحات على بساط البحث امام اهالى نجد (٤٣) . الا ان قوات فيضى باشا التركية كانت قد زحفت نحو اواسط نجد ، وقد اسرع لنجدها من المدينة المنورة ٧٥٠ شخصا مع بطارية للمدفعية الميدانية بقيادة صدقى باشا .

كان ابن متعب متألما لازدياد تبعيته للاتراك وسرعان ما اختلف مع احمد فيضى باشا وترك حماته الاقوياء اكثر من اللزوم (٤٤) . وتضعضعت مواقع عبد العزيز بشدة نتيجة لتصرف امير بريدة صالح بن حسن آل مهنا . فقد حاول التخلص من آل الرشيد ومن السعوديين معا وفضل الخضوع والتبعية للامبراطورية العثمانية . وفى نيسان (ابريل) ١٩٠٥ دخل الاتراك بريدة ، وبعد بضعة ايام احتلوا عنيزة . واقامت فى كلتا المدينتين حاميتان تركيتان رفع عليهما العلم العثمانى وتعالى نشيد «الحميدية» وصار اسم السلطان العثمانى يذكر فى صلاة الجمعة (٤٥) .

وقسمت نجد الى وحدات ادارية تبعا للممارسات التركية المعتادة . وصارت بريدة قضاء يحكمه صالح الحسن بن مهنا .

واصبحت بريدة وعنيزة تابعتين اداريا لولاية البصرة . واعتبر جنوب نجد قضاء ايضا ، بينما صار عبد العزيز بمثابة القائمقام ومركزه فى الرياض ، وهو خاضع رسميا للبصرة (٤٦) .

فى تلك اللحظة كان ابن سعود يدرك ان القوة ليست الى جانبه ، وخوفا من الاستفزازات امر فصائله بعدم القيام بأية اعمال عدائية ضد الاتراك . وتقابل امير الرياض ووالده مع فيضى باشا الذى كرر مطلب الابقاء على الحاميتين التركيتين فى بريدة وعنيزة حتى يتم عقد الصلح بين آل الرشيد والسعوديين مع اعتبار القصيم منطقة محايدة عازلة . الا ان عبد العزيز واباه تملصا من قبول هذه الالتزامات (٤٧) .

كان اهتمام الاتراك آنذاك منصبا على الاحداث فى اليمن . فالقوات العثمانية عجزت عن اخماد حركة الامام يحيى بن حميد الدين فى صنعاء . وقرر الاتراك ارسال احمد فىضى باشا من نجد الى اليمن . وسلم قيادة القوات فى القصيم الى صدقى باشا . وفى نيسان (ابريل) ١٩٠٥ على وجه التقريب انتهت المفاوضات بين عبد العزيز والاتراك بلا نتيجة (٤٨) .

لقد واجه الاتراك فى نجد صعوبات كبيرة بسبب قلة الاغذية وكثرة الامراض وشيوع الفرار بين الجنود . ولم تتمكن الحاميات العثمانية فى القصيم من احلال الاستقرار . وكانت الافخاذ والبطون الاقطاعية المحلية تعتقد بانه تهيأت لها فرصة للانفصال عن آل الرشيد وعن السعوديين ، فحاولت احراز مزيد من الاستقلال . وعمل بنشاط كبير بهذا الخصوص حاكم بريدة صالح الحسن بن مهنا . واستأنف الشمريون غزواتهم على القصيم ، وصار اهالى القصيم يتعاطفون من جديد مع السعوديين ، ووصلت المساعدة لابن سعود من جهة غير متوقعة . فقد انضمت اليه مطير مع زعيمها البارز فيصل الدويش الذى تزعم حركة الاخوان فيما بعد (٤٩) .

وفى ١٣ نيسان (ابريل) ١٩٠٦ نشبت فى القصيم معركة بين السعوديين والشمريين شهدها المؤرخ الشمرى ضارى بن فهيد بن الرشيد . وفى الفجر هاجم السعوديون معسكر ابن متعب بعد ان قصفوه بالمدافع اولا . واخذ حاكم حائل يتراكم بين محاربيه بغية احلال النظام . وهرع الى راية آل رشيد التى وقعت فى ايدى محاربين من العارض متوهما انهم من افراده . فناداهم باللهجة

الشميرية فعرفوه و اردوه قتيلا في الحال . وفر الشميريون مذعورين . تلك هي نهاية ابن متعب الذي كان قائدا عسكريا شجاعا ولكنه كان زعيما سياسيا غير موفق . وقد دشن مقتله فترة من عدم الاستقرار في جبل شمر .

ونحنى امير الرياض حاكم بريدة صالح الحسن من منصبه وزج به مع اخوانه في سجن في الرياض . وبعد فترة قتل صالح اثناء محاولة للهروب . وعين لمنصب الامير ابن عمه محمد عبدالله ابا الخيل (٥٠) .

وسرعان ما اتفق عبد العزيز مع امير حائل الجديد متعب بن عبد العزيز بن متعب على اقتسام اواسط الجزيرة . فقد سلمت الى امير حائل الاراضى والقبائل الواقعة شمالى القصيم ، بينما صارت لابن سعود القصيم والاراضى الواقعة جنوبها (٥١) .

الا ان القوات التركية كانت لا تزال موجودة فى القصيم ، علما بانها متعاطفة مع آل رشيد اكثر . ومنح الباب العالى متعب معونة بمبلغ ٢٠٠ ليرة تركية شهريا بالاضافة الى الاغذية ، اما عبد العزيز فقد استلم ٩٠ ليرة تركية فقط شهريا (٥٢) .

وفى تلك الفترة هبت مطير ضد امير الرياض بعد ان حرضها عليه الاتراك . ودحر عبد العزيز هؤلاء البدو وتوجه نحو بريدة التى يربط فيها فصيل تركى (٥٣) .

فى صيف ١٩٠٥ عين سامى باشا الفاروقى قائدا للقوات التركية فى نجد بدلا من صدقى باشا . ولكنه لم يصل الى القصيم على رأس فصيل مشاة من ٥٠٠ شخص الا فى تموز (يوليو) ١٩٠٦ . ويبدو انه التقى بعبد العزيز فى آب (اغسطس) ١٩٠٦ وحاولا الاتفاق . فتظاهر عبد العزيز بالغضب وانصرف بعد ان خاطب سامى باشا بكلمات تعتبر من افطع الاهانات فى الجزيرة العربية : «لولا انك ضيف عندنا لما تركناك تتحرك من مكانك» (٥٤) .

وحل شهر رمضان فصادف ذلك شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٦ وتأجلت العمليات الحربية . واقترح ابن سعود على سامى باشا ان يختار احد امور ثلاثة فاما ان يقرب القوات التركية من الرياض ، مما يجعلها تحت رحمة امير الرياض ، واما ان يخرج القوات والعتاد من نجد واما ان يستعد للمعركة (٥٥) .

كان الاتراك مرابطين فى الجزيرة اكثر من عامين ونصف .

وكانوا يعانون من الجوع ، ويشعرون حتى بنقص التبغ . وتهرأت
بزاتهم ، وكان العرب يشكلون قسما كبيرا من الجنود ، ولكنهم
يكرهون اواسط الجزيرة لدرجة انهم سموها ، بنت الشيطان .
وكان جنود كثيرون يبيعون اسلحتهم واعتدتهم لاهالى القصيم كى
يطعموا انفسهم . وانتشرت الامراض وساد الفرار من الجيش . وفى
هذه الظروف لم يكن امام سامى باشا مخرج غير الجلاء (٥٦) .
وفى اواخر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٦ على وجه التقريب
ترك سامى باشا معسكره المعزز على مقربة من بريدة وتوجه الى
المدينة المنورة . وفى تشرين الثانى (نوفمبر) بدأ بالجلاء ايضا
الاتراك الذين كانوا قد وصلوا من العراق (وعدددهم ٨٠٠ شخص
تقريبا مع مدافعهم) . فقد بلغوا الكويت ونقلوا منها الى البصرة
(٥٧) .

وتفيد تقديرات لوريمير ان حوالى اربعة آلاف وخمسمائة جندى
عثمانى ارسلوا الى اواسط الجزيرة فى ١٩٠٤-١٩٠٥ . ولم يعد
الى المدينة المنورة والعراق الا الف منهم . وفقد الاتراك ٣,٥ آلاف
شخص بسبب الفرار والامراض والمعارك (٥٨) . وكانت تلك هزيمة
ماحقة . ولم يتمكن الاتراك حتى من الاحتفاظ بسيطرة صورية على
القصيم (٥٩) .

ترسيخ سلطة الرياض فى جنوب نجد والقصيم (١٩٠٦-١٩١٢).
فى ٢٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٦ قتل امير حائل الجديد متعب
الرشيد (الذى حكم اقل من عام) مع ثلاثة من اخوانه على ايدى سلطان
وسعود وفيصل ابناء حمود الرشيد . ولم يتخلص من الموت الا
الصبى شقيق الامير متعب الاصغر الذى انقذه خاله من آل سبهان
وارسله الى المدينة المنورة التى كانت تحت السيطرة العثمانية .
وصارت المعونات التى يقدمها الباب العالى الى آل الرشيد تصل الى
المدينة مباشرة ، وكان ذلك دليلا على موقف الاتراك السلبي من
مغتصبى السلطة فى حائل (٦٠) .

اخذت اماره آل الرشيد تزداد ضعفا . وراح شيخ قبيلة
الرولة نورى الشعلان يدعى بامارة الجوف بعد ان وسع ديرة قبيلته
فى اراضى جنوب سورية وشرقى الاردن حاليا . واستفاد السعوديون
من القلاقل فى جبل شمر ليجتذبوا الى القصيم قوافل الحجاج القادمة
من العراق وبلاد فارس . واشتد الصراع بين حكام حائل ، وحدثت

تبدلات سريعة بين الاشخاص الممسكين بزمام الامور فيها . وحل محل سعود بن حمود سعود بن عبد العزيز الرشيد الصغير السن الذي اعاده الى حائل فى عام ١٩٠٩ اخواله من اسرة آل سبهان القوية . وظل ابناء هذه الاسرة يمثلون السلطة الفعلية فى الامارة . وحتى سقوط امارة جبل شمر فى عام ١٩٢١ استلم زمام الحكم فيها حوالى عشرة من الامراء او الاوصياء .

ولم تتمكن امارة جبل شمر التى غدت ضعيفة من الاستفادة من التوقف الموقت فى التوسع السعودى مع ان القصيم كانت مضطربة . وانفصل عن امير الرياض فيصل الدويش وسائر زعماء مطير اذ دخلوا فى تحالف سرى مع حاكم بريدة عبدالله ابا الخيل .

وفى نيسان - ايار (ابريل - مايو) ١٩٠٧ نشبت قرب مدينة المجمعة فى سدير معركة بين مطير وقوات ابن سعود المكونة بالاساس من قبيلة عتيبة . واندحرت مطير . واصيب فيصل الدويش بجراح فى هذه المعركة فطلب الصلح واعرب عن خضوعه لابن سعود . كان كالسابق زعيما لقبيلة قوية ، وفى تلك الازمان العصبية كان ابن سعود بحاجة الى اصدقاء احياء اكثر من حاجته الى اعداء موتى ، ولذا تقبل تأكيدات بالولاء (٦١) .

وفى آب - ايلول (اغسطس - سبتمبر) ١٩٠٧ ظهر سلطان بن حمود فى القصيم حيث انضم اليه اهالى بريدة بزعامه ابي الخيل ، وكذلك قسم من مطير . وعندما علم عبد العزيز بغارة سلطان جمع قوات من قحطان وعتيبة وسبيع والسهول وانضمت اليه قوات من العارض . وخلال المعارك اللاحقة فى ايلول ١٩٠٧ دحر عبد العزيز مطير وزعيمها فيصل من جديد . ونشبت المعركة الحاسمة عند الطرفية على بعد بضع عشرات من الكيلومترات شمالى عنيزة . وقاتل ضد عبد العزيز الشمرىون واهالى بريدة وكذلك مطير . وتعتبر معركة الطرفية من معارك عبد العزيز الحاسمة ضد اعدائه . ويعتبرها المؤرخون السعوديون انتصارا . الا ان امير الرياض لم يتمكن من الاستيلاء على بريدة واكتفى بنهب اطرافها . وبعد واقعة الطرفية انسحب الشمرىون الى حائل ، كما تراجع فيصل الدويش الى البادية (٦٢) .

كانت الكتلة الموالية للسعوديين فى بريدة تتقوى . وعندما اقترب ابن سعود مع قواته من المدينة فى ايار (مايو) ١٩٠٨ فتح

له انصاره بوابتها . والتجأ ابا الخيل والمحاربون المخلصون له الى الحصن . ولكنهم طلبوا الصلح بعد ان ادركوا بان لا امل لهم فى فك الحصار . وارتحل ابا الخيل الى الكويت ومنها الى العراق . وعين احمد بن محمد السديري اميرا لبريدة . وهو يمثل فعذا مرتبطا بالسعوديين من زمان .

وفى تلك الاثناء قتل سلطان بن حمود فى حائل فى كانون الثانى (يناير) ١٩٠٨ . وتزعم الامارة سعود بن حمود (٦٣) . وفى تشرين الاول - تشرين الثانى (اكتوبر - نوفمبر) ١٩٠٨ جرت فى الحجاز احداث هامة . فقد اضطرت الحكومة العثمانية الى استبدال شريف مكة على بن عبد الله بالشريف الحسين بن على . وكان الحسين قد عاد الى مكة وهو يدارى رغبة خفية فى ان يكون ملكا للعرب او ان يغدو ، على اية حال ، عاملا جديا فى سياسة الجزيرة العربية .

وفى عام ١٩٠٨ بدأ جفاف مرعب فى اواسط نجد استمر عدة سنوات كما يقول فيلمبى (٦٤) . ويتعارض قوله هذا مع ما كتبه بعض المؤرخين العرب . وعلى اية حال ، ربما كانت الامطار تهطل فى مناطق اخرى ، اما الجفاف فقد اصاب اواسط نجد بالذات (٦٥) . وتجدر الاشارة الى ان الكثيرين من سكان اواسط الجزيرة كانوا يعتقدون بان الجفاف فى اراضى عبد العزيز كان اشارة مباشرة الى الغضب الالهى عليه . وكتب موسيل ان الكارثة الطبيعية ساعدت على التشوش العام فى اماره الرياض . الا ان امطارا غزيرة سقطت فى جبل شمر فتركت بعض القبائل عبد العزيز ونزحت الى المناطق الواقعة تحت سيطرة اماره حائل (٦٦) .

كان تدهور الزراعة وازدياد المجاعة وخراب البدو كل ذلك شدد من عدم الاستقرار عموما وضعضع سلطة عبد العزيز التى لم تكن قد توطدت بعد . وكان من دلائل عدم الاستقرار فى الامارة التمرد الذى حدث ضد ابن سعود فى منطقة الحريق حيث قتل الامير الهزاني على يد منافسيه من نفس العائلة . وحدث ذلك ، على ما يبدو ، فى شباط - نيسان (فبراير - ابريل) ١٩٠٩ . واجتاحت القلاقل المنطقة كلها ، وتمكن عبد العزيز من اعادة النظام بشق الانفس .

ولم تصبح منزلة امير الرياض فى ممتلكاته نفسها راسخة

تماما . فقد افاده عدم وجود خصوم اقوياء ، الا ان الاتجاهات اللامركزية والنزاعات القبلية الاقطاعية كانت تضعف السلطة المركزية احيانا .

وفي الوقت الذي كان فيه امير الرياض مشغولا بالشؤون الداخلية اخذ يهدده من الغرب الحسين شريف مكة الهام . حرصته الحكومة العثمانية دوما على العمل ضد نجد .

ولم ينس عبد العزيز انه محاط من الغرب والشمال والشرق بممتلكات عثمانية او باتباع للاتراك معادين له . وكانت غزواته الجسورة البعيدة تدل على امكانية بعث الدولة الوهابية في حدودها الشاسعة السابقة ، الامر الذي كان يثير قلق الاتراك وحكام الجزيرة المعتمدين على بريطانيا وعلى الامبراطورية العثمانية سواء بسواء .

وفي عام ١٩١٠ استمرت العمليات الحربية على نطاق غير كبير ضد ابناء عم عبد العزيز الثلاثة الذين سماهم «بالعرايف» . ولم تسفر تلك العمليات عن نتائج جدية ، ولكنها كانت من عناصر عدم الاستقرار الداخلي الناجم عن تباطؤ توسع اماره الرياض وعن الجفاف الفظيع .

وفي اذار - نيسان (مارس - ابريل) ١٩١٠ لبي عبد العزيز دعوة شيخ الكويت لمحاربة المنتفق وقائدهم سعدون باشا الذين كانوا انذاك متحالفين مع الشمريين ضد الكويتيين . وفي حزيران (يونيو) ١٩١٠ دحر سعدون باشا القوات السعودية الكويتية الموحدة فاستولت المنتفق على غنائم كبيرة .

كانت العلاقات المتبادلة بين جبل شمر والسلطات العثمانية في الحجاز تتطور بصورة مضطربة . وفي حزيران ١٩١٠ طرد زامل آل سبهان الفصيل التركي من واحة تيماء . الا ان نوري بن شعلان استولى على الجوف في عام ١٩٠٩ واحتفظ بها لبعض الوقت وضغط بذلك على جبل شمر من الشمال والشمال الشرقي . ويبدو ان نوري بن شعلان وعبد العزيز اقاما تعاونا متينا جدا ضد العدو المشترك .

وحاول الشريف حسين خلال عامين من حكمه ان يشبث ولاءه للباب العالي فقام بحملة على عسير ، في حين كان الاتراك مشغولين باخماد انتفاضة الامام يحيى في اليمن . واستولى الحسين على اقليم

عسير لاجل الاتراك وعاد الى مكة عبر واحات بيشة ورائيه وتربة الواقعة على حدود نجد وفرض سيطرته عليها .
وفى اواخر صيف ١٩١٠ جمع الشريف متطوعة من البدو ودخل نجد . وفى الطريق تمكن بالصدفة ان يأخذ سعد شقيق عبد العزيز اسيرا . ولم يكن الحسين يتوقع حربا كبيرة ، ولم تكن قواته كافية . وصار المدعو خالد بن لؤى وسيطا بين امير الرياض وشريف مكة ، وتعين عليه فيما بعد ان يلعب دورا هاما فى استيلاء النجديين على الحجاز . وبعد المفاوضات وعد عبد العزيز بان يدفع للسultan العثمانى ستة آلاف ريال سنويا ويؤكد سيادة الاتراك رسميا على نجد . وبعد ذلك اطلق سراح سعد وعاد الحسين الى مكة .

وبعد عقد الصلح مع شريف مكة توجه عبد العزيز الى الحريق من جديد لاختام التمرد الذى تزعمه هذه المرة احد «العرايف» . وقد اعدم جميع افراد آل هزان الذين شاركوا فى العصيان . الا ان عبد العزيز عفا عن مدبر التمرد وهو قريبه سعود بن عبدالله بن سعود . وظل هذا يخدمه باخلاص مدى الحياة . وفر باقى «العرايف» الى الحجاز حيث منحهم الشريف حق اللجوء .

فى بداية عام ١٩١١ طلب منه شيخ الكويت مبارك ان يوجه ضربة الى عدوهم المشترك - قبيلة الظفير . ولكنه فى الوقت ذاته اخبر شيخ هذه القبيلة ابن سويط باقترب قوات عبد العزيز وحرم غزوته من عنصر المباغته . الا ان شيخ الظفير هرب بعد ان اخبر ابن سعود بان مبارك يلعب على الحبلين . كان حاكم الكويت يفرق بين قضيتين هما مساعدة آل سعود الضعفاء ضد امارة جبل شمر القوية وبعث امارة الرياض التى تحولت بسرعة الى القوة الرئيسية فى اواسط الجزيرة . ورغم التنافس الشديد ظل مبارك يخاطب ابن سعود كالسابق «يا ولدى» ، وكان عبد العزيز يجيبه «يا ولدى» .

وفى عام ١٩١٠ زار المعتمد السياسى البريطانى الكابتن شكسبير عبد العزيز . وافاد بان امير حائل والامام يحيى وحاكم عسير تكاثبوا من اجل تدبير تمرد على الاتراك . كان عبد العزيز يريد طرد الاتراك من الاحساء وكان ينشد معونة الانجليز فى ذلك . وفى عام ١٩١١ كانت الحكومة العثمانية لا تزال تسمى حاكم حائل

«بأمير نجد» ، بينما كان الانجليز يخاطبون عبد العزيز في مكاتباتهم
«بالشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد الرحمن آل سعود» .

كان الاقليم الشرقي يجلب دوما انتباه حكام الرياض . ولم
يكن الامر يقتصر على اعتبارهم له ضيعة شرعية لهم . فان واحات
الاحساء الغنية والمداخيل الجمركية كان يوسعها ان تعزز الحالة
المالية للسعوديين . وكان امير الرياض بحاجة الى منفذ الى البحر .
وكان الوضع في الاحساء ملائما لخطط عبد العزيز ، لان السكان
المحليين يكرهون الاتراك . الا ان ابن سعود كان يدرك من خبرة
الحياة في الكويت ان الانجليز هم القوة الرئيسية في الخليج .

زار ابن سعود الكويت في عام ١٩١١ واجرى مباحثات ودية
مع المعتمد البريطاني واتفق معه على التعاون . وتخلي حاكم الرياض
عن كل الادعاءات في مسقط وعمان ، وتقرر ان يسيطر على الاحساء
والقطيف وجزيرة دارين ومرفأ العقير وان يحول الانجليز دون
تدخل اية دولة من جهة البحر . ومقابل ذلك كان يتعين على ابن
سعود ان يعترف بالحماية البريطانية على امارته وان لا يدخل في
حرب بدون موافقة الحكومة البريطانية . ولم توقع هذه الاتفاقية
رسميا ، ولكنها كانت تستجيب لطابع المباحثات السابقة ولنهج
بريطانيا في عدم اعاقبة عبد العزيز عن الاستيلاء على الاحساء ،
وللاحكام العامة في معاهدة ١٩١٥ المرتقبة . كانت بريطانيا في
تلك الفترة تعتبر اماره الرياض محمية فعلية او محمية محتملة
في اطار مجال نفوذها في حوض الخليج .

وفي عام ١٩١١ بدأت في عسير انتفاضة ضد الاتراك تزعمها
محمد بن علي الادريسي . وارسل اليه عبد العزيز مساعدة عسكرية
معينة . وادت مشاعر اهل عسير الدينية القديمة وتعاطفهم مع
الوهابيين الى تقوية التحالف بينهما .

وفي مطلع عام ١٩١٢ حاول الباب العالي ، وهو منهك بالحرب
في اوربا ، ان يحصل على تأييد من اقاليمه البعيدة في الجزيرة
العربية او التأكد من وقوفها على الحياد . وبعث الى عبد العزيز
وفدا اثار فيما اثار مسألة ارسال قوات نجدية لدعم الحماية
التركية في الاحساء . وادرك ابن سعود ان الاحساء ستقع في
القريب العاجل بيده كثمرة ناضجة .

وعندما منيت الحكومة العثمانية بهزيمة في البلقان حاولت

بأصرار أن تجعل من عبد العزيز حليفا لها في الجزيرة . ووصل
وفد تركي الى الرياض كي يستشيريه ويستمع الى آرائه وشكاواه .
ورد عبد العزيز على والي البصرة سليمان شفيق باشا بهذا الخصوص
قائلا : « انكم لم تحسنوا الى العرب ، ولا عاملتموهم في الاقل
بالعدل . وانا اعلم ان استشارتكم اياي هي وسيلة استطلاع ،
لتعلموا ما انطوت عليه مقاصدى . وهاكم رأيي ، ولكم ان تؤولو
كما تشاءون : انكم المسؤولون عما في العرب من شقاق . فقد
اكتفيتم بان تحكموا وما تمكنتم حتى من ذلك . وقد فاتكم ان
الراعي مسؤول عن رعيته . وفاتكم ان صاحب السيادة لا يستقيم
امره الا بالعدل والاحسان . وفاتكم ان العرب لا ينأون على الضيم
ولا يبألون اذا خسروا كل ما لديهم وسلمت كرامتهم » . وفي الوقت
ذاته اقترح عبد العزيز عقد مؤتمر للزعماء العرب في مدينة محايدة
لنتهيأ لهم امكانية الاعراب عن آرائهم . واقترح بان يعيد الاتراك
النظر في مواقفهم من العرب لاجل ايجاد شكل اكثر ملائمة للحكم
بمشاركة العرب . واقترح امير الرياض بان توجد في اطار
الامبراطورية العثمانية عدة دول عربية او دولة عربية موحدة بزعامة
احد الحكام او وحدات سياسية منفردة بزعامة حكام محليين يعملون
بشكل ولاية عثمانيين يتمتعون بالحكم الذاتي . وكانت اقتراحات
امير الرياض متعارضة جدا مع سياسة زعماء تركيا الفتاة التي حال
ضعفها العسكري والسياسي دون الرد بحملة حربية على مقترحات
عبد العزيز الجسورة .

وفي اواخر ربيع واوائل صيف ١٩١٢ قام شريف مكة الحسين
بحملة اخرى على نجد بعد ان جمع المتطوعين من بدو عتيبة ،
بينما هجم محمد شقيق امام الرياض على بدو عتيبة الخاضعين
للحسين . وتوترت العلاقات بين الحاكمين الى اقصى حد . ومنع
الشريف النجديين من اداء حج عام ١٩١٢ . وألب مخبرو الحسين
سكان القصيم على الرياض ، حتى ان حاكم القصيم ابن جلوى
اعدم عددا من اهاليه . وتلقى عبد العزيز حقا ضربة شديدة ،
الا ان كراهية النجديين اتجهت بالدرجة الاولى ضد شريف مكة .
وهكذا نشأ اساس النزاع الذي سينتهي فيما بعد باستيلاء
النجديين على الحجاز .

نشوء حركة الاخوان . لم يكن لدى عبد العزيز سند متين

وواسع بالقدر الكافى فى اواسط الجزيرة رغم نجاحاته الاولى . فلم يكن يتمتع بدعم الدعوة الدينية السياسية التى رست صفوف السكان وجعلتهم يلتفون حول آل سعود فى عهد اجداده . كان آل سعود مرتبطين بفكرة دينية باركت النضال من اجل المركزية لصالح الامير والوجهاء الحاكمين وباركت الغزوات تحت راية «الاسلام الحقيقى» .

وفى تلك الاثناء ظهرت فى نجد حركة الاخوان . ومن المستبعد ان يكون عبد العزيز من واضعى فكرة الاخوان او من مؤسسى هذه الحركة . فان المؤسسين الروحيين للحركة هم قاضى الرياض عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف من آل الشيخ وقاضى الاحساء الشيخ عيسى والمدعو عبد الكريم المغربى الذى وصل الى الجزيرة العربية فى اواخر القرن التاسع عشر واستقر فى منطقة صارت فيما بعد هجرة الارطاوية .

وبالاضافة الى الالتزام الصارم بالفرائض الاساسية الخمس فى الاسلام كان الاخوان مطالبين بالاخلاص «لاخوانهم» فى الدعوة وبالخضوع للامام ومساعدة بعضهم البعض بكل الوسائل ، وعدم التعامل مع الاوربيين ومع سكان البلدان التى يديرها الاوربيون . ولا احد يعرف التاريخ الدقيق لنشوء بلدة الارطاوية الاولى ، الا انها ظهرت ، على ما يبدو ، فى النصف الاول من عام ١٩١٣ . وفى الاول من اذار (مارس) ١٩٢٩ كتبت جريدة «ام القرى» لسان حال السعوديين التى تأسست بعد ضم الحجاز ان كانون الثانى (يناير) ١٩١٣ هو تاريخ نشوء اول هجرة .

نشأت اول «هجر» الاخوان حول مجموعة الآبار فى الوادى ذى المراعى الجيدة والاشجار الكثيرة . ويقع هذا الوادى على طريق القوافل من الكويت الى القصيم فى منطقة ديرة مطير التى هي من اقوى قبائل اواسط الجزيرة واكثرها اعتزازا بنفسها .

وباع قسم من مطير طوعا بعض ابلهم ومعدات الخيام الضرورية لنمط الحياة البدوى . واستقروا فى منطقة الارطاوية واخذوا يبنون المنازل بعد ان عزموا على ممارسة الزراعة وحدها ودراسة التوحيد . وانضم الى مطير العريمات وهم فخذ من حرب قاموا بقسم كبير من البناء فى الهجر لانهم يمتلكون المهارات اللازمة فى الصنائع والبناء والزراعة خلافا لسانر البدو .

وتحول التعاضد القبلى التقليدى الى تعاضد بين الاخوان .
فاذا فقد احد املاكه بسبب غزوة او بسبب هلاك الماشية فان
الاخوان يجمعون له التبرعات .

ونشأت هجر كثيرة على اثر الارطاوية . فقد انشأت عتيبة
هجرة فى «الغطف» وقد دمرت فيما بعد . وفى عام ١٩١٨ ظهر
عدد كبير من هذه الهجر فى كافة ارجاء نجد . ولئن كان عدد هجر
الاخوان فى عام ١٩٢٠ ٥٢ هجرة فى الجزيرة كلها ، فقد ازداد
فى عام ١٩٢٣ الى ٧٢ ، وفى عام ١٩٢٩ بلغ ١٢٠ هجرة تقريبا .
وكتبت «ام القرى» فى عام ١٩٢٩ ان عنزة اسست ٧ هجر وشمر
١٦ وحرب ٢٢ ومطير ١٢ وعتيبة ١٥ وسبيع ٣ والسهول ٣ وقحطان
٨ والدواسر ٤ وبنو خالد ٢ والعجمان ١٤ والعوازم ٢ وبنو هاجر
٤ وآل مرة ٤ وهتيم ٣ والظفير ١ . ولكنه حتى فى اوج حركة
الاخوان لم يستقر فى الهجر الا عشر او ، فى افضل الاحوال ،
خمس البدو الرحل .

وكان الجفاف ومصاعب الحياة البدوية ، اى الضرورة
الاقتصادية ، من الدوافع التى جعلت البدو يستقرون ويتحولون
الى حضر . وكان نزوحهم الى الشمال محدودا بسبب عدم رغبتهم
فى الاعتماد على اهواء الاثراك ومن بعدهم الانجليز .

وقد شجع ابن سعود عملية استقرار البدو وساعد الاخوان
بالنقود والحبوب والادوات الزراعية ومواد بناء المساجد والمدارس
والهجر ، كما بعث المطاوعة لتعليمهم . وبالإضافة الى ذلك زود
المحاربين بالسلاح والذخيرة للدفاع عن الدين .

وكان امراء حجر يستلمون من عبد العزيز معونة نقدية ويتمتعون
بحسن ضيافته . وكانت اسماء الامراء تسجل فى سجلات خاصة ،
وكان مقدار المعونة يحدد تبعا لخدماتهم وعدد اتباعهم . وكان
الاخوان المحاربون يتلقون مكافأة سنوية بعد ان تسجل اسماءهم
فى سجلات ديوان ابن سعود .

ان الشرط الرسمى للانتماء الى الهجرة هو التخلي عن عادات
والتزامات نمط الحياة العشائرى . الا ان هذا الشرط لم يكن
يطبق عمليا ، فصار الاسكان فى الهجر يجرى فى الغالب على
اساس قبلى . وصارت هجر الاخوان فى الواقع مقرات لشيوخ
اكبر القبائل . واخلقت محاولة ابن سعود لحرمان القبائل من

زعمائها التقليديين بواسطة فرق الاخوان . وقد استقر فيصل الدويش زعيم مطير فى الارطاوية ، كما استقر زعيم عتيبة فى الغطط ، وسكن زعيم حرب فى دخنة وسكن ابن جبريل وابن ثنيان زعيما شمر فى الاجفر .

كان الحماس الدينى لدى الاخوان يستهدف طاعة الله ويخدم بالطبع اولياءه فى الارض . وكان من المنتظر الثواب على جهودهم الدينية والدنيوية ، كما فى السابق ، عن طريق غنائم الحرب ولكن ليس بشكل غزو بعض القبائل لبعضها الآخر او النهب فى الطرقات ، بل فى الجهاد ضد المشركين . واقتربت الضرورة الاقتصادية والاجتماعية لاستقرار البدو والانتقال الى الزراعة بالتفانى الدينى والحاجات العسكرية ، الا ان هذه المهمات يمكن ان تتعارض ، ولذا دمرت بعض القرى - «الهجر» . بديهي ان من المستبعد توقع تخلص البدو بسرعة من عاداتهم البدوية السابقة وتحولهم الى زراع جيدين . ففى غالب الاحيان لم يكن الحماس الدينى يكفهم لامتد طويل من العمل فى الحقول ، ولذا كانوا يرغبون فى القتال من اجل التوحيد اكثر مما يرغبون فى الزراعة .

وظلت باقية فى قرى الهجر بعض الفوارق الطائفية بين القبائل «الرفيعة» التى تقدم المزارعين المقاتلين وبين القبائل «الوضيعة» التى كان يتعين عليها ممارسة الصنائع والبناء وتأمين مستلزمات القرى الجديدة . وبالفعل فان العريصات التى استقرت مع مطير فى الارطاوية هى فخذ «وضيع» من قبيلة حرب التى تعتبر من انبل القبائل فى الجزيرة العربية .

وغالبا ما كان الصنائع والباعة يعتبرون من الاشخاص الذين لا تشملهم الاعمال الحربية ، وكان يتعين عليهم ان يصنعوا حدوات الجياد والسلاح والادوات الزراعية ويصلحوها . وعندما تبدأ الحرب كانوا يقفون فى القرى .

اما المطاوعة فكانوا يمثلون الفئة الاوطأ من علماء الدين والفقهاء الذين يجرى اعدادهم فى الرياض ومراكز اخرى . وكان هؤلاء المطاوعة فى الواقع يؤدون فى القرى دور دعاة ومخبرى السلطة المركزية المتمثلة فى علماء الرياض والامير شخصيا . وفى اكبر الهجر كان عبد العزيز يعين قضاة من آل الشيخ عادة .

وكان سكان الهجر الملزمون بالخدمة العسكرية يقسمون الى

ثلاث فئات تضم الاولى الاشخاص الذين هم فى حالة تأهب واستعداد دائم للقتال والذين يلبون نداء الجهاد حالا . وتضم الفئة الثانية الاحتياط . اما الفئة الثالثة فتتكون من الذين يظلون فى القرى عندما تشب الحرب ، ولكن يمكن بقرار من العلماء ان يجندوا فى جيش الامير فى الحالات الاستثنائية . وكان سكان الهجر يؤدون الخدمة العسكرية مع ابلهم وسلاحهم واغذيتهم . وكانت بعض الهجر فقط ، وهى الواقعة فى اواسط نجد ، تستلم معونة من بيت المال للاغراض الحربية عندما تقدم عساكرها .

كان البدو الذين استوطنوا الهجر يعتقدون بانهم انتقلوا من الجاهلية واعتنقوا الاسلام الحقيقى . وكانوا ينهمكون فى نشر معتقداتهم بحماس كبير ، حتى انهم كانوا يضربون البدو والحضر الذين لا ينضمون اليهم ويعتبرونهم من الكفرة . ونظرا لان البدو كانوا فى السابق بالفعل لا يعرفون من الاسلام الا القليل فان هذا الانتقال ، وكذلك استبدال العرف القبلى بالشرعية ، قد اتسما بطابع مأساوى لدرجة ما . فقد اشار موسيل ، مثلا ، الى اشتداد المشاعر الدينية بين الرولة الذين شاركوا فى فرق الاخوان . وعلى اية حال فان الكثيرين من البدو صاروا يحفظون عن ظهر قلب سورة او سورتين من القرآن .

من المعروف ان المتدينين الجدد اكثر حزما وتعصبا فى اداء الفرائض الدينية من المتدينين القدامى . ولذلك فان البدو الذين لم يعرفوا الاسلام سابقا او الذين يعرفون عنه القليل جدا صاروا يؤدون فرائضه كالصلوات الخمس بحماس شديد واخذوا يضربون بالعصى من يتنصل عن ادائها . ولكى يميز الاخوان انفسهم عن سائر المسلمين الذين اعتبروهم «مشركين» صاروا يرتدون عمامة بيضاء بدلا من الكوفية العادية ، كما اخذوا يحلقون شواربهم ويقصرون لحاهم ، ويصبغونها بالحناء احيانا . وقصروا دشداشتهم حتى صارت تغطى الركبتين بالكاد . ومنع الاخوان الموسيقى ايا كانت ، ما عدا طبول الحرب ، ولم يشربوا القهوة لانها لم تكن معروفة فى زمن النبى ، وتحاشوا التدخين كما يتحاشون السم . وكان تعاطى الكحول محرما بالطبع ، وكذلك الحرير والنقوش الذهبية على الالبسة الرجالية . وصبت اللعنات على القمار وقراءة الفأل والالعب السحرية . ونشير هنا الى الطابع التعادلى للكثير

من محظورات الاخوان الدينية والمعيشية ، وكان ذلك شكلا لاحتجاج بسطاء ابناء الشعب على «ابهة» الطبقات الحاكمة (حسب مقاييس الجزيرة العربية) .

وكان الاخوان يطلقون نعت «المشركين» على جميع الذين لا يؤيدونهم من اهالى المدن والواحات والبدو . وباسم تجديد الدين قامت فرق الاخوان بقساوات كثيرة مع ان تعصبهم قوى القدرة الحربية لقوات ابن سعود . ويعتقد ديكسون ان نظام الفروسية البدوى تضعضع فى الفترة بين ١٩١٣ و ١٩٣٠ بسبب حركة الاخوان .

واكد مؤلفون كثيرون ان ابن سعود نفسه لم يكن متعصبا ابدا . وقد انتفع من حركة الاخوان واستخدمها متجاوزا بمهارة مطالبها المتطرفة . وابان الحرب العالمية الاولى وافق ابن سعود على الحماية البريطانية واستلم معونات شهرية من الحكومة البريطانية وادعى بان ذلك مجرد جزية كالتى كان المسيحيون يدفعونها للخلفاء الاولائل ولكنه حتى فى المرحلة الاولى من مراحل حركة الاخوان لم يكن ابن سعود يثق بهم حتى النهاية ، وذلك بحكم منحدرهم البدوى وبحكم الافراط فى انتشار السمات التعادلية فى حركة الاخوان من وجهة نظر الاقطاعى الكبير . وفى حاشية امير الرياض كان قريبه ونصيره عبدالله بن جلوى من اشد معارضى الاخوان .

ضم الاحساء . عندما علم عبد العزيز بهزيمة الاتراك فى حرب البلقان اخذ يستعد لحملة على الاحساء . وفى مطلع عام ١٩١٣ وصل الى القصيم واعلن التعبئة العامة .

فى تلك الاثناء كان الاخوان من ضمن قواته ، ولكنهم لا يشكلون الاغلبية . وبعد ان جمع حضر نجد والبدو المنضمين اليه توجه الى الاحساء . وقبل ان يبدأ هذه الحملة تقابل مع الضابط الانجليزى ليتشمان ، ولعله اخبره بخطة الهجوم على الاتراك .

كان سكان الاحساء الذين ارهقهم ابتزاز الاتراك وظلمهم ينظرون الى النجديين كمنقذين لهم . ومنذ عام ١٩٠٣ كتب قنصل روسيا فى البصرة ان المتصرف العثمانى فى الاحساء «جعل سكان هذا السنجق العرب فى حالة ارهاق بالغ بسبب تعنته وطيشه» . وكثبت القنصلية الروسية فى البصرة «ان سلطة الاتراك على الاحساء كانت وهمية . وقد انتهت تقريبا خارج حدود المدن . . .

وفي بداية ايار (مايو) جمع ابن سعود حوالى ٨ آلاف من الاعراب المسلحين جيدا واقتحم الاحساء بغتة وقام بهجوم على الهفوف . ولم يجد صعوبة كبيرة فى احتلال المدينة» .

بدأ الهجوم على المدينة فى الليل بواسطة جذوع النخيل والحبال والاسلالم المجهزة مسبقا . وسرعان ما سقطت المدينة وكذلك حصن الكوت ، ما عدا مسجد ابراهيم باشا فى داخل الحصن . والتجأ المتصرف وقسم من حاميته الى المسجد . وكان مجموع الاتراك فى الهفوف آنذاك ١٢٠٠ شخص .

وقرر المتصرف ان يضع السلاح . وتم اخلاء الحامية تحت حراسة مفرزة قادها احمد بن ثيان ، وهو من اقرباء عبد العزيز الابعدين . ثم استولى النجديون على القطيف . وصار الاقليم الشرقى تحت سلطة ابن سعود . وكتبت القنصلية الروسية فى البصرة «من المحتمل تماما ان يكون ذلك كله قد حدث ليس بدون علم الانجليز ، وربما ليس بدون نصائحهم ، فان دسائسهم بين الشيوخ العرب معروفة جيدا» .

ولم يضيع حاكم الرياض الوقت فاخذ «يروض» الشيعة المعادين لتقليديا للسعوديين . وعين عبد العزيز عبدالله بن جلوى حاكما للاحساء ، واخذ هذا ينكل بنشطاء الشيعة دون رحمة وخصوصا فى القطيف .

كانت عائدات الاقليم فى عهد الادارة العثمانية تعادل ٣٧ الف ليرة سنويا ، بينما بلغت نفقات الحاميات والادارة ٥٢ الفا . الا ان عائدات الاحساء ، كما يعتقد القنصل الروسى فى البصرة ، يمكن زيادتها ، وهذا ما عزم عليه عبد العزيز . فقد طرد التجار الاجانب من الاحساء والقطيف وفرض ضريبة بنسبة ٨٪ على كل الواردات التى تصل الى الاقليم الشرقى من جهة البحر واجتث عبدالله بن جلوى بيد من حديد النهب على طرق القوافل فاستطاع التجار ان يتجولوا فى الاقليم بامان نسبيا .

لقد انتزعت امارة الرياض من الامبراطورية العثمانية اقليما غنيا نسبيا من اقاليم الجزيرة العربية وحصلت على منفذ الى الخليج من الكويت حتى قطر . ان اهمية الاحساء بالنسبة لامارة الرياض تفوق التقدير . فالاراضى التى كان السعوديون يسيطرون عليها حتى ذلك الحين خالية من اية موارد طبيعية . ولم يكن محصول

التمور فى حدودها يكفى بالكاد لسد حاجة الحضر والبدو . ولم تكن الحبوب كافية ، وكانت الامارة بحاجة الى استيرادها . وكان السكان الحضر يعتمدون كلياً تقريباً على استيراد الاقمشة . وكانت القوات بحاجة الى مشتريات السلاح من الخارج . وقد امن الاستيلاء على اقليم الاحساء والحصول على منفذ الى الخليج قوة حيوية للدولة السعودية واستمرار تطورها .

ولم تقف بريطانيا التى تؤمل فى تحويل الدولة السعودية الى محمية لها فى آخر المطاف حجر عثرة امام طرد الحماية التركية من الاحساء . وقد قام المندوب البريطانى فى البحرين بزيارة مجاملة لعبد العزيز فى مرفأ العقير بعد سقوط الاحساء . وفى اواخر عام ١٩١٣ زار الرياض المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت الكابتن شكسبير الذى كان قد تقابل مع ابن سعود سابقاً . وقد ناقش مع امير الرياض هذه المرة الوضع العام فقط لانه لم يكن يتمتع بصلاحيات اخرى .

بيد ان بريطانيا كانت تلعب على الجبلين . ففي حزيران (يونيو) ١٩١٣ وقعت بين السفير العثمانى ابراهيم حقى باشا ووزير الخارجية البريطانى ادوارد غراى اتفاقية رسم الحدود بين ممتلكات الامبراطورية العثمانية والمحميات البريطانية على الساحل العربى من الخليج - الكويت والبحرين وامارات ساحل الصلح البحرى . وكانت كل هذه الاراضى مرتبطة على نحو ما بالاحساء التى لم يرد لها ذكر فى الاتفاقية . وهذا يفترض رسمياً انها كانت جزءاً من الامبراطورية العثمانية .

وفى آذار (مارس) ١٩١٤ وافقت بريطانيا والامبراطورية العثمانية على اقتسام شبه الجزيرة العربية . ونصت شروط المعاهدة على ان تمتد الحدود بين ممتلكات كلتا الدولتين بشكل خط مستقيم من شبه جزيرة قطر عبر بوادى اواسط الجزيرة العربية حتى الحدود بين محمية عدن واليمن . وكان كل ما يقع شمالى هذا الخط ملكاً للعثمانيين ، بما فى ذلك نجد فضلاً عن الاحساء ، وكل ما يقع جنوبه يعتبر من الاراضى البريطانية . وبالمناسبة فقدت هذه المعاهدة قيمتها باندلاع الحرب العالمية الاولى .

وبعد سقوط الاحساء جرت مباحثات بين عبد العزيز وممثل السلطات العثمانية . ولم تكن لدى الباب العالى القوى والنقود

اللازمة لاستعادة الاقليم المفقود . وكان كل ما يريده الاتراك هو «الحفاظ على ماء الوجه» . وكتبت القنصلية الروسية فى البصرة فى ٢٧ أيار (مايو) ١٩١٤ «ان ارسال فيلق عمليات الى الاحساء فى الوقت الحاضر غير ممكن اطلاقا بالنسبة للاتراك ، فليس لديهم العدد الكافى من الجنود لا فى بغداد ولا فى البصرة . زد على ذلك ان الحكومة البريطانية التى تتابع ببالح الاهتمام كل ما يجرى فى الاحساء ستحاول . . . اعاقا الاتراك عن ترسيخ اقدمهم من جديد على سواحل الخليج» .

وقد وافق امير الرياض شفيويا ، كما يقول فيلبى ، على الاعتراف بسيادة السلطان العثمانى على اراضيه مقابل الاسلحة والنقود التركية .

ويؤكد الباحث الاميركى ترولير بصورة قاطعة انه تم توقيع معاهدة عثمانية سعودية رسمية فى ١٥ أيار (مايو) ١٩١٤ نصت ، فيما نصت ، على «ان ولاية نجد يجب ان تبقى تحت حكم عبد العزيز باشا آل سعود طوال حياته بموجب فرمان سلطانى . وبعد وفاته ينتقل الحكم الى ابنائه واحفاده بفرمان سلطانى بشرط ان يبقى الامير مواليا للحكومة العثمانية ولاجدا» . ونصت المادة ٧ على ان يرفع العلم التركى فوق كل دوائر الدولة وكذلك فوق السفن العائدة لولاية نجد . وجاء فى المادة ٩ «ان الوالى (الحاكم او القائد) المذكور لا يحق له التدخل فى الشؤون الخارجية ولا عقد المعاهدات الدولية ولا منح الامتيازات للأجانب» . ونصت المادة ١٢ على ان حاكم نجد يجب ان يحارب الى جانب الامبراطورية العثمانية . ويعتقد فيلبى ان عبد العزيز صار ، مع اندلاع الحرب العالمية الاولى ، فى حل من «التعهد الشفوى» للاتراك . وعلى اية حال فان سلوك امير نجد منذ بداية العمليات الحربية كشف عن عدم تقديره لتعهداته امام السلطان العثمانى وعن قلة المرتكزات التى كان يوسع الاتراك استخدامها لحمله على العمل فى صالحهم . واكدت مذكرة حكومة العربية السعودية انه لا توجد فى الارشيفات السعودية اية وثيقة تشير الى توقيع الاتفاقية السعودية التركية . ان عدم وجود مثل هذه الوثيقة فى الارشيفات السعودية ، ان لم تكن موجودة فعلا ، لا يدل على شىء . فبدلا من الاتفاقية التحريرية يمكن ان يوجد اتفاق شفوى ينفذه الطرفان اذا كان فى صالحهما . وعلى

اية حال فقد قدم ترولير النص الكامل للمعاهدة التركية النجدية مع ان توقيع عبد العزيز غير موجود عليه بالفعل .
وكان المسؤولون فى الاستانة يدركون بانهم فقدوا السيطرة الفعلية على نجد والاحساء رغم المعاهدة مع بريطانيا بشأن اقتسام الجزيرة العربية ورغم تعهدات ابن سعود الشفوية بولائه للسلطان .
ولذلك اخذت السلطات العثمانية تعمل على تقوية جبل شمر ، حيث وعدوها ، مثلا ، بتقديم ١٠ آلاف بندقية واغذية ونقود . واقتنع عبد العزيز مرة اخرى بان الاستانة تعول على حائل وان الخطر التركى المحتمل على امارة الرياض لا يزال قائما .

نجد والحجاز أبان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨)

قبيل الحرب العالمية الاولى ازداد نفوذ المانيا فى الامبراطورية العثمانية لدرجة كبيرة . فبعد تردد قصير علق ثلاثى تركيا الفتاة الآمال على برلين ودخل الحرب ضد بلدان الوفاق . وبنتيجة مغامرة القيادة التركية بلغت الازمة السياسية داخل الامبراطورية العثمانية نقطة حرجة فطرح سكان اغلب الاقاليم غير التركية ، وبالدرجة الاولى البلدان العربية ، مطلب تقرير المصير . الا ان دول الوفاق كانت تعتبر الامبراطورية المحتضرة كلها غنيمة استعمارية لها ، وتعتبر القوميين العرب حلفاء مؤقتين خاضعين .

استمرت المعارك الدموية فى الشرق الادنى زهاء اربعة اعوام . وانجرت اليها بدرجات مختلفة جميع بلدان شبه الجزيرة العربية تقريبا ، مع ان الجزيرة كانت مسرحا لعمليات حربية من الدرجة الثالثة بمقاييس الحرب العالمية .

منذ بداية العمليات الحربية ضد الامبراطورية العثمانية كانت المهمتان الفورييتان لبريطانيا هما فرض السيطرة على مصر وقناة السويس والبحر الاحمر ، وكذلك الاستيلاء على رأس جسر فى شط العرب - مصب دجلة والفرات لتأمين حماية حقول البترول فى ايران من الهجوم التركى الالمانى المحتمل . وقد امن حل المهمة الاولى وجود القوات البريطانية فى مصر وسيطرتها على مشارف القناة من جهة سيناء ، اما حل المهمة الثانية فأمنه انزال فيلق الحملات فى وادى الرافدين . وفى عدن جرى تعزيز الحامية وارسال امدادات من القوات الانكلوهندية بغية احتفاظ بريطانيا بالمرفأ الاستراتيجى الهام ، مع عدم التورط فى عمليات حربية نشيطة ضد القوات العثمانية التى اقتحمت اليمن الجنوبى .

ومن بين جميع حكام شبه الجزيرة العربية حظى شريف مكة الحسين باكبر الاهتمام لدى الحلفاء الذى علقوا عليه آمالا تحققت فيما بعد بقدر ما . فقد كان الحسين بوصفه من العائلة الهاشمية المتحدرة من قريش من اكبر المتنفيين فى العالم الاسلامى . وكان يعتبر من احفاد النبى وسادن الحرمين الذى عين فى هذا المنصب بفرمان من السلطان العثمانى . كان الانجليز يخشون من ان دعوة السلطان العثمانى للجهاد ضد المسيحيين ، وبالتالى ضد الانجليز والفرنسيين يمكن ان تؤثر على مصر والهند وشمال افريقيا والمستعمرات الاخرى التى يقطنها المسلمون . وكان الحلفاء يعتقدون بان تأييد الحسين لدعوة الجهاد من شأنه ان يقوى تأثيرها . صحيح ان دعوة السلطان كان لها صدى محدود ، واتضح ان المخاوف بشأن تأثيرها كان مبالغا فيها .

وخلال العامين الاولين من العمليات الحربية فى وادى الرافدين منيت القوات الانكلوهندية بعدة هزائم على يد القوات التركية التى كان فيها عدد غير قليل من العرب . وفى هليوبولى حيث اندحرت قوات الحلفاء ايضا كان فى الفرق التركية عرب من رعايا الامبراطورية العثمانية . ولذلك كان تشجيع الحركة القومية العربية ذات الصبغة الدينية يستجيب فى تلك الاثناء للمصالح البريطانية والفرنسية .

امارة نجد والحرب العالمية الاولى . المعاهدة الانكلونجدية .

عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى بعث امير الرياض عبد العزيز رسائل الى الشريف حسين وسعود بن صالح فى حائل والشيخ مبارك الصباح فى الكويت واقترح عليهم عقد لقاء للحكام العرب للحيلولة دون جر العرب الى العمليات الحربية وتوقيع معاهدة مع الدول الكبرى لضمان تقرير المصير للدول العربية . ولم تكن مصالح مختلف الامراء العرب متوافقة آنذاك ، ولذا تعذر وضع منهاج مشترك . فقد رد حاكم حائل بانه سيقاقل ضد الذين يقاتلون الاتراك وسيتصالح مع الذين يتصلحون معهم .

ووصل الى نجد من بلاد الرافدين مبعوث السلطات العثمانية طالب النقيب الذى تقابل مع عبد العزيز فى بريدة ، ولكن مهمته اخفقت لان القوات البريطانية احتلت البصرة آنذاك . وتوجه من المدينة المنورة فى الوقت ذاته وفد تركى آخر ومعه دليل من

الوزن الثقيل على رغبة السلطات العثمانية فى استمالة عبد العزيز الى جانبها . فقد حمل الوفد ١٠ آلاف ليرة ذهباً . وحاول احد اعضاء هذا الوفد ، وهو مؤرخ الحجاز والجزيرة العربية محمود شكرى الالوسى ، اقناع عبد العزيز بتأييد الاتراك . وتملص عبد العزيز عن تقديم اية وعود قائلا بانه عاجز عن مقاومة الانجليز ، ولكنه وعد بعدم اعاقبة تجار نجد عن تزويد الجيش التركى بالاغذية . وطوال الحرب كلها كانت القوافل التركية المحملة بالسلاح والذخيرة تجتاز اراضيه من الشام الى عسير واليمن .

الا ان الانجليز رغم اعتمادهم على الحسين ما كان بوسعهم ان يتجاهلوا امير نجد . ففى تلك الفترة كانت ممتلكات عبد العزيز تنسبط من الكويت وجبل شمر حتى حدود صحراء الربع الخالى ومن الخليج حتى الحجاز . وكانوا يريدون من عبد العزيز شيئاً واحداً هو ان يشل صنيعه الاتراك امير حائل الذى يهدد جناح الجيش البريطانى فى جنوب وادى الرافدين .

وعندما بدأت العمليات الحربية فى الشرق الادنى استدعى المعتمد البريطانى فى حوض الخليج كوكس مخبره الموهوب الكابتن شكسبير من اجازته وارسله الى نجد . وحالما وصل شكسبير الى الرياض اصر على ان يبدأ الامير النجدى العمليات الحربية ضد الشمريين . وفى بداية كانون الثانى (يناير) ١٩١٥ توجه عبد العزيز نحو الشمال على رأس قوات بالف وخمسمائة شخص اغلهم من سكان واحات العارض . وفيما بعد انضم اليه محاربون من مطير والعجمان وسبيع والسهول . وتوجه للقاءه سعود بن صالح حاكم حائل وكان معه هو الآخر الف وخمسمائة شخص تقريبا . (حتى ذلك الحين قتل زامل السبهان) . ويصعب اعتبار هذه الارقام صحيحة ، ولكنها تبين على وجه التقريب نطاق العمليات .

وكانت عند عبد العزيز عدة مدافع يقود بطاريتها الكابتن شكسبير ، مع ان روايات اخرى تقول ان شكسبير كان مجرد مراقب . ويبدو ان ابن سعود ما كان يريد لانجليزى اصلاً ، ناهيك عن انه انجليزى رفض ارتداء الزي العربى ، ان يتواجد ضمن قواته فى وقت انتشر فيه اكثر فاكثر تعصب الاخوان . وحاول الامير اقناع المبعوث البريطانى ان يبقى فى الزلفى ، ولكن هذا الاخير اصر على المشاركة فى الحملة ، وربما كان يعتقد بان القضية تمس

شرفه ، او ربما كان ذلك لاجل التأكد من نوايا عبد العزيز والحيلولة دون تنصله عن القتال .

وفى اواخر كانون الثانى (يناير) ١٩١٥ تصادمت قوات الطرفين قرب بشر جراب شمالى الزلفى . وبدأت معركة استمرت عدة ايام . وتفيد بعض المعطيات ان الشخص الوحيد الذى قتل هو الكاتب شكسبير ، وتفيد معطيات اخرى ان الطرفين فقدوا مائة شخص لكل منهما . وكان محاربو عبد العزيز المتأثرون بميول الاخوان تأثرا شديدا يطلقون صيحاتهم الحربية . اما الشمريون الذين يشكلون اساس قوات حاكم حائل فقد كانوا يقاتلون وسط صيحات قبيلتهم الحربية التى تطلقها فتيات حسناوات جالسات على الابل بشعور مسترسلة . وهذه الوقائع ذات دلالة ليس فقط لانها تشكل مشهدا صغيرا من حرب نشبت فى اوربا واستخدمت فيها المدفعية والغازات السامة والطائرات ثم الدبابات . فبالنسبة للجزيرة العربية تجدر الاشارة الى ان واقع انتقاء صيحات الحرب يبين اختلاف قاعدتى الاميرين : القاعدة القبلية لجبل شمر والقاعدة العربية العامة المستندة الى التوحيد الوهابى عند الاخوان لامارة نجد . كان الشمريون يستنهضون بعضهم البعض بصيحات جد قبيلتهم ، اما المحاربون السعوديون فكانوا يستعينون بالجنة الموعودة فى حالة الممات .

وانتهت المعركة بتعادل الطرفين . الا انها جعلت امير الرياض طوال عامين او ثلاثة يرفض الدخول فى حرب كبيرة .

تمكن شكسبير من اجراء مباحثات سياسية مع عبد العزيز . فوضعا مسودة معاهدة التزم الانجليز بموجبها بضمان مواقع امير الرياض فى نجد والاحساء وحمايته من الهجمات العثمانية المحتملة من جهة البحر والبر اذا التزم بمساعدة الحلفاء . وتغلى الانجليز عن سياستهم القديمة لعدم التدخل فى الشؤون الداخلية لشبه الجزيرة العربية . والزمّت المعاهدة ابن سعود بعدم اقامة علاقات مع البلدان الاخرى بدون مشاورة تمهيدية مع السلطات البريطانية . وتبين الدراسة التى اجراها ترولير لوثائق الارشيفات الانجليزية ان عبد العزيز كان يدرك بدقة مضامين السياسة البريطانية فى الجزيرة العربية . فبعد مقارنة النص الاولي للمعاهدة الذى اقترحه

الانجليز مع التعديلات تأكد ترولير من ان جميع اعتراضات امير نجد تهدف الى تقوية استقلاليته وتقليل تحكم بريطانيا بسياسته . وعندما كان ابن سعود يتباحث مع شكسبير وصل الى نجد مبعوثون اترك كانوا لا يزالون يؤملون فى اجتذاب الامام للمشاركة فى الجهاد ضد الكفرة .

وفى ٢٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٥ وقع بيرسى كوكس مع عبد العزيز المعاهدة فى جزيرة دارين المقابلة للقطيف . ولذا سميت المعاهدة بمعاهدة دارين او معاهدة القطيف . وصادق على المعاهدة نائب ملك بريطانيا وحاكم الهند فى تموز (يوليو) ١٩١٦ . وقبل توقيع المعاهدة بين بيرسى كوكس وعبد العزيز قدم الانجليز ، كما يقول فيلبى ، هدية الى امير الرياض هى الف بندقية و٢٠ الف جنيه استرليني وسمحوا له بشراء ذخيرة حربية فى البحرين .

واعترفت الحكومة البريطانية بان سيادة عبد العزيز تشمل «نجد والاحساء والقطيف وجبيل وجميع المدن والمرافىء التابعة لهذه المقاطعات» والتزمت «بحماية مصالحه ومصالح بلاده» بعد مشاورات مناسبة . ونصت المادة الثالثة من المعاهدة على ما يلى : «يتعهد ابن سعود ان يمتنع عن كل مخابرة او اتفاق او معاهدة مع اية حكومة او دولة اجنبية» . واكدت المادة الرابعة ان امير نجد لا يمكن ان يتنازل عن الاراضى او جزء منها ولا ان يؤجرها او يرهنها او يتصرف بها باى شكل ولا ان يقدمها على سبيل الامتياز الى اية دولة اجنبية اخرى او الى احد من رعايا دولة اجنبية بدون موافقة الحكومة البريطانية . وتقول المادة السادسة : «يتعهد ابن سعود كما تعهد والده من قبل بان يمتنع عن كل تجاوز وتدخل فى ارض الكويت والبحرين وارضى مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ الموجودين تحت حماية انجلترا والذين لهم معاهدات معها» . ولم يرد فى المعاهدة شىء عن الحدود الغربية لنجد . وهكذا فرضت هذه المعاهدة فى الواقع الحماية البريطانية على نجد وتوابعها . وصارت هذه المعاهدة جزءا من شبكة النفوذ البريطانى التى ارادت لندن فرضه على القسم الاكبر من الشرق الادنى ، وعلى اية حال ، على الجزيرة العربية كلها بعد الحرب العالمية الاولى . وفيما بعد ، اعتبارا من عام ١٩١٦ استلمت نجد ، مقابل

توقيع المعاهدة ، معونة شهرية بمبلغ ٥ آلاف جنيه استرليني ،
مع ارساليات معينة من الرشاشات والبنادق .

انتفاضة العجمان . كان العجمان طوال خمسين عاما تقريبا من
اصعب القبائل على السعوديين ، وقد خضعوا للحكومة المركزية على
مضض . وعلى اثر معركة جراب نهب العجمان بعض القبائل التي
كانت خاضعة لحاكم الكويت . وقد بعث حاكم الكويت رسالة الى
عبد العزيز يطلب فيها منه معاقبة العجمان . وكانت تلك هي الحجة
المنشودة . الا ان امير الرياض ما كان يثق بحاكم الكويت وكان
يعشى ان تغير الكويت موقفها اثناء حملته على العجمان وتغدو
ملجأ لهم .

وفى صيف ١٩١٥ توجه عبد العزيز ، قبل ان يوقع الاتفاقية
مع الانجليز ، الى الاحساء على رأس فصيل من ٣٠٠ شخص . وانضم
اليه متطوعون محليون . ولحق بالعجمان في ايار - حزيران
(مايو - يونيو) ١٩١٥ عند جبل كنزان ، الا ان العجمان كانوا
مستعدين للمعركة فواجهوه بمقاومة شديدة . وفقد النجديون حوالى
٣٠٠ شخص بمن فيهم سعد شقيق الامير عبد العزيز ، ثم ان
الامير نفسه جرح فى هذه المعركة . وبعد هذا الاخفاق اضطر الى
الانسحاب الى واحات الاحساء . وكان الوضع خطيرا لدرجة جعلته
يلتجئ الى حصن الكوت فى الهفوف . واخذ العجمان ينهبون الواحات
المجاورة وظلوا يحاصرون عبد العزيز حوالى ستة شهور ، حتى
ايلول - تشرين الاول (سبتمبر - اكتوبر) ١٩١٥ . وساعدهم
بعض الامراء المحليين و«العرايف» .

ولم يسفر عن نتيجة عاجلة طلب المساعدة من شيخ الكويت .
وبعد تكرار الطلب بعث مبارك ابنه سالم مع مائتين من المحاربين
لنجدة عبد العزيز . وفى بداية العام التالى صار عبد العزيز قادرا
على مغادرة الهفوف والبدء بالهجوم على العجمان . وسرعان ما اختلف
عبد العزيز مع سالم بن مبارك فعاد هذا الاخير الى الكويت . ووصل
العجمان الى الكويت يلاحقهم ابن سعود الذى صدقت شكوكه ، فقد
التجأت هذه القبيلة الى مبارك الذى آواها . وفى بداية كانون
الثانى (يناير) ١٩١٦ توفى مبارك وصار شيخا للكويت ابنه جابر
الذى كانت له علاقات طيبة مع عبد العزيز منذ عهد الغزوات
المشتركة . وطرده الشيخ الجديد العجمان من اراضى امارته .

فتحسنت العلاقات بين نجد والكويت لفترة ما . ولكن جابر توفي في عام ١٩١٧ فصار اخوه سالم شيخا للكويت ، وهو ضد ابن سعود .

في عام ١٩١٦ وصل سعود بن صالح من حائل على رأس قوات الى القصيم وحاول الاستيلاء على بريدة ليستعيد سيطرته على الاقليم ، ولكنه منى بالهزيمة . فان اماره جبل شمر كانت تتدهور رغم دعم العثمانيين .

انتفاضة الحجازيين ضد الاتراك . تناولت المطبوعات السوفييتية والغربية والعربية بشكل جيد موضوع الانتفاضة العربية بقيادة الشريف حسين ضد الامبراطورية العثمانية والملايسات المرتبطة بتقسيم الامبراطورية العثمانية وحث الانجليز بالوعود والالتزامات التي اخذوها على عاتقهم . ولذا نكتفى هنا بسرد الاحداث بالخطوط العريضة مركزين على نجد التي نشأت فيها نواة المملكة العربية السعودية .

ان الاهتمام بالانتفاضة العربية ضد الاتراك في المطبوعات الغربية التاريخية والادبية كبير الى حد الافراط ، وذلك بالارتباط بشخصية الكولونيل لورنس الذي وصل من القاهرة بمثابة ضابط ارتباط الى شريف مكة في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٦ . وبعد انتزاع مدن صغيرة من الاتراك على ساحل البحر الاحمر توجهت فصائل البدو الى شمال الحجاز لتستولى على ميناء العقبة . وفي معركة هامة على مشارف العقبة حيث حسم الامر زعيم بدوي شجاع ماهر كان لورنس في حالة جنونية يطلق النار بصورة عشوائية فقتل ناقته باطلاقة في رأسها وسقط مغشيا عليه . ودحر البدو الفصيل التركي الصغير الذي سد عليهم الطريق الى العقبة واستولوا على المدينة . ثم اقتصرت عمليات الجيوش العربية على محاربة الاتراك شرقي نهر الاردن وعلى عمليات التفجير على السكة الحديدية والتي شارك فيها لورنس بنشاط . بدهى ان انتفاضة العرب ساعدت على انتصار الحلفاء وحقت دماء الجنود البريطانيين . الا ان العرب ضحوا بحياتهم في الواقع لكي يقتسم المستعمرون فيما بعد البلدان العربية . وكان لورنس يعرف هذه الحقيقة ومع ذلك دفع عرب الجزيرة الى الموت . وكتب لورنس يقول : «بما اني لم اكن احمق نهائيا فقد رأيت انه اذا انتصرنا نحن في الحرب فان

وعودنا للعرب ستكون حبرا على ورق . ولو كنت مستشارا نزيها
لبعثت رجالي الى ديارهم ولما سمحت لهم بالمجازفة بحياتهم من
اجل هذه القضية . الا ان الحماسة العربية كانت اداتنا الرئيسية
لنكسب الحرب في الشرق . ولذلك اكدت لهم ان انجلترا ستبقى
على العهد نصا وروحا . . . ولكنني ، بالطبع ، كنت على الدوام
اشعر بالمرارة والخجل» .

وتجدر الاشارة مرة اخرى الى ان اهتمام الحلفاء بشريف مكة
في الحرب العالمية الاولى كان اكثر بكثير من اهتمامهم بامير نجد .
وفي المنطقة بين معان واليمن كان هناك حوالى اربع فرق تركية
تقيد الانتفاضة العربية .

كانت سياسة الشريف حسين مرتبطة بنهوض حركة التحرر
الوطني في المناطق العربية من الامبراطورية العثمانية . وفي
مطلع القرن العشرين ظهرت في الامبراطورية العثمانية مختلف
الجمعيات والمنظمات للدفاع عن حقوق العرب . وكان الكثيرون من
القوميين العرب في بداية القرن العشرين يتصورون بسذاجة ان
بريطانيا وفرنسا يمكن ان تساعدنا بنزاهة العرب في التحرر من
نير الاتراك . وقد خابت آمالهم بمرارة ، كما ان البعض منهم دفعوا
حياتهم ثمنا لقصر نظرهم .

وقد تسلح انصار تركيا الفتاة بالفكرة التركية القومية
الشوفينية واخذوا يتهمون العرب بالعمل لصالح الاجنبى .
وفي حزيران (يونيو) ١٩١٣ عقد المؤتمر العربى فى باريس
حيث نوقشت حقوق العرب فى الامبراطورية العثمانية . واصر
المشاركون فيه ، واغلبهم من السوريين ، على ضرورة الاصلاحات
بموجب المبادئ اللامركزية . وكان انصار تركيا الفتاة قلقين من
حركة التحرر الوطنى العربية فلجأوا الى التنكيل . ومع ان الحكومة
العثمانية اصدرت فى آب (اغسطس) ١٩١٣ مرسوما نص ، فيما
نص ، على توسيع حقوق هيئات السلطة المحلية والتدريس باللغة
العربية فى الولايات التى يشكل العرب اغلبية سكانها ، فان كل
هذه الاصلاحات ظلت حبرا على ورق .

وعندما اعلنت الحكومة العثمانية الجهاد فى بدايـة الحرب
حاولت ان تشرك شريف مكة به . وتواردت عليه الرسائل طالبة
منه ان يعلن تأييده للجهاد . وكان الحسين يتملص من الجواب

متحججا بضعف مواقفه امام ضربات الانجليز وبخطر المجاعة فى حالة محاصرة سواحل الحجاز . وفى البرقيات التى ارسلت الى وزير الحربية التركى انور باشا الذى كان فى الواقع بمثابة رئيس الحكومة طالب حاكم مكة بالاعتراف باستقلال الحجاز والعفو عن القوميين العرب المسجونين . وما كان بوسع الحكومة التركية ان تلبي هذه المطالب .

وقبل بداية الحرب اقام حاكم مكة علاقات مع الانجليز عن طريق القاهرة . وكان عبد الله ابن الشريف حسين ، وهو عضو فى المجلس العثمانى ، قد تقابل مرتين مع المندوب السامى البريطانى فى مصر اللورد كيتشنير (فى ١٩١٣ وفى بدايه ١٩١٤) .

عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى عين اللورد كيتشنير وزيرا للحربية ، وشغل هنرى مكماهون منصبه فى مصر . وفى كانون الثانى (يناير) ١٩١٥ بدأ ستورس سكرتير الشؤون الشرقية لدى المندوب السامى البريطانى فى مصر وكلايتون مدير المخابرات العسكرية البريطانية فى القاهرة بوضع خطة انتفاضة العرب الى جانب دول الوفاق . وفى منتصف تشرين الاول (اكتوبر) وصل رسول من ستورس الى مكة للاتصال بعبدالله . وبدأت مراسلات بين الشريف حسين والمندوب السامى البريطانى فى مصر .

وفى تلك الاثناء كان القوميون العرب ، وخصوصا من جمعيتى «الفتاة» و«العهد» يستعدون للانتفاضة فى منطقتى سورية والعراق اللتين اجتاحتها القلاقل المناوئة للاتراك . وطرحوا شرطا للتعاون مع الانجليز هو اعتراف بريطانيا باستقلال البلدان العربية التى يجب ان تمتد حدودها عبر مرسين واطنة واورفا وماردين فى الشمال ، ولا يستثنى من «البلدان العربية» الا عدن فى الجنوب . ونص برنامجهم على توقيع اتفاقية دفاعية بين بريطانيا والدولة العربية المستقلة المرتقبة وتقديم امتيازات اقتصادية لبريطانيا . واعترفوا بشريف مكة زعيما للقوميين العرب .

وفى عام ١٩١٥ و١٩١٦ كشفت السلطات العثمانية فى سورية تنظيمات عربية سرية وقبضت على زعمائها واعدمتهم على مرأى من فيصل الذى كان عام ١٩١٦ فى دمشق بمثابة اسير عند الاتراك

فى الواقع . وىبدو ان الاتراك عرفوا بصلتها مع فىصل ، ولكنهم فضلوا عدم المساس به آنذاك . وفى عام ١٩١٦ جرى تدمىر منظمات القومىين العرب فى العراق . واخذ انصار تركيا الفتاة ينقلون الى الجبهة الاوربية قواهم التى فىها كثر من العرب ، وصاروا يرسلون الى البلدان العربية وحدات تركية خاصة .

واستأنف الشريف حسىن المباحثات مع الانجلىز فى عام ١٩١٥ . وفى تلك الاثناء كانت الحرب بالنسبة لبرىطانيا وحلفائها فى الشرق الادنى تجرى بصورة غير موفقة . فقد اخفقت العمليات الهجومىة فى هلبولى وسىناء . وكان الاتراك يهددون عدن من الىمن . وكانت حالة فىلق العمليات فى العراق صعبة . وعلق الحلفاء اهمىة اكبر على انتفاضة العرب التى كان يتعین عليها ان تساعد جهود الحلفاء الحربىة فى الشرق الادنى .

وجرى تبادل الرسائل بىن الحسىن ومكماهون ، مما اسفر عن مبادلات شدىدة . وفى الرسالة المؤرخة فى ١٤ تموز (ىولىو) ١٩١٥ طالب حاكم مكة بان تعترف برىطانيا باستقلال البلدان العربىة وتوافق على اعلان الخلافة العربىة . واشار الى ان الحكومة العربىة تلتزم بان تقدم لبرىطانيا امتىيازات اقصادىة . ووردت فى الرسالة شروط التحالف العسكرى والغاء نظام الاستسلام ومسائل اخرى . وتتضح من نص الرسالة رغبة الحسىن فى ان يتزعّم بمساعدة الانجلىز الدولة العربىة المستقلة التى من شأنها ان تضم جمىع المحمىات العربىة (وقسما من الممتلكات الكردىة والتركىة الصرف للامبراطورىة العثمانىة) وكذلك محمىات برىطانيا فى الجزىرة العربىة ماعدا مستعمرة عدن .

وكتب مكماهون فى رسالته بتاريخ ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٥ «لا يمكن القول ان مناطق مىرسىن والاسكندرونه وقسم من سورىة الواقع غربى مناطق دمشق وحمص وحماة وحلب هى مناطق عربىة صرف ولذا ىجب ان تستثنى من التحدىد المقترح وبشرط هذا التعدىل وبدون الحاق ضرر بالمعاهدات المعقودة بىننا وبىن بعض الزعماء العرب نقبل هذا التحدىد . اما بخصوص المناطق الواقعة داخل الحدود المقترحة والتى تستطيع برىطانيا ان تعمل فىها بحرىة بدون الحاق ضرر بحلىفتها فرنسا فانا مخول باعطائكم الالتزامات التالىة باسم الحكومة البرىطانىة . . . (١) ان برىطانيا

مستعدة ، بشرط اجراء التعديلات المذكورة اعلاه ، للاعتراف باستقلال العرب وحمايته في جميع المناطق الواقعة داخل الحدود المقترحة من قبل شريف مكة . ٢) تضمن بريطانيا حماية العتبات المقدسة من اى عدوان خارجى . ٣) يفترض ان العرب قرروا طلب النصح والمساعدة من بريطانيا وحدها وان المستشارين والموظفين الاوربيين الذين سيحتاجهم ايجاد نظام صائب للادارة سيكونون من البريطانيين . ٤) فيما يخص ولايتى بغداد والبصرة فان العرب يعترفون بان المصالح والمواقع البريطانية فيهما تتطلب اجراءات ادارية خاصة لحماية هاتين المنطقتين من العدوان الاجنبى» .

ان التزامات بريطانيا للشريف حسين تحتل معنيين وقد قيدت مطالب حاكم مكة الذى قضى عشرات السنين فى جو الاستانة المشحون بالنشاط السياسى ، جعلته يدرك تماما الحدود الحقيقية والممكنون الفعلى للوعود البريطانية . ولكن حتى اكثر التفسيرات تقييدا للرسالة البريطانية بدت له كافية لضمان مكانته المرتقة كملك للعرب وكافية لاعلان الانتفاضة على الاتراك . فقد فسر الالتزامات البريطانية فى بياناته العامة وفى مراسلاته مع الانجليز وفى ميدان الدعاية تفسيراً موسعاً واعتبرها حاوية على الاعتراف باستقلال العرب برئاسته شخصياً كملك لهم ، وربما كان يؤمل فى انتزاع امور من الانجليز بالقوة اكثر مما وعدوا به .

ولكن حتى التفسير الحذر لرسالة مكماهون لم يمكن الشريف وحاشيته من التصور بان جميع وعود لندن كانت خداعاً وتضليلاً ، وان المفاوضات جارية بشأن التقسيم الاستعمارى للبلدان العربية ، تلك المفاوضات التى انتهت بمعاهدة سايكس - بيكو . فقد وقعت تلك المعاهدة قبل بضعة اسابيع من اندلاع الانتفاضة وشطبت التزامات مكماهون .

وعشية الانتفاضة حذر حاكم مكة ابنه فيصل فتمكن من التملص من الرقابة التركية مع موكب صغير .

واعلن الحسين الاستقلال فى ٥ حزيران (يونيو) ١٩١٦ ، وفى ١٠ حزيران بدأ الانتفاضة خوفاً من ضربة وقائية يسدها الاتراك . وفى تموز (يوليو) استسلمت الحامية التركية فى مكة ، وتم بالتدريج الاستيلاء على سائر المدن الكبيرة فى الحجاز ، ما عدا

المدينة المنورة التي يصل اليها فرع من سكة حديد الشام .
وظهرت في جدة بعثتا اتصال بريطانية برئاسة الكولونيل ويلسون
وفرنسية برئاسة بريمون .

وفي اواخر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٦ اعلن الشريف حسين
انه ملك البلدان العربية . الا ان احدا خارج الحجاز لم يعترف
بالحسين ملكا لجميع العرب . وفي كانون الثاني (يناير) ١٩١٧
ابلغت الحكومتان البريطانية والفرنسية الحسين بانهما تعترفان به
«ملكا للحجاز» .

وفي اواخر عام ١٩١٦ انضوى تحت لواء الحسين في الحجاز
٣٠-٤٠ الف محارب ، ولكنه لم يكن لديهم غير ١٠ آلاف بندقية .
وفي البداية اوكلت مهمة تنظيم العمليات الحربية لعزير المصري
وهو ضابط من مصر ، ثم لجعفر العسكري وهو ضابط من العراق
غدا فيما بعد رئيسا للوزراء في العراق عدة مرات . الا ان الحسين
وقادته العسكريين فضلوا الاساليب التقليدية لخوض العمليات
الحربية على نصائح الضباط المتدربين في الجيوش النظامية .

وفي بداية عام ١٩١٧ احتل الاسطول البريطاني وفصيل حجازي
بقيادة فيصل آخر موضع للاتراك على ساحل الحجاز وهو الوجه .
وفي مطلع تموز (يوليو) ١٩١٧ استولى الناثرون العرب على
العقبة . واجتذبت النقود الانجليزية التي وزعها الحسين وابناؤه
على البدو عددا متزايدا من الانصار للانتفاضة .

وعلى اطراف البادية ، في اراضى الاردن حاليا ، بدأت القوات
العربية زحفها نحو دمشق ، الامر الذي سهل عملية الجيش البريطاني
التي قادها اللنبي في فلسطين . واقتربت نهاية الامبراطورية
العثمانية . واخذ العرب يفرون من القوات التركية .

وعندما نشرت روسيا السوفييتية بعد ثورة اكتوبر المعاهدات
القيصرية السرية (ومن ضمن ما نشر معاهدة سايكس - بيكو بشأن
تقسيم الاقطار العربية) سلم الاتراك الى الشريف حسين نص هذه
المعاهدة . فاتصل الحسين بالانجليز طالبا رأيهم في صحة هذه
المعاهدة فاستلم منهم «تأكيدات صادقة» بان هذه المعاهدة مزورة .
وصدق الشريف حسين الانجليز او تظاهر بانه يصدقهم وواصل
العمليات الحربية ضد الاتراك . وكان ذلك يعنى ان الدماء العربية
تراق في الواقع لاغراض ضد العرب . الا ان حكومة الحجاز كانت

معتمدة كلياً على المساعدات العسكرية والمالية والغذائية من الانجليز وكانت لا تتمتع بحرية العمل .

وفى المرحلة الختامية من الحرب وبعدها غدا واضحا ان الانجليز لا ينوون تنفيذ الوعود المائعة التى قدموها للحسين والقوميين العرب ، بل وراحوا يعمقون المشكلة بالتقسيم السافر للاراضى العربية وبوعد بلفور الصادر فى ٢ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧ بشأن تأسيس «موطن» لليهود فى فلسطين . وتأزمت العلاقات بين الحسين والانجليز . الا ان بريطانيا ثبتت «مصلحتها الخاصة» فى الجزيرة العربية من خلال مؤتمر صلح فرساي .

وفى ٣٠ ايلول (سبتمبر) ١٩١٨ دخلت جماعة من المحاربين من قبيلة عنزة الى دمشق وجالت فى ساحتها الرئيسية حاملة العلم العربى . وبعد يوم كامل دخلت وحدات اللنبى الانجليزية المدينة وصار فيصل ملكا مؤقتا لسورية حيث تشكلت حكومة عربية . ولكن الفرنسيين طردوا فيصل من دمشق بعد عامين واغرقوا الحركة التحررية لعرب سورية بالدماء .

عبد العزيز وانتفاضة الحجاز . بعد بداية الانتفاضة المناهضة للاتراك فى الحجاز كانت المهمة الرئيسية للحكومة البريطانية فى شبه الجزيرة العربية هى حث عبد العزيز على الانضمام الى الشريف حسين ، او على الاقل ، الحيلولة دون اشتداد التناقضات بينهما . الا ان عبد العزيز لم يكن منذ البداية يثق بالشريف حسين . وعندما علم امير الرياض من بيرسى كوكس بنبا الانتفاضة فى الحجاز فى حزيران (يونيو) ١٩١٦ اعرب عن مخاوفه من ان رغبة الحسين فى قيادة العرب يمكن ان تخلق وضعاً غير مقبول اطلاقاً بالنسبة له (٢٥) .

وبعد بداية انتفاضة الحسين كان النجديون يساعدون الاتراك تارة ويساعدون الحجازيين تارة اخرى ، كما يقول المؤرخ الزركلى الموالى للسعوديين .

وكتب موسيل يقول ان فصائل عبد العزيز قامت بغزوات على القبائل الخاضعة للشريف حسين وخصوصاً فى المناطق الحدودية . واقام ابن سعود صلات مع الوالى العثماني والقائد العام للقوات التركية فى اطراف المدينة المنورة . وفى اواخر ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ توجه وفد نجدى الى دمشق لمناقشة مختلف القضايا مع

السلطات العثمانية ، مع ان عبد العزيز نفسه زار الانجليز في البصرة في اواخر تشرين الثاني (نوفمبر) .

ويبدو ان عبد العزيز احس بالجهة ذات الكفة الراجحة ، فصادر ٧٠٠ جمل اشتراها احد التجار الاثرياء لاجل الاتراك وسلمها الى الانجليز في الكويت . ولاحظ الشريف حسين ان الجهود البريطانية عاجزة عن وقف منافسه النجدي فبعث رسولا الى عبد العزيز يحمل ذهابا ودعوة للعمل ضد العدو المشترك (ضد الاتراك) .

وبعد اندلاع الانتفاضة في الحجاز بدأت اماره جبل شمر تستلم من الاتراك اسلحة . وعندما ادرك عبد العزيز ان القدرة العسكرية لحائل بُعثت من جديد اخذ يسعى الى تحسين العلاقات مع الشريف حسين ، الا ان السبب الرئيسي في تغير موقفه العدائي من الحجاز هو الضغط البريطاني .

وفي ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦ عقد بيرسي كوكس في الكويت اجتماعا حضره عبد العزيز وشيخ الكويت جابر وشيخ المحمرة خزعل وامتدح ابن سعود اعمال الشريف حسين واكد على ضرورة تعاون جميع العرب المخلصين معه للدفاع عن القضية العربية . ولكن الامير ، كما هي العادة ، لم يعد بتقديم دعم ملموس . واقنع الانجليز الحسين بارسال برقية تحية الى الحاضرين في اجتماع الكويت .

وقرر عبد العزيز اثناء هذا الاجتماع التزام جانب بريطانيا كليا . وآنذاك استلم مع شيخ الكويت جابر الوسام البريطاني . واقسم الرجال الثلاثة اليمين على التعاون باخلاص مع بريطانيا . وعند ذاك قدم عبد العزيز الى الانجليز بصورة تظاهرة الـ ٧٠٠ جمل التي كانت مخصصة للاتراك .

وبعد اجتماع الكويت زار ابن سعود البصرة حيث استعرض الانجليز امامه الاسلحة الحديثة ورأى الطائرات لأول مرة . ولم يبد الامير اعجابه الشديد فهو قليل الكلام ، ولكن الآليات الحديثة ، كما هو المفروض ، قد تركت لديه انطبعا عميقا . وفي تلك الفترة تم الاتفاق على المعونة الشهرية لاميير الرياض بمبلغ ٥ آلاف جنيه استرليني .

وبالاضافة الى المعونة المالية عرض بيرسي كوكس على امير

نجد ٤ رشاشات وثلاثة آلاف بندقية مع ذخيرتها ، وردا على ذلك وعد عبد العزيز بتجنيد ٤ آلاف شخص ضد حائل .

ومع ذلك تأكد الانجليز من عدم امكان دفع امير الرياض الى العمليات المباشرة ضد جبل شمر ، وكانوا يؤملون ، على الاقل ، فى ان ترغمه المعاهدة الموقعة معه على فرض الحصار على الاتراك فى الحجاز وسورية . الا ان امير الرياض ، شأنه شأن الحكام الآخرين ، لم يعيقوا حتى نهاية الحرب التهريب الذى كانت ترد عائدات منه الى الخزينة . وذات مرة نقلت قافلة من ٣ آلاف جمل بضائع الى الحجاز فظهرت بسبب ذلك تعقيدات فى علاقات ابن سعود مع الانجليز .

وعندما اعلن الشريف حسين انه ملك العرب اعرب امير الرياض عن احتجاجه وطالب برسم الحدود بين نجد والحجاز والاتفاق على عائدة بدو الحدود .

واعتمارا من عام ١٩١٧ حاول بيرسى كوكس ان يصرف انظار ابن سعود عن اعمال الحلفاء فى الحجاز ، وظل يحرضه على مهاجمة امانة جبل شمر التى كانت تقلق القوات الانكلوهندية فى وادى الرافدين من جهة الجناح . (وفي تلك السنة صار بيرسى كوكس معتمدا مدنيا لبريطانيا فى بغداد لدى فيلق العمليات الانكلوهندى) . وحاول الانجليز من جديد وبدون جدوى ان يوقفوا التهريب عبر بوادى الجزيرة . وكان سيل البضائع يجرى كذلك من العراق الذى ترابط فيه قواتهم ، ومن موانئ الخليج ، بما فيها الكويت . ثم كانت القوافل تتجه الى القصيم او جبل شمر ، ومن هناك الى المدينة المنورة او دمشق .

وفي خريف ١٩١٧ كانت فصائل الحسين تقاتل بفتور . فطالب المندوب السامى البريطانى الجديد فى مصر وينهايت بممارسة ضغط اشد على ابن سعود لجعله يقوم بعمليات انشط ضد جبل شمر . وتوجه ستورس مبعوث وينهايت الى بغداد حيث ناقش الموقف مع بيرسى كوكس . وعندما زار ستورس الرياض اصيب بضربة شمس فاضطر الى مغادرة الجزيرة العربية . وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧ نزل ممثلو بيرسى كوكس وعلى رأسهم الكولونيل هاملتون فى العقير وتوجهوا الى الرياض ليناقشوا الوضع مع الامير فى اواخر الشهر .

وكان في هذه البعثة فيلبى الذى غدا من اكبر دارسى الجزيرة العربية وربط حياته فيما بعد بعبد العزيز والعربية السعودية . وغدا مندوبا دائما لبريطانيا عند امير الرياض . وكتب فيلبى نفسه ان مهمته كانت دفع عبد العزيز لشن الحملة على جبل شمر والحيلولة دون تأزم العلاقات مع الحجاز والعثور على حل لمشكلة العجمان . ووعد عبد العزيز ببدء العمليات النشيطة اذا قدموا له السلاح .

ولكن الانجليز ، فى نيسان (ابريل) ١٩١٨ عندما تم احتلال القدس ، لم يعودوا بحاجة الى تصفية امارة جبل شمر ، بل وصاروا يرفضون ارسال ما طلبه فيلبى فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ ، فخابت آمال عبد العزيز .

وفى ٥ آب (اغسطس) ١٩١٨ بدأت الحملة على جبل شمر ، وشارك فيها فيلبى الذى كتب عنها بحثا مفصلا . وفى ايلول (سبتمبر) ١٩١٨ تحرك الاخوان رافعين راياتهم نحو حائل . وكان عند النجديين حوالى ٥ آلاف شخص . وفى تلك الاثناء تأزم الوضع على الحدود مع الحجاز بسبب واحة الخرمة . وعقد الحسين صلحا مع حائل ، واقلق ذلك كله امير نجد . وعندما كان الشمريون على وشك الاستسلام قرر الانجليز ان انتصار ابن سعود فى حائل سيثير رد فعل سلبي عند الحسين فامروا الحملة بان تعود . واشتاط عبد العزيز غضبا . الا ان هذه الحملة عادت عليه بغنيمة كبيرة هى الف وخمسمائة جمل وآلاف الاغنام و١٠ آلاف خرطوشة . ولكنه ادرك ان الانجليز لم تعد لهم مصلحة فى اعماله ضد حائل ناهيك عن احتلاله جبل شمر .

وثناء حصار الهاشميين للمدينة المنورة الذى استمر من اذار (مارس) ١٩١٧ حتى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ حدث فى معسكر عبدالله بن الحسين خلاف بين احد شيوخ عتيبة وبين امير واحة الخرمة الشريف خالد بن منصور بن لؤى . وتعرض هذا الاخير لاهانة اثارت غضبه .

وفى خريف ١٩١٧ ادت مجموعة كبيرة من النجديين فريضة الحج ، وقابلهم الحسين بالترسيم . واصر النجديون على تعيين حدود رسمية بين الدولتين ، ولكن الملك حسين تملص من الجواب وربما انتهنز خالد فرصة الحج ليجرى اتصالات مع النجديين

ويتبنى «التوحيد» الوهابي . وقد لاحظ الحسين ذلك . وبعد فترة قصيرة طرد خالد من الخرمة القاضي الذي بعثه شريف مكة . وعندما طلب الشريف من خالد ان يحضر لتوضيح هذا التصرف رفض خالد الحضور وقد احس بان حياته في خطر .

وفي عام ١٩١٨ بعث الملك حسين فصيلا للاستيلاء على الخرمة ، الا ان عبد العزيز تمكن آنذاك من ارسال الاخوان لنجدة خالد ، ولذا دمروا بجهود متضافرة القوات التي جاءت من مكة عن بكرة ابيها .

وكان ذلك تحديا سافرا للشريف حسين . الا ان خالد قد تقوى آنذاك واخذ يقوم بغارات على المناطق الخاضعة للحسين . وكانت المدينة المنورة لا تزال في ايدي الاتراك ، وكان ذلك العمل في الواقع تعاوناً مع الاتراك . واخيرا استسلمت حامية المدينة المنورة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ ، وانتهت الحرب العالمية الاولى بالنسبة للجزيرة العربية .

وجرت الاحداث لاحقا في تربة والخرمة الواقعتين بين الحجاز ونجد . وكان في تربة حوالى ثلاثة آلاف نسمة ، وكان فيها عدد من الاشراف يمتلكون كثيرا من ارضها . كانت هذه الواحة تعتبر بوابة الطائف من جهة نجد . اما الخرمة فكان فيها حوالى ٥ آلاف نسمة بعضهم من قبيلة سبيع وبعضهم من العبيد والمعتوقين . كما كانت فيها بضع عشرات من الاشراف .

الاحداث في اليمن وعسير . بعد استسلام الامبراطورية العثمانية ظلت في الجزيرة العربية خمس دول مستقلة في الواقع هي الحجاز ونجد وجبل شمر وعسير واليمن . وكان مستقبلها مرتبطا بالصراع فيما بينها حيث ينتصر الاقوى ، وهو اماره نجد ، وكذلك بسياسة بريطانيا . وكتب اللورد ميلنر وزير المستعمرات البريطاني في ١٦ أيار (مايو) ١٩١٩ يقول «كانت الجزيرة العربية المستقلة مبدأ اساسيا دائما في سياستنا الشرقية . ولكن ما نعنيه بذلك هو ان الجزيرة العربية رغم انها ستكون مستقلة بحد ذاتها ، فانها ستبقى خارج نطاق الدسائس السياسية الاوربية وداخل مجال النفوذ البريطاني ، وبعبارة اخرى فان ذلك يعنى ان حكماها المستقلين لن تكون لديهم معاهدات اجنبية مع احد سوانا» . ولكن قبل ان نعود الى الاحداث الاساسية في السياسة في

الجزيرة العربية والتي صارت تعتمد اكثر فاكثر على التنافس بين نجد والحجاز ووجود بريطانيا كمحكم بينهما يتعين ان نتناول الوضع فى اليمن وعسير .

ظل امام اليمن فى الحرب العالمية الاولى مواليا للاتراك ، ومن اسباب ذلك عدم رغبته فى الوقوع فى تبعية للانجليز وكذلك مخاوفه من الامير محمد الادريسي الذى بسط سيطرته على جنوب عسير . وكان الادريسي ضد الاتراك حيث وقع معاهدة مع المعتمد البريطاني فى عدن فى ايار (مايو) ١٩١٥ . وحاول على رأس قوات من ١٢ الف محارب ان يستولى على اللحية ولكن دون جدوى . وتمكن من الاستيلاء على قسم كبير من شمال تهامة ، اما اللحية فقد استولى عليها الاسطول البريطانى بواسطة فصيل من ابناء عسير فى مطلع عام ١٩١٧ . وظل الحسن آل عايض شيخ القسم الشمالى من عسير (وعاصمته ابها) حتى حزيران (يونيو) ١٩١٦ محايدا ولكنه بدأ عمليات حربية محدودة ضد الاتراك فيما بعد . وفى معرض تقييم الوضع فى جنوب الجزيرة العربية فى اواخر الحرب العالمية الاولى وبعدها مباشرة نشير الى ان اليمن وعسير كانتا مشغولتين بشؤونهما الداخلية فلم تمارسا تأثيرا يذكر على نتيجة الصراع بين نجد والحجاز .

معركة تربة . كان الحلفاء المنتصرون يتصارعون فى المؤتمرات السلمية من اجل الانتداب والامتيازات فى الشرق الادنى دون ان يهتموا بكيفية تطور الاحداث فى شبه الجزيرة العربية . وكانت الموجة المربعة من «الحمى الاسبانيولية» فى شتاء ١٩١٨-١٩١٩ قد حصدت ضحايا فى الجزيرة العربية اكثر ممن قتلوا فى العمليات الحربية . وكان بين الضحايا تركى الابن البكر لعبد العزيز واثنان من ابناءه الآخرين وكذلك زوجته الكبرى جوهرة . الا ان هذا الوباء لم يحل دون نشوب نزاع جديد على الحدود بين نجد والحجاز .

وارسل الملك حسين شاكر بن زيد على رأس فصيل من ١٢٠٠ بدوى و ٥٠٠ من مشاة القوات النظامية للاستيلاء على الخرمة ، ولكن قواته منيت بالهزيمة تلو الهزيمة . وفى مطلع عام ١٩١٩ ارسل حاكم مكة قوات ابنه عبدالله البالغ عددها ٨ آلاف لاحتلال الخرمة . وفى تلك اللحظة لم يكن واضحا هل ان الصدام بين الحجاز ونجد

نافع للانجليز . الا ان سلوك الملك حسين واستيائه من السياسة البريطانية وتذكيره للانجليز بانهم خرقوا التزاماتهم وادعائه بلقب ملك العرب كافة ، لعل ذلك كله هو ما دفع لندن للتفكير بايقاف الشريف عند حده . صحيح ان الانجليز قد لا يكونون يعرفون آنذاك القدرة القتالية الفعلية للنجديين . فقد كتب فيلبي ان جميع الحاضرين تقريبا في اجتماع عقده اللورد كيرزون في آذار (مارس) ١٩١٩ اعربوا عن رأيهم بهزيمة الوهابيين لا محالة ، وتقرر انذاك تأييد ادعاءات الحجاز بوحدة الخرمة .

وفى اواخر ايار (مايو) ١٩١٩ استولى عبدالله على واحة تربة وسمح لجنوده بنهبها . وفى تلك الاثناء اجتمعت على مقربة من تربة وحدات الاخوان من الغطط بقيادة سلطان بن بجاد وفصيل محاربين من قحطان بقيادة حمود بن عمر . ووصل الى تلك البقعة خالد بن لؤى من الخرمة . وتفيد المعطيات النجدية انه كان لديهم حوالى ٤ آلاف شخص . وتحدث رسل عبد العزيز الذين عادوا من تربة عن حوادث فظيعة للنهب والقتل والعنف قام بها جيش عبدالله ، وزعموا ان عبدالله تباهى بانه سيبدأ صيام رمضان فى الرياض وسيحتفل بعيد الفطر فى الاحساء .

وهجم الاخوان على قوات عبد الله ليلا من ثلاث جهات وبادوها عن بكرة ابيها . واعترف عبدالله بان ثلاثة فقط ظلوا على قيد الحياة من الـ ٥٠٠ جندي النظامى الذين كانوا عنده ، ولم يسلم الا ١٥٠ شخصا من الـ ٨٥٠ حجازيا الذين كانوا معه . ووقعت فى ايدى الاخوان جميع الاسلحة والذخيرة تقريبا . ومع ان الاخوان شاركوا سابقا فى بعض غزوات عبد العزيز ولكن هذه المعركة كانت اول اختبار فى عملية قتالية جدية . وبينت المعركة ان لدى امير نجد قوة قادرة على القتال .

ونشأ وضع خطير بالنسبة للحجازيين .

وصل عبد العزيز الى تربة فى بداية تموز (يوليو) ١٩١٩ مع امدادات كبيرة من ١٢ الف شخص ، مع ان هذا الرقم فيه مبالغة على ما يبدو . ولكن رسولا وصل من جدة فى ٤ تموز ١٩١٩ يحمل رسالة من المعتمد البريطانى : «امرتنى حكومة جلالة الملك ان ابلاغكم بان تعودوا الى نجد حالما يصل الى يدكم كتابى هذا وتركوا

تربة والخرمة منطقة غير مملوكة حتى مفاوضات عقد الصلح وتحديد الحدود ، واذا ابيتم الرجوع بعد الاطلاع على هذا الكتاب فحكومة جلالة الملك تعد كل معاهدة بينكم وبيننا ملغية وتتخذ ما يلزم من التدابير ضد حركاتكم العدائية» .. وطلب الانجليز من عبد العزيز ان لا يتحرك نحو الطائف .

وعندما استلم امير الرياض هذا الانذار ادرك بانه تمادى كثيرا ، فعاد الى الرياض في الحال . وامر الاخوان بان يغادروا الواحات في هذه المنطقة واستبدلهم بفصيل وصل من منطقة حائل ، كما اعاد امير تربة السابق الى منصبه .

وعزز الانجليز انذارهم بارسال طائرات وجنود الى جدة . وكانوا آنذاك يعتقدون ، على ما يبدو ، بان الملك حسين تلقى درسا وما كانوا ينوون اطلاق العنان لامير نجد الذي يصعب عليهم ضبط تصرفاته .

ولقد خضع ابن سعود لمطالب الانجليز ، ولكن دحر الحجازيين السهل نسبيا بين له مدى القوة التي يمتلكها ، ولذا صار يعتقد بان الحجاز سيكون ملكا له في آخر المطاف . ويمكن اعتبار معركة تربة نهاية التاريخ الحديث وبداية التاريخ المعاصر للجزيرة العربية .

بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ظلت نجد مجرد دولة من عدة دول في الجزيرة العربية . وظلت قائمة امارة جبل شمر ، وكانت الكويت تحت الحماية البريطانية ، ولم تكن عسير قد ضمت الى نجد بعد . وكانت الحجاز تدعى بالتهام الجزيرة العربية كلها مع انها لا تمتلك القوة اللازمة لذلك . وعلى اشلاء الامبراطورية العثمانية وزعت الدول الاستعمارية الاوربية اراضي الانتداب فيما بينها . وكتب لويد جورج يقول : «ان احدا ما لا ينوى ارسال قوات اجنبية لاحتلال جزء ما من الجزيرة العربية . فهي بلد فقير جدا لا يستحق ان تحتله دولة ضارية» . ولم يتبادر الى ذهن احد ان في هذا البلد يمكن ان توجد احتياطات خيالية من البترول .

وعلى اثر ثورة اكتوبر وبثأثير منها اجتاحت العديد من البلدان العربية حركات التحرر الوطني من مختلف التلاوين . ورغم تنوع القوى التي شاركت في تلك الحركات فقد كانت موجهة ضد الانظمة الاستعمارية التي فرضتها بريطانيا وفرنسا وضد التقسيم الامبريالى

للبلدان العربية ونظام الانتداب الذي ابتدعته عصبة الأمم . وكانت انتفاضات ١٩١٩ و ١٩٢١ فى مصر و١٩١٨-١٩٢٠ فى العراق والحركة الجماهيرية الشعبية المناهضة للاستعمار فى ١٩١٨-١٩٢٤ فى سورية ولبنان والانتفاضة السورية فى ١٩٢٥-١٩٢٧ والانتفاضة فى عدن عام ١٩١٩- كل تلك الأحداث كان لها تأثير مباشر وغير مباشر على الجزيرة العربية . وغدا واضحا ان زمان النظام الاستعماري بأشكاله القديمة قد ولى بالتدريج .

الفصل الحادى عشر

توحيد اراضى الجزيرة من حول نجد
(١٩١٨-١٩٢٦)

اصبح وضع اماره نجد بعد الحرب العالمية الاولى اكثر تعقيدا مما كان عليه عشية نشوبها . فلئن كان بوسع امير الرياض قبل الحرب ان يستثمر التناقضات بين الامبراطورية العثمانية وبريطانيا العظمى ، فان الانجليز غدوا بعد الحرب القوة الفعلية الوحيدة فى المنطقة . وتيقن عبد العزيز من ذلك حينما منعه من مهاجمة الحجاز وجبل شمر . ولكن بريطانيا ، من جهة اخرى ، تحاشت التدخل مباشرة فى شؤون شبه الجزيرة العربية وسعت الى التملص من الاتفاق على حكامها .

العلاقات بين نجد والكويت . احدث ارتفاع شأن اماره نجد قلقا لدى حاكم الكويت ، الذى شعر بخطر مباشر يهدده بفعل انضمام عشيرة مطير التى كانت الكويت هدفا تقليديا لهجماتاتها الى حركة الاخوان . وتحت ستار حماية دعوة «التوحيد» ونشرها ، اعتبر مطير ان من حقهم نهب الكويت ، بلد «المشركين» المتعاون مع الانجليز .

فى عام ١٩١٥ ساعد الكويتيون قبيلة العجمان على تفادى الهلاك بايوائهم ابناء هذه القبيلة . وانصاع العجمان آنذاك لعبد العزيز خلافا لارادتهم . فقد احتوتهم حركة الاخوان ، ولكن عبد العزيز كان يعتزم تقسيم العشيرة الى زهاء عشرين هجرة صغيرة مبعثرة فى المناطق الداخلية من نجد . ورغم ان العجمان لم يعارضوا حركة الاخوان ، الا انهم رفضوا رفضا قاطعا الاقامة فى مناطق مبعثرة خارج ديارهم فى منطقة الاحساء .

وكان تدهور العلاقات بين الانجليز والكويتيين عوننا غير منتظر للنجديين . اذ اكتشف الانجليز ان تموين الاتراك فى الشام

كان يجرى جزئيا ، عن طريق الكريت ويحصل شيخها سالم على دخل من التهريب (٢) .

وقد كان حاكم الكويت سالم على علم بالاتفاقية البريطانية - التركية لعام ١٩١٣ التي ترسم حدود الكويت في منطقة جبل منيف (٣) . ولكنه لم يعرف بان المعاهدة البريطانية النجدية لعام ١٩١٥ لم ترسم حدود الكويت (٤) . (كان يدعى بجزء كبير من الاحساء) .

وقد اقام عبد العزيز هجرة اخوانية على حدود الكويت ، ولكن ضمن حدود ديرة مطير ، فاحتج الشيخ سالم وجرى اشتباك بين الكويتيين والاخوان الذين كانوا بامرة فيصل الدويش ، وانتهى بهزيمة الكويتيين (٥) .

وازاء الخطر الداهم سأل الشيخ سالم الانجليز ان يعينوه ، ولكن هؤلاء طالبوا بان يوافق الطرفان المتخاصمان سلفا على حكم الانجليز كقضاة (٦) .

في ايلول (سبتمبر) عام ١٩٢٠ وافق الامراء على مطالب الانجليز ، ولكن الاشتباكات استمرت . وعندها طلب الكويتيون النجدة من قبائل شمر ، فوصلت قوة من حائل . اوعز ابن سعود لفيصل الدويش بالتحرك نحو الكويت . وفي ايلول (سبتمبر) عام ١٩٢٠ وصل اخوانيون من قبيلة مطير يقارب عددهم الاربعة آلاف الى مكان بعيد بضعة كيلومترات الى الجنوب من مدينة الكويت (٧) . وفي الشهر ذاته اجرى بيرسى كوكس مفاوضات مع عبد العزيز في العقير (٨) ، في محاولة لحل نزاعات الحدود حلا يرضى الانجليز . ولكن فيصل هاجم في تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٢٠ ، في موقع قرب الجهراء ، القوات الكويتية الشمرية وهزمها ، رغم تكبده خسائر كبيرة . واحتمى الشيخ سالم بقصر له قرب الجهراء ودخل مفاوضات لكسب الوقت ، وفي الوقت ذاته طلب النجدة من الانجليز . وفي الشهر ذاته قرر الانجليز اغاثته فارسلوا سفنا الى سواحل الكويت وهددوا بالتدخل في النزاع الى جانب الكويت ، مما اضطر فيصل الى الانسحاب (٩) .

في اواخر شباط (فبراير) عام ١٩٢١ باغتت المنية الشيخ سالم . وقد وقع اختيار اعيان الكويت ، الذين انهكتهم حرب هم في غنى عنها ، على احمد بن جابر الصباح ، وهو الابن الاكبر للشيخ

جابر بن مبارك الصباح الراحل . وكان احمد ذا شعبية ويؤيد التوصل الى حل مقبول مع امير الرياض (١٠) . وفى تلك الاثناء كان يجرى مفاوضات مع ابن سعود فى نجد .

ادرك عبد العزيز ان الانجليز لن يتنازلوا له عن الكويت . وفى ذلك الحين كان اهتمامه منصرفا الى الحملة المرتقبة على حائل ، وامكانية احكام سيطرته على جبل شمر باسره .

الحاق جبل شمر . خلال العامين المنصرمين بلغت النزاعات بين آل سبهان وآل رشيد درجة الغليان . وفى عام ١٩١٩ فرّ سعود آل سبهان الى الزبير ، فانتقل منصب الوزير الذى كان يشغله الى المدعو عقاب بن عجل الذى شرع يبحث عن واصلة بعبد العزيز (١١) . وفى اواخر آذار (مارس) عام ١٩٢٠ لقي امير شمر سعود بن عبد العزيز مصرعه على يد ابن عمه عبد الله بن طلال الذى قتله فيما بعد احد خدام سعود . وبالتالي آلت الامارة الى عبد الله بن متعب بن عبد العزيز (١٢) .

تلقى امير نجد معلومات تفيد بوجود كثير من انصار اسرة شريف مكة فى حاشية آل رشيد ، وصار خطر اتحاد خصوم آل سعود القدامى خطرا فعليا فى الظروف التى كان ابانها الانجليز يعدون فيصل لتولى عرش العراق (١٣) . فى آذار - نيسان (مارس - ابريل) عام ١٩٢١ ، واثر عقد الصلح مع ممثل الكويت ، قرر عبد العزيز تجهيز حملة على حائل . وفى تلك الاثناء نكبت المناطق الوسطى من الجزيرة مرة اخرى بالجفاف الشديد وارتفعت الاسعار ، مما زاد من مصاعب جبل شمر (١٤) .

فى نيسان - ايار (ابريل - مايو) عام ١٩٢١ الحقت فصائل بن سعود الهزيمة بقبائل شمر واضحت عند جدران حائل ، فبدأ حصار مديد . قرر حاكم جبل شمر عبد الله بن متعب بن عبد العزيز الاحتماء وراء جدران حائل المنيعه ، ولكن حينما اوشكت المؤونة فى المدينة على النفاد ، ارسل وفدا للتفاوض . وكان مستعدا للقبول بان تقتصر اماره جبل شمر على مدينة حائل واراضى قبيلة شمر ، ولكن ابن سعود الذى شعر بقوته ، طالب بالاستسلام الكامل (١٥) .

استمرت الاشتباكات بين الطرفين طوال عدة شهور ، دونما نتائج تذكر . ورغم ان سكان حائل تمكنوا من الحصول على قدر

من المؤونة يكفي لمقاومة الحصار ، الا ان الصراع الداخلي في المدينة استمر مستعرا . وقد خلع اعيان حائل عبد الله بن متعب ونصبوا مكانه محمد بن طلال (شقيق عبد الله بن طلال) بعد اطلاق سراحه من السجن ، واستجار عبد الله بن متعب بامير الرياض . وحتى ذلك الحين لم يسفر الحصار عن شيء .

في تلك الاثناء وضع ونستون تشرشل في اجتماع عقد بالقاهرة بنية الشرق الاوسط لفترة ما بعد الحرب . قرر الانجليز تنصيب فيصل ، ابن الشريف حسين ، ملكا على العراق ، وسرعان ما توج . كما قرروا اسناد امارة شرقي الاردن لعبد الله . وادرك ابن سعود ان عليه الاسراع ، والا فان جبل شمر سوف يفلت منه . قبل بدء الحملة الجديدة على حائل عقد عبد العزيز مجلسا لاعيان وشيوخ القبائل وعلماء الدين حيث تقرر ان يخلع على الامير لقب «سلطان نجد والاراضي الملحقة» لرفع الهيبة الدولية للبلد .

في آب (اغسطس) عام ١٩٢١ عاد عبد العزيز الى مواقع قرب حائل على رأس قوة مؤلفة ، وفق بعض المصادر ، من زهاء عشرة آلاف شخص من ضمنهم الاخوانيون بزعامة فيصل الدويش (١٦) . اصبحت اوضاع المحاصرين ميؤوسا منها ، وبعد شهرين من الحصار اوفد اعيان المدينة احد افراد آل سبهان للتفاوض ثم اتفقوا على الاستسلام . وفي الوقت المحدد شرعت ابواب حائل امام قوات عبد العزيز . لاذ بن طلال بالقلعة وارسل نداء استغاثة الى السلطات البريطانية في العراق والى الملك فيصل ، ولكن النجدة لم تصل وبعد فترة استسلم بشرط ان تصان حياته . اقام ابن طلال في الرياض اسيرا مكرما وزوج ابنته لابن سعود . وقد لقي آخر امير مستقل لحائل مصرعه في الرياض على يد احد عبيده عام ١٩٥٤ (١٧) .

في الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٢١ لم يعد هناك وجود لامارة جبل شمر المستقلة . وفي الثاني من الشهر بايع سكان حائل عبد العزيز الذي جعل من ابراهيم السبهان واليها للمنطقة الجديدة في سلطنته . وقد حرّم امير نجد السلب في المدينة ، بل وزود الجياع ببعض المؤن . وكان الشيعة اكثر من يخشى على حياتهم ، ولكن ابن سعود اصدر ايعازا خاصا يكفل لهم

الحماية (١٨) . ويجدر بالذكر ان الاخوان لم يوافقوا على تسامح اميرهم وانتقدوه علانية لغضه النظر عن «المشركين» (١٩) . بسقوط جبل شمر اوضحت كل المناطق الوسطى من الجزيرة تحت سيطرة امير الرياض واصبحت نجد والمناطق الملحقة بها القوة الرئيسية في شبه الجزيرة العربية . ولم يقو جبل شمر على الصمود ازاء ضغط الجار الجنوبي الاقوى الذى استلهم جنده شعارات المذهب الوهابى بعد انبعائه . لقد اعتمد جبل شمر ، فى الاساس ، على قبيلة كبيرة واحدة ولم يصبح نواة لدولة موحدة فى الجزيرة العربية ، وضعت مواقعها ازاء المنافس القوى الحازم بسبب الحزازات الداخلية وغياب الزعيم القوى . وقد ربط حكام جبل شمر مصيرهم بالامبراطورية العثمانية ، فى حين ان الحركة القومية لعرب الجزيرة كانت ذات طابع مناهض للاتراك بوضوح . وفى تلك الاثناء لم تكن بريطانيا تعتبر الحاق الجزء الشمالى من وسط الجزيرة بنجد خطرا كبيرا على مصالحها فى العراق وشرقى الاردن ، وآثرت ان تبقى بمعزل عن الاحداث هناك ، رغم ان تعزيز مواقع نجد حملها هموما غير قليلة .

بداية النزاعات والاشتباكات الحدودية بين نجد والعراق وشرقى الاردن . بعد الاستيلاء على جبل شمر جابهت امارة نجد ثلاث دول معادية لها يحكمها افراد الاسرة الهاشمية ، وتعد نجد من الغرب والشمال .

لم ترسم الحدود بين جبل شمر وبين العراق وشرقى الاردن . وعلاوة على ذلك فان مسألة الحدود البرية الثابتة كانت جديدة نوعا ما على حكام الجزيرة . وكان ابن سعود يرى ان كل قبائل شمر وعنزہ تابعة له ، وبذا فان رعاياه متواجدون فى مناطق بعيدة يعتبرها الانجليز جزءا من العراق . اضيف الى ذلك ان بعض قبائل شمر وغيرها من القبائل الرافضة لمطامع السعوديين قد ارتحلت الى العراق (٢٠) . وفيما بعد كتب غلوب باشا قائد الجيش (الفيلق) العربى فى الاردن : «لم تكن هناك حدود فى اواسط الجزيرة . ولم تحاول الادارة فى بغداد قط احكام سيطرتها فى الصحراء لمسافة تزيد عن ميلين او ثلاثة من الفرات . . . وكانت حياة العديد من القبائل ذاتها مرتهة بحقها فى التنقل بحرية فى المناطق الواقعة ضمن الحدود الحالية للعراق وسورية . وتصرفت

القبائل السورية والعراقية على النحو ذاته . لذا فان رسم حدود ثابتة بدا لها امراً خطراً» (٢١) .

ادت الخلافات والاشتباكات بين القبائل الى تفاقم النزاعات بين العراق ونجد . وفي خريف عام ١٩٢١ عين المدعو يوسف بن سعدون قائدا لفيلق الجمالة العراقي المشكل حديثا . وكان لهذا عداء شخصي مع شيخ قبيلة الظفير حمود بن سويط الذي فر الى الرياض مستجيرا بعبد العزيز وعاد بعد فترة من الزمن مع جياة الزكاة الذين اوفدهم امير الرياض . والتحق بحمود مجموعة من الاخوان من مطير برئاسة فيصل الدويش ، فهاجموا سوية معسكر يوسف في آذار (مارس) عام ١٩٢٢ وبادوا غالبية جنده ، فارسل الانجليز طائراتهم لنجدة العراقيين . عند ذاك سرحت الحكومة العراقية فيلق الجمالة واقلت قائده يوسف بن سعدون الذي ساءه الامر فهرب الى الرياض حيث عرض خدماته على عبد العزيز (٢٢) .

ربيع عام ١٩٢٢ التقى ممثلون عن عبد العزيز ببيرسي كوكس في المحمرة ، واصر الانجليز على اقامة حدود ثابتة بين العراق ونجد ، وطالب الوفد النجدي برسم الحدود اعتمادا على تقسيم الديار التقليدية للبدو الرحل ، وفي الخامس من ايار (مايو) عام ١٩٢٢ وقعت معاهدة المحمرة التي جعلت قبائل المنتفق والظفير والعمارات التي هي فخذ من قبيلة عنزه تابعة للعراق ، بينما جعلت قبائل شمر تابعة لنجد . غير ان عبد العزيز رفض ابرام الوثيقة بحجة ان الظفير بزعامة حمود بن سويط احتموا به ورفضوا الانصياع للعراق (٢٣) .

في حزيران (يونيو) عام ١٩٢٢ شرع الاخوان يتحركون باتجاه الشمال الغربي ، نحو شرق الاردن . وبعد الاستيلاء على واحة الجوف في تموز (يوليو) من نفس العام اشتبكوا مع دوريات تابعة لامارة شرقي الاردن . واثّر ذلك استولوا على واحتى تيماء وتبوك وارغموا سكانهما على اخراج الزكاة للرياض (٢٤) . وبعد ذلك زحف الاخوان على وادي السرحان الذي كان سابقا جزءا من جبل شمر ، وسرعان ما هاجموا واحة بني شاكر ، مما جعلهم على مقربة من عمان ، عاصمة شرقي الاردن (٢٥) . وفي ذات الوقت دنا النجديون من حدود سورية الواقعة تحت الانتداب الفرنسي ، واخذوا يهددون بقطع ممر الارتباط المباشر بين الممتلكات البريطانية .

وفى ذلك الحين كان الانجليز يدرسون مسألة مد خط للسكك الحديد بين فلسطين والعراق عبر هذا الممر بالذات .

رأى بيرسى كوكس ان من الضروري العمل على وضع حدود ثابتة ، واتفق على عقد لقاء شخصى مع امير نجد . وفى ٢١ تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٩٢٢ بدأ كوكس وعبد العزيز مفاوضات استغرقت ستة ايام فى العقير . واسفرت المفاوضات عن وضع بروتوكولات (ملاحق) العقير التى وقعت فى الثانى من كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٢٢ والحقت بمعاهدة المحمرة . وكان هذا يعنى نوعا من النجاح للدبلوماسية البريطانية التى ارغمت سلطان نجد على الاعتراف بحدود العراق الخاضع للانتداب (٢٦) .

رسم البروتوكول الاول الحدود بين العراق ونجد واسس المنطقة المحايدة التى يحق للقبائل العراقية والنجدية ان ترعى اغنامها فيها . ومنحت القبائل النجدية التى كانت تستخدم بعض الآبار فى اراضى العراق الحق فى مواصلة استخدامها بشرط الا تستثمر مصادر الماء فى منطقة الحدود لاغراض حربية . وبذا فان هذه الاتفاقية راعت حدود الديرة التقليدية لشتى القبائل . نص البروتوكول الثانى على ان لاي قبيلة تروم ان تكون تحت رعاية حكومة اخرى الحق فى ذلك .

والى جانب رسم الحدود بين نجد والعراق وقع عبد العزيز ومندوبون عن الكويت اتفاقية حول الحدود ، ضمنت بدورها منطقة محايدة للبدو من الطرفين ، لاستخدامها لاغراض رعى الاغنام (٢٧) . ان مفاوضات العقير بحد ذاتها حرية بان تتوقف عندها بشيء من التفصيل . وهاكم ما كتبه احد المشتركين فيها وهو ديكسون : «فى اليوم السادس قال السير بيرسى . . . لكلا الطرفين ان الوتيرة التى تجرى عليها المفاوضات لن تفضى الى تسوية شىء طوال سنة . وفى لقاء خاص اقتصر على بيرسى كوكس وابن سعود وانا لم يطق كوكس صبرا على ما سماه بموقف ابن سعود الصبيانى من فكرة الحدود القبلية . ولم يكن السير بيرسى يجيد العربية كما ينبغى ، فتوليت الترجمة . كان امرا غريباً ان يلاحظ المرء كيف يوبخ المندوب السامى لصاحب الجلالة سلطان نجد وكأنه تلميذ مشاكس . قال كوكس لابن سعود بصرامة ، انه هو (كوكس) الذى يقرر شكل الحدود وامتدادها العام . . . كاد عبد العزيز

ينهار تماما وقال بتأثر ان السير بيرسى بمثابة ابيه وامه اللذين انجياه ورفعاه من الحضيض الى مقامه الحالي ، وانه مستعد للتنازل عن نصف مملكته ، بل عن المملكة كلها اذا امر السير بيرسى .
اثر ذلك اخذ كوكس قلما احمر ورسم يحذر على خارطة الجزيرة الحدود من الخليج العربي الى شرقي الاردن . وفي مساء اليوم ذاته ، كما يقول ديكسون ، جاءت «التتمة المدهشة» . «فقد طلب ابن سعود مقابلة السير بيرسى على انفراد . اصطحبني السير بيرسى ، وكان ابن سعود يقف بمفرده وسط سرادقه الكبير الذي كان مضيفا . بدا مغتما للغاية وقال متوجعا : «يا صديقي ، لقد حرمتوني نصف مملكتي . الافضل ان تأخذوها كلها وتسمحوا لي بالاستقالة» . وظل هذا الرجل القوي الضخم البنيان المتسامي بأساة ، واقفا ثم انحدرت من مآقيه الدموع على حين غرة . تأثر السير بيرسى غاية الاثر واخذ يده وانشأ ينتحب هو الآخر . تحدرت الدموع على خديه . لم يحضر احد ، سوانا نحن الثلاثة ، هذا المشهد وانا اتقل بدقة ما رأيت . لم تستمر الزوبة العاطفية امدا طويلا . قال السير بيرسى وهو ما يزال يمسك بيد ابن سعود : «يا طويل العمر ، انا اعرف بدقة حقيقة مشاعرك ، لذا فانني اعطيك ثلثي اراضي الكويت . لا اعرف كيف سيكون وقع هذه الضربة على ابن الصباح» (٢٨) .

ومهما كان من امر لا يجب ان يغيب عن بالنا ان عبد العزيز وكوكس كانا ممثلين جيدين ، ورغم ان كل الاوراق الراجعة كانت في يد كوكس لان بريطانيا بالذات هي التي تملئ ارادتها في الجزيرة ، فان عبد العزيز تمكن من تحقيق الكثير من مطالبه . ففي تلك الفترة بالذات كان ابن سعود يعتزم تجهيز حملة على غرب الجزيرة ، وصار بوسع كوكس ان يلمح اليه بان بريطانيا سوف تتغاضى عن استيلائه على الحجاز (٢٩) .

لم يتم التوصل الى اتفاق حول الحدود مع شرقي الاردن . وفي مستهل عام ١٩٢٣ شنت مجموعة صغيرة من الاخوان هجوما جديدا على شرقي الاردن . اسر المهاجمون واعدم احد عشر شخصا منهم في عمان (٣٠) . وفي تلك الاثناء استمرت تصفية الحسابات بين القبائل القاطنة على الحدود بين العراق ونجد ، والتي جرى في العقير تقرير مصيرها دون مشاركتها . تمكن يوسف بن سعدون

من تعبئة مجموعة من الاخوان لمهاجمة خصومه من قبيلة الظفير ، ولكن عبد العزيز حينما علم بذلك ارسل قوة لمعاقبته . عندئذ هرب يوسف وانصاره (ومن بينهم الاخوان) وطلب اللجوء من الحكومة العراقية (٣١) .

عند تقييم السياسة البريطانية فى هذه المنطقة فى بداية العشرينات ، لا يمكن الزعم بان ايصال التناحر بين نجد والعراق والاردن الى حد القطيعة كان من مصلحة لندن . فقد آثر الانجليز ان يستثمروا بهدوء ممتلكاتهم الجديدة . وعلاوة على ذلك فانهم قدموا منحا كبيرة لجميع حكام المنطقة ، ولم يتوقفوا عن تقديمها الا فى ٣١ اذار (مارس) عام ١٩٢٤ (٣٢) .

فى كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٢٣ عقد فى الكويت ، بمبادرة بريطانية ، مؤتمر حضره ممثلون عن شرقى الاردن والعراق ونجد ، للقيام بمحاولة تسوية القضايا المتنازع عليها ، ولكن الاطراف لم تتفق على شىء . واستمرت غزوات القبائل عبر الحدود المرسومة شكليا ، وفى اذار (مارس) ١٩٢٤ اوعز عبد العزيز الى فيصل الدويش بمعاقبة القبائل التى شنت هجمات على نجد من جهة العراق . استؤنف مؤتمر الكويت فى اذار (مارس) عام ١٩٢٤ واستمر حتى شهر نيسان (ابريل) دونما اى نتيجة (٣٣) .

فى اواسط آب (اغسطس) اتجهت قوة كبيرة من الاخوان نحو عمان عبر وادى السرحان ، ومرت بمحاذاة حصن القاف الذى شيده الانجليز منذ امد قريب ، ولكن حامية الحصن لم تكن لديها وسيلة للاتصال لذا فان ظهورهم على بعد بضعة كيلومترات من عمان كان مفاجئا . استخدم الانجليز الطائرات والمدركات ووحدات الفيلق العربى فابعدوا الاخوان وكبدوهم خسائر كبيرة (٣٤) . بيد ان الحجاز اخذت تستأثر باهتمام متزايد من لدن امير نجد عند حلول صيف ١٩٢٤ .

منذ سنوات عديدة تتطلع عيون النجديين بشوق الى الحرمين ، بينما كان زعمائهم يحصون العوائد التى يمكن ان يدرها عليهم الحجاج ورسوم الجمارك فى جدة . واقترن الحماس والتعصب الدينى بمخططات الغزو التى اعدتها الارستقراطية الحاكمة فى نجد . ظلت العلاقات بين نجد والحجاز فى اقصى درجات التوتر بعد معركة تربة . وحينما جهز عبد العزيز قوة مسلحة للاستيلاء على

مدينة ابها فى شمال عسير فى ايار (مايو) ١٩٢٠ ، منع الحسين النجديين من دخول الحجاز لاداء فريضة الحج فى آب - ايلول (اغسطس - سبتمبر) عام ١٩٢٠ . ورفع النجديون ظلامه الى بيرسى كوكس بوصفه حكما ، ونزولا عند اصرار الانجليز سمح الحسين لهم باداء الفريضة فى العام التالى ، ولكنه حدد عدد الحجاج خوفا من تقاطر عدد كبير من الاخوان على الحجاز . وعند حلول عام ١٩٢٣ كان النجديون قد ثبتوا اقدامهم فى عسير ، فتزايدت مخاوف الحسين .

الاستيلاء على شمال عسير . ابتداء من عام ١٨٧١ وحتى الحرب العالمية الاولى كان الاتراك يمارسون ادارة عسير بشكل مباشر ، اذ كان يوجد متصرف تركى الى جانب امير من فخذ آل عايد . وعندما نشبت الحرب انسحب الاتراك من عسير واصبح الامير حسن بن على آل عائض مستقلا فى الواقع . ولكن الكثير من القبائل ، مثل قحطان وزهران وغامد ، وقفت ضده وارتحلت الى عمق الجزيرة ، وفى ذات الوقت ارسلت وفدا لمبايعة عبد العزيز . وقد اوفد امير الرياض ستة من العلماء ليهدوا ابناء عسير الى رسالة «التوحيد» (٣٥) .

كان غالبية سكان عسير من اتباع المذهب الشافعى ، ولكن بالرغم من ذلك فانهم كانوا منذ ازمان دولة السعوديين الاولى يميلون الى المذهب الوهابى ، ولم تنقطع صلاتهم بنجد (٣٦) . وقد استقبل عبد العزيز موفدى القبائل وبعث برسالة الى الامير حسن يطالب فيها باحترام حقوقهم . وطالب حسن من جانبه بالا يتدخل عبد العزيز فى الشؤون الداخلية لعسير . وفى ايار (مايو) عام ١٩٢٠ ظهرت فى جبال عسير قوة قوامها ثلاثة آلاف شخص مؤلفة من سكان العارض وبدو قحطان ، بقيادة عبد العزيز بن ساعد بن جلوى ، وانضم اليها بعض السكان المحليين . وقد هزم الامير حسن فى موقع قرب العاصمة ابها ، واحتل بن جلوى اراضى تمتد حتى المنطقة الواقعة تحت سيطرة محمد الادريسي . ونظرا لعدم توفر القوى لبسط سيطرة مباشرة على الامارة ، فان عبد العزيز نقل الامير حسن وابن عمه محمد الى الرياض ، وبعد اشهر اعادهما الى ابها كعاملين من الرياض . استمر الصراع الداخلى فى عسير ، واخيرا تولى الامارة المدعو فهد العقيل ، ولكن حسن تمكن من

تدبير عصيان ضده واستولى على ابها بعد حصار دام عدة ايام .
وقد ساعده الشريف حسين فى الوقوف ضد صنائع النجديين (٣٧).
بعد سقوط حائل جهز عبد العزيز قوة قوامها زهاء ستة آلاف
شخص اسند قيادتها الاسمية الى ابنه الصبى فيصل ، بينما تولى
القيادة الفعلية ابن لؤى . غادرت القوة الرياض فى حزيران -
تموز (يونيو - يوليو) ١٩٢٢ ، وفى الطريق التحق بها قرابة
اربعة آلاف بدوى من قحطان وزهران وشهران . وبعد الاستيلاء
على واحة بيشة فى ايلول - تشرين الاول (سبتمبر - اكتوبر)
عام ١٩٢٢ شارف فيصل مدينة ابها واستولى عليها دون قتال ،
وفر حسن بن عائض الى الجبال . وقد اخفقت محاولة ملك الحجاز
لنجدته ، وهزم الاخوان الحملة الحجازية . وبعد الاستيلاء على هذا
الجزء من عسير ، وولى فيصل اماره ابها لسعد بن عفيصان وابقى
معه حامية وعاد الى الرياض فى اوائل عام ١٩٢٣ (٣٨) ، وسرعان
ما توفى ابن عفيصان فولى الامارة بعده عبد العزيز بن ابراهيم .
وبعد فترة من الزمن استسلم حسن ووجه الى الرياض حيث عاش
مكرما (٣٩) . وبذا باء بالفشل محاولة ال عائض لانشاء اماره
مستقلة فى شمال عسير .

الاستيلاء على الحجاز . عند حلول عام ١٩٢٣ غدا واضحا ان
الاصطدام بين الملك حسين والنجديين بات وشيكا . وتزايد فى
الحجاز الاستياء من سلطة الملك ، اذ ان الفساد والرشوة استشرى
واخذ جهاز الدولة يتآكل بفعلهما . وعند جباية الخراج المعتاد من
الحجاج عمد الحسين الى زيادة الزكاة لتعزيز قواته المسلحة
واستاءت القبائل من محاولته ارسال قوات لجباية الضرائب ، والتجأ
الكثير من المستائين الى نجد . وظل الملك حسين يعتبر عسير من
ممتلكاته ، وفى نيسان (ابريل) عام ١٩٢٣ حاصرت قوة من الحجاز
مدينة ابها ولكن دون طائل (٤٠) .

يشير حافظ وهبة الى ان عبد العزيز قرر غزو الحجاز عام
١٩٢٣ ، غير انه لم يكن واثقا من موقف الحكومة البريطانية ، فان
سلطان نجد لم ينس انها هى التى ارغمته على سحب قواته بعد
معركة تربة ، وحذرت من التقدم فى الحجاز (٤١) . وبديهي ان
ابن سعود كان على علم بالاستياء من نظام الحسين فى الحجاز وكان
ذلك من العوامل التى دفعته الى التحرك . وفى الوقت ذاته بدأت

حزازات بين الحسين والحجاج الوافدين من الهند ومصر بسبب سوء الخدمات الطبية (٤٢) .

ساءت العلاقات بين الانجليز والملك الحسين الذي رفض ابرام معاهدة فرساي احتجاجا على تسليم سورية للفرنسيين ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني . وفى عام ١٩٢١ وفد لورنس يحمل الى الحسين عرضا بعقد معاهدة بين بريطانيا والحجاز ، يحصل بمقتضاها الملك على اعانات من بريطانيا ويعقد معها معاهدة عسكرية ، وفى المقابل يعترف بان لها مصالح خاصة فى الحجاز . واكد الحسين على انه لا يمكن ان يسود فلسطين السلام ما دام العرب يتهيبون من ان الهدف الاخير للصهيانة يتمثل فى اقامة دولة يهودية فى فلسطين على حساب مصالحهم القومية . وقد رفض ملك الحجاز توقيع المعاهدة واهاب برئيس الوزراء البريطانى ان ينفذ الوعود التى قطعها اثناء الحرب ولكنه لم يحصل على جواب (٤٣) . وقد تراجعت هذه الخلافات الى المقام الثانى بعد ان اعلن الشريف حسين نفسه خليفة فى اذار (مارس) عام ١٩٢٤ (اثر الغاء الخلافة فى تركيا التى صارت جمهورية) . وكان الحسين يأمل من وراء اعلانه الخلافة تعزيز سلطته وتأكيد مطامعه فى ان يكون اميرا لكل العرب ، او على الاقل المقيمين الى الشرق من السويس . ولئن كانت هذه الخطوة قد قوبلت بالاستياء فى مصر حيث كان الملك فؤاد يطمع فى الخلافة ، وفى اوساط المسلمين بجنوب آسيا ، فانها اعتبرت فى نجد تحديا لمشاعر الاخوان الدينية وسياسة السلطان ابن سعود . وعلاوة على ذلك فقد ازم هذا القرار العلاقات بين الملك حسين والبريطانيين الذين خافوا من فقدان سيطرتهم على ملك الحجاز الذى كانوا يعتبرونه خصما محتملا يقف عائقا دون احكام سيطرتهم الاستعمارية على الشرق الاوسط . فى تموز (يوليو) ١٩٢٤ افتتحت فى جدة قنصلية عامة سوفيتية مما اثار حقن البريطانيين .

ولايجدر ان ننسى وجود معاهدة شكلية عقدت بين بريطانيا ونجد عام ١٩١٥ حول الحماية . وادرك سلطان نجد ان بريطانيا سوف تقف ، على الأرجح ، هذه المرة على الحياد فى حالة قيام نزاع بينه وبين الحجاز (٤٤) .

فى تموز (يوليو) ١٩٢٤ جمع عبد العزيز قادة الاخوان الذين

وفدوا الى الرياض بمناسبة عيد الاضحى ليعرض عليهم مسألة غزو الحجاز فلقى عرضه صدى ايجابيا فى نفوسهم (٤٥) . وقد اراد الاخوان ان يجاهدوا فى سبيل «تطهير» بيت الله ، ولكى يغنموا الاموال اجرا لجهادهم .

قرر عبد العزيز ان ينزل ضربته الاولى بالطائف ، قرب مكة . وفى ٥ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٢٤ دخل الاخوان الطائف ومكثوا فيها ينتظرون اوامر عبد العزيز . وكان قوام قوات عبد العزيز مقاتلون من هجرة الغطط بامرة سلطان بن بجاد ومن هجر أخرى لعتيبة وقحطان وقبائل أخرى ، وانضمت اليها قوة من الخرمة بقيادة ابن لوى . وقد استولى الاخوان على خزين الذخائر العسكرية فى الطائف ، واستبيحت المدينة لمدة ثلاثة ايام ، وفر الكثير من ابنائها وسقط المتبقون صرعى بيد الاخوان . وقد روعت الحجاز للامر (٤٦) ، وفى ٢٢ ايلول (سبتمبر) اصدر عبد العزيز امرا حذر فيه بشدة من العودة الى البطش وقطع عهدا بالحفاظ على اموال اهل الحجاز ودمائهم (٤٧) . وثمة معطيات تفيد بان اربعمائة رجل وامرأة وطفل قد قتلوا فى الطائف (٤٨) .

وقد حاول على بن الحسين تجميع قوات فى الهدة ووقف زحف الاخوان على مكة ولكنه منى بهزيمة أخرى فى خاتمة المطاف (٤٩) . اصبح وضع الحسين ميؤوسا منه ، فاجتمع اعيان الحجاز ، ومنهم اشراف مكة وعلماء الدين وكبار التجار ، فى جدة وقرروا خلع الحسين فى محاولة لترضية ابن سعود . وبعد اخذ ورد وافق الحسين على التنازل عن العرش لولده علي الذى نصب ملكا على الحجاز فى ٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٤ . وشكل وجهاء الحجاز مجلسا (حزبا) وطنيا ، وهو شئ اشبه بالبرلمان ، وصارت الحجاز بمثابة «مملكة دستورية» . وبعد ثلاثة ايام ارسل الحسين مع امتهته الى جدة ، وفى اواسط تشرين الاول (اكتوبر) غادر الى العقبة ومنها نقله الانجليز الى قبرص (٥٠) .

لم تتحقق الامال المعقودة على ترضية ابن سعود . وبعد برهة قصيرة دنا الاخوان من مكة ، واضطر على الانسحاب الى جدة على رأس قوة من ٤٠٠ فرد . وفى اواسط تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٢٤ دخل الاخوان مكة وبنادقهم منكسة الى اسفل . وتجدر الاشارة الى ان نية عبد العزيز فى التريث وعدم دخول مكة حتى

يستبين فعل البريطانيين ، قد صارت طي النسيان بعد احراز النصر الاول . بيد ان سلطان جدة آثر المكوث في الرياض ، كى يحمل الاخوان مسؤولية غزو الحجاز اذا ما تدخل البريطانيون . ورغم نهب الكثير من بيوت اشراف مكة بعد استيلاء الاخوان عليها ، فان المدينة لم تشهد حمامات دم . نصب الشريف بن لؤى اميرا لمكة وظل ابن بجاد في الطائف (٥١) .

كان اعيان جدة ومكة يأملون ، بتنصيبهم علي ملكا ، التخلص من الغزو النجدي ، لان الكثيرين منهم اعتقدوا بان خلاف سلطان نجد مع الملك حسين هو سبب المشاكل . غير ان السلطان اراد طرد الاسرة الهاشمية باسرها من الحجاز ولم يوافق على عقد الصلح بشروط اخرى (٥٢) .

حاول اعضاء المجلس الحجازي اجراء مفاوضات ، ولكن ابن سعود اصر على وجوب مغادرة علي الحجاز . وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٤ عاد وجهاء الحجاز الى جدة وطلبوا من علي التنازل عن العرش . وبدأت مفاوضات بين انصار علي وخصومه اضطر اثرها المجلس الى اعلان حله ، وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٤ اعتقل الكثير من خصوم علي (٥٣) .

تجدر الاشارة الى ان معتمدى الدول الاجنبية في جدة بعثوا الى خالد بن لؤى رسالة يشيرون فيها الى التزام حكوماتهم بالحياد ويطلبون ضمان حقوق رعاياهم وممتلكاتهم في جدة في حالة استمرار الحرب . ووعد خالد بان يكفل الاخوان امن الرعايا الاجانب (٥٤) ، وفي اواخر تشرين الاول (اكتوبر) غادر عبد العزيز الرياض على رأس جيش من خمسة آلاف مقاتل واستغرق طريقه الى مكة ثلاثة اسابيع ، وذلك لخشيته من تدخل البريطانيين في النزاع . ولكن حينما وصلت كتب من قناصل الدول الاجنبية تعلن الحياد التام ، ادرك عبد العزيز ان الحجاز قد وضع تحت تصرفه (٥٥) .

في ٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٤ دخل عبد العزيز مكة ، وفي الثالث عشر من الشهر ذاته نشرت جريدة «ام القرى» الرسمية التى بدأت الصدور بلاغه الذى استعرض فيه برنامجه في الحجاز . وجاء فيه : «ا . سيكون اكبر همنا تطهير هذه البلاد المقدسة من الاعداء انفسهم الذين مقتهم العالم الاسلامي في مشارق الارض ومغاربها بما اقتترفوه من الاثام في هذه الديار المباركة .

٢ . سنجعل الامر في هذه البلاد المقدسة بعد هذا شورى بين المسلمين ، وقد ابرقنا لكافة المسلمين في سائر الانحاء ان يرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر اسلامى عام يقرر شكل الحكومة التى يرونها صالحة لانفاذ احكام الله فى هذه البلاد المطهرة . ٣ . ان مصدر التشريع والاحكام لا يكون الا من كتاب الله ، ومما جاء عن رسول الله عليه الصلاة والسلام او ما اقره علماء الاسلام الاعلام بطريق القياس . ٤ . كل من كان من العلماء فى هذه الديار او من موظفى الحرم الشريف او المطوفين ذو راتب معين فهو له على ما كان عليه من قبل . . . » (٥٦) .

فى فترة مكوث على فى جدة اجرى ابن سعود فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٤ انتخابات فى مكة الغرض المعلن منها تكوين نوع من الادارة الذاتية ، ولكن الهدف الحقيقى هو استمالة الوجهاء والتجار المحليين . وقد انتخب مجلس شورى قوامه ١١ عضوا برئاسة الشيخ عبد القادر الشيبى وعين حافظ وهبه حاكما مدنيا لمكة (٥٧) .

سرعان ما حصل ابن سعود على تأكيد جديد لحياد الدول الاجنبية من قناصلها ، وكان هذا اهم ما يصبو اليه . وعندما التقت طائفة ارسلها على بن الحسين مناشير فوق مكة يعلن فيها الملك عن اعتزامه استرداد المدينة ، قرر عبد العزيز ان اوان العمل قد حان (٥٨) . وفى الخامس من كانون الثانى (يناير) ١٩٢٥ دنت من جدة قوة اخوانية وبدأ حصار دام زهاء عام (٥٩) . حصن على المدينة واحاطها بحقول الغام . ووصل الى المدينة بضع مجموعات من المسلمين السوريين والفلسطينيين واليمنيين ، جندتهم الاسرة الهاشمية فيما يبدو (٦٠) . ويقدر خير الدين الزركلى تعداد القوات السعودية بـ ٦٠-٥ آلاف مقاتل معظمهم من عتيبة وبعض من مطير وكذلك من قبيلتى غامد وزهران الحجازيتين . وكان لدى على زهاء ٥٠٠ مقاتل حجازى وبضع مئات من الفلسطينيين والمصريين واليمنيين والسوريين . وفى المدينة كان هناك ٢٠٠ بدوى ومما يزيد على ٣٠٠ مقاتل من فلسطين وشرقى الاردن وزهاء ٢٥٠ يمنيا ، وكان فى ينبع حوالى ٣٠٠ من عتيبة وعقيل ، وبضع مئات اخرى فى سائر المناطق . بيد ان الجيش السعودى تناقص فى

خلال الحصار لان البدو لا يطيقون البقاء امدا طويلا عند الساحل القائظ (٦١) .

ولم يحصل على بن الحسين على عون يذكر من العراق وشرقي الاردن ، وفي هذا الخصوص اشار عبد الحميد الخطيب في كتابه «الامام العادل» الى ان الانجليز تصرفوا وكأنهم يريدون ان يضموا لابن سعود النصر (٦٢) . وقد وافق عبد الله امير شرقي الاردن على ان يتولى الانجليز نقل ابيه الحسين من العقبة خوفا من غزو قوات ابن سعود بحجة وجوده فيها . وفي ايار (مايو) ١٩٢٥ وصل الملك السابق الى السويس حيث كان في استقباله معتمد الحجاز في القاهرة عبد الملك الخطيب واخوه عبد الحميد الخطيب . وقال لهما الحسين ان الانجليز هم الذين نفوه وخانوه لرفضه الاعتراف بوعد بلفور وتمسكه بحق العرب في دولة مستقلة (٦٣) .

وفي مطلع عام ١٩٢٥ حاول مندوبون عن جمعية الخلافة الهندية وعدد من القناصل الاجانب التوسط بين علي وعبد العزيز . وفي شهر نيسان (ابريل) من العام ذاته عقد لقاء بين وزير خارجية حكومة جدة وعبد العزيز ولكنه لم يسفر عن نتيجة (٦٤) . في حزيران (يونيو) رفع الحصار عن جدة بسبب القيقظ ، وفي آب (اغسطس) توجه على الى الانجليز بطلب آخر يناشدهم فيه التدخل ولكنهم رفضوا .

وقد اشار البريطاني جيلبرت كلايتون الامين العام السابق للحكومة في فلسطين ، في ملاحظة دونها بدفتر مذكراته في اواسط تشرين الاول (اكتوبر) اثناء مروره بجدة ، اشار الى ان على كان منهارا معنويا وجسديا . واعرب كلايتون عن استغرابه من احجام عبد العزيز عن الاستيلاء على جدة التي تعاني من الجوع . ويبدو ان سلطان نجد اثر التريث حتى تستسلم له المدينة حقنا للدماء (٦٥) .

ابان غزو الحجاز وبعد احكام السيطرة عليه استمرت الغزوات على اراضي العراق . كما عبر الاخوان وادى سرحان ووصلوا الى الحدود السورية وقطعوا شرقي الاردن عن العراق ، مما جعل الممتلكات البريطانية في الشرق الاوسط عرضة للتقسيم (٦٦) . وبعد ان احتل عبد العزيز مكة بمباركة غير معلنة من قبل الانجليز ، ادرك ان عليه وضع حد لمطامعه في الشمال .

كان ذلك عشية عقد اتفاقيات لوكارنو ، فى وقت تأزمت
ابانه العلاقات البريطانية الفرنسية بسبب قضية الموصل ، واهتزت
مواقع بريطانيا بفعل مد حركة التحرر الوطنى فى فلسطين . لذا
لم تشأ بريطانيا التدخل فى النزاع بين نجد والحجاز تدخلا صريحا .
فى تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٢٥ وصل الكولونيل كلايتون
الى مقر عبد العزيز فى الحجاز . واطهر ابن سعود ثانية انه سياسى
مرن ووافق على اعطاء تنازلات فى الشمال مقابل اعتراف بريطانيا
الفعلى بضمه الحجاز . وتمخضت المفاوضات عن اتفاقيتي بحرة
وحدة اللتين وقعتا فى ١ و ٢ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٥ .
وتخص الاتفاقية الاولى العراق ونجد وهى تنص على ان غزو العشائر
القاطنة فى اراضى اى من الدولتين على اراضى الدولة الاخرى يعتبر
اعتداء يستلزم عقاب مرتكبيه من قبل الحكومة التابعة لها . ونصت
الاتفاقية على تأليف محكمة خاصة من ممثلى الحكومتين للنظر فى
تفاصيل اى تعد يقع من وراء حدود الدولتين . كما اشارت الاتفاقية
الى ان من حق العشيرة عبور الحدود لرعى الماشية بعد استحصال
رخصة بذلك .

اما اتفاقية حدة فقد ثبتت للمرة الاولى عمليا الحدود بين نجد
وشرقى الاردن ، وتنازل بموجبها سلطان نجد لشرقى الاردن عن
الممر الذى يربطه بالعراق . وتضمنت اتفاقية حدة نصوصا مماثلة
لاتفاقية بحرة حول غزو الاراضى وتأليف محكمة للنظر فى الدعاوى
المتعلقة بذلك ، وعن رخص الرعى ، كما حظرت الاتفاقية الدعاية
الدينية على اراضى البلد الآخر . ومن الواضح ان هذا البند له
علاقة بالتبشير بالدعوة الاخوانية (٦٧) .

وهكذا اقيمت الحدود مع الكويت والعراق ومع شرقى الاردن
فعليا ، رغم ان نزاعات الحدود استفحلت بعد برهة وجيزة .
حينما بلغ ملك الحجاز نبأ اتفاقيتي بحرة وحدة ، بينما
رفض كلايتون مساندته ، ادرك ان ايام حكمه معدودة . وقرر على
بن الحسين الاستسلام بعد تيقنه من ان اخويه فى العراق والاردن
حريصان على الاحتفاظ بعرشيهما اكثر من حرصهما على مؤازرته .
وفى ١٦ كانون الاول (ديسمبر) اوفد على القنصل البريطانى للتباحث
فى شروط الاستسلام مع ابن سعود ، وقد استسلمت جدة فى

٢٢ من الشهر وغادرها على بن الحسين ، وفى اليوم التالى دخل عبد العزيز المدينة (٦٨) .

فى مطلع شباط (فبراير) ١٩٢٥ ، حينما كان حصار جدة فى اوله ، ارسل عبد العزيز قوة من الاخوان بامرة فيصل الدويش الى المدينة ، ولكن السلطان حذر بشدة من دخول المدينة بدون اذن منه ، خوفا من تعرض قبر النبى للاذى . وعندما لم يعد سكان المدينة قادرين على الصمود للحصار كتبوا الى عبد العزيز يعربون عن موافقتهم على تسليم المدينة ولكن لاحد انجاله وليس للاخوان ، فارسل عبد العزيز ابنه محمد الى هناك فى تشرين الاول (اكتوبر) . وفى هذه الاثناء استلم اهالى المدينة برقية من على تعد بالنجدة ، فاجلوا الاستسلام (٦٩) . وفى الشهر التالى اصبح وضع المدينة حرجا ولم يبق امل فى النجدة ، فقرر اعيانها الاستسلام ، وفى ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٥ دخل محمد المدينة وصلى فى المسجد النبوى .

عشية سقوط جدة ابلغ اشراف مكة وعلمائها واعيان جدة عبد العزيز عن استعدادهم لمبايعته ملكا على الحجاز . وفى ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٥ اجتمع الناس عند باب الصفا من المسجد الحرام بمكة وتلى نص البيعة ، واطلقت المدفعية مئة طلقة . وتقبل عبد العزيز البيعة من اشراف مكة ثم الوجهاء والاعيان واران المحكمة الشرعية فالائمة والخطباء واعضاء المجلس البلدى ، ثم اهل المدينة ، ثم المطوفون والزمازمة وسدنة وخدم الكعبة ، ثم سائر اهل المدينة ومكة (٧٠) .

واصبح عبد العزيز يعرف بملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها . وفى ١٦ شباط (فبراير) ١٩٢٦ اعترف الاتحاد السوفييتى رسميا بحكومة الحجاز . وسلمت مذكرة الى ابن سعود جاء فيها « . . . ان حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ، انطلاقا من مبدأ تقرير الشعوب لمصيرها ، ونظرا لاحترامها العميق لارادة شعب الحجاز المعبر عنها فى مبايعتك ملكا ، تعترف بكم ملكا للحجاز وسلطانا لنجد وملحقاتها . وفى ضوء ذلك تعتبر الحكومة السوفييتية نفسها فى حالة علاقات دبلوماسية طبيعية مع حكومة جلالتك » .

واعرب الملك في مذكره جوابية عن الشكر والاستعداد التام لمعاملة الحكومة السوفيتية ورعاياها بما يليق بالدولة الصديقة (٧١) .

واعقب اعتراف الاتحاد السوفييتي بابن سعود اعتراف دول اخرى .

بايع وجهاء الحجاز سلطان نجد وهم يخشون تسلط «بدو نجد» على الحجاز الاكثر تطورا ، فحاولوا الاحتفاظ بحقوق واسعة . وقد شكل ٥٦ من ممثلي الارستقراطية المحلية والعلماء والتجار «مجلسا تأسيسيا» قرر ان الحجاز يجب ان يظل مستقلا عن نجد في الشؤون الخارجية والداخلية ولا يجمع بين مملكتي الحجاز ونجد الا شخص الملك ، وتشكل في الحجاز حكومة اسلامية ويشرع دستور يستمد احكامه من القرآن والسنة . واقتراح «المجلس التأسيسي» صياغة اشكال البناء الداخلي والاحكام الادارية وفقا للظروف المحلية . وخشى بعض الحجازيين من ان يكون ابن سعود ما زال واقعا تحت تأثير المعاهدة المعقودة مع بريطانيا عام ١٩١٥ والتي تجعله تحت الحماية البريطانية ، الامر الذي يتناقض مع توقعهم الى الاستقلال (٧٢) .

وحاول وجهاء الحجاز تحديد سلطة الملك ، غير ان تناسب القوى كان لصالح ابن سعود . وفي عام ١٩٢٦ شكلت ، وفق مرسوم ملكي ، المجالس الاستشارية في مكة والمدينة وجدة وينبع والطائف ، وصار لها فيما بعد طابع بلدي ، ومن ثم شكل مجلس شوري يضم ١٣ شخصا (٧٣) .

كانت الخطوة التالية تتمثل في الحصول على اعتراف بسلطة ابن سعود على الحجاز من لدن الدول الاسلامية ، وان كانت هذه مسألة وقت ليس إلا .

وبعد استيلاء النجديين على الحجاز وصلت الى نجد بعثة اسلامية من الهند طالبت بان تتولى الاشراف على الاماكن المقدسة لجنة تمثل جميع البلدان الاسلامية . مكثت البعثة فترة قصيرة ولم يصق ابن سعود صبرا فھياً باخرة تنقلها الى الهند (٧٤) .

عام ١٩٢٦ قرر ابن سعود الدعوة لمؤتمر اسلامي ينعقد في شهر حزيران (يونيو) بعد اداء فريضة الحج ، لكي يضيف المزيد

من «الشرعية» على توليه الحجاز . ووجه ملك الحجاز الجديد رسائل الى عاهلى مصر وافغانستان والى الرئيس التركى وشاه ايران وملك العراق وامير جمهورية الريف وامام اليمن يحيى وسائر الحكومات الاسلامية ، والى رئيس المجلس الاسلامى الاعلى فى القدس ورئيس جمعية الخلافة فى بومباى ، يعاهدهم فيها بانه سيرعى الاماكن المقدسة ويعمل على تهيئة ظروف افضل للحجاج .

اجتمع فى المؤتمر الاسلامى بمكة ٦٩ مندوبا عن المنظمات الاسلامية فى الهند ومصر والاتحاد السوفييتى وجاوا وفلسطين ولبنان وسورية والسودان ونجد والحجاز وعسير وافغانستان واليمن ومصر وغيرها . ولم يُبق عبد العزيز لدى المؤتمرين شكاً فى انه سيد الحجاز ولن يسمح بالتدخل فى شؤونه . وقد استاء البعض وغادروا المؤتمر ولكنهم لم يتمكنوا ، بطبيعة الحال ، من تغيير شىء . اما المتبقون فقد اقرروا بالامر الواقع (٧٥) .

وقد ادلى المفتى رضا الدين سحر الدينوف رئيس وفد مسلمى روسيا وتركستان ، رئيس الدائرة الدينية المركزية للمسلمين ، بتصريح لمراسل وكالة تاس تحدث فيه عن اعتراف المؤتمرين بابن سعود «حاميا للحرمين» . ودعا المؤتمرين الى اعادة العقبة ومعان الى الحجاز ، وبذا ايدوا عمليا الملك الجديد (٧٦) .

لقد اصبح النقاش حول تولى حماية البقاع المقدسة امرا عقيما بفعل عوامل عديدة تتمثل فى انتصار القوات النجدية وموقف الجياد والتغاضى من قبل بريطانيا التى اختارت اهون الشرين اثناء غزو ابن سعود للحجاز وضجّت بالحسين ، والسياسة الذكية للملك الجديد الذى جمع بين التشدد والمرونة .

جاء فى رسالة صادرة عن القنصلية العامة السوفيتية فى جدة عام ١٩٢٩ : «ان الاستيلاء على الحجاز وعائداته من الحج والجمارك وما شاكلها (العائد السنوى من الحج وحده يصل الى مليونى جنيه استرلينى) يتيح لابن سعود امكانية استثمار كل هذه الموارد الضخمة للحصول على منفعة سياسية كبيرة فى نجد (اعانة المستوطنين الجدد ودفع مخصصات لشيوخ العشائر البدوية) . . . والتجار الذين يمثلون القوة الرئيسية فى الحجاز يميلون الى الامبراطورية البريطانية ويدعون الى الاتفاق مع

الانجليز . البدو مستأؤون : فهم يدفعون زكاة مقدارها ٢,٥ بالمائة ، والغزوات ممنوعة ، وحرمتهم استيراد السيارات من مداخلهم ، وليس ثمة اعانات من السلطان ، كما ان الاستياء سائد في اوساط المطوفين الذين كانوا ينهبون الحجاج ، لان الدولة تنظم الحج وتستولى على عوائده» (٧٧) .

احدق بعبد العزيز الخطر ، ولكنه لم يكن خطرا خارجيا ، بل داخليا مصدره الاخوان اياهم الذين الحقوا الحجاز بممتلكات السلطان .

توطد المركزية الاقطاعية وحركة الاخوان (١٩٢٦-١٩٣٤)

الوضع فى الحجاز . واجهت ابن سعود ، بعد غزوه الحجاز ، ضرورة ادارة بلد بلغ من التطور شأنًا يفوق بكثير شأن نجد ، بل وحتى الاحساء . فقد تكون الجهاز الادارى البيروقراطى فى الحجاز وفقا للمعايير العثمانية وكان ارقى الاجهزة فى الجزيرة . وعلى عهد الملك حسين صدرت حتى ميزانية تتضمن شرحا للنفقات ، رغم انه لم يجر التقيد بها ، بطبيعة الحال . كما ظهرت هناك النواة الاولى لجيش نظامى ، وافتتحت مدارس ثانوية . وصدرت صحيفة رسمية هى «القبلة» تنم كتاباتها عن دراية بالعالم الخارجى ، وغالبا ما كانت تولى اهتماما كبيرا للاحداث فى اوربا ، وتنشر انباء عن الاشغال العمومية مثل توسيع شبكة الهاتف وتنظيف الشوارع .

وقد استقر رأى عبد العزيز على ابقاء الهيكل الادارى الذى اقامه الحسين وابنه علي كما هو ، على ان يوظفه لخدمته (١) . وكان على ابن سعود ان يوفق بين علماء الدين فى نجد والحجاز ويحمل علماء مكة على التنازل لعلماء الرياض . وفى محاولة لازالة الاشكالات عقد علماء الرياض سلسلة من الاجتماعات مع زملائهم المكين ، زعموا بعدها انه لا توجد خلافات جدية بين الطرفين . وقد استمرت بعض الاشغال العمومية التى تولتها شركات اجنبية وبدأت بتنفيذها على عهد الحسين (٢) .

عند غزو الحجاز كان ابن سعود يدرك اهمية التلفون والراديو لتعزيز سلطته ، واهمية السيارات للاغراض الاقتصادية والعسكرية . غير ان البدو والعلماء السلفيين كانوا يعتبرون التلفون والراديو منكرا من عمل الشيطان . وقد حلّ هذا الاشكال بعد ان تليت عبر التلفون ، ثم من الراديو آيات من القرآن (٣) .

كما اعتبر الاخوان السيارة من بدع المشركين ، ان لم تكن من عمل الشيطان . وقد احرقت اول شاحنة ظهرت في مدينة الحوطة ، وكاد سائقها يلقي المصير ذاته . ولم تكن الطائرة اوفر حظا . الا ان احتياجات المجتمع العملية كانت اقوى من الجهل والتعجب الذهني ، لذا فان السيارة والراديو والتلفون اخذت تنتشر على نطاق متسع في مملكة ابن سعود . وبعد عقدين او ثلاثة اخذ علماء الدين انفسهم يمتطون الطائرات (٤) ، الا ان الحظر ظل مفروضا على الحاكي والسينما ، ورغم منع استيراد هاتين الآلتين فانهما انتشرت في البيوت الخاصة (٥) .

ادرك الملك ان عليه اقامة اعتبار لمصالح وجهاء الحجاز . وعندما عين ابنه فيصل نائبا للملك في الحجاز (آب - اغسطس ١٩٢٦) اصدر في الوقت ذاته «التعليمات الاساسية للمملكة الحجازية» بمثابة «دستور» . وقد حددت وضع نائب الملك ومجلس الشورى والهيئات الادارية (٦) .

كان مجلس الشورى المؤلف عقب اعلان «الدستور» يضم كلا من الامير فيصل بوصفه نائبا للملك واربعة مستشارين وستة من وجهاء الحجاز . ولا شك في ان كل اعضاء المجلس من ممثلي الارستقراطية الحجازية لم يكونوا من قبل مناصرين للحسين او ابنه علي ، وحتى ان كانوا قد محضوهمما التأييد فقد تخلوا عنهما . وفي عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٥ كانت توجد في مكة جمعيات لها وظائف استشارية تضم الوجهاء وعلماء الدين والتجار ، وكان بوسعها ان تطمح الى الاستقلالية وترفع مطالب الى الملك . ولكن ايا من اعضاء هذه الجمعيات لم يعين في مجلس الشورى عام ١٩٢٦ ، لذا فمن المنطقي الافتراض بان نشاطها قد اثار انزعاج ابن سعود (٧) .

ان البون شاسع بين الجمعيات الاولى وبين مجلس الشورى المؤلف من اعضاء لا صوت لهم . لذا احكم عبد العزيز سيطرته على الحجاز دون منازع ، واعترف به ملكا على الحجاز داخل البلد وفي العالم الاسلامي كله ، لذا لم يكن بحاجة الى ما يجمل به واجهة حكمه . وعلاوة على ذلك يبدو ان عبد العزيز احس بان «دستور» الحجاز قد يصبح قدوة يطمح اليها اهل نجد ، لذا قام «وَأَدِ الْوَلِيد» .

في الاعوام التالية صار لحكومة فيصل في الحجاز طابع حكومات

الشرق الاوسط البيروقراطية بشكلها البدائي ، ولكنها كانت بعيدة عن الحكم الملكي الدستوري . واعتمدت هذه البيروقراطية على العجائزين المتفوقين على النجديين من حيث مستوى التطور ، رغم انها عملت تحت اشراف الامير فيصل ومستشاريه المقربين .

فى الوقت الذى حاول عبد العزيز ومجموعة من مستشاريه المتنورين الى هذا الحد او ذاك توظيف الجهاز الادارى فى الحجاز لمصلحته ، كان الاخوان قد عقدوا العزم على «تطهير» الحجاز من «البدع المنكرة» وهدم القباب التى اعتبروها مخالفة للإسلام . ويذهب حافظ وهبة الى ان حماس الاخوان الجهلة للوهابية كان اكبر ما ابتليت به هذه الدعوة الاصلاحية على حد قوله (٨) . وقد واجه الملك الاقطاعى عبد العزيز ، اثر غزوه الحجاز مشكلة التعامل مع الاخوان .

اذ ان الاخوان ازالوا فى مكة الشاهد المقام عند موضع ولادة النبى وهدموا منزلى خديجة وابى بكر (٩) . و اشار فيلبى الذى حضر موسم الحج عام ١٩٣١ الى هدم كل الاضرحة والقباب فى الحجاز وذكر ان ذلك سيجعل الاجيال القادمة تنسى الوقائع التاريخية المرتبطة بهذه الاماكن (١٠) . والى جانب الدافع الاخلاقى الدينى ، تأصل لدى الاخوان العداء البدوى لكل ما يبجله ويستأنس به الحضر فى مدن الحجاز الذين اعتبروهم متنكرين للإسلام . ولما احتل الاخوان الطائف ومكة اخذوا يهشمون المرايا ويستخدمون اطر الابواب والنوافذ كوقود للنار (١١) . ورغم ان هذا واحد من طباع الغزاة المعتادة ، الا انه كان تعبيراً عن حقد البدو الدفين على «ترف» المدن . وقد اقترنت نزعة «الاخوة» لدى الاخوان بالتعصب الدينى والعادات البدوية .

فى عام ١٩٢٤ امر خالد بن لؤى باحراق كمية كبيرة من التبوغ العائدة ملكيتها لمستوردين مكيين اثرياء ، فشكوه لعبد العزيز الذى الغى الامر الصادر عن ابن لؤى ولكنه حرم استيراد التبغ مستقبلاً . وفيما بعد سمح ثانية باستيراد التبغ . ولكن استمر ايقاع العقوبة بالمدخن (١٢) .

حينما اقصى خالد بن لؤى عن منصب حاكم مكة ، عقب سقوط جدة فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٥ ، كان هذا يعنى تصميم عبد العزيز على عدم ابقاء المناصب الادارية الهامة فى الحجاز بيد قادة

الاخوان . وقبل ذلك ، فى ايلول (سبتمبر) من العام ذاته ، حظر رسميا فى مكة حمل الاسلحة النارية لتقييد تحركات الاخوان (١٣) . كان عبد العزيز يخشى تعدى الاخوان على الحجاج المسلمين ، وبالفعل فقد جرحوا عددا من الحجاج مما اثار احتجاج القناصل الاجانب ، وحاولوا قتل عدد من المسلمين العاملين فى القنصليات الاجنبية (١٤) . وسعى الملك لتوجيه طاقة الاخوان نحو غزو المدن والموانئ الواقعة بين جدة وخليج العقبة ، ولكن سرعان ما اصبح الحجاز كله تحت سيطرته فلم يعد لجنوده عمل يؤدونه .

فى مطلع موسم الحج صيف عام ١٩٢٦ وصل مكة المحمل المسمى تصحبه الموسيقى ، وعند اقترابه سمع الاخوان الذين كانوا بدون سلاح وليس عليهم سوى الاحرام ، الموسيقى لأول مرة فاعتبروا ذلك ضربا من الزندقة واستبد بهم الغضب فهبوا ليمنعوا تقدم الجمل الذى يقل المحمل . وهنا اعطى ضابط مصرى امراً باطلاق النار فقتل زهاء ٢٥ شخصا . وعلى الفور ارسل عبد العزيز الذى كان قريبا من المكان ولديه فيصل وسعود لتهدة ثائرة الاخوان . وامر الملك باحتجاز الضابط المصرى ومنعه من مراقبة الحجاج علاوة على منع المحمل من دخول مكة (١٥) ، ولكنه لم يقدم على ايقاع عقوبة شديدة نظرا لانعقاد المؤتمر الاسلامى فى مكة آنذاك (١٦) . وقد انقطعت العلاقات مع مصر اثر ذلك . غير ان الاخوان ظلوا امدا طويلا يلومون عبد العزيز لانه لم يعاقب «المشركين» المصريين على قتلهم ٢٥ من الاخوان ، وفيما بعد تذرع كل من فيصل الدويش وسلطان بن بجاد بهذا الحادث معتبرينه السبب الاول للخلاف مع الملك (١٧) ، واكدا على ان ابن سعود لم يسمح للاخوان بهدم المحمل بل وبسط حمايته على «الصنم» .

شرع الملك بتطبيق ما يدعو اليه المذهب الوهابى بصرامة ، وذلك لغرضين اولهما كسب رضا الاخوان وثانيهما تعزيز هيئته وسلطته . فان المنقطع عن الصلاة يعاقب بالحبس مدة تتراوح من ٢٤ ساعة الى عشرة ايام وبغرامة . ومن يتعاطى الخمر يحبس لمدة شهر ويدفع غرامة ، واذا ما عاودها فيحبس لمدة قد تصل الى سنتين . والعقاب الصارم يطال كل من يصنع الخمر او يبيعها . وقد حظر التدخين ولكن لم يرد ذكر للمتاجرة به . واقرن هذا التقييد الصارم بالوهابية بممارسة العنف والتنكيل

بالخصوص السياسيين لآل سعود . ويتعرض كل من يشارك في اجتماع الغرض منه نشر «الافكار المنكرة» و«الاخبار الكاذبة» و«الاراجيف» ، وكل من يشارك في اجتماعات مناوئة لسياسة الحكومة ، لعقوبة الحبس لمدة تتراوح بين سنتين وخمس سنوات ، او الطرد من مملكة الحجاز . وكان ينبغي استحصال رخصة من السلطات لعقد اى اجتماع حتى وان كان لاغراض خيرية (١٨) .

غير ان التقيد الشديد بالاحكام الشرعية لم يدم امدا طويلا . فبعد مغادرة الاخوان الحجاز خففت القيود المفروضة على المدخنين وصار بوسع الراغبين الحصول حتى على الخمر ، ولم يعد احد يهتم بطول الشارب .

اراد عبد العزيز ان يؤكد حرصه على نقاء الدين ، ويحدد في الوقت نفسه من تعسف الاخوان ، فأسس صيف ١٩٢٦ جماعة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تحت اشراف عالمن من آل الشيخ (١٩) . وامر ابن سعود الاخوان بان يبلغوا الجماعة بكل منكر يرونه على الا ينزلوا العقاب بالناس وفق هواهم .

وبالتدريج تحولت الجماعة الى مايشبه الشرطة الدينية ، وفيما بعد وضعت هيئات الامر بالمعروف التابعة للجماعة تحت اشراف مديرية الشرطة . وعهدت الى الهيئات القضايا المتعلقة بالغش والخداع في الاعمال التجارية والامتناع عن اخراج الزكاة والافطار العلنى والخروج عن اصول الحج وسفك الدماء وتعاطى او بيع الخمر (٢٠) . وعند صيف ١٩٢٨ كانت الهيئات تساهم بنشاط فى اجتماعات الحكومة وتشدد من رقابتها على اهالى الحجاز (٢١) . وقد وجد عبد العزيز هذه التجربة جديدة بان تشمل سائر انحاء البلاد ، فأسس فى الرياض مديرية الامر بالمعروف صيف عام ١٩٢٩ ، حينما بلغت انتفاضة الاخوان ذروتها (٢٢) .

وقد ندد القيمون على الجماعة بالرئيس التركى مصطفى كمال (اتاتورك) والملك الافغانى امان الله بسبب ما اجرياه من اصلاحات . وقال تورياكولوف القنصل العام السوفيتى فى جدة : «يصعب على المرء ان يتوقع موقفا آخر ازاء كمال باشا وامان الله من بلد يقوم وجوده ذاته على حساب الحرمين ويشكل كل «ابتداء» خطرا يهدد المصالح المادية للاغلبية» (٢٣) .

صارت هيئات الامر بالمعروف اداة انتزع بواسطتها من الاخوان

حق مراقبة تمسك الناس باصول الدين . وقدمت الديمقراطية العشائرية ، بشكلها الدينى المتعصب ، قربانا لجهاز الحكم فى دولة اقطاعية مركزية .

كانت تصرفات الاخوان تبدو للوافدين الاوربيين وللمتعلمين من مستشارى الملك نوعا من «الغلو فى التعصب» وحتى «الوحشية» ، غير انها مع ذلك كانت تنم عن سعى الجماهير الواسعة من عرب الجزيرة الى الحياة البسيطة التى دعت اليها الوهابية . وتمسكت الجماهير بالدعوة الى المساواة التى تضمنتها الوهابية ، وحاولت تحقيق مثلها عمليا وفق ما ترتئيه . وقد اصطدمت طموحات الاخوان وممارساتهم بالمصالح الفعلية لعلية الاقطاعيين . لذا فان تسمية هبات الاخوان بانها «رجعية سافرة» تبدو مغالاة فى ابراز جانب واحد ، بل وحتى غير صائبة ، فقد كانوا «رجعيين» بنفس القدر الذى كانت عليه «رجعية» المشاركين فى الانتفاضات الفلاحية فى عصر الاقطاع باوربا ، بكل ما شهدته من بطش «ويأس» .

وعندما خابت آمال الاخوان وعادوا الى الحجاز الى هجرهم وقبائلهم فى وسط الجزيرة ، غدا واضحا ان اشتباكهم مع دولة ابن سعود الاقطاعية المركزية بات وشيكا .

المرحلة الاولى لانتفاضة الاخوان . بلغت العلاقات بين السلطة الاقطاعية المركزية والاخوان درجة الغليان بسبب تعاون عبد العزيز مع الانجليز عند رسم الحدود مع الكويت والعراق والاردن ، وبسبب سياسته فى الحجاز . فقد اعتبر الاخوان ان غبنا اصابهم عند توزيع الغنائم فى الحجاز ، كما ان موافقة عبد العزيز على منع الغزوات على اراضى الكويت والعراق والاردن حرّمهم من امكانية تحسين اوضاعهم المادية عن طريق سلب «المشركين» . وفى ظروف تعمق ازمة تربية الابل وتخلّف الزراعة فى الهجر ، كان الغزو المتستتر بذرائع دينية يبدو للاخوان مخرجا طبيعيا يدفع عنهم غائلة الفقر والجوع (٢٤) . وأدى تسامح عبد العزيز مع الشيعة فى الاحساء والقطيف الى زيادة الطين بلة (٢٥) .

من تناقضات حركة الاخوان ان قادتها كانوا من شيوخ العشائر الاقطاعيين الطامحين الى ان يصبحوا حكاما اقطاعيين مستقلين . وبذا صارت حركة الاخوان «الديمقراطية» من حيث تركيبها وعدد من مطالبها ، اداة لخدمة النزعة الانفصالية الاقطاعية العشائرية . وكان

من ابرز قادة الاخوان القائد العسكري والمقاتل الجسور ، شيخ قبيلة مطير فيصل الدويش الذى عاد بعد سقوط جدة فى اواخر عام ١٩٢٥ الى مقره فى الارطاوية مستاء استياء شديدا من عبد العزيز ، اذ انه لم ينصب حاكما للمدينة المنورة كما كان يأمل (٢٦) . واضيف الى ذلك التنافر بين مطير وآل سعود الذى خفت بعض الشئ قبل عام ١٩٢٥ . يقول المؤرخ خالد الفرج : « اذا راجعنا تاريخ نجد وجدنا قبائل مطير دائما فى صفوف اعداء آل سعود . وهم اول من تلقى طوسون باشا فى الحجاز ، ونقل حملته الى القصيم . وانضموا الى حملة ابراهيم باشا على الدرعية ، وقاتلوا فى صفوفه وهم الذين هلكوا لمقدم خورشيد باشا ، وجاؤوا معه الى الخرج محاربين . وكانوا اخيرا فى صفوف ابن رشيد ، الى ان ضربهم ابن سعود فى وقعة جولبين فكسر شوكتهم» . وحتى بعد انضمام فيصل الدويش الى ابن سعود ، فان ١٥٠ رجلا مسلحا كانوا يصحبونه كلما يقدم الرياض . وكان الملك ، كما يقول حافظ وهبة ، «يعتبره صديقا قديما وقائدا من عظام قواده . واذا جلس لا يجلس الا فى جوار الملك واذا استأذن فى الرجوع الى الارطاوية قدم للملك قائمة تبتدىء من حبال الآبار . . الى السلاح والجوارى ، وما بين ذلك من ملابس له ولاولاده وزوجاته» (٢٧) .

وكان من المعارضين لابن سعود ضيدان بن حثلين شيخ العجمان وهم من اشد واقدم خصوم آل سعود ولم يقهروا وينضموا الى حركة الاخوان الا منذ عهد قصير ، وكذلك شيخ عتيبة سلطان بن حميد بن بجاد رغم ان عبد العزيز بن سعود هو الذى ساعده على ان يكون شيخا . وقد آمل ابن بجاد ان ينصب حاكما للطائف ولكن كان للملك رأى آخر (٢٨) . وقد كانت عتيبة اقوى واكبر قبائل وسط الجزيرة بعد عنزة . وفيما بعد انضم الى الحركة المناوئة لابن سعود واحد من مشايخ الرولة . وبذا فان القبائل القاطنة الى الشرق والشمال والغرب والجنوب الغربى من الرياض صارت معادية للسلطة المركزية . ومن المهم الاشارة الى اننا لا نجد فى معسكر المعادين لعبد العزيز ممثلى القبيلة الاكثر بأسا وقوة وهى عنزة (باستثناء فخذ الرولة) وكذلك آل حرب ، والقسم الاكبر من شمر . اى ان انتفاضة البدو لم تكن شاملة الامر الذى انقذ النظام الملكى .

فى مطلع عام ١٩٢٦ اجتمع فيصل الدويش وابن حنلين وابن بجاد فى الغطط واعدوا قائمة بآخذهم على عبد العزيز ، وصارت هذه القائمة اساسا للتهمة التى وجهت للملك فى الاجتماع العام الذى عقده زعماء الاخوان من مطير وعتيبة والعجمان فى تشرين الثانى - كانون الاول (نوفمبر - ديسمبر) ١٩٢٦ فى الارطاوية . وقد وجهت للملك سبع تهمة :

- (١) سفرة ابنه سعود الى مصر (اثر حادث المحمل) .
- (٢) سفرة ابنه فيصل الى لندن (فى آب (اغسطس) ١٩٢٦ للتفاوض مع الانجليز) ، الامر الذى يعنى التعاون مع بلد الشرك .
- (٣) استخدام التلغراف والتلفون والسيارة فى اراض اسلامية . وكانت هذه النقطة خليطا من الاحتجاج الشعبى على تعزيز السلطة المركزية والعصبية البدوية .
- (٤) فرض رسوم جمركية على مسلمى نجد ، وكان هذا فى الواقع احتجاجا على تشديد استغلال السكان عن طريق الضرائب التى تجبى مركزيا .
- (٥) منح قبائل الاردن والعراق حق الرعى فى اراضى المسلمين - وهذا انعكاس للصراع بين القبائل فى سبيل الحصول على المراعى .
- (٦) حظر المتاجرة مع الكويت . فلو كان سكان الكويت كفارا فان على عبد العزيز اعلان الجهاد ضدهم ، وان كانوا مسلمين فلا يجدر به الوقوف ضد المتاجرة معهم .
- (٧) التسامح مع الخوارج (الشيعة) فى الاحساء والقطيف . فقد اراد الاخوان لعبد العزيز اما ان يهديهم الى الاسلام او يقتلهم (٢٩) .

شعر عبد العزيز ان استياء الاخوان قد يتخذ طابع انتفاضة صريحة ، فغادر الحجاز على عجل وعاد الى الرياض فى كانون الثانى (يناير) ١٩٢٧ . وفى اواخر هذا الشهر دعا الى العاصمة زهاء ثلاثة الاف من الاخوان ، وفى هذا الاجتماع قدم فيصل الدويش وابن بجاد وغيرهما من زعماء الاخوان المنشقين بنودهم السبعة . لم تكن الانتفاضة قد اتخذت طابعا صريحا بعد ، لذا اخذ ابن سعود يبحث عن حل وسط فوافق على تقليص الضرائب ولكنه رفض نبذ اللاسلكى والسيارة . بل انه اقنع الحاضرين بمبايعته ملكا لنجد والحجاز فاصبح لقبه «ملك الحجاز ونجد وملحقاتها» (٣٠) .

فى شباط (فبراير) ١٩٢٧ اصدر علماء الرياض الذين اقلقتهم مطالب الاخوان فتوى اشتهرت فيما بعد . وقد وقعها ١٥ عالما الامر الذى يدل على مدى تعقد الوضـيـة . وتظاهر العلماء بان موقفهم محايد ازاء التلغراف ، ولكنهم نصـحوا الامام بهدم مسجد الحمزة وارغام الشيعة على دخول الاسلام او طردهم من البلد . (نذكر بان الوهابيين لا يعتبرون الشيعة مسلمين) . وطالب العلماء الملك بمنع شيعة العراق من الرعى فى اراضى المسلمين . وطالب العلماء بان يعيد الملك الضرائب المستوفاة خلافا للشرع ، ولكنهم اشاروا فى الوقت ذاته الى ان فرض ضرائب غير شرعية ليس سببا كافيا لتصديق وحدة المسلمين . كما اكدوا على ان الامام هو الشخص الوحيد الذى يمكنه اعلان الجهاد (٣١) .

فى مطلع نيسان (ابريل) ١٩٢٧ قرر عبد العزيز ان يعقد اجتماعا آخر لشييوخ القبائل وزعماء الاخوان ، فوفد الى الرياض ما يزيد على ثلاثة آلاف من الاخوان ، ولم يحضر ابن بجاد . وفى هذه المرة حاول عبد العزيز عزل فيصل الدويش الذى اعتبره خصمه الرئيسى . ويبدو ان عبد العزيز تمكن فى هذا اللقاء من استمالة فخذ من مطير وجعله معاديا لفيصل (٣٢) .

لكن الحركة المعارضة لابن سعود لم تقتصر على الاخوان . ففي صيف ١٩٢٧ اكتشفت مؤامرة تهدف الى اغتيال سعود بن عبد العزيز فى الرياض وعبد الله بن جلوى فى الاحساء . وزعم ان بين المتآمرين شقيق عبد العزيز محمد وابنه (ابن محمد) خالد (٣٣) . لم يجرؤ فيصل على تحدى الملك جهارا ، فاخذ يستعد لشن غزوات على العراق . وكان يأمل من وراء ذلك توزيع الغنائم على اتباعه وحمل الملك على مساندته او ، بخلاف ذلك ، البرهنة على انه لم يعد مجاهدا فى سبيل الله (٣٤) . ظل الملك يترقب ، اذ ان «الحذر كان دوما السمة المميزة لعبد العزيز بن سعود - كما يقول غلوب - وكان واثقا من قدرته على هزيمة خصومه من امراء الجزيرة ، ولكنه لم يكن مستعدا لخوض معارك حربية ضد بريطانيا . اما الاخوان فقد كانوا مستعدين لايراد اقوال عبد العزيز السابقة كحجة ضده . واعتبروا العراقيين خوارج واعداء الله وقالوا بان ارواحهم وممتلكاتهم مباحة للاخوان باعتبارهم المؤمنين بالدين الحق . غير ان عبد العزيز كان مثالا للحذر والتبصر . ولئن ايد

العصبية فقد كان ذلك لغرض وحيد وهو استخدامها كاداة لبلوغ مآربه ، بينما لم يكن هو ذاته متعصبا ابدا» (٣٥) .

رغم ان وضع ابن سعود فى المملكة صار مهزوزا فان الدبلوماسية البريطانية ظلت ترى فيه القوة الفعلية الوحيدة فى الجزيرة ، القوة التى تعتمز التعاون معها . وتخذت بريطانيا عن آمالها فى فرض او ابقاء الحماية على الحجاز ونجد وملحقاتها . وكانت مملكة الجزيرة المترامية الاطراف والقليلة السكان محاطة بمستعمرات او محميات او بلدان تابعة للندن . وقدر الانجليز ان المملكة ، حتى وان ظلت مستقلة ، ليس بوسعها اتخاذ اية خطوات تضر بالمصالح البريطانية .

فى ايار (مايو) ١٩٢٧ اجرى المندوب البريطانى كلايتون مفاوضات مع عبد العزيز فى جدة ، وفى العشرين من الشهر عقدت «معاهدة صداقة وحسن تفاهم» . وقد ألغت هذه المعاهدة النافذة لمدة سبعة اعوام ، اتفاقية عام ١٩١٥ واعترفت بـ «الاستقلال التام والمطلق» لممتلكات ابن سعود . ومن الناحية الشكلية لم تنص المعاهدة على اية امتيازات خاصة لبريطانيا ، ولكن ابن سعود التزم بالاعتراف بان لها (اي لبريطانيا) علاقات خاصة مع امارات الخليج ومحميات عدن . ولم يعترف الملك بالحق العقبة ومعان بشرق الاردن ، الا انه التزم بمراعاة الامر الواقع لحين رسم الحدود بين الحجاز وشرق الاردن بشكل نهائى (٣٦) . وكانت المعاهدة نجاحا هاما للدبلوماسية السعودية وقننت استقلال الدولة الجديدة .

سرعان ما اعطى الانجليز الاخوان ذريعة لغزو اراضى العراق . وفى ايلول (سبتمبر) ١٩٢٧ ارسلت مجموعة من الشرطة العراقية الى آبار البضية الواقعة على الاراضى العراقية على مقربة من الحدود لبناء مخفر هناك . وقد احتج عبد العزيز استنادا الى اتفاقية المحمرة والبروتوكول رقم واحد الموقع فى العقير . وردت الحكومة العراقية بان البضية تقع داخل العراق على بعد ٨٠ ميلا عن الحدود ، وان المخفر للشرطة وليس للجيش ، فى حين ان النجديين لم يكونوا يفرقون بين الشرطى والجندى (٣٧) . ولم يأبه الانجليز باحتجاجات ابن سعود الذى طالب بازالة المخفر ، وذلك تحت ضغط الاخوان . فى ليلة السادس من تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٧ اباد مطير

كل رجال الشرطة العراقيين باستثناء واحد . وتدخلت الى جانب العراق الطائرات البريطانية التي القت قنابلها على البدو (٣٨) . وفي مطلع كانون الاول (ديسمبر) هاجم ٣٠٠ من مطير اراضي الكويت الى الشمال الشرقي من الجبراء . وفي ١٣ من الشهر طلب ابن الصباح مساندة الطائرات البريطانية لمجابهة الغزوات . ولكن ابن سعود كان قبل ذلك قد ابلغ الحكومتين العراقية والكويتية بان هذه الغزوات تجري خلافا لاوامره (٣٩) . وفي ١٦ كانون الاول اعيد بناء مخفر البضية ورابطت فيه فصيلة من الجيش العراقي (٤٠) . ومن كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٧ استخدمت الطائرات البريطانية على نطاق واسع ضد الاخوان ، ولكن كان من الصعب في الصحراء تمييز الاخوان عن غيرهم ، فادت الغارات الى مصرع سكان مسالمين . وقد استمرت غزوات الاخوان حتى شباط (فبراير) .

وقد قال غلوب الذي عاصر تلك الاحداث وشارك فيها : «عام ١٩٢٧ لم يعد ابن سعود مسيطرا على الوضع سيطرة تامة . فقد اغترّ الاخوان ، اثر انتصاراتهم في الحجاز ، بقوتهم وزعموا ان سيوفهم هي التي اعلت كلمة ابن سعود . وادرك الاخوان انهم عماد جيش الملك الذي لم يكن لديه قوات نظامية لضبطهم . وكانت الانتفاضة الصريحة ضد ابن سعود صعبة ، فهو الامام ويحظى بتعاطف اهل نجد . ولكنهم اعتبروا ان من الواجب المقدس محاربة الشيعة العراقيين ، لانهم خوارج ولكونهم تحت حماية الانجليز . واتهم ابن سعود بالتسامح في الدين ورفض محاربة اعداء الله . ولم يكن النجديون ، رغم مساندتهم لابن سعود ، مستعدين لاستخدام القوة بهدف منع الاخوان من شن الغزوات على العراق التي تعنى الاصطدام ببريطانيا . ولم يكن بوسع ابن سعود ان يعترف للدول الاخرى بانه لا يسيطر على رعاياه ، وفي الوقت ذاته فان الادعاء بانه سيطر تماما عليهم كان ليعنى تحمل مسؤولية غزوات الاخوان . وقد اعطاه بناء مخفر البضية ذريعة لاتهام العراق بالعدوان . وهكذا اصبح العراق بمثابة العدو المشترك لابن سعود والاخوان» (٤١) . وفي هذا الظرف آثر ملك الحجاز ونجد الاستمرار في تربيته . وفي آذار (مارس) ١٩٢٨ عاد مطير الى هجرهم بعد غزوات موفقة (٤٢) .

في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٨ التقى حافظ وهبة بالمندوب البريطاني هنري دويس في الكويت ، بعد ان حذر الانجليز ابن سعود من ان الطيران سوف يستخدم بكل ضراوة ضد الاخوان اذا لم يوقف الملك الغزوات . ولكن الانجليز استمروا في تزويد الملك بالذخائر . وفي آذار (مارس) ١٩٢٨ اعلن ناطق باسم الحكومة البريطانية في مجلس العموم ان بلاده اعطت خلال الاشهر الاخيرة ثلاث مرات ترخيصا بتصدير الذخيرة الى ابن سعود (٤٣) . في مطلع نيسان (ابريل) ١٩٢٨ عقد في بريده لقاء آخر مع الاخوان ، ولكن فيصل الدويش وابن بجاد لم يحضرا الى المدينة ، بينما رفض عبد العزيز الالتقاء بهما في البادية . ووعده الملك الاخوان بانه سيجري مفاوضات مع الانجليز ويحتج على اقامة المخفر (٤٤) .

في ايار (مايو) ١٩٢٨ جرت مفاوضات بين عبد العزيز والمندوب البريطاني كلايتون ، ولكنها لم تسفر عن شيء ، كما لم يتمخض عن نتيجة اللقاء الآخر الذي عقد في آب (اغسطس) من العام نفسه . وقد احس الانجليز بان عبد العزيز اخذ يفقد السيطرة التامة على البلد . وادرك الطرفان انه لم يتبق لديهما سوى ستة اشهر يحل بعدها موسم الرعي الجديد الذي تعود فيه مناطق الحدود الى حالة الفوضى (٤٥) .

امضى عبد العزيز صيف عام ١٩٢٨ كله في مكة يشن هجمات اعلامية ضد العراق ، يبدو ان الغرض منها اقناع الاخوان بتمسكه باصول الدين . ويقول فيليب «ان ابن سعود شعر بالحاجة الى الحد من تعصب اتباعه . وكان يعرف ان الحرب مع العراق ، مع القوات البريطانية تعني كارثة ، فقرر تحاشيها بأي ثمن . ولكنه كان يحس ايضا ان الغليان في البادية بلغ حد تحديه لتسامحه مع المشركين» (٤٦) .

وضع كبار زعماء الانتفاضة الاخوانية خطط اقتسام ممتلكات ابن سعود . فقد استقر الرأي على ان يكون فيصل الدويش حاكما لنجد وابن بجاد حاكما للحجاز وتعطى الاحساء لابن حثلين . ووعده نداء بن نهير ، وهو من ابناء احد افخاذ شمر ، بتنصيبه حاكما للحائل اذا ما انضم الى قادة الاخوان ولكنه اثر التريث وظل وفيما لابن سعود (٤٧) .

في ايلول (سبتمبر) ١٩٢٨ عاد الملك الى الرياض ووجد ان بعضا من افخاذ العجمان قد اتحد مع فيصل وابن بجاد . اخذ الملك يعمل على عقد الجمعية العمومية للحضر والاخوان وحدد شهر تشرين الاول (اكتوبر) موعدا لها ولكن الجمعية لم تنعقد الا في ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٨ (٤٨) . حضر الجمعية العمومية زعماء الاخوان وشيوخ العشائر واشراف المدن وعلماء الدين ، وتجاوز العدد الاجمالي للحاضرين ومرافقيهم ٨٠٠ شخص ، وتغيب عن الجمعية فيصل الدويش وسلطان بن بجاد وابن حثلين ، ولكن فيصل اوفد ابنه عزيز لحضورها . تحدث عبد العزيز في الحاضرين طويلا وعدد منجزاته ومنها توحيد الجزيرة واقامة صرح السلام . ثم لجأ الى حركة مسرحية باقتراحه التنازل عن العرش شريطة ان يبايع المجتمعون واحدا من آل سعود ملكا ، وقال انه سوف يساعد من يختارونه . وتحدث عبد العزيز عن مفاوضاته مع الانجليز وقال ان غزوات فيصل الدويش هي سبب تعنتهم .

فعلت الحركة المسرحية فعلها في الحاضرين ، وخاصة سكان الحواضر ووحدات نجد ، الركيزة التقليدية لآل سعود ، والذين كانوا يعرفون حق المعرفة ما قد يعنيه بالنسبة لهم غياب عبد العزيز وانتصار فيصل الدويش وابن بجاد . ووسط صياح : «لا نريد بك بدिला» ارب كل الحاضرين عمليا عن تأييدهم لسياسته و«انكارهم» لزعماء الاخوان الثلاثة (٤٩) . ومن الواضح ان المجتمعين كانوا يدركون ان ابن سعود لا يتنازل عن العرش طائعا ، وانه كان قد بلغ من القوة والذكاء حدا كبيرا واصبح مستعدا لمحاربة الاخوان . وتيقن اعيان الحواضر من ضرورة محاربة الاخوان ، وقد لعب دورا في ذلك السعي لحماية المصالح الطبقية في مواجهة البدو الثائرين ، الى جانب نفور الحضر من البدو (٥٠) . غير ان الصعوبة تمثلت في ان حركة الاخوان اتخذت طابعا دينيا وزعم قادتها الثلاثة انهم حماة الدين الحقيقيون وان عبد العزيز يقدم مصالحه الشخصية على مصالح الاسلام ويتعاون مع الانجليز الكفار (٥١) .

مع بداية موسم الرعي غدا واضحا ان الحرب الاهلية قائمة لا محالة ، رغم ان قبائل كثيرة اتخذت موقف التريث . وعوضا عن الوقوف جهارا ضد عبد العزيز آثر زعماء الاخوان الثلاثة شن غزوات على العراق ، لكي لا يتهموا بالعصيان .

هاجم بن بجاد قرية الجميمة على الحدود مع العراق ، وقتل كثيرا من التجار بينهم عدد من اهالى نجد ، ثم هاجم شمر . وقد جعل الاخوان اكبر القبائل وهى عنزة وقييلة حرب الحجازية تتألبان ضدهم . وحصل ابن سعود الذى كان قبل شهر فحسب مهتز الثقة بنفسه ، على دعم من البدو والحضر فى نجد . وابدى فيصل الدويش كياسة سياسية اكثر من ابن بجاد فاقتصر على مهاجمة العراقيين متظاهرا بانه من رعايا الملك الاوفياء ولم يقطع الاواصر معه بشكل لا رجعة فيه ، كما ان الخلافات بينه وبين ابن بجاد تزايدت . وبعد مذبحة الجميمة وصل ابن سعود الى القصيم حيث جهز حملة من المتطوعين النجديين الذين التحقوا بقواته عن طيب خاطر لان المزارعين والتجار لم يشعروا بالامان طالما استمر الاخوان البدو فى نهبهم وتقتيلهم . وسار فى ركب ابن سعود فخذ من العتيبة على رأسه عبد الرحمن بن ربيعان منافس ابن بجاد ، ومشارى بن بصيص من مطير ودليم بن براك من هتيم وعدد كبير من قبيلة حرب وكل شمر نجد تقريبا وجزء كبير من قبيلة الظفير وجزء من عنزة الحجاز ، وكذلك ولد سليمان وغيرهم . وصار حضر نجد العمود الفقرى لقوات الملك (٥٢) .

فى مطلع اذار (مارس) ١٩٢٩ بدأ ابن سعود حملته ، وكان ابن بجاد ويفصل عند آبار السبيلة (٥٣) . جرت سلسلة من المفاوضات ، وزار فيصل الدويش معسكر عبد العزيز ثم عاد الى جماعته (٥٤) . وفى اليوم الثانى ، فى ٣١ اذار (مارس) ١٩٢٩ نشبت معركة السبيلة . حشد ابن سعود فى الوسط مشاة من اهالى نجد ، وجعل اخوانه وابناءه على رأس مجموعات وبدأ الهجوم ؛ وكان المتطوعون من البدو على اليمين والميسرة . خسر الاخوان المعركة واصيب فيصل الدويش بجرح بالغ فى بطنه ، وتقدم سعود بن عبد العزيز على رأس مجموعة من اهالى الرياض وحرس الملك ، ليكمل الانتصارات . وتحمل حضر نجد العبء الاساسى فى المعركة (٥٥) .

هرب فيصل الجريح الى الارطاوية واوفد نساءه الى الملك لكى يطلبن منه الرأفة والعفو . وحينما علم عبد العزيز بان فيصل اصيب بجرح شديد لان وعفا . وبعث بطيبيه الخاص الى فيصل . ويبدو ان الغرض لم يكن المداواة فقط ، بل معرفة مدى خطورة

الاصابة . وعلى اية حال فقد ادرك عبد العزيز ان فيصل لم يعد له وجود كمنافس له (٥٦) .

اما ابن بجاد فقد عاد بعد المعركة الى الغطف . وبعث اليه الملك رسالة يطلب منه فيها ان يستسلم هو وشيوخ القبائل الذين شاركوا في الانتفاضة . وقد انصاع ابن بجاد فحبس وسواه من زعماء الانتفاضة في سجن بالاحساء وهناك قضوا نحبهم . وامر عبد العزيز بتجريد هجرة الغطف من السلاح وهدم بيوتها . وما زالت انتفاضها قائمة حتى اليوم (٥٧) .

اعتقد الملك ان انتفاضة الاخوان قد قمعت ، فقصده المدينة ثم مكة للحج في ايار - حزيران (مايو - يونيو) ١٩٢٩ .

المرحلة الثانية من الانتفاضة . غير ان فيصل الدويش ظل على

قيد الحياة ولم تحبط عزائمه ، فعاد الى تدبير غزوات ضد العراق . وفي تلك الاثناء كان ابن جلوى قد قرر معاقبة العجمان (٥٨) .

ورغم عدم اشتراك ضيدان بن حثلين وقبيلته في معركة سبلة ، الا ان ابن جلوى اعتبر تصرفات العجمان السابقة حجة كافية لضربهم . واوفد عبد الله بن جلوى ابنه فهد لاسر ضيدان بن حثلين بالقرب من هجرته في الصرار . وقام فهد باستدراج ضيدان الى لقاء في البادية حيث اسره . وحينما اكتشف الاخوان من جماعة ابن حثلين ان زعيمهم لم يعد ، طوقوا فوراً معسكر فهد الذي امر بقتل ضيدان وخمسة من صحبه . وتلت ذلك معركة قتل ابانها فهد ، بينما انضم الى المتمردين نايف بن حثلين وهو من اقارب ضيدان وكان سابقا من المعارضين للاخوان . وادرك زعماء هجرة الصرار ان عبد الله بن جلوى سيعمل فور سماعه بمقتل ابنه على مهاجمتهم ، لذا لموا ماشيتهم وحوائجهم ونزحوا الى الشمال (٥٩) . ويقول ديكسون ان الغدر بضيدان الب بدو المناطق الشمالية الشرقية من الجزيرة ضد عبد العزيز رغم انه لم يكن مسؤولاً عن ذلك (٦٠) . وعاد جمع كبير من العجمان الذين هجروا اراضي الكويت بضغط من الانجليز ، الى الاحساء وانضموا الى افراد قبيلتهم .

بيد ان حلول الصيف وضع حدا للمعارك الكبرى ، وكان العجمان قد تمكنوا من الحصول على بعض العون من الكويت حيث اشتروا مؤناً وذخائر في اسواقها . واحتج عبد العزيز فيما بعد لان

الانجليز تغاضوا عن هذه المشتريات (٦٩). ولكن كان في العراق والكويت من يتعاطف مع الثائرين لذا لم يكن بوسع الانجليز السيطرة على كل الامور . وازدادت قناعة الانجليز من ان تحقيق اهدافهم في الكويت والعراق والاردن يتطلب منهم ان يساعدوا ابن سعود في قمع انتفاضة الاخوان وتوطيد نظامه .

انضم فيصل الدويش الذي قرر ان يرفع راية الانتفاضة مجددا ، الى العجمان ، وفي منتصف تموز (يوليو) عمل واياهم على قطع الطريق بين الرياض والهفوف . وقطعت عتبية سبيل الاتصال بين الحجاز ونجد . وفي البدء كان العجمان يرومون مهاجمة القطيف والمدن الساحلية في الاحساء ولكن العوازم اعترضوا طريقهم . هاجم العجمان العوازم لسلبهم ولكنهم ردوا على اعقابهم . وكانت تلك هزيمة نكراء منى بها العجمان ومطير لان العوازم يعتبرون من «مجهولي النسب» او الهتمان .

دارت في البلد رحي حرب اهلية ، وصار جامعو الخراج عرضة للقتل في كل مكان . ولم تعد طرق القوافل في الحجاز ونجد والاحساء آمنة (٦٢) .

عاد الملك الى الرياض في تموز (يوليو) ١٩٢٩ ومعه ٢٠٠ سيارة لاستخدامها ضد المنتفضين . واتفق في الحجاز على شراء اربع طائرات وخطط لاقامة شبكة من محطات الاذاعة في البلد . ولم يرس طلب اقامة الاذاعات على شركة ماركوني الا في اواخر عام ١٩٣٠ ، اما الطائرات فقد وصلت سواحل الاحساء في نهاية عام ١٩٢٩ حيث انتفت الحاجة لاستخدامها ضد البدو (٦٣) .

في ايلول (سبتمبر) قرر ابن سعود القضاء على الثائرين ، ودعا امراء القطيف والاحساء والقصيم وحائل الى تزويده بالرجال والمال والسلاح ، واستنفر اهالي نجد من بدو وحضر ، كما حصل على مؤازرة الهجر التي لم تنضم الى فيصل الدويش .

انزلت ضربة قوية بفيصل الدويش في ايلول (سبتمبر) ، حينما ألحقت قوة يترأسها ابن مساعد ، الهزيمة بقوات مطير بقيادة الشاب عزيز بن فيصل الدويش الذي قتل هو ونخبة من مطير في المعركة (٦٤) .

وبعد بضعة ايام مني الدويش بهزيمة اخرى ، اذ ان فخذاً من عتبية له علاقة بالاخوان هزم من قبل فخذ آخر من نفس القبيلة

ظل مخلصا لعبد العزيز وساندته وحدة بقيادة ابن لؤى من الخرمة (٦٥) .

انتهى امر الانتفاضة . وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٩ هرب فيصل الى الكويت املا في الحصول على حق اللجوء له ولرجالہ ولابقاء افراد عائلته هناك واخذ وعد من الانجليز بعدم قصف مطير . ولكن الانجليز ظلوا يسوفون ولم يعطوا اية ضمانات . وكثرت حالات عبور الاخوان الحدود مع العراق في مجموعات غير منظمة هربا من ابن سعود . وكانت القوات العراقية محشدة الى الشمال من الكويت ، وقامت المصفحات البريطانية بطرد الاخوان ليعودوا الى الاراضى السعودية (٦٦) .

وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٩ اعلن عبد العزيز ان كل من اشترك فى «الفتنة» يؤخذ ماله وجميع ما لديه من ابل وخيل وسلاح ، وان كل من مالا المنتفضين تؤخذ منه الذلول والفرس والبنادق ، على ان يقسم كل ما ينتزع من المنتفضين على المشاركين فى المعارك الى جانب الملك . وامر بان كل هجرة «غلب الفساد على اهلها يطردون منها . . . ولا يسمح لفريق منهم بالاجتماع فى مكان واحد» (٦٧) .

فى كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٢٩ جمع عبد العزيز قوة من حضر العارض والوشم والقصيم وبعض الافخاذ الموالية له من مطير وعتيبة وحرب ووحدات من قبائل سبيع وقحطان والدواسر ، وبدأ بمطاردة فيصل . وجرت اشتباكات ادت الى هزيمة الاخوان . وفى اواخر الشهر ذاته بعث فيصل الدويش رسالة الى عبد العزيز يطلب فيها العفو والامان . ورد الملك بان فيصل لم يعد له الحق فى العفو . غير ان المكاتبات استمرت بين الجانبين (٦٨) . وفى الوقت ذاته بعث فيصل رسالتين الى ملك العراق والى الكابتن البريطاني غلوب يزعم فيها بان مطير من رعايا العراق المخلصين . ولكن الانجليز كانوا يميلون الى القضاء على الاخوان . وفى نهاية كانون الاول اصبحت فلول قوات الدويش محصورة بين قوات عبد العزيز والقوات البريطانية على الحدود بين نجد والعراق والكويت . وكانت قوات عبد العزيز ومدرعاته اكثر بكثير من المتمردين (٦٩) .

فى احدى المعارك هزم آل حرب نفرا من مطير ففر هؤلاء الى

الكويت (٧٠) . وحينما نما الخبر الى فيصل عبر في مطلع كانون الثاني ١٩٣٠ حدود امارة الكويت . وحالما علم عبد العزيز بذلك كتب الى المقيم البريطاني في الكويت ديكسون يحتج على السماح للاخوان بالالتجاء الى الكويت والعراق والاردن . وفي اليوم التالي تلقى تعهدا بان المتمردين سوف يُطردون (٧١) . ولكن لا يستبعد ان السلطات البريطانية والعراقية والكويتية كانت تريد الابقاء على زعماء الاخوان كاداة في يدها للضغط على ابن سعود .

استسلم فيصل الدويش وسواه من زعماء الاخوان الى السلطات البريطانية في العاشر من كانون الثاني (يناير) ١٩٣٠ ، فنقلوا بالطائرات الى البصرة حيث وضعوا على متن بارجة بريطانية في شط العرب (٧٢) . وبعد يومين طالب عبد العزيز بتسليم زعماء الاخوان . وكان ملك العراق فيصل يدعو الى منح حق اللجوء للاخوان ولكن البريطانيون لم يتفقوا معه في الرأي . وصل الى معسكر ابن سعود وفد بريطاني وجرت مفاوضات تم بعدها التوصل الى اتفاق حول تسليم زعماء الاخوان للملك . ووعده الملك بالابقاء على حياتهم ، ومنع الغزوات على العراق والكويت . كما ان عبد العزيز تعهد بتعويض العراق والكويت عما الحق بهما من اضرار ودفع عشرة آلاف جنيه تعويضا عن الخسائر التي سببتها غزوات الاخوان ، وان يعين في اي وقت مندوبين الى المحكمة المشتركة وفقا لاتفاقية بحرة (٧٣) . في ٢٧ كانون الثاني (يناير) نقل زعماء الاخوان الثلاثة الى مخيم عبد العزيز حيث استقبل الملك عدوه اللدود المهزوم باللوم . ورفض فيصل الاعتراف بانه ارتكب معصية او خطأ . وقد نقل المعتقلون الى سجن الرياض (٧٤) ، وتوفي فيصل في الثالث من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣١ في السجن . وظل حتى الرmq الاخير ثابت الجنان ومات وهو يقسم بمحاسبة عبد العزيز في يوم القيامة (٧٥) . وهكذا انتهت حياة فيصل الدويش ، واحد من ابرز زعماء البدو ، ولعله آخر واكبر ممثلي عهد انصرم . وسرعان ما توفي الباقون من زعماء الاخوان في السجن ، ولعل السجانيين قد «اعانوه» في ذلك (٧٦) .

في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٠ انتهت انتفاضة الاخوان عمليا . وبذا انهزمت وتلاشت حركتهم التي لعبت دورا هاما في تعزيز

سلطة ابن سعود وغزواته . وتوقفت حتى عملية تحضر البدو وانتقالهم الى الزراعة (٧٧) . وكانت للدولة الاقطاعية المركزية الغلبة على الحركة الشعبية للبدو الذين قاوموا ، بشكل غريزي ، تشديد الاضطهاد ووقفوا ضد التطلعات الاقطاعية الانفصالية لزعمائهم (٧٨) .

اصبح بدو الجزيرة ولعقود طويلة تحت رحمة الماكنة العسكرية البيروقراطية . ولكن لا يستطيع احد ان يجزم ويحدد بثقة الجانب الذى سيلتزمه البدو فى حالة الصراعات المحتملة مستقبلا .

فى ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٣٠ وصل عبد العزيز الى رأس تنورة ، واستقبل على متن بارجة بريطانية حيث التقى بالمندوب السامى البريطانى فى العراق همفرز والملك فيصل . وخلال اللقاء الذى دام ثلاثة ايام تبادل العاهلان العتاب ، ولكن المصالح المشتركة كانت لها الغلبة فى آخر الامر ، فاتفقا على عقد معاهدة للصدقة وحسن الجوار وقعت بعد اسابيع بالحاح من البريطانيين . والى بضع سنوات خلت كانت الاسرتان المالكتان تتحاربان فى الحجاز الذى اعتبره الهاشميون ملكا متوارثا لهم . ولم تنس اسرة الشريف قط فقدانها مكة والمدينة والهزائم المنكرة التى ألحقها بها ابن سعود . بيد ان متطلبات السياسة الواقعية كانت الاقوى . وقرر العاهلان تبادل الاعتراف بينهما كملكين للدولتين وتبادل المبعوثين الدبلوماسيين واحترام كل طرف لحقوق العشائر والاراضى المشمولة بسيادة الطرف الآخر (٧٩) .

بدا ان النظام السعودى قد انجز بنجاح حل مشاكله الخارجية والداخلية ، وصار يوسعه الخلود الى عهد من الاستقرار النسبى . ولكن كان على ابن سعود ان يمر ، قبل حلول هذا العهد ، باختبارين جديدين هما الحركات المسلحة فى الحجاز وعسير والحرب مع اليمن ، وان لم يشكلا خطرا جديا على سلطته .

التحركات المسلحة ضد ابن سعود فى الحجاز وعسير . اثار نظام ابن سعود الاستبدادى الذى فرض بقوة السلاح فى الحجاز استياء شطر من اعيان المنطقة . وحافظ اعيان كثيرون وخاصة من عائلة الشريف على صلاتهم باشقاء على وهو آخر ملك هاشمى . ولم ينس عبد الله بن الحسين عاهل شرق الاردن قط هزيمته على يد الاخوان فى معركة تربة . وقد اثارت غيظه معاهدة الصداقة بين ملك

العراق فيصل وعبد العزيز . ورغم الوجود البريطاني في شرق الاردن واعتراف بريطانيا الواضح بالنظام السعودي ، فقد قرر عبد الله مساعدة العناصر المعارضة في الحجاز وتزويدها بالمال والسلاح .

بدا ان وضع الاستياء العام الذي عم الحجاز في اواخر العشرينات كان في صالح المعارضين . وتعرضت نجد والحجاز لجفاف خلال عامين متتاليين . وادت الحرب الاهلية بين الاخوان ونظام ابن سعود الى دمار شامل وزعزعت الاقتصاد . وحدثت الازمة الاقتصادية العالمية لاعوام ١٩٢٩-١٩٣٣ آثارا موجهة في الجزيرة . فقد هبط تصدير المواشى والجلود والتمور ، ولم يكن ثمة مال لتغطية استيرادات المواد الغذائية ، وتقلص عدد الحجاج بشكل مأساوى (من ١٩١ الفا عام ١٩٢٦ الى ٢٩ الفا عام ١٩٣٢) (٨٠) . وخوت الخزانة . وشرع الموظفون الذين لم تدفع رواتبهم لعدة اشهر بفرض اتاوات على السكان وتوقف دفع المخصصات لشيوخ العديد من القبائل . وبدأ الجوع يحتاج البلد (٨١) .

غير ان الوضع الاقتصادي المزرى واستياء السكان لم يكونا كافيين بعد ذاتهما لكي تحرز الحركات المناوئة للسعوديين داخل البلاد نجاحات تذكر . كانت قد انشئت في مصر ، بعيد سقوط جده رابطة الدفاع عن الحجاز ومن قادتها عبد الرؤوف الصبان والشقيقان الدباغ . وكان النزاع بين ملك مصر فؤاد وابن سعود قد دفع المصريين الى تأييد هذه المنظمة المتهجيرة (٨٢) . في اواخر العشرينات اسس المعارضون الحجازيون ، بتشجيع من الملك عبد الله ، حزب الاحرار الحجازي لطرد النجديين من الحجاز واقامة دولة مستقلة . وتزعم الحزب طاهر الدباغ الذي كان في زمن الملك على سكرتيرا للحزب الوطني الحجازي . وكان بين قادة الحزب الجديد الشريف شاكر والشريف خالد وحسين الدباغ وعلى الدباغ ومحمد امين . وحاول الاحرار الحجازيون تأسيس فروع للحزب في مختلف مدن العالم العربي . وتوجه حسين الدباغ الى القاهرة مزودا بمبلغ كبير من المال ، حيث اقام صلة بحامد بن سالم بن رفاعة الملقب بالاعور وهو من شيوخ قبيلة بلي التي غادر عدد من افرادها الحجاز الى مصر بعد التحركات المناهضة لآل سعود عام ١٩٢٩ (٨٣) .

وجرت مساع لايجاد انصار في جنوب الجزيرة ، فزار حسين الدباغ عدن حيث التقى بعدد من الادارسة القاطنين فى المهجر . وكان يأمل ان تؤازر العمليات المسلحة فى الشمال بانتفاضة فى عسير ، تليها انتفاضة شاملة فى الحجاز . ولما عاد حسين الدباغ الى القاهرة اكد لابن رفاة ان الاستياء يعم الجنوب وان الناس هناك فى انتظار اشارة البدء .

فى اواسط ايار (مايو) ١٩٣٢ عبر ابن رفاة وقبيلته الحدود المصرية قرب العقبة حيث زوده سعود الدباغ بالموثنة . وسرعان ما ظهر ابن رفاة ومسلحوه فى شمال الحجاز (٨٤) .

ويبدو ان نشاطات «احرار الحجاز» لم تكن خافية على ابن سعود . فما ان علم بظهور قوة ابن رفاة ، امر فى حزيران (يونيو) ١٩٣٢ بان يعتقل فوراً جميع المعارضين فى مكة ، وكان بينهم عدد من آل الدباغ ، وحظر نشاط كل الاحزاب السياسية فى الحجاز (٨٥) .

وفى الوقت نفسه ارسل عبد العزيز وحدات محمولة بالسيارات الى ضبا والبداغ لتطويق ابن رفاة . وتولت القوات البريطانية اغلاق الحدود بين شرق الاردن والسعودية ووصلت العقبة باخرة بريطانية للحيلولة دون مرور المؤن والذخائر الى الحجاز . واغلق عبد العزيز الحدود من جهته (٨٦) .

لم يحصل ابن رفاة ومسلحوه من قبيلة بل على دعم السكان فاحتما بجبل شار على بعد ٥٠ كيلومترا من ضبا . واستدرجهم عبد العزيز من هناك بعد ان اوعز الى اعيان ضبا بان يبعثوا رسالة الى ابن رفاة يعربون فيها عن استعدادهم للانضمام الى حركته . فنزل زعيم البلبي من الجبل ووقع فى الكمين وطوقت وحدته وبعد معركة قصيرة دمرت تماما . وفى هذه المرة استخدم عبد العزيز السيارات والمصفحات على نطاق اوسع مما اثناء قمع انتفاضة الاخوان (٨٧) .

بذا منيت مغامرة ابن رفاة و«احرار الحجاز» بالهزيمة قبل ان تبدأ حركة انصارهم المسلحة فى عسير .

نصت المعاهدة المعقودة مع ابن سعود عام ١٩٢٠ على احتفاظ محمد الادريسي بالسيادة على جنوب عسير وجزء من تهامة اليمن . ولكن الوضع اخذ يتغير بشكل جذرى بعد الاستيلاء على الحجاز .

ففى ظل الدولة السعودية القوية تحول «استقلال» اماره الادارسة الى مسألة شكلية صرف . واستغل امام اليمـن يحيى انشغال النجديين فى عمليات بالحجاز ، فضم الى ممتلكاته الحديدية وجزءا من تهامة فى نيسان (ابريل) ١٩٢٥ ، مما ادى الى تأزم العلاقات بين ابن سعود ويحيى .

وبعد الاستيلاء على الحديدية تقدمت قوات احمد بن يحيى نحو الشمال مهددة مراكز عسير الاساسية وهى جيزان وصبيا وابو عريش . وكان من الواضح ان الامام يحيى يعتزم الحاق جنوب عسير كله باليمن .

انتابت امير عسير الجديد الحسن الادريسي مخاوف من اليمـنيين ، فعقد فى ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٦ معاهدة حول الحماية السعودية لامارته ، وتخلي الادارسة عن الاستقلال فى السياسة الخارجية ولكنهم احتفظوا باستقلال ذاتى فى الشؤون الداخلية . وكانت تلك بداية النزاع السعودى اليمـنى . سحب يحيى قواته المرابطة بالقرب من جيزان وصبيا ، وفى حزيران (يونيو) ١٩٢٧ وصل صنعاء وفد سعودى للتفاوض . واصر يحيى على ان عسير جزء من اليمن اقتطعه الادارسة «الفاصبون والطارئون» فيما مضى . وسعى السعوديون للبرهنة على ان هذه المنطقة لا ترتبط باليمن وطالبوا باستعادة جزء كبير من اراضى عسير التى احتلها الجيش اليمـنى عام ١٩٢٥ ، وصولا الى باجل .

لم يكن اليمن مستعدا لتوسيع شقة الخلاف . فقد كانت حدوده الجنوبية تشهد اشتباكات متواصلة مع قوات بريطانيا ومحمياتها . وفى عام ١٩٢٨ قصفت الطائرات البريطانية عددا من المدن اليمـنية . فى ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٠ فرض ابن سعود على الحسن الادريسي معاهدة جديدة حولت سلطة الامير الى مسألة شكلية صرف . ونصت المعاهدة على ان السلطة بكاملها ستنقل الى ابن سعود بعد وفاة الحسن . وعند ذاك شرع الادارسة باقامة اتصالات سرية مع الامام يحيى و«احرار الحجاز» .

شهد عاما ١٩٣١ و١٩٣٢ نزاعات مسلحة على الحدود السعودية اليمـنية (٨٨) .

كان حسين الدباغ قد وصل الى مدينة اللحية الساحلية عام ١٩٣٠ مندوبا عن حزب الاحرار الحجازى ، واتفق مع الحسن على

القيام بعمليات مشتركة ، وبدأ تزويد امير عسير بالمؤن والذخائر . وفي عام ١٩٣٢ حاول التحرر من الحماية السعودية . بدأت الانتفاضة في تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٢ ، وبعد بضعة ايام دمرت قوات الحسن ففر الى صبيا . وجاء فى تقرير للنفصلية السوفييتية فى جدة : «ان الحركة فى الجنوب قد هيئت من قبل نفس المنظمة التى وجهت نشاطات ابن رفادة صيف ١٩٣٢ ، والتى عملت بايعاز من عمان (شرق الاردن) . . . وكان نشاط المنظمة ، كما فى حالة هجوم ابن رفادة على الحجاز ، يهدف الى اقامة اتصال مع سواحل عسير واذكاء الدعاية المناوئة للسعوديين وارسال موفدين الى «بعض البلدان الاوربية» لشراء الاسلحة ونقل المؤن والذخائر الى سواحل عسير بالقوارب الشراعية . . . وبعد بدء الانتفاضة وصل الى جيزان قارب شرعى وعلى متنه على الدباغ وعبد العزيز اليماني ، وجلبا كمية من الرز والطحين والتبر . . . ولكن بعد ثلاثة ايام من الحادث وصلت الى جيزان وحدة حكومية القت القبض على اليماني . وحاول على الدباغ الهرب على متن القارب الشرعى . . . وفيما بعد تلقت السلطات ابلاغا بان على الدباغ غرق فى البحر» (٨٩) .

اثر ذلك بقليل احتلت قوة سعودية بامرة خالد بن لوى وعبد العزيز بن مساعد عسير باكملها . وحاول الادارسة والقبائل الموالية لهم المقاومة فى الجبال ، ولكنهم فروا فيما بعد الى اليمن . وطالب عبد العزيز بتسليم المتمردين ولكن الامام يحيى اشترط لذلك ان يعد الملك بالعفو عنهم . وفى ايار (مايو) ١٩٣٣ عاد عدد من الادارسة الى مكة حيث ظلوا تحت المراقبة ويتقاضون مرتبات (٩٠) . واصبح حاكم عسير يعين من قبل الرياض .

منذ صيف ١٩٣٢ اصبح واضحا ان النظام السعودى توطد وتحول الى السيد غير المنازع فى كل الاراضى الشاسعة لمملكة الحجاز ونجد وملحقاتها . وما السهولة التى تم بها قمع الانتفاضات فى شمال الحجاز ومن ثم فى عسير ، سوى تأكيد على ذلك .

فى ١٨ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٣٢ اصدر ابن سعود فى الرياض الامر الملكى بنظام «توحيد المملكة» التى تقرر ان تعرف من ذلك الحين باسم المملكة العربية السعودية . ويشير النظام الى ان هذا التحويل لن يكون له اى اثر على المعاهدات والاتفاقات والالتزامات

الدولية التي تبقى على قيمتها ومفعولها ، شأنها شأن النظمات والتعليمات والامور السابقة (الزركلي ٥٦٥) . ويلزم النظام مجلس الوكلاء (الوزراء) الذي شكل في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣١ بوضع النظام الاساسي للمملكة ونظام توارث العرش (٩١) . وفي عام ١٩٣٣ عين عبد العزيز ابنه سعود وليا للعهد (٩٢) .

ظل ابن سعود متمسكا بتكتيكه المعتاد في العفو عن الخصوم الذين كفوا عن محاربته في الوقت المناسب وشراء المعارضة ، واعلن عام ١٩٣٥ العفو العام . وفي الوقت نفسه حل «حزب الاحرار الحجازي» نفسه . وعاد كثيرون الى السعودية ، فاصبح طاهر الدباغ مديرا للمعارف والشيخ الصبان عضوا في مجلس الشورى (٩٣) .

الحرب السعودية اليمنية (٩٤) . ثمة امور كثيرة كانت تجمع بين الحاكمين السعودي واليمنى . فان كلا منهما تزعم في نفس الوقت تقريبا حركة توحيد بلده . وكل منهما حارب الاتراك وتمكن من الحصول على الاستقلال بعد الحرب العالمية الاولى . وشعر كلاهما بضغط الامبريالية البريطانية . ولكن الصراع على عسير ادى بهما الى الاشتباك العسكرى .

في نيسان (ابريل) ١٩٣٣ واثناء قمع انتفاضة القبائل المناوئة للامام في شمال اليمن ، استولى الامير احمد على نجران بحجة ان عشيرة يام التي تعتبر فخذا من قبيلة همدان اليمنية قد ساعدت المتمردين . وفشلت المفاوضات التي اجراها وفد سعودى في صنعاء لتسوية النزاع . وقام الايطاليون بتحريض الامام ووعدوه بالمساعدة ، وذلك سعيا منهم لتعزيز نفوذهم في اليمن ، كما حرضه البريطانيون الذين كانت لهم مصلحة في صرف اهتمام يحيى عن محمياتهم في عدن .

عاود اليمنيون الهجوم في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٣ واحتلوا بدر . وبدأ الادارسة يستنهضون انصارهم من قبائل عسير ضد ابن سعود . وفي تشرين الثانى (نوفمبر) امر ابن سعود بتعزيز القوات على الحدود ووجه انذارا الى يحيى بوجوب الجلاء عن الاراضى المحتلة واعادة الحدود الى سابق عهدها وتسليم الادارسة .

وخشية من ضربة سعودية قدم الامام يحيى تنازلات جزئية

لبريطانيا لحماية حدوده الجنوبية . وفي شباط (فبراير) ١٩٣٤ وقع الحاكم العسكري البريطاني في عدن ريلي معاهدة في صنعاء «حول الصداقة والتعاون المتبادل» فسرهما البريطانيون فيما بعد على انها تعنى موافقة الامام على السيطرة البريطانية في جنوب الجزيرة .

في اواخر شباط (فبراير) واول اذار (مارس) عام ١٩٣٤ عقد في ابها لقاء جديد بين مندوبي المملكتين . وقرر ابن سعود التخفيف من مطالبه وعرض ان تكون منطقة نجران المتنازع عليها محايدة . وبما ان يحيى لم يعط جوابا محددا ، فان السعوديين بدأوا الهجوم .

كانت السعودية متهينة للحرب افضل من اليمن . اذ كانت قد حصلت على قرض من شركة «ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا» وتمكنت من شراء السلاح . وظهرت لديها اول وحدات الجيش النظامي .

شن السعوديون هجومهم بطابورين : بمحاذاة تهامة وفي الجبال . وتمكن طابور بامرة سعود من الاستيلاء على نجران بسرعة ، ولكن تقدمه تباطأ في الجبال حيث كانت كل قرية قلعة حصينة .

وتقدمت قوة بامرة فيصل في تهامة وفي الثاني من ايار (مايو) استولت على الحديدية دون ان تخوض معركة . وظهرت بعض الوحدات السعودية قرب تعز . ورفض ابن سعود اقتراح ابنه فيصل بالزحف على صنعاء . وقد اعاقت وعورة المنطقة تقدم السعوديين الذين لم يعتادوا خوض معارك في الجبال . اصف الى ذلك ان سفنا بريطانية وفرنسية وإيطالية اقتربت من الحديدية ، وانزل الايطاليون المؤيدون للامام قوة في الحديدية . وادرك السعوديون انه لن يسمح لهم بالحق الحديدية ناهيك عن اليمن كله (٩٥) . وقرر ابن سعود الاكتفاء بالقليل .

في ١٥ ايار (مايو) ١٩٣٤ وقع الامير فيصل وعبد الله الوزير ، وهو من اقرب مساعدي الامام ، الهدنة واتفقا على شروط معاهدة الصلح . وفي العشرين من الشهر ذاته وقعا بالاحرف الاولى في الطائف على «معاهدة الصداقة الاسلامية والاخوة العربية» . وابرمت المعاهدة في اليمن والسعودية . وفي ٢٣ حزيران (يونيو) نشرت الصحف الرسمية في مكة وصنعاء وفي القاهرة ودمشق في وقت واحد

نص المعاهدة . تضمنت المعاهدة ٢٣ مادة وعهد تحكيم . وحددت مدة المعاهدة بعشرين سنة قابلة للتديد . وأشارت المعاهدة الى ان الشعبين السعودي واليمنى هما من امة واحدة ، ونصت على اقامة علاقات سلمية وودية بين البلدين واعتراف كل منهما باستقلال الآخر وسيادته . وتخلي الامام عن ادعاءاته باراضى اماره الادارسة ، وفي المقابل تنسحب القوات السعودية من الاراضى التى احتلتها . وتقرر تدقيق رسم الحدود . والزم الامام بدفع مائة الف جنيه امترلينى ذهبى كتعويضات . وانجز رسم الحدود عام ١٩٣٦ .

بدأت العلاقات بين البلدين تأخذ مجراها الطبيعى ، رغم ان ثلاثة حجاج يمينيين حاولوا قتل عبد العزيز بالخناجر فى مكة فى العام التالى لعقد المعاهدة . وقد اصيب الامير سعود الذى حما ابيه بجسده بجرح فى ظهره وكشفه وقتل الحراس الاشخاص الذين قاموا بالهجوم .

بعد حرب ١٩٣٤ صارت العلاقات بين آل سعود وبيت حميد الدين ذات طابع ودى ، وبدأ التعاون السياسى بين العاهلين السعودى واليمنى .

الفصل الثالث عشر

البنية الاجتماعية السياسية للمملكة العربية السعودية أثر قيامها

شغلت المملكة العربية السعودية الجزء الاكبر من شبه الجزيرة العربية وشملت عددا من الكيانات الاقطاعية القبلية التي كانت تربطها علاقات تبعية متفاوتة بالامبراطورية العثمانية . وادى قيام دولة مركزية تطمح في المقام الاول مصالح الصفوة الاقطاعية القبلية عموما والتجار ، الى ضمان امن سكان البلاد ، ودفع ويلات التنافر الاقطاعي القبلي . غير ان الجماهير صارت عرضة لاستغلال ضرائبي متعظم الوطاة ، ولاضطهاد الفئة العليا والجهاز البيروقراطي المتضخم ، في حين ان الحريات «الديمقراطية» العشائرية للبدو توارت تدريجيا ليحل محلها طغيان النظام الملكي الاقطاعي .

وقد اتخذ آل سعود من التبشير بالاصلاح الديني على الطريقة الوهابية ركيزة وراية في صراعهم من اجل توحيد اراضى نجد بزعامة الرياض . وفي حقبة تاريخية حرجة تزعم حركة الانبعاث الجديد لامارة نجد زعيم اقطاعي ورجل دولة وقائد عسكري يعتبر فذا في الاطار المحلي ، الا وهو عبد العزيز بن عبد الرحمن (ابن سعود) .

وكان ينبغي ان تتوفر ظروف خارجية ملائمة ووضع دولي مناسب ، لكي يصبح الطموح الى المركزية وقيام الدولة المستقلة في نجد امرا واقعا ، ولكي تتمكن هذه الدولة من ضم بعض المقاطعات المجاورة . وقد ساعد على نجاح ابن سعود في المرحلة الاولى دعم بريطانيا له في كفاحه ضد الامبراطورية العثمانية وولاتها ، وانهايار هذه الامبراطورية نتيجة للحرب العالمية الاولى ، كما ساعده بعد ذلك عجز بريطانيا التي اخذ الوهن يدب في

اقتصادها ، عن فرض سيطرة مباشرة على جزء كبير من الجزيرة العربية التي بدت للبريطانيين غنيمة باهظة الثمن ومثقلة .

ان الباحث الموضوعى الذى يتعامل مع الوقائع لا يجد تغيرات جذيرة بالاهتمام فى مستوى تطور قوى الانتاج فى مجتمع الجزيرة خلال الثلث الاول من القرن العشرين بالمقارنة مع القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . بل يمكن الافتراض بان الدمار الاقتصادى الذى أحدثته الحروب والانتفاضات المتتالية ، بالاضافة الى الازمة المتفاقمة فى تربية الابل ، قد اديا الى انتكاس اقتصادى . وعند متابعة عملية نشوء العربية السعودية فى القرن العشرين لا نجد فيها طبقات او فئات او شرائح جديدة تختلف مبدئيا من حيث طابعها وموقعها فى المجتمع عن القوى الاجتماعية التى كونت الدولة السعودية الاولى فى القرن الثامن عشر تحت لواء الوهابية . بعد الحرب العالمية الاولى طرحت فى عدد من البلدان العربية - مصر ، سورية ، فلسطين ، العراق ، الجزائر ، المغرب - مسألة نيل الاستقلال الوطنى للسير فى طريق تطور مستقل يرتهن طابعه بتناسب القوى بين العناصر القطاعية والبرجوازية وبمستوى الاقتصاد ودرجة «التحديث» ونمو الطبقة العاملة . وفى هذه الاثناء لم تكن فى العربية السعودية المستقلة سياسيا حتى اجنة العلاقات الرأسمالية ، بل ان الدولة تكونت على اساس اقطاعى قبل بدائى فى مجتمع قروسطى من حيث الجوهر . ولكن العربية السعودية لم تكن البتة معزولة عن العالم المحيط بها ، لذا كان من المتعذر ان يبقى تركيبها الداخلى بمنأى عن التأثيرات الخارجية . وقد تجسد ذلك سواء فى الادوات الفنية لاقامة الدولة المركزية (الاسلكي ، التلغون ، الطيران ، السيارات) او فى الاشكال التنظيمية : استحداث الوزارات والمديريات والنظام المدرسى . غير ان التصادم بين المؤسسات الاجتماعية السياسية التقليدية النابعة من مجتمع العربية السعودية ذاته والمناسبة للاقطاع الشرق اوسطى ، وبين نزعات التحديث المستقدمة من الخارج ، لم يخل بالاستقرار الاجتماعى السياسى فى الدولة خلال العقد الاول . ويعزى ذلك ، فى المقام الاول ، الى الضعف المطلق والنسبى لنزعة التحديث الوافدة من بلدان شرق اوسطية اكثر تطورا بمراحل . كما يعزى الى الهيمنة الثابتة للبنى التقليدية . ولم يبدأ التغير الجذرى فى الوضع

الا في اواخر الاربعينات حينما اخل «انفجار» العوائد النفطية بالتوازن الاجتماعي القديم في البلد .

ان تسمية البلد ذاتها - المملكة العربية السعودية - تعني انها واقعة تحت سيطرة آل سعود . ويرمز لون علم الدولة الاخضر الى الجنة ، وهو اللون الاثير لدى النبي محمد . وقد نقشت على العلم عبارة «لا اله الا الله محمد رسول الله» ورسم سيف ابيض يرمز الى الجهاد .

سلطة الملك . العلاقات بين الصفوة الاقطاعية العشائرية وعلماء الدين . ان تغير القاب الحاكم السعودي هو انعكاس لما حدث من تغيرات في سلطته السياسية . ونعيد الى الازهان ان الاتراك كانوا يخاطبون ابن سعود بعبارة «حاكم نجد والقائد عبد العزيز باشا» بينما خاطبه الانجليز بعبارة «الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد الرحمن آل سعود» . وفي عام ١٩٢١ بايعه الامراء والشيوخ وعلماء الدين سلطانا لنجد وملحقاتها واصبح يلقب بصاحب الجلالة في المكاتبات الرسمية . وفي عام ١٩٢٦ اصبح «ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها» (١) وبعد عام «ملك الحجاز ونجد وملحقاتها» ، ومن ٢٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢ ملك العربية السعودية . ولكن هذه الالقب جميعا كانت في المرحلة الاولى للاستهلاك الخارجى اساسا ، ولتعزيز الهيبة الدولية للبلد وحاكمه .

اما داخل البلد فقد ظل ابن سعود بالنسبة للحضر اميرا ، اى حاكما اقطاعيا ، لنجد والاراضى التى فتحها ، ولذا كان تحول لقبه الى «سلطان» و«ملك» امرا طبيعيا بالنسبة لهم . هذا بينما اعتبره البدو «شيخ المشايخ» .

وقد اراد آل سعود تعزيز مكانتهم «كشيوخ للمشايخ» فنسبوا اصلهم الى قبيلة عنزة وهى اكبر قبائل الجزيرة واشدها بأسا . وتمكن عبد العزيز من السيطرة على البدو الكثيرى العدد والصعبى القيادة فى السابق ، وذلك باستخدامه الحاذق لارستقراطية القبائل والجمع بين اساليب الضغط والتنكيل وبين توزيع الهبات واغداق العطايا على الاعيان .

خلعت على سلطة الطغيان المسوح الابوية-الديمقراطية . فقد كان بإمكان افقر البدو مخاطبة الملك بكل بساطة وبدون القاب .

وكان عبد العزيز يحب ان يسمى ابن فيصل تذكيرا بجده ، او ابن مقرن تذكيرا بواحد من اسلافه واصل الفخذ السعودي ، او اخا نورا ، وهي اخته الاكبر التي كنّ لها الحب والاحترام .

ثمة مثال اعلى للعربي القح ابن الجزيرة . انه مثال البدوى الذى تضىفى عليه مسحة رومانسية فى مجتمع الجزيرة وفى بعض البلدان العربية الاخرى : فهو محارب شجاع ، يسهر على حماية الاسلام وسموح مع المغلوب ، علاوة على انه رجل فعل . وقد تعمد ابن سعود ان يخلع على نفسه هذه الصفات طلبا للهيبة والجاه (٢) . لكن «ديمقراطية» و«ابوية» الملك لم تخدعا كل من ادرك الموقع الحقيقى للملك المطلق فى نظام الدولة المركزية .

لقب عبد العزيز ، شأن اسلافه ، بالامام . ولم يكن ذلك يعنى ان يؤم المصلين فحسب ، بل يعنى ايضا زعامته لجميع «الموحدين» المناهضين «للمشركين» من مسلمى البلدان الاخرى . ورغم انحسار روح العصبية لدى الجماهير بعد فشل انتفاضة الاخوان ، فان اتباع الامام بوصفه الزعيم الدينى كان عامل توحيد للمجتمع وجعل من الدين هالة تضىفى على اعلى سلطة فى الدولة .

لقد كان رئيس دولة «الموحدين» فى الوقت ذاته قائدهم العام الذى يستنهضهم للجهاد ضد «المشركين» . وادى عبد العزيز هذه المهمة بنجاح اثناء حروبه الاغتصابية .

حذا عبد العزيز حذو اسلافه فى اتخاذ التقاليد الاسلامية ، وبخاصة تعاليم ابن تيمية ، مصادر يستمد منها الحجج لتدعيم السلطة المركزية . وكان ابن تيمية يرى ان المجتمع المثالى هو الذى يكون فيه الراى المطاع لفتتين : العلماء المتمسكين بالشرعية والامراء الحائزين على السلطة السياسية اللازمة لتطبيق احكام الشرع (٣) .

ويجب على رعايا الامير اطاعته دون قيد او شرط (٤) . والامير هو المشرف على التطبيق السليم لاحكام الشرع التى تشمل المسلمين كافة ، وهو الذى يتولى تنفيذ الاحكام القضائية ويقوم بعمل الخير والاشراف على الاشغال وتوفير الامن للرعية وضمان عمل الخدمات العامة بشكل طبيعى ، وهو اخيرا الجهة التى تصدر عنها التوجيهات الاجتماعية والاقتصادية التى تكفل لكل فرد العزة فى اطار الشرعية وطبقا لموقعه فى المجتمع (٥) .

يتشاور الامير مع العلماء في ادارة اعماله ، ولكن من حق الامراء التصرف وفق ما تمليه عليه ضمائرهم (٦) . والامير ملزم بالتمسك باحكام الكتاب والسنة وفقا لتفسيرات العلماء . وهذا يوفر للعلماء وسائل هامة ، وان كانت محددة ، للتأثير والرقابة . ومن الناحية النظرية فان الامراء احرار في تصرفاتهم في كل ما لا يتعلق بالدين ، ولكن من الناحية العملية يتخلل الاسلام كل ميادين الحياة في السعودية . لذا يلعب العلماء في المجتمع الوهابي دورا هاما ومما يزيد من هيبتهم ان الكبار منهم ينتسبون الى آل الشيخ الذين تصاهروا مع آل سعود منذ امد طويل .

ابان الازمة التي سببتها عصبية الاخوان عامي ١٩١٤-١٩١٥ ، اصدر عبد العزيز مرسوما ، واصدر العلماء فتوى ، يدinan تعصب الاخوان ومغالاتهم (٧) . غير ان علاقات ابن سعود بالعلماء شهدت فترات تأزم . وحسبنا التذكير بان العلماء وقفوا ضد استخدام التلغراف واللاسلكي (٨) . وعلى اية حال فقد كانت الغلبة لارادة عبد العزيز عند حصول نزاعات حول قضايا كبرى ومبدئية . فذات مرة عارض العلماء زواج عربي غير وهابي على فتاة من احدى عوائل الرياض العريقة ، ولكن عبد العزيز لم يحفل برأيهم بل وطرد ثلاثين عالما من نجد (٩) . ولعل النزاع حول هذه المسألة كان مجرد حجة اتخذها الحاكم للتخلص من علماء لا يستأنس بهم .

وكان يطلب من كل فرد في البلد اطاعة الامير واسدائه النصيح عند الاقتضاء (١٠) . وفي عام ١٩٥٠ قال فيصل في خطاب القاه عند افتتاح مجلس الشورى ان «واجب الرعية هو مساعدة الجهات المنوط بها امر التنفيذ ، لتسهيل مهمات السير بحسب الاوامر والتوجيهات التي توجه اليهم» (١١) .

كان عبد العزيز يتظاهر دوما باحترام العلماء ولهم في مجلسه كلمة مسموعة ، كما انه كان يستمع الى نصيحهم .

وقد اظهر العلماء سلطتهم حينما قرر ابن سعود الاحتفال بالذكرى الخمسين لجلوسه على العرش . ورد العلماء بان الاسلام لا يعرف عيداً من هذا القبيل فوافق الملك على رأيهم . وفي بعض الحالات كان عبد العزيز يتعامل مع ملاحظات العلماء بروح النكته . فقد روى انه كان يمشى في قصره بالرياض وعليه ثوب طويل يمس الارض ، فدخل عليه احد العلماء وقال «الله يا عبد العزيز !

لقد دخلك الكبر وصرت تجر ذيلك وراءك». التفت عبد العزيز الى الخدم في الحال قائلا : «هاتوا المقص». فلما جاؤوا به اعطاه الى الشيخ وقال : «قص ما تراه مخالفا للدين !» (١٢) .

كتب فيلبى عام ١٩١٨ يقول ان عدد العلماء ستة في الرياض وثلاثة في القصيم وثلاثة في الاحساء وهناك عالم واحد في كل من مناطق نجد الاخرى ، ويقرب عددهم الاجمالى من العشرين (١٣) . ويبدو انه يقصد كبار العلماء فقط . وعلى اية حال فان عددهم في العاصمة كان يتغير من عام لعام .

كان العلماء في السعودية يعتبرون متضلعين في الفقه والشرع بفضل عمق ايمانهم وانكبابهم على الدراسة . ومن الطبيعى ان العلماء ينتسبون في العادة الى قبائل «كريمة المحتد» او من السادة ، الذين يعتبرون من سبط النبی . الا ان اكثر علماء السعودية هبة وثقة هم افراد آل الشيخ ، رغم انهم ليسوا من السادة . وكانت تربط آل الشيخ صلات قريبي مع عبد العزيز تعود الى زمن عبد العزيز الاول وابن عبد الوهاب . وكان الملك فيصل الذى قتل عام ١٩٧٥ ابنا لعبد العزيز من زوجة من آل الشيخ .

حينما حان الوقت لاجراء تحديث ولو جزئى في الدولة الاقتصادية وقف العلماء وقفة حازمة ضد التغيير ، وما برحوا متمسكين بموقفهم حتى يومنا هذا . وفي حزيران (يونيو) ١٩٣٠ احتج العلماء الذين اجتمعوا بمكة على ادراج مواد مثل الجغرافيا واللغات الاجنبية والتخطيط الهندسى فى برنامج مديرية المعارف المؤسسة حديثا . وزعموا ان التخطيط الهندسى هو تصوير بكل حال ، اما اللغات فاعتبروها وسيلة لمعرفة الافكار الدينية للمشرکين ، واثارت الجغرافيا تقمتهم لقولها بكون الارض . بيد ان عبد العزيز تجاهل احتجاجاتهم (١٤) . وفى حالات اخرى وقف علماء الرياض الى جانب عبد العزيز مناهضين لتعصب الاخوان .

فى مطلع الخمسينات تكون نوع من السلم الوظيفى بين علماء الدين . فقد اعتبر مفتى الديار السعودية بمثابة رئيس للعلماء . وحظى بهيبة خاصة رئيس جماعة الامر بالمعروف فى الرياض وقاضى القضاة فى مكة وقاضى الدلم وقاضيا المحكمة الشرعية فى الرياض وعضو لجنة الامر بالمعروف فى الرياض (١٥) .

لعب عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف ، وهو فقيه وخطيب

شهير من آل الشيخ ، دورا هاما في ارساء الركيزة الدينية للدولة المركزية . وقد درس في المدينة وتونس والقاهرة وطاف المغرب واسبانيا والهند وافغانستان وايران والعراق . وقد انضم الى آل سعود ابان فترة نفيهم في الكويت وتعلمد عليه عبد العزيز . وظل عبد الله حتى وفاته عام ١٩٢٥ زعيما لا ينافس لآل الشيخ (١٦) . ويقول فيلبي انه كان يلقي خطب الجمعة في مسجد الشيخ عبد الله بحي العلماء في الرياض ومواعظ في المسجد الجامع بالرياض ، كما انه كان قاضي القضاة في العاصمة (١٧) .

ادى قيام المملكة العربية السعودية وتوطد استقلالها وانبعاث بعض المؤسسات الاجتماعية السياسية الاسلامية الى استشارة الاهتمام بالوهابية من جديد خارج حدود المملكة . ففي مصر وجدت مجموعة محمد رشيد رضا التي كانت مجلة « المنار » اساسا لها ، وجدت في الوهابية آراء مماثلة لما تدعو اليه . فقد كانت هذه المجموعة تدعو الى «تحديث» المجتمع الاسلامي بالاستفادة من منجزات الحضارة الغربية (الاوربية ، الرأسمالية) وتطالب من جهة اخرى بالعودة غير المشروطة الى القيم الاسلامية وبعث الافكار والمؤسسات التي كانت قائمة في صدر الاسلام ، واعتمادها في كل مناحي الحياة . وقد هيأت مجموعة رضا التربة لانتشار افكار حسن البنا مؤسس حركة «الاخوان المسلمين» . والف رضا نفسه عدة كتب يشن فيها على الوهابية . وفي داخل مصر كان يمكن اعتبار ذلك تعبيرا عن الميل المعارضة للملك فؤاد ، لان العلاقات بين مصر والسعودية ظلت مقطوعة حتى عام ١٩٣٦ بسبب حادث المحمل .

تنظيم سلطة الدولة والادارة في نجد . في معرض الحديث عن اوضاع نجد والحجاز في الدولة الموحدة قال فؤاد حمزة : «اما من الوجهة الحقوقية والقانونية فان كلا من الحجاز ونجد كان مملكة مستقلة عن الاخرى لا تجمع بينهما الا رابطة العرش المشتركة وشخص الجالس على هذا العرش» (١٨) . ومن جهة اخرى اشار المؤلف الى انه لم تكن بين المملكتين حدود مرسومة ولا رسوم ، ولهما سياسة خارجية موحدة ، ناهيك عن القوات المسلحة الموحدة وهي بيت القصيد . وفي فترة ١٥-٢٠ عاما الاولى كانت الفروق في الادارة بين شقّي المملكة ملموسة ، ولكنها تضاءلت بالتدريج . وكانت السلطة الفعلية كلها في يد الملك ابن سعود وحاشيته .

قام البلاط الملكي في الرياض بوظائف الحكومة في البلد كله وفي الوقت نفسه كان يؤدي وظائف حكومة نجد . ويفصل الزركلى الوثيق المعرفة بالبلاط تركيبه على النحو التالى (١٩) :

١ . المجلس الخاص وكان الملك يسمى اعضاءه بالجماعة او «الربع» . وكان هؤلاء يعقدون ، برئاسة الملك ، اجتماعين في اليوم : قبل الغداء وفي المساء . ويحضر المجلس شقيق عبد العزيز الامير عبد الله بن عبد الرحمن وولى العهد سعود ونائب ملك الحجاز فيصل ، ان كان متواجدا في الرياض . ثم كان يحضره الوزراء والمستشارون وكبار العلماء وسائر الوزراء والسفراء السعوديين المتواجدين في الرياض . وقد يضم المجلس امراء المناطق وشيوخ القبائل .

- ٢ . الشعبة السياسية واختصاصها الشؤون الخارجية .
- ٣ . الديوان الملكي واختصاصه الشؤون الداخلية .
- ٤ . شعبة الشفرة والبرقيات .
- ٥ . شعبة البادية واختصاصها داخلية نجد .
- ٦ . شعبة المحاسبات والاعطيات .
- ٧ . شعبة الوفود والضيافة . واختصاصها السهر على راحة الوفود والاشراف على القصور الملكية المخصصة لضيوف الملك . وكان الوافدون يقسمون الى ثلاث فئات : كبار الضيوف ، ووفود الحضر ، ووفود البلاد .
- ٨ . الخاصة الملكية واختصاصها ما يتعلق بشؤون القصر الملكي .
- ٩ . شعبة اهل الجهاد واختصاصها النظر في شؤون الجند غير النظامي .
- ١٠ . شعبة الخزينة الخاصة .
- ١١ . شعبة المخازن الخاصة (المستودعات) .
- ١٢ . شعبة الحاشية .
- ١٣ . شعبة الخيل .
- ١٤ . شعبة الابل واختصاصها النظر في ابل «الخاصة الملكية» .
- ١٥ . شعبة السيارات .
- ١٦ . شعبة الاذاعة التى اسست بعد ظهور اللاسلكي في البلد ، وكانت تتولى ايضا الانصات بالعربية واللغات الاجنبية وتعد نشرات موجزة للملك .

١٧ . شعبة الحرس الملكي .

١٨ . الشعبة الصحية واختصاصها طبابة القصر الملكي .

ويتطابق وصف الزركلى للبلاط الملكى مع ما اورد نالينو عموما (٢٠) ، ولكن هذا ادرج ضمن سلسلة وظائف الديوان الملكى شؤون الحجاز وعسير والاحساء ، وذكر شعبى الزكاة والخزانة العامة اللتين الغيتا شكليا بتأسيس وزارة المالية ، وشعبة التلاوات والمؤذنين التى لم يذكرها الزركلى . ولكن لا نعتقد ان هناك تعارضا بين المؤلفين . فالارجح ان شعب البلاط الملكى كان يمكن ان تظهر وتختفى وتدمج ، يعلو شأنها او تصبح ثانوية تبعا لوزن مسؤوليها وعمق صلتهم بالملك . ولم تكن توجد اية قواعد مكتوبة او احكام مدونة تثبت بنية البلاط الملكى ، وظلت الكلمة الفصل فى كل القضايا للملك (٢١) .

اما بالنسبة للمحافظات الرئيسية فان الملك كان يعين امراءها للفترة التى يرتها . ولم توجد فى الثلاثينات قوانين او اصول للادارة المحلية فى نجد وملحقاتها . وكان امراء التقسيمات الادارية الاصغر يعينون من قبل حكام المقاطعات ، ولكن بوسع الملك التدخل فى اختيارهم . وفى البدء كان البلد ، باستثناء الحجاز ، مقسما كما يقول فؤاد حمزة (٢٢) الى خمس مقاطعات كبرى هى نجد التى ضمت اليها العارض والمناطق المجاورة ، والقصيم وجبل شمر والاحساء (حيث يحكم آل جلوى) وعسير . ومن الناحية العملية فصلت عن جبل شمر مقاطعة وادى سرحان ، بينما قسمت عسير الى عسير وعاصمتها ابها وتهامة ونجران (٢٣) .

واسندت الى سلطات المحافظات مهمة الاشراف على قبائل البدو . ويذكر ماكاى فرودا ان قبائل عتيبة وجزءا من مطير والدواسر وقحطان وسبيع كانت تابعة لحاكم العارض ، وان العجمان وبنو هاجر وبنى خالد والحوازم والمناصير وآل مرة وجزءا آخر من مطير تابعة لحاكم الاحساء ، وجعلت شمر وشرارات وجزء ثالث من مطير تحت اشراف امير جبل شمر (٢٤) . وتجدر الاشارة الى ان قبيلة مطير المتمردة على آل سعود قسمت الى ثلاثة اقسام .

لم يقنن الحكم الذاتى للمنطقة الشرقية بمراسم خاصة ، ولكن فى اواخر الثلاثينات كان قد تم هناك استحداث مؤسسات بيروقراطية خاضعة لابن جلوى ، وجعل اقارب بن جلوى حكاما لاهم

الوحدات وشكلت في الهفوف مديريات الشرطة والمالية والجمارك وخفر السواحل وفرع لمديرية المعادن في جدة (٢٥) .

ادارة الحجاز . اقام ابن سعود في الحجاز نظاما معقدا للسلطة والادارة . ففي آب (اغسطس) ١٩٢٦ اصدر الملك وثيقة تعرف باسم «التعليمات الاساسية للمملكة الحجازية» وهي تسمى احيانا «الدستور» . وتنص الوثيقة على ان «المملكة . . . مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا لا يقبل التجزئة ولا الانفصال بوجه من الوجوه» وان الحجاز «دولة ملكية شورية اسلامية مستقلة في داخليتها وخارجيتها» وان «مكة المكرمة عاصمة الدولة الحجازية» . وان «ادارة المملكة بيد صاحب الجلالة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وهو مقيد باحكام الشرع» .

ونصت الوثيقة على ان يعين الملك في الحجاز نائبا عاما (نائب الملك) له ورؤساء الشعب الذين يكونون تابعين لنائب الملك الذي يتبع بدوره الملك (٢٦) .

ونصت الوثيقة على ان تتولى تصريف شؤون الدولة الحجازية ست شعب اساسية :

- (١) الشرع
- (٢) الداخلية
- (٣) الخارجية
- (٤) المالية
- (٥) المعارف
- (٦) الجيش .

واكدت مادة خاصة على ان الشؤون الحربية وكل ما يتصل بها من وظائف خاضعة لاشراف الملك (٢٧) .

كما نصت الوثيقة على تأسيس مجلس شورى يضم نائب الملك ومستشاريه وستة من اشراف الحجاز يعينهم الملك . كما تشير الوثيقة الى وجود نية لانشاء مجالس ادارية في المدن الرئيسية تمنح صلاحيات البلديات ، ولكن قراراتها لا تسرى الا بعد مصادقة الملك . وتقرر ايضا انشاء مجالس في الوحدات الادارية الصغيرة . (٢٨) .

بدا لابن سعود ان بعض «التعليمات الاساسية» تتناقض وسلطته المطلقة . لذا فان المواد ٢٨-٣٧ المتعلقة بمجلس

الشورى والمجالس المحلية تجوّهلت بعد مضى عام ، فى حين ان المواد ٤٣-٤٥ حول تشكيل هيئات لها حق الاشراف على نفقات الخزانة لم تطبق قط وبطل مفعولها فيما بعد .

ثمة خاصية جوهرية لـ«دستور» الحجاز تتمثل فى الغياب التام للاحكام المتعلقة بالحقوق الفردية والعامّة ، وكذلك الاحكام التى تحد من سلطة الملك المقيد باحكام الشرع فقط (٢٩) .

ويقول الزركلى الذى درس النشاط العملى لهيئات السلطة فى الحجاز ، ان مجلس الشورى كان يعالج القضايا المتعلقة بميزانية دوائر الدولة والبلدية ويتولى اعطاء الرخص للشروع فى عمل مشاريع اقتصادية وعمرانية ويسن القوانين والانظمة ويبت فى استخدام الموظفين المحليين والاجانب ، ومن عام ١٩٣٢ اضيفت الى اختصاصاته العناية بشؤون الحجاج (٣٠) .

ويشير الزركلى الى ان صلاحيات المجلس تشريعية واستشارية ، وكان بوسعه ان يلفت نظر الحكومة (يقصد بذلك مجلس الوكلاء - مجلس الوزراء - الذى شكل فى الحجاز) الى اى خطأ فى تطبيق القوانين والانظمة ، واقرار او نقض او تعديل مشاريع الحكومة (٣١) .

وفى تموز (يوليو) ١٩٢٨ صدر مرسوم ملكى يقضى بتشكيل مجلس شورى للحجاز ونجد سووية ، ولكن هذا المرسوم لم يطبق (٣٢) . كما لم تصدر قرارات تقصر صلاحيات مجلس الشورى على الحجاز ، او تقضى بشمول سائر ارجاء المملكة بها . وقد انجز المجلس حتى عام ١٩٥٠ مئات من الانظمة والتعليمات حول مختلف القضايا لتحديد وضع الهيئات الحكومية والعامّة والقضاء الشرعى والصحة والبرق والبريد والتلفون . وفى الواقع طبق العديد من انظمة وتعليمات مجلس الشورى الحجازى فى سائر ارجاء البلد (٣٣) .

قبل الاستيلاء على الحجاز كانت الروابط بين نجد والعالم الخارجى تجرى باكملها تقريبا عن طريق الخليج . وتولى الملك المكاتبات ومتابعة الاتصالات وكان يعطى الايعازات لمندوبيه فى المفاوضات . وبعد ضم الحجاز تعقدت الروابط الدولية للمملكة الجديدة . وكان فى جدة عدد من القناصل الاجانب الدائمين . كما ان وفود الحجاج كان يضع امام حاكم الحجاز عددا من القضايا الحساسة . لذا ظهر منذ عام ١٩٢٥ شىء اشبه بمديرية الشؤون

الخارجية وترأسها يوسف ياسين السورى المولد الذى كرس نفسه لخدمة ابن سعود . وقد شارك مع المصرى حافظ وهبة فى مفاوضات بحرة وحدة عام ١٩٢٥ ، وشارك فى بعثات دبلوماسية اخرى فيما بعد . وقد ترأس فى مكة تحرير صحيفة «ام القرى» وتولى رئاسة الدائرة السياسية لدى الديوان الملكى . وفى عام ١٩٣٠ اصدر ابن سعود مرسوما بتشكيل وزارة الخارجية التى اسندت لابنه الثانى فيصل نائب الملك فى الحجاز (٣٤) .

اقامت العربية السعودية علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفييتى فى ١٦ شباط (فبراير) ١٩٢٦ ، وفى الاول من آذار (مارس) ١٩٢٦ مع بريطانيا العظمى وفى الشهر نفسه مع هولنده وفرنسا وتركيا ، وفى عام ١٩٢٨ مع المانيا وفى عام ١٩٢٩ مع ايران وبولنده وفى ١٩٣١ مع الولايات المتحدة الامريكية وفى ١٩٣٢ مع ايطاليا وفى ١٩٣٦ (بعد وفاة الملك فؤاد) مع مصر . وكان فى السعودية عام ١٩٥٠ سفارتان : امريكية وبريطانية ، اما الدول الاخرى فقد تمثلت ببعثات دبلوماسية (٣٥) . وغادرت البعثة السوفييتية جدة فى ١٩٣٧/١٩٣٨ ، ولكن العلاقات الدبلوماسية بين البلدين لم تقطع رسميا .

تولى كل شؤون الخزانة فى اماره الرياض خلال الحقبة الاولى شخص يدعى عبد الله السليمان ولم يكن لديه ملاك خاص من المساعدين . وانشئت فى كل بلدة ادارة لجباية الزكاة مستقلة عن غيرها ومحاسبة امام الامير والملك . وقد كانت على غرار هيئات الضرائب فى الدولتين السعوديتين الاولى والثانية . واسست فى مكة عام ١٩٢٧ مديرية المالية العامة وترأسها عبد الله السليمان ذاته (٣٦) . ومن عام ١٩٢٩ جعلت المديرية وكالة ، اى صارت وزارة عمليا . وفى عام ١٩٣٢ قرر الملك تحويل الوكالة الى وزارة المالية ذات الصلاحيات الواسعة واسندت الى عبد الله السليمان اياه (٣٧) . واضطلعت الهيئة الجديدة بصلاحيات وزارة الاقتصاد . وربطت بالوزارة ادارات التموين والحج والزراعة والاشغال العامة والسيارات . كما كان من صلاحيات الوزارة توقيع عقود الامتياز لاستخراج الذهب والنفط ، وشكلت ادارة المعادن والنفط تابعة لها . وعمل سوريون ولبنانيون ومصريون وعراقيون كخبراء فى الوزارة .

استمر توسع الوزارة وبلغ عدد العاملين فيها عام ١٩٤٩ زهاء ٥٤٠٠ شخص (٣٨) .

يعود تاريخ مجلس الوزراء في الحجاز برئاسة فيصل نائب الملك ، الى كانون الثاني (يناير) ١٩٣٢ (٣٩) حينما شكل مجلس الوكلاء بصلاحيات مماثلة لصلاحيات مجلس الوزراء ، ولكنها غير مطابقة لها كلياً . وقد ضم المجلس الرئيس ، اى نائب الملك ووكلاء الخارجية والمالية والداخلية واعضاء مجلس الشورى . وكانت وزارة الداخلية تضم ادارات الصحة والمعارف والبرق والبريد والتلفون واللاسلكى والقضاء والحربية ومديرية الاوقاف والكعبة والبلديات والثروة المائية والمهاجر الصحية وخفر السواحل والشرطة العامة (٤٠) .

تأسست في مكة عام ١٩٢٥ «ادارة الامن العام» التى عرفت فيما بعد باسم «مديرية الشرطة العامة» . وقد شكلت شرطة حماية الاخلاق وشعب التفتيش والمحاسبة ومراقبة الاجانب . وشمل نشاط ادارة الامن العام كل انحاء العربية السعودية ، وانشئت ادارات وتشكيلات لها فى كل مدينة كبيرة . وفى مطلع الاربعينات انشئت فى مكة مدرسة للشرطة (٤١) .

كان لنائب الملك (فيصل) ديوان بمكة يضم مكتبا خاصا للمكاتبات السرية والخاصة ، ومكتبا لتلقى المعلومات والاوراق الرسمية ، ومكتب اللجنة الدائمة لمجلس الوكلاء ، وشعبة الخيل وشعبة البادية وشعبة الجيش - الابل - وشعبة السيارات (٤٢) .

ان كلمة «وزير» ليست غريبة عن النجديين ، ولكنها خلافا للعالم الخارجى ، تعنى لديهم «السكرتير» . فحتى الآونة الاخيرة كان لكل امير وزير ، ولدى كبار الامراء عدة وزراء يتولون الحسابات والمراسلات وغيرها من الشؤون . لذا فان كلمة «وزير» بمفهومها الاوروبى والعام تنطبق اكثر على مسؤولى ادارات الديوان الملكى الذين تولوا تصريف الشؤون العامة باشراف الملك (٤٣) . منذ عام ١٩٢٥ انشئت مصلحة الصحة العامة التى اخذت صلاحياتها ووظائفها بالاتساع . وبعد مرور بضع سنوات انشئت ادارات للصحة فى كبريات المناطق (٤٤) .

عام ١٩٣١ انشئت مديرية خفر السواحل ومركزها جدة

واوكلت اليها شؤون الموانئ وخفر السواحل ومكافحة التهريب وتنظيم الملاحة (٤٥) .

عام ١٩٢٦ انشئت بلدية مكة بميزانية خاصة . وسن لها نظام خاص عام ١٩٢٩ (عدل عام ١٩٣٨) (٤٦) .
عند حلول عام ١٩٣٤ كان الحجاز قد قسم الى ١٤ محافظة ، ويخضع امراء كل منها لوزير الداخلية شكليا ولنائب الملك (فيصل) عمليا (٤٧) . واوكل الى المحافظين الاهتمام بشؤون البدو (٤٨) .

حينما اصدر ابن سعود في ١٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢ مرسوما «حول توحيد اجزاء المملكة العربية» اصبحت هذه المملكة كلا واحدا من حيث التسمية وسلطة الملك المركزية ، ولكنها لم تغد واحدة من حيث التركيب الادارى . فقد اشارت المادة الخامسة من المرسوم الى ان تشكيلات الحكومة الحاضرة فى الحجاز ونجد وملحقاتها تظل على حالها موقتا الى ان يتم وضع تشكيلات جديدة للمملكة كلها على اساس التوحيد الجديد . وكلف مجلس الوزراء الحجازى بان يشرع فورا فى اعداد النظام الاساسى (الدستور) للمملكة ونظام تشكيلات الحكومة (٤٩) . ولم ينجز ذلك ابدا . وظلت الفوارق الادارية بين الحجاز ونجد قائمة لفترة طويلة ولم تنزل بشكل نهائى حتى الوقت الحاضر .

مهما تعقد الجهاز الادارى البيروقراطى فى العربية السعودية ، فان كل القرارات الاساسية تتخذ من قبل الملك وحاشيته . لذا فان المقربين للعاهل كان لهم القدر الاكبر من السطوة فى الدولة . ويقول فيلبس «ان الاشخاص الذين كان ابن سعود ينتقيهم للمناصب الادارية فى مملكته ظلوا فى مناصبهم حتى نهاية حياته عمليا . وكان ذلك تعبيرا عن سمة محددة فى مزاج الملك : العزوف عن الاختلاط مع الغرباء ، وان كان متسترا بالضيافة الرائعة والاهتمام الودى الخالص بالضيف . وكان يؤثر ان يرى دوما من حوله ، ليلا ونهارا ، سنة اثر سنة ، نفس الاشخاص او افراد العائلة او الاداريين او الخدم او رفاق السلاح . فهو لا يستطيع ان يصبح على سجيته بشكل كامل الا معهم . وكان بوسعه ان يثق بهؤلاء الاشخاص لمعرفة بهم عن كذب ، ولعلمه بمزايهم ونواقصهم . وكان يغدق على هؤلاء بلا حدود ، كلما تزايدت موارده» (٥٠) .

فعلى سبيل المثال لم يستقل عبد الله السليمان من منصبه كمسؤول عن المالية الا بعد وفاة عبد العزيز وتولى محمد سرور الصبان مسؤولية المالية .

كان من بين مستشارى ابن سعود شخص يدعى عبد الله الدملاجى ، وهو عراقي من مدينة الموصل ، استقدمه ابن سعود عام ١٩١٥ بصفة مستشار طبي وطبيب . ولالمامه بالفرنسية اوكل اليه استقبال الضيوف الاجانب فى ديوان ابن سعود بالرياض . وبعد الاستيلاء على الحجاز عين ممثلا شخصيا للملك فى جدة ، ثم صار نائبا لوزير الخارجية (وكان فيصل الولد الثانى لابن سعود وزيرا آنذاك) وظل يشغل هذا المنصب حتى سنة ١٩٣٠ . وقد خلفه فؤاد حمزة ، وهو فلسطينى ، وعمل فى وزارة الخارجية حتى وفاته . وعمل مع ابن سعود حافظ وهبة ويوسف ياسين . وحافظ وهبة مصرى احتجزه البريطانيون فترة من الوقت فى ماطا بسبب ثورة ١٩١٩ فى مصر . وصار مديرا للمعارف ثم ممثلا للسعودية لدى الكرسى البابوى ، ثم سفيرا فى لندن (٥١) . اما يوسف ياسين ، وهو سورى من اللاذقية ، فقد عمل سكرتيرا سياسيا للملك وترقى حتى صار وزيرا للدولـة . وتولى الاشراف على المراسلات الدبلوماسية مع الممثلات السعودية فى الخارج . هذا وكان قد وصل الى الجزيرة فى ١٩٢٣/١٩٢٤ وحظى باعجاب ابن سعود (٥٢) .

فى بداية حكمه كان ابن سعود يتحاشى اشراك ابنائه وسائر افراد عائلته فى قيادة الشؤون الادارية . ولم يستثن من ذلك سوى اكبر ابنائه وهما سعود وفيصل اللذين عينا نائبين له فى نجد والحجاز على التوالى . ولم ينس ابن سعود المصير المفجع الذى آلت اليه الدولة فى زمن جده فيصل ، الذى قتل بسبب التنافس بين ابنائه . وبمرور الوقت زال التقليد المذكور واصبح افراد العائلة المالكة يتبوأون اهم المناصب فى جهاز الدولة .

الشـرع والوهابية . ان الاسلام بتفسيره الوهابى هو الايديولوجيا التى اعتمدت فى السعودية . ان الاقرار بوجود اله واحد (الله) وملك واحد ومذهب دينى واحد (الحنبل) ، تطلب وجود نظام قانونى وقضائى واحد . ولم تكن تلك مهمة سهلة فى مجتمع متباين يضم فئات وشرائح اجتماعية مختلفة (البدو والحضر

على اقل تقدير) ظلت طوال قرون تعتمد مدارس فقهية مختلفة ،
وتطلب تنفيذها ايجاد حلول وسط .

عند ابتداء القرن العشرين عادت العادات والعرف لتبوء مكان
الصدارة الى جانب الشرع الذى حاول الوهابيون تطبيق احكامه
فى قبائل البدو فى القرن الثامن عشر ومستهل القرن التاسع عشر
(٥٣) . وكانت الممارسات القضائية تختلف من قبيلة لآخرى . فقد
كان لدى البدو ، كما يذكر الزركلى ، نظام قضائى يشبه المحاكم
الابتدائية ومحاكم الاستئناف والتمييز (٥٤) . وكان القضاء قائما
على الاستشهاد بالسوابق التى يجب ان يكون قد مضى عليها ، فى
بعض الاحيان ، ما لا يقل عن خمس سنوات كما لدى الرولة
(٥٥) .

من البديهي ان يحدث صدام بين النظامين القضائين يظهر
الدولة الاقطاعية المركزية التى طبقت احكام الشريعة وكان لديها
جهاز قسرى لنفاد القرارات القضائية . فالعرف ، مثلا ، ينص على
منح المطارد حق اللجوء بشروط معينة ، ولكن الدولة المركزية لم
تعترف بهذا الحق . والبدو يعتبرون بعض الاعمال جريمة اذا
اقترفت داخل القبيلة ، مثل النهب او القتل ، فى حين انهم يعتبرونها
بطولة وبسالة اذا ارتكبت خارج القبيلة ، فى حين ان هذا يتناقض
مع احتياجات الدولة وسياستها . ونشأت مشاكل بسبب الغزو
والبت فى امر الماشية التى تغنم ابانه (٥٦) . كما ظلت معلقة
مسائل الثار الذى حاولت الحكومة باستمرار تحديده مدام (٥٧) .

منذ عام ١٩١٤ تقريبا بدأ اتخاذ خطوات عملية للحد من نفوذ
«العارفة» فى القبائل ، وبدأ تعيين المطاوعين والقضاة . وانزلت
ضربة بامتيازات العوارف ولكن لم تجر فى السنوات الاولى محاولة
لاستبدالهم بالقضاة . واخذ باحكام العرف والشرع على قدم المساواة
فى القبائل ، وجرى تحديد الوظائف بينهما موقتا . واستمر العوارف
فى الاهتداء بالعرف فى القضايا التى تقع ضمن احكامه كالعلاقات
بين القبائل ، اما قضايا مثل الارث فقد كانت تنظر من قبل القضاة
على اساس الشرع (٥٨) . ومن المهم الاشارة الى ان حركة الاخوان
سارعت فى عملية احلال القضاة محل العوارف .

آثر حكام المقاطعات السعوديون عدم التدخل فى القضايا
العشائرية الداخلية . فعلى سبيل المثال تضمن كتاب «مذكرة

الحكومة السعودية» ثلاثين قرارا اجرائيا قضائيا وكلها تتعلق بالملاقات بين القبائل واعادة الممتلكات المغتصبة وخاصة الماشية (٥٩) .

جرى تدريجيا فصل الوظائف القضائية للحاكم (المحافظ) والقاضي . فاوكلت الى القضاة المنازعات الشخصية والقضايا التجارية والشرعية والاحوال الشخصية والارث . اما الامراء فقد تولوا قضايا النزاعات بين القبائل وجباية الضرائب والتجنيد والمشاكل الادارية ، ويكون الامير بمثابة قاض عند معالجة هذه الامور (٦٠) . ولكن الشرع خول الامير النظر في منازعات لا علاقة لها بالامور العسكرية والادارية والمالية .

ان الصراع من اجل تثبيت احكام الشرع بصيغتها الحنبلية لتحل محل العرف العشائري لم يكن العقبة الوحيدة في طريق اقامة نظام قضائي وقانوني موحد في البلد . فبعد قيام الدولة السعودية ظل المذهب الحنبلي سائدا في نجد بينما كان المذهب الشافعي هو السائد في الحجاز ، في حين ان المذهب الحنفي كان السائد في المدن المرتبطة بالسلطات العثمانية (٦١) . وكانت الادارة العثمانية تعين ، عادة ، اربعة قضاة ، واحدا من كل مذهب ، رغم اعطاء الاولوية للمذهب الحنفي . ويشير الباحث الامريكي وايدل الى ان المدرسة الحنفية في القضاء ظلت قائمة طوال عقود في المراكز الادارية العثمانية السابقة بالاحساء مثل الهفوف (٦٢) .

بعد الحاق الاحساء واجهت الحكومة المركزية مشكلة الاقلية الدينية - الشيعة . ولا توجد ارقام عن عدد الشيعة في بداية القرن ولكن تقديرات وايدل لعام ١٩٥٥ تفيد بان عددهم بلغ في الاحساء ١٣٠ الفا (٦٣) . وقدر حافظ وهبة عدد الحضر في الاحساء في الثلاثينات بزهاء تسعين الفا ، قال ان ستين الفا منهم شيعة (٦٤) . وهذا لا يختلف كثيرا عن رقم الباحث الامريكي الذي قد يكون ادخل في حساباته شبه الرحل . وبالإضافة الى ذلك شهدت المنطقة الشرقية زيادة كبيرة في عدد السكان اثر اكتشاف النفط . ويقول وايدل ان نسبة الشيعة الى السنة في واحات الاحساء هي ٤٥ الى ٥٥ او ٤٠ الى ٦٠ (٦٥) . ونظرا لان الشيعة غالبا ما كانوا يخفون معتقداتهم الدينية ، فمن المحتمل ان عددهم في المحافظة الشرقية كان اكبر مما ذكر الباحثون .

يقول هاريسون ان السنة (الوهابيين) كانوا الاقلية في الاحساء وهم من الحكام والتجار والمزارعين . اما الغالبية ، من صيادى اللؤلؤ والحرفيين والفلاحين ، فهم شيعة (٦٦) . وأشار وايدل ايضا الى ان غالبية الحرفيين من الشيعة (٦٧) . وكان مجتمع المنطقة الشرقية ينطوى على تناقضات اجتماعية خطيرة مبرقة بغلاف دينى .

كما سكنت مجموعات شيعية صغيرة فى مكة والمدينة ، وقطن عسير ممثلو احدى الفرق الشيعية وهى الزيدية . وكان فى الحجاز اعضاء من مختلف الفرق الصوفية : السنوسيون والادارسة والقادريون والبكتاشيون ، ولكن هذه الفرق انحسرت بفعل ضغوط الوهابية التى رفضت الصوفية من حيث المبدأ (٦٨) . كانت اوضاع الشيعة صعبة فى دولة اسلامية سنية «خالصة» . وفى عام ١٩٢٧ اصدر العلماء الوهابيون ، بضغط من الاخوان فتوى تطالب عبد العزيز بمنع الشيعة من اداء الصلاة فى الاماكن العامة والدعاء لاهل بيت النبى والاحتفال بذكرى وفاة النبى واهل بيته وزيارة كربلاء والنحف ، وارغامهم على اداء الصلوات الخمس فى الجوامع . ورأى العلماء ان على الشيعة ان يدرسوا «دين الله» على كتاب محمد بن عبد الوهاب «الاصول الثلاثة» (٦٩) . ودعت الفتوى الى هدم كل الاضرحة الشيعية (٧٠) . ولكن عبد العزيز رأى ان هذه المطالب متطرفة ورفض تلميبتها . غير ان الوهابيين اعتبروا شيعة المنطقة الشرقية «كفاراً» ومن «اهل الذمة» (٧١) .

صدرت عامى ١٩٢٦ و ١٩٢٧ اوامر ملكية انشىء بموجبها نظام قضائى موحد للدولة واصبح القضاء قائماً على اساس الفقه الحنبلى . واصدر الملك امراً لزم القضاة بان يتقيدوا بستة مراجع اساسية هى : «الاقناع» للششيخ موسى الحجاوى ، و«كشف القناع عن متن الاقناع» لمنصور البهوتى الحنبلى و«منتهى الارادات» للفتوحى و«شرح منتهى الارادات» لمنصور البهوتى و«المغنى» للششيخ عبد الله بن احمد بن قدامة و«الشرح الكبير» للششيخ عبد الرحمن بن ابي عمر بن قدامة . ويبدو ان اعتماد الفقه الحنبلى واجه مصاعب فى الحجاز وعسير والاحساء .

ولم يحدث الاصلاح القضائى تغييرات تذكر فى نجد ، الا انه

جرى في الرياض وبعض المدن الكبيرة الاخرى فصل محاكم البدو والحضر (٧٢) .

بعد اعادة تنظيم القضاء في الحجاز عام ١٩٢٧ اسست ثلاثة انواع من المحاكم (٧٣) :

المحاكم المستعجلة والمؤلفة من قاض واحد ، واختصاصها النظر في القضايا المدنية التي لا يتجاوز المطلوب فيها ثلاثين جنيتها استرلينيا ، وفي قضايا الجنح والجنايات التي لا تصل الى حد القطع او القتل . ويرى القانونى العربى صبحى المحمصانى ان في ذلك عودة الى الشرع بصيغته الكلاسيكية لان القضايا المدنية سابقا كانت مفصولة عن الجنح والجنايات (٧٤) .

المحاكم الكبرى وتضم قاضيا ونائبين له ، وهى تنظر في القضايا التي لا تدخل ضمن اختصاص المحاكم المستعجلة ، بما فيها الجرائم التي تستوجب القطع او القتل ، ولكن لا بد من صدور اجماع كل القضاة عند اصدار قرار بهذا الشأن .

هيئة المراقبة القضائية في مكة ، وهى بمثابة محاكم الاستئناف ، وتتألف من مدير واربعة اعضاء . وتولى المدير الاشراف على سائر المحاكم والقضاة في الحجاز ، وكان بمثابة وسيط بين الحكومة والمحاكم . وتكتسب الاحكام درجتها القطعية عند تأييدها من قبل الهيئة خلال عشرين يوما (عشرة ايام وفق مصادر اخرى) من صدورها (٧٥) . اما الاحكام التي تنقضها الهيئة فتعاد الى المحاكم التي اصدرتها لاعادة النظر فيها . وذكر الزركلى ان تركيب الهيئة تعقد فيما بعد وزادت عدد القضايا التي تنظر فيها (٧٩) .

كانت في الحجاز المحاكم التالية : في مكة اثنتان من المحاكم المستعجلة ومحكمة كبرى وهيئة للمراقبة القضائية ، وفي المدينة محكمة مستعجلة ومحكمة كبرى ، وفي جدة محكمة مستعجلة (٧٦) . وفي عام ١٩٣٢ انشئت في مكة محكمة مستعجلة لقضايا البدو (٧٧) . نظرا لطابع مكة الدولى ظلت فيها المدارس الفقهية الاربع ، رغم ان الحنبلية كانت السائدة بطبيعة الحال (٧٨) .

وكانت رواتب القضاة من اموال الزكاة ، ولكن المدعى يدفع رسوم خدمة تستوفى لصالح الخزانة (٨٠) .

اسست في الحجاز عام ١٩٢٧ اول دوائر كتاب العدل التي كانت تتولى تسجيل الوثائق القانونية باستثناء ما يتعلق بالاوقاف (٨١) .

وفي عام ١٩٢٦ ، اى قبل الاصلاح القضائى اسس فى جدة المجلس التجارى المؤلف من رئيس وخمسة اعضاء من ذوى الخبرة فى الشؤون التجارية للنظر فى المنازعات بين التجار والصيارفة والوكلاء واصحاب الحوانيت ، والبت فى القضايا المتعلقة بتصريف العملة ودفع الحسابات التجارية عبر البنوك ، والنظر فى المنازعات بين التجار واصحاب السفن فى حالة فقدان الامتعة او اصطدام السفن او تعرضها للهجوم ، وفى الخلافات الناشئة عن تحرير العقود او اتفاقات الاسعار . وفيما بعد اخذت هذه المحكمة تعمل وفق «نظام التجارة» لعام ١٩٣١ الذى وضع على غرار نظام الامبراطورية العثمانية ، واستثنيت منه القضايا الخاضعة لاحكام الشرع (٨٢) . من المهمات التى انيطت بالمحاكم الشرعية فى شبه الجزيرة خلال فترة العشرينات والثلاثينات ، محاولة قطع دابر الثأر بفرض دية عن دم القتل وحمل اهله على قبولها . وحددت مبالغ معينة عن كل نوع من التشويه الجسدى (٨٣) . وكما كان الحال ابان الدولة السعودية الاولى ، كانت تلك محاولة تهدف الى اضعاف النزاعات بين العشائر والتقليل من احتمالات التحارب فيما بينها . وبعد صدور قرار قضائى كان اهل القتل يرغمون على الاعلان عن عفوهم عن القاتل (٨٤) . هذا علما بان الافخاذ الارستقراطية ، بما فيها آل سعود ، استمرت ترفض الدية وترى ان الدم لا يغسله الا الدم . فيما يخص السرقة وقطع يد السارق ، تجدر الاشارة الى ان مثل هذه العقوبات تطبق اقل كثيرا مما قد يبدو لغير المطلع ، وذلك لوجود عدد من التقييدات . فيجب ان تكون السرقة مثبتة والسارق بالغاً سن الرشد وفى كامل قواه العقلية وقد عمل بمحض ارادته . وينبغى ان يكون المسروق ذا قيمة اذ ان الماء والخمر والآلات الموسيقية والصور وكتب الفقه لا تعتبر ذات قيمة . ويجب الا تقل قيمة المسروق عن ثلاثة دراهم . كما ان المسروق يجب ان يكون قد سرق من محل يحفظ فيه عادة مغلقا بمفتاح . واذا ما كسر سارق القفل وقام آخر بالسرقة ، فلا تقطع يد اى منهما . ولا تحتسب سرقة الاقارب . وينبغى ان يكون هناك شاهدان على واقعة السرقة . ويلغى قطع اليد فى سنوات الجوع او الغلاء (٨٥) . ويعتبر الزنى جريمة بحق الاسرة والاخلاق العامة ، ويرجم الزانى والزانية (٨٦) .

كان الجلد عقوبة تعاطى الخمر (٨٧) . كما حددت الممارسات القضائية جملة من العقوبات الصارمة عن نهب القوافل (٨٨) .

الواردات والنفقات . كان خمس غنائم الغزوات ، التي يحالفها التوفيق دخلا لخزانة الدولة . ولكن خلافا للدولة السعودية الاولى كانت تمر في امارة نجد ، ومن ثم في مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها ، سنوات عديدة دونما غزوات تذكر ، واخذت الغزوات ذاتها تكلف مبالغ طائلة وحتى اذا كانت موفقة ، فان الغنائم لا تسد النفقات كل مرة . لذا فان مداخل الدولة اخذت تعتمد اكثر فاكثر على جباية الضرائب بانتظام ، واهمها الزكاة .

ان الصلاة بين المؤمن وربّه ، في حين ان الزكاة ، هي بمثابة دليل على الولاء للحاكم الذي «ينفذ مشيئة الله» (٨٩) . لذا فالزكاة ليست مجرد فرض من الفرائض الدينية ، بل هي ايضا دليل ولاء للحاكم .

في ايلول (سبتمبر) ١٩٢٥ اصدر ابن سعود مرسوما يحدد مقادير الزكاة وطرق جبايتها .

ونص المرسوم على ان الزكاة لا تستوفى عن الدواب المستخدمة للاغراض الحربية وللنقل . وكانت الزكاة تستوفى عن الابل اذا زاد عددها عن خمسة ، وعن الاغنام اذا ازداد عددها عن الاربعين ، وعن الابقار اذا زاد عددها عن ٣٠ (٩٠) . وتدفع الزكاة عن كل محصول الحبوب والفواكه التي يمكن قياسها وحفظها كالتمر والزبيب واللوز والفسق والجوز ، ولا تستوفى عن سائر انواع الفاكهة او الخضروات . وتستوفى الزكاة عن الاراضى المروية بنسبة ٥٪ من المحصول وعن اراضى الدير بنسبة ١٠٪ . وتستوفى عن الفضة بنسبة ٢,٥٪ من قيمتها وعن الذهب بنسبة ٢,٥ بالمائة وترتفع النسبة الى ٥٪ ابتداء من وزن معين . ويستوفى عن الرأسمال التجارى وريعه ٢,٥٪ (٩١) .

وكلف امرء المقاطعات بالاشراف على استيفاء الزكاة (٩٢) . وفي زمن عبد العزيز كان جباة الزكاة ينقسمون الى فئتين رئيسيتين ، تعمل احدهما في المدن والواحات ، وتستوفى الاخرى الزكاة من البدو . وكان العاملون ضمن الفئة الاولى يحصلون على نسب من المجموع العام المستوفى ، بينما عينت للعاملين ضمن الفئة الثانية رواتب محددة . ومن الناحية الشكلية كان مقررا ان تجبى الزكاة

في نهاية كل عام هجري ، ولكن من الناحية العملية كانت الجباية تجري في موسم معين ، حتى وان لم يتطابق مع نهاية العام الهجري . ففي المقاطعة الشرقية كانت الزكاة تجبى في الربيع او الصيف . وكان جباة الزكاة يعرفون الطرق التي تسلكها القبائل واماكن تجمعها فيقصدونها (٩٣) . وعندما كانت حركة الاخوان في ذروتها تولى المطاوعة جباية الزكاة في الهجر (٩٤) ، وكانوا يمثلون الامام- الامير في ذلك . وفي بعض الاحيان كان افراد آل الشيخ يشرفون على جباية الزكاة الى جانب المطاوعة (٩٥) .

ان جباة الزكاة كانوا عيون الحكومة بين البدو وركائز لهيبة السلطة المركزية ولكنهم كانوا يتجاوزون صلاحياتهم ، وقد اعترف عبد العزيز لفيلبي ذات مرة ، انه لا يحصل الا على ثلث الضرائب (٩٦) .

كما كان الحال ابان الدولة السعودية الاولى ، الغيت في اماره الرياض الخوة التي تدفعها القبائل الضعيفة للقوية . ولكن ديكسون اشار الى ان الخوة كانت تدفع باشكال اخرى (٩٧) .

ثمة مسألة كبرى مختلف عليها وصارت لها اهمية عملية ابان النزاع على الحدود مع العراق ثم اثناء الخلاف على واحة البريمي ومقارها : هل ان اداء الزكاة من قبل القبائل يعتبر اعترافا بسيادة حكومة الرياض ، وبالتالي الدولة السعودية ، على اراضي هذه القبائل ؟ واجاب فقهاء الرياض على هذا السؤال بالايجاب ، في حين اعطى الفقهاء من مختلف المدارس الاسلامية والاوربيون تفسيرات متباينة .

فقد رأى ديكسون المعتمد البريطاني في الكويت والباحث في قضايا الجزيرة ان لرئيس الدولة الحق في ان يجند اثناء الحرب كل من يدفع له الزكاة لكي يقاتلوا تحت لوائه ، وله ان يصادر ماشية من لا ينصاع له . ووفقا للعرف الوهابي فان القبيلة اذا لم تؤد او لم تتمكن من اداء الزكاة لحاكمها الشرعي فان بوسع الحاكم ان (أ) يصادر ممتلكاتها (ب) يتخلى عن مسؤولية حمايتها من سائر القبائل الخاضعة له (ج) لا يؤازرها عند تعرضها لغزو اعداء خارجيين . اما اذا كانت القبيلة تؤدى الزكاة فان الحاكم او رئيس الدولة ملزم بحماية هذه القبيلة من العدوان الداخلي او الخارجي وليس لرئيس الدولة الحق في جباية الزكاة من قبيلة لا تأتمر

بأمره ولكنها ترعى ماشيتها فى اراضى دولته «ولا تعتزم المكوث الا فترة قصيرة تعود بعدها الى اراضيها» تؤدى الزكاة لحاكمها الشرعى . ويقول ديكسون ان هذا قانون قديم ومحكم فى الجزيرة ويفهمه الجميع (٩٨) . ويذهب مؤلف «مذكرة الحكومة السعودية» الى ان رأى ديكسون هذا يمكن ان يكون مدخلا لفهم الجوانب السياسية لاداء الزكاة ابتداء من القرن الثامن عشر (٩٩) .

بعد الاستيلاء على المنطقة الشرقية فرضت رسوم جمركية مقدارها ٨٪ ، وان كان فيلبى قد اشار الى ان رسوم الدخان وصلت الى ٢٠٪ (١٠٠) . وفرضت الجزية على الشيعة والمسيحيين واليهود فى الاحساء (١٠١) .

واثر الاستيلاء على الحجاز ظهرت ضريبة جديدة تستوفى من الحجاج وكانت ترفد خزانة الدولة بعوائد كبيرة . ولكن الدولة ظلت فقيرة الى حد كبير ، ومن ادلة ذلك ان عوائدها الاجمالية من الضرائب عام ١٩٢٧ بلغت ١,٥ مليون جنيه استرلينى (١٠٢) .

جرت المحاولة الاولى لوضع ميزانية السعودية عام ١٩٢٩ ، ولكن وضعها لم يتم الا عام ١٩٣٤ . ولاول مرة قامت الدوائر الرسمية للدولة بوضع مشاريع للنفقات وقدمتها الى وزارة المالية . ثم احيلت المشاريع الى مجلس الشورى الذى احوّلها بدوره الى مجلس الوكلاء (الوزراء) . وبديهي انه لم يجر التقيد بالميزانية ، ولكن من المهم الاشارة الى ضآلتها ، اذ ان باب النفقات بلغ ١٤ مليون ريال (كان الجنيه الاسترلينى الواحد يعادل ثمانية ريالات تقريبا) ، وبلغ باب الواردات مقدارا مماثلا (١٠٣) .

يذكر الزركلى انه وقع على تقرير لوزارة الخارجية المصرية عن واردات الدولة السعودية فى اواخر الثلاثينات . ويشير التقرير الى ان الموارد الرئيسية تتلخص فى رسوم الحج والعوائد من البترول والذهب والزكاة . ولم تتجاوز الميزانية مليونى جنيه مصرى سنويا (١٠٤) .

كان الاضطهاد الضرائبى الذى مارسته الدولة المركزية العبد الافدح بالنسبة للجماهير ، رغم ان مستوى تطور القوى المنتجة لم يسمح بالمغالاة فى جباية الضرائب .

وكانت الضرائب المستوفاة تذهب الى بيت المال ، اما النفقات فان للجيش حصة الاسد منها . كما كانت تدفع مخصصات لارامل

وايتام الشهداء وللجرحى والمرضى . ومن بيت المال ايضا جرى الانفاق على العلماء والمدارس وتنشئة الجيل والموظفين (١٠٥) .
واشار حافظ وهبة في معرض حديثه على حكام الجزيرة الى انهم يعتبرون ايديهم مطلقة في خزانة الدولة . وقال عن امارة الرياض ان «ما يدخل خزانة الحاكم يصرف منه على حاجاته الشخصية وعلى الاعطيات التي يوجد بها على الوافدين . اما المدارس والصحة ووسائل تنظيف البلد وتجميلها فانه ، مع استثناء الحجاز ، نجد الاهالي والحكام مشتركين في عدم الشعور بالحاجة اليها» . . (١٠٦)
وكان في الرياض جيش من الفقراء يعيله الملك . وكان ما يتراوح بين الالف والالفين يأكلون في القصر مرتين كل يوم . وعلاوة على ذلك كان في العاصمة زهاء مائة من عوائل الاسرى تكلف عبد العزيز بنفقات بيوتها وخيلها وابلها وثيابها وجواربها وعبيدها (١٠٧) . ويذكر حافظ وهبة ان عدد الضيوف الدائمين لا يقل عن خمسمائة ، وقد يبلغ عشرة آلاف (١٠٨) .

وكان بدو كثيرون يجتازون مئات الكيلومترات للحصول على هبة من الملك . وتجدر الاشارة الى ان هذه الهبة غدت بمثابة واجب مفروض على الحاكم . وكل اعرابي يمنحه عبد العزيز منحة ، كبيرة او صغيرة ، نقدا او كسوة او مؤنة ، تصبح في نظره ، كما يقول الزركلي ، «حقا» له واجبا كل عام . واذا نقص النقد ريالاً او الكسوة غترة او المؤنة بعض الشيء طالب به والح ، واذا منعت عنه المنحة غضب .

وكان كان الحال في عهد السعوديين الاوائل ، صارت الضيافة لدى ابن سعود الوسيلة المركزية لاعادة توزيع الواردات على الصفوة في المجتمع . وان من تدول دولتهم من شيوخ القبائل وامراء الحواضر كانوا يحلون «ضيوا» تحت المراقبة . اما اطعام الفقراء ومنحهم بعض العطايا فانهما كانا يؤديان وظيفة «حلقة الوصل الوثيرة» بين المالكين والمعدمين ، ويعززان سمعة الملك كعاهل سخى مضياف و«اب للشعب» وشيخ «ديمقراطي» .

عند حلول الثلاثينات كانت القوات المسلحة في العربية السعودية قد شهدت تطورا ملحوظا . شكلت قوات حاكم الرياض في الاعوام الاولى التي اعقبت قيام الامارة على غرار ما كان يجري في زمن اجداده . فقد كتب سليمان الدخيل عام ١٩١٣ يقول ما معناه :

«متى اراد الحاكم ان يغزو استنفر قومه ، فنفر معه الكبير والصغير . اللهم الا ذاك الهرم العاجز ، او ذاك الصغير الضعيف او من كان يعنى بالفلاحة والزراعة . واذا كان في البيت الواحد أخوان يذهب احدهما ويبقى الثاني . وكذلك قل عن ابني العم او ابني الخال ، فان احدهما ينفر للقتال والآخر يبقى عونا لاهل البيت . والامير في ابان الحرب لا يقوم بشيء من المؤن او الذخائر الحربية . لان كل من يخرج للغزاة مكلف باعباء نفسه ، من اتخاذ الاسلحة اللازمة والمتاع وكل ما يضمن له القتال مدة من الزمن . فاذا طالت المدة ، فالحاكم يجدد له الخيل والركاب والاسلحة اذا تلف منها شيء . وهو يمدهم بالطعمة» (١٠٩) .

وجاء في جريدة «ام القرى» ان «كل فرد في نجد محارب بطبيعته ، يحمل السلاح منذ نشأته ، ويتمرن عليه ، فاذا دعي تقلد بندقيته وركب ناقته ومضى الى المعركة . وكل نجدى من سن الثالثة عشرة الى السبعين صالح للقتال . . . ولم يكن في نجد ثكنات عسكرية ، لان بلاد نجد كلها . . . تؤلف ثكنة تضم الرجال جميعا . . .» (١١٠) .

ويذكر مؤلفو كتاب «الجزيرة العربية في عهد ابن سعود» ان القوات المسلحة النجدية كانت تنقسم الى اربع اصناف (١) اهل العارض (٢) الحضر (٣) الاخوان (٤) البدو (١١١) .

وامتاز من بين «اهل العارض» الحرس الملكي الذي تولى حماية الملك والامراء من افراد الاسرة المالكة ، ومنتسبو الحرس الملكي لا يفارقون السلاح حتى اثناء نومهم . ومن اهل العارض ايضا موظفو الحكومة (باستثناء الاجانب) الذين كانوا يستنفرون عند الضرورة ، و«جيش الجهاد» المسلح . والحرس الملكي ايضا من «جيش الجهاد» لكنهم يختلفون عن سواهم بملازمتهم للملك او الامراء . وكان في ديوان الملك دائرة خاصة للجهاد مسؤولة عن هؤلاء الجند وسلاحهم ومؤناتهم .

اما فئة الحضر فتضم سكان الحواضر والمدن النجدية . وهم يشكلون اثناء المعركة الميسرة والميمنة ، في حين ان «اهل العارض» يقاتلون في الوسط . وكانت درجات الاستنفار اربعا .

الدرجة الاولى . عندما يسود السلام فترة طويلة وليس ثمة خطر حرب ، فان كل حاضرة ملزمة باستنفار عدد معين من الرجال

باسلحتهم ومؤنهم لمدة اربعة اشهر سنويا . واذا لم تكن حاجة لهم فان اهل الحاضرة يدفعون لبيت المال مبلغا معادلا لكلفة اعاله الجند .

الدرجة الثانية . تجرد كل حاضرة عددا من المقاتلين مع مؤنهم للمشاركة فى الحملات العسكرية الصغيرة . وتوفر لهم الخزانة السلاح والذخائر ، اما اذا استمر بقاؤهم فى الخدمة العسكرية اكثر من اربعة اشهر فان الخزانة تتولى تزويدهم بالمؤن للمدة المتبقية .
الدرجة الثالثة . بغية خوض حملات عسكرية طويلة الامد او صعبة يعلن الجهاد الاصغر فتلزم المدن والقرى بمضاعفة عدد الجند المستنفرين .

الدرجة الرابعة . فى الظروف الطارئة ، واذا تعرضت الدولة للخطر ، يستنفر الحاكم كل رجل قادر على حمل السلاح .
وخلافا لسكان الحواضر فان كل رجل قادر على حمل السلاح من هجر الاخوان كان يشارك فى الحروب والحملات الحربية .
وكانت لكل وحدة رايتها ، وللقائد العام رايته الخاصة وموقعه عادة فى الوسط ، ولكل منها صيحة حرب خاصة بها يتعرف بواسطتها كل من افرادها على الآخر ، وصيحة حرب مشتركة للقوات السعودية كلها .

كان الحرس الملكى و«جيش الجهاد» فى وضع متميز عن سواهما ، ولهما الافضلية فى التموين والتسليح ، ويزودان بالخيول الملكية . واذا كان منتسبو هاتين المؤسستين مسجلين فى قوائم مديرية الديوان الملكى فانهم يتقاضون مرتبا ، وفى الحالات الاخرى يحصلون على هبات ومخصصات (١١٢) .

وكان لدى الملك مجموعة من الحراس الشخصيين الذين يتم انتقاؤهم خصيصا . واذا سار عبد العزيز راجلا فان حارسا يتبعه كظله مسلحا ببندقية ومسدس وخنجر ، ويقف خلفه فى كل المجالس . ولا يصل الحارس مع الجماعة حين يكون فى المسجد ، وانما يستمر واقفا يراقب كل حركة حوله . وجرى عبد العزيز فى هذه العادة على سنن اسلافه ، منذ ان قتل الامام عبد العزيز الاول فى مسجد الدرعية عام ١٨٠٣ (١١٣) .

ومن البدهى ان تنظيم القوات لم يكن على المستوى المبالغ فيه الذى اورده كتاب «شبه الجزيرة فى عهد ابن سعود» . فحسبنا

تذكر الحملات العسكرية لأمير الرياض ، الذي صار سلطانا وملكا ، وتباين تركيب قواته المسلحة وكون الاغلبية فيها كانت تارة للحضر وتارة للبدو والاخوان . ولكن من المؤكد ان العارض والمناطق المجاورة لها كانت الركيزة الرئيسية للقوات المسلحة والمصدر الدائم الذي يمدّه بالمقاتلين الاشداء .

ذكرت صحيفة «ام القرى» ان «الجيش الذي كان يعتمد عليه الملك عبد العزيز في فجر حياته ، هو جيش الجهاد الذي كان مكونا من حاضرة اهل نجد ، مضافا اليه جيش «الاخوان» الذي كان مكونا من القبائل البدوية الرحالة التي وضع لها نظام «الهجر» وانزلها من البادية الى الحاضرة ، واصبحت هجرها كتكنات عسكرية . وظل هذا سائدا الى عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) حين رأى الملك مجاراة تطور التسليح فامر بتكوين ادارة للامور العسكرية ، فكان ذلك ايذانا بغرس النواة للجيش النظامي» (١١٤) .

كانت فكرة تأسيس جيش نظامي قد راودت ابن سعود قبل هذا التاريخ . فقد شاهد القوات الانجلو هندية المسلحة في العراق ابان الحرب العالمية الاولى ، وكان قبل ذلك قد حارب ضد الوحدات النظامية المسلحة التركية ، فتأكدت لديه افضليات القوات الحديثة المنضبطة والمدربة .

وبعد استسلام جدة عرض عبد العزيز على كل ضباط الجيش الهاشمي الانتقال الى الخدمة لديه ، فعين عددا منهم في شرطة مكة اولا ، ثم اخذ يشكل من بينهم اولى الوحدات النظامية . واستقدم الملك ضباطا من سورية والعراق للعمل في الدائرة العسكرية (١١٥) .

شهدت جدة عام ١٩٣٠ اول استعراض عسكري شارك في ثلاثة افواج : من المدفعية والرشاشات والمشاة ، وهي نواة الجيش النظامي .

ونظم الجيش على شكل كتائب والوية ، ووزع على خمس مناطق عسكرية وتم توحيد الزى العسكري وشارات الرتب ، وافتتحت في الطائف مدرسة عسكرية . وفي عام ١٩٣٥ اسست وكالة (وزارة) الدفاع ومقرها في الطائف ومديرية الامور العسكرية . وفي عام ١٩٣٨ الغيت المديرية وفي العام التالي شكلت «رياسة الاركان الحربية» . وفي عام ١٩٤٦ انشئت «وزارة الدفاع» (١١٦) .

ان اهمية الطيران ، العسكرية والمدنى ، لبلد مترامى الاطراف وقليل السكان ، كانت واضحة للعيان . لذا ارسل عام ١٩٣١ الى ايطاليا عشرة شبان سعوديين لتعلم الطيران ، وبعد عودتهم تم شراء عدد من الطائرات . وفى زمن الحرب اشترى الملك خمس طائرات امريكية من طراز «داكوتا» ثم تسعا اخرى . وبدأت اولى الرحلات الجوية داخل السعودية ، ثم الى مصر وسورية ولبنان . وانشئت فى الطائف مدرسة للطيران . واستقل عبد العزيز ذاته الطائرة لأول مرة فى تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٤٥ بالقرب من الطائف (١١٧) .

ادرك الملك بسرعة اهمية الاسلحة للعمليات الحربية وحفظ الامن فانشئت اربع مدارس لتعليم الهاق الاسلحة فى مكة وجدة والمدينة والرياض ، وارسل بعض خريجيها الى بريطانيا وبلدان اخرى لمواصلة الدراسة . وخلال عهد عبد العزيز انشئ فى المملكة ستون مركزا لاسلحة ثابتا ، منها ثلاثة مراكز رئيسية فى جدة والرياض والظهران (١١٨) .

وتجدر الاشارة الى انه الى جانب الجيش النظامى فى السعودية كان يوجد «جيش الجهاد» و«جيش الهجانة» المكون من البدو «الاقحاح» المخلصين للملك . ويرجع تركيب القوات المسلحة على هذا النحو الى طابع ومستوى تطور مجتمع الجزيرة ، ولكنه فى الوقت نفسه كان عاملا يقلل من خطر الانقلاب العسكرى .

التعليم والتربية الدينية . اثر انهيار دولة آل سعود فى وسط الجزيرة فى اواخر القرن التاسع عشر ، بدأ تدهور التعليم الدينى التقليدى ، ونقل قسم كبير من مكاتب الرياض الى القصيم وحائل . وسافر نفر قليل الى الخارج لغرض الدراسة . ولم يكن فى وسط الجزيرة كله مدرسة واحدة ، رغم وجود بعض الحلقات الدراسية الخاصة فى مساجد عدد من المدن . كما ان البعض كانوا يعلمون التلاميذ القراءة والكتابة فى منازلهم مقابل اجر (١١٩) .

وقد افتتحت مدرسة دينية فى العاصمة اثر عودة عبد الله الشيخ اليها (١٢٠) ، واخذ الكثيرون من كبار علماء الدين يقيمون مدارس منزلية (١٢١) . وبديهي ان التركيز جرى على حفظ القرآن

وتعليم اصول الفقه الحنبلي لكي يتمكن الدارس من ان يصبح قاضيا (١٢٢) . وكانت تقرأ في مجالس امير الرياض الاحاديث النبوية وتاريخ الطبري او السيرة النبوية (١٢٣) .
واشار حافظ وهبة الى ان امراء الجزيرة نادرا ما كانوا يهتمون بتعليم ابنائهم ، واعتبر بعضهم التعليم شيئا لا يليق بمقامهم (١٢٤) . وتغيرت هذه الآراء مع تطور حركة الاخوان حينما صارت تلاوة القرآن تحظى بتأييد من الاوساط العليا وبتأييد الاخوان انفسهم .

حينما استولى النجديون على الحجاز وجدوا ان نظام التعليم فيه ارقى بكثير . فقد كان عدد القادرين على القراءة في وسط الجزيرة ضئيلا للغاية ، في حين انه كانت تصدر في الحجاز صحيفة وتوجد عدة مدارس مماثلة للمدارس التركية ، علاوة على المكتبات الخاصة الكبيرة نوعا ما . وبدأ ابان الحكم العثماني في اواخر القرن التاسع عشر اصدار صحيفة «الحجاز» (صدرت حتى عام ١٩٠٩ باللغتين العربية والتركية) . وصدرت لعدة شهور صحيفتا «شمس الحقيقة» و«الاصلاح» . واسست في مكة مطبعة اهلية (١٢٥) . وكانت توجد مدرسة حكومية تدرس باللغة التركية ومدرستان دينيتان اهليتان (١٢٦) . وبعد ثورة تركيا الفتاة عام ١٩٠٨ افتتحت مدرستان اهليتان واحدة بجدة والاخرى بمكة (١٢٧) .

اثر اقامة سلطة الشريف حسين المستقلة شهد الحجاز نوعا من النهضة في مجال التعليم ، رغم ان المؤلفين السعوديين المعاصرين لا يميلون الى الاقرار بذلك . وانقسمت المدارس في عهد الحكم الهاشمي الى قسمين : الاميرية والاهلية . كما اسست مدرسة عسكرية وما يشبه المعهد الزراعي . وكانت غالبية المدارس في مكة (١٢٨) . وفي عهد الحسين بدأ صدور صحيفة «القبلة» التي نشرت مواد كثيرة عن جهود الحسين في مجال التعليم . واستمر صدورها من عام ١٩١٥ الى عام ١٩٢٤ . كما صدرت لفترة قصيرة مجلة يعدها طلبة المعهد الزراعي (١٢٩) . وفي الاشهر الاخيرة لحكم الملك علي صدرت في جدة نشرة «بريد الحجاز» (١٣٠) .

اعجب عبد العزيز بنظام التعليم في الحجاز ، فأسس عام ١٩٢٦ «ادارة المعارف العامة» التي شرعت باستقدام المدرسين من الخارج . وفي العام نفسه اسس في الرياض والمناطق المتاخمة لها ١٢

مدرسة حكومية واهلية (بلغت ميزانيتها زهاء ستة آلاف جنيه في ١٩٢٨-١٩٢٩ و ٢٣ ألفا في ١٩٢٩-١٩٣٠) . وفي الثلاثينات انشئت مدارس جديدة في كبريات مدن الحجاز وفي الرياض ، ثم في حائل وبريدة وعنيزة والقطيف والجبيل (١٣١) .

وحتى الخمسينات كان زهاء ٢٢ ساعة من مجموع ٢٨ ساعة دراسية في المدارس الابتدائية مكرسة للمواد الدينية . وحتى في السنة المنتهية من المدرسة الثانوية كانت هذه المواد تشكل ٢٥٪ من الحصص (١٣٢) .

ورغم مقاومة علماء الدين ، ايد عبد العزيز ان تدرج في المناهج المدرسية مواد مثل الرسم الهندسي واللغة الاجنبية والجغرافيا (١٣٣) . ولكن علماء الدين تمكنوا من احكام رقابتهم على ادارة المعارف ، وذلك من خلال نظام تعيين المعلمين والمطوعة . ولم تطبع ، عادة ، في مطابع مكة الا الكتب الدينية . وانشئت في المنطقة الشرقية مدارس شيعية شبه علنية انفقت عليها الطوائف الشيعية (١٣٤) .

ابتداء من كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٢٤ بدأ صدور جريدة اسبوعية شبه رسمية بمكة هي «ام القرى» وهي المرجع الاساسي للبلافات الحكومية الرسمية . وقامت الجريدة بنشر اخبار تنقلات الملك وخطبه ونصوص المعاهدات والاتفاقيات التي تعقد مع الدول الاجنبية ، واخبار الحياة الادبية . وبمرور الزمن تقلص حجم الجريدة واقتصرت على البلاغات والاعلانات الرسمية .

بدأ بمكة عام ١٩٣٢ صدور جريدة «صوت الحجاز» الاسبوعية التي دامت سبعة اعوام . وحلت محلها صحيفة «البلاد السعودية» التي اصبحت عام ١٩٥٣ اول جريدة اسبوعية في البلد . وصدرت في المدينة عام ١٩٣٨ جريدة «المدينة المنورة» . وصدرت مجلات بشكل غير منتظم في مكة . اما بالنسبة لنجد فان اول ما صدر هي مجلة «اليمامة» الاسبوعية التي بدأت الصدور عام ١٩٥٣ في الرياض . ولم يكن للصحافة السعودية تأثير يذكر على تكوين الرأي العام وتطور الاحداث (١٣٥) .

لا تتوفر لدينا معلومات موثوقة عن نظام التعليم السعودي قبل الخمسينات . ويذكر الزركلي انه في عام ١٩٥٠ كان هناك زهاء ٥٠ مدرسة قروية (الفا طالب) و ٩٠ مدرسة ابتدائية (١٣ الفا)

وعشر مدارس ثانوية (٦٠٠ طالب) . وبذا بلغ العدد الاجمالى
للطلاب زهاء ١٦ الفا (١٣٦) .

* * *

عند دراسة اصلاحات ابن سعود نتوصل ، حتما ، الى استنتاج
مؤداه ان سعيه لبناء سلطة الدولة وادارة شؤونها وفقا للقيم
السائدة فى صدر الاسلام كان اكثر تطابقا مع مستوى التطور
الاجتماعى للمملكة من «البدع» المأخوذة عن «المشركين» («الكفار») .
فعقارب الساعة فى شبه الجزيرة العربية كانت فى موضع مغاير لما
هى عليه فى البلدان الاكثر تطورا فى الشرق الاوسط . ولكن ابن
سعود ذاته بوصفه من حكام الاقطاع المبكر ، ومذاهب «الاسلام
الخالص المجدد» التى ظهرت فى شبه الجزيرة المتخلفة ، قد ولدا
بعد بضعة قرون مما ينبغى . فان مجتمع العربية السعودية ما كان
بوسعه ان يصمد امام الافكار الجديدة الكاسحة للنظام القديم ،
حتى لو لم تهدم البنية الاجتماعية السابقة بفعل تدفق النفط ، ومن
ثم امواله . وخير مثال على ذلك مصير اليمن فى الستينات . فان
البنى الاجتماعية التقليدية تغدو فى العالم المعاصر المترابط بعضه
ببعض عاجزة عن البقاء فى مواجهة ضغوط العالم الخارجى الجارى عبر
روابط السوق وعبر تسرب الافكار وعبر المحاولات الرامية لتغيير
ولو جزء من المجتمع (القوات المسلحة مثلا) لصد الخطر الخارجى .
وقد غدت العربية السعودية عرضة لتأثير خارجى عات . فقد
شاءت الجغرافيا والجيولوجيا والتاريخ ان تصبح السعودية اكبر
منتج للنفط . وان صناعة استخراج النفط ذاتها والفروع المرتبطة
بها ، والاهم من هذا وذاك عوائد النفط الاسطورية التى سيطرت
عليها الطبقة الحاكمة ، هذه العوامل جميعا اثرت فى البنى الاجتماعية
التقليدية للبلد تأثيرا بالغا جعلها تتهدم وتبديل .

امتيازات النفط

كان الحج المصدر الرئيسى لعائدات المملكة ، لذا فان تقلص عدد الحجاج بسبب الازمة الاقتصادية العالمية جعل المالية السعودية فى حالة يرثى لها . وقد اقامت الحكومة محطات الاذاعة وحسنت اسالة المياه فى جدة واشترت سيارات ، فبلغ اجمالى ديونها ٣٠٠ - ٤٠٠ الف جنيه استرلينى ، وتوقفت عن تسديد ديونها ، ولم تفلح محاولاتها للحصول على قروض جديدة (١) .

فى هذه الاثناء استغل فيلبى صلاته الشخصية بالملك فاقنعه ان يلتقى بالمليونير الامريكى كراين الذى كان يقوم بجولة فى البلدان العربية بحجة سعيه الى القيام باعمال البر والاحسان . ويبدو انه كان على صلة بشركات البترول الامريكية ويعمل على جس النبض تمهيدا لتوغلها فى منطقة جديدة عليها تماما . ورافق كراين بصفة مترجم فى جولته ج . انطونيوس الذى الف فيما بعد كتاب «يقظة العرب» . كما اوفد المليونير الامريكى الخبير الجيولوجى تويتشيل الى السعودية تحت ستار التنقيب عن الماء (٢) .

ربيع عام ١٩٣٢ اكتشف تويتشيل ترسبات نفطية واعدة فى منطقة الظهران ، فعاد الى الولايات المتحدة ليحيط شركات البترول علما بذلك (٣) .

بدأت بواشر عهد جديد فى تاريخ العربية السعودية ، عهد سيحدث فى مجتمعتها تأثيرا لا يمكن مقارنته من حيث ابعاده الا بتأثير الاسلام . غير ان القوى المحركة لهذه التحولات كانت خارج الجزيرة العربية ، اذ ان اصلها يعود الى تحول اقتصاد القرن العشرين الى وقود جديد هو النفط الذى بدأ البحث عنه فى كل بلدان العالم .

الاحتكارات الامريكية فى الشرق الاوسط فى العشرينات . قبل

عام ١٩٢٠ كانت الشركات الاحتكارية اما غير مكتثرة بالاحتياطات النفطية خارج بلدها او تمنى باخفاقات فى محاولاتها للحصول على امتيازات فى النصف الشرقى من العالم بسبب قيود السياسة الوطنية والاستعمارية للدول الاوربية وشركات النفط الخاصة . ولكن الشركات الامريكية اخذت تهتم اهتماما كبيرا بعد عام ١٩٢٠ بالرواسب النفطية فى الخارج ، بدافع مخاوف ذات طابع مزدوج : فهى تخشى نضوب النفط فى الولايات المتحدة من جهة وتخاف احكام السيطرة الانكلويهولندية على موارد النفط العالمية من جهة اخرى . ولكن السبب الرئيسى هو ان الشركات المذكورة لم تشأ ان تظل بمنأى عن استثمار حقول النفط الرخيص الموجودة فى مواقع قريبة من الاسواق الهامة (٤) .

عام ١٩٢٠ قال فيريش الذى صار فيما بعد رئيسا لشركة «ستاندرد اويل اوف نيوجرسى» ان النفط يوشك على النضوب فى تكساس واوكلاهوما . وفى العام نفسه تنبأ وايت ، كبير خبراء الادارة الجيولوجية فى الولايات المتحدة ، بان احتياطات النفط الامريكى سوف تنضب خلال ١٨ عاما . وبهذا الصدد ابدت مديرية الاسطول البحرى الحربى قلقها لان الخبراء زعموا بان على الولايات المتحدة تقليص استهلاك النفط او الشروع باستيراده . وحذر السناتور هنرى كابوت لوج الكونغرس من ان «بريطانيا آخذة فى السيطرة على صادرات النفط فى العالم» (٥) .

وليس من المعروف ما اذا كانت الشركات مقتنعة فعلا بان احتياطات النفط الامريكية محدودة الى هذه الدرجة ، او ان ذلك كان ذريعة لجر الحكومة الامريكية الى المساهمة النشيطة فى عملية توسع الشركات خارج حدود البلاد . ان اساليب الضغط على الحكومة وغسل دماغ الرأى العام خدمة لمصالح الاحتكارات متقنة فى الولايات المتحدة الى حد كبير ، لذا فمن الارجح ان السبب الثانى هو الذى ادى الى انتشار المزايم المذكورة .

خشيت الاحتكارات الامريكية من ان تكون قد تخلفت عن عملية اقتسام «كعكة» النفط فى الشرق الاوسط . ووضعت وزارة الداخلية سياسة لمساندة الشركات الامريكية فى صراعها من اجل الحصول على

امتيازات في الخارج ، ولحث كل الدوائر والوكالات الامريكية على مساعدتها . وكان مصير الامبراطورية العثمانية موضع بحث في مؤتمر السلام بسان ريمو في نيسان (ابريل) ١٩٢٠ ، حيث اتفقت لندن وباريس على اقتسام نفط العراق . وتدخلت الحكومة الامريكية من اجل الحصول على حصة لشركاتها النفطية ، واخذت تتحدث عن «تمييز» تتعرض له الولايات المتحدة في العمليات التجارية على اراضي المانيا وحليفاتها وتطالب بسياسة «الانفتاح» .

ولما حاولت حكومة اتاتورك اثارة قضية لواء الموصل وارتباطه بالعراق ، توفرت للولايات المتحدة فرصة ممارسة تخويف حلفائها بتأييد مطالب تركيا . لذا تم عام ١٩٢١-١٩٢٢ الاتفاق على اعطاء الامريكان ٢٠-٢٥٪ من اسهم شركة النفط المزمع اقامتها . وفي عام ١٩٢١ ، وبعد ان قرر مجلس عصبة الامم ضم الموصل الى العراق قدمت الحكومة العراقية امتيازاً لمدة ٧٥ سنة لشركة «تركيش بتروليوم» ولكن حينما بدأ استخراج النفط في الموصل عام ١٩٢٧ لم يكن الامريكان قد حصلوا على حصتهم بعد . وفي تموز (يوليو) ١٩٢٨ تم اخيراً التوصل الى اتفاق عرف فيما بعد بـ«اتفاقية الخط الاحمر» . وبموجب هذا الاتفاق كانت ملكية «تركيش بتروليوم» (منذ عام ١٩٢٩ «ايرك بتروليوم» او «شركة نفط العراق») موزعة في الاساس بين الشركة الانجلو فارسية للبترول (صارت فيما بعد الشركة البريطانية الايرانية ومن ثم «بريتيش بتروليوم») و«رويال دوتش شيل» البريطانية الهولندية وشركة النفط الفرنسية و«نير استرن ديفلوبمنت» التي تضم «ستاندارد اويل (نيو جرسى)» (عرفت فيما بعد بـ«اكسون») و«سوكوني واكوم» («سوكوني موبيل» فيما بعد) ومنحت ٥٪ من الاسهم لكالوست غولبنكيان ، وهو احد مؤسسي شركة النفط التركية (٦) .

توغلت الشركات الامريكية في «ايرك بتروليوم» رغم ان دورها كان ثانوياً . ولكن «اتفاقية الخط الاحمر» وضعت قيوداً كبيرة على حرية تصرف الشركات ، اذ ان المساهمين في «شركة نفط العراق» التزموا بان تكون الامتيازات التي يحصلون عليها في اراضي الامبراطورية العثمانية السابقة بذات النسب المعتمدة في العراق . ونذكر بان نجد والاحساء كانتا عشية الحرب العالمية الاولى تعتبران شكلياً جزءاً من الامبراطورية العثمانية .

الحصول على الامتيازات السعودية . كانت شركة «ستاندارد اويل اوف كاليفورنيا» (سوكال) من شركات البترول الامريكية التي قامت بعد الحرب العالمية الاولى بمحاولات جادة للاسهام فى عملية استخراج النفط خارج الولايات المتحدة .

ولكن كما ارتبط مصير «إيرك بتروليوم» بشخص غولبنكيان ، فان البحث عن النفط وامتيازاته فى عدد من بلدان الجزيرة العربية ارتبط باسم الميجر النيوزيلاندى الدؤوب فرانك هولمس . فقد وصل الى البحرين فى العشرينات بحجة المشاركة فى البحث عن الماء . وفى عام ١٩٢٢ قصد نجد للتفاوض مع عبد العزيز نيابة عن شركة «استرن اند جنرال سنديكات» البريطانية . وقد وافق ابن سعود على منح الشركة امتيازاً فى ٣٠ ألف ميل مربع فى الاحساء . وطبقاً للاتفاقية التزم اصحاب الامتياز بدفع ألفى جنيه استرليني سنوياً لقاء حق الاستثمار . وفى عام ١٩٢٥ حصل هولمس على امتياز آخر فى البحرين (٧) .

كان المسؤولون عن شركة «سنديكات» اناساً لا تعوزهم روح المغامرة . اذ لم يكن لدى الشركة رأسمال كاف ، واملت ان تشير اهتمام شركات النفط البريطانية بالامتيازات ، ولكن هذه كانت واثقة من انها ليست بحاجة الى وسيط . ولما لم يجد هولمس دعماً توقف عن تسديد الاقساط بعد دفع اربعة آلاف جنيه استرليني فالغى عام ١٩٢٨ الامتياز فى اراض توجد فيها اغنى احتياطات النفط فى العالم (٨) .

اما الامتياز فى البحرين الذى منح لمدة سنتين فلم يبلغ لان «سنديكات» تمكنت من تمديده . وبعد ان اخفقت «سنديكات» فى محاولات استمالة شركات النفط البريطانية اتصلت بشركة «غالف اويل» الامريكية . وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٧ بعثت «غالف» جيولوجياً لدراسة اراضى البحرين ووضع خارطة جيولوجية ، واثرت ذلك قرر الامريكان ان المسألة تستحق المجازفة ، فاشترى الامتياز من «سنديكات» .

غير ان «غالف» واجهت تعقيدات ، اذ انها كانت آنذاك مرتبطة بشركة «تركيش بتروليوم» ، و«اتفاقية الخط الاحمر» سارية المفعول على البحرين . عند ذاك نقلت «غالف» فى كانون الاول

(ديسمبر) ١٩٢٨ حقوقها المشتراة من «سنديكات» الى سوكال (٩) .

ان عدم اهتمام شركات النفط البريطانية بالامتيازات فى البحرين والجزيرة العربية يعزى الى اعتقادها بانه لا وجود للنفط هناك ، لذا لم تعترم المجازفة . فقد كان استخراج النفط فى العراق وايران يتم من طبقات جيولوجية غير الطبقات الموجودة فى البحرين والجزيرة العربية . ولم يتم العثور على النفط فى طبقات مماثلة بجزيرة القشم عند سواحل ايران ، فاعتبر البريطانيون البحرين والجزيرة العربية مناطق غير واعدة . ولكن تاريخ الصناعة النفطية يعرف حالات عثر فيها المنقبون الجدد على النفط فى مواقع اهملتها شركات سابقة لاعتبارات جيولوجية .

عارضت بريطانيا وجود شركة نفط امريكية فى الخليج . وقد التزم حاكم البحرين ، حسب اتفاقية عام ١٩١٤ ، بعدم منح امتيازات فى اراضيها والامتناع عن قبول عروض اى كان دون موافقة بريطانيا . حينذاك تحاللت سوكال على القيود الشكلية البريطانية واسست فى آب (اغسطس) عام ١٩٣٠ شركة «بحرين بتروليم» وسجلتها فى كندا ، اى انها جعلتها شركة بريطانية من الناحية الشكلية . وفى هذه الاثناء قام اثنان من موظفى سوكال هما دافيس (صار رئيسا لمجلس ادارة ارامكو فيما بعد) وتايلور بدراسة البحرين فى ربيع ١٩٣٠ واوصيا باجراء اعمال الحفر (١٠) .

اثارت الطبقات الجيولوجية فى البحرين الحاوية على دلائل تشير الى وجود النفط ، اهتمام سوكال بالجزيرة العربية المجاورة . وقد تم اكتشاف النفط فى البحرين بعد عامين ، فى حزيران (يونيو) ١٩٣٢ . عندها قررت سوكال الاتصال مباشرة ، اى دون وساطة هولمس ، بالملك السعودى ، وعرفت ان الحكومة البريطانية فى الهند اوصت «سنديكات» بالاحجام عن خدمة مصالح «غالف» او سوكال فى العربية السعودية .

فى عام ١٩٣٠ طلب ممثلو سوكال من المندوب السعودى فى لندن السماح لجيولوجيهم بزيارة الاحساء ولكن الملك رفض الاستجابة للطلب . وفى هذه الاثناء كان «الجيولوجى المستقل» تويتشيل قد قام بجولة فى شرقى المملكة بناء على طلب

من المليونير كراين واوصى بالسعى للحصول على امتياز . وقد اجرت سوكال اتصالات مع تويتشيل (١١) .

فى مطلع عام ١٩٣٣ وصل هاملتون ، مندوب سوكال ، الى جدة وساعده فى المفاوضات تويتشيل الذى درس مصادر المياه والمعادن فى الجزيرة العربية . وفى الوقت ذاته وصل الى جدة لونغريغ مندوبا عن «ايراك بتروليوم» وهولمس عن «سنديكات» . وطالب المندوب السعودى فى المفاوضات بان يدفع صاحب الامتياز المقبل مائة الف جنيهه ذهبى عند توقيع الاتفاقية . خرجت «سنديكات» توا من اللعبة ، وعرضت «شركة نفط العراق» عشرة آلاف جنيهه استرلينى كحد اقصى لعدم ثقتها بوجود النفط فى السعودية ، فكسبت سوكال الامتياز مقابل خمسين الف جنيهه (١٢) . من اسباب فوز الامريكان فى الصراع على الامتياز انه لم يكن لهم ماض امبراطورى فى الشرق الاوسط . فان ابن سعود المحاط من كل الجوانب بالمستعمرات والبلدان التابعة لبريطانيا كان مرغما على التظاهر دوما بالصدقة معها ، ولكنه رغم ذلك لم يكن يشق بها ولم يشأ ان يسمح لشركة بريطانية بدخول بلاده (١٣) .

جرت المفاوضات فى جو كئيب بالنسبة لرجال الاعمال الامريكان ، سببته ازمة ١٩٢٩ . وبعد اعداد كل بنود الاتفاقية بين سوكال والعربية السعودية ، اعلنت الولايات المتحدة الامريكية فى ٢٠ نيسان (ابريل) حظرا على تصدير الذهب ثم تخلت عن استخدام الذهب كعملة . حينذاك عمدت الشركة الى شراء الذهب فى سوق العملة البريطانى . واخيرا وقع الاتفاقية فى ٢٩ ايار (مايو) ١٩٣٣ عبد الله السليمان وزير المالية السعودية وهاملتون ممثلا عن «ستاندارد اويل اوف كاليفورنيا» . وابرمت الحكومة السعودية هذه الاتفاقية بمرسوم ملكى صادر فى ٧ تموز (يوليو) ١٩٣٣ وسرى مفعولها منذ ١٤/٧/١٩٣٣ .

فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٣ منح امتياز لفرع سوكال يحمل اسم «كاليفورنيا-اريبيان ستاندارد اويل كومبانى» ، وعُدل الاسم فى كانون الثانى (يناير) ١٩٤٤ الى «اراب اميركان اويل كومبانى» (ارامكو) .

فى عام ١٩٣٦ كانت لسوكال قدرات انتاجية ضخمة فى النصف الشرقى من العالم ، يقابلها ضعف فى شبكة وسائط النقل والعلاقات

التجارية . ومن جهة أخرى طورت «تكساس كومباني» (تكسكو حاليا) شبكة واسعة لتوزيع النفط ولكنها كانت بحاجة الى مادة التسويق ذاتها . لذا وحدت الشركتان مصالحهما في منطقة مترامية الاطراف تمتد من مصر الى جزر هاواي . وحصلت تكسكو على نصف اسهم شركات النفط العاملة في السعودية (١٤) .

بعد مضي فترة قصيرة على منح امتياز النفط حصلت المجموعة الانجلو-امريكية على امتياز لاستثمار مكامن الذهب . وبدأ استخراج المعدن الثمين في مهد الذهب ولكن احتياطاته نفذت عام ١٩٥٣ . لقد كان في جبال الحجاز الكثير من الذهب ولكن يبدو ان كميات كبيرة منه قد استخرجت في زمن سليمان الحكيم وابان حكم الخلفاء العباسيين ، لذا فان استثمار مناجم الذهب اصبح غير مربح بعد فترة قصيرة من بدئه (١٥) .

منحت اتفاقية الامتياز شركة سوكال «حقا استثنائيا لمدة ستين عاما لاجراء اعمال البحث والتنقيب والحفر والاستخراج والتكرير والانتاج والنقل والبيع والتصدير» للنفط ومشتقاته واقامة الوسائل اللازمة لادامة هذه العملية . ومنحت الشركة حقوقا استثنائية في ارض مساحتها ٤٠٠ الف ميل مربع تكاد تشمل كل الجزء الشرقي من العربية السعودية . ونصت الاتفاقية على ان تتمتع سوكال بـ«حق الافضلية» في الحصول على امتيازات اضافية في سائر مناطق الجزء الشرقي من السعودية ، وكذلك الحقوق الاخرى التي قد تحصل عليها الحكومة في المنطقة المحايدة الى الجنوب من الكويت .

ومقابل هذا الامتياز وافقت الشركة على تنفيذ الشروط التالية :
١ . منح العربية السعودية قرضا مقداره ٣٠ الف جنيه ذهبي او ما يعادلها . ومنح قرض اضافي قدره ٢٠ الف جنيه ذهبي بعد ١٨ شهرا اذا ظلت الاتفاقية سارية المفعول .
٢ . دفع ٥ آلاف جنيه ذهبي مقدما كل سنة لحين اكتشاف النفط بكميات تجارية .

٣ . بعد اكتشاف النفط بكميات تجارية تدفع الشركة فورا بدل ايجار قدره ٥ آلاف جنيه وتدفع مثلها بعد سنة . وتدفع المبالغ من بدل الايجار التخميني . تبدأ الشركة باعادة المناطق التي لا تعزم استثمارها .

٤ . بعد اكتشاف النفط تحصل الحكومة على بدل ايجار قدره اربعة شلنات ذهبية او ما يعادلها عن كل طن من النفط . تلتزم الشركة بان تقدم للحكومة سنويا ودون مقابل كمية من النفط لانتاج البنزين والكيروسين .

٥ . تشيد الشركة مصنعا لتكرير النفط بعد اكتشافه وتزود العربية السعودية مجانا بمائتي الف غالون امريكي من البنزين ومائة الف غالون امريكي من الكيروسين (يعادل الغالون الامريكي ٣,٧٨ لتر) .

ووافقت الحكومة من جانبها على اعفاء الشركة ومؤسساتها من كل الضرائب المباشرة وغير المباشرة والرسوم الجمركية وما الى ذلك (١٦) .

لا شك ان شروط الاتفاقية كانت كسبا كبيرا للشركة وغبنا للعربية السعودية ، ولكنها انعكاس لتناسب القوى بين الطرفين آنذاك . فحينما عقدت الحكومة السعودية الاتفاقية لم تكن لديها اية خبرة فى شؤون النفط ، الى جانب حاجتها الماسة الى المال . وكان الشغل الشاغل للحكومة هو الحصول على مكاسب مالية بشكل ريع وبدلات ايجار وقروض .

ان بند الاتفاقية الذى ينص على اعفاء الشركة من «كل الضرائب المباشرة وغير المباشرة» قد حرم المملكة من مصدر هائل للعائدات ومنح الشركة امكانات ضخمة للحصول على ارباح من الرأسمال المستثمر . ويجدر بالذكر ان الشركات العاملة فى البلدان الاخرى كانت دوما تدفع ضرائب .

بدء الاستخراج . كانت الشركة فى عجلة من امرها . فوصل اول جيولوجيين الى الجبيل فى ايلول (سبتمبر) ١٩٣٣ ، اى بعد مرور اقل من اربعة اشهر على توقيع اتفاقية الامتياز .

وفى ٢٨ ايلول (سبتمبر) اكتشفت دلائل تشير الى وجود طبقة نفطية . وقد بدأ بعد بضعة اشهر استخدام الشاحنات بعد ان كان الجيولوجيون يستخدمون الجمال . وكانت الشركة تنقل كل المعدات وجزءا كبيرا من المواد الغذائية من الولايات المتحدة عبر ميناء الخبر . وفى اواخر عام ١٩٣٣ بلغ عدد خبراء النفط الامريكان فى السعودية ثمانية اشخاص .

عام ١٩٣٥ عشر الجيولوجيون على طبقة واحدة وبدأوا الحفر ،

ولكن البئر الاولى لم تثبت الا وجود قرائن عن توفر النفط وقليل من الغاز . اما اول كميات تجارية من النفط فقد اكتشفت عام ١٩٣٨ . وفى شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٣٨ بدأ نقل كميات قليلة من النفط الخام الى مصنع التكرير فى البحرين العائد لشركة «بحرين بترولسيوم» . وبعد ذلك وقع الاختيار على رأس تنورة لاستخدامه كميناء لتصدير النفط .

عام ١٩٣٩ زار الملك وحاشيته منطقة استخراج النفط فى الظهران حيث اقيم مخيم من ٣٥٠ خيمة . واستمرت احتفالات الاعيان السعوديين ببدء استخراج النفط عدة ايام ، وفى الاول من ايار (مايو) ١٩٣٩ غادرت السواحل السعودية اول ناقلة محملة بالوقود السائل .

حينما بدأت الحرب العالمية الثانية كان الجيولوجيون قد انجزوا عمليات التنقيب الاولى فى ١٧٥ الف ميل مربع والتنقيب التفصيلى فى ٥٠ الف ميل مربع . اما التنقيب الزلزالى والحفر فقد جريا فى مساحات اصغر . ولما توقفت الاعمال بسبب الحرب كان الجيولوجيون الامريكان قد ادركوا انهم اكتشفوا مكامن نفط اسطورية ، ولكنهم لم يحددوا بعد مقاديرها بشكل كامل . هذا وكانت الشركة قد حفرت عام ١٩٣٤ بئرا فى الجوف فوجدتها خالية تماما ، واعتبرت المنطقة عقيمة (١٧) .

بعد اكتشاف النفط وافقت الحكومة السعودية على توسيع مساحة الامتياز الاولى فى المناطق الجنوبية والشمالية من شرقي الجزيرة ، ومنح الشركة حق استثمار الحصة السعودية فى المنطقة المحايدة بين العراق والكويت والمملكة السعودية . وادى ذلك الى توسيع المساحة التى يتمتع فيها صاحب الامتياز بحقوق استثنائية الى نحو ٤٩٦ الف ميل مربع ، منها ٤٨٤ الف ميل مربع على اليابسة و١١ الف على الجرف القارى فى الخليج . وكانت مساحة الاراضى المشمولة بالامتياز تعادل مساحة ولايات اريزونا ونيو مكسيكو وتكساس مجتمعة . ومنحت الشركة حقوقا واسعة فى المنطقة الواقعة الى الغرب من منطقة الحقوق الاستثنائية (١٨) .

منح الامتياز الجديد لمدة ستين عاما ومددت فترة الاتفاق الاولى لست سنوات . ومقابل هذه الامتيازات الاضافية التزمت الشركة بان :

- ١ . تعيد مناطق الامتياز التي لا تعتزم استثمارها بعد غلقها لمدة عشر سنوات .
 - ٢ . تدفع فوراً ١٤٠ ألف جنيه ذهبي ومائة ألف جنيه أخرى بعد اكتشاف النفط بكميات تجارية .
 - ٣ . تخصص ريعاً سنوياً مقداره ٢٠ ألف جنيه ذهبي مقابل المنطقة الاضافية ، على ان تدفع لحين اكتشاف النفط بكميات تجارية .
 - ٤ . تزيد انتاج البنزين المقدم مجاناً للحكومة السعودية لكي تصل كميته الى ١,٣ مليون غالون .
- لقد ازداد استخراج النفط في العربية السعودية بالشكل التالي (١٩) .

**استخراج النفط في العربية السعودية
من ١٩٣٨ حتى ١٩٧٣ ، بملايين البراميل**

| السنة | ارامكو | «غيتي اويل» | «ارابيان اويل كومباني» | المجموع |
|-------|--------|-------------|------------------------|---------|
| ١٩٣٨ | ٠,٥ | — | — | ٠,٥ |
| ١٩٣٩ | ٣,٩ | — | — | ٣,٩ |
| ١٩٤٠ | ٥,١ | — | — | ٥,١ |
| ١٩٤١ | ٤,٣ | — | — | ٤,٣ |
| ١٩٤٢ | ٤,٥ | — | — | ٤,٥ |
| ١٩٤٣ | ٤,٩ | — | — | ٤,٩ |
| ١٩٤٤ | ٧,٨ | — | — | ٧,٨ |
| ١٩٤٥ | ٢١,٣ | — | — | ٢١,٣ |
| ١٩٤٦ | ٥٩,٩ | — | — | ٥٩,٩ |
| ١٩٤٧ | ٨٩,٩ | — | — | ٨٩,٩ |
| ١٩٤٨ | ١٤٢,٩ | — | — | ١٤٢,٩ |
| ١٩٤٩ | ١٧٤,٠ | — | — | ١٧٤,٠ |
| ١٩٥٠ | ١٩٩,٥ | — | — | ١٩٩,٥ |
| ١٩٥١ | ٢٧٨ | — | — | ٢٧٨ |
| ١٩٥٢ | ٣٠١,٩ | — | — | ٣٠١,٩ |

| السنة | ارامكو | «غيتي اويل» | «اراييان اويل كومباني» | المجموع |
|-------|--------|-------------|------------------------|---------|
| ١٩٥٣ | ٣٠٨,٣ | — | — | ٣٠٨,٣ |
| ١٩٥٤ | ٣٤٧,٨ | ٣,٠ | — | ٣٥٠,٨ |
| ١٩٥٥ | ٣٥٢,٢ | ٤,٤ | — | ٣٥٦,٦ |
| ١٩٥٦ | ٣٦٠,٩ | ٥,٨ | — | ٣٦٦,٧ |
| ١٩٥٧ | ٣٦٢,١ | ١١,٦ | — | ٣٧٣,٧ |
| ١٩٥٨ | ٣٧٠,٥ | ١٤,٧ | — | ٣٨٥,٢ |
| ١٩٥٩ | ٣٩٩,٨ | ٢١,٢ | — | ٤٢١,٠ |
| ١٩٦٠ | ٤٥٦,٥ | ٢٤,٩ | — | ٤٨١,٤ |
| ١٩٦١ | ٥٠٨,٣ | ٢٨,٧ | ٣,٨ | ٥٤٠,٨ |
| ١٩٦٢ | ٥٥٥,١ | ٣٣,٧ | ١١,٠ | ٥٩٩,٨ |
| ١٩٦٣ | ٥٩٤,٦ | ٣٣,١ | ٢٤,١ | ٦٥١,٨ |
| ١٩٦٤ | ٦٢٨,١ | ٣٤,٤ | ٣١,٨ | ٦٩٤,٣ |
| ١٩٦٥ | ٧٣٩,١ | ٣٢,٦ | ٣٣,١ | ٨٠٤,٨ |
| ١٩٦٦ | ٨٧٣,٣ | ٣٠,٢ | ٤٦,٥ | ٩٥٠,٠ |
| ١٩٦٧ | ٩٤٨,١ | ٢٥,١ | ٥٠,٦ | ١٠٢٣,٨ |
| ١٩٦٨ | ١٠٣٥,٨ | ٢٣,٢ | ٥٥,٠ | ١١١٤,٠ |
| ١٩٦٩ | ١٠٩٢,٤ | ٢٢,٧ | ٥٨,٨ | ١١٧٣,٩ |
| ١٩٧٠ | ١٢٩٥,٣ | ٢٨,٣ | ٦٢,٧ | ١٣٨٦,٣ |
| ١٩٧١ | ١٦٤١,٦ | ٣٣,٧ | ٦٥,٥ | ١٧٤٠,٨ |
| ١٩٧٢ | ٢٠٩٨,٩ | ٢٨,٣ | ٧٥,٠ | ٢٢٠٢,٢ |
| ١٩٧٣ | ٢٦٧٧,٤ | ٢٣,٤ | ٧١,٩ | ٢٧٧٢,٧ |

منذ اواخر الثلاثينات دشنت العربية السعودية عصرا جديدا هو عصر النفط ، رغم ان البلد لن يتحسس تأثيره بشكل ملموس الا في اواخر الاربعينات .

العربية السعودية والحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)

خلافا لما حصل في الحرب العالمية الاولى ، ظلت الجزيرة العربية بمنأى عن عمليات الحرب العالمية الثانية . بيد ان المملكة العربية السعودية تحسست تأثيرات الحرب الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

كانت المانيا الهتلرية تأمل في الوصول الى ايران وافغانستان والهند واحتلال رأس جسر لمهاجمة الاتحاد السوفييتي ، وذلك مرورا بالبلدان العربية وتركيا . واستأثرت منطقة الشرقين الاوسط والادنى باهتمام الاستراتيجيين الفاشست لما تزخر به من ثروات نفطية .

ووضع النازيون في حساباتهم السياسية الميول المعادية لبريطانيا في بلدان الشرق الاوسط والناجمة عن سياستها الاستعمارية . فاخذت المانيا الهتلرية تصور نفسها «صديقا للعرب» وتعلن عن تأييدها لتطلعاتهم القومية . وجرت الدعاية في بلدان الشرقين الاوسط والادنى تحت شعار «انتصار بلدان المحور يحرر بلدان الشرق الاوسط من النير البريطاني» . وفي الوقت نفسه قام الالمان بعمليات تجسس وتخريب في البلدان العربية .

كانت نشاطات المانيا تهدد سيطرة بريطانيا على بلدان العالم العربي وتضعف مواقعها الاستراتيجية العالمية وتعوق استنفار الموارد البشرية والخامات في هذه البلدان لاستخدامها في الحرب . وكما بينت الاحداث فان خطر الاحتلال الالمانى للشرقين الاوسط والادنى كان خطرا حقيقيا ، ولم يدراه عن البلدان العربية الواقعة الى الشرق من ليبيا الا نقل القوات الالمانية لمهاجمة الاتحاد السوفييتي (١) .

حياد العربية السعودية . اثر ابتداء الحرب العالمية الثانية

اعلنت العربية السعودية الحياد رغم ان ابن سعود ارسل قوات الى الحدود مع العراق والكويت وشرق الاردن . وكان حياده ذا طابع موال لبريطانيا ، الامر الذي يعزى الى تبعية مملكته لها في امور كثيرة . ففي ذلك الحين كانت العربية السعودية تتاجر اساسا مع البلدان التابعة للامبراطورية البريطانية او الدائرة في فلكها . فقد كانت الهند البريطانية المصدر الرئيسى للحبوب الى المملكة ، بينما يصل غالبية الحجاج من بلدان اسلامية تابعة لبريطانيا ، اضافة الى ارتباط النقد السعودى بالجنيه الاسترليني . وكانت العربية السعودية محاطة بمحميات وقواعد عسكرية بريطانية ، والاسطول البريطانى يسيطر على البحر الاحمر والخليج .

احكم عبد العزيز سيطرته على الوضع الداخلى فى البلد ، رغم ان ذلك لم يحل دون وقوع اضطرابات عشائرية بين الحين والحين . وفى عامى ١٩٣٩-١٩٤٠ هاجر من السعودية الى العراق عدد كبير من بدو شمر . ويبدو ان الحكومة العراقية قد شجعت شيوخهم املا فى استخدام قبائل شمر لتحقيق مآربها (٢) .

غير ان ابن سعود تعرض لضغط من بلدان «المحور» ايضا . وطالب عدد من مستشاريه بتوسيع الصلات مع ايطاليا ومانيا . وبعد احتلال القوات الايطالية اثيوبيا ظهرت قطع من الاسطول الايطالى فى البحر الاحمر . وكان لايطاليا بعض النفوذ فى اليمن المعادى لبريطانيا تقليديا . وكانت السعودية قد عقدت معاهدتي صداقة واقامت علاقات دبلوماسية وقنصلية مع المانيا عام ١٩٢٩ ثم مع ايطاليا عام ١٩٣٢ (٣) .

فى اواخر عام ١٩٣٩ ومطلع عام ١٩٤٠ تمكنت المانيا ، بواسطة ايطاليا ، من الحصول على موافقة السعودية على قبول اوراق اعتماد «الدبلوماسى» غروبا الذى كان واحدا من مسؤولى المخابرات الهتلرية فى الشرق الاوسط . وكان غروبا حتى خريف عام ١٩٣٩ سفيرا لالمانيا فى العراق ، وطرد من هناك لاشتراكه فى محاولة تنظيم تمرد ، ثم عمل ملحقا فى السفارة الالمانية بانقرة (٤) .

طلب الانجليز (ولا شك انهم كانوا على علم بنشاطات غروبا) من ابن سعود رفض اوراق اعتماده . وفى ذلك الظرف كان الملك

يخشى اثاره نقمة اى من الطرفين ، ولكنه رضخ اخيرا للضغط البريطاني (٥) .

تغير قرار الحكومة السعودية بفعل انتصارات المانيا الفاشية على جبهات القتال ، فسمح لغروبا بالقدوم الى جدة بمعية بعثة كبيرة ، فبدأ هناك نشاطه المحموم . ونشطت الدعاية الالمانية ، الموجهة ضد الانجليز اساسا ، فى اوساط الحجاج ، وبدأ المبعوث الالمانى بتشكيل مجموعات تخريبية ضم اليها المستائين من الملك وزودهم بالمال والسلاح .

بعد الاستيلاء على يوغوسلافيا واليونان ، ومن ضمنه جزيرة كريت ، بدأت المانيا النازية تشق الطريق نحو الشرق الاوسط ، وخاصة نحو العراق وسورية . وفى ربيع عام ١٩٤١ جرى فى العراق انقلاب معاد لبريطانيا وطلب قادته مساندة ابن سعود (٦) الا انه رفض متذعرا بان ذلك سيكون خيانة لبريطانيا التى تربطه واياها علاقات ودية (٧) . وقد بعث اليه هتلر رسالة شخصية عرض فيها العمل ضد بريطانيا ووعدته مقابل ذلك «عرش كل العرب» . ورفض عبد العزيز عرض هتلر واستدعى من سويسرا السفير السعودى فؤاد حمزه الذى عمل على دفعه للتعاون مع دول «المحور» ونقل اليه رسالة هتلر (٨) .

دبر عملاء غروبا سلسلة من اعمال التخريب فى السعودية ، تم عدد منها فى حقول النفط بالاحساء ، فارسل البريطانيون الى السعودية سربا من الطائرات يحمل معدات لاختاد الحرائق (٩) . فى اواخر ايار (مايو) ١٩٤١ احتلت القوات البريطانية مواقع هامة استراتيجيا فى العراق ، وفى الفترة ذاتها حققت القوات البريطانية والثوار الاثيوبيون الهزيمة بجيش الاحتلال الايطالى فى اثيوبيا . وفى تموز (يوليو) ١٩٤١ احتلت القوات المسلحة البريطانية وقوات فرنسا الحرة سورية وطردت من هناك ادارة فيشى .

هكذا طرأت تغيرات ملحوظة على الوضع فى الشرق الاوسط . وقد كانت القيادة الهتلرية منشغلة بالاعداد للحرب ضد الاتحاد السوفييتى ولم تتمكن من جرد قوات كافية لانزال ضربة بالمواقع البريطانية فى الشرق الاوسط .

نوقشت فى بريطانيا ، التى حافظت على سيطرتها فى هذه

المنطقة ، مسألة ادخال قوات بريطانية الى المراكز الهامة استراتيجية في السعودية ، على غرار ما تم في العراق وسورية . بيد ان الحكومة البريطانية كانت مرغمة على ان تحسب حساب الولايات المتحدة لان للاحتكارات الامريكية مصالح في المملكة اضعف الى ذلك ان احتلال بلد متراعى الاطراف يسود فيه النفور من الاجانب قد يجابه بصعوبات كثيرة .

تحاشيا لوقوع استفزازات على الحدود مع العراق وشرق الاردن (١٠) سحب ابن سعود قواته الى عمق بلاده (١١) ، وسرعان ما فسخ معاهدة الصداقة مع المانيا ، وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٤١ طرد المبعوث غروبا من البلد (١٢) .. وكانت العلاقات الدبلوماسية مع ايطاليا قد قطعت منذ عام ١٩٤٠ .

طلب رشيد عالي الكيلاني زعيم الانقلاب في العراق اللجوء الى السعودية ، فحل ضيفا مكرما رغم مطالبة الانجليز بتسليمه لان المحكمة العسكرية العراقية اصدرت حكما باعدامه (١٣) .

رغم ان اراضي العربية السعودية لم تصبح مسرحا للمعارك ، فان اقتصاد البلد ناء باعباء الحرب . فقد استنزفت القوات المستنفرة عوائد الدولة ، وادى تغيب الرجال فترة طويلة الى الاضرار بالزراعة . اصبح البلد في وضع مالي مزر ، وبلغ العجز في الميزانية عام ١٩٤١ مقدار ١١٥٠ الف جنيه استرليني ، وهبطت عوائد الحج . فبعد ان كان عدد الحجاج عشية الحرب يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ الف ، ويعود على الخزينة ٥-٦ ملايين دولار ، فان عددهم تقلص في زمن الحرب الى ٢٠-٣٠ الفا . وتزايدت اسعار السلع المستوردة ، بينما لم تحصل زيادة في استخراج النفط في بداية الحرب .

طالب ابن السعود الشركات صاحبة الامتياز بان تسلفه على حساب الربح مبلغ ستة ملايين دولار سنويا . وخشيعة الغاء الامتيازات ومنحها للبريطانيين ، التزمت الشركة الامريكية بتزويد العربية السعودية بقرض مقداره ثلاثة ملايين دولار ، على ان يزداد مستقبلا الى ستة ملايين . بل ان الشركة ابقت مبالغ المدفوعات عن الامتياز على وضعها السابق ، في ظرف كان من المزمع ايلانه تقليص استخراج النفط .

ابقت بريطانيا العربية السعودية مرتبطة بتبعية مالية ، وذلك

بتزويدها بالسلع والعملات الذهبية والفضية للتداول (١٤) .
وبغية تقييد نشاط شركة النفط الامريكية ، استغلت بريطانيا
مركز تموين الشرق الاوسط الذى تولى قبل عام ١٩٤٢ تزويد
القوات فى الشرقين الاوسط والادنى بمشتقات النفط ، والاشراف
على توزيع المواد الغذائية على بلدان المنطقة . وتولى البريطانيون
تسويق نفط ايران والعراق ، ولكنهم فى الوقت ذاته قيدوا تسويق
نفط السعودية لجيوش الحلفاء . وعلاوة على ذلك احكموا سيطرتهم
على كل صادرات الاغذية الى المملكة .

اثار تزايد النفوذ الاقتصادى لبريطانيا فى العربية السعودية
قلق شركات النفط الامريكية ؛ فقررت الحكومة الامريكية تقديم
عون غير مباشر لابن سعود . اذ انها قدمت لبريطانيا قرضا بـ ٤٢٥
مليون دولار وطالبت بان تمنح العربية السعودية جزءا من هذه
الاموال . وقد ابلغ ممثلو شركة النفط ابن سعود بذلك (١٥) ،
ولكن الملك كان مرتبطا بالدرجة الاولى بمن يقدم له العون
المباشر . وخشية استمرار توطد مواقع بريطانيا فى العربية
السعودية اصرت الاحتكارات النفطية الامريكية على ان تزود الحكومة
الامريكية المملكة بمساعدة مباشرة .

قبل نشوب الحرب العالمية الثانية كانت الحكومة الامريكية
تعتبر الشرقين الاوسط والادنى دائرة نفوذ اوربية ، وبريطانية
بالدرجة الاولى . ولم يكن لدى الادارة الامريكية الكثير من الوسائل
السياسية الفعلية لدعم الشركات الامريكية الخاصة ، بما فيها
شركات النفط ، فى هذه المنطقة من العالم (١٦) . وعشية الحرب ،
عام ١٩٣٩ ، لم تكن حصة الامريكان من استخراج النفط فى الشرق
الاوسط تربو على ١٠٪ (١٧) .

خلال سنوات الحرب طرأت تغيرات عميقة اساسية على سياسة
الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط . ووضعت الولايات المتحدة
نصب عينها مهمة الحلول محل بريطانيا كدولة مهيمنة فى المنطقة
لاعتبارات عديدة من اهمها الاحتياطات النفطية . فقد تغير دور
النفط فى العالم وتحول من سلعة تجارية فى الاساس الى سلعة
استراتيجية ذات اهمية من الدرجة الاولى (١٨) .

فى الثامن من شباط (فبراير) ١٩٤٣ تلقى وزير الداخلية
الامريكي هارولد ايكسبي مذكرة من «ستاندارد اويل اوف

كاليفورنيا» تضمنت الافكار التالية : «يتزايد القلق بصدد التنامي السريع لنفوذ بريطانيا الاقتصادية في العربية السعودية ، لان ذلك يمكن ان يحدث تأثيرات جوهرية في نشاط الامريكان بعد الحرب . ولو قدمت الحكومة الامريكية معونة مباشرة للحكومة السعودية ، عوضا عن المعونة غير المباشرة التي تقدمها حاليا عن طريق البريطانيين ، لوضع حد لذلك ولاعطى ضمانة معينة بان احتياطات النفط في العربية السعودية ستبقى تحت سيطرة الامريكان . وبوسع الحكومة الامريكية تقديم معونة مباشرة للحكومة السعودية ، وخاصة عن طريق برنامج الاعارة والتأجير» (١٩) .

في ١٨ شباط (فبراير) ١٩٤٣ ، اى بعد مرور عشرة ايام على رفع المذكرة ، اوعز روزفلت الى نائب وزير الخارجية ستينوس المسؤول آنذاك عن برنامج الاعارة والتأجير «تنظيم مساعدة للحكومة السعودية وفق برنامج الاعارة والتأجير» واكد الرئيس ان الدفاع عن السعودية «له اهمية حيوية لمسألة الدفاع عن الولايات المتحدة» رغم ان المملكة لم تكن مشاركة في الحرب لا شكليا ولا فعليا (٢٠) . وفي عام ١٩٤٨ قدرت اللجنة الخاصة التي شكلها مجلس الشيوخ للنظر في برنامج الدفاع الوطنى ، حجم المساعدة التي قدمتها الولايات المتحدة للعربية السعودية خلال الحرب ، عن طريق برنامج الاعارة والتأجير والصادرات الاخرى بتسعة وتسعين مليون دولار .

عند حلول عام ١٩٤٣ بدأ استخراج النفط يتزايد من جديد بعد ان كان قد انخفض بسبب اغلاق اسواق اوربا الغربية والقيود التي وضعها البريطانيون . وتعزى الزيادة الى ارتفاع الطلب على النفط من قبل جيوش الحلفاء فى مسارح العمليات الحربية بالمحيط الهادى والبحر الابيض المتوسط ، والى توقف صادرات النفط من بورما واندونيسيا بعد استيلاء اليابان عليهما . وتولت شركة ارامكو تزويد الحكومة الامريكية بمشتقات النفط للاغراض الحربية ، وبلغ استخراج النفط فى السعودية عام ١٩٤٣ مقدار ٤,٩ مليون برميل ، وازداد الى اكثر من عشرة اضعاف عام ١٩٤٦ (٢١) .

فى آذار (مارس) ١٩٤٢ عينت الولايات المتحدة قائما بالاعمال فى جدة ، بعد ان كان السفير الامريكى فى القاهرة معتمدا فى السعودية اضافة لوظيفته .

ربيع عام ١٩٤٣ وصل الجنرال هارلى الى السعودية مندوبا عن روزفلت لاستيضاح مواقع شركات النفط الامريكية هناك . وفى تشرين الاول (اكتوبر) من نفس العام قام ولى العهد سعود بزيارة رسمية الى واشنطن وامضى فى الولايات المتحدة شهرا كاملا . وفى نفس السنة زار الامير فيصل واخوه خالد الولايات المتحدة وقابلا روزفلت واعضاء الادارة ومجلسى الشيوخ والنواب فى الكونغرس الامريكى (٢٢) .

فى ذلك الحين قدرت ارامكو احتياطات النفط فى العربية السعودية بعشرين الف مليون برميل ، اى ما يعادل كل الاحتياطات المكتشفة فى الولايات المتحدة (٢٣) . وكان ذلك اقوى حجة تعتمدھا شركات النفط لحفز الحكومة الامريكية على دعم مصالحھا . وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٤٣ اعدت مجموعة من الجيولوجيين الامريكان تقريراً بعد جولة فى الشرق الاوسط ، جاء فيه ان مركز استخراج النفط سوف يتحول من حوض خليج المكسيك والبحر الكاريبى الى منطقة الشرق الاوسط (٢٤) . وذكر الخبراء ان تقديراتهم تفيد بان اكبر احتياطات النفط فى العالم موجودة فى حوض الرافدين والخليج العربى . وكان انتاج النفط فى هذه المنطقة اقل تكليفا مما فى اى مكان فى العالم .

عام ١٩٤٣ تمكنت شركة ارامكو من الحصول على تخصيصات مالية لبناء مصنع لتكرير النفط فى رأس تنورة بسعة خمسين الف برميل يوميا ، وبدأ المصنع العمل فى ايلول (سبتمبر) ١٩٤٥ . وفى آذار (مارس) ١٩٤٥ مد خط لانايب النفط الى البحرين حيث يوجد مصنع كبير للتكرير (٢٥) .

فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٣ زار العربية السعودية الجنرال رويس ، القائد العام للقوات المسلحة الامريكية فى الشرق الاوسط ، واتفق على بناء مطارات حربية فى الظهران والدوكة . وقد بدأ بناء قاعدة الظهران الجوية عام ١٩٤٤ وانجز عام ١٩٤٦ . ووصلت الى العربية السعودية بعثة عسكرية امريكية تولت ، الى جانب مجموعة المدربين البريطانيين الذين استدعاهم ابن سعود ، تدريب الجيش السعودى . وخلال سنوات الحرب زودت الولايات المتحدة المملكة العربية السعودية بالاسلحة والمعدات العسكرية وفق برنامج الاعارة والتأجير (٢٦) .

لقاء ابن سعود وروزفلت (٢٧) . اظهرت لقاء روزفلت والملك عبد العزيز اهمية الموقع الذى احتلته السعودية فى السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط . فقد اقام الرئيس الامريكى فى طريق عودته الى الولايات المتحدة بعد مؤتمر يالطا صلة شخصية بزعيم واحدة من الدول التى كانت تعتبر تقليديا ضمن دائرة المصالح الامبراطورية البريطانية . واحيط لقاء روزفلت وابن سعود بسرية تامة ، وخاصة بالنسبة للبريطانيين الذين لم يعلموا عنه شيئا الا فى اللحظة الاخيرة .

استقل ابن سعود وحاشيته البارجة الامريكية «مورفى» من جدة الى قناة السويس حيث كان الرئيس روزفلت بانتظاره على متن الطراد الامريكى «كوينسى» فى البحيرات المرة . اقيم للملك سرادق على ظهر البارجة وكانوا يذبحون له شاة كل يوم ، وفى ساعات النهار يعرضون عليه افلاما تسجيلية عن عمليات القوات الامريكية .

جرى لقاء روزفلت وابن سعود فى ١٤ شباط (فبراير) ١٩٤٥ ، وحاول الرئيس الامريكى الحصول على موافقة الملك على مشروع اسكان اليهود فى فلسطين ، قائلا انهم ضحايا للنازية . فردّ الملك بما معناه : لتتحمل المانيا مسؤولية هذه الجرائم . ولما كان الالمان قد آذوا اليهود ، فليعاقب المذنب . ولماذا يجب ان يحمل العرب جريرة آثام ارتكبها آخرون ؟ ولم تفلح محاولات روزفلت لحمل ابن سعود على تغيير موقفه .

فى الخامس من نيسان (ابريل) بعث روزفلت رسالة الى ابن سعود وعده فيها بالامتناع عن الاقدام على اى عمل قد يكون معاديا للعرب . كما انه التزم بان الحكومة الامريكية لن تغير نهجها السياسى الاساسى فى فلسطين الا بعد مشاورات تمهيدية شاملة مع اليهود والعرب على حد سواء (٢٨) .

واكد ابن سعود فى لقائه مع روزفلت موافقته على ان السفن البريطانية والامريكية حرة فى استخدام الموانئ السعودية على الخليج ، كما وافق على اقامة قاعدة جوية ضخمة . ولكنه اشترط ابان ذلك الا تتعرض السعودية باى حال من الاحوال للاحتلال ، كما جرى فى مصر وسورية والعراق وايران ، والا يقطع اى جزء من اراضيها . وفيما يخص المناطق التى يحتاجها الجيش الامريكى فانها

تعار لفترة لا تتجاوز الخمس سنوات . كما طلب ابن سعود بان تحصل الحكومة السعودية على جزء من السلاح الخفيف المخزون فى ايران ، وفى مقابل ذلك تعهد ابن سعود باعلان الحرب على دول «المحور» (٢٩) .

طلب الملك من الرئيس الامريكى مد يد الصداقة له ودعم استقلاله ، وحصل على وعود بهذا الخصوص . ويرى ايدى ان ابن سعود اعتبر هذا اللقاء ضمانا تقيه من المحاولات التى قد تقوم بها بريطانيا للنيل من استقلاله .

اما بالنسبة لموضوع النفط فقد اكد ابن سعود لروزفلت ان الامتيازات الامريكية باقية على حالها ، ووافق على بناء خط لانايب النفط عبر الجزيرة العربية يربط منطقة الاحساء بسواحل البحر الابيض المتوسط .

اثر مغادرة روزفلت عقد رئيس الوزراء البريطانى شرشل لقاء مع ابن سعود فى مصر للحد من نفوذ الامريكان ، ولكن اللقاء لم يسفر عن جديد . ولم يكن بوسع لقاء مثل هذا ان يحول دون خروج المملكة السعودية من دائرة النفوذ البريطانى بدعم من الولايات المتحدة . فقد استغلت واشنطن عدم ثقة آل سعود ببريطانيا لتعزيز مواقع الولايات المتحدة فى المملكة .

فى اذار (مارس) ١٩٤٥ اعلنت العربية السعودية الحرب على دول «المحور» ، مما اتاح لها امكانية الانضمام الى هيئة الامم المتحدة (٣٠) .

ولكن تجدر الاشارة الى ان تركيا وايران ومصر كانت فى فترة ما بعد الحرب (اواخر الاربعينات وبداية الخمسينات) تحتل الموقع الاول فى مجال المصالح العسكرية الاستراتيجية لواشنطن فى الشرقين الادنى والوسط . وظلت بلدان الخليج العربية او على الاقل البلدان الواقعة على بر الجزيرة العربية فى المقام الثانى . وتولت بريطانيا الحفاظ على مصالح الغرب العسكرية الاستراتيجية فى الخليج وفى الجزيرة العربية .

عام ١٩٤٥ كان التناسب بين الرساميل الامريكية والبريطانية والفرنسية فى الصناعة النفطية كالتالى : شركة النفط البريطانية العراقية تسيطر على ٢٧,٧٥٠ مليار برميل من احتياطات النفط و«رويال داتش شيل» ٢,٧٥٠ مليار و«غالف اويل» ٥ مليارات

و«ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا» و«تكساس اويل» ٢٠ مليارا و«ستاندرد اويل اوف نيوجرسي» و«سوكوني واكوم اويل» ٢,٧٥٠ مليار و«فرانسيز دى بترول» ٢,٧٥٠ مليار . وقدرت الاحتياطات الاجمالية بـ ٦١ مليار برميل (٣١) . وكانت الشركات ذات الرأسمال البريطانى والبريطانى - الهولندى تستخرج القسم الاكبر من النفط آنذاك . ولكن الوضع بدأ يتغير تغيرا جذريا نظرا لتزايد انتاج النفط بسرعة فى العربية السعودية حيث اكتشف المزيد من الحقول الجديدة ، ونتيجة للاممة الايرانية فى بداية الخمسينات التى اضعفت الى حد كبير مواقع الرأسمال البريطانى فى المجال النفطى .

الوضع الداخلي في المملكة وسياستها الخارجية (١٩٤٥-١٩٥٨)

ان المؤرخ الذى يعكف على دراسة العربية السعودية فى فترة ما بعد الحرب يواجه عقبة كأداء تتمثل فى شحة المعلومات عن حقيقة الوضع السياسى فى البلد ، مع وجود فيض من المعلومات حوله فى مقالات الصحف والمجلات والمعطيات الاحصائية والكتب المتزلفة ، بل وتوجد حتى بعض الدراسات الاجتماعية . وجرى الصراع السياسى داخل الطبقة الحاكمة بين مختلف التكتلات من الفخذ السعودى المتشعب ، هذا علما بان افراد العائلة ، باستثناء حالات نادرة للغاية ، لا يسمحون بتسرب معلومات حول الطبيعة الفعلية للصدامات والتغيرات فى قمة السلم السعودى . ولم يتوفر تصور عن الوضع فى العائلة المالكة الا بعد احتدام الصراع على السلطة بين الملك وولى العهد فى فترة ١٩٥٨-١٩٦٤ و«انتفاضة الامراء الاحرار» التى جرت فى اطار هذا الصراع . وفيما يخص نشاطات المعارضة بمختلف اشكالها ، فرغم انها اثارت مخاوف الطبقة الحاكمة ، كانت ضعيفة ومشتتة (باستثناء التحركات العمالية عامى ١٩٥٣ و١٩٥٦) وقمعت دون صعوبة تذكر . والمعلومات المتوفرة عن نشاط المعارضة شحيحة ومتقطعة ومتناقضة .

ان جزءا كبيرا مما نعرفه عن تاريخ العربية السعودية ينحصر فى علاقاتها مع شركات النفط وصلاتها الدولية وسياستها الخارجية . ويبدو ان ثمة مسوغات لذلك . فان التصاعد الحاد للصراع الدولى فى منطقة الشرق الاوسط بعد الحرب العالمية الثانية وانخرطت العربية السعودية فى الصراع الى جانب هذا الطرف او ذاك ، وما طرأ على حركة التحرر الوطنى من مد وجزر ، والترابط

القوى بين مصائر البلدان العربية ، هذه العوامل جميعا زادت من وزن واهمية السياسة الدولية فى العملية التاريخية .

وقد تأثرت السياسة الداخلية والخارجية للعربية السعودية بعامل جديد ، هو عامل النفط . وخلال بضع سنوات تحولت المملكة الصحراوية الى واحد من اكبر مصدرى الوقود السائل ، وفى السبعينات صارت اكبر مصدر على الاطلاق .

العلاقات مع شركات النفط . عند انتهاء عام ١٩٤٥ كانت ارامكو قد اكتشفت اربعة حقول ضخمة للنفط - فى الدمام وابو حدرية وبقيق والقطيف . وفى ايار (مايو) ١٩٥١ اكتشف اكبر مستودع فى العالم فى السفانية بالجرف القارى فى الخليج . واكبر حقل نفطى على اليابسة فى العالم ، هو حقل غاوار الذى يبلغ طوله زهاء ٢٤٠ كيلومترا وعرضه ٣٥ كيلومترا ، وقد اكتشف فى مستهل الخمسينات . وبلاضافة الى ذلك افترض الخبراء وجود مستودعات جديدة من الوقود السائل فى الطبقات الجيولوجية الفريدة بالعربية السعودية (١) .

جرى توسيع فى ميناء تصدير النفط برأس تنورة وبدأ استخدامه فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٥ بسعة قدرها ٥٠ ألف برميل يوميا . وازدادت تدريجيا قدرة مصنع تكرير النفط فى رأس تنورة وبلغت فى اواسط الستينات ١٥ مليون طن سنويا ، ثم تضاعفت . وشيد مصنعان آخران لتكرير النفط فى جدة والرياض (٢) .

بعد الحرب العالمية الثانية ادى تحول مؤسسات انتاج الطاقة فى البلدان الرأسمالية الى استخدام الوقود السائل وكثرة عدد السيارات وتطور الكيمياء ، الى تزايد لم يسبق له مثيل فى الاقبال على النفط وخاصة فى النصف الشرقى من العالم . واخذت مناطق عديدة من العالم كانت متخلفة عن الولايات المتحدة فى استخدام النفط ، تعمل بوتائر سريعة على اللحاق بها . ولئن كان الطلب على النفط قد ازداد خلال ربع القرن الذى اعقب الحرب لاكثر من ٢,٥ مرة فى الولايات المتحدة ، فان الزيادة فى سائر انحاء العالم ربت على ٨ مرات ، وبلغت الزيادة اسرع وتأثيرها فى اليابان واوروبا الغربية . واصبحت منطقة الشرقين الادنى والاوسط اكبر منتج لهذه المادة

الخام عام ١٩٦٥ ، حينما بلغ الاستخراج هناك زهاء ٨,٥ مليون برميل يوميا ، اى اكثر من انتاج الولايات المتحدة (٣) .
اخذت صناعة تكرير النفط تنتقل شيئا فشيئا الى مراكز الاستهلاك . فان نقل النفط الخام ارخص من نقل مشتقاته الجاهزة ، علاوة على ان بوسع المستورد ان يشتري منه كميات اكبر ، كما جرت فى مراكز الصناعة الاستفادة من نفايات التكرير على نحو واسع . واضيفت الى الحسابات الاقتصادية اعتبارات سياسية هامة : فقد خشيت الشركات (وخاصة بعد محاولة تأميم النفط الايرانى فى مستهل الخمسينات) من انشاء مصانع ضخمة لتكرير النفط فى البلدان النامية .

ابان سنوات الحرب خمن المساهمون فى ارامكو ان خط الانابيب بين العربية السعودية والبحر الابيض المتوسط يمكن ان يقلص نفقات نقل النفط الى اوربا بنسبة تتراوح من ثلث الى نصف كلفة استخدام الناقلات . وتقرر مد خط للانابيب بقطر ٣٠ بوصة (٧٦٢ ملم) من منطقة بقيق النفطية بالعربية السعودية الى السواحل اللبنانية قرب مدينة صيدا ، بطول اجمالى قدرة ١٧١٢ كيلومترا وبسعة ١٥ مليون طن سنويا على ان تزداد السعة الى ٢٥ مليون طن (٤) .

فى تموز (يوليو) ١٩٤٥ اسس المساهمون فى ارامكو شركة التابلاين «شركة خط انابيب نفط البلاد العربية السعودية» . وعندما كانت اعمال مد الخط فى اوجها عمل فيها ١٦ الف شخص واستخدم زهاء ٣ آلاف ماكينة مختلفة (٥) .

ولكن اذا كانت الشركات والحكومة البريطانية عاجزة عن عرقلة زيادة استخراج النفط من قبل ارامكو ، فانها حاولت اعاقه وصول خط الانابيب الامريكى الى سواحل البحر الابيض المتوسط ، لانه سوف يتيح للامريكان امكانية نقل النفط الى اوربا الغربية بسرعة وبكلفة زهيدة . وبمد الخط يفقد البريطانيون جزءا من العوائد التى يحصلون عليها لقاء نقل النفط فى ناقلاتهم بالاضافة الى رسوم نقل النفط عبر قناة السويس .

كان الصراع السياسى فى سورية ولبنان والعراق فى فترة ما بعد الحرب مرتبطا ، ارتباطا مباشرا او غير مباشر بالتنافس النفطى

بين بريطانيا والولايات المتحدة ، بما في ذلك ما يتعلق بمد خط الانابيب .

أيد ابن سعود الحكومة التي استلمت زمام الحكم في سورية اثر الانقلاب العسكرى فى اذار (مارس) ١٩٤٩ بقيادة حسنى الزعيم المرتبط بالولايات المتحدة ، ومنحه قرضا قدره ستة ملايين دولار . وقد عارض حسنى الزعيم مشروعى «سورية الكبرى» و«الهلال الخصيب» اللذين كان وراءهما البريطانيون ودعا اليهما عبد الله امير شرق الاردن ، وابرم حسنى الزعيم الاتفاقية الموقعة سابقا حول مد خط الانابيب عبر اراضى سورية .

غير ان حكومة جديدة شكلت فى سورية برئاسة سامى الحناوى اثر الانقلاب العسكرى الثانى فى آب (اغسطس) ١٩٤٩ ، واخذت تتبع سياسة موالية لبريطانيا وابطلت اتفاقية خط الانابيب وباركت فكرة «سورية الكبرى» .

وجاء اديب الشيشكلي الذى قام بانقلاب آخر فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ ليعيد لاحتكارات النفط الامريكية مواقعها واجاز مد خط الانابيب . ولجأ الدكتاتور الشيشكلي الى السعودية بعد انهيار نظامه فى شباط (فبراير) ١٩٥٤ .

عام ١٩٥٠ انجز مد خط انابيب التابلاين الذى بلغت كلفته ٢٣٠ مليون دولار وبدأ العمل (٦) .

ادى التطور السريع للصناعة النفطية فى العربية السعودية بعد الحرب العالمية الثانية الى وصول شركتى سوكال وتكسكو الى قناعة بانهما لا تمتلكان الاموال الكافية لاستثمار المكامن الهائلة فى البلد ، ومد خط الانابيب وتوفير اسواق لمثل هذه الكمية الضخمة من النفط . لذا قررت الشركتان التعاون مع «ستاندرد اويل اوف نيوجرسي» و«مويل اويل» . ووقعت اتفاقية اسهام هاتين الشركتين مع ارامكو فى اواخر عام ١٩٤٦ وظلت الاحتكارات البريطانية طوال سنتين تعارض هذه الاتفاقية لان «ستاندرد اويل» و«مويل اويل» وقعتا من قبل «اتفاقية الخط الاحمر» . وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٤٨ تجاهلت الشركتان الامريكيتان معارضة «شركة النفط العراقية البريطانية» و«رويال داتش شيل» وانضمتا الى ارامكو ، وبذا أصبحت «اتفاقية الخط الاحمر» فى عداد الاموات .

منذ عام ١٩٤٨ صارت اسهم ارامكو موزعة على النحو التالى :

سوكال ٣٠٪ ، تكسكو ٣٠٪ ، «ستاندر د اويل اوف نيوجرسى» ٣٠٪ و «مويل اويل» ١٠٪ (٧) .

عام ١٩٤٨ تخلت ارامكو عن حقوق الامتياز فى المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت مقابل الحصول على الجزء السعودى فى الجرف القارى بالاحساء . ومن اسباب ذلك انه تم آنذاك عقد اتفاقية امتياز فى المنطقة المذكورة بين شركة «امريكان انديبندنت اويل» («امين اويل») وحكومة الكويت وفق شروط افضل بكثير مما نصت عليه الاتفاقية بين ارامكو والسعودية . وقد آثرت ارامكو الانسحاب من المنطقة المحايدة خشية ان تؤدى بها موافقتها على المطالب الكويتية الى زيادة مدفوعاتها للعربية السعودية عن الامتياز الاساسى . ولكن السبب الاهم هو اكتشاف حقول نفطية ضخمة فى الجرف القارى العائد للسعودية (٨) .

فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ وقعت اتفاقية جديدة حول بدل الايجار عن استخراج النفط فى الجرف . ووافقت ارامكو على دفع بدل ايجار مماثل لما نصت عليه اتفاقية الامتياز الاولى ، يضاف اليه خمسة سنتات امريكية لقاء كل برميل يستخرج من الجرف القارى . وتعهدت ارامكو ان يكون الحد الادنى لبدل الايجار السنوى عن العمليات فى الجرف القارى مليونى دولار تدفع مقدما . ووافقت على تحديد فترة مدتها ٢٢ سنة تعيد خلالها بالتدريج القطاعات التى لا تعترم مواصلة التنقيب فيها من «منطقة الحقوق الخاصة» المعطاة لها (٩) .

كانت الارباح المتوفرة من استغلال احتياطات النفط فى حوض الخليج طائلة الى حد دفع الى المنطقة «اطرافا خارجية» مستعدة للحصول على امتياز بشروط افضل بكثير مما تقدمه الشركات السابقة للحكومات المحلية . وكان بين هذه الاطراف شركات امريكية مستقلة لا يمكن تجاهل ثقلها . فقد كانت متفوقة كثيرا من حيث الموجودات والرأسمال المتداول على كبريات شركات اوربا الغربية واليابان . وبظهور «الاطراف الخارجية» ادركت الحكومة السعودية مدى ما كانت ارامكو تحجبه عنها من اموال ، فتعزز موقف الحكومة فى التفاوض بشأن اعادة النظر فى اتفاقيات الامتياز (١٠) . عام ١٩٤٩ منح امتياز فى المنطقة المحايدة لمدة ستين عاما الى «باسيفيك ويسترن اويل كورپريشن» (بدل اسمها فيما بعد الى

«غيتي اويل كومباني») وذلك على حساب حصة العربية السعودية . ومقابل حق التنقيب والاستثمار في ارض مساحتها الفا ميل مربع ، بما فيها الجرف القارى لمسافة تمتد ستة اميال عن الساحل ، وافقت الشركة على :

دفع ٩,٥ مليون دولار مقدما ومنح بدل ايجار قدره ٥٥ سنتا عن كل برميل من النفط الخام و١٢,٥٪ من عوائد تسويق الغاز ومشتقاته ، ودفع سلفة مقدارها مليون دولار كمقدم عن بدل الايجار . واذا كان بدل الايجار المستحق الكامل اقل من هذا المبلغ فان الحكومة غير ملزمة باعادة القسط الاول (١١) .

عام ١٩٥٣ تدفقت نافورة النفط الاولى في المنطقة المحايدة ونقلت اول كمية من النفط الخام عام ١٩٥٤ . وشرعت «امين اويل» ، و«غيتي اويل» باستخراج النفط كل في حقولها وضخه عبر انابيبها وموانئها ومستودعاتها (١٢) .

وقعت في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٧ اتفاقية مع شركة «جاپان بتروليوم ترايدنغ كومباني اوف طوكيو» اليابانية التي قامت بتأسيس «شركة النفط العربية» ومنحت هذه الشركة حقا استثنائيا في التنقيب لمدة لا تتجاوز السنتين في الجرف القارى للمنطقة المحايدة خارج حدود الستة اميال عن الساحل . وفي حالة اكتشاف النفط تمنح الشركة امتيازا لمدة ٤٤ سنة . وقد بدأ الحفر عام ١٩٥٩ وتم استخراج الدفعات الاولى من النفط في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٠ .

وتعهدت الشركة بدفع ١,٥ مليون دولار سنويا لحين اكتشاف كميات تجارية من النفط ، ومليون دولار اضافي سنويا بعد اكتشافه على ان تدفع المبالغ الاضافية عن كل الفترة الممتدة من توقيع الاتفاقية وحتى اكتشاف النفط .

وتقرر ان يكون الحد الادنى لبذل الايجار ٢,٥ مليون دولار ووافقت الشركة على دفع ضريبة دخل عن كل العمليات داخل السعودية وخارجها ، بما في ذلك عن بيع النفط الخام وتكريره ونقله وتصديره الى الاسواق . وفي كل الاحوال تقرر الا تقل المدفوعات عن ٥٦٪ من عوائد الشركة ، وزيدت النسبة الى ٥٧٪ عام ١٩٦٣ (١٣) .

منحت شركات ايطالية حق التنقيب عن النفط في سواحل البحر

الاحمر . وفى عام ١٩٦٥ منح امتياز لشركة «او كسيراب» الفرنسية ونصت الاتفاقية على ان للعربية السعودية حق المساهمة الفعالة فى كل عمليات هذه الشركة . وفيما بعد عقدت شركة بترومين السعودية اتفاقية للتنقيب عن النفط فى الربع الخالى مع «اجيب» (فرع شركة اينى الايطالية) وشركة «فيليبس» . وفى سنة ١٩٦٧ نقلت «بترومين» حق التنقيب على سواحل البحر الاحمر لمجموعة تتألف من «ناتوماس انترناشنل كوربريشين» و«سينكلير ارابيان اويل كومبانى» والشركة الحكومية الباكستانية . وقد تغيرت تركيبة المجموعة فيما بعد ، ولكن البحث عن النفط فى الربع الخالى وعلى سواحل البحر الاحمر لم يسفر عن شىء (١٤) .

منذ اواخر الاربعينات وبعد ان تحسن اطلاق الحكومة السعودية على الشؤون المالية وادراكها لضخامة عوائد ارامكو من استثمار ثروات البلد النفطية ، اخذت تطالب بتوزيع الارباح بشكل اكثر انصافا . وكان السعوديون قد سمعوا بالتوفيق الذى حالف فنزويلا التى تمكنت من زيادة عوائدها من الامتياز زيادة كبيرة ، فعقدوا مع «غيتى اويل كومبانى» اتفاقية بشروط افضل بكثير من اتفاقيتهم مع ارامكو .

عام ١٩٥٠ صدر فى ٤ تشرين الثانى (نوفمبر) و٢٧ كانون الاول (ديسمبر) مرسومان ملكيان فرضت بموجبهما ضريبة الدخل على الارباح الصافية لكل الشركات الاجنبية العاملة فى السعودية . وقد احتجت ارامكو ولكن اجحاف الاتفاقية الاولى كان باديا للعيان . ففى السعودية كان صاحب الارض والحكومة شخصية معنوية واحدة ، فى حين ان الشركات فى البلدان الاخرى ، ومن ضمنها الولايات المتحدة ، كانت ملزمة بان تدفع الريع لمالك الارض والضريبة للحكومة .

بعد مفاوضات مضية عقدت فى ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٠ اتفاقية جديدة تنص على فرض ضريبة عن المداخيل المستحصلة من بيع النفط . ووافقت ارامكو على دفع الضريبة بشرط الا يتجاوز الحجم الاجمالى لكل الضرائب والايجار والمدفوعات الاخرى للحكومة ٥٠٪ من العائد الاجمالى لارامكو ، على ان يحدد هذا العائد بعد حسم كلفة العمليات بما فيها الخسائر وضرائب الدخل ان كانت تدفع لاي بلد آخر . والتزمت الشركة بان تقدم

للدولة السعودية مجانا ٢,٦ مليون غالون من البنزين و٢٠٠ الف غالون من الكيروسين و٧٥٠٠ طن من الاسفلت .

كان ذلك انجازا هاما ، وادى الى جعل عوائد السعودية من النفط تصل عام ١٩٥٧ الى زهاء ضعف ما كانت عليه عام ١٩٥٠ . ولكن موطن الضعف في هذه الاتفاقية ان العوائد احتسبت على اساس الدخل الاجمالى لارامكو . وكان الغبن الواضح متمثلا في تناقص ما يدفع للعربية السعودية في حالة فرض ضرائب على الشركة في دولة اخرى . وقد الغى هذا البند في ١٣ شباط (فبراير) ١٩٥٢ (١٥) .

بالرغم من زيادة المدفوعات للحكومة السعودية ، فان الاحتكارات ظلت تحصل على ارباح طائلة بفعل الكلفة الزهيدة للغاية لاستخراج النفط ورخص الايدى العاملة . فقد كان النفط المستخرج في السعودية يكلف ارامكو مبلغا يقل عشر مرات تقريبا عن كلفة النفط المستخرج في الولايات المتحدة وخمس مرات ارخص من نفط فنزويلا . وبلغت الارباح الصافية لارامكو بعد حسم المدفوعات والضرائب للحكومة السعودية ٢,٨ مليار دولار في فترة ١٩٥٢-١٩٦٣ اى بمعدل ٥٧,٦٪ من الرأسمال المستثمر وبلغت النسبة ٨١,٥٪ عام ١٩٦١ . اما في الولايات المتحدة فان الربح الصافي يعادل ١٠-١٢٪ من الرأسمال المستثمر (١٦) .

في آذار (مارس) ١٩٦٣ وافقت التابلاين على زيادة سعر كل برميل ينقل الى صيدا ، وان يكون لهذا الاجراء مفعول رجعى منذ ٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٣ ، كما وافقت على دفع ضرائب دخل عن الربح الاضافى (١٧) .

اعلن في شباط (فبراير) ١٩٥٤ ان الحكومة السعودية منحت مالك الاسطول التجارى اليونانى ارسطوطاليس اواناسيس الحق في ان ينقل بحرا من العربية السعودية كل النفط باستثناء ما ينقل على السفن العائدة أ) للشركات صاحبة الامتياز ب) لشركاتها الاصلية او لفروعها ج) لمشتري النفط . وأشارت الاتفاقية الى ان النية متجهة لتأسيس شركة نقل مختلطة يمتلكها اواناسيس والحكومة السعودية . وقد نددت بريطانيا بهذه الخطوة تنديدا شديدا ، ووصفتها الغرفة البحرية البريطانية بانها «اوقح مثال على الاستخفاف بالعلم» و«تدخل فظ في القانون التجارى المتعارف عليه» . كما ان

ناطقا بلسان وزارة الخارجية الامريكية احتج على الاتفاقية . ونظمت شركات النفط مقاطعة لسفن اونايسيس فى كل انحاء العالم ، وبعد بضعة اشهر من الصراع استسلم اونايسيس وتخلي عن العقد (١٨) . منذ بداية الاربعينات ، وخاصة فى الخمسينات ، اخذ مسؤولو ارامكو يدركون ان الظروف المناسبة لاستغلال حقول النفط السعودية قد تتعرض للخطر اذا لم يضمن نظام حكم مستقر موال لأمريكا فى البلد (١٩) . ولم تكن جهود الشركة ارامكو ووسائل الضغط التى بحوزتها كافية لابقاء المملكة فى الفلك الأمريكى ، لذا كان ينبغى تحريك ماكنة الدولة الأمريكية بكل دوائرها السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والاعلامية - الدعائية والعسكرية . واخذ دور العربية السعودية يتعاظم باستمرار فى قائمة اولويات السياسة الخارجية الأمريكية .

السنوات الاخيرة من حياة عبد العزيز . بداية حكم سعود . فى آخر سنوات حياة ابن سعود اخذت ادارته لشؤون المملكة تسوء شيئا فشيئا . فان مؤسس الدولة الاقطاعية المركزية كان وليد عصر ولى زمانه ، وليد المجتمع الاقطاعى القبلى ، ولم يكن ليفهم التغيرات او يتقبلها .

بفضل الزيادة السريعة فى استخراج النفط وتعديل اتفاقيات الامتياز ، ازدادت عوائد السعودية فى السنوات الاولى التى اعقبت الحرب عشرات المرات . ورغم ذلك ظلت المملكة بمثابة ضيعة اقطاعية عائلية كبيرة ، ويعتقد الحكام ان عوائدها يجب ان تنفق ، فى المقام الاول ، على احتياجات العائلة المالكة .

وبعد ان سافر افراد العائلة السعودية فى الاربعينات والخمسينات الى الخارج واطلعوا على ظروف حياة الطبقات الحاكمة فى اوربا الغربية والولايات المتحدة ، تآقت انفسهم الى الابهة المعقولة وغير المعقولة . واقرن ذلك بالعجز التام عن التوفيق بين النفقات والمداخيل ، والعزوف عن حساب المال وهو امر تتميز به الارستقراطية الاقطاعية القبلية ، علاوة على السخاء - وهو خصلة بشرية ايجابية تحولت عندهم الى نقيضها حينما صارت اسرافا لم يسبق له فى التاريخ مثيل فى بلد يشكل غالبية سكان شبه جياح يرزحون فى لجة الفقر والامراض .

بدا تصاعد مجنون فى الانفاق على البلاط والفخفة ، وكثرت

الامثلة على اسراف العائلة المالكة وورد ذكرها فى العديد من الكتب والمجلات والصحف بحيث لم يعد ثمة داع للاستفاضة فيها . تقاطر على الرياض شذاذ الافاق والنصابون من جميع انحاء الشرق الاوسط . ورست الصفقات على كل من يدفع رشوة اكبر . واستشرى الفساد فى البلاط الملكى وجهاز الموظفين وبلغ مدى مروعا . ومنذ ذلك الحين بدأت الاموال تتسرب من المملكة لايداعها فى الخارج . وكان التجار والمقاولون الجشعون يخدعون الحكام ويبيعون السلع والخدمات باسعار تزيد خمس او عشر او عشرين مرة عن سعرها الحقيقى . ولكن عندما لا يوجد ما يكفى من المال كانت العائلة المالكة لا تكلف نفسها من عناء سوى الامتناع عن سداد الديون (٢٠) .

واصبح الوضع الشاذ وخطره على النظام جليا لعدد من افراد العائلة الحاكمة البعيدى النظر . ولكن اجراءات الملك الرامية ل«تحديث» الدولة كانت ذات طابع شكلى وسطحى بحت .

وفى اواخر ايامه فحسب ، فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٣ ، اصدر ابن سعود مرسوما حول اعادة تنظيم مجلس الوزراء الذى اصبحت وظائفه لا تقتصر على الحجاز بل تشمل ، شكليا وفعليا ، البلاد كلها . ولكن مجلس الوزراء الجديد لم يشرع بمزاولة اعماله الا بعد وفاة ابن سعود (٢١) .

كان عبد العزيز فى شبابه وكهولته انسانا قويا شجاعا ، رويت فيه الاساطير . ونقل الزركلى عن طبيب ابن سعود الخاص رشاد فرعون الذى صار وزيرا للصحة وواحدا من اغنى اغنياء البلد ، اسطورة تقول ان عبد العزيز اصيب فى احدى المعارك بجرح فى بطنه . وقد عرض فرعون عليه ان يحققه بالمخدر (البنسج) فاخذ عبد العزيز المبضع وشق موضع الاصابة واخرج الرصاصتين وامر بخياطة الجرح (٢٢) .

كان عبد العزيز يعانى من آلام بسبب جرح فى ساقه وقد تزايدت مع تقدمه فى العمر . ولم يكن بوسعه ثنى احدى ركبتيه اذ ان ذلك يسبب له آلاما مبرحة ، ولا يستطيع ان يخلد للنوم الا بعد ان تفرك ركبته ساعة او اكثر . وقد اهداه الرئيس الامريكى روزفلت كرسيه متحركا هو نسخة طبق الاصل من كرسيه . واعجب

ابن سعود ايما اعجاب بالكرسى ولم يعد يفارقه . ويبدو ان ذلك عجل فى وفاته لانه لم يعد يتحرك فترهل (٢٣) .

كان اكثر ما يخشاه ابن سعود هو حدوث تنافس بين ولديه الاكبر سنا . فطلب منهما قبيل وفاته ان يقسما على الا يتقاتلا . وكان يذكر ماحل بابيه واعمامه بعد وفاة جده فيصل ويخاف ان يؤدى الشقاق داخل العائلة الى تقسيم مملكته (٢٤) .

توفى عبد العزيز فى التاسع من تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٥٣ فى الطائف . واقسم زهاء مائة امير اجتمعوا عند جثمانه يمين الولاء لسعود الذى بايعوه ملكا ولفيصل كولى للعهد . ونقل جثمان ابن سعود جوا الى الرياض حيث دفن وفق التقاليد الوهابية المعتادة دون شاهد او تابوت او ضريح . ويصعب تمييز مقبرته عن سواها ، وهى تقع الى جوار مقابر سائر افراد العائلة ومنهم احب اخواته نورا . وبذا ظل الوهابيون الذين هدموا القباب وشواهد القبور اوفياء لانفسهم (٢٥) .

فى التاسع من تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٥٣ اكد العاهل الجديد سعود تعيين شقيقه فيصل نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للخارجية ، واحتفظ لنفسه برئاسة الحكومة (٢٦) .

يقول الزركلى ان عبد العزيز حينما توفى كان عدد الاحياء من ابنائه ٣٤ ولدا وبلغ العدد الاجمالى لابنائه واحفاده وحفيداته - عدا ابناء بناته - ١٦٠ ، ويزيد العدد على الثلاثمائة اذا اضمنا ذرية بناته . وكان قد عقد خلال حياته عشرات الزيجات (٢٧) .

كان ولى العهد سعود المولود عام ١٩٠٢ الابن الثانى لعبد العزيز بعد تركى الذى توفى شابا بسبب اصابته بالانفلونزا . وام سعود من آل عريعر الارستقراطيين وهم شيوخ بنو خالد ، وقد توفيت عام ١٩٦٩ ، اى بعد وفاة ابنها . وولد فيصل عام ١٩٠٦ من الزوجة الثالثة لعبد العزيز وهى من آل الشيخ . وقد جرى بين الاخوين غير الشقيقين تنافس مستمر لم ينقطع حتى بعد وفاة والدهما بالرغم من اليمين الذى اقسماه له (٢٨) .

كان لسعود ٤٠ ولدا وهو عدد مقارب لعدد اخوته . اما غريمه فيصل فلم يكن له غير ثمانية اولاد بعث خمسة منهم للدراسة فى المدارس والجامعات الامريكية وواحدا الى اوكسفورد وآخر الى كلية ساندهيرست العسكرية الملكية البريطانية (٢٩) .

فى اذار (مارس) ١٩٥٤ ادى سعود فى اول اجتماع لمجلس الوزراء ببيانه السياسى الاول بصفته ملكا . وقد اعلن عن تمسكه باهداب الدين وعزمه على مواصلة سياسة والده واساليب حكمه . وقال ان هدفه الاول هو تثبيت اصول الدين والشرع . وذكر ان من مهمات حكومته تعزيز الجيش ومكافحة الفقر والجوع والمرض وتحسين الخدمات الطبية وتأسيس وزارات للمعارف والزراعة والمواصلات . وتضمن خطاب العرش الذى القاه سعود فقرات صارت فيما بعد سمة ملازمة لكل التصريحات السياسية للحكومة السعودية : التأكيد على الالتزام بالتقاليد ومراعاتها ، وفى الوقت نفسه الاشارة الى الرغبة فى اجراء تحديث وتطوير فى الجهاز الحكومى (٣٠) .

اسست فى العربية السعودية ثمانى وزارات : الداخلية ، الدفاع والطيران ، المواصلات ، المعارف ، المالية والاقتصاد الوطنى ، الصحة ، التجارة والزراعة ، الخارجية . ونجد بين الوزراء عددا من الاشخاص الذين ستظل اسمائهم تتردد طويلا فى الحياة السياسية بالبلد : فهد بن عبد العزيز (وزير المعارف) ، سلطان بن عبد العزيز (وزير المواصلات) ، رشاد فرعون (وزير الصحة) . غير ان الملك كان يتدخل باستمرار فى اعمال اخيه ويقيده سلطته (٣١) . وفى اواخر الخمسينات بلغ الصراع الخفى بينهما حدا جعل الناس تتحدث عن «ازدواجية السلطة» فى المملكة .

الحركة العمالية . فى اواخر الاربعينات ومطلع الخمسينات لاحت فى العربية السعودية البوادر الاولى التى تشير الى ان قوى اجتماعية جديدة لم يعهدها البلد من قبل ابدا اخذت تظهر على المسرح السياسى ، وان نزاعات اجتماعية لم يسبق لها مثيل آخذة فى التطور . ولاول مرة طرحت الطبقة العاملة الفتية مطالبتها .

جرى اول اضراب لعمال ارامكو ، العمال الاجانب فى الاساس ، عام ١٩٤٥ . وقدمت الادارة تنازلات وقتية ، اذ ضمنت ان يكون العمل لمدة ٨,٥ ساعة يوميا وستة ايام فى الاسبوع ، وان تعطى اجازة سنوية مدفوعة الاجر لمدة اسبوعين . ولكن الاجانب المضربين سرحوا فيما بعد . وفى اواخر الاربعينات شهدت حقول النفط اضطرابات عمالية جديدة (٣٢) .

ازاء هذا الوضع اصدرت الحكومة السعودية فى تشرين الاول

(أكتوبر) ١٩٤٧ قانون عمل استخدمت عند وضعه التشريعات المصرية . وحدد اسبوع العمل بستة ايام ويوم العمل بثمانى ساعات فى كل مؤسسة يزيد عدد العمال المأجورين فيها على العشرة . شكل عمال ارامكو عام ١٩٥٢ لجنة بمثابة نقابة ، وفى العام التالى بدأوا كفاحهم بحزم . فقد طالبوا بضمان حق التنظيم النقابى وزيادة الاجور وقطع دابر التمييز العنصرى وتوفير مساكن جديدة للعمال ودفع اجور النقل واعتماد اللغة العربية فى المدارس . وامتنعت ادارة ارامكو عن تنفيذ هذه المطالب ، وايدتها عمليا اللجنة الملكية الخاصة ، واعتقل ١٢ عضوا من اللجنة العمالية . وفى ١٧ تشرين الاول (أكتوبر) بدأ اضراب شارك فيه زهاء عشرين الفا من العمال العرب فى ارامكو ، واعرب سكان المنطقة الشرقية عن تعاطفهم مع المضربين ، اذ ان الموقف من الامريكان وثرائهم ونمط حياتهم كان سلبيا او عدائيا .

اعلنت الاحكام العرفية فى حقول النفط ، ونقل الى المنطقة الشرقية بضعة آلاف من الجنود ولكنهم ، شأن رجال الشرطة المحليين لم يتحمسوا لتنفيذ الاوامر القاضية بالتحرك ضد المضربين .

بلغ الوضع درجة من الخطورة حملت ادارة ارامكو على التفاوض مع اللجنة العمالية والقبول بالكثير من مطالب المضربين : زيادة الاجور بنسبة ١٢-٢٠٪ وتزويد العمال بملابس العمل والغذاء وتوفير وسائل النقل ومنحهم درجات تأهيلية اعلى . واطلق سراح المعتقلين من اعضاء اللجنة واعيدوا الى اعمالهم ، ولكن العمال لم يحصلوا على حق التنظيم النقابى . وقد انتهى الاضراب فى الاول من تشرين الثانى (نوفمبر) (٣٣) .

بدا ان الاضراب يعنى بداية مرحلة جديدة نوعيا فى الحركة العمالية بالعربية السعودية . وبالفعل استمرت فى السنوات الثلاث التالية المفاوضات بين ممثلى العمال والشركات ، وتولت لجنة ملكية خاصة النظر فى النزاع . ولكن السعى للحيلولة دون وجود حركة عمالية منظمة كان القاسم المشترك بالنسبة للسلطات السعودية والشركات .

شكلت ارامكو ما يسمى بـ«لجان الاتصال» ، وكلفت شكليا بدراسة مطالب العمال لتفادى النزاعات . اما فى الواقع فان هذه

الليجان كانت تبحت عن «العناصر المريبة» وتلاحق النشاط من العمال (٣٤) .

عام ١٩٥٦ ، حينما ادت الاحداث الثورية فى مصر الى تعاظم الحركة المناهضة للامبريالية فى سائر البلدان العربية ، اصبحت المنطقة الشرقية المركز الطبيعى للتحركات الجماهيرية . وعندما وصل الملك سعود الى الظهران فى ٩ تموز (يوليو) ١٩٥٦ استقبلته مظاهرة جماهيرية ترفع شعارات مناهضة للامبريالية وطالب المتظاهرون باجلاء القاعدة الامريكية . وسلمت الى الملك مطالب العمال وهى : الاعتراف رسميا باللجنة التى انتخبوها وزيادة علاوة غلاء المعيشة وزيادة الاجور وتقليص يوم العمل ووقف التسريح الكيفى ومساواة العمال المحليين والامريكان فى الحقوق والغناء التمييز العنصرى واصدار قانون يكفل حقوق عمال ارامكو ويحمى كرامتهم (٣٥) .

بعد مرور يومين ، فى الحادى عشر من تموز (يوليو) ، اصدر الملك مرسوما يمنح كل الاضرابات والمظاهرات ويوقع على المخالف عقوبة الحبس لمدة لا تتجاوز الثلاث سنوات . بدأت حملة اعتقال وتعذيب العمال النشاط وفق قوائم اعدتها الاجهزة الخاصة لارامكو . وفى ١٧ تموز (يوليو) اعلنت اللجنة المركزية للعمال العرب الاضراب العام . وكان من بين المطالبات التى طرحتها الطليعة الواعية من العمال : سن الدستور واجازة الاحزاب السياسية والتنظيمات الوطنية وتقنين حق التنظيم النقابى والغاء المرسوم الملكى حول حظر الاضرابات وايقاف تدخل ارامكو فى شؤون البلد الداخلىة واجلاء القاعدة الامريكية من الظهران واطلاق سراح المعتقلين كافة . ولكن من المستبعد ان تكون جماهير العمال فى الاحساء قد بلغت آنذاك مستوى عاليا من الوعى البروليتارى والسياسى يؤهلها للدفاع عن مثل هذه المطالبات لذا فان الاضراب القصير لم يعطل عمل حقول النفط . واستخدم فى عمليات قمع العمال بدو من هجر الاخوان والحرس الشخصى لامير المنطقة الشرقية المكون من العبيد والمعتوقين . وقد اعتقل مئات الاشخاص وعذبوا وصدرت احكام بالحبس لمدد مختلفة والطرده من البلاد . (٣٦) .

جرى الاضراب الاول بعد مرسوم الحظر الصادر عام ١٩٥٦ ،

سنة ١٩٥٨ حينما توقف السواق العاملین لدى احد المقاولین عن العمل احتجاجا على الساعات الاضافية (٣٧) .
ولكن من المهم الاشارة الى ان الاضطرابات العمالية عام ١٩٥٦ كانت آخر تحرك كبير تقوم به البروليتاريا السعودية من الخمسينات الى السبعينات .

تأزم الوضع الداخلي في اواسط النصف الثاني من الخمسينات .
لم يكن سعود يتمتع بالهيبة وقوة الشخصية اللتين كانتا سمة عبد العزيز ، ولكنه كان يحاكى والده فى نواقصه الى حد كبير بحيث بدا نسخة كاريكاتورية عنه . فقد واصل العيش فى عالم يمت الى ماضى الجزيرة وله حريم كثير العدد وبلاط قوامه خمسة آلاف شخص ، وكان يبذر المال معتبرا عوائد البلد ملكه الخاص ولا يقر بوجود فرق بين كثرة المال ولا محدوديته (٣٨) .

وكان طرد فيلبى من القرائن التى توضح الجو السائد فى البلاد عقب وفاة عبد العزيز . فبعد وفاة ابن سعود اخذ فيلبى ، الذى كان يعتبره بطلا ، يتحدث جهارا عن الفساد المستشري فى البلاط والمملكة مما اثار نقمة سعود . ولكن ما ان غادر فيلبى البلد حتى وجد جمهورا كبيرا ومنبرا لانتقاد النظام . فاختار الملك اهون الشرين وسمح له بالعودة لكى يقضى آخر سنوات حياته فى وطنه الثانى (٣٩) .

اخذت الرشوة تنخر فى جهاز الدولة من اعلاه الى ادناه . وجاء فى كتاب «جسيم الحكم السعودى» الصادر عن ممثلى المعارضات الديمقراطية الثورية ، ان حاكم المنطقة الشرقية حصل على ثلاثين الف ريال مقابل اطلاق سراح مقاولين كبار حكم عليهم بالسجن سنة واحدة والضرب لتعاطيهم الخمرة (٤٠) .

وزاول الكثير من افراد العائلة المالكة وامراء المحافظات عمليات نقدية غير مشروعة . فقد استغل حاكم المنطقة الشرقية سلطته وارغم البنوك على بيعه النقد الاجنبى وفق السعر الرسمى (الدولار الواحد= ٣,٧٥ ريال) ومن ثم قام ببيع الدولار الواحد فى السوق السوداء مقابل ستة ريالات او اكثر (٤١) .

خلال فترة ١٥-٢٠ سنة الاولى من «عصر النفط» ادت الزيادة الكبيرة فى عائدات النخبة الحاكمة الى زيادة الطلب على العمال العبيد . ورغم ان الرق كان الى حد ما ذا طابع ابوى ، فان العبيد

غالباً ما كانوا يتعرضون لاستغلال بشع ومعاملة قاسية فى احوال كثيرة . ولكن ظلت قائمة عادة عتق العبيد حينما يكون السيد فى النزاع الاخير لان الاسلام يعتبر ذلك مغفرة للذنوب .
وفى الخمسينات استمرت فى السعودية تجارة العبيد واسواق الرقيق ، وكان غالبية العبيد من الصومال واثيوبيا والسودان والمستعمرات الفرنسية فى غرب افريقيا ، علاوة على بلوجستان .
لم تتأثر تجارة الرقيق فى السعودية كثيراً بالكفاح الدولى ضد هذه الآفة . وكانت الحكومة السعودية قد اعلنت عام ١٩٣٦ ان استيراد العبيد او استعباد الحر امر غير مشروع ويعاقب المخالف بالحبس لمدة لا تتجاوز السنة . ولكن تجارة الرقيق استمرت عملياً وكان العبيد ينقلون الى السعودية فى الغالب اثناء موسم الحج كحجاج (٤٢) .

ادى انتشار الفساد بين الفئة الحاكمة وعدم التمسك بالزهد ولو شكلياً ، والترفع فى الملبس وابهة القصور والسيارات ، الى اثاره النكمة ليس فى اوساط الجماهير فحسب بل ولدى بعض العلماء من الحريصين على التقاليد الوهابية ، وخاصة الذين لم يرتقوا الى قمة السلم الدينى . واعتبر هؤلاء ان اعتماد عناصر «التحديث» وان كانت سطحية ، وانماط الحياة الجديدة «بدعة» مرفوضة .
وتعارضت افكارهم مع اراء مجموعة العلماء المقربة من البلاط .
فى معرض الحديث عن علماء الدين «الرسميين» يقول فيلبى :
«يبدو ان العلماء المسؤولين عن الاخلاق والسلوك فى البلد قد تخلوا عن رسالة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر معتبرينها مهمة عقيمة . الم تكفم افواههم بالذهب ؟ . . . يحصل العلماء على مبالغ طائلة مخصصة للانفاق على الفقراء والمحتاجين وما الى ذلك من اعمال الخير» . ولم يقدم اى كشف بالحساب من قبل هؤلاء «الاطهار المنزهين» . . . «ولا توجد اية وصولات ممن يتلقون العون . . . وهناك فرص سانحة لنهب اموال الدولة ، فتحى علماء الدين الوهابيون بشر قبل كل شئ» (٤٣) .

فى مطلع الخمسينات ، وخاصة بعد الثورة المصرية عام ١٩٥٢ وتحت تأثيرها ، ظهرت براعم تنظيم ديمقراطى ثورى سرى معارض للنظام . وكانت اول مجموعة شكلت بفعل الاضراب العمالي عام ١٩٥٣ هى جبهة الاصلاح الوطنى التى اسسها شباب سعوديون

من منتسبي القوات المسلحة والموظفين والمستخدمين فى ارامكو والذين حصلوا على نصيب من التعليم . واعلنت الجبهة ان اهدافها هى (١) تحرير البلاد الناجز من الهيمنة الامبريالية ومن التسلسل الاقتصادى لارامكو وشركات النفط الاخرى . (٢) اعتماد دستور يكفل الانتخاب البرلمانى ويضمن حرية النشر والتجمع واجازة الاحزاب والنقابات وحرية التظاهر والاضراب . (٣) تطوير الصناعة الوطنية وتوفير البذور والاسمدة والآلات الزراعية للفلاحين باسعار منخفضة . (٤) الغاء الرق . (٥) اعادة النظر فى الاتفاقيات المعقودة مع شركات النفط وتعديلها بشكل يضمن حق استثمار ثروات البلد بشكل يكفل تقدمه الاجتماعى والاقتصادى والثقافى . (٦) مكافحة الامية وتأسيس مدارس البنات وتوسيع التعليم العالى والمهنى . واعتبرت جبهة الاصلاح الوطنى نشاطها جزءا من الكفاح التحررى الذى تخوضه الشعوب العربية ضد الامبريالية وفى سبيل التعاون والوحدة على اساس حر ديمقراطى . وعلى صعيد السياسة الخارجية دعت الجبهة الى تعزيز العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية مع البلدان العربية واقامة علاقات اقتصادية مع الدول الاشتراكية ، واتباع سياسة الحياد الايجابى والتعايش السلمى ومناهضة المذاهب والاحلاف الامبريالية (٤٤) .

اعلنت الحكومة السعودية عام ١٩٥٦ عن تصفية جبهة الاصلاح الوطنى ، واعتقل عدد من اعضائها ، علاوة على ٥٦ شابا عرفوا بافكارهم الديمقراطية . وصار عمل الجبهة فى الداخل صعبا للغاية ، ولكن اعضاءها واصلوا التبشير بأرائهم فى مصر وسورية ولبنان وفى المحافل الدولية (٤٥) .

كان من انشط العاملين على تنظيم جبهة الاصلاح الوطنى الملازم عبد الرحمن الشمرانى الذى عمل بين مجموعة من الضباط الشباب فى الجيش النظامى . وسجن الشمرانى مع اربعة ضباط آخرين بتهمة التآمر ضد النظام القائم ، ثم اعدم . وأهدى كتاب «جسيم الحكم السعودى» لذكراه (٤٦) .

وتحت تأثير اذاعة القاهرة وجدت الميول المناوئة للحكومة تربة خصبة بين جزء من الضباط وفئة المثقفين الناشئة والطلاب وتلاميذ المدارس .

كانت صحيفتنا «الفجر الجديد» و«اخبار الظهران» تنشران مقالات

تنتقد الحكومة علنا او بشكل غير مباشر . وقد اعتقل صاحب امتياز «الفجر الجديد» ورئيس تحريرها يوسف الشيخ يعقوب والصحفي احمد الشيخ يعقوب ، واغلقت الصحيفة . كما اعتقل رئيس تحرير «اخبار الظهران» عبد الكريم جهيمان وجلد قبل ايداعه السجن (٤٧) .

عام ١٩٥٦ اسست لأول مرة في تاريخ نجد منظمة تلاميذ المدارس في مدن عنيزة وبريدة وشقراء والرس . وكان من مطالبها الاساسية حل جماعة الامر بالمعروف التي شكلت في العشرينات وصارت «بؤرة عفن تشكل خطرا على الاطفال الطامحين الى العلم» . وطالب التلاميذ بتوحيد اساليب وبرامج التدريس وجعلها على غرار النظام المتبع في مصر وسورية ، وتأسيس معاهد عليا في البلد . ومرت في بريدة اشتباكات بين التلاميذ والمتعصبين من جماعة الامر بالمعروف والشرطة ، اعتقل اثرها عشرات الاشخاص وجلدوا (٤٨) . خشيت الحكومة ان يؤدي تطور التعليم والدراسة في الخارج الى ظهور «افكار هدامة» في البلد فقررت منع الدراسة في الخارج . وفي نيسان (ابريل) ١٩٥٥ اصدر الملك مرسوما يقضى باستدعاء كل الطلبة السعوديين الدارسين في الخارج وحرمان المخالف الجنسية السعودية . واستثنى المرسوم طلبة المعاهد العليا الذين يدرسون الهندسة والحقوق والطب (٤٩) . وكان القرار منافيا لاحتياجات البلد الى حد بحيث انه اصبح باطل المفعول عمليا بعد سنوات (٥٠) .

في محاولة لمنع الافكار الجديدة لجأت الحكومة وعلماء الدين الى سلاح مجرب ، وهو التعصب الديني ، فانتعشت في البلد جماعة الامر بالمعروف وازدادت المبالغ المخصصة لها (٥١) .

استخلص آل سعود من ثورة ١٩٥٢ في مصر التي جرت بشكل انقلاب عسكري ، استنتاجا مفاده ان ثمة خطرا على النظام يكمن في الميول الثورية في الجيش النظامي ، وعلى وجه التحديد بين الضباط الذين يتأثرون بالافكار المناهضة للامبريالية والحكم الملكي . وكان قد جرى بعد الحرب التركيز على بناء الجيش النظامي ، وابقيت الكتيبة التي كانت قد ارسلت لمحاربة اسرائيل عام ١٩٤٨ في مصر لاعدادها عسكريا . وتولت البعثتان الاميركية والبريطانية ، ومن ثم البعثة المصرية ، تدريب الجيش النظامي . (٥٢) .

وفي الخمسينات توصل الملك وحاشيته الى استنتاج مؤداه ان عصبية الاخوان الآخذة في الخمود لم تعد تشكل خطرا على النظام ، بل انها موجهة ضد «البدع» واغراءات «الحضارة العصرية» . لذا اخذت السلطات تولى اهتماما كبيرا للمجندين من البدو . اصبح البدو المجندون يسمون الحرس الوطني او «الجيش الابيض» . وجيز الحرس الوطني بالاسلحة الحديثة وصار المنتسبون اليه - المجاهدون - يتقاضون رواتب عالية . رابطت غالبية وحدات الحرس الوطني قرب المدن الكبيرة وخاصة قرب حقول النفط . وفي عام ١٩٥٧ كان يوجد من الحرس الوطني ١٠ آلاف في الحجاز وه ٥ آلاف في الاحساء وه ٥ آلاف في الشمال . ويقع مقر قيادة الحرس الوطني في الرياض ، وهناك مدارس في الحجاز ونجد لاعداد الآمرين والفنيين (٥٣) .

يورد الباحث الفرنسي المختص بشؤون الشرق الاوسط بويربي في كتابه «شبه الجزيرة العربية» مضمون اليعاز الخاص الصادر عام ١٩٥٧ بعنوان «الاخوان ينافسون الجيش» . وجاء في اليعاز ان الدولة السعودية سوف تواصل ايلاء الاهتمام لبناء جيش نظامي كبير ، غير انها تفضل مع ذلك الانفاق على وحدات افرادها من البدو فقط . ويبقى تنظيم الاخوان القوة الاساسية للجيش بسبب طابعها الديني ووفائها للأسرة المالكة . وتكمن خاصية تنظيم الاخوان في القدرة على تعبئة جيش قوامه مائة الف مقاتل خلال فترة قصيرة جدا (٥٤) .

ولكن اتضح ان الاجراءات التي اقتضت على تعزيز القوات المسلحة لم تكن من الفعالية بالقدر الكافي لتوطيد النظام . فقد كان البلد على حافة افلاس اقتصادي . وادى تبذير آل سعود والبلاط الملكي ونهب اموال الدولة على اوسع نطاق ، الى ان ديون العربية السعودية للبنوك الاجنبية وحدها بلغت عام ١٩٥٨ زهاء ١٢٠ مليون دولار . وبلغت ديون خزانة الدولة للبنوك المحلية والتجار ورجال الاعمال والمقاولين مئتين ملايين الريالات . وطوال عدة اشهر لم يتقاض الموظفون رواتبهم فاضطروا الى الاستلاف او الاختلاس (٥٥) .

في سنتي ١٩٥٦-١٩٥٧ تقلصت الى حد كبير المدفوعات عن حقوق الامتياز بسبب اغلاق الاسواق الاوربية امام النفط السعودي

وبدء انخفاض «الاسعار القياسية» . وادى تقلص استيراد السلع ، ومن ضمنها الاغذية ، الى تزايد الاسعار داخل البلد . وقاد الغلاء وتقلص تدفق العملة من الخارج الى التضخم والمضاربة بالنقد . وبسبب عدم توفر العملة اللازمة لشراء السلع الضرورية والمعدات في الخارج صار الكثير من المقاولين والتجار السعوديين على حافة الافلاس ، وساعد ذلك على انتشار الاستياء في اوساطهم .

وقد حاول بعضهم اقامة صلات مع البلدان الاشتراكية . ففي عام ١٩٥٧ اشترى التاجر السعودي العيسى كمية كبيرة من الاسمنت السوفييتي . وزار بعض رجال الاعمال تشيكوسلوفاكيا حيث اتفقوا على شراء معدات مصنع للسكر وسلع صناعية ومواد غذائية . الا ان ارامكو رفضت التعاون مع التجار ورجال الاعمال الذين يتعاملون مع الدول الاشتراكية ومنعت استخدام الاسمنت السوفييتي في مشاريع البناء التي ارسنها على مقاولين محليين وهددت المخالف بفسخ عقد المقاولة . وضغطت الحكومة الامريكية على الملك فمع التعامل التجارى مع البلدان الاشتراكية (٥٦) .

احدثت السياسة الداخلية للحكومة السعودية استياء بين اوسع فئات السكان وبدأت تتكون في البلد عناصر وضع ثورى .

كان كل من الطبقة الحاكمة والمعارضة يضع في حسابه عاملا آخر بالغ الخطورة ذا اهمية بالنسبة لمصير النظام ، ونعنى التأثير الثورى الذى يمارسه الوضع السياسى في الشرق الاوسط على الاوضاع في العربية السعودية .

الاتجاهات الاساسية للسياسة الخارجية . نشر الزركلى وثيقة سرية هامة تحدد السياسة الخارجية للعربية السعودية في النصف الثانى من الاربعينات والنصف الاول من الخمسينات ، ونعنى بتلك الوثيقة التعليمات السرية التى تلقاها ولى العهد سعود قبيل زيارته الى الولايات المتحدة عام ١٩٤٧ .

واشارت التعليمات الى «وجود مصالح عديدة ومشاعر باهداف عامة» تربط بين السعودية والولايات المتحدة الاميريكية . وثبتت هذه الافكار في رسالة رسمية الى الرئيس ترومان . وطلب من الامير سعود ان يؤكد للرئيس الامريكى ولاعضاء حكومته تصميم السعودية «على اتخاذ جميع التدابير التى تكفل حسن العلاقات وت تنمية الصداقة والمصالح الاقتصادية والادبية للجانبين» . كما طلب ابن

سعود من ولده ان ينقل للامريكان «اننا قد نظرنا بعين الرضاء والاطمئنان الى ترك الولايات المتحدة سياسة العزلة والانقطاع التي كانت تسير عليها فى الماضى ، وعلقنا الآمال الجسام على دخولها معترك سياسة الشرقين الادنى والاوسط» . وبالنسبة لبريطانيا اراد ابن سعود ان يقوم ولى العهد بافهام ترومان ورجال حكومته «اننا ، منذ نشأتنا ، كنا ولا نزال اصدقاء اوفياء لبريطانيا بالرغم من . . . حصول مشكلات ومتاعب عديدة . خَبَرنا الانكليز وهم خَبَرونا ، وعرفناهم وهم عرفونا» لذا فان التفاهم بين الطرفين كان سهلا رغم ان بريطانيا اتخذت «مواقف سلبية او غير ودية فى بعض الاحيان» ازاء السعودية .

وجاء فى التعليمات «ان بريطانيا كانت حريصة على الاحتفاظ بمنطقة الشرق الاوسط ، ضمن دائرة النفوذ السياسى والاقتصادى البريطانى . غير ان دخول امريكا بنشاطها الملموس ، اثار مخاوف الانكليز . ومن ثم بدأنا نشعر بانحرافهم عنا الى خصومنا» واشارت التعليمات الى «عدول بريطانيا عن سياسة التوازن بيننا وبين خصومنا ، وشروعها فى تقويتهم بصورة مباشرة وغير مباشرة» . وطلب من سعود التأكيد على ضرورة التفاهم مع الولايات المتحدة ، والمحت التعليمات الى ان «التفاهم مع اميركا امر ضرورى . وهو ما نرجو ان نعلم من الآن المدى الذى توافق اميركا على السير فيه» .

يتعلق البند السابع من التعليمات بموقف السعودية من الاتحاد السوفييتى ، الذى زعم انه يشكل «خطرا غير مباشر» على المملكة بسبب «العلاقات القوية» بين الشيوعية والصهيونية و«الدعاية الروسية» التى تقوم بها الكنيسة الارثوذكسية . وجاء فى الوثيقة «اننا نناهض الصهيونية والشيوعية ، ولا نرى ان تتخذ الكنيسة الارثوذكسية وسيلة للدعاية الروسية فى البلاد العربية» .

اما البند الثامن فيتناول الصهيونية ويذكر «نحن مسلمون عرب ، قبل كل شئ» . واليهود اعداء ديننا منذ ظهور الاسلام» ولكن «الاسلام لا يقر مبدأ العنصرية . . . ونحن لسنا عنصريين . ولسنا نقاوم اليهود لانهم يهود ، ولكننا نقاوم السياسة التى يدعو اليها بعض اليهود . اى الصهيونيون . السياسة الغاشمة . واسباب مقاومتنا لها عديدة ونذكر اهمها :

- (١) الصهيونية غاشمة ظالمة وتقوم على مبدأ جائر .
- (٢) انها تتظاهر بانها قائمة على اساس تخليص اليهود المضطهدين . وكيف يجوز معالجة اضطهاد باضطهاد آخر ؟ او رفع الحيف بايقاع حيف آخر اشد منه ؟
- (٣) لانها مناقضة للمصالح السياسية القائمة في البلاد العربية .
- (٤) لانها تهدد البلاد العربية من الوجهتين الحربية والاستراتيجية» .
- يخص البند التاسع من التعليمات الرئيس الامريكى . «فالمسألة الاولى التى نراها هى ضرورة تجرد السياسة الامريكية عن التأثير بالعوامل اليهودية المحلية وتحررها من سيطرة الدعاية الصهيونية . والمسألة الثانية نرى ضرورة الفصل بين قضية اللاجئين المضطهدين والصهيونية السياسية ، للاسباب الآتية :
- (١) ان فلسطين لا يمكنها استيعاب جميع اللاجئين من اليهود فهى اذن ليست بحل للموضوع .
- (٢) لا يجوز ارغام بلاد ما على قبول لاجئين اليها بدون ارادتها .
- (٣) ليس من العدل ان ترفض الولايات المتحدة قبول اللاجئين اليها ، بينما هى تصر على ضرورة فرضهم على فلسطين . . .
- (٥) ان قضية المائة الف لاجئ ليست فى الحقيقة مسألة انسانية ولكنها ستار لتبرير ايجاد اكثرية يهودية فى فلسطين .
- (٦) ليس من الحق ولا من العدل او الانصاف ، ان تسمح الحكومة الامريكية لرعاياها من اليهود بان تكون لهم سياسة مزدوجة ، كأنهم رعايا دولتين منفصلتين . فيجب ان يكون اخلاصهم للولايات المتحدة فقط ، لا ان يكونوا مواطنين امريكيين وصهيونيين فى نفس الوقت» .
- وكانت السعودية بحاجة الى الرساميل الامريكية لاغراض التنمية ، فقدم لها قرض قيمته عشرة ملايين دولار ، بيد انها كانت تروم الحصول على ٢٥-٣٠ مليون دولار اخرى لمد خط للسكك الحديد من الخليج الى الرياض .
- ان التعليمات التى نشرها الزركلى (٥٧) وثيقة فريدة لم ينشر ما يماثلها . فقد حددت الحكومة السعودية فيها بوضوح تام ان بريطانيا هى خصمها السياسي الخارجى . وطوال سنوات عديدة تزعم عبد العزيز دولة تقع فى دائرة النفوذ البريطانى التام ، وسارت العربية السعودية فى فلك السياسة الخارجية البريطانية ، رغم استقلالها شكليا . وبظهور منافس قوى لبريطانيا ، هو

الولايات المتحدة ، تمكنت السعودية من اضعاف ، ثم قطع اواصر التبعية التي تربطها بلندن . وساد العائلة السعودية الحاكمة رأى مفاده ان الاعتماد على الولايات المتحدة لا يجب ان يؤدى الى بسط هيمنة استعمارية امريكية .

على الصعيد العربى ظلت العائلة الهاشمية الحاكمة فى شرق الاردن والعراق والتي تقف وراءها بريطانيا الخصم الخطر لآل سعود . وكانت خطتا «سورية الكبرى» و«الهلال الخصيب» اللتان جرى اعدادهما فى العاصمتين الهاشميتين خطرا يهدد العربية السعودية (٥٨) . وظلت المحميات البريطانية تطوق المملكة بنصف دائرة فى شبه الجزيرة العربية التي تعتبرها الرياض مجالا لنفوذها . وكان عبد العزيز يتسم بقدر كاف من الحذر منعه من تحدى بريطانيا مباشرة ، ولكنه حاول الارتكاز على الولايات المتحدة للوقوف ضدها .

ان النزعة المناوئة لبريطانيا فى السياسة الخارجية للعربية السعودية فى اواخر الاربعينات وبداية الخمسينات قد ادت بها الى عقد تحالفات ومناورات سياسية غير متوقعة . ويجب الا يغرب عن البال ان حركة التحرر الوطنى فى البلدان العربية ذات الصبغة القومية آنذاك ، كانت مناوئة لبريطانيا بالدرجة الاولى . وفى البداية لم يكن زعماء الحركة يعتبرون الولايات المتحدة عدوهم الرئيسى . (كان ذلك قبل سنوات من ازمة السويس وانهياء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ والذى كان يعنى افول الاستعمار البريطانى فى الشرق الاوسط) . لذا فان مصالح الاسرة الاقطاعية الحاكمة فى الدولة السعودية تطابقت وقتيا مع النضال التحررى الوطنى لبلدان عربية اخرى رغم كونه ذا طابع اجتماعى مختلف .

وكانت معاداة الشيوعية متماشية مع فكر الفئة السعودية الحاكمة . ويبدو ان مستشارى ابن سعود هم الذين صاغوا معاداة الشيوعية بالشكل الذى اعتمد فى المملكة (الشيوعية المرتبطة بالصهيونية ، والتي تستخدم علاوة على ذلك الكنيسة الارثوذكسية كاداة للتغلغل) . ومن المؤكد ان واحدا من اولئك المستشارين كان فؤاد حمزة ، ذلك الشخص الذى كان هتلر قد عرض من خلاله على ابن سعود «عرش حاكم العرب» مقابل التعاون مع المانيا النازية

ومحاربة بريطانيا . وظلت المسعة النازية لهذه المنطلقات الايديولوجية طاغية على السياسة الخارجية للعربية السعودية سنوات طويلة . ورغم ان مصلحة الدولة لكل من الاتحاد السوفييتي والعربية السعودية لم تكن متضاربة في قضايا كبيرة ، بل غالباً ما كانت تتطابق فان العداء للشيعية وللالاتحاد السوفييتي البالغ حد اللامعقول كان يغشى بصيرة الزعماء السعوديين ويحول بينهم وبين اقامة ابسط الصلات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي ، ويضعف استقلال البلد .

اتخذت العربية السعودية موقفا ثابتا ، قولا وتصريحا ، ازاء القضية الفلسطينية . فقد كان ابن سعود قد اشار منذ عام ١٩٣٧ في حديثه مع ديكسون الى اعتقاده بان الهدف النهائي للصهاينة هو الاستيلاء ليس على فلسطين فقط ، بل وعلى ارض تمتد حتى المدينة المنورة ، وفي الشرق يأملون بسط هيمنتهم على اراض تمتد الى الخليج العربي (٥٩) . وحاول الصهاينة مرارا التوصل الى اتفاق مع الملك . ومن هذه المحاولات العرض الذي نقله فيلبي من وايزمان (رئيس اسرائيل فيما بعد) الى ابن سعود عام ١٩٤٠ . اذ ان الصهاينة استغلوا مصاعب ابن سعود المالية فعرضوا عليه عشرين مليون جنيه استرليني مقابل تخليه عن موقفه ازاء القضية الفلسطينية والقبول باسكان كل عرب فلسطين في الجزيرة العربية . وقد رفض ابن سعود هذا المشروع (٦٠) .

ان ما ورد في التعليمات الموجهة الى سعود من تقييمات للنفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة والسياسة الصهيونية في فلسطين هي واقعية في بعضها ومبالغ في بعضها الآخر . وبعد ان اخل ترومان بالوعد الذي قطعه روزفلت بعدم انتهاج سياسة معادية للعرب حيال القضية الفلسطينية ، نشأت تعقيدات بين واشنطن والرياض ازاء هذه القضية . بيد ان عبد العزيز ومن تلاه من ملوك كانوا يتعاملون مع القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني بشكل براغماتي بحث ، واضعين في المقام الاول المصالح الملموسة للعائلة السعودية الحاكمة التي ازدادت روابطها بالولايات المتحدة متانة . وعوضا عن المساهمة في النضال ضد مشاريع الصهاينة وضد العدوان الاسرائيلي فيما بعد كانت العربية السعودية «تدفع البلاء» بتصريحات شديدة اللهجة على غرار ما ورد في التعليمات الموجهة

الى سعود ، او بتقديم عون مالى للفلسطينيين ودول المواجهة .
منذ السنوات الاولى التى اعقبت الحرب تعقدت علاقات الولايات المتحدة مع العربية السعودية بسبب الدعم الأمريكى للمطامع الصهيونية فى فلسطين ، ولنهج اسرائيل التوسعى العدوانى فيما بعد . ففى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٥ قال الرئيس ترومان فى حديثه مع رؤساء البعثات الدبلوماسية الأمريكية فى البلدان العربية الذين ابدوا تخوفهم من ميل واشنطن الواضح الى جانب الصهاينة ، قال «انا آسف جدا ، ولكن ينبغى على ان احسب حساب مئات الآلاف من المقيمين فى بلدى الذين لهم مصلحة فى انتصار الصهيونية . وليس بين ناخبىّ مئات الآلاف من العرب» (٦١) . ان هذه الكلمات الصلغة يمكن ان تكون دليلاً لاي تصريح صادر عن اى رئيس أمريكى بخصوص النزاع فى الشرق الاوسط .
واصلت العربية السعودية فى السنوات الاولى التى اعقبت الحرب السعى للحصول على مساعدات اقتصادية وعسكرية أمريكية وحصلت عليها بالفعل . وقدم اول قرض للمملكة ، خارج اطار برنامج الاعارة والتأجير ، فى نيسان (ابريل) ١٩٤٥ وكان قدره خمسة ملايين دولار خصصت لتمويل شراء سلع من الولايات المتحدة . وقدم القرض الثانى فى آب (اغسطس) ١٩٤٦ وكان عبارة عن عشرة ملايين دولار لمدة عشر سنوات (بفائدة سنوية قدرها ٣٪) لشراء مواد غذائية ومعدات زراعية من الولايات المتحدة . وفى السنة نفسها قدم القرض الثالث وقدره ٢٥ مليون دولار لشراء منتجات زراعية . وحصلت السعودية على عشرة ملايين دولار نقداً لاعادة تجهيز ميناء جدة وكهربة مدينة جدة . وقدمت كل هذه القروض من قبل بنك التصدير والاستيراد الأمريكى (٦٢) .
وعلاوة على ذلك حصلت السعودية فى ايار (مايو) ١٩٤٦ على قرض من الوكالة الأمريكية لتصفية فائض المعدات العسكرية الأمريكية فى الخارج قدره مليونى دولار كسلفة تجارية لشراء معدات عسكرية (٦٣) .

عند حلول عام ١٩٥١ كان قد انجز مد خط للسكك الحديدية بين الدمام والرياض بمساعدة أمريكية . وطبقاً للنقطة الرابعة من «برنامج ترومان» التزمت الولايات المتحدة منذ عام ١٩٥٢ بمساعدة العربية السعودية فى تطوير الزراعة والمواصلات والثروات

الطبيعية . واقتصرت هذه «المساعدة» عمليا على الدراسات وكانت مخصصاتها ضئيلة (١,٧ مليون دولار وفق مصادر سعودية) . اضيف الى ذلك ان جزءا كبيرا من الاموال كان مخصصا للانفاق على البعثة الامريكية ذاتها . ونظرا لذلك قررت العربية السعودية عام ١٩٥٤ الكف عن التعاون مع الولايات المتحدة وفق النقطة الرابعة ، وتذرعت شكليا بان اسرائيل تحصل على مبالغ اكبر بكثير وفق البرنامج نفسه (٦٤) .

كانت القاعدة الجوية فى الظهران التى انجز بناؤها عام ١٩٤٦ الركيزة العسكرية الاساسية للولايات المتحدة فى السعودية . وقد مدد عقد ايجار القاعدة لمدة خمس سنوات حسب اتفاقية وقعت فى ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٥١ ، وتعهدت الولايات المتحدة مقابل ذلك بتجهيز الجيش السعودى بطائرات ودبابات حديثة . ونص ملحق خاص بالاتفاقية على ان يتولى خبراء امريكان تدريب الطيارين السعوديين .

اصبحت الظهران مقراً للمستشارين الامريكان الذين وصلوا الى السعودية عام ١٩٥٢ ، وتولوا اعداد القوات الجوية السعودية فى جدة والطائف . وكان اتساع نشاط الخبراء العسكريين الامريكان يعنى ازاحة البريطانيين الذين تولوا تدريب الجنود السعوديين منذ عام ١٩٤٧ (٦٥) .

العلاقات مع بريطانيا . ازمة البريمى . لم ترسم الحدود بين العربية السعودية والمحميات البريطانية - قطر وامارات ساحل الصلح البحرى وعمان ومحميات عدن (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فيما بعد) - ومع اليمن فى منطقة الربع الخالى ، وكانت الحدود موضع خلافات . واكتسبت المسألة حدة خاصة فى اواخر الثلاثينات ، وخاصة فى الاربعينات عندما بدأ البحث عن النفط فى مناطق شاسعة من شبه الجزيرة العربية . واصبحت عائدة هذه الاراضى الصحراوية او تلك ، والتى لم تكن لها من قبل قيمة اقتصادية ، مثار نزاعات بسبب احتمال وجود النفط فيها .

وفى اواخر الاربعينات جرى بين السعودية وبريطانيا صراع ضار على واحات البريمى . وادعت ملكية الواحات كل من اماره ابوظبى وسلطنة مسقط اللتين كانتا تحت الحماية البريطانية ، والمملكة العربية السعودية .

بلغت مساحة البريمي ، حيث توجد تسعة مراكز مأهولة ، زهاء ألفي كيلومتر مربع . وكانت المنطقة تعتبر تقليديا مركز تقاطع طرق القوافل المتجهة الى الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية ، والحقت بالدولة السعودية الاولى عام ١٧٩٥ . واعتبر السعوديون البريمي جزءا من المنطقة الشرقية وقالوا ان هيمنتهم على الواحات استمرت ١٥٥ سنة . وطعنت بريطانيا بهذه الادعاءات معلنة ان فترة السيطرة السعودية لم تكن الا لمحة عابرة في تاريخ البريمي ، وان المنطقة تعود لابوظبي وسلطان مسقط .

يقول الزركلي «امتدت انوف المنقبين عن النفط ، تشتم رائحته في بعض اراضي البريمي . ولم ير الملك عبد العزيز بأسا في ان يقوم بعض مهندسي شركة الزيت العربية الامريكية بالتنقيب» . كان ذلك عام ١٩٤٩ (٦٦) .

طالبت الحكومة البريطانية ، نيابة عن ابوظبي ومسقط ، بوقف التنقيب في «اراض لم يتفق على عائدتها» . فقرر عبد العزيز الا يصعد الازمة وامر باستدعاء الباحثين عن النفط من هذه الاراضي وتأجيل الاعمال لحين الاتفاق على تدقيق الحدود . غادر جيولوجيو ارامكو وبدأ تبادل سيل من المذكرات بين الحكومتين البريطانية والسعودية .

غير ان جيولوجي B.I.P.C. («بريتيش بتروليوم» فيما بعد) بدأوا عام ١٩٥٠ التنقيب في بعض الجزر التي تعتبرها السعودية ملكا لها . ومن ثم بدأوا البحث عن النفط في اراض «لم يتفق» على عائدتها حسب قول البريطانيين .

في ٢١ ايار (مايو) ١٩٥٠ احتجت الحكومة السعودية ، وفي الثالث من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٠ رد السفير البريطاني في جدة بان حكومته ترى ان ادعاء الحكومة السعودية بهذه الاراضي ليس له اساس (٦٧) .

عقد في آب (اغسطس) ١٩٥١ لقاء في لندن بين وفد سعودي برئاسة وزير الخارجية فيصل ووفد بريطاني برئاسة وزير الخارجية موريسون . وتقرر عقد مؤتمر خاص يشترك فيه ممثلون عن الامارات المعنية ويترأسه مندوب بريطاني وممثل عن الملك عبد العزيز للاتفاق على الحدود . واتفق الطرفان على وقف اعمال التنقيب

الجيولوجى وتحركات القوات المسلحة فى المنطقة المتنازع عليها
لحين انجاز المؤتمر (٦٨) .

فى اواخر كانون الثانى (يناير) وفى شباط (فبراير) ١٩٥٢
عقد المؤتمر فى الدمام ولكنه لم يتمخض عن نتائج (٦٩) .
بدأ تدهور العلاقات السعودية - البريطانية يشمل مجالات لا
علاقة لها بالخلاف على الاراضى . ففي سنة ١٩٥١ توقف عمل
البعثة العسكرية البريطانية فى السعودية . وكانت مجموعة صغيرة
من المستشارين العسكريين البريطانيين قد ارسلت الى السعودية
اثناء الحرب العالمية الثانية ولكن عملها لم يؤد الى نتائج تذكر
فاستدعيت قبل انتهاء الحرب . وفى سنة ١٩٤٧ استأنفت البعثة
العسكرية البريطانية عملها لتتولى تدريب عشرة آلاف بدوى للعمل
فى وحدات شكلت على غرار الفيلق العربى بشرق الاردن . وارسل
للدراصة فى الكليات العسكرية البريطانية نفر قليل من الضباط
السعوديين غالبيتهم من ابناء الملك واقربائه . وتوقف هذا التعاون
بسبب النزاع على البريمى . وابتداء من سنة ١٩٥٢ اخذ الامريكان على
عاتقهم اعداد الكوادر العسكرية السعودية ، بعد ان توطدت مواقعهم
الاقتصادية فى البلد (٧٠) .

بعيد اخفاق مؤتمر الدمام وصل الى البريمى وكيل سياسى
بريطانى «لاداء وظائفه الادارية» .

وتلقى حاكم الاحساء ايعازا من عبد العزيز بتشكيل بعثة مدنية
وارسالها الى البريمى . وترأس البعثة تركى بن عطيشان الذى
عين رئيسا اداريا لها ، وانتقل فى مطلع ايلول (سبتمبر) ١٩٥٢
الى البريمى ونزل فى حماسا .

وللتو توجه الوكيل السياسى البريطانى من الشارجة الى
البريمى على رأس وحدة عسكرية ، وتوقف على بعد اربعة كيلومترات
من السعوديين وبدأت الطائرات البريطانية تحوم فوق حماسا على
ارتفاع منخفض ، وطالب البريطانيون ابن سعود باستدعاء بعثة
ابن عطيشان (٧١) .

فى ١٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٢ عرض السفير الامريكى فى
جدة التوسط بين الطرفين واقترح ان يحجما عن الاعمال الاستفزازية
ويلازما مواقعهما فى البريمى ويستأنفا المفاوضات . وكان هذا
الاقتراح فى صالح ارامكو لانه يبقى للسعوديين نصف الحقوق

فى البريمى على اقل تقدير . واقترح عبد العزيز اجراء استفتاء بين سكان الواحات ولكن البريطانيين رفضوا الاقتراح (٧٢) .

عاد الجيولوجيون البريطانيون الى منطقة البريمى عام ١٩٥٣ ، ولكن عبد العزيز تهيب من اعطاء اذن للامريكان بالبحث عن النفط لعدم رغبته فى تعميق النزاع مع بريطانيا . وحينما توفى الملك فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٥٣ كان تركى بن عطيشان ما زال فى موقعه محاصرا ، بينما واصل البريطانيون البحث عن النفط بوتائر حثيثة (٧٣) .

فى تموز (يوليو) ١٩٥٤ وقع مندوبون عن السعودية وبريطانيا اتفاقية فى نيس حول رفع الخلاف الى هيئة تحكيم بدأت اعمالها فى جنيف فى مطلع عام ١٩٥٥ . وفى شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٥٥ استقلال ممثل بريطانيا فى المحكمة لادراكه ان قرارها لن يكون فى صالح بلاده (٧٤) .

وفى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٥ ادخلت الى البريمى وحدات من ابوظبى ومسقط بقيادة ضباط بريطانيين . وبعد مقاومة رمزية استسلم رجال الشرطة السعوديون ، فاعيدوا الى وطنهم عبر ابوظبى والبحرين . وزعم البريطانيون انه ليس لهم دخل فى احتلال الواحة ، بل ان القوات المسلحة لابوظبى ومسقط هى التى احتلتها . واكدت الحكومة السعودية انه لا توجد خلافات بينها وبين ابوظبى او مسقط ، بل ثمة خلافات بينها وبين الحكومة البريطانية ، واحتجت وطالبت بسحب القوات البريطانية ، ثم رفعت شكوى ضد بريطانيا الى مجلس الامن للأمم المتحدة (٧٥) .

التزمت الولايات المتحدة فى هذه المسألة الجانب السعودى ولكنها عملت كوسيط خوفا من تفاقم النزاع واقنعت الحكومة السعودية بسحب احتجاجها المرفوع الى هيئة الامم المتحدة واستئناف المفاوضات مع بريطانيا . وفى ايار (مايو) ١٩٥٦ وصل الى جدة وكيل وزارة الخارجية البريطانية وعقد سلسلة من الاجتماعات مع فيصل ، ثم واصل السفير البريطانى فى جدة التفاوض من بعده . ولكن السعودية قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا فى ٩ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٥٦ وحظرت تصدير النفط اليها بسبب اشتراكها فى العدوان الثلاثى على مصر (٧٦) . بعد اعلان استقلال الكويت فى حزيران (يونيو) ١٩٦١ واجهت

هذه الامارة خطر غزوها من قبل العراق . وقد ساندت السعودية الكويت والفت نفسها في جانب واحد من المتاريس مع بريطانيا . وارسلت الى الكويت قوات سعودية وبريطانية ظلت هناك حتى كانون الثاني (يناير) ١٩٦٣ . وفي سنة ١٩٦٤ اقتسمت السعودية والكويت ادارة المنطقة المحايدة ، ولكنهما حافظتا على الاتفاقية السابقة القاضية بتقاسم الموارد النفطية مناصفة (٧٧) .

اخذت التناقضات السعودية البريطانية تنحسر تدريجيا تحت ضغط مصالح الطرفين المشتركة في محاربة الحركة الثورية والتحررية الوطنية في الشرق الاوسط عامة والجزيرة العربية خاصة . وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٦٢ التقى الامير فيصل في دورة هيئة الامم المتحدة بنيويورك مع وزير الخارجية البريطاني واتفقا على استئناف العلاقات الدبلوماسية واجراء مفاوضات جديدة حول البريمي . وفي تموز (يوليو) ١٩٦٣ عاد السفير السعودي الى لندن .

في الخمسينات كانت احداث عمان قد زادت من تعقيد العلاقات السعودية البريطانية . فقد اخذت الرياض تساند اعداءها السابقين من الاباضيين الذين حاولوا تأسيس دولة مستقلة في عمان وخاضوا من عام ١٩٥٤ وحتى عام ١٩٥٩ كفاحا مسلحا ضد البريطانيين وقوات سلطان مسقط . وبعد هزيمة امامة عمان عام ١٩٥٩ التجأ قادتها الى العربية السعودية (٧٨) .

سياسة المملكة في الشرق الاوسط . شارك مندوب عن السعودية في المفاوضات التي جرت بمصر عام ١٩٤٣ حول تأسيس منظمة اقليمية للبلدان العربية . ووقع ولي العهد سعود وثائق تأسيس جامعة الدول العربية في القاهرة عام ١٩٤٥ .

لقد ايدت بريطانيا تأسيس هذه المنظمة الاقليمية آملّة استخدامها كاداة للابقاء على نفوذها في الشرق الاوسط ، ولكنها عجزت فيما بعد عن وقف العمليات الاجتماعية السياسية ذات الطابع المناوئ لبريطانيا ، كما عجزت عن شل حركة التحرر الوطني في البلدان العربية .

لم تسنح لابن سعود الفرصة للعب دور قيادي في الجامعة العربية ، لذا كان موقفه ازاءها متحفظا في المرحلة الاولى . وقد اخافه تأثير الاسرة الهاشمية المعادية له على المنظمة ، كما انه لم

يكن مرتاحا لمطامع مصر فى الزعامة . لذا اشترطت الرياض لانضمامها الى الجامعة الحفاظ على وحدة اراضى واستقلال سورية ولبنان معتبرة اياهما المعادل للأسرة الهاشمية ، كما اشترطت ضمان الحدود القائمة بين البلدان العربية .

فى السنوات الاولى التى اعقبت الحرب اعتبر ابن سعود الاسرة الهاشمية الدخيم له . ومن الطبيعى ان يقف ابن سعود ضد مشاريع اقامة امبراطورية هاشمية تضم العراق وسورية ولبنان وفلسطين وشرق الاردن باسم «الهلل الخصب» او امبراطورية اصغر باسم «سورية الكبرى» . كما كانت القاهرة تنظر بعين الريبة الى مثل هذه المشاريع .

ظل عبد الله ، امير شرق الاردن ، يأمل فى استعادة سلطة عائلة الشريف على الحجاز . وفى عام ١٩٤٧ رتب ما يدعى بمؤتمر الحجاز الذى ايد الكتل المناوئة للسعوديين فى الحجاز . وردا على ذلك هددت الحكومة السعودية بان تثير مجددا مسألة منطقتى العقبة ومعان المتنازع عليهما واللتين كانت تعتبرهما جزءا من الحجاز . وتخلى عبد الله مؤقتا عن مشاريع اقامة «سورية الكبرى» بحجة ضرورة اتخاذ مواقف عربى موحد حيال القضية الفلسطينية ووقوف الدعاية المناوئة للسعوديين فى الحجاز (٧٩) .

خلال فترة الانتداب فى فلسطين قامت الحكومة البريطانية بانشاء «وطن قومى لليهود» هناك . وعملت السلطات البريطانية على اثاره التناح القومى والاشتباكات بين العرب واليهود بغية الابقاء على هيمنتها فى فلسطين .

وفى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٦ دعا الرئيس ترومان الى تأييد الصهاينة فى فلسطين والسماح بدخول مائة الف يهودى الى البلد دون مشاورات مع الدول العربية . وردا على ذلك بعث ابن سعود رسالة الى ترومان جاء فيها : «لقد دهشت للاذاعات الاخيرة التى نسبت تصريحى لفخامتكم بدعوى تأييد اليهود فى فلسطين وتأييد هجرتهم اليها بما يثر على الوضعية الحاضرة فيها خلافا للتعهدات السابقة» (٨٠) .

عندما احيلت المسألة الفلسطينية الى هيئة الامم المتحدة (١٩٤٧) كانت العلاقات بين اليهود والعرب فى فلسطين قد تآزمت الى اقصى حد ، ولكن الدول العربية نفسها لم تجتمع على رأى حيال

فلسطين . فقد كانت شرق الاردن تريد ضم فلسطين ، بينما عارضت هذه المطامع السعودية ومصر وغيرهما من اعضاء الجامعة العربية . كما جوبهت مشاريع الامير عبد الله بمقاومة فعالة من الولايات المتحدة الامريكية .

فى ٢٩ ايار (مايو) ١٩٤٧ اتخذت الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة قرارا بالغاء الانتداب البريطانى فى فلسطين وتقسيمها الى دولتين مستقلتين . وادى قيام دولة اسرائيل فى جزء من الاراضى الفلسطينية والحروب الاسرائيلية العربية الاولى الى خلق وضع جديد من حيث المبدأ فى المنطقة .

لم تشارك السعودية عمليا فى حرب فلسطين . فقد اقتصر ابن سعود على ارسال كتيبة عملت ضمن قوام الجيش المصرى . وفى حزيران (يونيو) ١٩٤٨ قام عبد الله بزيارة للرياض تكللت بصلح شكلى مع ابن سعود ، غير ان الخلافات بينهما كانت بعيدة عن التسوية (٨١) .

ادت هزيمة الدول العربية فى حرب فلسطين الى تفاقم التناقضات بين اعضاء الجامعة العربية . واقترحت الحكومتان السعودية والمصرية طرد شرق الاردن من الجامعة بسبب مشاريعها الرامية الى الحاق شرق فلسطين ، والتي اعتبرتها الحكومتان الخطوة الاولى فى طريق انشاء «سورية الكبرى» . غير ان الجامعة لم تتصرف بشكل حازم ، فتجرأ عبد الله والحق رسميا فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ الجزء العربى من فلسطين بشرق الاردن (٨٢) . وفى ٢٠ تموز (يوليو) عام ١٩٥٠ قتل الملك عبد الله فخلفه ابنه طلال الذى سرعان ما اصيب بلوثة عقلية فتبوأ العرش حسين بن طلال (٨٣) .

تراوحت العلاقات بين السعودية ومصر من التحالف الوثيق الى القطيعة التامة والمواجهة العسكرية . فبعد الاشتباكات الخطيرة التى جرت بين الحجاج المصريين والاخوان عام ١٩٢٦ ، رفضت الحكومة المصرية الاعتراف بسلطة ابن سعود على الحجاز . وقد استنار الملك فؤاد نعمة عبد العزيز حينما حاول ان يصبح خليفة . ولم تستأنف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين الا بعد وفاة فؤاد عام ١٩٣٦ .

بعد الحرب العالمية الثانية تحسنت العلاقات المصرية السعودية

بشكل ملموس . وبعد زيارته الرسمية الى مصر عام ١٩٤٦ منح ابن سعود الملك فاروق عونا سنويا قدره زهاء مليون جنيه استرليني . ووصل الى السعودية معلمون وفنيون ومستشارون مصريون وارسلت بعثة عسكرية مصرية لتدريب الجيش السعودي (٨٤) .

أكد الملك سعود في خطاب العرش الذي القاه في اذار (مارس) ١٩٥٤ على ضرورة التعاون مع البلدان العربية في اطار الجامعة العربية وطبقا لميثاقها ومعاهدة الدفاع المشترك . ودعا الملك الى تعزيز العلاقات مع البلدان الاسلامية ووعد بمواصلة اتباع سياسة مناوئة لاسرائيل واعلن عن الرغبة في تحسين العلاقات مع الدول كافة . غير انه اشار الى وجود قضايا معلقة بين العربية السعودية و«الحكومة البريطانية الصديقة» (٨٥) .

ان الدعوة الى تعاون البلدان العربية والوعيد التقليدي الموجه لاسرائيل والمسحة المناوئة لبريطانيا في السياسة السعودية ، قد هيأت جميعا التربة للتقارب مع مصر . واتخذ الملك سعود موقفا واقعيا من التغيرات الثورية في مصر واعترف بالنظام الجديد . وكان اول رئيس دولة عربي يزور القاهرة بعد ثورة ٢٣ يوليو ، والتقى اثناء زيارته الرسمية الى مصر في اذار (مارس) ١٩٥٤ برئيس الدولة محمد نجيب وبجمال عبد الناصر (٨٦) .

في مطلع آب (اغسطس) ١٩٥٤ انتهز عبد الناصر وجوده في السعودية لايداء فريضة الحج وعقد مفاوضات مع الملك سعود الذي ايد جهود مصر الموجهة ضد حلف بغداد الذي جرى تشكيله آنذاك .

اثار انضمام العراق وايران الى حلف بغداد ارتياب العربية السعودية بهذا الحلف ، لذا تقاربت وقتيا مع مصر وسورية واليمن . وزعم ان السعودية ، شأن مصر ، كان لها ضلع في الاضطرابات التي هزت الاردن شتاء ١٩٥٥/١٩٥٦ وادت الى طرد قائد الفيلق العربي غلوب باشا ورفض الاردن الانضمام الى حلف بغداد (٨٧) . لقد سعى الرئيس عبد الناصر الى عقد اتفاقيات عسكرية ثنائية مع سائر البلدان العربية لتكون نقيضا ومعادلا لحلف بغداد . ووقع ميثاق الدفاع المشترك مع سورية في اذار (مارس) ١٩٥٥ ، واصلت السعودية عن تأييدها للميثاق المصري السوري بعد زيارة

وفد سورى الى الرياض . وفى تشرين الاول (اكتوبر) من العام نفسه عقدت السعودية معاهدة عسكرية ثنائية مع مصر . وشكل مجلس اعلى يضم وزراء الخارجية والدفاع فى البلدين ، الى جانب مجلس عسكرى وقيادة عسكرية مشتركة . وعقدت المعاهدة لمدة خمس سنوات على ان تمدد تلقائيا اذا لم يعلن اى من الطرفين عن ابطال مفعولها .

فى مطلع عام ١٩٥٦ رفضت الحكومات العربية الانضمام الى ميثاق الدفاع المشترك للشرق الاوسط الذى دعت اليه لندن وواشنطن (٨٨) .

وفى اذار (مارس) ١٩٥٦ وصل الملك سعود الى القاهرة لمقابلة الرئيس عبد الناصر ، كما وصل الى هناك الرئيس السورى شكرى القوتلى ، وتقرر عقد ميثاق للتعاون والاخوة . ونسقت الدول الثلاث ذات الانظمة المختلفة والمصالح المتناقضة سياساتها على اساس معاد للامبريالية . ففى اواسط الخمسينات ركب بعض الحكام الاقطاعيين موجة الحركة القومية والنزعات المعادية للغرب ولبريطانيا بالدرجة الاولى فى العالم العربى . وفى ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٥٦ وصل امام اليمن احمد الى جدة حيث التقى بسعود وعبد الناصر ، وفى اليوم التالى وقعوا اتفاقية الدفاع المشترك (٨٩) .

يعزى تحالف سعود مع عبد الناصر الى ان الحكومة المصرية احجمت لحين تأميم قناة السويس عن معاداة الولايات المتحدة بشكل فعال . وكانت السياسة المصرية موجهة ضد البريطانيين وانصارهم الهاشميين فى العالم العربى . وكان ذلك متفقا مع النهج السياسى للرياض والنزعات التقليدية المناوئة لبريطانيا فى صنعاء (٩٠) .

ابان العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ايدت الرياض القاهرة واعلنت عن استعدادها لمساعدة مصر عسكريا وقطعت العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا ، ووقفت عمليا ضخ النفط الى هذين البلدين واعانت مصر بمبالغ كبيرة من المال (٩١) .

ولكن مع توثق التعاون بين السعودية ومصر تزايد القلق الذى يشيره هذا التعاون فى الاسرة الحاكمة وفى اوساط العلماء المتنفذين . واخذت الدعاية الاذاعية المصرية تؤثر فى بعض فئات السكان فى السعودية ، والتي كانت ميولها المعادية للغرب وللامبريالية تقترن

بالميول المناوئة للملكية . واثار تعاظم شعبية الرئيس عبد الناصر في السعودية قلق الملك وحاشيته . ويذكر بعض المؤلفين انه كانت قد اكتشفت في ايار (مايو) ١٩٥٥ مؤامرة لاسقاط نظام الحكم في السعودية اعد لها ضباط سبق لهم ان دربوا في مصر . وزعم ان لعدد من المستشارين العسكريين المصريين ضلعا في المؤامرة (٩٢) . وكانت الاضطرابات والاضرابات العمالية في الظهران ما زالت ماثلة في ذاكرة الملك والامراء . ولوحظت ايضا دلائل الغليان الثورى في الاردن والعراق . وازضافة الى ذلك كان ايقاف ضخ النفط الى بريطانيا وفرنسا ضربة لخزانة الدولة ، وبالتالي لخزانات الامراء الخاصة ، مما جعلهم يفكرون فيما اذا كان هناك ما يستحق تقديم هذه «التضحيات» بسبب مصر . واخيرا فان واشنطن التي اعتبرت القاهرة خصمها العربى الاول فى الشرق الاوسط ، عملت على تأليب الرياض ضدها .

بعد فشل العدوان الثلاثى على مصر اخذت واشنطن تبحث عن طرق واساليب جديدة لاختام موجة حركة التحرر الوطنى والحيولة دون توطد التعاون بين عدد من البلدان العربية والاتحاد السوفيتى . ونتيجة لذلك البحث ظهر «مبدأ ايزنهاور» فى كانون الثانى (يناير) ١٩٥٧ الذى زعم بان هزيمة بريطانيا وفرنسا فى العدوان الثلاثى ادت الى ظهور «فراغ» مزعوم فى الشرق الاوسط . وجاء فى «مبدأ ايزنهاور» ان «القوات المسلحة الامريكية سوف تستخدم للدفاع عن وحدة اراضى واستقلال البلدان التى قد تحتاج الى مساعدة لمواجهة العدوان من قبل اى بلد تسيطر عليه الشيوعية الدولية» . وطالب الرئيس الامريكى ايزنهاور ابان ذلك بتحويله صلاحيات استخدام القوات المسلحة الامريكية فى الخارج دون اجراء مشاورات تمهيدية مع الكونغرس . وفى الواقع كان المقصود من ذلك اعتزام الولايات المتحدة بسط هيمنتها على الشرق الاوسط بقوة السلاح ان اقتضى الامر ، ولكن مع الاعتماد على الانظمة الصديقة لواشنطن . وفى ٩ آذار (مارس) ١٩٥٧ وقع الرئيس الامريكى برنامج السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط الذى حظى بتأييد الكونغرس . وطبق «مبدأ ايزنهاور» عمليا بعد سنة ، اذ انزل مشاة البحرية الامريكية فى لبنان (٩٣) .

املت واشنطن ان تستخدم العربية السعودية لتنفيذ سياستها

فى الشرق الاوسط ، نظرا لارتباط المملكة اقتصاديا بالولايات المتحدة ، ولما تتمتع به من نفوذ فى العالم الاسلامى . ودعا ايزنهاور الملك سعود لزيارة الولايات المتحدة فى كانون الثانى (يناير) ١٩٥٧ .

فى هذه الاثناء عمت عددا من البلدان العربية نشاطات مناوئة «لمبدأ ايزنهاور» . وعرج الملك سعود وهو فى طريقه الى الولايات المتحدة على القاهرة حيث التقى بالرئيسين المصرى والسورى وملك الاردن . وصدر بيان مشترك يعتبر مبدأ ايزنهاور برنامجا لاستبعاد الشعوب التى انخرطت مؤخرا فى طريق التطور المستقل . ورفض المجتمعون نظرية «هملء الفراغ» الامريكية واعلنوا ان بلدانهم لن تتحول ابدا الى ميدان لنفوذ اى دولة اجنبية . وكلف الملك سعود بنقل هذه الافكار الى الرئيس ايزنهاور (٩٤) .

ولكن الملك سعود تصرف على نحو آخر فى الولايات المتحدة . فقد تم خلال المفاوضات الرسمية الاتفاق على تزويد السعودية بمعدات للقوات الجوية والبرية والبحرية ، وتدريب طيارىها وتوفير الفنيين لقواتها المسلحة ومنحها قرضا قدره ٢٥ مليون دولار . ووعدت الولايات المتحدة بتقديم قرض للسعودية لتعمير ميناء الدمام . كما تقرر مضاعفة تعداد الجيش النظامى السعودى الذى بلغ عدد منتسبيه آنذاك ١٥ الفا . ووعد سعود بتمديد فترة تأجير قاعدة الظهران الجوية لمدة خمس سنوات ، والسعى لاقتناع البلدان العربية الاخرى بالقبول بـ«مبدأ ايزنهاور» (٩٥) .

ولكن الملك سعود اكتشف بعد عودته الى الشرق الاوسط اشتداد المعارضة لـ«مبدأ ايزنهاور» فى المنطقة ، بما فى ذلك داخل المملكة ذاتها . وكانت سمعة عبد الناصر عالية الى درجة بحيث لا يمكن تجاهل رأيه (٩٦) . وفى ٢٤-٢٧ شباط (فبراير) ١٩٥٧ عقد فى القاهرة اجتماع جديد لرؤساء الدول فى كل من مصر وسورية والسعودية والاردن حاول خلاله سعود ان يدافع عن «مبدأ ايزنهاور» . ولكن الملك اضطر ، ازاء ضغط الرئيسين عبد الناصر والقوتلى والرأى العام السعودى ، الى التخلي عن تأييده للمبدأ المذكور والانضمام الى الدول التى رفضته مجددا واعلنت ان العرب انفسهم يجب ان يتولوا الدفاع عن انفسهم خدمة لامنهم الحقيقى وخارج اطار التحالفات الاجنبية (٩٧) .

ولكن موقف السعودية هذا كان بمثابة مناورة تكتيكية لتهدة
الرأى العام فى المملكة وسائر بلدان الشرق الاوسط ولتفادى
مواجهة مع مصر تهدد النظام السعودى بالخطر . وصار واضحا لكل
من القاهرة والرياض ان التطابق المؤقت فى المصالح قد انتهى .
وكان سعود قد التقى فى الولايات المتحدة ، وبوساطة امريكية ،
مع ولى العهد العراقى عبد الاله (٩٨) ، اذ ان العداء العائلى السابق
بين آل سعود والاسرة الهاشمية انحسر الى المقام الثانى ازاء
مصلحتهما المشتركة فى الاستمرار فى الحكم فى ظروف الغليان الثورى
المتصاعد فى الشرق الاوسط .

فى نيسان (ابريل) ١٩٥٧ اقال الملك حسين حكومة سليمان
الناבלسى المتجهة الى اليسار (٩٩) . وقدم سعود للملك حسين
مساعدة عسكرية وسياسية : فقد وضع تحت امرته لواءى الحرس
الوطنى السعودى المرابطين فى الاردن منذ العدوان الثلاثى على
مصر . وحولت الحكومة السعودية للعاهل الاردنى قسطها من المعونة
السنوية البالغ ٣٠ مليون دولار ،والذى كان قد تم الاتفاق عليه بين
مصر وسورية والسعودية عام ١٩٥٦ للتعويض عن «المساعدة»
البريطانية ، هذا فى حين ان مصر وسورية رفضتا دفع قسطيهما
(١٠٠) . وشهد الشرق الاوسط استقطابا للقوى وصارت القاهرة
والرياض على طرفى نقيض .

بعد مرور فترة قصيرة على اقالة حكومة الناבלسى قام الملك
حسين بزيارة الرياض ، الامر الذى كان يعنى استمرار التقارب بين
العائلتين المالكتين المتعاديتين سابقا . وبضغط امريكى اخذ الملك
سعود يميل الى فكرة تأسيس اتحاد بين الملوك الثلاثة فى السعودية
والاردن والعراق لتعزيز مواقع القوى المحافظة . وفى عام ١٩٥٧
زار سعود العراق ولكن الزيارة لم تسفر عن قيام تحالف رسمى
(١٠١) . فان سعود لم يجرؤ على التنصل جهارا من مصر وسورية
خشية حدوث عواقب جديدة تهدد عرشه . وآثر ان يؤكد فى
التصريحات الرسمية التزامه بمبدأ الحياد الايجابى ومقررات مؤتمر
القاهرة .

فى آذار (مارس) ١٩٥٧ اعتقلت فى السعودية مجموعة من
الفلسطينيين بحوزتهم متفجرات ، وزعم ان الحكومة المصرية ارسلتهم
لنسف قصر «الناصرية» فى الرياض . ورد المصريون بان المجموعة

اوفدت بالاتفاق مع السعوديين للقيام بعمليات ضد حكم ثوري السعيد في العراق . وتدهورت العلاقات السعودية المصرية تدهورا خطيرا ، ولم يؤد قدوم وفد مصرى الى تخفيف حدة التوتر (١٠٢) . شنت في السعودية حملة معادية للشيوعية بقيادة الجهاز الدعائي لشركة ارامكو ، الذى كان ينسب «للمشيوعية الدولية» اى مظهر من مظاهر النضال التحررى الوطنى . واكد بلاغ مشترك صدر ربيع ١٩٥٧ اثر الزيارة التى قام بها الى السعودية ريتشاردس المساعد الخاص للرئيس لتنفيذ برنامج مساعدة بلدان الشرقين الاوسط والادنى ، اكد على ضرورة مجابهة «النشاط الشيوعى» (١٠٣) . فى شباط (فبراير) ١٩٥٨ انبثقت الجمهورية العربية المتحدة المكونة من مصر وسورية ، وكان ذلك انتصارا كبيرا للقوى الوطنية الديمقراطية فى العالم العربى . وشجعت واشنطن ولندن قيام الاتحاد العربى بين العراق والاردن ليكون معادلا للجمهورية العربية المتحدة ، واخذتا تسعيان لحمل بلدان عربية اخرى على الانضمام اليه . ولكن الحكومة السعودية اعتبرت الاتحاد المذكور احياء للخطر الهاشمى ورفضت الانتماء اليه ، واعلنت عن حيادها ازاء الاتحاد العربى والجمهورية العربية المتحدة .

دب البرود فى العلاقات السعودية الاردنية ، وفى ٨ نيسان (ابريل) ١٩٥٨ توقفت الرياض عن دفع المعونات لعمان المنصوص عليها فى اتفاقية ١٩ كانون الثانى (يناير) ١٩٥٧ . وردا على ذلك طالب الملك حسين بسحب القوات السعودية من الاراضى الاردنية ، فعادت الى الوطن فى ايار (مايو) (١٠٤) .

ورغم ذلك فقد اعتبر الملك سعود الجمهورية العربية المتحدة الخطر الاساسى على عرشه . فقد كانت اصلاحات عبد الناصر تمارس تأثيرا قويا على الراى العام فى العربية السعودية ، حيث تزايدت شعبية الرئيس المصرى . وخشية الدخول فى مجابهة صريحة مع الجمهورية العربية المتحدة ، قرر سعود اللجوء الى اسلوب التآمر للاطاحة بعبد الناصر .

ازمة السلطة وانحسارها المؤقت

(1973-1981)

دور السعودية الجديد

الصراع على السلطة بين سعود وفيصل . المرحلة الاولى :
فيصل يستولى على السلطة (اذار (مارس) ١٩٥٨ - كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٠) . اثر انشقاق الجمهورية العربية المتحدة اتهم الملك سعود علنا بالتآمر لاغتيال الرئيس عبد الناصر . فقد ذكر عبد الحميد السراج المدير السابق للمباحث السورية انه قد عرض عليه مبلغ مليونى جنيه استرلينى مقابل ارسال طائرة مقاتلة سورية لاسقاط طائرة كان على متنها عبد الناصر . ونشرت الصحف صوراً لثلاثة صكوك محولة من الرياض الى بنك فى بيروت وقيمتها مليوناً جنيه استرلينى تقريباً .

في معرض الحديث عن احتمال لجوء الملك الى مثل هذه الاساليب في السياسة الخارجية ذكر باحثون امريكان في كتابهم : «العربية السعودية : السكان والمجتمع والثقافة» ان «الاغتيال والكذب والخيانة امور معتادة في السياسة الخارجية للعربية السعودية . فالرشوة والقتل سلاح يكاد يكون معترفا به

تتعقد معاهدة ثم يضرب بها عرض الحائط دون الغائيا شكليا . وتشجع كل الاطراف المتنازعة الانتفاضات الداخلية لدى جيرانها لتفجير سياستهم الخارجية» (١) .

بلغت شعبية الرئيس عبد الناصر مدى كبيرا بحيث ان نبال المؤامرة السعودية الهادفة الى اغتياله ادى الى تأزم الوضع داخل العربية السعودية ذاتها ، مما اثار قلقا بالغاً لدى آل سعود وكبار علماء الدين (٢) . واتفق انه فى هذا الوقت بالذات كان البلد يعاني من ازمة مالية فادحة بسبب افراط الملك وحاشيته فى تبذير الاموال وانخفاض عوائد النفط . وقبل فترة قصيرة من ذلك جرت

اضطرابات عمالية في المنطقة الشرقية كما بدت امارات التذمر بين اوساط الموظفين والمتقنين وبعض الضباط .

يمكن تكوين انطباع عن ميول ومطالب المستائين من خلال رسالة ناصر السعيد الى الملك سعود التي نشرت عام ١٩٥٨ (٣) . وكان كاتب الرسالة من الزعماء العماليين في المنطقة الشرقية وصار بعدئذ قائدا لاتحاد شعب الجزيرة . وفي عام ١٩٥٣ اعتقل مع مجموعة من الزعماء العماليين الآخرين ، واطلق سراحه بعد الاضراب ثم نفى الى الحائل . وعند زيارة سعود الى جبل شمر عام ١٩٥٣ طالبه السعيد علنا بسن الدستور واجراء انتخابات نيابية والغاء مجلس الشورى ومنح حرية التنظيم النقابي . ورضوخا لمطالب العمال اعيد السعيد الى عمله في ارامكو ، ولكنه اضطر الى الهرب من السعودية عام ١٩٥٦ لكيلا يتعرض للتصفية الجسدية . وعلاوة على المطالب المذكورة آنفا ، اورد السعيد في رسالته عددا من مطالب العمال الاقتصادية ودعا الى منح حريات ديمقراطية واسعة ، بينها حرية التظاهر والاضراب والصحافة والمعتقد ، واطلاق سراح المعتقلين السياسيين والغاء العقوبات الهمجية مثل قطع اليد ، والاعتراف بحرية الشيعة ومساواتهم مع الآخرين ، وازالة القاعدة الامريكية في الظهران وحظر الرق وتحديد نفوذ آل الشيخ والغاء جماعة الامر بالمعروف ووقف نشاط الهيئات الخاصة الامريكية والمراكز الدعائية لارامكو .

دفعنا لما هو اعظم اخذ جزء كبير من آل سعود وكبار العلماء يميلون الى ضرورة اجراء انقلاب في القصر يتسلم اثره ولي العهد فيصل السلطة الفعلية .

تحصن سعود في قصر «الناصرية» بالرياض محاطا بالحرس الوطني والحراس الشخصيين ، وكان فيصل في البادية يتفاوض مع شيوخ البدو (٤) .

طالب فيصل بمنحه السلطة كاملة كرئيس للحكومة وبعدم تدخل الملك في شؤون الحكومة . ولما لم يحصل على رد استقال (٥) .

يقول بروشين ان «العائلة المالكة الكثيرة العدد كانت دائما غير متجانسة : اذ متفاوت افرادها تفاوتا كبيرا من حيث المركز الاجتماعي والاموال التي يحصلون عليها من خزانة الدولة . غير

ان الحزازات داخل العائلة لم تتحول الى عداء سافر ابان حياة ابن سعود . فقد كان الامراء يخافون ابن سعود لان بوسعه حرمانهم من المخصصات كما فعل مرارا مع المتمردين . وبعد وفاة ابن سعود انفردت العائلة المالكة وصارت كتلا متباينة يسعى كل منها الى نيل حصة الاسد من عوائد الامتيازات وتبوء مناصب حكومية هامة» (٦) .

جمع ولي العهد فيصل ، وهو سياسى محنك وذكى ، من حوله انصاره المستائين من تزايد نفوذ ابناء سعود فى البلاط . ودأب على تكوين انطباع بان الملك غير مؤهل لمهمته . وحاول فيصل الذى تربطه علاقات قديمة ووثيقة بالامريكان التظاهر بانه من انصار الاصلاحات والتقارب مع الرئيس عبد الناصر ، وبدأ يعد خفية لانقلاب فى القصر .

وفى ٢٤ آذار (مارس) ١٩٥٨ قامت مجموعة من الامراء على رأسها فهد بن عبد العزيز بتقديم انذار الى الملك يطالب فيه بتسليم السلطة الى فيصل . كما طالب الامراء بحماية بيت المال من النهب وتنحية مستشارى الملك الضالعين فى محاولة اغتيال عبد الناصر ، ومنح اشقاء الملك حقوقا مماثلة لحقوق ابنائه .

حاول سعود الاستنجاد بالامريكان ولكنه لم يلق منهم العون ، كما انه لم يجد ركيزة فى الجيش لان غالبية آل سعود كانوا ضد الملك . فاضطر فى مثل هذه الظروف الى قبول انذار الامراء (٧) .
وصدر فى ٢٣ آذار (مارس) ١٩٥٨ مرسوم ملكى يمنح رئيس الوزراء «المسئولية التامة للاشراف على تنفيذ جميع السلطات الادارية فيما يتعلق بالشؤون الداخلية والخارجية والشؤون المالية» . كما اصبح فيصل القائد العام للقوات المسلحة السعودية (٨) .

ان التنكر السياسى الذى قام به ولي العهد بادعائه انه قومى ومن انصار الاصلاحات كان متقنا الى حد بحيث ان رد الفعل الاول لوسائل الاعلام الغربية على احداث السعودية كان سلبيًا . فقد كتبت «نيويورك هيرلد تريبون» فى ٢٥ آذار ١٩٥٨ تقول «ان هذه الخطوة تمثل ضربة موجعة بمواقع الغرب فى الشرق الاوسط» . ومن المحتمل ان هذا التقييم كان تضليلا متعمدا . فبعد بعض الوقت صرح وزير الخارجية الأمريكى دالاس بان تسلم حكومة

فيصل مقاليد السلطة يدل «على ان الاحداث تسير فى مجرى طبيعى»
وانه «لن يحدث تغيرات فى العلاقات السعودية الامريكية» (٩) .
لقد انطلت مراوغات فيصل ليس على وسائل الاعلام الغربية
وحدها ، اذ ان ممثلى المعارضة الديمقراطية الثورية علقوا عليه
بعض الآمال . فقد اصدرت جبهة الاصلاح الوطنى فى العربية
السعودية نداء فى دمشق وجهته الى فيصل (١٠) وضمنته مقترحات
مماثلة لتلك التى وردت فى «رسالة» ناصر السعيد الى الملك
سعود . هكذا كانت اوهام ممثلى «الفئات الوسطى» السعودية من
المثقفين وصغار الموظفين والضباط وايمانهم الساذج بإمكان قيام
آل سعود باصلاحات .

فى نيسان (ابريل) قررت قيادة جبهة الاصلاح الوطنى ان
تؤسس ، اعتمادا على تنظيمها ، منظمة جديدة باسم جبهة التحرير
الوطنى فى السعودية . وسرعان ما رفضت هذه المنظمة المعارضة
تأييد فيصل ونددت باعماله (١١) .

فى ١٨ نيسان (ابريل) القى فيصل خطابا من الاذاعة كرسه
للسياسة الخارجية . واعرب عن الرغبة فى اقامة علاقات الصداقة
مع كل دولة لا تعادى الحكومة السعودية وتؤمن بالحياد الايجابى
ولا تنتمى لاي كتلة عسكرية (ويبدو ان المقصود هو حلف بغداد) .
ادخل المرسوم الملكى الصادر فى ١١ ايار (مايو) ١٩٥٨ بعض
التغييرات الجزئية على نظام مجلس الوزراء الصادر عام ١٩٥٤ ،
وفصل بين صلاحيات المجلس وصلاحيات الملك . فقد منح رئيس
مجلس الوزراء السلطة الادارية ، ولكن السلطة السياسية ظلت
للملك . وطرح المرسوم مهمة تنظيم المالية ومكافحة الرشوة
والفساد . وحظر على اعضاء مجلس الوزراء تولى اى وظيفة جديدة
داخل الحكومة او خارجها دون استحصال موافقة رئيس الوزراء . كما
حظر عليهم تملك اموال الدولة بصورة مباشرة او غير مباشرة ، وان
يكونوا اعضاء فى مجالس ادارة الشركات التجارية (١٢) .

انتمت العربية السعودية الى صندوق النقد الدولى عام ١٩٥٧ .
وبناء على توصية خبراء الصندوق اقر فيصل فى حزيران (يونيو)
١٩٥٨ برنامجا للاستقرار المالى . ونص البرنامج على خفض نفقات
الدولة الى مستوى وارداتها واجراء اصلاح للنظام النقدى وقصر
الاستيراد على المواد الغذائية والمنسوجات والادوية . كما تقرر

وقف اعمال البناء فى عدد من القصور الملكية ومنع استيراد السيارات لمدة سنة . وقلصت الحكومة الى حد كبير الانفاق على التنمية الاقتصادية والتعليم والصحة . وفى عام ١٩٥٩ توقفت الدولة عن تخصيص اموال لتنمية الصناعة والزراعة (١٣) .

خفضت قيمة الريال السعودى ، فاصبح الدولار الواحد يعادل ٤,٥ ريال مقابل ٣,٧٥ فى الماضى . واعتمدت الحكومة النقود الورقية المغطاة بالذهب والعملة الاجنبية القابلة للتحويل ، لتعوض بها عن «وصولات الحجاج» والنقود الذهبية التى سحبت تدريجيا من التداول . وقسم الريال الجديد الى عشرين فلسا عوضا عن ٢٢ (١٤) .

عند حلول عام ١٩٦٠ كان احتياطى الذهب والعملة الصعبة قد ازداد عدة اضعاف . وبفضل تحسن ميزان المدفوعات تمكنت الحكومة ان تلغى فى مطلع عام ١٩٦٠ اهم التقييدات المفروضة على الاستيراد وتحويل العملة وتصدير الرساميل الى الخارج (١٥) .

غير ان سياسة التقشف ادت الى فتور النشاط التجارى وتعطيل الاعمال العامة وازدياد حاد فى البطالة . وتكبدت البرجوازية الصغيرة والمتوسطة والمقاولون خسائر . ودفع السكان ثمن «الانعاش المالى» .

لم يلق الملك سعود سلاحه ، بتنازله عن السلطة الفعلية لولى العهد . فقد احتفظ الملك بعلاقات طيبة مع الارستقراطية العشائرية وجزء من علماء الدين ، وظل يؤكد على وفائه للتقاليد ويوزع العطايا بسخاء . وزار سعود مصر صيف عام ١٩٥٩ محاولا ان يدفع عن نفسه شبهات العدا ل لعبد الناصر (١٦) .

امضى سعود عام ١٩٦٠ باكملة متنقلا فى ارجاء البلد ، وكان احيانا يتغيب عن العاصمة عدة اسابيع ، ويقيم الولا ئم لشيوخ البدو ويجزل لهم العطاء . وطبقا لعادات «الحكام الكرماء العادلين» كان سعود يدفع ديون الفقراء فينقذهم من الحبس ، ويعطى المرضى مالا للتداوى . وكان الملك يلتقى علماء الدين باستمرار ويشارك فى غسل الكعبة عشية موسم الحج . وقام سعود ، بين حين وآخر ، بالتبرع باموال لتعمير وبناء مساجد داخل السعودية وخارجها ، ويوزع باسمه اموالا لانشاء اسالة المياه فى البلدات وشق الطرق وما الى ذلك (١٧) .

وظل الملك وابناؤه يسيطرون على مبالغ طائلة من المال .
فان ابن الملك او اخاه ، اذا لم يكن يتبوأ منصباً رسمياً ، يحصل
من بيت المال على عشرة ملايين ريال سنوياً ان كان متزوجاً ،
ومليونين ان كان اعزب . اما سائر الامراء فقد كانت مخصصاتهم
تتحدد طبقاً لدرجة قرابتهم من الملك (١٨) .

كان الامر الحاسم فى الصراع بين سعود وفيصل ، ظهور مجموعة
من الامراء السعوديين الشباب المتأثرين بالافكار الناصرية والداعين
الى الاصلاحات . واقام سعود صلات بهم ووعد ، بصيغ حذرة ،
بمؤازرتهم . وتحاشى الملك التعهد بالتزامات محددة ، لانه لم يكن
من انصار الاصلاح ولخشيتهم من نفور علماء الدين . وقد المح
الامير نواف بن عبد العزيز فى تصريح له بالقاهرة فى ايار (مايو)
١٩٦٠ الى وجود ميل لاقامة اول جمعية دستورية واعداد اول دستور
للدولة وتأسيس محكمة عليا ولجنة عليا للتخطيط (١٩) . وكان
هذا تعبيرا عن رأى مجموعة الامراء الشباب الذين كان ابرزهم طلال
بن عبد العزيز .

كان طلال واحداً من الاخوة الصغار لسعود ، وئمة دزينة كاملة
من الامراء الآخرين تبعده عن الامل فى ان يأتى دوره ليكون ملكاً .
لذا فقد شرع انطلاقاً من طموحاته الشخصية - وهذا ما اثبتته
الاحداث فيما بعد - يبشر بفكرة الحكم الدستورى املاً فى الاقتراب
من السلطة عن طريق الاصلاحات . وفى حزيران (يونيو) ١٩٦٠
اقترح طلال اقامة نظام ملكى دستورى ، فرفض فيصل الاقتراح
وابعد عنه طلال وجماعته (٢٠) .

فى آب (اغسطس) ومطلع ايلول (سبتمبر) عرض الامراء
الشباب مشروع الدستور على الملك ، فرفضه باعتباره متطرفاً
ولكنه حاول الاحتفاظ بصلاته مع المجموعة (٢١) .

وفى ايار (مايو) ١٩٦٠ اعتزم فيصل التوجه الى اوربا للعلاج
وعين الامير فهد بن عبد العزيز وكيلاً له ، ولكن سعود رفض
المصادقة على هذا التعيين . ايد عدد من الامراء فيصل بينما وقف
عدد آخر ، وبينهم طلال ونواف ، الى جانب الملك . ولم يجرؤ فيصل
على مغادرة البلد .

فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٠ اخذ سعود يطالب فيصل
باحاطته علماً بجلوسات الحكومة ، وعدم تعيين امراء للمناطق

والمدن والبلدات وقضاة الا بموافقته ، وبان يمتنع عن نشر الميزانية دون مصادقته عليها ، كما طالب بزيادة نفقات البلاط وان تدفع لاولاده الصغار مخصصاتهم كاملة .

فى ١٨ كانون الاول (ديسمبر) قدم فيصل للملك مسودة مرسوم ملكى حول الميزانية ، فرفض الملك توقيعها بحجة انه لا يحتوى على تفاصيل . وفى مساء اليوم نفسه رفع فيصل رسالة احتجاج الى الملك اعتبرها سعود طلب استقالة (٢٢) .

المرحلة الثانية : سعود يعود الى السلطة (كانون الاول ١٩٦٠ -

آذار ١٩٦٢) . فى ٢١ كانون الاول وافق سعود على «استقالة» فيصل ، وبالتالى حكومته ، وتولى مهمات رئيس الحكومة وعين وزراء جددا . وضمت الحكومة الاميرين طلال بن عبد العزيز ومحمد بن سعود اللذين اسندت اليهما على التوالى وزارتا المالية والدفاع . وكان محمد يعتبر واحدا من ابناء سعود الذين تعقد عليهم آمال كبار ووليا محتملا للعهد . وعين احد انصار طلال وهو عبد المحسن وزيراً للداخلية بينما عين بدر وزيراً للمواصلات . واسندت وزارة النفط والمعادن الى الوجه القومى المعروف الشيخ عبد الله الطريقي . ولاول مرة فى تاريخ البلد استنلم اشخاص الا ينتسبون الى العائلة المالكة غالبية الحقائق - وان لم تكن اساسية - فى الوزارة (٦ من ١١) (٢٣) .

ان عودة الملك سعود الى السلطة فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٠ كانت تعنى الانبعاث المؤقت للميول المناوئة للغرب التى كانت سائدة فى فترة ١٩٥٤-١٩٥٦ . وقد اقترنت شكوك سعود ازاء الامريكان بالنزعة القومية «للامراء الاحرار» . وفى اذار (مارس) ١٩٦١ اعلمت السعودية الولايات المتحدة الامريكية بانها لن تجدد اتفاقية القاعدة الجوية فى الظهران التى كان سينتهى مفعولها بعد سنة . واعلن الملك سعود ان السبب الرئيسى لذلك هو مساعدة الولايات المتحدة لاسرائيل . وفى ٢ نيسان (ابريل) ١٩٦٢ سلمت الولايات المتحدة قاعدة الظهران الى الحكومة السعودية ، وبذا صار لدى هذه الحكومة واحد من اكبر المطارات فى العالم . هذا علما بان العسكريين الامريكان عادوا الى القاعدة بعد ستة اشهر تقريبا اثر احداث اليمن (٢٤) .

فى ٢٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٠ اعلنت اذاعة مكة ان مجلس الوزراء وافق على تشكيل مجلس وطنى منتخب جزئيا ، وقرر وضع مسودة الدستور . ولكن الاذاعة عادت بعد ثلاثة ايام لتنفى الخبر . وكان من الواضح ان الملك سعود لا يعترم التنازل لحلفائه المؤقتين من الامراء الشباب . ولكن تلميحات الى الاصلاحات اخذت تظهر فى الصحافة السعودية (٢٥) .

نشرت «الجريدة» اللبنانية نص «مسودة الدستور» المؤلفة من مائتى مادة والتي وضعها حقوقيون مصريون بتكليف من طلال وزملائه من مجموعة الامراء الشباب . ويبدو ان هذه المسودة سربت الى الخارج عن قصد . ولكن مدير الاذاعة والصحافة السعودى نفى الخبر الزاعم بان الملك هو الذى عرض مسودة الدستور (٢٦) .

تكونت داخل الاسرة السعودية الحاكمة ثلاثة مراكز متصارعة على السلطة . فقد كان الملك سعود يستند الى مجموعة من الامراء وبعض شيوخ القبائل ، بينما يحظى فيصل بمساندة مجموعة اخرى من الامراء والكثير من علماء الدين وتجار الحجاز المتنفيين ، اما المركز الثالث فقد تزعمه طلال المتمتع بتأييد فئة المثقفين الناشئة من خريجي الجامعات الاجنبية وعدد من الموظفين (٢٧) .

ظل الصراع داخل الاسرة المالكة السمة الرئيسية للحياة السياسية فى البلد طيلة عام ١٩٦١ . وكان الانتقال من معسكر الى آخر امرا طبيعيا . فان عبد الله بن عبد الرحمن وعددا آخر من اخوان الملك واعمامه سرعان ما انتقلوا الى جانب فيصل . ومن مجموعة «الامراء الاحرار» انضم طلال وبدر وعبد المحسن الى مجلس الوزراء وعين فواز حاكما للرياض . واستقال نواف من منصب وزير الداخلية وظل محايدا ، وسرعان ما عين رئيسا للديوان الملكى (٢٨) .

اسس الملك لجنة عليا للتخطيط واصبح طلال اول رئيس لها . وكان من الواضح ان طلال يرمى الى تعزيز سلطته مما نفّر منه ابناء سعود واقرباءه المقربين (٢٩) .

تزايدت البطالة فى البلد عام ١٩٦١ . وحاول طلال تنفيذ اشغال عامة لزيادة العمالة ، ولكن الاعتمادات لم تكن كافية ، وكانت تنهب الاموال المعتمدة (٣٠) .

فى الثامن من حزيران (يونيو) اسست وزارة العمل والشؤون

الاجتماعية وحاولت ان تحظر العمل الاضافى وتحد من تشغيل الوافدين (٣١) .

فى ٢٥ تموز (يوليو) صدر مرسوم ملكى بتأسيس المجلس الاعلى للدفاع برئاسة الملك ويتألف من وزير الدفاع والطيران (نائبا للرئيس) والمفتش العام للجيش ورئيس الاركان ووزراء الداخلية ، والمالية والاقتصاد ، والمواصلات ، والخارجية . وحدد المرسوم مهمة المجلس بوضع سياسة دفاعية طويلة الامد للجيش السعودى (٣٢) .

نظرا لتنامى المعارضة صدر ايعاز خاص لحماية النظام الملكى نص على ان تكون عقوبة الجرائم المرتكبة ضد الاسرة المالكة والدولة الاعدام او السجن المؤبد . وصارت عقوبة الاعدام تهدد كل من يحاول تغيير النظام الملكى او يتطاول على امن الدولة او يسعى لشق القوات المسلحة (٣٣) .

ركزت مجموعة فيصل هجوما على طلال متحاشية المساس بالملك . واخذ الذين يناصرون فيصل سرا او علانية يوحون للملك بان التجديدات سوف تودى به الى الهلاك وحذروه من الوزراء الجدد . وفى الوقت ذاته عمل انصار فيصل على عرقلة اجراءات «الامراء الاحرار» . وكان الامراء المحافظون من آل سعود وكبار الموظفين يتحالفون فى نشاطاتهم مع الاوساط الدينية التى خشيت من ان تؤدى الاصلاحات الى الانتقاص من دور علماء الدين فى البلد .

بدأ الهجوم رجال الدين وعلى رأسهم مفتى الديار السعودية محمد بن ابراهيم آل الشيخ ورئيس جماعة الامر بالمعروف الشيخ عمر بن حسن . فقد وجه المفتى رسالة الى الملك يذكر فيها بحقه فى الاطلاع على كل قوانين الحكومة وايعازاتها قبل تطبيقها للبت فيما اذا كانت مطابقة لاحكام الشرع . وقال المفتى انه لا يوافق على قانون العمل لمخالفته روح الاسلام . وذكر مثلا ان العامل الذى يصاب بعاهة اثناء العمل يجب ان يحصل فقط على تعويض عن اليوم الذى اصيب اثناءه ، لان الاصابة قضاء وقدر . وخلافا لرأى طلال وزير المالية وافق سعود على رأى المفتى لتهدئة علماء الدين . وسرعان ما طالبت جماعة الامر بالمعروف بغلق ستوديوهات التصوير فى الرياض ، واقترح الملك على الحكومة الخضوع لهذا المطلب . وكان تنفيذ هذا

الايغاز يعنى الانهيار التام لهيئة الحكومة ، لذا اقدمت على حل وسط بان امرت برفع الياغطات عن الاستوديوهات وازالة واجهاتها الزجاجية (٣٤) .

جوبهت محاولات طلال لتنظيم المالية بمقاومة سعود ورجال حاشيته الذين لم يعودوا الى السلطة لتقييد جشعهم . ويقول طلال في مذكراته ان الملك شارك في المضاربة بالاراضى مما اضر بمالية الدولة ، وكانت له حصة من المقاولات الحكومية ، وحصل على مبالغ طائلة بايصالات مزيفة مستخدما موظفى وزارة المالية . ورفض سعود اقتراح طلال بتأميم شركة الكهرباء الاهلية فى الرياض للحصول على واردات اضافية . واستغلت جماعة فيصل هذه المحاولة لتأليب الاوساط التجارية ضد طلال وسائر «الامراء الاحرار» وبثت اشاعات تزعم ان طلال يعتزم تأميم المؤسسات الصناعية والشركات التجارية (٣٥) .

حاول الملك التوصل الى حل وسط مع فيصل والتضحية بطلال . واصدر فى ١١ ايلول (سبتمبر) مرسوما اقال فيه طلال وبدر وعبد المحسن من الوزارة . وفى ١٦ من الشهر نفسه عين الامير نواف بن عبد العزيز ، الذى كان يعتبر محايدا ، وزيرا للمالية والاقتصاد الوطنى ، واسندت المناصب الاخرى الى ابناء سعود (٣٦) .

تدخل عامل آخر فى الصراع بين الاخوان ، وهو صحة الملك . فقد ساءت الى حد بحيث نقل سعود فاقد الوعي فى ١٦ تشرين الثانى (نوفمبر) الى المستشفى الامريكى بقاعدة الظهران ، ثم اضطر للسفر الى الولايات المتحدة للعلاج (٣٧) . وقد يكون للامريكان ضلع فى ترحيله ، لان لهم مصلحة فى ابعاد الملك الذى لا يرتضونه عن البلد . وقبل مغادرة البلد ، ونزولا عند الحاج كبار افراد العائلة المالكة عين سعود فى ٢١ تشرين الثانى فيصل وصيا . واستغل فيصل غياب سعود للقضاء على خصومه (٣٨) .

فى اذار (مارس) ١٩٦٢ اضطر الملك بسبب تدهور صحته الى تعيين فيصل رسميا رئيسا للحكومة . وطالب فيصل باقصاء الطريقى من مجلس الوزراء ، فوافق سعود . تهللت ارامكو لهذه الخطوة اذ انها كانت تعتبر وزير النفط ، كما يقول طلال ، عدوها الاول . وكانت ارامكو ، فى التقارير المرفوعة الى الحكومة

السعودية تندد بنشاط الطريقى وتتهمه بـ«الشيوعية» (٣٩) .
وهكذا عاد فيصل ليستلم السلطة الفعلية بعد خمسة عشر شهرا
من ابعاده عن رئاسة الحكومة . وهكذا احتدم الصراع من جديد .
امضى سعود بقية السنة فى الولايات المتحدة حيث اجريت له
سلسلة عمليات جراحية .

واصل طلال الحديث عن الاصلاحات . فقد دعا الى اجراء تغييرات
فى نطاق الشرع على اساس الاجتهاد ، الامر الذى كان يعنى عمليا
ادخال احكام قانونية جديدة على الشرع لضبط الظواهر الاجتماعية
الجديدة . ولو فتح باب الاجتهاد لتمكنت فئات اجتماعية جديدة من
تقديم مطالبها والاستناد الى القيام وتفسير الشرع بما يتفق
ومصالحها .

لم يجد طلال وجماعته دعما داخل البلاد فهاجروا . وفى ١٥
آب (اغسطس) ١٩٦٢ عقد طلال مؤتمرا صحفيا ببيروت . وانتقد
فى تصريحاته المنشورة بصحيفة «الانوار» النظام السعودى رغم
انه لم يذكر الملك بالاسم . وقال الامير ان هدف مجموعته يتمثل
فى اقامة ديمقراطية دستورية فى الاطار الملكى . وقد ايده اربعة
امراء هم عبد المحسن بن عبد العزيز وبدر بن عبد العزيز وفواز
بن عبد العزيز وسعد بن فهد .

وخشية من اثاره غضب الرياض حاولت الحكومة اللبنانية
التخلص من الامراء المتمردين فغادروا الى القاهرة ، حيث استقبل
طلال من قبل الرئيس عبد الناصر . وادت ثورة اليمن الى زيادة
نشاط المجموعة وقتيا (٤٠) .

فى اواخر الخمسينات واول الستينات دار الصراع على السلطة
بين افراد الاسرة المالكة فقط ، ولكنه كان عرضة لتأثير مختلف
النزعات السياسية . فقد كان برنامج مجموعة طلال يجسد الافكار
الاصلاحية الليبرالية القومية ، ويبين مآله مدى ضالة ما وجدته
هذه الافكار من تربة خصبة فى المجتمع السعودى .

ورغم ان الاسرة المالكة كانت تتنازعها التناقضات ، الا انه لم
يكن لديها خصوم اقوياء . فجيل الشبان المتعلمين المنحدرين من
«الفئات الوسطى» كان يمثل مجموعة ضئيلة جدا فى الاحساء وجدة ،
واقصر نشاطها ، حسب المعلومات المتوفرة ، على توزيع منشورات
ونشر رسائل مفتوحة فى الصحافة بالخارج .

كما كان محدودا تأثير جبهة التحرير الوطنى وهى منظمة ديمقراطية ثورية معارضة . وانحصرت مطالب الجبهة فى الغاء نظام الاستبداد الملكى واقامة نظام برلمانى ، ووضع سياسة اقتصادية وطنية ، واعادة النظر فى كل الاتفاقيات النفطية ، والدعوة الى الحياد الايجابى ، ورفض تأجير قاعدة الظهران (٤١) .

اما التأثير الاكبر فقد كان للمحافظين سواء من الامراء او علماء الدين او شيوخ القبائل . ولهذا السبب بالذات لم يشارك سعود شخصيا فى مؤتمر بلدان عدم الانحياز فى بلغراد لان يوغسلافيا «بلد شيوعى ملحد» (٤٢) .

فى ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٦١ انفصلت سورية عن الجمهورية العربية المتحدة . واعترفت الحكومة السعودية فوراً بالحكومة السورية الجديدة . وفى اواخر ١٩٦١ استعرت مجددا الحرب الاعلامية بين اذاعتى القاهرة ومكة بعد ان كانت قد خمدت . وانتقدت القاهرة استبداد النظام الاقطاعى فى السعودية وتفشى الفساد فيه ، بينما اتهمت مكة الرئيس عبد الناصر بالتدخل فى شئون الدول العربية الاخرى ، وزعمت انه يخون القضية الفلسطينية ويتساهل ازاء اسرائيل . وتأزمت العلاقات الى حد جعل الحكومة السعودية ترفض قبول كسوة الكعبة من مسلمى مصر عام ١٩٦٢ .

وفى الوقت ذاته جرى تقارب بين النظام السعودى والاردن (٤٣) .

فى ٣٠ آب (اغسطس) ١٩٦٢ اجتمع سعود وحسين فى الطائف ووقعا اتفاقية حول تنسيق السياسة الخارجية وتطوير العلاقات الاقتصادية والعسكرية والثقافية ، واتفقا على رسم الحدود . وعرفت هذه الاتفاقية بميثاق الطائف ، ولم يخف على احد انها كانت موجهة ضد مصر (٤٤) .

الثورة اليمنية وردود الفعل فى السعودية . فى ١٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٢ توفى امام اليمن احمد فتوى الحكم ابنه وولى عهده الامير محمد البدر ، وفى ٢٦ من الشهر ذاته قامت الثورة فى اليمن . فقد استغلت مجموعة من الضباط المناوئين للحكم الملكى برئاسة عبد الله السلال فرصة تغير الامامية فاطاحت بالبدر واستولت على السلطة . وحصل النظام الجمهورى الجديد على تأييد

فوري من مصر . وعند ابتداء شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٢ كانت ٢٦ دولة قد اعترفت بالجمهورية العربية اليمنية .

صادرت الحكومة الجمهورية اراضى وقصور وجزء من الممتلكات الاخرى لاسرة حميد الدين وكبار انصارها . واعلن النظام الجديد ان كل مواطني البلد متساوون في الحقوق بصرف النظر عن انتمائهم الدينى او القبلى ، والغى الرق ، وبدأ باحلال المحاكم المدنية محل الشرعية ، واخذ يفتح مدارس عامة جديدة .

غدت ثورة اليمن تحذيرا خطيرا للعائلة المالكة الحاكمة فى السعودية ، اذ كانت فيها كل العناصر الموضوعية للوضع الذى ادى الى الانفجار الثورى فى البلد المجاور : النظام الاقطاعى الاستبدادى وفتنه الحاكمة الفاسدة ، وانتشار الفقر والجوع بين السكان الذين كانوا قد تحملوا للتو - فى فترة ١٩٥٨-١٩٦٠ - اعباء «تنظيم الاقتصاد والمالية» التى تجسدت فى انخفاض مستوى المعيشة وزيادة البطالة . واهم من هذا وذاك انه ظهرت فى اوساط الضباط والموظفين والتجار وذوى المهن الحرة والعمال والطلبة فئة «وسطى» نشيطة من الاشخاص الذين اعتنقوا افكار التحرر الوطنى والاجتماعى بصيغها المختلفة - الماركسية والناصرية والبعثية - واخذوا يلحون فى المطالبة بالتغيير . وكان المد الثورى فى البلدان العربية آنذاك فى تصاعد .

غير ان تطور الاحداث فى اليمن والاستقرار النسبى للنظام السعودى ، بينا ان شطرا ضئيلا فقط من السكان كان يسعى للتغيير ، وان جزءا اقل كان مستعدا للعمل الحاسم من اجل التغيير . فالمجتمع عموما ، سواء فى السعودية او فى اليمن ذاته ، لم يكن قد تخطى بعد المستوى الاقطاعى القبلى ، وكانت جماهير السكان تؤثر التنظيم الاجتماعى السائد وتقتنع بالمؤسسات الاجتماعية القديمة وتنساق وراء التقاليد ، وبالتالى وراء الزعماء المحافظين ، ولم تكن تعرف بل ولا تريد ان تعرف اى فكر غير الاسلام بالصيغة التى كان عليها فى القرون الوسطى . وادى ذلك كله الى تسهيل مهمة النظام السعودى فى البقاء (بدعم هائل من الولايات المتحدة وسائر البلدان الغربية) وتقديم العون للقوى الملكية فى اليمن .

التجأ الامام البدر الى السعودية ، وتجمع فى المناطق المتاخمة

لليمن كبار انصار النظام الملكي والاقطاعيون وشيوخ القبائل اليمنيون . وزودت الحكومة السعودية الملكيين بالمال والسلاح ، واغدقت الاموال على القبائل المناوئة للجمهورية وساندت التحركات المعادية للجمهورية داخل اليمن .

عادت السعودية لتقف في معسكر واحد مع بريطانيا ، في مكافحة الجمهورية اليمنية . فقد ايدت سلطات الاحتلال البريطانية الملكيين خوفا من تأثير الجمهورية اليمنية على عدن والمحميات وتزايد نفوذ مصر الناصرية في شبه الجزيرة العربية . وفيما بعد حصل الملكيون في اليمن على تأييد كل من الاردن وايران . في بداية تشرين الاول (اكتوبر) ، وبناء على طلب السلال ، بدأت مصر بنقل قواتها الى اليمن جوا وبحرا . وفي ٥ تشرين الاول سمحت السعودية للملكيين بتشكيل حكومة منفى في جدة . وفي ١١ من الشهر تحدث نائب رئيس الجمهورية اليمنية عبد الرحمن البيضاني عن «حالة حرب» مع السعودية (٤٥) .

في تشرين الاول (اكتوبر) هرب عدد من الطيارين السعوديين المكلفين بنقل شحنات عسكرية الى حدود اليمن ، هربوا الى مصر حيث طلبوا اللجوء السياسي . وكان قد وصل مصر طيار اردني قادما من الطائف ، حيث ارسل الملك حسين عددا من الطائرات الاردنية لمساندة النظام السعودي . وقصفت الطائرات المصرية تجمعات الملكيين والمرتزقة الذين حشدوا لتأييدهم . وزعمت الحكومة السعودية ان الطائرات المصرية قصفت في اواخر تشرين الاول (اكتوبر) ومطلع تشرين الثاني (نوفمبر) مخيمات الملكيين في نجران وجيزان . ويبدو ان القصف قد حصل بالفعل ، ولكن من الملفت للنظر ان الصحفيين الاجانب الذين نقلهم السعوديون الى جيزان لم يجدوا اثرا لقنابل او صواريخ (٤٦) .

لفترة من الوقت احجمت السلطات السعودية عن استخدام طائراتها الحربية ، وتولت قوات من الحرس الوطني حراسة المطارات .

ويقول الصحفي الامريكي شميدت ان «الفئات العليا من المجتمع السعودي كانت منقسمة على نفسها حول ما اذا كان ينبغي الاتفاق مع النظام الجديد في صنعاء او تأييد الامام في الجبال . وقد وقع ستة من اعضاء الحكومة السعودية ، وهم جميعا لا ينتمون الى الارستقراطية ،

مذكّرة يوصون فيها بالاعتراف بالجمهوريين . اما الفريق الآخر ، وكان بزعامة الامير خالد ، فقد بدأ فعلا بمساعدة الملكيين . وكان الملك سعود ، كالعادة ، متذبذبا بين الدعم النشط للملكيين والاعتراف بالحذر بالثوريين» (٤٧) .

اثناء هذا الوضع غير المستقر عاد ولي العهد فيصل فى ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) من نيويورك حيث ترأس الوفد السعودى الى الامم المتحدة ، ووعد بدعم من الولايات المتحدة الامريكية اثناء زيارته البيت الابيض . وذكر شميدت ان «ولى العهد اكتشف ان الوزراء غير الاستقراطيين الذين يمثلون فى الواقع الطبقة المتوسطة الجديدة فى السعودية ، كانوا انهمايين . ونظرا لضعف ايمانهم بمستقبل السعودية وقدرتها على الاصلاح وحماية نفسها ، فقد اخذوا يتوقعون بان يتمكن الرئيس عبد الناصر من احراز النجاح فى استراتيجيته الواضحة الرامية الى استثمار الثورة اليمنية والتهديد العسكرى لهدم بنية النظام الملكى السعودى ، وكان بعض الشباب من افراد الاسرة الحاكمة يشاطرون هذه النزعات الانهزامية» (٤٨) . قررت العائلة السعودية الحاكمة رص صفوفها لمواجهة الخطر . وكان غالبية الامراء يميلون الى حرمان سعود من اى دور فعال فى السياسة . فقد غدا الملك شخصا غير مرغوب فيه نتيجة لتفشى الفساد والاسراف فى الابهة ، كما ان سمعته انحطت فى انظار المحافظين بسبب صلاته مع الاصلاحيين و«الامراء الاحرار» . كما ان واشنطن كانت تؤثر فيصل ، لانها لم تنس تصريحات سعود واعماله ذات الطابع القومى فى المرحلة الاولى لتسلمه السلطة وفى سنتى ١٩٦١ و ١٩٦٢ . وازاء ضغط الامراء وعلماء الدين اضطر الملك فى ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٢ الى تعيين فيصل رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية .

شكل فيصل الحكومة الجديدة فى ٣١ من تشرين الاول وفى تشرين الثانى طرح برنامجا من عشرة بنود (٤٩) :

١ . «تعتقد حكومة صاحب الجلالة ان الوقت قد حان الآن لاصدار نظام اساسى للحكم مستمد من كتاب الله وسنة رسوله وسيرة خلفائه الراشدين حيث يضع فى وضوح كامل المبادئ الاساسية للحكم وعلاقة الحاكم بالمحكوم وينظم سلطات الدولة المختلفة وعلاقة كل جهة بالآخرى وينص على الحقوق الاساسية

للمواطن ومنها حقه فى حرية التعبير عن رأيه فى حدود العقيدة الاسلامية والنظام العام . . .» (تلى هذا المقطع عبارات مبهمة تعد «تطوير» مجلس الشورى) . «ومما يساعد على بلوغ هذا الهدف السامى ان قواعد شريعتنا السمحة مرنة متطورة صالحة لمواجهة كل الظروف وقابلة للتطبيق فى كل زمان ومكان حسب متطلبات ذلك الزمان والمكان» .

٢ . اعلن فيصل ان الحكومة درست ايضا مسألة نظام الادارة المحلية ووعدت باصدار احكام بهذا الخصوص عما قريب .

٣ . نص البرنامج على حرص «حكومة صاحب الجلالة على ان يكون للقضاء حرمة ومكانته فهو مناط القسط ورمز العدالة» . واعلن عن نية الحكومة فى اصدار احكام حول استقلالية الهيئات القضائية وتشكيل وزارة للعدل تكون النيابة العامة تابعة لها .

٤ . «ولما كانت نصوص الكتاب والسنة محددة ومتناهية بينما وقائع الازمنة وما يستجد للناس فى شؤون دنياهم امور متطورة وغير متناهية ، ونظرا لان دولتنا الفتية تقيم حكمها . . . على اساس الكتاب والسنة نصا وروحا ، فقد اصبح لزاما علينا ان نمنح الفتيا عناية اكبر وان يكون لفقهاءنا وعلمائنا حملة مشاعل الهدى دور ايجابى فعال فى بحث ما يستجد من مشاكل الامة بغية الوصول الى حلول مستمدة من شريعة الله ومحقة لمصالح المسلمين ، ولذلك كله فقد قررت حكومة حضرة صاحب الجلالة تأسيس مجلس للافتاء يضم عشرين عضوا من خيرة الفقهاء والعلماء» .

٥ . «ان حكومة صاحب الجلالة لتشعر شعورا تاما بواجبها للعمل بكل جد واهتمام لنشر دعوة الاسلام وتثيبت دعائمه والذود عنه قولاً وعملاً» .

٦ . قررت الحكومة «ان تقوم حالا باصلاح وضع هيئات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يتمشى مع الاهداف الاسلامية الرفيعة» .

٧ . اعلنت الحكومة ان احدى المهمات الكبرى تتمثل فى «النهوض بالمستوى الاجتماعى للامة» بما فى ذلك اعتماد مجانية الطب والتعليم ودعم المواد الاستهلاكية الضرورية والضمان الاجتماعى . «وعندما تقدم الدولة لطائفة العمال فيها نظاما يحميهم من البطالة ، نكون بذلك قد وصلنا الى المستوى الاجتماعى الذى

لا يزال حلما يراود كثيرا من دول العالم المتحضر وحققنا فعليا اهداف العدالة الاجتماعية الحققة دون ان تغطي الدولة على حريات الناس الفردية او تسلبهم اموالهم وحقوقهم . . . انها تسعى جادة الى اجراء تعديلات هامة فى شكل الحياة الاجتماعية والى توفير الوسائل للتسلية لجميع المواطنين» .

٨ . «تؤمن حكومة صاحب الجلالة بان التطور الاقتصادى والتجارى والاجتماعى الذى ساد مجتمعنا فى السنوات الاخيرة لا يزال فى كثير من مجالاته يفتقر الى التنظيم ولذلك فان مجموعة كبيرة من الانظمة الهامة ستأخذ طريقها تباعا الى الصدور» . وجرى التأكيد على ضرورة استحداث هيئات مستقلة لمتابعة تنفيذ هذه الانظمة .

٩ . وجاء فى البرنامج ان «الانتعاش المالى والتطور الاقتصادى هو شغل الحكومة الشاغل . . . فقد اتخذت حكومة صاحب الجلالة وسوف تتخذ اجراءات هامة وحاسمة لوضع برامج اصلاحية ملموسة ينتج عنها انتعاش دائم للحركة الاقتصادية» .

١٠ . ونص البرنامج على ضرورة الغاء الرق بشكل مطلق وحظره واعتق العبيد جميعا .

وبذا فان ولى العهد ورئيس الوزراء قد طرح برنامجا لتعزيز وصيانة النظام الاقطاعى الملكى دون اجراء تغيرات جوهرية فى اسسه . ان العبارات المبهمة حول اصدار نظام اساسى مستمد من القرآن والسنة مع مراعاة التغيرات فى المجتمع ، وحول النظام القضائى واصلاح وضع هيئات الامر بالمعروف والنهى عن المنكر التى اثارت استياء الكثير من السعوديين ، وغير ذلك مما ورد فى البرنامج الجديد كان يهدف الى اخماد النزعات الثورية فى اوساط جزء من السكان وارضاء انصار الاصلاحات المعتدلة . ووعده رئيس الحكومة الطبقة البرجوازية المتنامية باصدار انظمة جديدة وتشكيل «هيئات مستقلة» لمتابعة تنفيذها ، وضمان الانتعاش الاقتصادى . ووعده فيصل فئات واسعة من السكان بتحسين وضعهم المعاشى وتخفيض الاسعار وتقديم مختلف الخيرات الاجتماعية وحمايتهم من البطالة . وتمشيا مع روح العصر وجد فيصل ان من الضرورى التأكيد على وسائل التسلية البريئة مبتعدا بذلك عن الزهد

الصارم . واخيرا فقد اشار البرنامج الى اعتزام الغاء الرق الذى اصبح من اقبح رموز النظام السعودى .

لم ينفذ برنامج فيصل ابدا من حيث العموم . وفيما بعد لم تعد وسائل الاعلام والاصدارات الرسمية السعودية تذكر هذه الوثيقة الهامة خشية جلب الانظار للوعود المنسية حول الاصلاحات . وكانت مختلف اجراءات الحكومة ذات طابع محدود للغاية . وفى ٧ تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٩٦٢ صدر مرسوم بالغاء الرق ، والتزمت الحكومة بموجبه بدفع سبعمائة دولار عن كل عبد والى دولار عن كل امة . وفى ٧ تموز (يوليو) ١٩٦٣ بلغ العدد الاجمالى للعبيد الذين طالب اسيادهم بدفع تعويض عنهم ١٦٨٢ عبدا ، فدفعت الحكومة التعويضات واعتقتهم . واعتبر سائر العبيد معتوقين تلقائيا بعد التاريخ المذكور الذى حدد كأجل نهائى لدفع التعويضات . وكان الجزء الاساسى من المعتوقين من عبيد العائلة المالكة . وذكرت مجلة «نيوزويك» ان «غالبية اسياذ العبيد تجاهلوا عرض الحكومة لان مبلغ التعويض كان يقل مرتين عن سعر العبد فى سوق الرقيق» (٥٠) .

وفى العادة كان العبد المعتوق يضطر الى البقاء عند اسياده السابقين ، لصعوبة ايجاد عمل فى بلد يكثر فيه العاطلون عن العمل ، او يبقى دون مقومات العيش (٥١) .

توصل فيصل والمقربون اليه ، بانفسهم او بنصح من الخبراء الامريكان ، الى استنتاج حول ضرورة تدخل الحكومة بنشاط اكبر فى الحياة الاقتصادية . والمقصود بذلك تأسيس قطاع عام فى الاقتصاد .

صدر فى ٢٢ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٢ مرسوم يقضى بتأسيس الهيئة العامة للبترول والموارد المعدنية (بترومين) لدى وزارة الصناعة البترواوية والتعدينية ، برئاسة الوزير . واوكلت الى الهيئة اعمال استخراج ونقل وتسويق النفط وسائر الموارد المعدنية . ولهذا الغرض ترتب تأسيس شركات او قيام الهيئة نفسها باستثمار رأسمال فى الشركات القائمة بالفعل . كما كلفت بترومين بمهمة تطوير الصناعة البتروكيمياوية بالاستفادة من الغاز الطبيعى (٥٢) .

فى مطلع عام ١٩٦٣ صدرت انظمة المصرفين الصناعى

والزراعى فى السعودىة . ونصت مىزانىة سنة ١٩٦٢-١٩٦٣ على زىادة كبىرة فى الاعتمادات المخصصة لاغراض التعلیم والصحة (٥٣)

نهایة ازدواجیة السلطه . مباحیة فیصل ملكا . بعد ان اعلنت حكومه فیصل الاحكام العرفیة فى الاول من كانون الثانى (ینایر) ١٩٦٣ ، شرعت تنكل بالمعارضة . واعتقلت الشخسیات ذات المیول الاصلاحیة ، بالاضافة الى القاء القبض على عدد من الضباط المظللین بتهمة التآمر ضد نظام الحكم . ولكن جبهة التحریر الوطنى صعدت من نشاطها فى الخارج (٥٤) .

فى خریف ١٩٦٢ قصد سعود اوربا للعلاج ، فاخذ فیصل یعمل بنشاط لاحكام سیطرته على السلطه ، وعین اخاه غیر الشقیق عبد الله قائدا للحرس الوطنى واخا آخر حاكما للریاض .

عاد سعود الى الریاض فى ٢٧ نىسان (ابریل) ١٩٦٣ ولكنه غدا فى عزلة . فقد طالبه ٣٩ من اخوته بتسلیم فیصل السلطه الفعلیة ، على ان یظل ملكا ، فغادر سعود البلاد .

اثر ذلك عزل فیصل كل ابناء سعود من المناصب الحكومیة الهامة ، وعین محلهم اخوته الثلاثة خالد وفهد وسلطان ، وعمه الامیر مساعد بن عبد الرحمن الذى كان من خلسائه . وبعد ذلك ابعد ولى العهد عن العاصمة جزءا كبیرا من الحرس الملكى الذى كان مؤلفا من ثلاث كتائب مزودة بالدبابات والمدافع المضادة للجو وتدرّب غالبیة ضباطه فى الولايات المتحدة . وكان جنود الحرس الملكى یتقاضون رواتب عالیة ویحصلون على دور وقطع اراضى وسلفة للبناء . ونقل فیصل كتیبتین من الحرس الملكى (كتیبة مشاة وكتیبة مدرعات) الى الحدود السعودیة الیمنیة فى الجنوب ، ودمجها فى الجیش النظامى (٥٥) .

سمح للملك سعود بالعودة شریطة الا یتدخل فى شؤون البلد ، فاضطر الى الموافقة وعاد الى السعودیة فى ١٣ ایلول (سبتمبر) ١٩٦٣ (٥٦) .

فى ٢٢ آذار (مارس) ١٩٦٤ قام سعود بمحاولة یائسة لاستعادة السیطرة على الدولة ، فطالب بوضع السلطه التنفیدیة بكاملها تحت اشرافه . رفض فیصل وحشد الحرس الوطنى لمؤازرته . وفى ٢٥ آذار نصح مفتى الدیار السعودیة الملك

بالموافقة على مطالب ولى العهد ، فرفض الملك املا فى الحصول على دعم وحدات الحرس الملكى المتبقية تحت امرته . وحينذاك اصدر فيصل امرا الى الحرس الوطنى بتطويق القصر . وكانت القوى غير متكافئة بالمرّة ، فاستسلم الحرس الملكى (٥٧) .

فى ٢٩ آذار (مارس) اصدر العلماء فتوى ايدها افراد الاسرة المالكة ، حول تسليم السلطة باكملها لفيصل على ان يبقى سعود ملكا بالاسم فقط (٥٨) .

واثر هذه الفتوى اصدر مجلس الوزراء سلسلة من القرارات فى ٢٨-٣٠ آذار ، تقضى بالغاء سيطرة الملك على الحرس الملكى وحرسه الخاص ، وتسليم التشكيل الاول لوزارة الدفاع والثانى لوزارة الداخلية . والغى مجلس الوزراء البلاط وقلص الى النصف المخصصات السنوية للملك ، فجعلها ١٨٣ مليون ريال سعودى (الدولار الامريكى = ٤,٥ ريال) . ولم يعد بإمكان سعود ادارة شؤون الدولة ، واحيلت كل صلاحيات الملك لولى العهد فيصل . ووقع ٦٨ اميرا من الاسرة المالكة مذكرة تؤيد احوالة السلطة الى فيصل (٥٩) .

لقد كانت احداث آذار (مارس) عام ١٩٦٤ تكرارا لانقلاب عام ١٩٥٨ ، مع فارق واحد وهو ان سعود حاول فى هذه المرة ابداء نوع من المقاومة ولكنه اخفق .

بدأ فيصل فى صيف ١٩٦٤ يمهّد للاطاحة باخيه غير الشقيق عن العرش نهائيا . وفى ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) غادر جدة متوجها الى الرياض ، والتقى فى الطريق بزعماء البدو . واجتمع الامراء وشيوخ القبائل وعلماء الدين فى العاصمة ، حيث عرضوا على سعود التنازل عن العرش والكف عن ممارسة النشاط السياسى .

فى ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤ اجتمع علماء الدين فى منزل مفتى الديار السعودية محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، ثم عقدوا اجتماعا مع الامراء فى فندق «الصحراء» بالرياض . ويذكر دى غورى ان عدد المشاركين فى الاجتماعين بلغ زهاء مائة امير و٦٥ عالما ، اى كل الفئة العليا من الهرم السياسى الدينى فى السعودية (٦٠) .

صادق مجلس الوزراء فى ٢ تشرين الثانى (نوفمبر) على قراراتين : فتوى العلماء بمبايعة فيصل ملكا ، ورسالة وقعها جميع

افراد الاسرة المالكة تباع فيصل ملكا وتدين له بالولاء .
كما بايع الملك الجديد اعضاء مجلس الشورى وممثلو اهم
المحافظات . وتوجه اعضاء الحكومة برئاسة خالد الى سعود لاعلامه
بالقرار . وفى ٤ تشرين الثانى (نوفمبر) اقسام الحرس الوطنى
يمين الولاء لفيصل . ولكن سعود ظل مترددا آملا فى حدوث معجزة ،
فهدد بحرمانه من املاكه ووضعها تحت الاقامة الجبرية اذا استمر
متعنتا . حينذاك وقع سعود تنازله عن العرش ، وفى كانون الثانى
(يناير) ١٩٦٥ غادر البلاد ، بعد ان ادى يمين الولاء لاخته . وفى
آذار (مارس) ١٩٦٥ عين فيصل اخاه غير الشقيق الامير خالد وليا
للعهد (٦١) .

انتهت بذلك مرحلة الصراع على السلطة بين آل سعود والتي
استمرت ست سنوات . وفى العام الاول لتوليه الحكم جمع فيصل
بين منصبى الملك ورئيس الوزراء ، وتولى السلطة التنفيذية الفعلية
وكان يقوم بتعيين الوزراء واعفائهم ويقبل استقالتهم . وصار جميع
الوزراء خاضعين مباشرة للملك الذى غدت لديه عمليا سلطة كبيرة
مماثلة لسلطة والده عبد العزيز .

المعارضة فى الستينات ومطلع السبعينات . ادت ثورة اليمن
والمجابهة المصرية السعودية الى تصاعد مؤقت فى نشاط مجموعة
الامير طلال .

فقد اعلن فى ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٢ عن تشكيل
جبهة التحرير العربية ونشر برنامجها . وذكر طلال ان التنظيم
الجديد سيناضل من اجل اقامة نظام ديمقراطى فى السعودية والغاء
الرق هناك ويعمل فى سبيل اعادة النظر فى اتفاقيات الامتيازات
النفطية بغية حماية مصالح البلد وانشاء شركة وطنية لاستخراج
النفط ، ويكافح فى سبيل الوحدة العربية وضد الاحلاف الامبريالية
والقواعد العسكرية . وقد راعى الامير فيصل الكثير من مطالب طلال
وادرجها فى بيانه البرنامجى .

فى مطلع الستينات وضعت الصيغة التنظيمية لمجموعة معارضة
اخرى وهى اتحاد ابناء الجزيرة العربية (اتحاد شعب الجزيرة
العربية فيما بعد) ، وترأسها ناصر السعيد ، العامل السابق فى
ارامكو . واعلنت المنظمة انها تمثل جميع فصائل الكادحين ، بمن
فيها العمال والفلاحون والطلاب والموظفون والجنود والضباط

والاطباء . ووزعت المنظمة فى جدة والرياض ومكة منشورات مناهضة للحكم الملكى . ودعت المنظمة فى اذاعة موجهة من القاهرة الى تصفية الحكم الملكى السعودى وتأسيس جمعية وطنية تمثل كل فئات الشعب ، كما اعلنت عن تأييدها لعبد الناصر وتنديدها بالملك حسين (٦٢) .

وبعد ثورة اليمن انتقلت قيادة الاتحاد من القاهرة الى صنعاء . وانشأت المنظمة قيادة عليا للعمل فى السعودية ، كان من بين اعضائها ناصر السعيد (٦٣) .

بديهى ان مجموعتى طلال (الاقطاعيون الليبراليون والبرجوازية التجارية) وناصر السعيد («الفئات الوسيطة») كانتا متباينتين من حيث التركيب الاجتماعى والتطلعات السياسية واساليب النضال ، وكانتا تتبادلان التهجمات .

اما جبهة التحرير الوطنى فقد حاولت توحيد القوى المعارضة ، وفى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٢ اندمجت بجبهة التحرير العربية ، حيث صار اسم التنظيم الجديد جبهة التحرير الوطنى العربية وانتخب طلال امينا عاما لها . وشرعت هذه الجبهة بنشر موادها فى صحيفة «الكفاح» اللبنانية تحت ركن «صوت الجبهة» . وكان برنامجها يشمل المطالبة بالحكم الدستورى الديمقراطى وانتخاب هيئات السلطة وحرية الفكر والكلمة وحرية الاجتماع والتنظيم السياسى والنقابى ، وحق الكادحين فى الاضراب والتظاهر ، واجراء تغيير جذرى فى الجهاز الحكومى ، ونشر التعليم ومكافحة الامية وتعليم النساء اسوة بالرجال ، وتصنيع البلد وتوزيع الاراضى الاميرية على الفلاحين ، وتطوير الصحة وتوفير الخدمات الصحية لجميع المواطنين ، واقامة التعاونيات الزراعية ، وتحسين وسائل المواصلات وتعزيز الجيش وتجهيزه باحدث الاسلحة ، واعادة النظر فى اتفاقيات النفط لصالح العربية السعودية ، وانشاء شركة وطنية لاستخراج وتكرير النفط ، والدفاع عن الوحدة العربية والنضال ضد الاحلاف الامبريالية والقواعد العسكرية ، واتباع سياسة الحياد الإيجابي والتعايش السلمى واقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية مع جميع البلدان (٦٤) .

بيد ان مجموعة طلال انسحبت فى آب (اغسطس) ١٩٦٣ من جبهة التحرير الوطنى العربية ، ومنذ ذلك الحين اخذت تسمى مجددا

جبهة التحرير الوطنى . وقد تدهورت علاقات «الامراء الاحرار» بالرئيس عبد الناصر وخاصة بعد ان اخذت اذاعة اليمن تدعو الى «تصفية جميع افراد الاسرة السعودية المالكة دون استثناء» . وفى شباط (فبراير) ١٩٦٤ عاد طلال الى الرياض بعد ان كان اخوته قد وصلوا اليها قبل شهر من ذلك (٦٥) . وبذا انفرط عقد «الامراء الاحرار» ، ولم يسمع منذ ذلك شىء عن نشاطهم السياسى . لم تتمكن المعارضة الديمقراطية الثورية المنظمة من احراز نجاح داخل البلد . وفى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٢ اعتقل ٤٠ من الضباط الشباب الذين خططوا للقيام بانقلاب . وفى شباط (فبراير) ١٩٦٣ اكتشفت اجهزة الامن السعودية مجموعة جديدة توحد الوطنيين (٦٦) .

شهد البلد اضطرابات عمالية فى فترة ١٩٦٢-١٩٦٦ . وفى عام ١٩٦٢ توقف عمال المطابع المصريون فى جدة عن العمل احتجاجا على التهجئات ضد مصر . وفى عام ١٩٦٣ اضرب السعوديون والبحرانيون العاملون لدى احد المقاولين فى المنطقة الشرقية . وفى العام نفسه جرى اضراب فى معمل للاسمنت . واضرب عمال النفط فى المنطقة المحايدة مطالبين بتقليص اسبوع العمل من ٤٨ الى ٤٠ ساعة . وفى عام ١٩٦٤ قاطع عمال ارامكو مطاعم الشركة وحوانيتها ، ونظموا مظاهرة . وبالرغم من صدور مرسوم عام ١٩٦٥ الذى يحظر كل انواع الاتحادات والروابط العمالية وحتى العقود الجماعية ، فان تسعمائة من عمال ارامكو برهنوا عام ١٩٦٦ على وجود نوع من التنظيم لديهم ، ورفعوا الى مكتب الشكاوى التابع لمجلس الوزراء عريضة تتضمن مطالب اقتصادية (٦٧) . بيد ان كل هذه النشاطات لم تكن ذات طابع جماهيرى . وحتى مطلع عام ١٩٦٧ لم تكن هناك بوادر تدل على ان النظام السعودى قد تعرض لخطر جدى يذكر من قبل المعارضة السرية . وكانت السلطات تعلن بين الحين والحين عن اعتقال افراد بتهمة القيام «بنشاط هدام» او «الانتماء الى منظمات سرية معادية للنظام» . وفى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٥ اعلنت وزارة الداخلية عن اعتقال ٦٥ شخصا بتهمة «النشاط الهدام» ، ووجهت لـ ٣٤ شخصا تهمة «الانتماء الى منظمة سرية انخرفت عن الصراط المستقيم ، وترمى الى الاخلال بامن البلاد» . وبعد ان سجل المتهمون

اقرارا تحريريا اعلنوا فيه انهم مذنبون وطلبوا العفو ، اطلق الملك سراحهم ولكن حظر عليهم مزاوله وظائف حكومية ، وابتعد الاجانب منهم . وكانت هناك مجموعة ثانية تتألف من ٣١ شخصا اتهموا بـ«الشيوعية» واتباع «المبادئ الهدامة» . وحكم على ١٩ منهم بالحبس لمدة تتراوح بين ٥ و ١٥ سنة (٦٨) .

فى ٩ كانون الثانى (يناير) ١٩٦٧ اعلن عن القاء القبض على «مخربين مدرين» ، واتهموا بتنظيم تفجيرات فى مؤسسات حكومية عديدة منها وزارة الدفاع ومبنى البعثة العسكرية الامريكية وقصور الامراء والقاعدة العسكرية القريبة من حدود اليمن . وزعم ان المخربين ليسوا من المواطنين السعوديين ، بل انهم متسللون من جمهورية اليمن . وفى آذار (مارس) اعدم ١٧ منهم علنا فى الرياض (بقطع وؤوسهم) وطرد من البلد ما يزيد على ٦٠٠ يمنى (٦٩) .

فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٦ انتقل الملك السابق سعود من اوربا الى القاهرة ، وسرعان ما غدا واضحا انه لم يفقد الامل فى استعادة عرشه بمساعدة . . . الرئيس عبد الناصر . ومن سخريات القدر ان سعود كان من الد خصوم الرئيس المصرى ، وسبق ان اتهم بتنظيم مؤامرة لاغتيال عبد الناصر . وتحدث سعود فى سلسلة مقابلات من اذاعة القاهرة سمي فيها فيصل بـ«عميل للامبريالية» واتهمه بانه . . . تحالف مع الاستعمار ضد اشقائه العرب . وقد اثارت تأكيدات سعود حول امله فى العودة الى البلد بـ«باى ثمن» ، تكهنات بانه يخطط لتنظيم غزو عسكرى للسعودية بمساعدة القبائل الموالية له .

فى نيسان (ابريل) ١٩٦٧ وصل سعود الى صنعاء فى زيارة استغرقت ثلاثة ايام . وقد رحب به عبد الله السلالة باعتباره «الملك الشرعى» للسعودية . وبعد العدوان الاسرائيلى فى حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، الذى جرى اثره تقارب مصرى سعودى وتقرر وقف العمليات العسكرية فى اليمن ، توقفت حملة سعود وغادر الى اوربا فى ايلول (سبتمبر) . ولكنه عاد الى مصر فى تشرين الثانى (نوفمبر) ، الا انه لا تتوفر معلومات عن نشاطه السياسى لحين وفاته فى شباط (فبراير) ١٩٦٩ (٧٠) .

ابان حرب حزيران جرت فى رأس تنورة والظهران مظاهرات معادية لاسرائيل وامريكا . وهاجم المتظاهرون فى الظهران القنصلية

الامريكية . وجرث اثر ذلك حملة اعتقالات ، وتذكر بعض المصادر ان عددا من المعتقلين قد قتلوا . وطرد من البلد مئات الفلسطينيين . وفي اواخر حزيران (يونيو) نظم المستخدمون العرب في ارامكو اضرابا جزئيا استمر بضعة ايام (٧١) .

شهدت سنة ١٩٦٨ انحسارا وقتيا في المعارضة الداخلية والخارجية للملك فيصل . وسحبت القوات المصرية من اليمن ، وتخلت مصر عمليا عن دعم المعارضة داخل المملكة مقابل دعم مالي ومساعدات اخرى من السعودية .

اثارت سياسة التغييرات التدريجية والحذرة التي اجراها الملك فيصل استياء داخل الاسرة الحاكمة ، سواء لدى اولئك الذين اعتبروا التغييرات مغالية في الليبرالية والديناميكية ، او الذين اعتبروها بطيئة للغاية وغير حاسمة . وكان لكل من وجهتي النظر هاتين انصار بين الامراء ، مما ادى الى احتكاكات مبعثها التنافس الشخصي . وحصل نوع من التوتر داخل العائلة المالكة بسبب سوء صحة الملك فيصل والصراع الخفي على الارث السياسى المحتمل . وقد اجريت لفصل عملية جراحية في جنيف في تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٧٠ . وبديهي ان حالته الصحية اثارت المسألة التالية : اى من كتل الامراء ستكون لها الكلمة الفصل في حالة وفاة الملك او اعتزاله . واصبح الشخص الثالث في العائلة ، بعد ولي العهد خالد ، فهد بن عبد العزيز وهو من مجموعة قوية من الاشقاء المنتسبين الى عائلة السديري من جهة الام (٧٢) .

عملت سرا في السعودية خلال الستينات ومطلع السبعينات بضع منظمات ديمقراطية ثورية هي جبهة التحرير الوطنى السعودية واتحاد شعب الجزيرة العربية ، بالاضافة الى المجموعات الجديدة مثل الحزب النجدى الثورى الذى اعلن عن اعتزامه النضال ضد «الطفمة الرجعية الحاكمة» ، والجبهة القومية الديمقراطية في العربية السعودية المكونة من بعثيين وناصريين سابقين . وكانت مراكز نشاط هذه القوى خارج المملكة ، ومن المحتمل انه كان لها اعضاء نشطاء داخل البلد (٧٣) .

فى الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٩ نظمت مجموعة كبيرة من الضباط السعوديين ، وغالبيتهم من سلاح الطيران ، محاولة انقلاب . وزعم ان الضباط كانوا يعتزمون اغتيال الملك فيصل واخاه

الامير سلطان وزير الدفاع والطيران ، والاستيلاء على العاصمة . ويستفاد من عدة مصادر ان وكالة المخابرات المركزية الامريكية ساهمت في كشف تنظيم الضباط الثوريين . وقد اعتقلت اجهزة الامن بضع مئات من الضباط لا تزيد رتبة غالبيتهم عن رائد . وذكر بيان صادر عن اتحاد شعب الجزيرة ان بين المعتقلين العميد داود الرومي آمر قاعدة الظهران وسعيد العمري قائد حامية الظهران اللذان قتل اثناء التعذيب . كما اعتقل عدد من عمال النفط والمستخدمين وموظفي المصارف الذين لهم علاقة بالضباط الثوريين . وذكرت جبهة التحرير الوطني ان ٤٠ من المتهمين بالمحاولة الانقلابية قد اعدموا في آب (اغسطس) (٧٤) .

خلال الاشهر التي اعقبت كشف المحاولة الانقلابية ، كانت تنشر باستمرار خارج المملكة انباء حول حملات اعتقال واعدام وتعذيب جماعية . وذكرت الصحف ان عدة محاولات انقلابية جرت في ايلول (سبتمبر) وتشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٩ ونيسان - ايار (ابريل - مايو) ١٩٧٠ وفي تموز (يوليو) ١٩٧٠ . ومن المحتمل ان تكون السلطات هي التي اشاعت انباء «المحاولات الانقلابية» لتبرير اعمال التنكيل (٧٥) . وتفيد معطيات السعوديين في المهجر ان عدد السجناء السياسيين في المملكة بلغ حوالي الالفين عام ١٩٧٣ (٧٦) .

انارت ثورة الفاتح من سبتمبر عام ١٩٦٩ في ليبيا قلق الاسرة الحاكمة ، لتشابه الظروف الاجتماعية السياسية في البلدين . واخذ النظام السعودي يزيد من اهتمامه بتعزيز القوات المسلحة ، وخاصة سلاح الطيران والحرس الوطني وجهاز الامن المكون من شعبة مكافحة الجاسوسية ومديرية الامن العام . وتولى فهد النائب الثاني لرئيس الوزراء وزير الداخلية الاشراف على كل اجهزة الامن . ووزعت وحدات الجيش في كل انحاء البلد ، ولم يسمح لها قط بالتحشد حول المراكز الرئيسية . وبعد عام ١٩٦٢ بدأ انتقاء ضباط سلاح الطيران من افراد الاسرة المالكة وسائر الافخاذ الاقطاعية . ولكن المحاولة الانقلابية في حزيران (يونيو) ١٩٦٩ ، اظهرت ان هذه الخطوات لم تعط المردود المنتظر (٧٧) . استمر فيصل في اتخاذ الاجراءات لمواصلة التنمية الاقتصادية ، بما في ذلك وضع الخطة الخمسية التي اقرت في نهاية عام ١٩٧٠ .

وقد تحسنت شبكة النقل والمواصلات وتطورت شبكات الاذاعة والتلفزيون . واستمر تطبيق مشاريع تحضير البدو ، وتوسيع قطاع الخدمات العامة والصحة والتعليم (٧٨) .

خرجت احداث اليمن عن الاطار المحلي ، وضلع فيها القطبان المتناحران الرئيسيان فى الشرق الاوسط خلال الستينات ، وهما مصر والسعودية . واذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان الجمهورية العربية المتحدة كانت تحظى بدعم الاتحاد السوفييتى ، فى حين ان العربية السعودية تحصل على مؤازرة الولايات المتحدة وبريطانيا ، لاكتشفنا ان احداث اليمن ، رغم محدوديتها الموضوعية ، قد اكتسبت اهمية دولية .

المواجهة السعودية المصرية فى اليمن . عندما بدأت احداث اليمن طلبت الرياض المساعدة من واشنطن . و اشار الرئيس الامريكى جون كندى فى رسالة موجهة الى رئيس الوزراء فيصل اثر تسلمه السلطة ، الى ان بإمكان السعودية الاعتماد على الولايات المتحدة فى مجال صيانة امن المملكة وسلامة اراضيها . وفى ١٦ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٢ قامت مقاتلات امريكية بتحليقات استعراضية فوق الرياض وجدة والظهران .

فى ١٩ تشرين الثانى (نوفمبر) وقع ميثاق الدفاع بين الجمهورية العربية اليمنية والجمهورية العربية المتحدة . وبدأت مصر تقدم مساعدات عسكرية واقتصادية متزايدة للجمهوريين . ومن المهم الاشارة الى ان كلا من الجمهورية العربية المتحدة والعربية السعودية كان يعتبر ميثاق الدفاع المشترك المعقود بين مصر والسعودية واليمن فى جدة عام ١٩٥٦ ، اساسا قانونيا لاسداء العون للجمهوريين (من قبل مصر) وللملكيين (من قبل السعودية) (٧٩) .

فى الاول من كانون الثانى (يناير) ١٩٦٣ اعلن رئيس الوزراء فيصل التعبئة العامة . وفى الوقت نفسه طلبت الحكومة السعودية المساعدة من الولايات المتحدة الامريكية . وفى مطلع كانون الثانى (يناير) ١٩٦٣ اعلنت الولايات المتحدة عن ارسال عدد من طائراتها وسفنها العربية الى السعودية (٨٠) .

وبعد فترة وجيزة وافقت الحكومة الامريكية على مساعدة السعودية فى انشاء شبكة للدفاع الجوى على امتداد الحدود اليمنية

قرب نجران . وفى ٦ شباط (فبراير) بدأت تدريبات مشتركة للمظليين الامريكان والسعوديين قرب جدة ، وشارك فيها مائة مظل امريكى وصلوا من المانيا الغربية (٨١) .

اتسع نطاق الحرب الاهلية فى اليمن والنزاع السعودى المصرى . وقام السعوديون بتمويل الملكيين وتزويدهم بالاسلحة والذخائر والمؤن والمواد الطبية . وفى كانون الاول (ديسمبر) وصل تعداد القوات المصرية فى اليمن الى ١٣ الفا ، وفى شباط (فبراير) ١٩٦٣ بلغ عشرين الفا ، كما اوفدت مصر الى اليمن اطباء ومعلمين ومهندسين زراعيين وفنيين (٨٢) .

فى ٢٧ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٢ وجه الرئيس الامريكى جون كندى رسائل الى رئيس الوزراء السعودى فيصل والملك الاردنى حسين ورئيس الجمهورية العربية المتحدة عبد الناصر والرئيس اليمنى السلال ، ضمنها تصوراتة حول سبل حل نزاع اليمن . وقد تجاهل الرئيس الامريكى الامام وحاشيته . واقترح كندى على الجمهورية العربية المتحدة سحب قواتها المسلحة من اليمن ، وفى المقابل اقترح على السعودية والاردن ومشايخ وسلطين اتحاد جنوب الجزيرة (الذى شكله البريطانيون عوضا عن محميات جنوب اليمن) ، وقف المساعدات للملكيين . وفى اليوم نفسه اعلن فيصل عن رفضه اقتراح كندى . وفى اليوم التالى رفض الرئيس جمال عبد الناصر بدوره اقتراح كندى ، واعلن انه لن يوافق على سحب القوات المصرية من اراضى اليمن الا اذا زال الخطر الذى يهدد اليمن الجمهورى . ولم يوافق على مبادرة كندى الا الرئيس اليمنى عبد الله السلال (٨٣) .

يبدو ان واشنطن اعتبرت قضية الملكيين ميؤوسا منها فى خاتمة المطاف . وفى ١٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٢ اعلنت حكومة الجمهورية العربية اليمنية انها ستغلق السفارات والبعثات الدبلوماسية لجميع البلدان التى لم تعترف بالجمهورية . وفى ١٩ كانون الاول اعلنت وزارة الخارجية الامريكية رسميا عن اعتراف الولايات المتحدة باليمن الجمهورى (٨٤) .

فى اوائل عام ١٩٦٣ خاض الجمهوريون اليمنيون المدعومين من قبل القوات المصرية معارك ضارية ضد الملكيين والمرتزة المتسللين من السعودية ومحميات جنوب اليمن البريطانية . وكانت

وحدات الملكيين المشكلة بمساعدة السعودية وبريطانيا جزئيا ، تتألف آنذاك من زهاء اربعين الف شخص ، ولها قواعد تموين ومعسكرات على اراضى السعودية وجنوب اليمن . ورغم ذلك فقد تمكن المصريون والجمهوريون فى شباط - آذار (فبراير - مارس) ١٩٦٣ من تحرير مدينتى مأرب وحريب فى شرق اليمن من الملكيين . بيد ان وحدات الملكيين كانت تتسلل باستمرار الى اراضى اليمن عبر الجبال والصحارى . وكانت هناك مناطق فى الجبال واقعة تحت سيطرة المتمردين التامة . وقد تحولت الحرب الاهلية داخل اليمن فى الواقع الى حرب بين الجمهورية العربية المتحدة والسعودية واستنزفت الطرفين (٨٥) .

يقول شميدت : «لو درسنا باهتمام فترة السنوات الاربع لوجدنا ان كلا من الطرفين بذل جهودا مستميتة للخروج من المأزق . وقام المصريون باول هذه الجهود فى شباط - آذار (فبراير - مارس) عام ١٩٦٣ اثناء ما يسمى بـ«هجوم رمضان» ، حينما تمكنوا من الاستيلاء على الجوف فى شمال شرقى اليمن ومدينتى مأرب والحريب فى الجزء الشرقى من البلد . وجاء الجهد الثانى ، الذى قام به الملكيون ، بعد فترة فصل القوات . ففى كانون الثانى - شباط (يناير - فبراير) ١٩٦٤ تمكن الملكيون من ان يقطعوا لبضعة اسابيع الطريق بين صنعاء والحديدة وهو الشريان الرئيسى الذى يغذى الجيش المصرى . . . اما الجهد الثالث فقد بذله المصريون فى صيف العام ذاته بتحشيدهم قوات فى الشمال الغربى ، حيث جرت فى آب - ايلول (اغسطس - سبتمبر) اكبر العمليات الهجومية وذلك فى منطقة حرض . وكان هدف العملية يتمثل فى اغلاق الحدود مع السعودية واسر الامام او قتله . ولكن لم يتحقق اى من هذه الاهداف . وفى هذه الاثناء هبأ الملكيون فى الشمال والشمال الشرقى الظروف لشن اكبر هجماتهم ، وقاموا بالجهد الرابع خلال فترة السنوات الاربع . وبعد الانهيار التام لاتفاقية الاسكندرية بين الملك فيصل والرئيس عبد الناصر ، منى الجمهوريون بهزيمة ادت الى عقد اتفاقية جدة فى آب (اغسطس) ١٩٦٥ وانسحاب المصريين من شمال وشرق اليمن» (٨٦) .

فى ربيع عام ١٩٦٣ اتفقت الرياض والقاهرة على ضرورة انهاء العمليات الحربية فى اراضى اليمن وفصل القوات . وفى نيسان

(ابريل) ١٩٦٣ اتفقت الجمهورية العربية المتحدة والسعودية والجمهورية العربية اليمنية على السماح لمراقبين من هيئة الامم المتحدة بدخول اليمن .

وفى تموز (يوليو) ١٩٦٣ وصلت وحدات الامم المتحدة الى شمال اليمن واقامت نقاط سيطرة فى عدد من المناطق . وقامت دوريات جوية وبرية من قوات الامم المتحدة بالكشف على مناطق الحدود (٨٧) ، غير ان مردود هذه العمليات كان ضئيلا للغاية .

فى مطلع آذار (مارس) ١٩٦٤ اتفق وفدان من مصر والسعودية على عقد لقاء بين رئيس الوزراء فيصل والرئيس عبد الناصر لوضع خطة ملموسة لانهاء الحرب فى اليمن . وقد عين موعد اللقاء فى نيسان (ابريل) ولكنه ارجئ بسبب احتدام الصراع على السلطة بين فيصل وسعود . واصرت الجمهورية العربية المتحدة على ان تعترف السعودية بالجمهورية العربية اليمنية وتكف عن مساعدة الملكيين اليمنيين ، على ان يعقب ذلك انسحاب القوات المصرية من اليمن . ولكن السعودية ظلت تعترف بالامام البدر حاكما شرعيا لليمن ، وتسوف فى بدء المفاوضات الرسمية التى كانت لتعنى اعترافها بانها طرف فى النزاع اليمنى ، واصرت على ان يتم اولا الانسحاب غير المشروط لجميع القوات الاجنبية (اى المصرية) من اليمن . ولم تدرج السعودية فى عداد هذه القوات وحدات المرتزقة العاملة الى جانب الملكيين ، والتى لم تكن من الناحية الشكلية ضمن جيش اى من الدول . وفى هذا الظرف لم يعد هناك جدوى من عمل بعثة الامم المتحدة ، المرابطة فى اليمن من تموز (يوليو) ١٩٦٣ ، فغادرت البعثة وقوات الامم المتحدة البلد فى مطلع ايلول (سبتمبر) ١٩٦٤ (٨٨) .

كان ثمة خطر تحول النزاع فى اليمن الى حرب حقيقية بين الجمهورية العربية المتحدة والعربية السعودية . وقد نشرت صحيفة «النهار» البيروتية فى مطلع ايلول (سبتمبر) ١٩٦٤ مقابلة مع فيصل قال فيها ان القوات المسلحة السعودية يمكن ان تدخل اراضى اليمن بطلب من الامام (٨٩) . وكان ذلك تهديدا سافرا ، الا ان السعودية لم تكن تمتلك القوات الكافية للقيام بمثل هذه العملية .

ظل الموقف المصرى على حاله ، ولكن تم خلال المفاوضات

المصرية السعودية التي جرت في مؤتمر القمة العربي بالاسكندرية في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٤ ، الاتفاق على ان يتولى البلدان التوسط بين الجمهوريين والملكيين لتسوية النزاع (٩٠) .

في ٢ و ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٤ عقد في مدينة اركويت بالسودان مؤتمر حضره ممثلون عن الجمهورية العربية اليمنية والملكيين ، وتقرر خلاله وقف اطلاق النار ابتداء من ٨ تشرين الثاني ١٩٦٤ ، بيد ان هذه الهدنة لم تدم اكثر من يومين (٩١) .

ادت العمليات الحربية الطويلة الاملد في اليمن الى خلق صعوبات كبيرة ليس للجمهورية العربية اليمنية فحسب ، بل ولمصر والسعودية ايضا . وقد ازداد تعداد القوات المصرية الموجودة في اراضي اليمن من ٣ الاف الى خمسين الفا . وخلال الفترة الممتدة من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٢ الى ربيع عام ١٩٦٥ فقدت مصر زهاء ١٥ الف قتيل في اليمن (٩٢) . كما قتل عشرات الآلاف من اليمنيين (٩٣) . وقد اتت الحرب على خزانة مصر وقوضت اقتصادها . ولم تنشر الحكومة السعودية معلومات عن نفقاتها ولكن من المؤكد انها انفقت مبالغ طائلة .

لقد بالغ عبد الناصر في تقدير قواه ، بارساله قوات لمساعدة الجمهوريين . ويبدو انه اعتقد بان العملية سوف تستغرق بضعة اسابيع او عدة اشهر على اكثر تقدير . وكانت النتائج المحتملة لهذه العمليات تبدو له جديرة بالجهود : طرد البريطانيين من جنوب اليمن ، بما فيه عدن ، والانفجار الثوري في السعودية الذي يمكن ان يؤدي الى قيام نظام ديمقراطي ثوري صديق له في هذا البلد الغنى بالنفط ، والضغط على مواقع الغرب في حوض الخليج . ولكن امد الحرب طال . ولم يكن المجتمع اليمني مهيبا بعد للتغيرات الثورية العميقة التي بدأت في البلد . وكان للملكيين مواقع قوية داخل اليمن ودعم كبير من الخارج . كما ان الجنود المصريين ، من ابناء الفلاحين الذين تربوا في وادي النيل وحوضه ، لم يكونوا مكيفين بالشكل المطلوب لخوض عمليات في الجبال والصحارى . وقد ازداد تعداد القوات المصرية الى ٦٠-٧٠ الفا عام ١٩٦٧ (٩٤) .

بيد ان كلا من مصر والسعودية كان يربط بمصير اليمن حسابات تتعدى حدود اليمن وحتى الجزيرة العربية كلها . فقد

صارت القضية اليمنية من البنود الاساسية لمجمل السياسة العربية لكل من البلدين .

ابتداء من اواخر عام ١٩٦٤ استغلت الجمهورية العربية المتحدة نجاحاتها العسكرية المؤقتة فى اليمن فاتخذت موقفا اكثر تشددا ازاء السعودية . وبدأت تترسم معالم نزعة ازدياد دور القيادة المصرية فى ادارة شؤون الدولة فى الجمهورية العربية اليمنية (٩٥) .

فى اواخر حزيران (يونيو) ١٩٦٥ اشار عبد الناصر الى انه اذا لم تسفر المفاوضات السعودية المصرية عن نتائج ملموسة فان مصر سوف تضطر الى تصفية بؤر العدوان بالقوة (٩٦) . واثيرت فى الجمهورية العربية اليمنية مسألة الاراضى التى صارت جزءا من السعودية ، وهى عسير (منطقة مدينة جيزان) ونجران . وسعت الصحف المصرية للبرهنة على عائدة هذه الاراضى لليمن .

ضعفت مواقف مصر فى الجمهورية العربية اليمنية الى حد كبير فى اواسط عام ١٩٦٥ . واخذ يتزايد فى المعسكر الجمهورى نفوذ الجناح المحافظ ذى الميول المناوئة لمصر ، والمعتمد على شيوخ القبائل وعلماء الدين وبعض فئات التجار . ولم تحقق آمال زعماء مصر فى حدوث تعقيدات فى الوضع السياسى الداخلى للسعودية . وفى اليمن بدأ الملكيون الذين سلحتهم السعودية وايران يهاجمون ، بينما كان الجمهوريون والمصريون يسلمون موقعا اثر آخر (٩٧) .

هكذا كانت الاوضاع فى لحظة انعقاد لقاء الرئيس عبد الناصر بالملك فيصل فى جدة فى ٢٢ آب (اغسطس) ١٩٦٥ ، والذى تكلل فى ٢٤ من الشهر بعقد اول اتفاقية مصرية سعودية تهدف الى تسوية النزاع فى اليمن . ولم يشارك فى المفاوضات الجمهوريون ولا الملكيون (٩٨) .

نصت اتفاقية جدة لعام ١٩٦٥ على منح الشعب اليمنى حق البت فى مسألة نظام الدولة عن طريق استفتاء شعبى على ان يجرى فى موعد اقصاه ٢٣ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٦ ، وعقد مؤتمر لجميع القوى الوطنية والسياسة المتنفيين فى اليمن وذلك يوم ٢٣ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٥ فى مدينة حرض لصياغة قرار حول نظام الحكم للمفترة الانتقالية السابقة للاستفتاء العام ، وتشكيل حكومة

مؤقتة لادارة شؤون البلد اثناء الفترة الانتقالية ، وتحديد طابع الاستفتاء ، وتكليف السعودية ومصر مسؤولية الاشراف على تنفيذ مقررات المؤتمر . وكان ينبغي على السعودية ان توقف فوراً المساعدات العسكرية للملكيين اليمنيين ، وتمنع استخدام اراضيها لشن عمليات عسكرية ضد اليمن الجمهورى . والتزمت مصر بسحب قواتها المسلحة من اراضى اليمن خلال عشرة اشهر ابتداء من ٢٣ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٥ . وتقرر ايقاف العمليات الحربية فى اليمن وتشكيل لجنة مشتركة للتسوية السلمية من ممثلى البلدين (٩٩) .

لقد بين مؤتمر جدة ان كلا من مصر والسعودية كان على استعداد لتقديم تنازلات للطرف الاخر لتحريك قضية حقن الدماء فى اليمن . ويبدو انه تم فى جدة التوصل الى اتفاق حول عزل الرئيس اليمنى عبد السلال والامام البدر عن الحياة السياسية لفترة طويلة . ومما يؤكد هذه التوقعات ان السلال غادر الى القاهرة والبدر الى الطائف فور عقد الاتفاقية . وقد افتتح مؤتمر حرض فى ٢٣ تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٩٦٥ .

ومنذ اواخر عام ١٩٦٥ بدأت الولايات المتحدة وبريطانيا بيع السعودية كميات كبيرة من الاسلحة والطائرات النفاثة ، الامر الذى اعتبره عبد الناصر عملاً معادياً لمصر (١٠٠) .

فى اوائل آذار (مارس) ١٩٦٦ استأنف الملكيون العمليات الحربية ، فانهوا بذلك الهدنة التى تم الاتفاق عليها فى جدة . ولم تكن العمليات العسكرية لمصر والجمهوريين موفقة ، فاصبحوا محصورين فى مثلث صنعاء - تعز - الحديدة (١٠١) .

فى ٢٢ آذار (مارس) ١٩٦٦ اعلن عبد الناصر عن نيته ابقاء القوات المصرية فى اليمن حتى يتعزز الجيش الجمهورى الى حد يؤهله للدفاع عن بلده (١٠٢) . وفى اول ايار (مايو) ١٩٦٦ اكد عبد الناصر مجدداً ان الجمهورية العربية المتحدة لن تقتصر على ضرب القواعد التى تستخدم ضد اليمن فى نجران وجيزان ، بل وستحتلها اذا واصلت السعودية عملياتها العدوانية ضد الجمهورية اليمنية (١٠٣) .

قام الملك فيصل بزيارة رسمية للولايات المتحدة لمدة ثلاثة ايام ابتدأت فى ٢١ حزيران (يونيو) ١٩٦٦ . وعند حلول صيف

١٩٦٦ كانت الاوساط الحاكمة فى السعودية قد تمكنت من تحسين علاقاتها مع عدد من الانظمة الملكية فى العالم الاسلامى ، وعقد اتفاقيات حول استلام اسلحة واعتدة بريطانية وامريكية .

تفاقت الخلافات داخل الجمهورية العربية اليمنية ، وفى آب (اغسطس) ١٩٦٦ حاول رئيس وزرائها العمرى الحيلولة دون عودة السلال من القاهرة التى كان قد امضى فيها عشرة اشهر (١٠٤) . وقد قمعت حركة العمرى وعاد السلال الى السلطة .

ظلت العلاقات السعودية المصرية فى اوج التوتر . وفى ٩ شباط (فبراير) ١٩٦٧ اغلقت الحكومة السعودية فروع «بنك القاهرة» وبنك «مصر» فى جدة . واصدرت الحكومة المصرية بدورها مرسوما يقضى بمصادرة كل الاموال المنقولة وغير المنقولة للملك فيصل وافراد الاسرة الحاكمة فى مصر . ووضع الحجز على اموال ٤٠ شركة سعودية و٣١ من رعايا السعودية (١٠٥) .

نهاية المجابهة مع مصر . احدث العدوان الاسرائيلى فى حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وهزيمة مصر تغييرا جذريا فى الوضع داخل اليمن . فقد بدأت مصر منذ ١٢ حزيران سحب قواتها المسلحة - ١٥ الف شخص و١٥٠ دبابة وكل المدفعية الثقيلة - من هناك (١٠٦) .

وفى ظروف التنامى المنقطع النظير لمشاعر العداء لاسرائيل فى العالم العربى ، اضطرت الاوساط السعودية الحاكمة الى التضامن مع مصر بوصفها ضحية للعدوان الاسرائيلى ، وذلك رغبة منها فى الحفاظ على سمعتها فى العالم العربى والاحتفاظ بالسلطة داخل البلد .

وفى ٣١ آب (اغسطس) ١٩٦٧ ، واثناء انعقاد مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم ، وقع الرئيس عبد الناصر والملك فيصل اتفاقية حول التسوية السلمية فى اليمن . ونصت الاتفاقية على ان تسحب مصر كل قواتها من اليمن خلال ثلاثة اشهر ، وتعهدت السعودية بوقف المساعدات للملكيين .

وفى مؤتمر الخرطوم قطعت الكويت والسعودية وليبيا وعدا بان تقدم لمصر والاردن اللتين تضررتا اكثر من غيرهما نتيجة للعدوان الاسرائيلى ، مساعدة سنوية مقدارها ١٣٥ مليون جنية استرلينى ، خصص ٩٥ مليونا منها لمصر و٤٠ مليونا للاردن . وتعهدت الكويت بدفع ٥٥ مليون جنية استرلينى والسعودية

بدفع ٥٠ مليوناً وليبيا ٣٠ مليوناً (١٠٧) . غير ان السعودية حذرت من انها لن تنفذ وعدها الا بعد انجاز انسحاب القوات المصرية من اليمن .

في العاشر من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٧ اعلن ان القوات المصرية قد سحبت كلها تقريباً من صنعاء ، وان آخر وحدة سوف تغادر الحديدة في ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٧ (١٠٨) . وضع انسحاب القوات المصرية الجمهورية العربية اليمنية في موقف صعب لان السعودية واصلت تقديم عون كبير للملكيين ، بما في ذلك تدريب التشكيلات العسكرية للقبائل التي تؤازرهم داخل اراضيها . وكانت اتفاقية الخرطوم التي وقعتها مصر بعد العدوان الاسرائيلي تعنى حل القضية اليمنية وفق الشروط التي املتتها السعودية عملياً . وادى انسحاب القوات المصرية الى تعقيد اوضاع الجمهوريين ، وبخاصة الجناح اليساري التقدمي . وادى ذلك بدوره الى تزايد نشاط الملكيين المستندين الى دعم السعودية التي واصلت نهج خلق الثورة اليمنية (١٠٩) .

العلاقات بين السعودية والجمهورية العربية اليمنية واليمن الجنوبي (١٩٦٧-١٩٧٣) . اثر توقيع اتفاقية الخرطوم جرى في الجمهورية العربية اليمنية انعطاف حاد الى اليمين . في الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ غادر السلال الى بغداد . وفي ليلة الخامس من الشهر بسطت القوى اليمنية سيطرتها على صنعاء والمدن الاخرى . وكان مصير السلال قد تقرر بانسحاب القوات المصرية من اليمن (١١٠) .

تسلمت مقاليد السلطة في البلد فئة اقطاعية وعشائرية تسعى للتعاون مع السعودية والدول الامبريالية . وفي ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ اعلن رئيس الوزراء الجديد العيني ان حكومته موافقة على التفاوض مع ممثلي الملكيين ، بمن فيهم عائلة الامام ، بشرط الابقاء على النظام الجمهوري (١١١) . وكان مصير سلالة حميد الدين هو الاشكال المستعصى بين الملكيين والزعماء الجدد في الجمهورية العربية اليمنية .

انتقل الملكيون الى الهجوم وطوقوا صنعاء . ولما ادرك الجمهوريون ان المسألة صارت مسألة حياة او موت ، شرعوا في مطلع كانون الاول (ديسمبر) بتشكيل فصائل المقاومة الشعبية من

الطلاب والموظفين والعمال والحرفيين والتجار . وبلغ عدد المتطوعين عشرين الفا فصاروا ركيزة في الداخل الامر الذي سمح للجيش بتركيز جهوده على الجبهات ، كما رقد بوحدات من المتطوعين . استمر حصار صنعاء سبعين يوما ، وذاد الجمهوريون عن العاصمة وابعدوا الملكيين عنها وانتقلوا الى الهجوم (١١٢) .

ابتداء من شباط (فبراير) ١٩٦٩ لم تعد السعودية تصر على عودة الامام البدر الى اليمن . وغدت مسألة مصير عائلة حميد الدين العقبة الرئيسية ، او الوحيدة على الاصح ، في طريق تسوية النزاع اليمني وفق شروط ترتضيها السعودية . وقد حدث تغير حاد الى الاسوأ في موقف الاوساط الحكومية السعودية من عائلة الامام ، وذلك بسبب التغيرات التي جرت داخل معسكر الجمهوريين .

قام رئيس الوزراء العمري بحل فصائل المقاومة الشعبية التي زادت عن صنعاء في شتاء ١٩٦٧-١٩٦٨ وضمت اكثر الجمهوريين ثباتا ، وفي ايار (مايو) ١٩٦٨ قام رجال القبائل بتجريد الفصائل من السلاح . وقد قمعت محاولة الانقلاب التي قام بها الجمهوريون اليساريون ، ونفى قائدها العسكري عبد الوهاب عبد الرقيب الذي قاد عملية الدفاع عن صنعاء طوال سبعين يوما . وفي كانون الثاني (يناير) عام ١٩٦٩ عاد عبد الرقيب الى صنعاء وقام بمحاولة فاشلة اخرى لازاحة العمري من منصب رئيس الوزراء ، وقتل (١١٣) .

لقد اوقف اليمينيون في الجمهورية العربية اليمنية التطور الثوري في البلد . واصبح النظام الجمهوري المحافظ هناك خصما لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، الامر الذي كان من مصلحة فيصل ، فقرر التخلي عن محاولات اعادة نظام الامامة ، وقلص المخصصات التي تمنح لعائلة حميد الدين .

توقفت العمليات الحربية في شمال اليمن في اواسط نيسان (ابريل) ١٩٧٠ . ونصت اتفاقية وقعتها السعودية والجمهورية العربية اليمنية في الشهر المذكور على تخلي الحكومة اليمنية عن العديد من منجزات الثورة . وبدأ «تطهير» الجيش وهيئات امن الدولة في اليمن من العناصر اليسارية ، وعاد من السعودية الكثير من الملكيين الذين تبوأ عدد منهم مناصب في هيئات السلطة العليا (١١٤) .

في ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٧٠ اعترفت السعودية رسميا

بالجمهورية العربية اليمنية (١١٥) ، واعقب ذلك اعتراف بريطانيا بها فى ٢٩ من الشهر ذاته (١١٦) . وفى مطلع آذار (مارس) ١٩٧١ وقعت الجمهورية العربية اليمنية والسعودية اتفاقية حول الدفاع المشترك (١١٧) .

قام رئيس وزراء الجمهورية العربية اليمنية الحجرى بزيارة الى الرياض فى آذار (مارس) عام ١٩٧٣ . ونص بلاغ سعودى يمنى مشترك صدر فى ١٨ آذار على ان الحدود بين البلدين «ثابتة ونهائية» رغم ان معاهدة الطائف المعقودة فى ٢٠ آذار (مارس) ١٩٣٤ بين الملك ابن سعود والامام يحيى قد ذكرت ان اليمن وافق على وضع عسير ونجران وجيزان «تحت اشراف» السعودية . وكانت فترة المعاهدة ٢٠ سنة ، وفى عام ١٩٥٣ وافق الامام احمد على تمديد مفعولها لعشرين سنة اخرى . وهكذا فعندما دنا عام ١٩٧٣ موعد انتهاء مفعول المعاهدة ، حصلت السعودية على تنازل هام جدا من الجمهورية العربية اليمنية ، بحملها على الاعتراف بان عسير ونجران وجيزان قد اصبحت من اراضى السعودية بشكل نهائى (١١٨) .

ظل النفوذ السعودى هو السائد فى الجمهورية العربية اليمنية خلال السبعينات . وادى التقارب مع الرياض الى تحسن علاقات اليمن الشمالى بالولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية ، والى اضعاف روابط التعاون مع البلدان الاشتراكية .

كان اهتمام السعودية فى منطقة جنوب الجزيرة متركزا فى الاساس على اليمن الشمالى فى الستينات . ولكن الامور تغيرت بحصول اليمن الجنوبى على الاستقلال عام ١٩٦٧ . وبما ان العائلة الحاكمة السعودية اعتبرت شبه الجزيرة باكملها دائرة لنفوذها ، فقد كانت راغبة فى المساهمة فى اقتسام التركة الاستعمارية البريطانية ، خاصة وان بريطانيا لم تعارض توطد النفوذ السعودى فى مستعمراتها السابقة . ورأت الاوساط البريطانية الحاكمة فى النظام الملكى السعودى خير حليف لها فى شبه الجزيرة .

لا يستبعد ان تكون الرياض قد خططت لانشاء اتحاد تابع للسعودية عوضا عن محميات عدن الشرقية ، بل ولعلها كانت ترغب حتى فى ايجاد منفذ مباشر للمملكة الى المحيط الهندى . كما كان من المزمع ان تقدم السعودية مساعدة مالية لاتحاد جنوب الجزيرة

المكون اساسا من امارات محمية عدن الغربية التي كان الحكام البريطانيون يعتزمون ان يسلموا حكومتها مقاليد السلطة بعد انسحابهم من جنوب اليمن (١١٩) .

ابان المرحلة الاخيرة ، وحينما تضافر النضال في سبيل الاستقلال الوطنى مع النضال فى سبيل التحولات الاجتماعية ، اضطر الكثير من الاقطاعيين الى الهرب الى السعودية حتى قبل اعلان استقلال اليمن الجنوبي . وتسلمت مقاليد السلطة فى جنوب اليمن الجبهة القومية وهى منظمة ديمقراطية ثورية . اما رابطة الجنوب العربى وهى المنظمة السياسية للاقطاعيين ، فقد اعتبرت غير شرعية ، ونقلت نشاطها باكملة تقريبا الى السعودية . وكانت هناك منظمة اخرى مالت تدريجيا الى السعودية ، وهى جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل ، وانتقلت الى الجمهورية العربية اليمنية حيث اتخذت من تعز مقرا لها .

استغلت السعودية المصاعب الاقتصادية لجنوب ليمن والخلافات داخل الجبهة القومية واستياء القوى اليمنية ، لافتعال عصيانات ضد الحكومة . وفى صيف ١٩٦٨ حدثت حركات عصيان فى حضرموت وبيحان ومناطق اخرى . واشتد التدخل السعودى اثر ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٦٩ ، بعد ان تسلم مقاليد السلطة فى جنوب اليمن الجناح اليسارى للجبهة القومية الذى سار بالبلد فى طريق التحولات الاجتماعية السياسية العميقة .

فى ٢٧ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٩ هاجمت وحدات من الجيش النظامى السعودى نقطة الوادى فى حضرموت على الحدود بين السعودية وجنوب اليمن . وقد صدت القوات المسلحة فى اليمن الجنوبي الهجوم وردت السعوديين على اعقابهم ، غير ان اشتباكات الحدود استمرت (١٢٠) .

ساهمت السعودية فى انشاء ما يسمى بـ«جيش الانقاذ الوطنى» من المعارضين الذين فروا من اليمن الجنوبي ، على اراضيها المتاخمة لحدود هذا البلد . وجرى محاربة حكومة الجبهة القومية تحت شعار «انقاذ البلد من نفوذ الشيوعية الحمراء» . وفى ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٧١ اتحدت جبهة تحرير جنوب اليمن ورابطة الجنوب العربى فشكلتا منظمة القوى الوطنية لجنوب اليمن وانبثقت عنها «لجنة انقاذ جنوب اليمن» التى اقامت صلات مع «جيش الانقاذ الوطنى» . وكانت هذه

المنظمات تمويل من قبل السعودية وتحظى بمساندة سلطات الجمهورية العربية اليمنية . وقد تحولت فصائلها المسلحة الى مرتزقة للسعودية تسللوا مرارا الى اراضى جنوب اليمن فى سنتى ١٩٧١ و ١٩٧٢ (١٢١) .

انعقد فى آذار (مارس) عام ١٩٧٢ المؤتمر الخامس للجبهة القومية فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية - وهو الاسم الجديد للدولة - وانبثق عن المؤتمر التنظيم السياسى - الجبهة القومية . واعلن المؤتمر عن سعى التنظيم للاستناد فى نشاطه الى مبادئ الاشتراكية العلمية وتشكيل حزب طليعى من طراز جديد . وصار عدااء السعودية لليمن الجنوبى يتخذ صبغة ايديولوجية واضحة المعالم .

جرت فى ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢ حرب حدود واسعة النطاق بين اليمنين ، ولكن البلدين اتفقا على انتهاء العمليات الحربية فى ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ، اى بعد شهر تقريبا من بدئها (١٢٢) . وحينما تيقنت السعودية من استحالة اسقاط النظام الوطنى الديمقراطى فى جنوب اليمن بالقوة ، اقامت معه علاقات دبلوماسية ، ولكنها لم تحد عن مواقع العدااء لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

العلاقات السعودية البريطانية فى الستينات ومطلع السبعينات .

فى كانون الثانى (يناير) ١٩٦٣ وافقت السعودية على احوالة قضية البريمى الى الامم المتحدة واستأنفت العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا (١٢٣) . وقد ارغمت الرياض ولندن على القبول بحلول وسط بفعل ثورة اليمن عام ١٩٦٢ وتنامى حركة التحرر الوطنى فى شبه الجزيرة العربية باكملة .

كما اخذ يتغير طابع العلاقات البريطانية الامريكية فى شبه الجزيرة العربية . وصار التعاون يحل تدريجيا محل المقاومة الامريكية لمحاولات بريطانيا استعادة مواقعها فى السعودية .

وفى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٥ عقدت الولايات المتحدة وبريطانيا اتفاقية مع السعودية التزمت بموجبها بريطانيا بتصدير طائرات نفائة واجهزة رادار ومعدات عسكرية اخرى الى المملكة ، بلغت قيمتها الاجمالية ٢٨٠ مليون دولار ، بينما التزمت الولايات المتحدة بتصدير صواريخ «ارض - جو» بمبلغ ٧٠ مليون دولار .

وخطط لاقامة صواريخ فى عدة نقاط على الحدود مع الجمهورية العربية اليمنية . وقد يبدو للوهلة الاولى ان احتكارات الصناعة الحربية البريطانية انتزعت من منافسيها الامريكان صفقة مربحة للغاية . اما فى الواقع فقد كان ذلك «اتفاق احباب» يقضى بان تشتري بريطانيا من الولايات المتحدة طائرات احدث ، وتسدد قيمتها بالاموال التى كسبتها من بيع معدات حربية الى السعودية (١٢٤) .

قام الملك فيصل بزيارة لبريطانيا فى ايار (مايو) ١٩٦٧ ، وكان ذلك دليلا على حدوث تحسن محسوس فى العلاقات بين البلدين .

وبعد ان بدأت بريطانيا بتصدير طائرات حربية من طراز «لايتنينغ» عام ١٩٦٦ ، اخذت تعد الكوادر لسلح الطيران السعودى . واوفد الى السعودية اكثر من الف مدرب بريطانى ، بينما قبل سعوديون فى المعاهد الحربية البريطانية . وابتداء من عام ١٩٦٣ استأنف البريطانيون تدريب الحرس الوطنى . واشترت المملكة فى الستينات والسبعينات ٢٥ مقاتلة نفائة بريطانية الصنع من طراز «سترايك ماستر» ، ووقعت عام ١٩٧٠ صفقة عسكرية اخرى تنص على شراء معدات للدفاع الجوى من بريطانيا .

فى مطلع ايار (مايو) ١٩٧٣ وقعت الرياض ولندن صفقة قيمتها ٢٥٠ مليون جنيه استرلينى لشراء اصناف جديدة من الاسلحة وطائرات وصواريخ . وتعهد البريطانيون بارسال الطائرات وايفاد زهاء الفين من الفنيين والمستشارين والمدربين . وقد تدرب على يد البريطانيين آنذاك منتسبو سلاح الطيران السعودى ابتداء من الطيارين الذين تلقوا تعليمهم فى المدرسة العليا بالرياض وانتهاء بالفنيين الشباب من معهد الاعداد الفنى فى الظهران (١٢٥) .

غير ان الوفاق البريطانى الامريكى فى مجال تصدير الاسلحة لم يدم امدا طويلا . ففي السبعينات صارت سوق السلاح السعودية المغرية مسرح تنافس ضار بين احتكارات الصناعة الحربية الامريكية والبريطانية .

قضايا الخليج . شهدت فترة الستينات ومطلع السبعينات تزايدا حادا فى نشاط الدبلوماسية السعودية فى بلدان حوض الخليج ، وخاصة فى امارات الجزيرة . وكان لذلك عدة اسباب . ففى تلك

الفترة تعاضم دور ايران الشاهنشاهية وجبروتها ونفوذها ، وكانت السياسة السعودية ازاءها تقوم على الجمع المعقد بين التعاون والتنافس . وقد حددت بريطانيا خطة لجلاء قواتها من منطقة الخليج وشرعت بتنفيذها . وفي هذه المرة ايضا كانت السعودية من الطامعين بـ«التركة البريطانية» مع مراعاة المخططات الاستراتيجية الامريكية التي كانت تفرد لحوض الخليج اهمية متعاطمة .

يقول السفير الامريكي السابق في السعودية ساليان : «ان السعودية كانت تعتبر ، بشكل غير مباشر ، ان كل الدول المتاخمة لها ، باستثناء العراق ، هي ضمن دائرة نفوذها . ولئن كانت تحجم في الفترة الاولى عن التدخل في النزاعات الجارية خارج هذه الحدود ، فذلك لانها لم يكن بوسعها المساس بالمصالح الحيوية الهامة للسعودية» (١٢٦) .

جرى في اواسط الستينات تقارب بين السعودية وايران بوصفهما نظامين ملكيين لهما مصلحة في قمع حركة التحرر الوطني في الشرقيين الاوسط والادنى عامة ، وفي حوض الخليج خاصة ، لمجابهة مصر التي كانت آنذاك قائد السياسة المناوئة للامبريالية ورائد التحولات الاجتماعية الاقتصادية . وقدم العاهلان ، بدرجات متفاوتة ، دعما للملكيين في اليمن . وفي عام ١٩٦٥ ايد الشاه فكرة «الحلف الاسلامي» التي طرحها فيصل . وتضافرت جهود الرياض وطهران في المساعدة على احداث انعطاف جذري في سياسة مصر بعد وفاة جمال عبد الناصر . وحتى بداية السبعينات صار لاتفاق طهران والرياض في اطار الاوبك الكلمة الفصل ، اذ كانت حصتهما من صادرات النفط الاجمالية تربو على النصف . ورغم ان الشاه اتخذ ، قولاً ، موقفا اكثر تشددا في مجال الاسعار ، الا ان العاهلين كانا يجدان الحلول الوسط ، وتزعمتا معسكر «المعتدلين» في اوبك . اما في حوض الخليج فان السعودية ، التي كانت قدرتها العسكرية تقل خمس مرات او اكثر عن القدرة الايرانية ، ظلت تنظر بكثير من الخوف لخطط ونشاطات طهران «الامبراطورية» ، ولكنها لم تصل بالامور قط الى حد النزاع او الاشتباك . وكان حكام الدول الصغيرة المطلة على الخليج في الجزيرة العربية يناوون بين جارتهم القويتين .

في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ قررت حكومة حزب العمال البريطانية ابطال مفعول المعاهدات المعقودة حول محميات البحرين وقطر وامارات ساحل الصلح البحرى السبع (ابوظبى وعجمان ودبى والفجيرة ورأس الخيمة والشارقة وام القيوين) وسحب جزء كبير من قواتها من هناك . وفى اول آذار (مارس) ١٩٧١ اعلنت حكومة المحافظين التى استلمت مقاليد الحكم فى حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، ان الجلاء سوف ينجز قبل نهاية عام ١٩٧١ (١٢٧) .

اتخذت لندن هذا القرار واخذت تبحث بنشاط، عن فرص للحفاظ، على نفوذها الاقتصادى والسياسى فى المنطقة . ولهذا الغرض طرحت خطة انشاء اتحاد من الامارات التسع التى كانت خاضعة للحماية البريطانية .

بيد ان ايران عارضت انضمام البحرين الى الاتحاد العربى ، واصلت انها تعتبرها جزءا من اراضيها . وكانت للملك فيصل علاقات ودية مع امير البحرين ورفض مطامع ايران فى الإمارة . كما كانت ايران والسعودية على خلاف فى قضايا اخرى . وذكرت مجلة «ايكونومست» البريطانية ان شاه ايران حاول استمالة الملك فيصل الى اتباع سياسة موحدة على نحو اوسع نطاقا فى منطقة الخليج ، بما فى ذلك اقامة تعاون عسكرى يجعل السعودية فى وضع تابع لايران (١٢٨) . وقد آثر فيصل ، بسبب ضعفه عسكريا ، استثمار المساعدة المالية كوسيلة لتعزيز النفوذ السعودى فى الامارات الصغيرة بشبه الجزيرة .

واتفق فيصل مع الشاه فى مفاوضات عام ١٩٦٨ على تدقيق حدود الجرف القارى . وفى ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٦٨ وقعت السعودية وايران اتفاقيات بهذا الخصوص .

اعلن شاه ايران فى ربيع عام ١٩٧١ ان بلاده تتحمل مسؤولية الدفاع عن الخليج بعد انسحاب البريطانيين من هناك (١٢٩) . واعتزمت ايران تثبيت سيطرتها على الخليج عسكريا دون اقامة اعتبار لرأى العرب .

اخفقت فكرة انشاء اتحاد من تسع امارات . فقد سعى اميرا البحرين وقطر الى الاستقلال ، كما ان الحكومة الايرانية عارضت عمليا انشاء اتحاد «الامارات التسع» . لذا قررت بريطانيا تأسيس دولة جديدة تضم امارات ساحل الصلح السبع ، حيث كانت

الكلمة الطولى لشيخ ابوظبى زايد الذى خاصم السعودية بسبب النزاع على البريمى .

فى ١٤ آب (اغسطس) ١٩٧١ اعلنت البحرين استقلالها ، واعقبتها قطر فى ١ ايلول (سبتمبر) من العام نفسه ، ورفض البلدان الانضمام الى الاتحاد . وارغم ذلك السعودية على البحث عن حل وسط مع ابوظبى لتسوية النزاع على البريمى .

بعد اعلان استقلال البحرين ، تخلت ايران شكليا عن مطامعها فى هذه الامارة . لذا خفت حدة الخلافات بين الشاه والملك فيصل . غير ان خطط ايران فى منطقة الخليج لم تقتصر على البحرين .

فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٧١ عقدت اتفاقية بين ايران وامارة الشارقة ملكت ايران عمليا جزيرة ابو موسى التى ظلت من الناحية الشكلية جزءا من الامارة . وحصلت ايران على حق اقامة قاعدة عسكرية فى الجزيرة على ان تدفع مقابل ذلك لشيخ الشارقة ١,٥ مليون جنيه استرلينى سنويا ، ويستمر الدفع لحين بلوغ دخل الشيخ من النفط ٣ ملايين جنيه استرلينى سنويا (١٣٠) .

وقد اخفقت محاولات ايران لحمل شيخ رأس الخيمة على التخلي عن حقوقه فى جزيرتى الطب الكبرى والطب الصغرى الهامتين استراتيجيا والواقعتين فى مضيق هرمز عند مدخل الخليج . ولكن حينما اعلنت بريطانيا فى ٣٠ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٧١ انها لم تعد تتحمل مسؤولية الدفاع عن امارات ساحل الصلح البحرى ، ادخلت ايران قواتها الى هاتين الجزيرتين ، كما هى الحال بالنسبة لجزيرة ابوموسى ويبدو ان طهران ولندن توصلتا الى اتفاق حيال هذه العمليات . وانتقاما من بريطانيا لمساندتها ايران فى احتلال الجزر ، اامت ليبيا ممتلكات «شركة النفط البريطانية» وسحبت ودائعها من البنوك البريطانية . واتهم العراق بريطانيا وايران بالتواطؤ وقطع العلاقات الدبلوماسية معهما . كما نددت الكويت وسورية باحتلال ايران الجزر . وفى الاول من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ طالبت مصر بسحب القوات الايرانية من الجزر الثلاث ، ولكنها لم تمض ابعد من ذلك (١٣١) .

لقد كان الاستيلاء على الجزر الثلاث ضربة لمصالح السعودية لانه عزز الى حد كبير مواقع ايران ، ولكن السعودية لم تشجب رسميا سياسة الشاه التوسعية (١٣٢) . ويمكن التكهّن بان

السعودية كانت تشعر بانها لا تمتلك ما يكفي من القوة للدخول في مجابهة صريحة مع ايران .

فى الثانى من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ اعلن عن انبثاق دولة الامارات العربية المتحدة من ابو ظبى ودبى والشارقة والفجيرة وعجمان وام القيوين ، ثم انضمت اليها رأس الخيمة . وعقدت بريطانيا معاهدة صداقة جديدة مع الامارات . وصار زايد شيخ ابو ظبى رئيسا للاتحاد واصبح حاكم دبى الشيخ راشد نائبا للرئيس .

لم تقم السعودية طوال سنوات علاقات دبلوماسية رسمية مع دولة الامارات بسبب خلافها على الاراضى مع ابو ظبى وهو العضو الاكثر نفوذا في الدولة . بيد ان ذلك لم يمنع من اتخاذ السعودية موقفا متعاطفا ازاء الامارات . وايد فيصل دولة الامارات العربية المتحدة عند انتمائها الى هيئة الامم المتحدة وجامعة الدول العربية . وجرت مفاوضات غير رسمية حثيثة بين السعودية والدولة الجديدة وسائر بلدان شبه الجزيرة العربية . وحاولت الحكومة السعودية الا تعطى المبادرة السياسية لايران التى اعترفت بدولة الامارات العربية المتحدة منذ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٢ .

اقام فيصل علاقات دبلوماسية مع سلطنة عمان بعد الزيارة التى قام بها السلطان قابوس الى السعودية فى ١٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ (١٣٣) . وبعد مرور فترة من الزمن - فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ - سوت السعودية خلافها مع ابو ظبى حول عائدة منطقة اللواء وواحة البريمى ، مما مهد الطريق لاعتراف الرياض بدولة الامارات العربية المتحدة (١٣٤) .

صار للسعودية نفوذ كبير فى الدولة الجديدة ، وبدأت تقدم عوناً مالياً كبيراً للامارات غير النفطية . واعتمد عدد من الامارات على السعودية ، فى محاولة لمنع التنامى الخطير للنفوذ الايرانى . سعى كل من فيصل والشاه ، رغم تناقضاتهما ، لقمع الحركة التحررية لشعوب الخليج . ورغم ان السعودية كانت مهتمة فى تعزيز نفوذها فى عمان ذات الموقع الاستراتيجى الهام والتى تجمعها بها حدود مشتركة ، فان فيصل ابدى تحفظاً عندما طلب منه السلطان قابوس العون حينما بلغت حركة التحرر فى ظفار اوجها . ولم يكن التدخل السافر فى شؤون عمان متماشياً مع طابع سياسة فيصل . ولكن من جهة اخرى تفاضت الحكومة السعودية عملياً عن

التدخل الايرانى فى عمان . ومنذ نيسان (ابريل) عام ١٩٧٣ بدأت هليكوپترات ووحدات برية ايرانية تشارك مشاركة فعالة فى المعارك على اراضى ظفار . وبعد ذلك نقلت الى عمان تشكيلة عسكرية ايرانية كاملة قوامها بضعة آلاف شخص .

استمرت العمليات العسكرية للقوات الايرانية بضع سنوات . وقد توقفت الجبهة الشعبية لتحرير عمان عن الكفاح المسلح عمليا . وقد شجبت الحكومة السعودية بعبارات غامضة تصرفات ايران وعارضت «التدخل الاجنبى» فى السلطنة ، موجة احتجاجها عمليا ليس ضد الغزو الايرانى ، بل ضد القوى التى ساعدت الجبهة الشعبية لتحرير عمان (١٣٥) .

السعودية فى الشؤون العربية من مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٧

حتى حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ . تم خلال مؤتمر الخرطوم وضع واقرار مبادئ تنسيق سياسة الدول العربية ، وخاصة فيما يخص التسوية فى الشرق الاوسط . وضعت فى الخرطوم صيغة اللاءات الثلاث المعروفة المعبرة عن الموقف العربى المشترك حيال اسرائيل «لا صلح ، لا مفاوضات مباشرة ، لا اعتراف» ، والتى تمسكت بها طوال سنوات جميع الدول العربية بما فيها مصر والسعودية .

استأنفت السعودية العلاقات الودية شكليا مع مصر عبد الناصر ، بعد تقديم تنازلات ملموسة من قبل القاهرة . ولم يعد تناسب القوى كما كان فى اواسط الخمسينات . واخذت السعودية تتحول من بلد غارق فى الديون الى مصدر للرساميل ومعين لتقديم المساعدة المالية لدول المجابهة العربية . وباسهام امريكى وبريطانى ، عززت السعودية قواتها المسلحة المجهزة تجهيزا جيدا ، وان كانت قليلة العدد . وكان على مصر التى استنزفتها حرب اليمن وهزمتها اسرائيل ، وفقدت شبه جزيرة سيناء وعوائد قناة السويس ، ان تركز كل جهودها على استعادة قدرتها الدفاعية وتتبع سياسة خارجية اكثر تحفظا وتقدم تنازلات اضطرارية للسعودية .

غير ان «الوفاق» مع القاهرة كان اضطراريا للرياض ايضا ، لان فيصل لم يعتبر قط الرئيس عبد الناصر حليفا له ، ولم يشاركه آراءه . وبالرغم من هزيمة العرب فى حرب ١٩٦٧ فان العمليات الثورية فى بلدان الشرق الاوسط لم تخفت . وتدل على

ذلك الانقلابات الثورية فى ليبيا والسودان ومحاولات الانقلاب فى السعودية ذاتها وتنامي حركة المقاومة الفلسطينية . ولذا فان السعودية لم تبخل بالقوى والمال لدعم النزعات اليمينية فى مصر وتعزيز النظام الملكى فى الاردن .

ارسل الى جنوب الاردن لواء سعودى قوامه ثلاثة آلاف شخص . وكان اللواء بعيدا عن الجبهة مع اسرائيل ، ولكنه قريب بما فيه الكفاية لمساندة الملك حسين . ومن الواضح ان فيصل اعتبر الاردن دولة حاجزة تفصله عن اسرائيل . وعمل فيصل باستمرار على حث الولايات المتحدة وبريطانيا لمساندة الملك حسين (١٣٦) .

فى ايار (مايو) ١٩٧٠ احدث جرار عطلا فى انابيب التابلاين فى الاراضى السعودية . وكان هذا بمثابة حافز لنزاع سورى سعودى كاد يودى الى قطع العلاقات والى حرب فى التجارة والترانزيت (١٣٧) . ولكن بعد استلام حافظ اسد مهمات الرئاسة فى اواخر عام ١٩٧٠ ، استؤنفت العلاقات بين دمشق والرياض وسويت الخلافات فيما بينهما .

ظل الرئيس عبد الناصر الشخصية المحورية فى العالم العربى رغم هزيمة ١٩٦٧ . وتزايدت التناقضات بين القاهرة والرياض مع استعادة مصر لقدرتها العسكرية . ولم يتمكن المشاركون فى مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى الرباط فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ ، حتى من صياغة بيان مشترك . وافهم عبد الناصر انه ليس بوسعه ان يأمل فى زيادة المساعدة المالية التى كان يتلقاها من السعودية وليبيا والكويت بموجب قرار مؤتمر الخرطوم فى آب (اغسطس) ١٩٦٧ (١٣٨) .

تغير الوضع بعد وفاة جمال عبد الناصر فى ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . فقد صعد الملك فيصل فورا نشاطه فى الصراع من اجل تزعم العالم العربى . وكان من مصلحته ان تتوطد مواقع القوى اليمينية المصرية التى تخلت ، خطوة فخطوة ، عن مواصلة النهج الناصرى . وكانت واشنطن الطامحة الى استعادة مواقعها المهيمنة فى العالم العربى بسبب دعمها لاسرائيل ، تأمل فى ان تكون السعودية وسيطا لمد الجسور الى كبريات البلدان العربية وفى مقدمتها مصر التى قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة عام ١٩٦٧ .

وكان الرئيس المصرى الجديد انور السادات مهتما بالتقارب مع السعودية ، املا فى زيادة المساعدات المالية . وحينما زار الملك فيصل مصر فى حزيران (يونيو) ١٩٧١ استقبل استقبالا حافلا . وترضية للضيف السعودى اطلق السادات سراح «الاخوان المسلمين» . ومنحت السعودية مصر ثلاثين مليون جنيه استرلينى ، ووعدت بزيادة العون المالى السنوى والغاء التقييدات المفروضة على زيارة رعاياها لمصر (١٣٩) .

توطدت علاقات السعودية بنظام السادات . وساعدت على ذلك سياسة التخلي عن النهج الناصرى داخل مصر وخارجها ، وهى سياسة تعزى فى المقام الاول الى اسباب داخلية ، ولكن الاموال السعودية عملت على تشجيعها . فى فترة ١٩٧٠-١٩٧٣ اقصى الكثيرون من اوفى انصار عبد الناصر من مناصب حكومية وحزبية هامة . وظهرت العلائم الاولى لسياسة «الانفتاح» الاقتصادى قبل حرب ١٩٧٣ ، ممهدة الطريق تدريجيا لنمو النزعات الرأسمالية .

بالرغم من وجود معاهدة الصداقة والتعاون السوفيتية المصرية المعقودة فى ٢٧ ايار (مايو) ١٩٧١ ، قام السادات فى تموز (يوليو) ١٩٧٢ بعمل غير ودى خطير ازاء الاتحاد السوفيتى ، اذ طالب باستدعاء الخبراء العسكريين السوفيت من مصر .

وقد تم اثناء زيارة الملك فيصل الى القاهرة فى ايار (مايو) ١٩٧٣ الاتفاق على ان تعتمد السعودية مبلغ ٢٥٠ مليون جنيهه استرلينى لاعادة تسليح الجيش المصرى . وكان من المؤمل ان تتحمل الكويت وابوظبى وقطر جزءا من المبلغ . وحث الملك فيصل الرئيس السادات على تنويع مصادر السلاح ، فى محاولة لتقويض التعاون العسكرى السوفيتى المصرى (١٤٠) . ولكن مثل هذا الانعطاف فى السياسة المصرية ما كان يمكن ان يحدث قبل حرب اكتوبر . فلم يكن بوسع مصر ، وهى تستعد لخوض حرب ضد اسرائيل ، ان تبدأ اعادة تجهيز جيشها حتى وان وجدت مصدرا اخر للسلاح ، لان ذلك كان سيؤدى الى فقدان القوات المسلحة المصرية قدرتها القتالية .

ارسى التقارب المصرى السعودى اساسا لكى يقطع السادات تعاونه مع الاتحاد السوفيتى ، ولكى يتحول البلد فيما بعد الى تابع لامريكا يقدم على عقد صلح منفرد مع اسرائيل ويتواطأ معها .

«الحلف الاسلامي». في اواسط الستينات اقترن النهج السياسى الخارجى المعادى للامبريالية الذى اتبعه عدد من البلدان العربية باصلاحات داخلية موجهة ليس ضد الاقطاعيين فحسب بل وضد البرجوازية المحلية الكبيرة ، مما عمق نهج معاداة الامبريالية . واغتنت الفكرة القومية السابقة بايديولوجيا التحولات الاجتماعية والبحث عن بنى جديدة ، بنى وطنية ديمقراطية . وكانت مصر الرائدة على هذا الطريق فى الستينات .

واصبحت السعودية التى صارت منذ بداية الستينات فى قلب الاحداث السياسية فى الشرق الاوسط ، المركز الرئيسى لمجابهة مصر عبد الناصر . وشرعت الطبقة الحاكمة السعودية ، فى محاولة لتفويض نفوذ مصر وسورية وغيرهما ، بالبحث عن سبل واساليب لرص صفوف البلدان ذات الانظمة المحافظة «المعتدلة» . وكانت فكرة دالاس حول انشاء احلاف عسكرية تساهم فيها الدول الغربية قد بلغت من سوء السمعة دركا شحيحا بحيث لم تجر حتى محاولة بعثها . وكان النظام الملكى لا يحظى بشعبية فى غالبية البلدان . وبغية رفع شعارات جذابة لمواجهة فكرة القومية العربية والتضامن العربى المقترنة بالدعوة الى التحولات الاجتماعية ، توجهت السعودية الى الاسلام .

ان تأثير الاسلام الهائل لم يخفت حتى فى دول علمانية «متحدثة» مثل تركيا ، وفى اواخر الستينات واوائل السبعينات بدأت عملية «الانبعاث الاسلامي» . وكانت الغالبية الساحقة من الجماهير فى البلدان العربية ترى فى التقاليد والعادات والمؤسسات الاسلامية شكلا طبيعيا لوجودها الاجتماعى ووعيتها الاجتماعى . وكان بوسع الطبقة الحاكمة استثمار الدين لاغراض معادية للامبريالية او مناهضة للاشتراكية على حد سواء . ومن البديهي ان يرى النظام السعودى فى الاسلام اداة لمحاربة خصومه داخل البلد وخارجه .

طرح الملك فيصل خطة تأسيس «الحلف الاسلامي» املا فى جعله نقیضا للجامعة العربية . وحظيت فكرة فيصل بتعاطف واشنطن ولندن اللتين كانتا ، تقليديا ، تعتبران الدين حائلا دون انتشار الافكار الاشتراكية والتحررية .

زار الملك فيصل ايران فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٥ . واثناء مفاوضاته هناك اقترح لأول مرة علنا عقد مؤتمر قمة

اسلامى وايد الشاه الفكرة . وفى ٣١ كانون الثانى (يناير) ١٩٦٦ اعلن الملك فيصل فى عمان اثناء زيارته الرسمية للاردن انه سوف تشكل لجنة اسلامية للتضير لمؤتمر قمة اسلامى (١٤١) .
جابه فيصل مصاعب منذ الخطوات الاولى . فقد اثار تأييد فكرة «الحلف الاسلامى» من قبل الشاه ، عدو عبد الناصر وصديق اسرائيل ، مخاوف حتى لدى العديد من الملوك العرب . وفى خاتمة المطاف لم يوافق على عقد مؤتمر الدول الاسلامية احد باستثناء ايران والاردن ، اما البلدان الاخرى فقد عارضت مبادرة فيصل (١٤٢) .

فى ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٦٦ اعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى خطاب القاه باجتماع جماهيرى فى جامعة القاهرة ان الاميرالية والرجعية تقومان بتأسيس الحلف الاسلامى ، وانه على غرار حلف بغداد والاحلاف السياسية السابقة ، موجه ضد حركات التحرر الوطنى (١٤٣) .

شجب فكرة «الحلف الاسلامى» بصيغ مختلفة كل من الجزائر والجمهورية العربية اليمنية والعراق وسورية والكويت والعديد من البلدان الاسلامية فى آسيا وافريقيا ، وعدد من المنظمات العربية والدولية . وتنصل عن الفكرة حتى حلفاء ايران فى حلف الستو ، فترتب تأجيلها . وحينذاك لجأت السعودية الى عقد مؤتمرات اسلامية على مستويات مختلفة (١٤٤) .

ادى العدوان الاسرائيلى عام ١٩٦٧ الى بعث خطط تقارب الدول الاسلامية ولكن على اساس جديد تماما مهد له تسارع عملية «الانبعاث الاسلامى» . فقد شجبت كل البلدان النامية ، بصرف النظر عن انظمتها ، احتلال اراض عربية بالقوة ، واعتبرت تصرفات اسرائيل صدى للاستعمار القديم باسوأ اشكاله : تهجير السكان الاصليين من اراضيهم واسكان مستوطنين مكانهم . فقد اعتبر العدوان الاسرائيلى سابقة خطيرة حتى من قبل الدول التى بدا انها بعيدة عن فلسطين ونزاع الشرق الاوسط . وكان حكام البلدان التى يشكل المسلمون اغلبية سكانها يراعون المشاعر الدينية للجماهير التى اعتبرت احتلال اسرائيل لشرقى القدس والمسجد الاقصى تدنيسا للاسلام . اما النظام السعودى القائم على الوهابية والذى يعتمد احكام الشريعة وينادى بـ«نقاء» الاسلام ويفتخر بان

بلادهم مهد الاسلام وانه حامى الحرمين ، فما كان يوسع الاعتراف باحتلال شرقى القدس دون ان يقوض اسس وجوده ذاتها . وكان تهجير الفلسطينيين من وطنهم يعنى ادخال عنصر بلبلة ستمثل فى تواجدهم فى البلدان التى حطوا رحالهم فيها ، وبينها بلدان تحكمها انظمة ملكية ، ويعزز النزعات الثورية . اما احتلال اسرائيل لسيناء والضفة الغربية فقد كان يعنى اقترابها جغرافيا من السعودية . ولكى يلعب الملك فيصل دور زعيم العالم العربى ويزيد من وزنه ونفوذه فى العالم الاسلامى ، ويدافع عن المصالح الرسمية للسعودية ، كان عليه ان يتخذ موقفا اكثر وضوحا فى معاداة اسرائيل ، وان تغدو نداءاته «للتضامن الاسلامى» موجهة ضد خصم محدد .

فى آب (اغسطس) عام ١٩٦٩ احرق المسجد الاقصى ، فدعا الملك حسين الى عقد مؤتمر لرؤساء الدول والحكومات العربية لتدارس الوضع ، ولكن الملك فيصل اقترح عقد مؤتمر قمة اسلامى (١٤٥) .

اضطر عبد الناصر لتأييد نداء الملك فيصل ، وان لم يكن مهتما على ما يبدو بانعقاد المؤتمر ولم يحضره شخصا . ولم تؤيد تركيا ونيجيريا دعوة الملك فيصل واصلتا انهما دولتان علمانيتان . كما ان ايران ابدت فى البداية تحفظا وقررت دراسة الوضع واهداف عقد المؤتمر بمزيد من الدقة والتمحيص (١٤٦) .

انعقد مؤتمر القمة الاسلامى فى ايلول (سبتمبر) عام ١٩٦٩ فى الرباط . غير ان الخلافات الجديدة بين اعضائه ، وبالدرجة الرئيسية بين الدولتين العربيتين المتنفذتين - مصر والسعودية - قللت من اهمية المؤتمر . وقبل بضعة ايام من افتتاح المؤتمر اطيح بالملك الليبى فى اول ايلول (سبتمبر) عام ١٩٦٩ ، مما اضعف الى حد كبير مواقع الانظمة الملكية فى «العالم الاسلامى» . وجابه النظام السعودى ايضا اختبارات عسيرة . فقبل ايام من افتتاح مؤتمر الرباط اعتقل فى السعودية اشخاص اتهموا بالاعداد لمؤامرة زعم انه حدد يوم السابع من ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ موعدا لتنفيذها . وكانت محاولة انقلاب اخرى قد جرت فى حزيران (يونيو) من نفس العام .

دعى الى مؤتمر الرباط ٣٥ بلدا اسلاميا ، بيد ان ٢٥ بلدا

فقط ارسلت وفودها ، علما بان عشرة بلدان فحسب مثلت برؤساء دولها (١٤٧) .

غير ان المؤتمرين تمكنوا من ايجاد لغة مشتركة في بعض القضايا ، فطالبوا باعادة وضع القدس الى ما كان عليه قبل حزيان (يونيو) ١٩٦٧ . واشار بيان صادر عن المؤتمر الى ان رؤساء الدول والحكومات وممثليهم يعلنون عن تأييدهم التام للشعب العربي الفلسطيني في استعادة حقوقه المغتصبة وفي نضاله من اجل تحرير الوطن ، ويؤكدون تمسكهم بالسلام القائم على الكرامة والعدل (١٤٨) .

فى ٢٣-٢٥ آذار (مارس) عام ١٩٧٠ عقد برعاية الملك فيصل فى جدة مؤتمر وزراء خارجية البلدان الاسلامية وحضره مندوبون عن ٢٣ بلدا (١٤٩) . وفى ٤ آذار (مارس) ١٩٧٢ عقد المؤتمر الثانى لوزراء خارجية الدول الاسلامية فى جدة وشارك فيه ٣١ بلدا اسلاميا . وبمبادرة من الملك فيصل اقر المؤتمر بالاجماع تأسيس صندوق «الجهاد» ضد اسرائيل . وندد المؤتمر بتنديدا شديدا بموقف الولايات المتحدة المؤيد لاسرائيل ، ودعاها الى الكف عن تقديم المساعدة العسكرية والاقتصادية لهذا البلد .

اثر الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٧٣ اخذ يتزايد فى المؤتمرات الاسلامية الاهتمام بقضايا التعاون الاقتصادى والاجراءات المشتركة ضد اعمال اسرائيل التوسعية العدوانية ، ودعم حقوق الشعب العربى الفلسطينى . وبفضل تزايد القدرات المالية للسعودية وما تقدمه من قروض ومنح ، تعاظم وزنها فى البلدان الاسلامية .

السعودية فى منظمة اوبك . درست الحكومة السعودية دراسة دقيقة سوق النفط فى العالم ، وبدأت تدرك مدى الارباح الطائلة التى تحصل عليها شركات النفط خارج السعودية ، مع وجود مبدأ «المنافسة» .

عقد فى نيسان (ابريل) ١٩٥٩ اول مؤتمر نفطى عربى حضره ممثلون عن السعودية . وبدأت البلدان المصدرة للنفط تدرك ضرورة القيام بنشاطات جماعية . وقد اثار بالغ القلق لدى هذه البلدان انخفاض الاسعار القياسية . وفى الفترة من سنة ١٩٥٧ حتى سنة ١٩٦٠ انخفض السعر القياسى للنفط بالنسبة لرأس

تنورة من ٢,١٢ الى ١,٨٤ دولار عن الطن ، مما ادى الى تقلص كبير في عائدات البلدان المصدرة للنفط (١٥٠) .

في ايلول (سبتمبر) عام ١٩٦٠ اسست في بغداد منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبك) وضمت العراق وايران والكويت والسعودية وفنزويلا . وفيما بعد انضمت اليها ابوظبي وقطر وليبيا والجزائر واندونيسيا ونيجيريا والاكوادور واليابون . وكان الهدف الرئيسى لاوبك في تلك المرحلة رفع اسعار النفط الخام الى مستوى عام ١٩٥٤ ، وابقاؤها على هذا المستوى ، واجراء مشاورات بين البلدان والشركات حينما تظهر حاجة لتغيير الاسعار ، ومراقبة حجم الانتاج عند الضرورة .

في ٢٥ كانون الثانى (يناير) ١٩٦٥ وقعت الحكومة السعودية واراكو اتفاقية التزمت بموجبها الشركة باعتبار بدل الايجار جزءا من نفقات الاستثمار التى تحسم من العوائد الاجمالية ، على ان تدفع ضرائب عن الجزء المتبقى . وبفضل ذلك ارتفعت حصة السعودية من عوائد تصدير النفط الخام وتعدت نسبة ال ٥٠٪ (١٥١) .

حينما كان ثمة فائض نسبي في اسواق النفط العالمية ، والمشتري وليس البائع هو الذى يملئ شروطه ، اقتصر اعضاء اوبك على تقديم مطالب معتدلة . ولكن تجمعت لديهم عاما اثر عام خبرة العمل المشترك التى بينت مدى ما يعود به تضافر الجهود من منافع .

عام ١٩٦٩ اقترحت الحكومة الجمهورية فى ليبيا على اصحاب الامتياز زيادة حصتها من الارباح من ٥٠٪ الى ٥٤-٥٥٪ . ولما رفض الطلب قلصت عام ١٩٧٠ حجم الاستخراج المسموح به . وبسبب تعطل قناة السويس ونسف الفدائيين الفلسطينيين لانايب النفط الحارة عبر الجزيرة العربية ، لم تتمكن الشركات العالمية من مقاطعة النفط الليبى الذى كان يشكل زهاء خمس استهلاك اوربا الغربية ، فاعلنت استسلامها . وحدث انتصار لليبيا سلسلة من ردود الفعل ، فارغمت بلدان الخليج الشركات على ان تدفع لها نسبة مماثلة من الارباح (١٥٢) .

عندما بدأت البلدان الخليجية الاعضاء فى اوبك مفاوضات مع شركات النفط فى طهران فى ١٢ كانون الثانى (يناير) ١٩٧١ ، كانت تشكل مجموعة موحدة . وكانت احوال السوق العالمية تميل

اكثر فاكتر لصالح البلدان المصدرة . وقد ايدت السعودية ، التي كانت واشنطن ولندن تأملان منها العون ، مطالب سائر اعضاء اوبك . فاضطرت شركات النفط الى الموافقة على تنفيذ اكثرية المطالب المقدمة من بلدان الخليج الستة المصدرة للنفط (١٥٣) . وقد وقعت في ١٤ شباط (فبراير) عام ١٩٧١ في طهران اتفاقية بين البلدان الخليجية الاعضاء في اوبك وشركات النفط منحت عمليا حق الاشراف على الاسعار القياسية للبلدان المصدرة للنفط . بينت اتفاقيات طهران ان اعضاء اوبك قد حققوا الاهداف المطروحة عام ١٩٦٠ . ولكن ظلت معلقة مسألة مساهمة حكومات البلدان المصدرة للنفط في ممتلكات ونشاط الشركات ، الامر الذي لو تم لعنى حدوث تغير جذري في العلاقات بين الطرفين . وفى ٢١ كانون الثانى (يناير) ١٩٧٢ بدأت مفاوضات بهذا الخصوص بين اوبك وشركات النفط . وكان امام حكومات الدول المصدرة للنفط ثلاثة سبل لتغيير اتفاقيات الامتياز : التأميم الشامل ، او تقليص فترة الامتياز ، او تعديل الاتفاقيات القائمة بان يضاف اليها مبدأ الاسهام الجزئى الذى يؤدى تدريجيا الى التملك التام للصناعة النفطية .

اختارت الرياض السبيل الثالث واصبح وزير النفط السعودى الشيخ احمد زكى اليماني الممثل الرئيسى لاوبك فى المفاوضات مع شركات النفط العالمية (١٥٤) . واتفقت الحكومة السعودية مع ارامكو على ان تتسلم الحكومة تدريجيا ٥١٪ من اسهم الشركة .

عند حلول السبعينات كانت العلاقات بين السعودية ، بوصفها من كبار اعضاء اوبك واول مصدر للنفط فى العالم ، وبين شركات النفط ، قد خرجت عن الاطار الاقتصادى البحت للخلاف على نسبة الارباح من بيع النفط الخام . فقد اصبحت جملة القضايا المتعلقة بالنفط - ابتداء من الاشراف على استخراجه ونقله وانتهاء بتسويقه واسعاره - من القضايا الاساسية فى السياسة العالمية . وتزايدت باطراد اهمية القضية النفطية فى السياسة الخارجية الامريكية ، وذلك ابتداء من «مشروع مارشال» ومرورا بازمة النفط الايرانية وازمة قناة السويس ووقف تصدير النفط فى ١٩٥٦-١٩٥٧ والمقاطعة النفطية عام ١٩٧٣ ، وانتهاء بالقفزة الجديدة التى سجلتها

اسعار النفط فى اواخر السبعينات . وبغية ابقاء بلدان الشرق الاوسط المنتجة للنفط فى فلك الامبريالية الامريكية ، انفقت واشنطن مليارات الدولارات وانشأت ماكنة ادارية وعسكرية ضخمة على نطاق العالم كله ، ونسقت مع شركات النفط المتعددة الجنسيات واقامت ممرات فى المحيط لاساطيل الناقلات وخرقت قوانين حظر الاحتكار الامريكية ذاتها .

فى الخمسينات كانت سيطرة الولايات المتحدة على نفط حوض الخليج توفر ارباحا للشركات وتبقى فى ايدي واشنطن الخرطوم النفطى الذى يغذى اقتصاد بلدان العالم غير الاشتراكي . وفى عام ١٩٥٩ حدد الرئيس الامريكى ايزنهاور كمية النفط المستوردة من الشرق الاوسط بـ ٢,٥٪ من الاستهلاك الامريكى (١٥٥) . وكان الاقتصاد الامريكى آنذاك غير خاضع عمليا لهذا المصدر النفطى ، الا ان منطقة الشرقين الاوسط والادنى كانت تكتسب اهمية استراتيجية متزايدة فى مخططات الحكومة الامريكية المعادية للاتحاد السوفييتى .

اصبحت الولايات المتحدة فى السبعينات المستورد الرئيسى للنفط فى العالم . وبطبيعة الحال تنامى دور السعودية القادرة على ابقاء استخراج النفط على مستواه او حتى زيادته . وقد استعرضت السعودية نفوذها اثناء الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٧٣ .

«**صلاح النفط**» . احست الرياض احساسا واضحا بتناقض وتذبذب النهج الامريكى فى الشرق الاوسط . فقد كانت واشنطن من جهة تسعى لضمان «امن الولايات المتحدة فى مجال الطاقة» ومصالح احتكاراتها ، والسيطرة على صادرات النفط من الشرق الاوسط الى حليفاتها فى اوربا الغربية واليابان ، الامر الذى يقتضى تعزيز العلاقات مع البلدان العربية ، او على الاقل المحافظة منها حيث توجد احتياطات النفط الرئيسية ، وخاصة السعودية . ومن جهة اخرى قدمت واشنطن المساعدات الاقتصادية والعسكرية والسياسية لاسرائيل ونهجها العدوانى التوسعى ، الامر الذى قوض اساس العلاقات الوثيقة مع الدول العربية .

ان الحكومة السعودية ، حينما احست بوزنها المتعاطم فى عالم النفط والمال ، اخذت تطمح بزعامة العالم العربى ، الامر الذى

تطلب بالضرورة اتباع سياسة معادية لاسرائيل . وكانت مهمة تحرير شرقى القدس متماشية ليس مع الاهداف الدعائية والسياسية الخارجية فحسب ، بل ومع مقتضيات تدعيم النظام من الداخل ، بوصفه «حامى الحرمين» الذى يدعى ان القرآن دستوره . لذا فان الحكومة السعودية ، مع حاجتها الماسة الى دعم الولايات المتحدة والتعاون الواسع النطاق معها ، اضطرت الى الدخول فى مجابهة مع واشنطن فى النزاع العربى الاسرائيلى .

فى السادس من تموز (يوليو) ١٩٧٣ قال الملك فيصل فى حديث مع صحفيين امريكيين فى جدة ، انه سيكون من الصعب على السعودية مواصلة التعاون الوثيق مع الولايات المتحدة ، اذا واصل الامريكان دعم اسرائيل . وقبل بضعة اسابيع من ذلك تلقى المساهمون فى ارامكو تحذيرا من الملك يقول ان السعودية سوف تجمد استخراج النفط على مستوى واحد اذا لم تغير الولايات المتحدة سياستها ازاء اسرائيل (١٥٦) .

فى الاسابيع والاشهر التى سبقت حرب اكتوبر حذر فيصل الحكومة الامريكية مرارا من ان تأييد واشنطن لاسرائيل قد يخرّب العلاقات السعودية الامريكية واكتسبت لهجة الحكومة السعودية شدة متزايدة . ودعت السعودية واشنطن الى الضغط على اسرائيل وحملها على تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٩٦٧ (الانسحاب من جميع الاراضى العربية المحتلة فى حزيران (يونيو) ١٩٦٧) ، والا فان الولايات المتحدة سوف تواجه عقبات تقلص تصدير النفط (١٥٧) .

لم تأخذ الولايات المتحدة واوروبا الغربية هذه التحذيرات على محمل الجد (١٥٨) . فقد كانت المقاطعتان النفطيتان عامى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ضئيلتي المردود . ولكن العرض كان آنذاك اكثر من الطلب ، ولدى الاحتكارات احتياطي هائل من الوقود السائل . وعلاوة على ذلك كان بوسع الولايات المتحدة حينذاك الاستغناء عن استيراد النفط . اما فى مطلع السبعينات فقد تغير الوضع تغيرا جذريا .

المحت الحكومة السعودية فى صيف ١٩٧٣ الى انها ستزيد مصر عند نشوب حرب جديدة مع اسرائيل .

بدأت الحرب العربية الاسرائيلية الجديدة فى السادس من

تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٧٣ . وفى الايام الاولى قام الجيشان المصرى والسورى بعمليات ناجحة ، وبعد ذلك بدأ الاسرائيليون هجوما مضادا ولكنهم لم يفلحوا فى الحاق الهزيمة بالجيش العربى . وفى ظروف الشرق الاوسط الملموسة كان عدم احراز النصر معادلا بالنسبة للاسرائيليين للهزيمة ، او على الاقل الهزيمة السياسية .

تمكنت الدول العربية من اظهار التضامن ، رغم اختلاف انظمتها . وساهمت وحدات عراقية مساهمة فعالة فى المعارك على الجبهة السورية . وارسلت الاردن والمغرب وتونس والسعودية والكويت والجزائر الى بلدان المجابهة قطعات عسكرية وان كانت رمزية فى الغالب . وقررت السعودية وليبيا زيادة المساعدة المالية لمصر وتقديم عون لسورية ، لتعويض البلدين عن الخسائر المالية الاقتصادية التى سببتها الحرب .

فى السابع من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، اى فى اليوم الثانى للحرب ، ارسل وزير الخارجية الامريكى هنرى كيسنجر برقية الى الملك فيصل يدعوه فيها الى اقناع مصر وسورية بوقف العمليات الحربية . ورد فيصل بانه يؤيد مصر وسورية تأييدا تاما ، ودعا واشنطن الى بذل الجهود لحمل اسرائيل على الانسحاب من الاراضى التى تحتلها (١٥٩) .

فى التاسع من تشرين الاول استدعت الحكومة السعودية كل منتسبى القوات المسلحة من الاجازات واعلنت حالة التأهب فى الجيش (١٦٠) . وفى ١٤ من الشهر ارسلت السعودية وحدة عسكرية لمساعدة سورية (١٦١) .

عقد وزراء النفط فى عشرة بلدان عربية اجتماعا فى ١٧ تشرين الاول ، اتخذ فيه قرار بتقليص استخراج النفط بنسبة لا تقل عن ٥٪ شهريا حتى تتم تسوية النزاع فى الشرق الاوسط . وفى الواقع قلصت السعودية والكويت الانتاج بنسبة ١٠٪ دفعة واحدة (١٦٢) .

ولما اقامت الولايات المتحدة «جسرا جويا» لتزويد اسرائيل بالسلاح ، عمدت السعودية وسائر البلدان العربية الى اتخاذ اجراءات اكثر حزما . وفى ٢٠-٢٢ تشرين الاول اعلنت البلدان العربية تباعا عن وقف ضخ النفط الى الولايات المتحدة ، ومن ثم

الى هولنده التي اتخذت موقفا مواليا لاسرائيل . كما فرض الحظر على تصدير النفط الخام لمعامل التكرير التي تصدر مشتقات النفط الى الولايات المتحدة او تبيعها الى الاسطول البحرى الحربى الامريكى (١٦٣) .

الى جانب مؤتمر وزراء النفط العرب ، التقى فى الكويت ممثلون عن البلدان المصدرة للنفط فى منطقة الخليج ، بما فيها ايران ، وتم الاتفاق على زيادة السعر القياسى للنفط بنسبة ٧٠٪ تقريبا ، وفى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ تقرر بعد اجتماع طهران مضاعفة السعر الجديد . خلال الفترة الممتدة من كانون الثانى (يناير) ١٩٧٣ الى كانون الثانى (يناير) ١٩٧٤ ارتفعت الاسعار القياسية والمداخيل الفعلية للبلدان المصدرة للنفط ، ومن ضمنها السعودية ، خمس مرات (١٦٤) . وعلاوة على فرض الحظر قام العراق بتأميم حصة الولايات المتحدة وهولنده فى «شركة نفط البصرة» (١٦٥) .

لقد وضعت المقاطعة النفطية الولايات المتحدة فى مأزق صعب ، اذ كانت تستورد من البلدان العربية فى النصف الاول من عام ١٩٧٣ ما يربو على ربع وارداتها الاجمالية من النفط . وكانت المشاكل اكبر بالنسبة لاوربا الغربية واليابان . ففى مطلع السبعينات كانت بلدان الشرقين الاوسط والادنى تصدر لليابان تسعة اعشار النفط الذى تستهلكه ولاوربا الغربية ٨٥٪ (١٦٦) .

فى ٥ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٧٣ قررت عشر دول عربية مصدرة للنفط تخفيض الانتاج فى شهر كانون الاول (ديسمبر) بنسبة ٢٥٪ مقارنة بشهر ايلول (سبتمبر) . وجاء رد فعل اوربا الغربية دون ابطاء . ففى صباح السادس من تشرين الثانى (نوفمبر) دعت حكومات بلدان «التسعة» الى تنفيذ قرارات مجلس الامن حول العمليات الحربية وكذلك القرار رقم ٢٤٢ بكل بنوده ، بما فى ذلك الجلاء عن الاراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ . وصدر بيان مماثل عن اليابان (١٦٧) .

بيد ان الكثير من الدول العربية المصدرة للنفط اخذت ، بعد توقف العمليات الحربية ، تعارض التقييدات المفروضة بحجة انها تلحق الضرر ببلدان صديقة للعرب . وفى مطلع كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ قرر اعضاء منظمة البلدان العربية المصدرة للنفط (اوابك ، اسست عام ١٩٦٨) المجتمعون فى الكويت الغاء القرار القاضى

بتقليص استخراج النفط بنسبة ٥٪ في شهر كانون الاول (ديسمبر) . وعزى القرار الى الرغبة في تحسين اوضاع البلدان الاعضاء في الجماعة الاقتصادية الاوربية التي اتخذت موقفا ودبا حيال العرب . كما اشار البلاغ الصادر عن اجتماع الكويت الى ان الدول الافريقية والاسلامية سوف تحصل على النفط وفق العقود المتفق عليها . واستمر لفترة من الوقت حظر تصدير النفط الى الولايات المتحدة وهولنده (١٦٨) .

في ٢٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ قررت البلدان العربية المنتجة للنفط في مؤتمرها الدوري بالكويت زيادة استخراج النفط في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤ بنسبة ١٠٪ وتصدير النفط بالكميات السابقة الى اليابان وبلجيكا وبريطانيا وفرنسا واسبانيا والفلبين . كما جرت الاشارة الى ان استخدام البلدان العربية سلاح النفط لم يمارس تأثيرا ملموسا على الوضع الاقتصادي للولايات المتحدة وسائر البلدان المعادية للعرب ، ولم يغير سياستها (١٦٩) .

نزولا عند اصرار السعودية الغى حظر تصدير النفط الى الولايات المتحدة في ١٨ آذار (مارس) ١٩٧٤ (١٧٠) . وبذا كانت الغلبة لنزوع السعودية الى التعاون الاقتصادي والسياسي والعسكري المتعدد الجوانب مع الولايات المتحدة . وساعد الغاء الحظر على حدوث بعض الانفراج في العلاقات السعودية الامريكية ، مما اتاح الفرصة للتوصل الى اتفاقية ثنائية حول التعاون الاقتصادي والفني عقدها البلدان في ٨ حزيران (يونيو) ١٩٧٤ . وبعد مرور فترة قصيرة وقعت عقود حول تصدير معدات عسكرية امريكية الى السعودية ، واتفاقية حول تدريب الحرس الوطني السعودي على يد مدربين امريكان . وفي ٩ حزيران (يونيو) ١٩٧٤ اعلن عن توقيع اتفاقية حول نقل ٦٠٪ من اسهم شركة ارامكو للسعودية .

ان استخدام «سلاح النفط» خلال حرب اكتوبر وازدياد القدرة المالية للسعودية عدة اضعاف بفضل ارتفاع اسعار النفط ، قد جعلنا من المملكة زعيما للدول العربية المحافظة وساعد الملك فيصل على مد الجسور بين مصر والولايات المتحدة واحداث انعطاف كامل في سياسة مصر الخارجية وتعزيز الرجعية داخلها . وساعدت السعودية على تعزيز القوى اليمينية المعادية للاشتراكية والمناوئة

للاتحاد السوفيتي في كل منطقة الشرقين الاوسط والادنى ، بل وحتى خارجها .

بيد ان اتباع السياسة الخارجية بمساعدة دفتر الصكوك فحسب ، قد بين من جهة اخرى ضعف السعودية لانه لم يكن مسنودا بالقدره العسكرية او بالكوادر اللازمة لتنفيذ المهمات المرسومة او باستقرار النظام السعودى ذاته .

وقد تأثر التعاون مع الولايات المتحدة والنهج الموالى للامبريالية بفعل التناقضات في التعامل مع اسرائيل ، ومن المشاعر العميقة المناوئة لامريكا لدى جماهير السعودية . وقد مرت علاقات السعودية بالولايات المتحدة بفترة ازمة في اواخر عام ١٩٧٤ ومطلع عام ١٩٧٥ ، حينما اخذ الرئيس الامريكى فورد ووزير الخارجية كيسنجر ووزير الدفاع شلينسجر ووسائل الاعلام ، يتحدثون عن احتمال احتلال الولايات المتحدة لحقوق النفط على الساحل العربى للخليج .

وترتب على واشنطن بذل جهود كبيرة لاقتناع السعودية بعدم وجود خطط محددة من هذا القبيل . والتقى كيسنجر بالملك فيصل في ١٤ آذار (مارس) عام ١٩٧٥ . وتظاهرت الحكومة السعودية بانها تثق بوعود واشنطن . هذا علما بانه لم يكن لدى الاسرة المالكة اى مخرج آخر .

الوضع الداخلي في السبعينات ومطلع الثمانينات

بدا ان وضع الملك فيصل داخل البلد مكين ، وان هيئته ارتفعت بعد الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٧٣ ، ومشاركة السعودية في مقاطعة الولايات المتحدة نفطيا . ولكن بالرغم من ذلك اخذت تتسرب الى الصحافة خارج السعودية اشاعات حول صراع على السلطة داخل العائلة المالكة .

في ٢٥ آذار (مارس) عام ١٩٧٥ واثناء استقبال الملك للمهنيين بالعيد اطلق فيصل بن مساعد ، ابن اخى الملك الذى عاد لتوه من الولايات المتحدة حيث امضى عدة سنوات في المدارس والجامعات ، اطلق النار من المسدس على عمه وارداه قتيلا . وكان الامير الشاب قد عقد قرانه على احدى بنات الملك الراحل سعود . وقتل رجال الشرطة اخاه ، وهو من المتعصبين دينيا ، اثناء مظاهرة احتجاج على افتتاح محطة التلفزيون في الستينات لذا ليس من المستبعد ان تكون وراء الاغتيال دوافع شخصية . ويذهب رأى آخر الى ان ابن مساعد كان مختلا عقليا . بيد ان هناك رأيا شائعا مفاده ان وراء القاتل يداً امريكية اوحى بالعملية انتقاما من فيصل لمشاركته في المقاطعة النفطية ، ولكى يكون ذلك تحذيرا لسائر افراد العائلة المالكة . وعلى اية حال لم تعلن الدوافع الحقيقية للجريمة واعدم ابن مساعد .

بويع خالد ملكا واصبح ايضا رئيسا للوزراء . وكانت ام خالد من الجلويين الذين تولوا ابا عن جد اماره المنطقة الشرقية . وقام بصياغة السياسة الداخلية والخارجية ولى العهد فهد الذى صار النائب الاول لرئيس الوزراء واحتفظ مؤقتا بمنصب وزير الداخلية . واصبح قائد الحرس الوطنى الامير عبد الله الشخصية الثالثة في

المملكة ، بينما اسندت وزارة الدفاع والطيران الى سلطان الاخ الشقيق لفهد .

لم يكن بين الاحداث الداخلية خلال السنوات الاربع التي اعقبت اغتيال فيصل ، ما يشير قدرا كبيرا من اهتمام العالم الخارجى . بيد ان قوى داخل المجتمع السعودى اخذت تنضج وهى التى كانت وراء انفجارات الاستياء الشعبى خريف عام ١٩٧٩ التى شكلت خطرا على النظام .

كان تأسيس الحزب الشيوعى فى السعودية عام ١٩٧٥ خطوة هامة على صعيد تطور حركة التحرر الوطنى فى البلد . وقد طرح الحزب مهمة توحيد وتزعم الطبقة العاملة وافقر الفلاحين من البدو والحضر والفئات الديمقراطية من المثقفين والطلبة . كما ان برنامج الحزب يعبر عن مصالح الحرفيين وذلك الجزء من البرجوازية الوطنية الذى يعادى النظام الملكى والرأسمال الاجنبى . ومع نهوض الحركة المناوئة للشاه والمعادية للامبريالية فى ايران ، والتى ارتدت صبغة دينية ، ظهرت فى السعودية ايضا كتل وتنظيمات تعادى النظام من مواقع «الاسلام الخالص» وهى التى تزعمت الحركات الشعبية خريف عام ١٩٧٩ .

منذ آب (اغسطس) ١٩٧٩ نما الى علم السلطات السعودية ان خلايا سرية تشكلت فى الجيش النظامى وان اسلحة تهرب الى البلد ، وان مظاهر الاستياء تلاحظ فى اوساط الامراء الشبان . ولقطع دابر تهريب الاسلحة الى البلد حظرت السلطات السعودية مرور قوافل الشاحنات المحملة بالبضاعة والقادمة من لبنان وسورية ، عبر اراضى المملكة .

فى ايلول (سبتمبر) شددت اجراءات الامن . واجرت الاجهزة الامنية حملة اعتقالات شملت ، فى الاساس ، ضباط الطيران والدبابات والمشاة . وزعم ان عشرة امراء شباب من العائلة السعودية الذين اشتبه بان لهم نزعات راديكالية ، قد تم استدعاؤهم من قبل الملك والامراء المقربين اليه بغية استجوابهم . جرت حملة الاعتقالات الثانية بعد توزيع عدد كبير من المنشورات فى البلد فى شهر ايلول (سبتمبر) . ودعا بعض المنشورات للعودة الى التمسك باهداب الدين الاسلامى ، بينما دعا البعض الآخر الشعب الى الاطاحة بـ«الحكام المستبدين العملاء» .

وطالبت منشورات اخرى بطرد جميع الاجانب من المملكة . ولم تفلح السلطات فى تحديد هوية كاتبى المنشورات او موزعيها ، بيد ان واقع ظهورها بحد ذاته جعل الجو يتكهرب اكثر من السابق . وفى الاسبوع الاخير من ايلول (سبتمبر) اعلن انذار اولى فى الحرس الوطنى والجيش النظامى .

بدأت الاضطرابات المناوئة للحكومة فى اواسط تشرين الثانى (نوفمبر) فى الحجاز . فقد داهمت فصائل مسلحة صغيرة من المنتفضين بضع قرى واحتلت مواقع على طرق ثانوية بالقرب من المدينة المنورة . وبدأ التملل فى افخاذ من قبائل قحطان وعتيبة ويمانى التى كانت الاسرة المالكة قد استولت على جزء من اراضيها . وسيطر المنتفضون على جزء كبير من الاراضى الممتدة بين مكة والمدينة . وثمة معلومات تفيد بان جنودا من الجيش النظامى والحرس الوطنى انخرطوا فى صفوف المنتفضين يوم الاثنين الموافق ١٩ تشرين الثانى (نوفمبر) . وقدر العدد الاجمالى للمنتفضين ٣,٥٥٠ ألف شخص .

قسم زعماء الحركة قواتهم الى طابورين اتجه احدهما الى مكة والثانى الى المدينة . غير ان قوات موالية للنظام كانت ت رابط فى المدينة وضواحيها ، صدت هجوم المنتفضين يوم ٢٠ تشرين الثانى . وتفيد بعض المعلومات ان عدد القتلى فى المدينة ربا على ٢٥٠ شخصا .

اما فى مكة فقد اخذت السلطات على حين غرة . وفى ٢٠ تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٩٧٩ م ، الذى يوافق اليوم الاول من القرن الخامس عشر الهجرى ، استولى المنتفضون على المسجد الحرام . واعلنت منظمة «حركة الثوار المسلمين فى شبه الجزيرة العربية» التى لم تكن معروفة آنذاك انها تتولى قيادة الانتفاضة . واعلن الزعيم الروحي للثوار وهو محمد القحطاني الذى قال عن نفسه انه «المهدى» المنتظر ، ان هدف الحركة يتمثل فى «تطهير الاسلام» و«تحرير البلد من زمرة الكفار : العائلة المالكة ورجال الدين المرتزقة» الذين «لا هم لهم سوى التمسك بمناصبهم وامتيازاتهم» . اما الزعيم السياسى للحركة فهو جهيمان العتيبة البالغ من العمر ٤٧ عاما . وقد سجلت خطبه التى اذاعتها مكبرات الصوت المثبتة على سطح المسجد ، على شرائط كاسيت ووزعت بين السكان . وقد

صب جهيمان اللعنات على «الحضارة الغربية» التي تقوض عيان المجتمع السعودي وقيمه ، وندد بـ«نفاق» الحكومة التي تدعى ، من جهة ، انها مركز الدين الحنيف في العالم ، ولكنها من الجهة الاخرى تناصر «الظلم والفساد والرشوة» . وندد جهيمان بالامراء الذين «يستولون على الاراضى» و«يبدرون اموال الدولة» و«السكيرين» الذين يحيون «حياة الفسق والفجور فى البيوت والقصور الفخمة» . ودعا للعودة ، بزعامة المهدي ، الى النظام السائد فى صدر الاسلام الذى قال عنه انه كان «العصر الذهبى» ، عصر العدل والمساواة . يبدو ان الحكومة لم تدرك كل خطورة الوضع الا عند الظهر ، ولم تتخذ يوم الثلاثاء اية اجراءات مضادة تذكر . ولم يكن بوسع العائلة المالكة القبول بشروط المنتفضين للتفاوض ، اذ انها تضمنت مطالب باجراء تعديلات راديكالية فى الوزارة ، ومنها : اقضاء كبار الامراء عن مناصبهم واعادة النظر جذريا فى سياسة استخراج وتسويق النفط (فى البداية طالب المنتفضون بوقف بيع النفط الى الغرب عموما) والعودة الى احكام الاسلام «الخالص» وطرد جميع المستشارين العسكريين الاجانب من البلد .

عاد ولى العهد فهد من تونس واصر على قمع الانتفاضة بالقوة . وقد استخدمت قوات الحكومة القنابل المسيلة للدموغ والمدافع والطائرات لارغام المنتفضين على الانسحاب من المسجد الحرام ، ورد المنتفضون باطلاق النار من السطوح والمنائر . واستمرت المقاومة الضارية التى ابداهها زهاء الف شخص اسبوعين وادت ، كما تقول السلطات ، الى مصرع عشرات الاشخاص ، بينما يقول شهود العيان ان القتلى كانوا يعدون بالمئات . وكان بين القتلى «المهدي» ذاته ، اما الزعيم السياسى للحركة جهيمان العتيبة فقد اعدم مع ٦٢ من رفاقه فى ٩ كانون الثانى (يناير) ١٩٨٠ . وكان بين من اعدموا ، علاوة على السعوديين ، مصريون ويمنيون وكويتيون وعرب آخرون .

اثناء التحضير لمداهمة المسجد الحرام ، اخذت تترى من شرق البلاد انباء تنطوى على خطر اكبر على النظام . فقد بدأ التملل بين اوساط الشيعة المتأثرين بالدعاية الايرانية فى المنطقة الشرقية . وبعد مداهمة المسجد الحرام فى مكة رابط ١٢ الفا من جنود الحرس الوطنى حول حقول النفط .

كان الشيعة الذين يقطنون اهم منطقة استراتيجية في البلد (عدددهم ٣٠٠-٣٥٠ الف نسمة) اكثر وعيا سياسيا من السنة المنتفضين في مكة . فالشيعة الذين اصبحوا بروليتاريين قبل بضعة عقود ، هم الذين اسسوا نقابات سرية وتزعّموا المظاهرات والاضرابات السياسية (وخاصة المناهضة للامريكان) . وتعرض الشيعة الى اضطهاد مزدوج بسبب انتمائهم الى تيار اسلامي يعتبره حكام الرياض السنة زندقة .

استشارت انتفاضة مكة همم الشيعة فقرروا ، خلافا لاوامر الحظر الحكومية ، الاحتفال بيوم عاشوراء في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) . وفي هذه المرة حاول الحرس الوطني منع المواكب الدينية بالقوة . وعندها تدفقت جموع تحمل صور الخميني على القطيف وسائر مدن المنطقة الشرقية ، واخذت تهاجم الثكنات العسكرية . استمرت الاضطرابات ثلاثة ايام واحرق المتظاهرون المصانع والبنوك وهتفوا بشعارات معادية للملك . ووزعت منشورات تهيب بالشعب الى اسقاط «نظام الاستبداد» واعلان الجمهورية . ورد الحرس الوطني بعنف ، ويقول شهود العيان ان عشرات من المتظاهرين قتلوا او جرحوا .

بعد فترة من الارتباك الناجم عن تحركات الشيعة وانتفاضة مكة ، شرعت الحكومة باتخاذ اجراءات تهدئة وتنكيل في آن واحد . فقد اقصى عدد من كبار الضباط وبينهم قواد الاصناف الثلاثة للقوات المسلحة وستة من كبار ضباط الامن بسبب تماهليهم او عدم اهليتهم ، كما نحي حاكم مكة . وسارع خالد وفهد وسواهما من كبار الامراء الى زيارة المتنفذين من شيوخ القبائل وتفقد القواعد العسكرية . وطرّد من البلد آلاف من العمال الاجانب «المشتبه بهم» . وفي ١٧ كانون الاول (ديسمبر) اختطف زعيم المعارضة اليسارية ناصر السعيد الذي خرج سرا الى بيروت ، ولم يعد له اثر منذ ذلك الحين .

استدعى الطلبة الدارسون من الخارج رغم ان السنة الدراسية كانت في منتصفها . وبغية تهدئة علماء الدين «المغالين في التصب» اغلقت معاهد التجميل وصالونات حلاقة النساء والنوادي النسائية . وسرحت مذييعات التلفزيون رغم احتشامهن في الملبس . وصدرت تعليمات جديدة تحظر على الفتيات مواصلة الدراسة في الخارج .

نزولا عند مطالب «الاصلاحيين» والتكنوقراطيين ومسؤولي المؤسسات وممثل «الفئات الوسطى» الراغبين بالمشاركة في السلطة ، اعلن ولي العهد فهد عن الشروع فى وضع «قانون اساسى» ينص على تعيين مجلس شورى . ولم ينفذ هذا الوعد .

الى امد غير بعيد كان الزعماء الامريكان الذين اربعهم شبح الثورة الايرانية ، يخشون ان «انفتاح» النظام السعودى ، اى تكييف المؤسسات السياسية المهترئة للمتحولات الاجتماعية الاقتصادية ، يمكن ان يتم بعد فوات الاوان . وهذا ما اعلن عنه لمجلة «نيوزويك» الاسبوعية وصحيفة «واشنطن ستار» فى كانون الثانى (يناير) عام ١٩٨٠ احد موظفى وكالة المخابرات المركزية . كما ان زلة لسان ادت بهذا الموظف الى ايراد عبارة قالها جيمس كارتر رئيس الولايات المتحدة آنذاك ومفادها انه «لا يمكن ضمان استمرار وجود النظام السعودى الا على امتداد السنتين القادمتين فقط» . وقد ادى تسرب هذه وغيرها من المعلومات السرية الى طرد معتمد وكالة المخابرات المركزية من السعودية .

جرى توسيع وتعزيز اجهزة الامن السعودية ، ولعب دوراً كبيراً فى هذا المجال المستشارون الذين اوفدتهم الى الرياض وكالة المخابرات المركزية الامريكية ومخابرات جمهورية المانيا الاتحادية وفرنسا . واغدقت الخيرات المادية على متنبسى الجيش النظامى والحرس الوطنى . فقد ازدادت روايتهم مرتين خلال بضعة اشهر . وتغاضت السلطات عن النشاط «التجارى» الذى مارسه الكثير من الضباط .

وزعت القوات النظامية على امتداد الحدود وابتعدت وحدات الدبابات عن المدن ، وكانت الذخائر توزع بكميات ضئيلة للغاية . فى ١٠ كانون الثانى (يناير) ١٩٨٠ نظم الشيعة فى مدن وقرى المنطقة الشرقية مظاهرة سلمية ذات طابع مناوئ للحكومة . وفى ١٧ من الشهر ذاته جرت مظاهرة اخرى فى القطيف . وفى ٢ شباط (فبراير) ١٩٨٠ تجددت فى القطيف الاضطرابات وخرجت مظاهرات تحمل شعارات خمينية ، وقد جرح واعتقل مئات من المتظاهرين . فى كانون الثانى (يناير) ١٩٨٠ جرت فى السعودية تدريبات مصرية امريكية جوية مشتركة ، كانت جزءا من مناورات اوسع فى المنطقة .

حلت في البلد فترة هدوء بعد الاحداث العاصفة في اواخر عام ١٩٧٩ ومطلع عام ١٩٨٠ . ولم يعد الصراع السياسى بالحدة السابقة ، وسعت الدعاية السعودية والامريكية الى تكوين انطباع يوحى باستقرار النظام .

فى ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٨٢ توفي الملك خالد اثر نوبة قلبية ، وقد انتقلت السلطة الى ولى العهد فهد دون مشاكل ، واصبح اخوه غير الشقيق عبد الله وليا للعهد . ولم يتوقع احد ان تحصل تغيرات جذرية فى السعودية مع تولى الملك الجديد السلطة ، وبالفعل لم تحصل اية تغيرات من هذا القبيل .

بدأ التطور السريع فى القوات المسلحة السعودية منذ الستينات . وعند بداية الثمانينات بلغ الانفاق عليها ، والذي كان يتم بتحفيظ من واشنطن ، ارقاما تعتبر خيالية ، حتى اذا اسقطنا الرشوة من الحساب . وفى عام ١٩٧٧ سبقت السعودية ايران وصارت اول مشتر للسلاح الامريكى فى العالم ، ووضعت لعام ١٩٨١ ميزانية عسكرية تربو على ٢٠ مليار دولار . ويعنى هذا ٤-٥ آلاف دولار سنويا لكل رجل وامرأة وطفل وشيخ ، اى ما يزيد عشرة اضعاف عما فى بلدان حلف الناتو المتطورة عسكريا . غير ان قسما كبيرا من هذه الاموال كان ينفق لبناء الهياكل الارتكازية والشكنات العسكرية (الامر الذى يؤدى حتما الى تسرب مليارات كثيرة الى جيوب الحكام) ولشق الطرق وتأسيس المعاهد الدراسية .

عام ١٩٧٩ ربا تعداد القوات المسلحة السعودية على مائة الف شخص ، منهم ٥٨ الفا فى القوات البرية و١٥ الفا فى الطيران وثلاثة آلاف فى البحرية وثلاثة آلاف فى قوات الحدود و٤٠ الفا فى الحرس الوطنى . وكان لدى الجيش زهاء ٧٠٠ دبابة من مختلف الانواع ، وفى سلاح الطيران ٢٠٠ طائرة حربية (من ضمنها طائرات «ف ٥» الامريكية و«لايتنينغ» البريطانية و«ميراج» الفرنسية) و٨٠ طائرة عمودية ، وفى البحرية ٣٠ سفينة حربية (بينها سفينتا انزال و٤ كاسحات الغام وعدد من زوارق خفر السواحل وزوارق الطوربيد) . وتوجد القواعد الجوية الرئيسية فى جدة والظهران وخميس مشيط وتبوك والطائف ، وهناك قواعد بحرية فى جدة على البحر الاحمر وفى الجبيل على الخليج .

يطبق منذ عام ١٩٧٥ برنامج السنوات العشر لتحديث جميع اصناف الجيش السعودي والحرس الوطنى . وتتولى الولايات المتحدة تصدير ٩٠٪ من الاسلحة التى تستوردها السعودية ، وتساهم فى تطوير البنيان العسكرى وتدريب منتسبى القوات المسلحة . وعند حلول عام ١٩٨٠ كانت السعودية قد طلبت من الولايات المتحدة اسلحة وتجهيزات بـ ٢٢ مليار دولار . وتضم البعثة العسكرية الامريكية فى السعودية آلافا عديدة تقول بعض المصادر انها تصل الى ٢٠ الفا ، يشكل العاملون فى حقل البناء العسكرى نصفهم .

ساهمت بريطانيا فى انشاء شبكة الدفاع الجوى السعودية . وفى سنوات ١٩٧٥-١٩٧٧ انفقت الرياض سبعة مليارات من الدولارات لشراء اسلحة من بريطانيا وتسديد كلفة المساهمة البريطانية فى تطوير سلاح الطيران السعودى . ويتولى افان من الخبراء البريطانيين تدريب الطيارين والفنيين من سلاح الطيران السعودى ، وصيانة الطائرات الحربية البريطانية الصنع .

اشترت السعودية فى الفترة ١٩٧٤-١٩٧٨ اسلحة من فرنسا قيمتها ٧,٤ مليار فرنك . وانشأت شركات فرنسية فى السعودية قاعدة جوية ومدرسة للدبابات ، ويتولى خبراء فرنسيون تدريب السعوديين على طائرات «ميراج» ودبابات «ا . م . اكس ٣٠» . وطبقا لاتفاقية عقدت عام ١٩٧٩ يجرى فى السعودية تشكيل خمسة من الوية الدبابات باشراف خبراء فرنسيين .

كما يعمل فى السعودية خبراء عسكريون من مصر والسودان والاردن وباكستان استدعتهم حكومة الرياض .

فى نيسان (ابريل) ١٩٧٨ كتبت مجلة «نيوزويك» الامريكية تقول : «تظل السعودية دولة عسكرية من الطراز الثانى رغم كل ما تملكه من معدات حربية . فان جيشها النظامى اقل تعدادا من الجيش الاردنى . وليست لدى السعوديين تقاليد عسكرية بالمعنى العصرى للكلمة . والجنود الذين كانوا الى امس غير بعيد يقودون قوافل الجمال عبر الرمال ، يطلب منهم اليوم ادارة شبكات الصواريخ المزودة بالاجهزة الالكترونية وقيادة الطائرات المقاتلة النفائة التى تفوق سرعتها سرعة الصوت . ولكى لا «تراوح» الماكنة العسكرية يترتب على السعوديين الاعتماد على المستشارين والخبراء الفنيين الامريكان ، وسيظل هذا الوضع قائما سنوات طويلة

اخرى» . وينطبق هذا التقييم على مطلع الثمانينات ايضا .
ان القوات المسلحة السعودية القليلة العدد نسبيا عاجزة عن
«هضم» ما تشتريه من اسلحة واستخدام الهياكل الارتكازية
العسكرية المنشأة . وان قسما كبيرا من المعدات العسكرية يخزن
فى اراضى المملكة ولايستخدم .

كتبت صحيفة «واشنطن بوست» تقول ان الولايات المتحدة
اخذت تقييم ، على حساب السعودية عمليا «قواعد احتياطية فى اراضى
العربية السعودية ، مجهزة تجهيزا كاملا فى انتظار استخدامها من
قبل القوات الامريكية» . فان «الرادارات الطائرة» الخمسة من طراز
«واكس» وغيرها من المعدات الحربية التى اشترتها السعودية من
الولايات المتحدة سوف تظل امدا طويلا تحت السيطرة الامريكية . ومن
المقرر ان تصبح هذه «الرادارات» اهم عنصر فى شبكة الدفاع
الجوى بالمنطقة التى يعتزم ان تشمل ، اضافة للسعودية ، كلا من
الكويت والامارات العربية المتحدة وعمان والبحرين وقطر . وقد
هيئت منشآت عسكرية «تضم شبكة سيطرة الكترونية معقدة» يتمثل
هدفها الحقيقى فى ان تصبح «المركز العصبى» لقوات الانتشار
السريع» الامريكية . وتخزن الولايات المتحدة فى القواعد التى يجرى
انشاؤها فى السعودية احتياطيا من المعدات العسكرية والذخائر
والوقود والمؤن ، يكفى لمدة ثلاثة اشهر . ومن المعتزم اقامة
شبكة «س - ٣» للسيطرة والتوجيه والاتصال وهى شبكة
«حديثة للغاية» ستربط فى منظومة واحدة ما فى حوزة السعودية
من مقاتلات «ف ١٥» و«الرادارات الطائرة» من طراز «واكس»
والصواريخ المضادة للطائرات ومحطات الرادار وكذلك الاسلحة
والمعدات المماثلة الموجودة فى البلدان النفطية الاخرى بالجزيرة
العربية . ومن المقرر ان تربط شبكة «س-٣» عبر الاقمار
الصناعية العسكرية بالقواعد الامريكية فى المحيط الهندى
وبالبنتاغون مباشرة .

السياسة الخارجية فى السبعينات ومطلع الثمانينات

ظلت العربية السعودية مرتبطة اوثق ارتباط بالولايات المتحدة على الصعيد الدولى . فان هيمنة الرأسمال الأمريكى على صناعة استخراج النفط فى البلد (وان كانت قد اصبحت على اساس المقولة شكليا) واعتماد المملكة على السلاح الأمريكى والحاجة الى تأييد الولايات المتحدة لابقاء النظام ذاته وتأثير التقلبات الاقتصادية فى الولايات المتحدة على الايداعات السعودية فى امريكا ، كل هذه العوامل حددت توجه الرياض نحو واشنطن . وبالإضافة الى الروابط الاقتصادية والسياسية والعسكرية الوثيقة ، قامت صلات دائمة بين كبار المسؤولين فى البلدين وتبادلت الزيارات فيما بينهم . ودرس ابناء علية القوم فى الولايات المتحدة . بغية مساعدة واشنطن على ان تصبح «حامية مصالح الغرب» فى العلاقات مع البلدان المصدرة للنفط ، لعبت السعودية دور «عامل الاعتدال» فى منظمة اوبك . فبعد الثورة الإيرانية صارت السعودية تصدر احيانا ما يعادل نصف الصادرات الاجمالية لبلدان اوبك ، لذا فان كلمتها فى المنظمة اصبحت لها تأثير حاسم . وتعارض الرياض ، قولا ، تصعيد الاسعار مغالطة بذلك واشنطن . ولكن ظل هناك سؤال معلق : الم يكن ذلك توزيعا للدوار ؟ اذ ان زيادة اسعار النفط كانت ايضا فى صالح شركات انتاج الطاقة الامريكية ، والولايات المتحدة عموما ، فى الصراع التنافسى مع بلدان اوربا الغربية واليابان . فبعد زيادة اسعار النفط قلصت السعودية الى حد كبير استخراج النفط واعاقت هبوط اسعار النفط فى الاسواق العالمية .

اصبحت السعودية اكبر مودع اجنبى فى البنوك الامريكية واكبر مستثمر للمال فى مجال شراء السندات الحكومية والاقتصاد والعقار

فى الولايات المتحدة . وتفيد بعض المصادر بان المقادير الفعلية للاستثمارات السعودية كانت اكبر بكثير من الارقام المعلنة رسميا . وقدرت السعودية ذاتها فى تقرير مغلق مرفوع الى صندوق النقد الدولى عام ١٩٧٨ استثمارات فى العالم بمبلغ ١٣٣ مليار دولار ، وغالبيتها فى الولايات المتحدة . ويعتقد الخبراء ان ما لا يقل عن مائة مليار دولار اخرى اضيفت الى هذا المبلغ عند نهاية عام ١٩٨١ . وتوظف الاموال السعودية فى الولايات المتحدة بالدرجة الرئيسية عبر «تشيز منهاتن بنك» و«مورغان غارانتى تراست» . وكانت الايداعات السعودية فى الولايات المتحدة والبلدان الاخرى تعود بفوائد تصل الى عشرة مليارات دولار سنويا .

قدمت السعودية قروضا وسلفا تعد بالمليارات الى البنك الدولى للانشاء والتعمير وصندوق النقد الدولى ، فاخذت تساهم شكليا فى صياغة قرارات هاتين المنظمتين . وفى عام ١٩٧٨ اصبحت السعودية عضوا دائما فى هيئة ادارة صندوق النقد الدولى . ساعد الاتفاق الذى ذكرت الصحف الامريكية انه عقد بين الملك خالد والرئيس فورد عام ١٩٧٧ ، على تعزيز العلاقات السعودية الامريكية . فقد التزمت السعودية بموجبه بعدم زيادة اسعار النفط لاكثر من ٥٪ حتى عام ١٩٨٤ (الامر الذى لم تلتزم به) ، واستثمار جزء كبير من عائدات النفط لشراء سندات الخزانة الامريكية الطويلة الامد . والتزمت الولايات المتحدة بتقديم مساعدة عسكرية للسعودية لمواجهة اى عدوان .

عندما حرمت واشنطن من النفط الايرانى قامت السعودية ، وفقا لاتفاقاتها مع الولايات المتحدة ، بزيادة استخراج النفط الى ١٠,٣ مليون برميل يوميا ، وغطت احتياجات الاسواق العالمية من الوقود السائل .

فى ١٥ ايار (مايو) ١٩٧٨ وافق مجلس الشيوخ الامريكى على اقتراح الحكومة الامريكية ببيع طائرات حربية الى مصر والسعودية واسرائيل . وكان من المقرر ان تحصل السعودية قبل عام ١٩٨٣ على ٦٠ طائرة من طراز «ف ١٥» ولكنها تعهدت بالا تجهز بمعدات للعمليات الهجومية والا ترابط فى قواعد قريبة من اسرائيل . فى ٢٨ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨١ وبعد صراع طويل داخل الهيئات التشريعية العليا فى الولايات المتحدة ، وافق مجلس

الشيوخ على اقتراح البيت الابيض ببيع السعودية معدات حربية تضم خمسة من «الرادارات الطائرة» من طراز «اواكس» بمبلغ ٨,٥ مليار دولار . وقد وقفت ضد هذه الصفقة مراكز الضغط الموالية لاسرائيل في الكونغرس الامريكى التى تعارض بيع اسلحة حديثة لاي بلد عربى . بيد ان الغلبة كانت لاهتمام واشنطن فى تعزيز تغلغلها العسكرى فى شبه الجزيرة العربية وجعل هذه المنطقة موقعا لاقامة حلقة جديدة من حلقات منظومتها العسكرية العالمية .

ولكن الرياض كانت تدرك ان الافراط فى الاعتماد السافر على واشنطن لن يعزز النظام بل سيضعفه ، لانه سوف يحط من منزلته فى نظر الجماهير ذات الميول المناهضة للامبريالية والمعادية للولايات المتحدة . وبوصفه «حامى الحرمين» و«المدافع عن المثل الاسلامية» وقف النظام السعودى ضد نهج اسرائيل التوسعى العدوانى المدعوم من قبل الولايات المتحدة ، وطالب بجلاء المحتلين عن القدس الشرقية حيث يوجد المسجد الاقصى ، وعن سائر الاراضى العربية . وتأكيدا ل«عروبتها» اعلنت الرياض عن دعمها للشعب الفلسطينى وقدمت مساعدة مالية كبيرة لمنظمة التحرير الفلسطينية . وعمل فى المملكة عشرات الآلاف من الفلسطينيين حيث زاولوا مهنا مختلفة . وادركت الرياض ان عدم تسوية النزاع العربى الاسرائيلى وتأيبيد واشنطن لتل ابيب ، انما يزيدان من عدم استقرار الوضع فى الشرق الاوسط ويشكلان خطرا على النظام الملكى . لذا فان محور واشنطن - الرياض كان يشهد بين الحين والحين توترا ، غير انه يبقى نوعا من الخلاف بين الاحباب . وقد عارضت الرياض علنا ومرازا ظهور «قوات الانتشار السريع» الامريكىة فى بلدان الخليج ، دون ان تعارض تواجدها «وراء الافق» ، كما عارضت اقامة قواعد عسكرية يرفع عليها العلم الامريكى على اراضى السعودية ، ووقفت ضد انشاء تحالف معاد للسوفييت فى الشرق الاوسط تشارك فيه اسرائيل .

ان العلاقات بين السعودية وبلدان اوربا الغربية واليابان لم ترتق ابدا الى مستوى العلاقات مع الولايات المتحدة ، ولكنها كانت ودية ومتنوعة بما فيه الكفاية . فان دول «السوق المشتركة» واليابان هى المستورد الرئيسى للنفط السعودى ، كما ان جزءا من البترودولارات السعودية يوظف فى هذه الدول . وتزايدت بسرعة

واردات السعودية من المعدات الصناعية والاسلحة من اوربا الغربية واليابان . وفي السبعينات وقعت الرياض اتفاقيات حول التعاون الاقتصادى والتقنى مع فرنسا وايطاليا والدنمارك واليابان وسويسرا وبريطانيا . وقد طرأ فتور وفتى على العلاقات مع بريطانيا بسبب عرض فلم «موت اميرة» فى التلفزيون البريطانى .

ان كيس النقود الثقيل والقدرة على تقديم هبات وقروض للبلدان العربية والاسلامية وسائر بلدان آسيا وافريقيا ، يشكلان دعما للسياسة الخارجية السعودية . وتحتل المملكة المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة من حيث تصدير الرساميل على شكل مساعدات .

كانت الثورة الاسلامية الايرانية فى كانون الثانى (يناير) ١٩٧٩ التى اطاحت بنظام الشاه وقضت على تبعية ايران العسكرية والسياسية للولايات المتحدة ، بمثابة تحذير مرعب للرياض . وتيقنت الاسرة الحاكمة من ان الاعتماد على الاسلام سلاح ذو حدين يمكن ان يستخدم ايضا ضد النظام ذاته ، الامر الذى اثبتته احداث مكة والمنطقة الشرقية فى عام ١٩٧٩ ذاته . وقد بينت النشنة المعادية للامبريالية التى كانت تنطوى عليها الحركات الجماهيرية العاملة تحت راية الاسلام ، ان الاقتداء بالولايات المتحدة والغرب عموما يشكل خطرا كبيرا على الاوساط الحاكمة فى البلدان الاسلامية . كما كان هناك خطر آخر يهدد الرياض مبعثه ان الشيعة القاطنين فى المناطق الشرقية من البلاد كانوا متأثرين بالدعاية الخمينية . وخشيت السعودية الضعيفة عسكريا من اعمال عدائية مباشرة قد تتعرض لها من قبل ايران .

بغية الوقوف بوجه ايران عمدت الرياض الى تعزيز صلاتها مع امارات الخليج العربية . وفى ٤ شباط (فبراير) ١٩٨١ عقد فى العاصمة السعودية اجتماع تقرر فيه تأسيس مجلس التعاون الخليجى الذى ضم ، علاوة على السعودية ، الكويت وقطر والبحرين والامارات العربية المتحدة وعمان . والهدف المعلن لهذه المنظمة هو تطوير التعاون فى ميادين الاقتصاد والتجارة والتعليم والصحة والاعلام . وبمرور الزمن اتخذ المجلس ، وبوضوح متزايد ، سمات حلف عسكرى .

حينما بدأت فى ايلول (سبتمبر) عام ١٩٨٠ حرب اقتتال الاخوة

بين ايران والعراق والتي كان لواشنطن ضلع فى اثارتهما ، فان الرياض شعرت ازاءها بالارتياح والخوف فى آن واحد . بالارتياح لان الرياض املت فى ان تضعف الحرب البلدين المتحاربين وبالتالى تقلل امكاناتهما فى العمل ضد السعودية وفى امارات الخليج . اما الخوف فمبعثه ظهور خطر فعلى من ان تمتد العمليات الحربية الى المملكة ، او على اقل تقدير تشكل خطرا على نقل النفط عبر الخليج . ومع استمرار الحرب وتدهور وضع العراق ، اخذت السعودية وسائر الدول العربية المحافظة تقدم له (اى للعراق) مساعدة متزايدة . وذكرت صحيفة «الرأى العام» الكويتية ان مساعدة الرياض لبغداد بلغت فى نيسان (ابريل) ١٩٨١ ستة مليارات دولار . وبديهي ان هذا الرقم يعطى تصورا عن حجم المساعدة فحسب وليس عن مقاديرها الدقيقة .

جابهت الرياض بالعداء منذ البداية ثورة نيسان ١٩٧٨ الوطنية الديمقراطية فى افغانستان . وسرعان ما بدأ يصل عبر باكستان عون مالى ومساعدات اخرى من السعودية للمتمردين الافغان ، وتولت الرياض تمويل شراء الاسلحة لهم . وازدادت هذه المساعدة بعد ان دخلت قوة سوفيتية محددة الى افغانستان فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٩ بناء على طلب من الحكومة الافغانية . وحاولت الرياض ان تضىفى طابعا معاديا لافغانستان ولالاتحاد السوفيتى على لقاءات منظمة المؤتمر الاسلامى فى كانون الثانى (يناير) وايار (مايو) ١٩٨٠ وفى كانون الثانى (يناير) ١٩٨١ . واصطدمت السياسة السعودية حيال هذه القضية بموقف الجزائر وسورية وليبيا واليمن الديمقراطية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، التى عارضت الاثارة المفتعلة للمسألة الافغانية واشارت الى ان المهمة الرئيسية لمنظمة المؤتمر الاسلامى تتمثل فى مجابهة سياسة اسرائيل التوسعية العدوانية .

تعززت العلاقات بين السعودية وباكستان عام ١٩٧٥ ، اثر استيلاء الدكتاتور ضياء الحق على السلطة . وتسارعت عملية التقارب بين البلدين على اساس وحدة موقفهما فى معاداة الثورة الاسلامية فى ايران والثورة الوطنية الديمقراطية فى افغانستان . ودفعت الرياض كلفة الاسلحة الامريكية المصدرة الى باكستان والتي كان جزء منها يسرب الى المتمردين الافغان . وفى كانون الثانى

(يناير) عام ١٩٨٠ قدمت السعودية لباكستان ٨٠٠ مليون دولار لتسديد كلفة وارداتها من الاسلحة الامريكية . كما ان العبالغ التي يحولها الباكستانيون العاملون في السعودية تشكل دعما كبيرا لاقتصاد باكستان .

اخذ التعاون بين البلدين ينسحب اكثر فاكثر على الميدان العسكرى . وتسربت الى الصحف انباء حول استخدام طيارين باكستانيين فى سلاح الطيران السعودى ، بل وحتى عن مرابطة وحدات عسكرية باكستانية ضخمة فى السعودية لحماية الحدود وحقول النفط ولدعم النظام .

لم تكل الرياض عن تأكيد دعمها لقضية الشعب العربى الفلسطينى العادلة ، وبعد مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى الرباط فى تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٧٤ اعترفت الرياض بمنظمة التحرير الفلسطينية . واولت السلطات السعودية اهتماما خاصا لـ «فتح» وهى المنظمة الاساسية فى منظمة التحرير الفلسطينية ووضعت تحت تصرفها مبالغ طائلة املا فى بسط نفوذها عليها ولكنها لم تفلح فى ذلك .

حينما نشبت الحرب الاهلية التى اثارها اسرائيل فى لبنان عام ١٩٧٥ والتى استمرت ١٨ شهرا ، اتخذت الرياض موقفا مزدوجا . فهى من جهة ، كما ذكرت الصحف اللبنانية اليسارية كانت تدفع تكاليف الاسلحة الامريكية التى تشتريها الميليشيات المسيحية اليمينية . ولكنها من جهة اخرى قدمت المساعدة لحركة المقاومة الفلسطينية ومولت عملية ادخال القوات السورية الى لبنان . وفى ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٦ دعا الملك خالد الى مؤتمر فى السعودية شارك فيه الرئيس المصرى انور السادات والرئيس السوري حافظ الاسد ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات . ووقعت هناك اتفاقية حول انتهاء الحرب فى لبنان . وجعلت القوات السورية شكليا بامرة لجنة رباعية تضم السعودية ومصر والكويت وسورية . وقد توقفت الحرب فى لبنان .

كانت التناقضات تمزق سياسة الرياض حيال النزاع العربى الاسرائيلى . فان الولاء للولايات المتحدة حامية اسرائيل يتنافى مع طموح الرياض الى لعب دور زعيم العالم العربى و«حامى الحرمين» والمكافح ضد الصهيونية والعدوان الاسرائيلى ومن اجل تحرير

المقدسات الاسلامية في القدس الشرقية . وبناء على قرار قمة الرباط في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ اخذت مصر وسورية تحصيلان على منحة سنوية مقدارها ٥٧٠ مليون دولار لكل منهما ، بينما تحصل الاردن على ٣٠٠ مليون ومنظمة التحرير الفلسطينية على ٢٨ مليوناً ، وذلك من صندوق خاص اسسته السعودية والكويت ودولة الامارات . كما حصلت بلدان المجابهة على مساعدة سعودية مباشرة لتغطية عجز الميزانية وشراء اسلحة من الغرب . ومن حيث العموم كانت السياسة السعودية طوال تلك السنوات قائمة على المطالبة بانسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

على صعيد الشرق الاوسط قدمت الرياض مساعدة فعالة للبلدان ذات الانظمة اليمينية ، وساندت النزعات الداعية الى الانفتاح الاقتصادي في البلدان ذات القطاع العام القوي ، اما على صعيد السياسة الخارجية فقد ساندت الميل الى التخلي عن التعاون مع الاتحاد السوفيتي والتوجه الى الولايات المتحدة . وبالاستناد الى العون السعودي تمكن السادات من القيام بـ«ثورته البيضاء» في مصر واعادة النظر جذريا في السياسة الداخلية والخارجية وصولا الى الغاء معاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفيتي في آذار (مارس) ١٩٧٦ . ولكن حينما زار السادات القدس في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧ واتبع نهج عقد الصفقات الانفرادية مع اسرائيل التي ادت في خاتمة المطاف الى اتفاقيات كامب ديفيد ، فان ذلك لم يكن مقبولا بالنسبة للرياض . فالاعتراف بكامب ديفيد يعني الموافقة ضمينا على تصفية القضية الفلسطينية واجراءات الضم الاسرائيلية ، بما فيها ضم القدس الشرقية حيث يوجد المسجد الاقصى ، الامر الذي من شأنه ان يقوض الى حد خطير مواقع النظام السعودي داخل البلد وعلى المستوى العربي وفي العالم الاسلامي . في ٢٦ آذار (مارس) ١٩٧٩ وقعت في الولايات المتحدة معاهدة «السلام» الانفرادية بين اسرائيل ومصر . وفي اليوم التالي عقد وزراء الخارجية العرب مؤتمرا في بغداد تقرر خلاله قطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر وانزال عقوبات اخرى بها . وفي ٢٤ نيسان (ابريل) قطعت السعودية العلاقات الدبلوماسية مع مصر وتوقفت

عن تزويدها بالمساعدات الحالية ، ولكنها استمرت فى استخدام الايدى العاملة المصرية .

احجمت السعودية سنوات طويلة عن تقديم مبادرات حول تسوية النزاع العربى الاسرائيل واقتصرت على تأييد الموقف العربى المشترك . ولكن فى ٧ آب (اغسطس) عام ١٩٨١ تقدم الامير فهد ، ولى العهد آنذاك ، بمشروع للسلام فى الشرق الاوسط من ثمانية بنود ، نص على انسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ومن ضمنها القدس الشرقية ، وازالة جميع المستوطنات اليهودية التى اقامتها اسرائيل فى الاراضى المحتلة ، وتأسيس دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشرقية والاعتراف بحق جميع دول المنطقة فى العيش بسلام . وقد رفضت اسرائيل المشروع ، كما انه لم يحظ بتأييد العراق والجزائر وليبيا وسورية واليمن الديمقراطية لعدم تطرقه الى دور منظمة التحرير الفلسطينية ولان بنده الاخير يتضمن تلميحا الى الاستعداد للاعتراف باسرائيل . وبسبب اختلاف البلدان العربية حول «مشروع فهد» ارجىء اجتماع القمة العربى الذى كان مقررا عقده فى الرباط فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨١ .

ابان مايسمى «الحرب الخامسة» فى الشرق الاوسط ، اى غزو اسرائيل للبنان وحصار بيروت عام ١٩٨٢ ، اتخذت السعودية موقفا سلبيا . ولم تقم بأية خطوات عملية للضغط على الولايات المتحدة بغية ايقاف دعمها لاسرائيل .

وفى مؤتمر القمة العربى الذى انعقد بفاس فى ايلول (سبتمبر) ١٩٨٢ شارك الملك فهد فى صياغة المشروع العربى الموحد لتسوية ازمة الشرق الاوسط سلميا ، والذى كان متطابقا عمليا مع موقف الاتحاد السوفيتى حيال هذه القضية .

واصلت الرياض اىلاء اهتمام كبير للجمهورية العربية اليمنية وهى اكبر بلدان الجزيرة العربية من حيث عدد السكان ، ولجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية حيث توطد النظام الديمقراطى الثورى . وبعد اقامة علاقات دبلوماسية مع اليمن الديمقراطى عام ١٩٧٥ ، عرضت السعودية عليه فى آذار (مارس) ١٩٧٥ مساعدة مالية ونفطا املا فى تغيير النهج السياسى لعدن . وعندما اتضح ان لامل فى ذلك توترت العلاقات بين البلدين من جديد .

بعد مقتل الرئيس اليمنى الشمالى الغشمى فى حزيران (يونيو) ١٩٧٨ وتولى على عبد الله صالح الرئاسة ، وافقت الرياض على ان تدفع كلفة اسلحة ومعدات امريكية استوردتها الجمهورية العربية اليمنية وبلغت قيمتها ٤٠٠ مليون دولار ، ولكنها اصرت فى المقابل على وقف التعاون العسكرى مع الاتحاد السوفيتى . وزيدت المساعدات السعودية لصنعاء اثناء الحرب بين شطرى اليمن فى آذار (مارس) ١٩٧٩ ولكن بعد الصلح وتطبيع العلاقات بين اليمنين واقرار مشاريع الوحدة بينهما ، فترت علاقات الرياض بصنعاء الى حد دفع بالسعودية الى وقف مساعداتها لليمن الشمالى . واستؤنفت المساعدات عام ١٩٨٠ وتمكنت السعودية من الاحتفاظ بتأثير كبير فى الجمهورية العربية اليمنية .

ابدت السعودية فى السبعينات اهتماما بتطوير التعاون الاقليمى فى حوض البحر الاحمر املا فى توطيد نفوذها هناك ولمجابهة حركة التحرر الوطنى . وقد اثارت ثورة اثيوبيا عام ١٩٧٤ وتوطد النظام الديمقراطى الثورى فى اليمن الديمقراطى ، رد فعل معاديا فى الرياض وقدمت السعودية عوناً ماليا الى الصومال يرجح انه بلغ بضع مئات الملايين من الدولارات ، وايدتها فى الحرب ضد اثيوبيا عام ١٩٧٧ . بيد ان التدخل الصومالى فى اثيوبيا كانت نتيجته هزيمة نكراء منى بها الغزاة ، كما لم تسفر عن شىء المساعدة السعودية للانفصاليين فى ارتيريا .

بفضل الفائض المالى تتبع السعودية على الصعيد الدولى سياسة قائمة على قدرتها المالية . وصار تأثير هذه المملكة المتخلفة القليلة السكان والتي تمتلك ثروات اسطورية ، يستشعر فى عدد من بلدان آسيا وافريقيا . وبغية تمويل المشاريع الاقتصادية فى بلدان آسيا وافريقيا اسس صندوق التنمية الاقتصادية وازداد رأسماله بالتدريج حتى بلغ عشرة مليارات دولار . وبلغ الحجم السنوى للمساعدة ، وفق معطيات رسمية من الواضح انها مبالغ فيها ، الى ستة مليارات .

ولكن من المؤكد ان وراء هذه المساعدة دوافع سياسية ، اذ خصصت لمساندة الانظمة اليمينية الدائرة فى الفلك الامريكى ، وكان يشترط فى من يحصل عليها اتباع سياسة معادية للشيوعية وللالاتحاد السوفيتى فى احوال كثيرة . ومن بين متلقى المساعدة

السعودية نظام فيتنام الجنوبية قبل سقوطه ، وتايوان (فرموزه) واندونيسيا وباكستان .

دفعت الحكومة السعودية كلفة الاسلحة التي استوردها السودان وطالبت الخرطوم بان تكون مصادر السلاح غربية فقط ، كما طالبت بايقاف التعاون العسكرى مع البلدان الاشتراكية . وفى عام ١٩٧٦ قدمت الرياض لحكومة موبوتو فى زائير ٥٠ مليون دولار لمحاربة انغولا الثورية . وفى عام ١٩٧٧ ساندت الرياض تدخل بلدان الناتو فى زائير ودفعت كلفة نقل قوات مغربية على متن طائرات امريكية الى هذا البلد للمشاركة فى قمع الانتفاضة التى قامت فى محافظة شابا ضد الدكتاتور موبوتو . واثّر ذلك قدمت السعودية عوناً مالياً كبيراً آخر لزائير . ولكن السعودية قطعت العلاقات الدبلوماسية مع زائير فى ١٩ ايار (مايو) ١٩٨٢ رداً على استئنافها العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل .

ان دور العربية السعودية على المسرح الدولى فى مطلع الثمانينات لم يعد يقارن بما كان عليه فى مطلع السبعينات اى قبل عقد فحسب . وقد حاولت الدعاية الغربية ان تخلق للسعودية هالة «الدولة العظمى» مالياً ونفطياً ، فى حين ان الصحافة اليسارية غالباً ما كانت تلقبها بالبلد «شبه الامبريالى» . ولكن نظراً لعدم توفر الكوادر وقلة عدد السكان وبلى البنية الاجتماعية السياسية والتخلف الاقتصادى للمملكة ، فان قدرتها الدولية لا يمكن اعتبارها الا شيئاً عابراً ومفتعلاً وهلامياً .

البنية الاجتماعية الاقتصادية للعربية السعودية في «عصر البترول»

ازدادت عوائد العربية السعودية من البترول خلال الفترة بين ١٩٣٨ و١٩٧٣ لآكثر من ٨,٥ الف مرة (من نصف مليون دولار عام ١٩٣٨ الى ٤,٣ مليار دولار عام ١٩٧٣) ، وعند حلول الثمانينات ربت على مائة مليار .

وكان الجزء الاكبر من عوائد البترول في الاربعينات والخمسينات ينفق على الاغراض الاستهلاكية . ويعزى ذلك الى فقر البلد الذى كان يجد مشقة كبيرة فى تدبير لقمة العيش ، كما يعزى ايضا الى تخلف التركيب السياسى الاجتماعى فى البلد . وبدا كما لو ان الطبقات الحاكمة التى كانت الاموال فى يدها قد قطعت صياما استمر بضعة قرون وانكبت على الاستهلاك بشراهة متزايدة . ولم تكن الفئات الدنيا لتحصل عمليا على شىء من عوائد البترول .

ولئن كان جهاز الدولة آنذاك يتفق ومتطلبات مجتمع اقطاعى عشائرى على مستوى القرون الوسطى ، فانه لم يكن مناسباً البتة للتصرف باموال ضخمة واداء وظائف اجتماعية اقتصادية جديدة . ففي الثلاثينات والاربعينات ، بل وحتى فى الخمسينات ، لم تكن خزينة الدولة فى العربية السعودية منفصلة عمليا عن خزانة الملك الخاصة . ولم يعرف البلد اى نظام مالى او نقدى ، ولم تسرف فيه تشريعات صناعية او تجارية او تعتمد مؤسسات حكومية او اجتماعية ، ولم تتوفر لديه كوادر مؤهلة للتحكم بالمستوى المستجد للعوائد . كما ان النظام الدينى لم يكن يساعد على اعتماد مستحدثات جديدة او دفع عجلة التنمية الاقتصادية الى امام .

وفى اواخر الخمسينات كان نصف عوائد البترول (التي ربت على ٣٠٠ مليون دولار سنوياً) من نصيب العائلة المالكة ، بينما حصل التجار وموظفو الدولة والمستشارون على جزء كبير آخر (١) .

وثمة رقم اقل يذكره الباحث فيلبي ، اذ يقول ان المداخيل المباشرة للعائلة المالكة كانت تبلغ في الخمسينات خمس عائدات الدولة (٢) .

وكما في غالبية بلدان الشرقين الاوسط والادنى ، اصبحت الوظيفة الحكومية وسيلة للاغتناء في العربية السعودية . فان جهاز الموظفين كان يدعى زيفا الولاء للمبادئ الوهابية ولكنه يمارس السرقة والرشوة . وذكر مؤلفون امريكان «ان من لم يكن يقوم بذلك اعتبر اما احمق او غريب الاطوار» (٣) . وقد اقترن اتساع الجهاز البيروقراطي وزيادة عوائد البترول بانتشار الفساد الذي بلغ حدا اصبح معه الجزء الاكبر من اعتمادات الميزانية يتسرب الى جيوب القيمين على استخدامها ، بمن فيهم افراد الاسرة السعودية . وغالبا ما كان موظفو الدولة يمارسون الاتجار وفي المقابل يتبؤا التجار مناصب حكومية . لذا فان هؤلاء الاشخاص ما كانوا ليرتدوا ابدا في استثمار مناصبهم لتحقيق مآرب شخصية (٤) .

ونظرا لضيق مجال استثمار رؤوس الاموال في العربية السعودية ، وخاصة في التوظيفات الطويلة الاجل ، فان كميات كبيرة من الاموال اخذت تتسرب الى الخارج ابتداء من الاربعينات والخمسينات وتستقر هناك كودائع مصرفية او لشراء العقار (٥) .

النظام المالي . المداخيل والنفقات . قبل عام ١٩٥٢ لم يكن يوجد في السعودية نظام نقدي موحد . فالى جانب الريال السعودي كان يتداول في الحجاز الجنيه الذهبي الانجليزى ، وفي شرق البلاد الربية الهندية ، اما طالر ماريا تيريزا فقد كان عملة متداولة في كل مكان ويعادل ثلاثة ريالات سعودية (٦) .

فى عام ١٩٥٢ انشئت وكالة النقد السعودية وخولت صلاحيات بنك الاصدار ، وبعد بضع سنوات اسس البنك المركزى الذى اصدر ريالا ذهبيا (زهء ٠,٢ غرام) مغطى بالذهب والعملة الصعبة . وكان الدولار الامريكى الواحد يعادل ٣,٧٥ ريال ، وفى عام ١٩٦٠ اصبغ يساوى ٤,٥ ريال (٧) . وبدأ اصدار ما يسمى بـ«صكوك الحجاج» التى حلت محلها تدريجيا النقود الورقية .

وفى الاعوام التالية عدلت القيمة الرسمية للريال السعودى مرتين . فآثر تخفيض سعر الدولار وبقاء المحتوى الذهبى للريال على وضعه السابق ، ارتفع سعره ابتداء من كانون الاول (ديسمبر)

١٩٧١ واصبح الدولار يعادل ٤,١٤ ريال (٨) . وفى آب (اغسطس) عام ١٩٧٣ رفعت السعودية سعر الريال وزيد محتواه الذهبى الى زهاء ٠,٢١ غرام ، واصبح الدولار يعادل ٣,٥٥ ريال (٩) .
وعلاوة على مقرها فى جدة ، افتتحت وكالة النقد فروعا فى مكة والمدينة والدمام . وكانت مهماتها الرئيسية تتمثل فى العمل على ضمان استقرار وتوطيد العملة السعودية ومركزة المداخيل والنفقات ومساعدة وزارة المالية والاقتصاد الوطنى . وكان الخبراء العاملون فى الوكالة من الاجانب (١٠) .

فى عام ١٩٥٧ انضمت العربية السعودية الى صندوق النقد الدولى والبنك الدولى للانشاء والتعمير ، ومنذ عام ١٩٧٠ انتسبت الى الرابطة الدولية للتنمية (١١) . واصبحت هذه المنظمات الدولية التى يهيمن عليها رأس المال الامريكى هى التى تتحكم فى السياسة المالية والاقتصادية للمملكة ، رغم ان تحقيق توصياتها غالبا ما كان متعذرا .

حتى عام ١٩٥٢ كانت «الجمعية التجارية الهولندية» العاملة منذ عام ١٩٢٦ هى البنك الرئيسى للسعودية و من خلاله قدمت سوكال الدفعات الاولى المترتبة عليها عند الحصول على الامتيازات النفطية . وفى الاربعينات واولائل الخمسينات بدأ العمل «بنك دى لا اندوشين» الفرنسى والبنك العربى الاردنى وبنك «ميدل ايست» البريطانى و«نيشنل بنك» الباكستانى (١٢) .

وفى اواسط الستينات كان فى السعودية ثلاثة بنوك وطنية وهى البنك التجارى الوطنى ومقره جدة وبنك الرياض وبنك التسليف الزراعى الذى انشىء عام ١٩٦٤ (١٣) . واسس البنك التجارى الاهلى فى اواسط الثلاثينات من قبل كبريات البيوت التجارية فى جدة (١٤) . وفى عام ١٩٧٤ بلغ عدد البنوك السعودية ١٢ بنكا لها ٧٢ فرعا ووكالة ، بالاضافة الى عشرة بنوك اجنبية (١٥) .

وبلغت العوائد المباشرة المستحصلة من شركات البترول اكثر من اربعة اخماس مداخل الدولة . اما اذا اخذنا بنظر الاعتبار المداخل غير المباشرة الناتجة عن نشاط الشركات ، فيمكن القول ان كل مداخل الدولة ، ومجمل اقتصاد البلاد عموما ، كان وما يزال قائما فى الاساس على استخراج البترول وتصديره .

اما مصادر الدخل الثانوية فهى تتمثل فى رسوم البلدية

والمرافىء والمطارات وغيرها ، والعوائد من استثمار السكك الحديدية وشركة الطيران ورسوم الطرق والزكاة . وفى عام ١٩٥٤ كانت الزكاة لا تشكل سوى مليون دولار ونيف ، أى اقل من ١٪ من مداخل الدولة . وفى الخمسينات خفضت الحكومة نسبة الزكاة من ٢,٥٪ الى ١,٢٥٪ من مداخل السكان ، على افتراض ان المسلمين سوف يتولون بانفسهم انفاق المتبقى قى عمل المعروف (١٦) .

اما بالنسبة لنفقات الدولة فان الجزء الاساسى منها كان يخص فى الاربعينات والخمسينات للانفاق على العائلة المالكة والقوات المسلحة والشرطة وتمويل العشائر والمؤسسات الدينية (١٧) .

وفى عام ١٩٦١ انشئت الهيئة العليا للتخطيط التى كلفت بوضع سياسة التنمية الاقتصادية بالاشتراك مع سائر الوزارات والمصالح وذلك استنادا الى توصيات البنك الدولى للانشاء والتعمير ، كما كلفت بمتابعة تنفيذ المشاريع الاقتصادية . وفى عام ١٩٦٥ حلت محلها منظمة التخطيط المركزية التى منح رئيسها رتبة وزير . ولم يكن هناك فصل واضح لوظائف كل من منظمة التخطيط المركزية ووكالة النقد ووزارة المالية والاقتصاد ، لذا غالبا ما كانت تنشأ تناقضات حادة فيما بينها . ولم يتم تنفيذ اى من الخطط الاقتصادية التى اقرت فى مطلع الستينات (١٨) .

فى الستينات اخذت تتزايد فى اعتمادات الميزانية النفقات المخصصة للمواصلات والصحة والتعليم والزراعة وتوطين القبائل والرى .

ونصت ميزانيات الدولة فى الستينات واول السبعينات على زيادة استثمارات التنمية الاقتصادية والصحة والتربية . بيد ان مشاريع التنمية الاقتصادية كانت الى حد كبير تغطية لنفقات ذات طابع عسكرى استراتيجى (١٩) . وبعد عام ١٩٦٧ بلغت الاعتمادات المباشرة وغير المباشرة للقوات المسلحة والجهاز القمعى ، اى لاهداف حماية النظام خمس الميزانية (بعد ان كانت تشكل حوالى الثلث) (٢٠) . وبلغت نفقات الجيش ١٠-١٣٪ من الناتج الوطنى الاجمالى ، اى اكثر مما فى اى بلد من بلدان حلف الناتو بما فيها الولايات المتحدة ، ولم تزد عليها سوى نفقات بلدان الشرق الاوسط الضالعة مباشرة فى النزاع العربى الاسرائيلى (٢١) . وكان

جهاز الدولة المتضخم «يأكل» ويسرق جزءا هائلا من الاموال (٢٢) . منذ اواخر الستينات وبداية السبعينات لوحظت ظاهرة جديدة فى الممارسة المالية للعربية السعودية ، تمثلت فى تصدير الرساميل عبر قنوات حكومية ، من خلال وكالة النقد . وكان الجزء الاساسى من ايداعات الدولة محفوظا فى «مورغان غارانتى تراست كومبانى» و«تشيز مانهاتن بنك» (٢٣) ، كما اودعت مبالغ كبيرة فى بنوك اوربية . وبلغت الارقام التقريبية للايداعات السعودية فى الخارج : ٧٨٥ مليون دولار عام ١٩٦٩ و ٨٩٠ مليون عام ١٩٧٠ و ١٥٤٠ مليون عام ١٩٧١ و ٢٨٧٠ مليون عام ١٩٧٢ و ٤٧٩٠ مليون عام ١٩٧٣ و ١٩٢٠٠ مليون عام ١٩٧٤ و ٣٨٧٠٠ مليون عام ١٩٧٥ و ٤٩٥٩٠ مليون عام ١٩٧٦ (٢٤) . وهذه ارقام تقريبية هى مجرد مؤشر على الاتجاه العام وليس على الكميات الدقيقة للرساميل المودعة .

بعد زيادة اسعار البترول القياسية لعدة اضعاف لم يعد بوسع البلد ان يستوعب او حتى «يأكل» المداخيل المتزايدة ، فأخذ يصدر الرساميل بكميات متزايدة ، وبلغت الايداعات فى الخارج بضع عشرات المليارات من الدولارات فى اواخر السبعينات . وكان القسم الاكبر من الايداعات السعودية يتكون من سندات الخزنة الامريكية والايداعات المصرفية واسهم الشركات ومن استثمارات الدولارات الاوربية فى السوق والعقارات . وتفيد احصائيات «فيرست ناشنل بنك اوف شيكاغو» ان ٧٠٪ من الاستثمارات السعودية كانت مرتبطة بالدولار .

ميلاد ونشوء الصناعة الوطنية . فى مطلع الاربعينات لم تكن العجلة مستخدمة فى غالبية مناطق العربية السعودية . ومن الخطأ القول بان سكان هذه المناطق «لم يعرفوا العجلة» ولكن غيابها هو مؤشر دقيق على مستوى تطور القوى المنتجة فى البلد . وحتى مطلع الستينات كان «الانتاج الوطنى» مقتصر على الضروريات التقليدية من عمل الصناعات البدائية والحرفيين العاملين فى البيوت (٢٥) . وكان الصدع قد بدأ يذب فى الاقتصاد التقليدى للعربية السعودية ، وما يتصل به من مستوى متخلف فى تطور القوى المنتجة ، والفقر والمرض والامية ، قبل ظهور شركة ارامكو . وقد تسارعت هذه العملية بفعل هجوم المؤسسة الرأسمالية المعاصرة

والاسراف فى الاستيراد الذى يؤدى الى عواقب وخيمة على الحرف المحلية (كما هو الحال بالنسبة للزراعة) . وفى اواخر الخمسينات ذكر باحثون امريكان ان «فروع الحرف قد عانت فى السنوات الاخيرة من ركود شامل بفعل تزايد استيراد السلع الصناعية الرخيصة . . . وان عدد العاملين فى الانتاج الحرفى الذى لم يكن اصلا كبيرا قد اصبح اليوم ضئيلا للغاية» (٢٦) .

ولقد مارست آرامكو ، وسط اقتصاد ينتمى الى فترة القرون الوسطى او ما قبلها ، تأثيرا مباشرا على مجتمع الجزيرة . فقد استمالت القوة العاملة المأجورة وشيدت مدنا وبلدات عصرية وانشأت هيئات الخدمات وورشات شارك فيها رأس المال الوطنى ومدت شبكة من الطرق . وكل هذه التحولات التى تعد تقدما بالنسبة لاقتصاد العربية السعودية وتطورها الاجتماعى ، لم تكن عملا خيريا تسديه الاحتكارات الامريكية ، بل استدعتها ضرورة تهيئة ايسر الظروف الاقتصادية والتكنولوجية والاجتماعية السياسية الملائمة لعمل آرامكو بشكل طبيعى .. وقد اشار لينين الى ان «تصدير رأس المال يؤثر على تطور الرأسمالية فى البلدان التى يستثمر فيها مسرعا اياه الى اقصى حد» (٢٧) .

وبمساعدة الرساميل المحلية اخذت تظهر فى المنطقة الشرقية فروع ثانوية للصناعة والبناء تتولى تقديم الخدمات لآرامكو . ولئن كان فى البلد عام ١٩٤٤ مقاولان محليان ، فقد ارتفع العدد عام ١٩٤٧ الى ١٠٧ وبلغ عام ١٩٥٥ زهاء المائتين وعمل لديهم بضعة آلاف من العمال . وشارك عدد كبير من المقاولين فى مد خط انابيب البترول عبر الجزيرة العربية وفى شق الطرق ومد خط السكك الحديد بين الدمام والرياض ، وانشاء المطار العسكرى فى الظهران وبناء المدارس والمستشفيات ودور العمال والمستخدمين المشتغلين لدى آرامكو وتعمير ميناء الدمام (٢٨) . وافتتح عدد من المقاولين السعوديين مكاتب انشائية واسسوا شركات نقل بحوزتها عشرات السيارات وورشات تصليح . ورغم ان حصة المقاولين من الحجم الاجمالى للاعمال التى انفقت على الاعمال الانشائية لآرامكو كانت ضئيلة ، فانها ظلت فى تزايد مطرد .

اقيمت فى المحافظة الشرقية معامل صغيرة لانتاج المواد الانشائية والقناني والاكسجين والتلج والمرطبات ومحطات كهربائية وورش

لصنع الاثاث . كما ازداد عدد الشركات التجارية والحوانيت والدكاكين (٢٩) .

ولكن «عند حلول عام ١٩٦٠ لم تكن توجد عمليا في البلد صناعة وطنية» كما يشير الباحث السوفيتي اوزولينغ وهو مصيب في ذلك (٣٠) . وباستثناء مصانع تكرير البترول العائدة ملكيتها لرأس المال الاجنبى ، لم تكن توجد في السعودية اية مؤسسة يربو عدد العاملين فيها على المائة . وفي المتوسط كانت كل مؤسسة «ضخمة» تضم ستة عمال ، علما بان عددهم الاجمالى قارب الـ ٥٥٠٠ (٣١) . وقد بلغت الاستثمارات «الصناعية» بضع عشرات من ملايين الدولارات ، بينما بلغت استثمارات آرامكو زهاء الف مليون دولار . وكانت كل المؤسسات تقريبا ملكا لرأس المال الخاص باستثناء الورش الحكومية الكبيرة لتصليح السيارات (٣٢) .

وفي الاربعينات ومطلع الخمسينات انصب اهتمام الطبقة الحاكمة في السعودية على الاثراء الشخصى واخذت تستهلك و«تأكل» بشراهة عوائد البترول ، ولم تكثر البتة بمصير الصناعة الوطنية والحرف . ولكن بالتدريج نضجت لدى اكثر ممثلى هذه الطبقة تنورا وبصيرة فكرة حول ضرورة تدخل الدولة فى الاقتصاد ، او على الاقل تقنينه وتشجيعه . ونشأت هذه الافكار سواء بفعل العمليات الجارية فى البلدان العربية الطبيعية او نتيجة للانتقاد الذى تعرض له النظام من القوى الوطنية الديمقراطية الوليدة فى البلد او بمشورة الخبراء الامريكان .

وفى معرض تقييم السياسة الاقتصادية للعربية السعودية فى فترة ما بعد الحرب ، قسمها اوزولينغ الى اربع مراحل سماها اصطلاحا : «فترة الانتشاء بالثروة» ١٩٤٦-١٩٥٦ . اذ ان العربية السعودية التى خطت الخطوات الاولى على طريق التحول الى دولة «برجوازية اقطاعية» (٣٣) متعددة الانماط شهدت زيادة سريعة فى استخراج البترول رافقها ارتفاع مماثل فى دخول الطبقة الحاكمة . «الفترة الانتقالية» ١٩٥٧-١٩٦٣ . اضطرت الحكومة الى اتخاذ بعض التدابير لانعاش الاقتصاد الوطنى . وتقرر فرض رقابة على العمليات النقدية وتحديد الاستيراد وموازنة النفقات والمداخيل . ومنذ عام ١٩٦٤ نشأت لأول مرة فى البلد قاعدة متينة متسعة باطراد لتحقيق زيادة سريعة فى رصيد التراكم الوطنى . وهذا امر

نادر تقريبا بالنسبة لبلد تسوده الانماط الاقطاعية وشبه الاقطاعية العاجزة بذاتها عن ان تكون قاعدة للتراكم . ويعزى ظهور قطاع جديد فى الاقتصاد ، وهو قطاع الدولة الرأسمالى ، فى اواسط الستينات الى جملة اسباب يدخل ضمنها تمركز موارد مالية طائلة فى يد الدولة وضرورة عدم الاقتصار على حماية مصالح الطبقة البرجوازية المتنامية بل وشق الطريق امامها ، وتهيئة الظروف الملائمة لمزاولة الاعمال الحرة .

وتبدأ الفترة الرابعة من السبعينات . اذ ان الحكومة التى كانت تؤثر التخطيط الجارى القصير الامد (لفترة سنة مالية واحدة) قد اقرت اول خطة خمسية للتنمية الاقتصادية فى البلد (١٩٧١-١٩٧٥) .

فى ايار (مايو) ١٩٦٢ صدر مرسوم حول حماية الصناعة الوطنية الغيت بموجبه الرسوم الجمركية المفروضة على استيراد المكينات والمعدات وقطع الغيار وبعض انواع الخامات والمواد نصف المصنعة . والتزمت الحكومة بتخصيص اراض للمؤسسات الصناعية الجديدة . وفى عام ١٩٦٣ عدل اسم وزارة التجارة الى وزارة التجارة والصناعة ، وكلفت بوضع التدابير الكفيلة بحماية الصناعة الوطنية من المزاحمة الاجنبية ، وتقديم تسهيلات للرأسمال الوطنى والاجنبى فى مجال استيراد المعدات الصناعية ، وفى ميدان الضرائب والقروض (٣٤) .

وعكفت منظمة التخطيط المركزية التى اسست عام ١٩٦٥ على وضع توصيات بهدف تنويع الاقتصاد السعودى وتهيئة اول برنامج خماسى للتنمية الصناعية .

واستنادا الى مرسوم حماية وتشجيع الصناعة الوطنية الصادر فى ايار (مايو) ١٩٦٢ ، تم حتى نهاية عام ١٩٧١ انشاء ١٨٨ شركة يتراوح عدد العاملين فى كل منها من ٧ الى ٦٤ عاملا . وكان معدل رأس مال كل شركة يساوى ١,١ مليون ريال سعودى (٣٥) . واستثمرت اكبر الرساميل فى قطاع البناء . بيد ان القسم الاكبر من المؤسسات الصناعية السعودية ظل عاجزا عن العمل بكل طاقته نظرا لضيق سعة السوق والمزاحمة الاجنبية وعدم توفر ما يكفى من الايدى العاملة والمواد الخام . وكان التطور الناجح من نصيب

صناعة الاسمنت فقط ، حيث ازداد انتاجها من ثلاثين الف طن في ١٩٥٧-١٩٥٨ الى ٩١١ الف عام ١٩٧٢ (٣٦) .

يتضمن دليل الغرفة التجارية في جدة ثبتا بالمؤسسات التي كانت موجودة في اكبر مدن الحجاز في اواخر الستينات . وهى ، كما اسلفنا ، مقتصرة على صناعة المرطبات والثلج والورق والطابوق والمواد الانشائية الاخرى والمستحضرات الكيماوية المنزلية وحقول الدواجن .

في الستينات قام رجال الاعمال السعوديون بانشاء معمل للثقاب في موقع بين الرياض والخرج ومصنع للصابون في جدة ومصنعين للاسمنت في الرياض والنفوف ، كما زيدت انتاجية مصنع الاسمنت في جدة ومعمل الورق في الدمام . وجرى توسيع معامل الطابوق والزجاج والاثاث والبسكويت والحلويات والمواد الغذائية ، وورشات الصهر والميكانيك وتصليح السيارات (٣٧) .

ونخصت الدولة بمبالغ كبيرة لتعمير وتشجير المدن والكهربة والخدمات البلدية . وعموما جرى التطور الاقتصادي خلال هذه السنوات باتجاه توسيع وتطوير الهيكل الارتكازي بالدرجة الاولى ، مما ادى الى زيادة الطلب على الكهرباء والمواد الانشائية . وقد قدر المبلغ الاجمالى للاستثمارات فى الصناعة الوطنية عند نهاية عام ١٩٦٩ بمليار ريال ، ويعنى هذا تحقيق زيادة قدرها ٦,٥ مرة خلال تسع سنوات (٣٨) .

وقد ذكر كناورهيذ ان عدد العمال فى المدن عام ١٩٦٨ بلغ ١٠١٥٦٩ عاملا ، وازداد الى ١٤٦٧٤٠ عام ١٩٧١ ، ولكنه لم يبين ما اذا كان العمال الاجانب يدخلون ضمن هذا العدد . اما عدد «المؤسسات» فقد ارتفع خلال العامين المذكورين من ٤٢٨٨٦ الى ٦٠٩٢٩ . وهكذا فان المقصود بالدرجة الاولى الورش العاملة فى قطاع الخدمات (ورش تصليح السيارات والادوات المنزلية) والمؤسسات الصغيرة للغاية التى تولت انتاج سلع جديدة ، وكان غالبيتها فى الحجاز (٣٩) .

وفى عام ١٩٦٧/١٩٦٨ ، كما هى الحال عام ١٩٧١ ، كان معدل العاملين فى كل «مؤسسة» ٢,٣٣ شخص منهم ١,٤٢ عامل اجير و٠,٩١ عامل غير اجير ، اى من افراد الاسرة (٤٠) .

وكما فى سائر البلدان المتخلفة المعتمدة على الغرب ، فقد كانت

الحكومة السعودية تأمل فى استثمار رأس المال الاجنبى لتطوير الصناعة الوطنية . ففي عام ١٩٥٧ صدر مرسوم حول «تنظيم استثمارات رأس المال الاجنبى» وقد انسحب مفعوله ، باستثناء حالات معينة ، على جميع الاستثمارات الموجودة او المستقبلية فى البلد . واستثنت منه الشركات صاحبة الامتياز والشركات «ذات الاهمية الحيوية للتنمية الاقتصادية فى المملكة» . ونص المرسوم على ان رأس المال السعودى فى اى شركة اجنبية يجب الا يقل عن ٥١٪ ، والا يقل عدد السعوديين العاملين فيها عن ٧٥٪ ، على ان يتقاضوا ما لا يقل عن ٤٥٪ من الاجور . والزمّت الشركات بمراعاة احكام الشريعة وضبط دفاتها باللغة العربية ، وبان تتخذ من العربية السعودية مقرا لمكاتبها الرئيسية (٤١) .

فى شباط (فبراير) عام ١٩٦٤ اقر قانون جديد حول الاستثمارات الاجنبية شمل رأس المال الاجنبى بموجبه بطائفة من الامتيازات التى كانت ممنوحة لرأس المال الوطنى . وطبقا لهذا القانون اعفيت المؤسسات التى يساهم فيها رأس المال الاجنبى من ضريبة الدخل ورسوم الشركات لمدة خمس سنوات من تاريخ تشغيل المؤسسة شريطة الا تقل حصة رأس المال الوطنى فيها عن ٢٥٪ طيلة فترة شمولها بالتسهيلات . وسمح للاجانب باخراج الارباح ورأس المال دون عوائق . ولم يعد اسهام رأس المال الوطنى شرطا يفرض على الاجانب عند تأسيس الشركات ، بل اصبح عاملا يساعد على شمولها بطائفة من الامتيازات الاضافية . اما الاستثمارات الاجنبية فى صناعة النفط واستخراج المعادن فقد جرت وفق اتفاقات خاصة (٤٢) .

فى مطلع السبعينات كانت البرجوازية الصناعية فى العربية السعودية ما برحت فى حالة جنينية ، ولم يكن لها وزن اقتصادى او سياسى . وقد كان النشاط الصناعى يدر ربحا قليلا وتحفه مخاطر كبيرة بحيث انه لم يجتذب اصحاب رؤوس الاموال من التجار وافراد الاسرة السعودية والفئة العليا من الجهاز البيروقراطى . وقد آثر هؤلاء تحويل اموالهم الى الخارج او استثمارها فى تجارة الاستيراد او المضاربة بالاراضى او بناء المساكن ، وفى احسن الاحوال استخدامها فى المقاولات والشركات الانشائية .

لذا جابهت الحكومة منذ بداية الستينات ضرورة الاضطلاع بمهمة

التنمية الصناعية في البلد . وقد اضطرت الدولة التي كانت من حيث الجوهر الطبقي في مرحلة الاقطاع المبكر الى تولى اقامة قطاع دولة رأسمالى فى الاقتصاد ، وخاصة فى الحقول الصناعية التى تتطلب توظيف رساميل كبيرة . وتوخيا لهذا الغرض انشئت شركة حكومية باسم الهيئة العامة للبترول والمواد المعدنية (بترومين) (٤٣) .

وقد اشترت بترومين من ارامكو مصنع تكرير البترول فى جدة وشرعت بتوسيعه ، وسيطرت فى الوقت ذاته على شبكة توزيع المشتقات النفطية . وشرعت بترومين ، بالتعاون مع شركات اجنبية ، ببناء مصانع كيمياوية يستخدم فيها الغاز المصاحب الذى كان فيما مضى يحرق فى حقول البترول ، للاستفادة منه فى انتاج الاسمدة والكبريت والحوامض واللدائن (٤٤) . وفى عام ١٩٧٣ بلغ انتاج الاسمدة فى مؤسسات بترومين ١٥٠ الف طن (٤٥) .

فى عام ١٩٦٤ اعتمدت بترومين مبلغ ٣١,٥ مليون ريال (سبعة ملايين دولار) لبناء المرحلة الاولى من مصنع الحديد والصلب فى الحجاز . ورست المناقصة على الشركة البريطانية «روبرتسن اند كومبانى» التى شرعت فى نيسان (ابريل) ١٩٦٦ ببناء ورشة الدلفنة فى ضواحي جدة . وفى مطلع السبعينات انتجت الورشة ٨,٥ الف طن من المدلفنات ولكن وتائر التطور هناك كانت بطيئة للغاية .

الى جانب مصنع الحديد والصلب ومعمل انتاج الاسمدة فى الدمام ، كانت المؤسسات الكبرى للصناعة فى السعودية فى بداية السبعينات متمثلة بمعمل تكرير النفط فى جدة حيث بلغ عدد العاملين هناك ٥٠٠ عامل ، ومصانع الاسمنت الثلاثة التى بلغ مجموع العاملين فيها ٩٨١ شخصا (٤٦) . وشيدت فى الخرج مجموعة من المصانع الحربية الحكومية التى تعتبر ضخمة فى نطاق السعودية . فقد عمل هناك عام ١٩٦٥ زهاء ٩٠٠ عامل ومهندس وفنى وكلهم سعوديون (٤٧) .

علاوة على البترول اكتشفت فى السعودية ثروات طبيعية اخرى مثل الجبس والنحاس والحديد واليورانيوم والملح الحجرى والفضة والذهب وغيرها . ولكن استثمار هذه الثروات لم يبدأ عمليا فى الستينات (٤٨) . وجدير بالذكر ان شركة انكلو امريكية كندية قامت فى الفترة من ١٩٣٤ الى ١٩٥٤ باستخراج الذهب فى منطقة مهد الذهب وذلك من مقالع قديمة ، وبلغ مجموع ما استخرجته

خلال عشرين عاما زهاء ٢٦ طنا من الذهب ، وبعد ذلك اعتبرت ان مواصلة الاستخراج غير مربحة (٤٩) .

فى تموز (يوليو) عام ١٩٧٢ اقرت فى العربية السعودية قوانين جديدة لتنظيم استثمار الثروات المعدنية (باستثناء البترول) . وزيدت المساحات القصوى للاراضى المخصصة للتنقيب من مائة كيلومتر مربع الى عشرة آلاف كيلومتر مربع ، واعفيت الشركات التى تباشر العمل من الضرائب لمدة خمس سنوات (٥٠) .

اما فى الفروع الصناعية الرئيسية التى تتطلب استثمارات كبيرة ، وحيث تكون مساهمة رأس المال الاجنبى امرا حتميا ، فان الحكومة السعودية حاولت ، عبر بترومين ، ان تمارس الرقابة على الشركات المؤسسة حديثا . فقد وظفت فيها اموال الدولة وكانت فى غالبية الاحوال تحمل اسهم ضمان الادارة (٥١٪ او اكثر من الاسهم) وكان ممثلو الحكومة اعضاء فى مجالس الادارة . ولكن المشاريع الصناعية غالبا ما كانت تصبح غير ريعية وتغدو مصدر اثراء للموظفين المحليين والشركات الاجنبية ، وذلك بسبب عدم اهلية ممثلى الحكومة السعودية وتفشى الفساد بينهم .

وفى الخمسينات والستينات والسبعينات انجزت بنجاح اكبر ، وان كان ذلك على حساب اهدار اموال كبيرة ، مهمة اقامة شبكات عصرية من الطرق والمواصلات ، وذلك باستخدام التكنولوجيا المستوردة والكوادر الاجنبية .

فقد كان البلد المترامى الاطراف والقليل الكثافة المكون اساسا من الصحارى الحجرية والرملية ، بحاجة الى الطرق . وفى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥١ مد خط للسكك الحديدية ذو طريق واحد طوله ٥٧٧ كلم من الدمام الى سواحل الخليج العربى عبر الهفوف والظهران والى الرياض (٥١) . وما زال النقاش محتمدا حتى اليوم حول الجدوى الاقتصادية لهذا الخط . وعلى اية حال لم تشيد فى البلد خطوط اخرى ولم تنفذ مشاريع تمديد الخط الى المدينة وجدة وينبع واعادة بناء خط الحجاز الذى دمر خلال الحرب العالمية الاولى . وبدأ بشكل حثيث شق طرق السيارات فى الخمسينات . وفى المقاطعة الشرقية ربطت هذه الخطوط بين الظهران والخبر والدمام ورأس تنورة والجبيل . وشقت طرق معبدة الى الكويت والى الاردن

وسوريا ولبنان ، بمحاذاة خط انابيب البترول . وشقت طرق مماثلة من جدة الى مكة والمدينة ومن ثم طريق جبلى من الطائف الى مكة . وفى السبعينات استمر بناء الطرق بوتائر اكبر من السابق ، وغدت المراكز الرئيسية فى البلد مرتبطة بشبكة طرق واسعة .

وتم بناء او توسيع او تعمير موانئ فى جدة وينبع على البحر الاحمر وفى الدمام والخبر وميناء سعود على الخليج العربى . وفى الستينات كان يوجد فى البلد مطاران عصريان فى جدة والظهران ، ومن ثم شيدت مطارات كبرى فى الرياض والمدينة والطائف . واخذت طائرات شركة الخطوط السعودية المرتبطة بـ«TWA» الامريكية تقوم برحلات منتظمة الى عشرات من بلدان العالم .

ربطت المراكز الرئيسية فى البلد بشبكة للهاتف اصبحت اوتوماتيكية منذ السبعينات وشغلت اذاعات ضخمة فى جدة ومن ثم الرياض ومكة ، علاوة على اذاعات اصغر فى مناطق اخرى . وظلت شركة ارامكو لفترة طويلة تملك محطة التلفزيون الوحيدة فى البلد ، ولكن تم فى الستينات انشاء شبكة للتلفزيون على نطاق البلد كله ، وذلك بعد صراع ضار مع علماء الدين (٥٢) .

وفى السبعينات ، كما يقول اوزولينغ ، ظلت الصناعة النفطية عموما «اساس اقتصاد البلد والمجمع الصناعى الوحيد المتطور والذى يفي بالمتطلبات التكنولوجية الحديثة . ولكن نظرا لان ملكيته تعود بمجملها تقريبا الى رأس المال الاجنبى والامريكى اساسا ، فانه ينبغي اعتباره بمثابة كيان قائم بذاته فى اقتصاد البلد ولا يدخل عضويا ضمن اقتصاده الوطنى . وان نشاط هذا القطاع معزول الى حد كبير عن عملية اعادة الانتاج الجارية ضمن الاقتصاد الوطنى بمعناه المباشر» (٥٣) . وباستثناء المجمع النفطى ظلت السعودية من اكثر بلدان العالم تخلفا من الناحية الاقتصادية . وفى اواسط السبعينات وبعد ١٥ عاما من الجهود فان اسهام الصناعة الوطنية فى الناتج الوطنى الاجمالى ظل ضئيلا للغاية .

لقد طرأ تسارع حاد على التحولات فى البنية الاجتماعية الاقتصادية للعربية السعودية بعد عام ١٩٧٣ ، حينما ازدادت عوائد البترول عدة اضعاف . وقامت الحكومة بوضع واقرار ، ومن ثم الشروع بتنفيذ مشاريع اقتصادية واجتماعية بدت هائلة على الورق . فلئن كانت السعودية قد خصصت للخطة الخمسية الاولى عام ١٩٧٠

مبلغ ٩ مليارات دولار ، فان اعتمادات الخطة الثانية بلغت ١٤٢ مليارا والثالثة - التي بدأت عام ١٩٨٠-٢٤٠ مليارا . وخصص معظم الاعتمادات الاساسية للهيكل الارتكازية وصناعة المواد الانشائية والصناعة الثقيلة والزراعة ولتطوير التعليم والصحة . كما اولت الخطة الخمسية الثالثة اهتماما لتشجيع القطاع الخاص . وخصصت مبالغ اقل نسبيا لتطوير الهياكل الارتكازية . وفي كافة مراحل تنفيذ الخطط اهدرت مبالغ طائلة بسبب الفساد المستشري في جهاز الدولة وعدم اهلية اصحاب القرار وغياب القوى العاملة وسياسة النهب التي تنتهجها الشركات الاجنبية . كما ان التضخم ساهم في احباط خطط التنمية ، فقد ارتفعت نسبته في السنوات الاولى لتنفيذ الخطة الخمسية الثانية الى ٣٥٪ سنويا ، وان كانت قد انخفضت الى حد كبير بعد ذلك .

وكان اهدار الاموال والتضخم المبالغ فيه والذي لا لزوم له ، من السمات المميزة للكثير من مشاريع التنمية السعودية . فعلى سبيل المثال كانت مساحة الارض التي شيد عليها مطار جدة الجديد تزيد مرة ونصف المرة عن مساحة مطارات نيويورك (كندى ولاغارديا) وشيكاغو ولوس انجلس مجتمعة . ومن المفروض ان تبلغ الطاقة الاستيعابية للمطار عام ١٩٨٥ ٨,٥ مليون راكب ، لترتفع عام ٢٠٠٠ الى عشرة ملايين . اما مطار الرياض الذي يجرى انشاؤه فان طاقته تصل الى ١٥ مليونا ، اي اكثر بثلاث مرات من سكان المملكة الاصليين .

وكان من المقرر بناء مجمعات صناعية ضخمة ، وخاصة في مجال التعدين والبتروكيماويات ، في ينبع على البحر الاحمر والجبيل على الخليج . كما جرى التخطيط لانشاء مدينتين تتسع الاولى (١٥٠ ألفا) والثانية (٣٥٠ ألفا) . وفي مستهل الثمانينات كان قد انفق على التصاميم وبناء جزء صغير من الهياكل الارتكازية مبلغ ١٥ مليار دولار . وكان من المنتظر انفاق مبلغ اكبر خلال الاعوام الخمسة التالية . ولكن الخبراء تكهنوا بان مؤسسات التعدين والميتالورجيا والبتروكيماويات سوف تكون غير مربحة . وعمدت الشركات الغربية المشاركة في العقود الى تصعيد اسعار معداتها لعدة اضعاف فحكمت مسبقا على هذه المؤسسات بالخسارة .

فى بداية الخطة الخمسية الاولى بلغ عدد المدارس فى البلد

٣٣٥٠ مدرسة ، وفي بداية الثمانينات اضيفت اليها الفا مدرسة اخرى . ولم تفتح اولى مدارس البنات الا فى الستينات وكانت فى البرامج المدرسية مواد دينية كثيرة على حساب المواد العامة . وكانت هناك مدارس دينية الى جانب المدارس المدنية ومدارس اهلية علاوة على الحكومية . وتولى المعلمون السعوديون التدريس فى المدارس الابتدائية اساسا ، اما فى المدارس المتوسطة والثانوية فقد كان المصريون والفلسطينيون والسوريون يشكلون اغلبية المدرسين . وكانت توجد فى الظهران والرياض ١٦ كلية تتولى اعداد خبراء متوسطى التأهيل من مختلف الفروع .

تأسست جامعة الرياض الحكومية عام ١٩٥٧ ، وفيها ثمانى كليات . وفى عام ١٩٦٢ افتتح هناك معهد الهندسة ، وفى عام ١٩٦٧ اسست جامعة اهلية فى جدة ومكة . ومنذ عام ١٩٦١ تعمل فى المدينة الجامعة الاسلامية التابعة للدولة ، كما يجرى اعداد رجال الدين فى الكليات والمعاهد الاسلامية .

وفى اواخر السبعينات وصل عدد تلاميذ وطلاب المدارس والمعاهد المتوسطة الى قرابة مليون شخص بينهم ٢٥٠ الف فتاة . اما عدد طلبة الجامعات فقد بلغ ١١ الفا ، اضافة الى ٢٠ الف طالب يدرسون فى الخارج ونصفهم تقريبا فى الولايات المتحدة .

لم يبدأ انشاء شبكة المؤسسات الصحية الحديثة الا منذ الستينات وقد ارتفعت النفقات المخصصة لهذه الاغراض من ٨٧ مليون ريال فى ١٩٦٣/١٩٦٣ الى ١,٥ مليار ريال فى ١٩٧٩/١٩٨٠ . والرعاية الطبية مجانية شكليا ، ولكن عدد المؤسسات الصحية غير كاف وهى موجودة فى المدن اساسا . وكان فى البلد عام ١٩٧٥ خمسة وثمانون مستشفى تتسع لـ ١٠٤٦٥ سرير . ونصت الخطة الخمسية الثانية على ان يضاف ١١٥٠٠ سرير فى عام ١٩٨١ . وتشمل شبكة الرعاية الصحية المستشفيات الحكومية والاهلية الخيرية (المجانية) والاهلية غير المجانية فى المدن ، والعيادات والمراكز الطبية الحكومية فى الارياف .

التجارة والبرجوازية التجارية . فى مستهل السبعينات كانت حياة البلد واقتصادها مرتين بالاستيراد . فقد كانت العربية السعودية تستورد من الخارج كل معدات الصناعة والطاقة والمكانن وقطع الغيار والمحركات والادوات والمستحضرات الكيماوية والمواد الطبية

والغالبية الساحقة من السلع الاستهلاكية وقرابة نصف المواد الغذائية . ولم يكن البلد يغطي احتياجاته الا فى مجال مشتقات النفط وجزئيا فى مجال المواد الانشائية وبعض انواع الاسمدة الكيماوية .

كانت الولايات المتحدة الامريكية ، وكذلك بلدان اوربا الغربية واليابان اكبر العملاء التجاريين للعربية السعودية . اما بريطانيا التى ظلت خلال العشرينات والثلاثينات المهيمن الوحيد تقريبا على اسواق المملكة ، فانها فقدت مكان الصدارة رغم احتفاظها بمواقع قوية . وفيما يخص الاستيراد من البلدان العربية والافريقية فقد كان مقتصرا اساسا على الماشية واللحوم والفواكه والخضروات والحبوب وبعض السلع الاستهلاكية (٥٤) .

وسيطر التجار السعوديون على غالبية العمليات التجارية فى البلد ، سواء بالنسبة لتجارة الجملة او المفرق . وادت زيادة الاستيراد وازدياد الطلب على السلع وتنوعها الى انتعاش السوق وتنامى البيوتات التجارية القديمة وظهور عشرات ومئات من الشركات الجديدة . ولقد كانت التجارة فى البلدان الاسلامية مهنة محترمة على الدوام ، خاصة وان النبى قد زاولها . لذا فان رأس المال السعودى الخاص ، وبالدرجة الاولى الحجازى ، تدفق على ميدان التجارة (وكذلك المضاربة بالارض وبناء المساكن) . وقد توفرت لهذا الغرض الكوادر والتقاليد والصلات الكفيلة باداء المهمة . وكان بين اصحاب البيوتات التجارية فى الحجاز والاحساء عدد من ابناء سوريا وفلسطين وحضرموت الذين اكتسبوا الجنسية السعودية (٥٥) .

وقد اثار تدفق التجار العرب فى الخمسينات استياء التجار المحليين . لذا صدرت فى مطلع الستينات مراسيم تقيد حركة التجار الوافدين من سائر البلدان العربية . والزم كل تاجر اجنبى (مسلم من بلد عربى) بان يتخذ له شريكا سعوديا على ان يكون له مالا يقل عن ٥١٪ من رأس المال . ونتيجة لذلك اضطر آلاف من التجار العرب الى مغادرة العربية السعودية (٥٦) .

وغدا الاستيراد ركيزة لعدد من البيوتات التجارية الكبرى مثل «على رضا» و«الغصيبى» و«جفلى» و«بغشان» و«جميه» و«السليمان» و«خشقجى» و«فرعون» (٥٧) . وعلاوة على الاستيراد مارست هذه الشركات المقاولات وبناء المساكن والفنادق وتنظيم شركات الملاحة

والنقل والاسواق التجارية (سوبر ماركت) كما استثمرت جزءا من اموالها فى صناعات معينة . وكانت هذه فى الغالب مؤسسات عائلية وليست شركات مساهمة . وفى السبعينات بلغت الدورة السنوية لرأس مال كبرياتها مليار دولار . وعمل الى جانبها عشرات ومئات من صغار المستوردين ذوى رؤوس الاموال المحدودة ولكل منهم وكيان او ثلاثة .

اسست عائلة «على رضا» ومقرها الرئيسى فى جدة والتي يبدو انها من اصل ايرانى ، بيتها التجارى فى الستينات من القرن الماضى . وقبل الحرب العالمية الاولى كان احد ابناءها نائبا عن جدة فى المجلس العثمانى ، وتولى آخر ولاية جدة وسلم المدينة عام ١٩٢٥ الى ابن سعود . ومنذ عام ١٩٤٠ اصبحت شركة «على رضا» وكيلا لشركة «فوردر» ، واسندت اليها بعد الحرب وكالة «وستنكهاوس» و ITT وشركتى «اوميغا» و«تيسو» للساعات . وعين عدد من افراد العائلة فى مناصب وزير التجارة وسفير المملكة فى كل من الولايات المتحدة وفرنسا كما اسند اليهم منصب وكيل وزارة الخارجية . واستثمرت اسرة على رضا اموالها فى العقار والصناعة وحقل الخدمات ونتاج الكهرباء والمواصلات والصناعة النفطية (٥٨) ، وساهمت فى مقاولات حكومية كبيرة ، كشاركتها فى «الشركة الهندسية العربية الايطالية للمقاولات» التى تولت استيراد المعدات .

وكان ثمة وسيلة للاغتناء تتمثل فى ان يكون طرف سعودى ضامنا لشركة اجنبية تعقد صفقات لشق الطرق او بناء الموانىء او الفنادق او تعمير المدن . فقد بدأ نجم عائلة جفلى بالصعود اثر حصولها على عقد لكهربية الطائف لصالح شركة بريطانية (٥٩) . وبعد ذلك اصبحت العائلة وكيلا لشركة «مرسيدس» فى السعودية وقامت باستيراد الاطارات ، وقطع الغيار وشراء عدد من المزارع (٦٠) . ويجدر بالذكر ان الاثراء السريع كان من نصيب اولئك الذين يكلفون بانجاز اعمال لصالح الدولة او العائلة المالكة . فقد ذكر المؤلف السعودى فؤاد شاكر فى معرض تعدادة للبيوتات التجارية فى جدة ومكة ان اسرة صالح عيسى البكرى اثرت بسرعة بفضل توليها تزويد العائلة المالكة وضباط الجيش والشرطة والمدارس الحكومية فى الرياض بما تحتاجه من الاقمشة (٦١) .

هناك طريقة اخرى لتكون البرجوازية وهى عمليات العقار . ففي ١٩٥٥/١٩٥٦ الغيت الرقابة على اسعار الارض وايجار المساكن فى المدن الكبيرة . وقد ارتفعت الايجارات عندئذ بنسبة ٣٠٠-٤٠٠ بالمائة ، وزادت منذ ذلك الحين عشرات المرات . وجرى تهافت على شراء الاراضى وازيلت احياء الفقراء لتشييد مكانها عمارات بغية تأجيرها او بيعها (٦٢) .

وقد اثرت من المضاربة بالاراضى شركة الاخوة الاربعة من آل سويدان فى الرياض . اذ انهم ابتاعوا عام ١٩٦٩ قطعا واسعة من الاراضى فى مناطق واعدة بالعاصمة وباعوها بعد بضعة سنوات بسعر يزيد مائة مرة عن سعر الشراء . كما انهم قاموا ببناء وبيع فيلات ودور سكنية واستيراد المواد الانشائية والرافعات وسواها (٦٣) .

تمركزت فى الحجاز اكبر البيوتات التجارية فى المملكة . وكانت اكثر المنتفعين من ارتفاع اسعار البترول وزيادة الاستيراد وتنفيذ طلبيات الدولة ، وقامت بتوسيع نشاطها ليشمل البلد كله . عام ١٩٤٨ تأسست غرفة تجارية فى جدة وسمح بالانتساب اليها لتجار المدينة والطائف وجيزان وتبوك حيث لم تكن غرف تجارية ، ولبعض تجار مكة والرياض . وبلغ عدد اعضائها فى اوائل السبعينات زهاء الالفين (٦٤) .

بدأ غالبية كبار تجار المنطقة الشرقية اعمالهم كمقاولين لدى ارامكو . وكان بعضهم من العاملين سابقا فى الشركة مثل سليمان عليان الذى عمل فيها سائقا لشاحنة ثم اسس شركة للنقلات . ولم يتيسر للتجار السعوديين ولوج الميدان العالمى بسهولة . ويستثنى من ذلك اربعة من كبار رجال الاعمال اصبحوا من كبار اصحاب الثروات فى العالم وهم خشقجي وفرعون (وكان ابواهما من اطباء الملك) وسليمان عليان الذى ترأس «البنك السعودى البريطانى» واکرم وجيه السعودى الجنسية والسورى المولد .

وقد اثرى خشقجي من توريد الاسلحة للجيش السعودى والحصول على «عمولة» من مؤسسات الصناعة الحربية الامريكية ، وكون مجموعة شركات رأسمالها ٤٠٠ مليون دولار ومقرها فى لوكسمبورغ وهى باسم «تريدهولدنغ كوربوريشين» (٦٥) .

وتولى فرعون رئاسة «الهيئة السعودية للابحاث والتنمية» وشملت

دائرة اعماله تجارة المكائن والمشاركة فى انتاج السلع الغذائية الاستهلاكية والتأمين .

اما وجيه فقد مارس اعماله من خلال شركته المسماة «تكنيك دى افانغارد» ومقرها لوكسمبورغ ايضا .

وقد استثمرت هذه المجموعة من رجال الاعمال اموالا فى شركات اجنبية لها صلة باعمال البناء وفى البنوك . بيد ان محاولاتها للسيطرة على البنوك الغربية الكبرى لم تفلح بسبب مقاومة رأس المال المالى فى البلدان المتطورة وغياب الخبرة والكوادر الادارية لدى الاثرياء السعوديين . واودعت هذه المجموعة الرباعية من رجال الاعمال السعوديين اموالها فى بنوك ببلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية واستثمرت رساميل فى مجمعات سياحية وفندقية وشركات ملاحة وفى العقار بكل انحاء العالم .

لقد شكلت البرجوازية السعودية التى تربطها وشائج وثيقة بالعائلة المالكة نوعا فريدا من الاوليغارشيا التجارية المالية . فقد نمت فى «دفيئات زجاجية» تقيها من المنافسة الاجنبية ، واستفادت اساسا من الاستيراد الذى كانت عوائد البترول غطاءه فى التحليل الاخير . وقد ذكرت مجلة «ميدل ايست ايكونوميك دايجست» ان «العائلة السعودية الحاكمة واعضاء الحكومة يحاولون التهرب من كل ما يمكن ان يشى بصلاتهم مع ارباب الاعمال هؤلاء ، ولكن من المعروف ان هناك وسطاء يستخدمون كستار للتغطية على النشاط التجارى لافراد العائلة المالكة والوزارة» (٦٦) .

ومن خلال الاسرة الحاكمة والعوائل المرتبطة بها كانت عوائد البترول توزع على الجهاز البيروقراطى الذى اصبح الفساد المستشرى فيه اشبه بعرف اجتماعى شبه علنى ، وتنفق على الجيش والشرطة وكبار القادة فيهما ، وعلى الوسطاء وبالاخص الشركات الاجنبية ، كما تصرف لمختلف الاعمال العامة والمشاريع الاقتصادية التى غدت بقرة حلوبا ومصدرا لاثراء المسؤولين عنها والاجانب والوسطاء . كما ان التجار السعوديين اغتنوا على حساب تخلف المجتمع باستيلائهم على جزء كبير من عائدات البترول عند اعادة التوزيع .

ملكية الارض والزراعة . ما هو تأثير تنامى عوائد البترول على الفروع التقليدية للاقتصاد : الزراعة وتربية المواشى التى عمل فيها

غالبية السكان ، وعلى العلاقات الاجتماعية فى الواحات وقبائل الرحل وشبه الرحل ؟ كانت غالبية اراضى البلاد تعتبر ارضا اميرية ، اى ملكا للدولة ممثلة بالملك . اما فى الواقع فان جزءا كبيرا من الاراضى الاميرية كان يستثمر من قبل ساكنيه ، وبالدرجة الاساسية القبائل ، او اقطاعات مشمولة بحقوق ملكية مجتزأة . اما الاراضى غير الاميرية فقد كانت ملكا لافراد او افخاذ او عوائل او قبائل او من اراضى الاوقاف .

وشملت الاراضى الاميرية المراعى والصحارى العائدة للقبائل وبلغت مساحتها ٨٠٪ من اراضى البلد . وفى عام ١٩٢٥ قلص الملك عبد العزيز حقوق القبائل المتعارف عليها وكان عند الضرورة يغير حدودها وفق مشيئته .

وكانت الدولة ممثلة بالملك والحكومة تملك كل ثروات باطن الارض ، لذا فقد كان بوسعها ترحيل القبائل من منطقة الى اخرى اذا اقتضت ذلك ضرورات ترتبط ، مثلا ، باستثمار الموارد الجوفية . اما فى سائر الاحوال فان القبائل واصلت استثمار الارض كسابق عهدها . وفى غالب الاحوال لم تكن القبائل الرحل تتجاوز الحدود المقررة لها ، ولكن عندما تسقط فى منطقة ما كمية اكبر من الامطار ، كان بوسع القبائل الارتحال الى مراعى قبائل اخرى .

وكانت ملكية اراض كبيرة تنشأ ، عادة ، عندما تقطع الدولة جزءا من الاراضى الاميرية وتمنحها لشخص (الاقطاعة) . ومنحت اقطاعات كثيرة للضباط وكبار التجار الذين كانوا يؤجرونها على اساس المحاصصة . وطبقا لمرسوم ملكى صادر عام ١٩٥٧ الزم الراغبون فى الحصول على اقطاعات بالحصول على اذن من امير المنطقة ومن الملك لتملك الارض وتسجيلها . واثّر ذلك ويجوز التصرف بالارض : نقل ملكيتها ، وهبها ، تأجيرها او جعلها وقفا . ورغم ان الاقطاعات ظلت من الناحية الشكلية ملكا للدولة ، فان الاقطاع ذاته كان شكلا انتقاليا نحو الملكية الخاصة (الملك) (٦٧) . الملك هو الشكل الوحيد للملكية الخاصة للارض المعترف به فى المملكة ، وهو يعنى ان الشخصية المعنوية تمتلك الارض ولها كل حرية التصرف بها . وقد انتشر الملك على وجه خاص فى عسير ، حيث كانت الزراعة متطورة اكثر مما فى المناطق الاخرى ولكنه لم يشمل عمليا الاراضى الجافة .

كما عرف في البلد المشاع ، وفي بعض الاحوال كانت قطع من هذه الاراضى توزع على افراد الاسرة الكبيرة او الفخذ لحرثاتها . وغالبا ما كان ابن شيخ العشيرة يعين مديرا للملك المشاع . وفي بعض الاحيان كانت تؤجر على اساس المحاصصة ثم يتولى كبير العائلة توزيع الارباح على افرادها . ولكن فى اطار المشاع كان يعاد توزيع الحصص طبقا لحقوق الارث . ومن المعتقد ان المشاع شمل زهاء سدس الاراضى المستصلحة وغالبيتها فى نجد والمنطقة الشرقية . وكانت هناك اشكال غير عشائرية للمشاع ، كما لدى سكان الواحات . ففى عسير كانت حراثة الارض وزراعتها وجنى المحصول تتم على اساس جماعى وتوزع الغلال بالتساوى .

وفى جبرين وخيبر كانت اراضى الواحات ملكا لقبائل البدو . ونظرا لتفشى المalaria هناك فان القبائل ما كانت لتفد الى هناك الا لتلقيح الطلع ثم جنى البلح ، اما رعاية النخيل فى سائر اوقات السنة ، فقد كانت تسند الى الاجراء المحليين ، وهم فى العادة من اخلاف المعتوقين . وبعد ذلك يوزع المحصول بين رجال القبيلة مع مراعاة عدد الافراد فى عائلة كل منهم (٦٨) .

اراضى الاوقاف - حسب تقديرات مديرية الاوقاف السعودية لعام ١٩٥٦ بلغت نسبة ملكية الاوقاف من الاراضى المزروعة ٥٪ فى عسير ، و ١٠٪ فى الحجاز و ١٥٪ فى المنطقة الشرقية ونجد (٦٩) .

ان ارتفاع نسبة الوفيات بين مالكي الارض الذى جعل مستحيلا عمليا طوال قرون تكاثر السكان الموسع ، وضع عقبة طبيعية فى طريق تقسيم الاراضى الى قطع صغيرة . وعند غياب هذا «المنظم الطبيعى» كانت الاسر تتخذ التدابير الكفيلة للحيلولة دون بيع او تقسيم الاراضى المستزرعة . وغالبا ما كان الورثة يوافقون على ان تكون ملكيتهم للارض جماعية شريطة ان يمنح كبير الاسرة حق زراعتها او تأجيرها . ويمنح هذا الحق احيانا بالتناوب ويحصل كل من تسند اليه هذه الوظائف اجرة اضافية علاوة على الحصة . وبغية الحفاظ على ملكية الارض فى يد اسرة واحدة كان التزاوج بين ابناء العم محبذا (٧٠) .

يذكر «الدليل الاقليمى» ان ٦٠٪ من الاراضى كانت تؤجر بينما يتولى مالكو الارض زراعة ٤٠٪ منها فقط . وتتراوح نسبة الاراضى

المؤجرة في عسير والحجاز بين ٧٠ و ٨٠٪ (٧١) . وهذه الأرقام تتطابق مع المعلومات المتوفرة في أواخر الخمسينات . اذ ان ٤٠٪ من الأراضي كانت تستزرع من قبل مالكيها و ١٠٪ من قبل مستأجرين يدفعون مبالغ نقدية و ٥٠٪ من قبل مستأجرين محاصصين (٧٢) .

وكان زهاء ٦٠٪ من الأراضي المزروعة في البلد يعود للملاكين الكبار والمتوسطين (خمس هكتارات أو أكثر) الذين قاموا بتأجيرها كليا أو جزئيا (٧٣) . وثمة معطيات أخرى (واضح انها دون الواقع الفعلي) تفيد بان نسبة الأراضي المؤجرة تتراوح بين ٢٠ و ٢٢٪ من الأراضي المزروعة (٧٤) . وهذه الأرقام المتناقضة هي دليل آخر على ان المعطيات الإحصائية حول العربية السعودية يجب ان تعامل بحذر بالغ . يذكر البحث المعنون «قوانين العمل والممارسة في العربية السعودية» ان نسبة الأراضي المستأجرة لم تصل في أواخر الستينات الى أكثر من عشر المساحة الكلية للأراضي (٧٥) . ولكن يبدو انه لم تدرج ضمن هذه الأرقام الا الأراضي التي كان يدفع عنها اجر نقدي .

سمح بتأجير كل اصناف الأراضي : الاميرية والقطاعية والمشاع والملك والوقف وأراضي القبائل . وكانت شروط الاعارة والتأجير مثبتة تحريريا أو شفاهيا .

تنص ٧٠٪ من عقود التأجير بالمحاصصة على ان المالك يوفر الأرض والماء والبذور ، والمسكن أحيانا . وإذا كان المستأجر يعمل طوال السنة ولديه ماشية واسمدة ومعدات زراعية وطعام وبيت فانه يدفع لمالك الأرض ٥٠٪ من محصول الحبوب و ٧٥٪ من التمور . اما اذا كان المستأجر لا يقدم سوى قوة عمله ، فان المالك يحصل على ٨٠٪ من الحبوب و ٩٥٪ من التمور . ولكن نسبة مثل هذه العقود بلغت زهاء ٥٪ . وينص حوالى ١٠٪ من عقود التأجير على ان المستأجر يوفر البذور ويكون نصيبه القسم الأكبر من المحصول . وتتفاوت حصة مالك الأرض تبعا لتنوعيتها وتوفر المياه وقرب الاسواق وعوامل أخرى . وادى ادخال المكائن الى جعل المستأجر الذى لديه مكائن يحصل على شروط افضل من غيره (٧٦) .

فى حالة القحط يضطر المستأجر الى الاستئلاف لاعالة أسرته . وعندما يقترض من المالك فانه غالبا ما يكبل نفسه بقيود لا يستطيع الفكك منها ويصبح تابعا لمالك الأرض كليا (٧٧) .

ان مدة عقود اعارة الاراضى لزراعة التمر او الفواكه تتراوح بين ٤ و ٧ اعوام . وفى هذه الحالة يعتمد شكل خاص للمحاصصة يسمى «المغارسة» . اذ يلتزم المستأجر بزراعة الاشجار وسقيها حتى تعطى ثمارها الاولى ، فيحصل مقابل ذلك على كل الغلال ما بين صفوف الاشجار (٧٨) .

اما تأجير الاراضى الاميرية فقد كان يتم وفق قواعد ادى ، ويتوقف على بعد الارض ونوعية التربة وشكل الرى وكمية اشجار النخيل والطلب على المنتجات الزراعية . ومدة عقود تأجير الاراضى الاميرية اطول ، وتصل الى زهاء خمس سنوات ، رغم انها كانت لا تتجاوز السنة فى عسير (٧٩) .

اما اراضى الاوقاف فقد تولت التصرف بها مديريـة الاوقاف التابعة لوزارة الحج والمؤسسات الدينية فى مكة ، وفى العادة كانت تلك الاراضى تعار بالمحاصصة (٨٠) .

ان الجزء الاكبر من حقوق التصرف بالمياه فى العربية السعودية يمكن ان يشتري او يعار او يستورث بصرف النظر عن الارض . لذا فان الشخص الذى يشتري او يرث او يستأجر قطعة ارض لا تكفى مياهها للرى ، بوسعه ان يشتري او يستأجر المياه وفق عقد اضافى . وفى عسير وتهامه فقط كان حق التصرف بالمياه يتطبق مع حقوق ملكية الارض (٨١) .

كان تنظيم حقوق التصرف بالمياه بين الحضر متطورا ومعقدا للغاية ، ويشمل التناوب فى استخدامها ومدته وموسم الرى وتقسيم كمية المياه وفقا لمساحة الارض . وغالبا ما كان توزيع المياه يخضع لاشراف ورقابة اشخاص يعينهم ويدفع اتعابهم مالكو المياه ومستهلكوها . وكانت مياه الآبار والعيون تخضع لملكية فردية او جماعية . وفى العادة لصاحب الارض حق فى كل عيون المياه الواقعة على اراضيه ، وليست هناك حاجة لاستحصال اى اذن خاص لحفر بئر فيها . ولكن الحصول على اذن خاص ضرورى اذا كانت البئر تحفر فى ارض غير مستصلحة سابقا صارت اقطاعا . والآبار التى يحفرها البدو الرحل تظل تحت تصرف القبيلة اثناء فترة مكوثها فى المنطقة ، وعند رحيلها تصبح البئر «مشاعة» . وكانت هناك اشكال معقدة لملكية القنوات الجوفية .

ان حقوق استثمار مياه الآبار الارتوازية ، فى المنطقة

الشرقية مثلا ، كانت مرتبطة بمقدار اسهام المالك الفردى فى اقامة الاجهزة والصهاريج ومعدات التوزيع . ووضع نظام خاص لحقوق التصرف بالمياه عند توزيع تيارات المياه على الوديان (٨٢) .

يذكر كناورهيڤ ان ٣٣٢٤٢ ، اى ٤٧,٣٪ من مجموع ملكيات الاراضى البالغ ٧٠٣٥٢ كان موزعا على قطع تقل مساحة الواحدة منها عن نصف هكتار ، وان ١٣٦٦١ (١٩,٤) كانت مساحتها تتراوح بين ١-٠,٥ هكتار (٨٣) اى ان زهاء ٦٧٪ من الاراضى كانت مساحة كل منها لا تتجاوز الهكتار . ويؤكد هذه الارقام بشكل تقريبي بحث «قوانين العمل والممارسة فى العربية السعودية» (٨٤) . ويعنى ذلك ان القطاع السلعى الصغير كان السائد فى الزراعة .

فى واحات عسير والحجاز والاحساء الكثيفة السكان نسبيا ، كان يعمل فى الاراضى عادة افراد اسرة المالك ونادرا ما يستخدم الاجراء الزراعيون . وساد وضع مماثل فى واحات نجد . اما فى القصيم وجبل شمر فقد كان الاجراء الزراعيون يشغلون لفترة طويلة او قصيرة . وفى موسم العمل الزراعى الكثيف كان هناك نقص فى عدد الاجراء الزراعيين ، وخاصة فى المنطقة الشرقية ، لذا كان يجرى التعاقد مع العاملين فى فروع الصناعة الثانوية للقيام بهذا العمل (٨٥) . وكانت العقود مع الاجراء الزراعيين شفوية او تحريرية ، غير انه استمر الاستغلال الابوى - الاقطاعى للمعتوقين وبعض الاجراء (٨٦) . وفى نجد كان عدد النساء اكثر من عدد الرجال فى الاعمال الزراعية ، اذ ان الرجال يؤثرون التجارة والعمل فى المستودعات او الميكانيك والبناء والحرف (٨٧) .

وفى بداية السبعينات بلغ معدل دخل الفلاح الفقير زهاء ١٥٠٠-١٦٠٠ ريال سنويا (دون احتساب الكسب الاضافى) (٨٨) . ولكن الدخول كانت تختلف اختلافا كبيرا تبعا للمنطقة ومساحة الارض ونوعية الغلال وتوفر المياه . وكان العامل الزراعى الدائم يتقاضى ١٦٠٠-٢٠٠٠ ريال سنويا (٨٩) ، اما العمال المؤهلون (سواق الجرارات والآلات الزراعية) فان اجورهم السنوية وصلت الى ٣٥٠٠ ريال (٩٠) ولكن عددهم كان قليلا ، علما بان غالبيتهم من غير السعوديين . وعموما لم يكن بوسع الفلاحين الفقراء والاجراء توفير ظروف مقبولة لحياة عوائلهم . بلغت نسبة الفلاحين المتوسطين (من ٢ الى ٥ هكتارات) ١٠,٧٪ من المجموع الكلى . ولكن يمكن ان يدرج

ضمن هذه الطائفة مالكو الاراضى التى تتراوح مساحتها بين ٠,٥ و ٢ هكتار وخاصة فى المناطق التى يجنى فيها اكثر من محصول فى السنة . وكان غالبية الفلاحين المتوسطين يحصلون على دخل سنوى قدره ٣-٥ آلاف ريال ، وهو مبلغ يكفل الحد الأدنى للمعيشة ، ولكن لا يوفر المال اللازم لتحديث الانتاج . وندرج فى صنف «الاغنياء» اولئك الذين يملكون قطعاً تتراوح مساحتها بين ٥ و ١٠ هكتارات (٤,٨٪ من المجموع الكلى) . ويتراوح دخل هؤلاء بين ٦ و ١٠ آلاف ريال ، وكانت لديهم قدرة على الانتقال الى الانتاج السلعى المكثف اعتماداً على معدات الرى والاسمدة (٩١) . بيد ان غالبية هذه الاراضى كانت ملكاً لتجار ومرايين وموظفين يؤجرونها بشروط شبه اقطاعية . وكان عدد الاستثمارات الكبيرة (اكثر من عشرة هكتارات) قرابة ٣,٥-٥ آلاف (٤,٥-٧٪) (٩٢) وغالبية اصحابها من الاقطاعيين وشيوخ القبائل وابناء الاسرة الحاكمة والتجار والمؤسسات الدينية .

وكانت الغالبية الساحقة من الملاكين الكبار تسكن المدن وتؤجر الارض ، باستثناء افراد قلائل مارسوا الانتاج السلعى المكثف مستفيدين من منجزات الهندسة الزراعية . ووصلت عوائد الملكيات الكبرى الى مائة الف ريال سنوياً ، ولكنها غالباً ما كانت «تستهلك» من قبل المالكين وافراد عوائلهم : لشراء العقار والكماليات والسيارات ، ولا تستخدم عملياً لتوسيع وتكثيف الانتاج الزراعى (٩٣) .

ويجمع الباحثون على ان تنامى الملكيات الكبيرة قد اقترن بافلاس صغار الملاكين . ونظراً لعدم توفر احصاءات دقيقة حول هذا الموضوع ، سنقتصر على ايراد بعض الاتجاهات العامة . كان بوسع صغار الملاكين الموشكين على الافلاس وبضمنهم من لهم حصص فى الاراضى المملوكة جماعياً ، بيع اراضيهم او حصصهم ، على ان تعرض اولاً على سائر افراد المشاعة ، وبهذا تتوفر للفلاح الغنى امكانية السيطرة على عدة حصص . ولكن اذا لم يكن ثمة راغب ، فان البيع يتم لاشخاص من خارج المشاعة . وكان صغار الملاكين ، حينما يعجزون عن تسديد السلفة التى دفعت لهم مقابل الارض او الوفاء بالديون او سداد ايجار الارض ، يعمدون فى نهاية المطاف الى بيع اراضيهم او التنازل عنها للمرايين مقابل الديون . وكان تجار

المدن اكبر مشترى الاراضى ، علاوة على الموظفين الذين اثروا من الارتشاء وغيرهم من «القطط السمان» (٩٤) .

تفيد معطيات اوردها عبد الله الدباغ مدير احدى الدوائر بوزارة الزراعة السعودية ، ان غالبية الفلاحين صاروا منذ بداية الستينات مدينين دائمين للمتجار وكبار ملاكى الاراضى . وتزايدت الديون عاما اثر عام ، مما ارغم الفلاحين فى خاتمة المطاف على بيع اراضيهم . وازداد عدد الفلاحين المعدمين والعمال الزراعيين (٩٥) . منذ اواسط الستينات جرت اولى المحاولات لتعزيز الفئة المتوسطة من الفلاحين . وفى عام ١٩٦٨ صدر مرسوم ملكى حول توزيع الاراضى الاميرية غير المستثمرة والصالحة للزراعة وتربية المواشى . وصار بوسع كل مواطن الحصول على ارض ، وفق حقوق الاقطاع ، فى حالة تمكنه من استثمارها (٩٦) .

ووضعت تحت تصرف الفلاحين اراض تتراوح مساحتها بين ٥ و ١٠ هكتارات اما قطع الاراضى التى وضعت تحت تصرف الشركات (بما فيها الاجنبية) فقد بلغت مساحة بعض منها ٤٠٠ هكتار . بيد ان هذا المرسوم لم يعد بالنتائج المتوخاة لذا فان الدولة قامت بـ«انعاش» اراض جديدة عن طريق الرى وشق الطرق والترع بغية استمالة الناس الى هناك (٩٧) .

وقد اجرى العالم السعودى عبد الرحمن الشريف فى اواسط الستينات بحثا اجتماعيا اقتصاديا فى منطقة عنيزة (٩٨) ، ذكر فيه ان الملكيات الصغيرة (من ٠,١ الى ٢,٥ هكتار) فى القصيم تشكل ٤٥,٣٪ من مجموع الاستثمار .

وكان زهاء خمس الملكيات كبيرا نسبيا ، ويقول الباحث انها تكونت اساسا نتيجة «لاحياء» الاراضى البور ، اى اراضى الدولة . ولكن «احياء الاراضى» لا يعنى بالضرورة تحويلها الى اراض محروثة او مروية . فقد كان يكفى غرس اشجار لكى تتحول قطعة الارض الى ملكية «القائم بالاحياء» . وبديهى ان تنشب خلافات كثيرة حول تحديد استيراث مثل هذه الممتلكات او رسم حدودها . وحلت الخلافات استنادا الى الشرع . وفى عام ١٩٦١ اصدر مجلس الوزراء قرارا يلزم الراغب بـ«احياء» الارض باستحصال موافقة امير المنطقة . واذا كان من المزمع القيام بعمليات بناء فى هذه الاراضى ،

فان الامير يحيل الموضوع الى البلدية التى ترفعه بدورها الى وزارة الداخلية ومجلس الوزراء . اما اذا كانت الارض الزراعية خارج حدود البلدية ، فان البت فى الامر يعود الى وزارة الزراعة ومجلس الوزراء . ومن يحصل على اذن «احياء» الارض ويخل بالتزاماته ، فانه يفقد الحق فى ملكية هذه الارض . ونص القرار على ان نقل ملكية الارض لا يتم الا بمرسوم ملكى او بقرار صادر عن رئيس الوزراء او من ينوب عنه .

وكان بالامكان تأجير الارض لمدة مائة سنة او الف سنة ، اى دون تقييد زمنى عمليا . ويغدو المستأجر بمثابة مالك للارض ، ولكنه ملزم بدفع بدل الايجار فى نهاية كل سنة . وبوسع المستأجر الاساسى اعادة تأجير هذه الارض الى شخص ثان او اقامة منشآت عليها . وكانت عقود الايجار هذه تتوارث من الاء الى الاء . ويرى عبد الرحمن الشريف ان هذا الشكل فى الايجار كان الاوسع انتشارا فى عينة .

وعند تسليم ارض فيها اشجار ، وهى فى الاساس اشجار النخيل ، فان بدل الايجار يحتسب وجود هذه الاشجار والبئر التى حفرها صاحب الارض . اما اذا تطلب الامر استثمار مبالغ اضافية فان المستأجر يغدو المالك الثانى للارض ، ولكنه يدفع لمالك الارض الاول حصة محددة باعتباره بمثابة شريك له . وفى العادة تبلغ الحصة فى مثل هذه الاحوال ربع المحصول . وبوسع مالك الارض ان يطلب من المستأجرين تخصيص عدد من اشجار النخيل فيها له .

واجرت الباحثة اليابانية موتوكو كاتاكورا (٩٩) التى عملت فى وادى فاطمة بالحجاز فى الفترة ١٩٦٨-١٩٧٠ ، دراسة ميدانية هامة حول الفلاحين فى السعودية .

وتقول الباحثة ان جزءا كبيرا من البدو المتوطنين فى وادى فاطمة كانت لديهم اراض (من ٠,٦ الى ٢ هكتار) يستثمرونها بانفسهم . وكانوا يستأجرون الاراضى من ابناء عائلتهم ، اساسا ، وتقسم بين جميع الورثة مما يؤدى الى تقليص مساحة الاستثمار الواحدة . وفى بعض الاحيان كان الاشقاء يشتركون فى حرائة الارض .

عام ١٩٤٦ اسست فى وادى فاطمة شركة «عين عزيزية» برأس

مال حكومي واهلي ، وتولت تزويد جدة ومكة بالمياه . وتنازل كثيرون من ملاكي الارض التي تتوفر فيها عيون للمياه عن اراضيهم للشركة مقابل تعويض نقدي وانتقلوا الى جدة . وتقول كاتاكورا : «في وادي فاطمة يتضح بجلاء ان من يسيطر على الماء يسيطر ايضا على اقتصاد الصحراء» .

ان وجود عدة مالكين للماء ووجود مستأجرين ثانويين ووسطاء يشترون المحاصيل قد زاد من تعقيد القضايا المتصلة بملكية الارض واستثمارها في وادي فاطمة .

وكان العمال الزراعيون يحصلون على ٥-١٠ ريالات يوميا ، وتزداد الاجرة اذا كانوا من ابناء القبيلة . وفي حالة عدم وجود ناظر مختص فان مالك الارض والمستأجر يقتسمان العوائد مناصفة . وقد تتعقد عملية الاقتسام بسبب نظام الوسطاء المتشابك . وفي بعض الاحيان كان الوسيط - المستأجر يتصرف كمزارع فيستأجر في هذه الحال عمالا زراعيين .

تورد كاتاكورا المثال التالي : استأجر تاجر ثري اراضى خالية من الماء بثمان بخس من الفلاحين ، وحفر آبارا عميقة ووضع مضخات ثم قام بتأجير الاراضى نظير مبلغ يزيد عشر مرات عما في السابق ، وتولى استثمار قطع اخرى كمزارع . وفي بعض الاحيان كان المالك الاسمي يغدو المستأجر الثاني . كما ان بوسع المستأجرين المزارعين استئجار اراضى الاوقاف .

اعتبرت مزاوله بعض الاعمال «عيبا» على البدوى (القصاب ، مربى الدواجن ، الحلاق ، الخادم ، الاعمال اليدوية) . وحينما استوطن بعض البدو في وادي فاطمة فان الآخرين اخذوا يسخرون منهم . ورفض البدو جميعا القيام بتشغيل المضخات والآبار ، رغم ان الاجور كانت مجزية . وعمل اليمينيون ناظرين على المضخات والآبار ، وبلغ عددهم في وادي فاطمة عام ١٩٧٠ اربعمائة شخص .

حينما نضبت عيون كثيرة في اواخر الخمسينات واولائل الستينات ، عاد البعض من المزارعين الى حياة البداوة .

سكن وادي فاطمة ، علاوة على اليمينيين الاربعمائة ، ٦٤ فلسطينيا و٢٨ اردنيا و١٢ سوريا و٨ مصريين و٥ عراقيين و٤ سودانيين . وكان اكثرية الفلسطينيين والاردنيين والسوريين والمصريين من العمال المهرة والمعلمين والموظفين .

وكان جزء كبير من المناطق الآهلة فى وادى فاطمة متكونا على اساس قبل . وبلغ مجموع السكان هناك عشرين الفا ، ووصل عدد الاستثمارات الى ٣٧٤٤ . وكان ٣٠٪ من السكان ينتمون الى قريش و ٣٠٪ الى حرب و ١٥ الى لحيان و ١٠٪ الى الشيوف و ٥٪ من المعتوقين ، وشكل المتبقون عشرة بالمائة .

فى قرية بشور بوادى فاطمة كان ٣٣ رجلا فلاحين و ٦ عمالا زراعيين ، بالاضافة الى معلمين وتاجرين وطبيب وامام و ٤ لا يزاولون عملا . وكان الكثير من سكان القرية يقصدون مكة للكسب اثناء موسم الحج . وكانت للشيوخ ، وهو ايضا مستأجر وسيط ، الحصة الاكبر من الدخل ، علاوة على انه تولى جباية نوع من الضريبة بوصفه ناظرا لاراضى الاوقاف ، كما انه حصل على كمية من المياه لاراضيه تفوق حصة الآخرين . وزاولت نساء بشور الحرف وصناعة البسط والسلال والسجاد .

واشارت كاتاكورا الى ان كل فلاحى بشور تقريبا كانوا مدينين .

استأجر اراضى الاوقاف رجل اعمال ثرى من جدة كان يمتلك دكاكين لبيع الخضار فى جدة ومكة . ودرس ابنه فى لندن ولكنه اعتزم العودة لمشاركة والده فى اعماله . وعين المستأجر ناظرا للاشراف على ٤٢ مزارعا اثنان منهما من سكان بشور .

وتمثلت السلطة فى وادى فاطمة بالامير وثلاثة موظفين علاوة على القاضى وشرطى وموظفين آخرين . وضم مكتب الدين مديرا وسبعة مفتشين . ويبدو ان ما تقصده كاتاكورا فرع هيئات الامر بالمعروف .

وكانت الجمعية التعاونية تدير محطة للبنزين وتشارك فى توزيع الاسمنت وبناء مقهى . كما كانت هناك دائرة بريد ومحطة هاتف .

وضم مجلس القرية ٥-٩ اشخاص ، وفى عام ١٩٦١ شكل مركز التنمية الاجتماعية لتعليم المنتسبين مهنا جديدة ، كما نظمت هناك احاديث حول اسس المعارف الطبية والوقاية ، وارشادات للنساء .

ازمة الزراعة . اتاحت بعض الدراسات التى اجرتها مؤسسات سعودية وبعثات اجنبية امكانية جمع معلومات حول العاملين فى الزراعة ، وهى اشمل بكثير من المعلومات المتوفرة فى العشرينات

والثلاثينات ، ناهيك عن المعلومات المتوفرة في مطلع القرن . بيد ان المعطيات الاحصائية تظل غير موثوقة اطلاقا ، وينبغي التعامل معها بوصفها تقديرات تقريبية .

تفيد معطيات مختلفة ان نسبة المشتغلين في الزراعة بالسعودية تراوحت في الخمسينات والستينات بين ٨/١ و ٤/١ من السكان الاصليين القادرين على العمل ، اما المجموع الاجمالي للعاملين في الزراعة وتربية المواشى (الرحل وشبه الرحل) فقد كان يتراوح بين ٢/١ و ٣/٢ من السكان . هذا علما بان العدد الاجمالي للسكان الاصليين في هذا البلد الذي تساوى مساحته ثلثي مساحة اوربا الغربية ، يقدر بـ ٣,٥-٤,٥ مليون نسمة في الستينات و ٤-٥ ملايين نسمة في السبعينات (١٠٠) .

في اواسط الستينات كانت مساحة الاراضى المستثمرة في السعودية تتراوح بين ٢١٠ آلاف و ٣٠٠ الف هكتار (١٠١) (ثمة معطيات اخرى تتراوح بين ١٥٠ و ٥٠٠ الف هكتار) (١٠٢) . وكان ٢٠٪ فقط من هذه الاراضى - فى عسير وجنوب الحجاز - يتوفر له ما يكفى من الرواسب للزراعة . اما الثمانون بالمائة من الاراضى المستزرعة فى الواحات فقد كانت تروى من مياه الآبار والعيون والينابيع والسدود فى الوديان . والتمر هو اهم المحاصيل الزراعية (المرتبة الرابعة فى العالم) وتأتى بعده الحنطة والشعير والدخن والذرة والرز والعلف والخضروات والفواكه . وفى عسير كان يزرع البن بكميات قليلة .

انشئت عام ١٩٣٧ فى منطقة الخرج الغنية بينابيع المياه الزاخرة (وفق معايير نجد) مزرعة كبيرة بمشاركة خبراء عراقيين ومصريين . وجلبت الى هناك معدات زراعية وماشية لاغراض العمل او التكاثر . واقيمت هناك منظومة حديثة للرى وبضعة حقول متخصصة على مساحة تقرب من الفى هكتار ، حيث زرعت الحنطة والخضروات والبطيخ والشعير والعلف والتمر . وجرى تمويل البلاط الملكى بخضروات المزرعة (١٠٣) . وفى الفترة ١٩٤٥-١٩٥٩ اشرف على المشروع امريكان ، ثم تولت الاشراف ادارة سعودية .

وفى بداية الستينات شرعت الحكومة باانشاء خمسة مراكز زراعية : فى جيزان والمدينة والقصيم والرياض والهفوف ، وانيطت بها مهمة تقديم الارشادات للمزارعين وتزويدهم بالمعدات والبذور

والشتلات والاسمدة وتعليمهم مكافحة الآفات الزراعية (١٠٤) .
واسس عام ١٩٦٤ بنك التنمية الزراعية الذى افتتح قبل عام
١٩٧٣ ثمانية فروع و٣٧ مكتبا فى الارياف (١٠٥) .
انتفعت من اجراءات الحكومة فئة الفلاحين الاغنياء الذين اصبحوا
يزاولون العمل على غرار المزارع الامريكية ، وشرعت اكبر
الاستثمارات بشراء المعدات الزراعية . وفى النصف الثانى من
الستينات كان فى البلد ٢٧٧ جرارا و٢١ ألف مضخة ميكانيكية
(١٠٦) .

فى بداية السبعينات طرأ على الانتاج الزراعى بعض الزيادة ،
وخاصة فى الاحساء والمناطق المتاخمة للعاصمة والقصيم . ولم
تكن تلبية الطلب المتزايد على الخضروات والفواكه ممكنة الا بفضل
مزارع كبيرة ومتوسطة تستخدم المكائن والاسمدة . كما جرى
انشاء حقول للدواجن ومؤسسات للحوم والالبان (١٠٧) . واعطت
مردودا عاليا مناطق النخيل الواسعة فى الاحساء والمدينة وبريدة
وعنيزة ، وحقول الخضروات والبساتين فى الاحساء والخـرج
والمدينة (١٠٨) .

ولكن بالرغم مما اتخذته الحكومة من اجراءات (علما بانها كانت
ذات طابع دعائى) وما حققته المزارع الرأسمالية من نجاح ، فان
الزراعة فى البلد عموما عانت من العواقب المدمرة لتقلبات السوق
واساليب الهندسة الزراعية والظروف الاجتماعية على حد سواء .
فقد غزت السعودية المنتجات الزراعية الرخيصة المتدفقة من بلدان
اخرى . ولم تجرؤ الحكومة على زيادة الرسوم المستحصلة عنها خشية
ان يؤدى ارتفاع الاسعار الى استياء واسع فى اوساط السكان . بيد
ان مزاحمة الاغذية المستوردة ادت الى تقويض المزارع الصغيرة
وجزء من المزارع المتوسطة . فقد افلس مالكو ومستأجرو القطع
الصغيرة من الاراضى لعدم توفر المال الكافى لشراء المعدات
والاسمدة والبذور ، ولجهلهم بالطرق الحديثة فى الزراعة والظروف
المستجدة فى السوق . ولوحظ فى الواحات نقص فى الايدى
العاملة لان الفلاحين الشباب والنشيطين كانوا يهاجرون بوتائر
سريعة الى المدينة للعمل فى البناء او اجهزة الدولة او فى قطاع
الخدمات والتجارة (١٠٩) .

وادی استخدام المضخات الميكانيكية في المزارع الكبيرة وزيادة استهلاك المياه من قبل المدن والمصانع الى انخفاض المنسوب العام للمياه وجفاف الآبار وهلاك المزروعات والبساتين وواحاتها بأكملها . ولم يتمكن الفلاحون الفقراء من شراء مضخات أحدث وحفر آبار أعمق ، لذا فإنهم «اكتسحوا» من الانتاج الزراعي . وظهرت هناك مزارع كبرى تعود ملكيتها لاشخاص لا يسكنون الريف ويديرها مصريون او فلسطينيون ويعمل فيها يمنيون . واصبح بعض الفلاحين المفلسين اجراء في المزارع الكبيرة الرأسمالية النمط ، بينما هجر البعض الآخر اراضيهم او باعوها وانطلقوا يبحثون عن الرزق (١١٠) .

لقد كانت حصة الزراعة من الناتج الوطني الاجمالي في تقلص مستمر . اذ تفيد حسابات اوزولينغ ان الناتج الوطني الاجمالي محسوبا للفرد الواحد ارتفع في الفترة من ١٩٦٤/١٩٦٥ الى ١٩٧٤/١٩٧٥ من ٤٦٠ الى ١٣٠٠ دولار ، اما في الزراعة فقد ازداد من ٨٠ الى ١٠٥ دولارات فقط . واذا اخذنا نسبة التضخم بنظر الاعتبار لوجدنا انه لم يكن هناك عمليا اي نمو . واصبحت الغالبية الساحقة من الفلاحين والرحل تعاني من نقص مستمر في التغذية ومن الامراض (١١١) .

واوزولينغ على صواب حينما يقول ان «الزراعة وتربية المواشي ما برحا اكثر فروع الاقتصاد تخلفا وركودا» .

في «عصر البترول» راحت الزراعة في السعودية ضحية لتصادم قوى واتجاهات متباينة . ولم تعط المشاريع الحكومية وبناء السدود وحفر الآبار سوى مردود محدود بسبب تفشي الفساد في الاجهزة التي كانت تفرض اسعارا تزيد على سعر الكلفة اضعافا ، وبالتالي فان تلك المشاريع كانت في النتيجة خاسرة (١١٢) . ومن الاسباب التي عرقلت تطور الانتاج في الواحات كثرة المليكات والاستثمارات الصغيرة واستمرارية العلاقات الاقطاعية وما قبل الاقطاعية التي تكبل الفلاحين . وكانت عدم رعية توظيف الاموال في الزراعة بسبب مزاحمة الاغذية المستوردة ، تقترب بتسرب الايدي العاملة الى المدينة . فقد كان البلد يستورد زهاء نصف ما يستهلكه من الاغذية (١١٣) . وفي هذه الظروف واجه القطاع الزراعي الهام في الاقتصاد اعقد المشاكل .

استمرار انحلال الاقتصاد البدوى التقليدى وضمور الهيكل العشائرى . ان نمط حياة بدو الجزيرة العربية واقتصادهم الذى ظل قائما لاكثر من الف سنة ، اخذ يتغير بسرعة فى الاربعينات والخمسينات والستينات من القرن الحالى . فقبل تدفق عائدات البترول ادى تطور النقل الآلى فى العربية السعودية وسائر بلدان الشرق الاوسط الى حرمان اصحاب الابل من الاسواق الاساسية للماشية ، كما ادى قيام الدولة المركزية الى حرمانهم من العوائد التى يحصلون عليها من غزواتهم على المستوطنين والقوافل المارة . وفى اواخر الخمسينات ومستهل الستينات جاءت كارثة الجفاف لتسرع من انحلال الاقتصاد البدوى ، وادت الى نفوق عدد كبير من الماشية والى افلاس البدو . واضطر البلد الى استيراد الاغنام والابل . وتفيد معطيات خبراء الجامعة العربية بان عدد رؤوس المواشى تقلص فى المنطقة الشرقية ، مثلا ، عشرات المرات (١١٤) . اما الباحثون الامريكان الذين وضعوا «الدليل الاقليمى للعربية السعودية» فهم اكثر حذرا فى تقديراتهم ويذهبون الى ان التقلص بلغ زهاء ٢٠٪ وذلك بسبب الجفاف ونضوب المراعى وانتقال شباب البدو الى المدن (١١٥) .

ويستفاد من مصادر مختلفة انه كان فى السعودية فى اواسط الستينات ١٠٠,٦ مليون رأس من الجمال و٤-٦ ملايين من الماعز و٢٥,٠ مليون رأس من الابقار (١١٦) .

ويتفق الباحثون على ان عدد البدو الرحل تقلص بوتائر سريعة فى الخمسينات والستينات سواء من حيث الارقام النسبية او المطلقة . ولكن عدم توفر احصاءات موثوقة لا يتيح الامكانية للتحدث عن هذه العملية بالدقة الكافية المسندة بالارقام .

ويذكر «الدليل الاقليمى للعربية السعودية» ان تربية المواشى كانت فى اواسط الستينات مصدر الدخل الرئيسى لنصف السكان رغم ان البدو الذين يقتصرون على رعاية الابل لم يكونوا يشكلون سوى ٢٠٠-٣٠٠ الف شخص من المجموع الكلى للسكان البالغ ٤-٤,٥ مليون (١١٧) .

حتى اواسط الستينات اضطرت جماهير البدو الرحل الى الحفاظ على تربية الابل ، باعتبارها المصدر الوحيد الذى يعتمد عليه لاقامة الود ، وان كان على شفا الجوع ، وذلك لعدم توفر بديل

مقبول للعمل . ولكن السياسة الحكومية فى مجال اسكان البدو لم تثمر سوى عن نتائج جزئية ومحدودة .

وفى اواخر الستينات اقر برنامج لعشرين عاما نص على التوطن التدريجى لزهراء ٦٠ الف اسرة بدوية (٤٠٠-٤٥٠ الف نسمة) بيد انه لم ينفذ (١١٨) . فان مصادر المياه المتوفرة كانت عاجزة عن ارواء مساحات جديدة من الاراضى بدون توظيف مبالغ طائلة ، علما بان خيرة الاراضى كانت مستثمرة بالفعل . ولما اقبل البدو على التوطن . وحصل ان البدو الذين لم يعتادوا ممارسة الزراعة ، كانوا يعودون الى نمط حياتهم السابق بعد ممارسة العمل الحقل موسمين او ثلاثة دون تحقيق تحسن فى مستواهم المعيشى . كما لم يكن سهلا استئصال ازدهاء البدوى بعمل الفلاح (١١٩) . ولكن العودة الى حياة البداوة كانت فى الستينات استثناء وليس قاعدة .

وكما هى الحال بالنسبة لسائر فئات السكان فان البدو تأثروا بالصناعة النفطية . ففي الثلاثينات بدأت شركات البترول تستخدم البدو كادلاء فى البداية ثم كعمال غير مهرة . ولكنها سرعان ما تيقنت من انهم يمارسون العمل الاول برغبة ورضا ، بينما يعزفون عن الثانى . واقبل البدو على سيطرة السيارات اذ ان استبدال مقود الابل بمقود السيارات لم يبد امرا مهينا حتى لابناء الشيوخ ، بل كان متماشيا مع نفسية البدوى (١٢٠) .

افتتحت ارامكو دورات خاصة لتعليم شباب البدو قيادة وتصليح الشاحنات (١٢١) . وفى الخمسينات والستينات شجعت الحكومة بيع السيارات للبدو فأخذ بعضهم يبيع الابل ليشتري شاحنات . وبفضل عطايا الملك النقدية والعينية تسنى للمشايخ شراء وسائل النقل . وصارت الشاحنات تحل محل الجمال حيثما سمحت بذلك طبيعة المنطقة ، كما صارت تستخدم فى نقل المياه الى المراعى او نقل الاغنام والماعز من مرعى الى آخر .

اكتشفت مصادر جديدة للمياه بفضل اعمال الحفر التنقيبى الحديثة . ولم تعد هذه المصادر تعتبر ملكا لقبيلة بعينها ، بل صارت تقام حولها خيام يسكنها افراد قبائل وافخاذ عديدة . واصبحت تضمحل شيئا فشيئا حدود الديرة التقليدية ، اى اراضى القبائل التى كانت ترسم حدودها وفقا لوجود المراعى والينابيع .

اخذت الحكومة تزود البدو ببذور البرسيم لزراعتها فى الوديان بعد هطول الامطار . وجرى تعويد الرحل على تجميع احتياطي مسن الحشائش تحوطا للجفاف ، مما ساعد على التحول الى النمط شبه المتحضر وشبه البدوى فى تربية المواشى (١٢٢) .

شرع البدو الرحل سابقا يقيمون مضاربهم بالقرب من البلدات والمدن التى يقيم فيها العاملون فى حقول النفط ، واخذوا يشاركون فى خدمة هذه الحقول ويزاولون الزراعة . وانشأ البدو يقيمون بيوتا طينية ، وظهر فى مراتعهم مسجد ومدرسة ابتدائية ودكان او اثنان (١٢٣) .

ان تطور المدن وازدياد الطلب على اللحوم والتحسين فى مجال توفير المياه واستخدام الشاحنات ، مكنت جميعا البدو من تغيير تركيبة قطعانهم . فلئن كانت تربية الابل تعد قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية العمل الرئيسى لأكبر قبائل البدو فى السعودية ، فان هذه القبائل تحولت تدريجيا ، منذ الخمسينات والستينات ، الى تربية الاغنام . ويعزى ذلك الى ان تربية الاغنام تتطلب قدرا اقل من الحل والترحال وتتيح للرجال والنساء على حد سواء ممارسة اشغال اخرى ، يتعذر القيام بها على مربى الابل . واصبحت تربية الاغنام عملا مربحا .

فيما مضى كانت تربية الماعز والاغنام وقفا على الاقوام شبه الرحل والقبائل «الوضيعة» ، وتعتبر دليل مركز اجتماعى واقتصادى ادنى . ولكن فى اواخر الستينات اصبح مالكو القطعان الكبيرة من الماعز والاغنام من ائرى الرحل واكثرهم نفوذا . وجرى استخدام القوة المأجورة على نطاق متسع فى رعاية القطعان . ومع تغير النشاط الاقتصادى تعاظم الانقسام الطبقي فى القبائل (١٢٤) .

فقد كانت قبيلة آل مرة تعتبر من آخر القبائل البدوية النقية فى السعودية ، وتعتاش حتى الآونة الاخيرة من تربية الابل حصرا . ولعبت عزلة الربع الخالى ، الذى ترتحل فيه ، وقساوة ظروفه الطبيعية دورا هاما فى استمرارية النشاط الاقتصادى التقليدى ، اذ ان الجمال فحسب تحتل ظروف هذه المنطقة .

ولكن حتى فى هذه القبيلة اخذ الوجهاء والفقراء يزاولون تربية الاغنام ، واصبح الفقراء اول النازحين عن القبيلة ، هذا بينما آثر

«المتوسطون» الحفاظ على نمط الحياة السابق . وقد شرع الوجهاء ببيع الابل او توزيعها على الاقارب والزبائن ، بغية تربية الاغنام ، واستخدموا لهذا الغرض الاجراء . واعتبر من عمل بتربية الاغنام من آل مرة مكافئا لمربي الابل من الناحية الاجتماعية .

نزع عدد لا يستهان به من رجال آل مرة الفقراء الى المدن لغرض الكسب ، ولكنهم عادوا الى ديارهم فيما بعد . واشترى بعض منهم شاحنات وزاولوا تربية الاغنام (١٢٥) .

لئن كانت الحال هكذا في قبيلة آل مرة البدوية النقية ، فان من السهل التكهن بان هذه العمليات جرت بوتائر اسرع واكثف في قبائل الرحل الاخرى الاقرب الى مراكز استهلاك المنتجات الحيوانية والتي لديها مصادر اوفر من المياه (١٢٦) .

اتاح استخدام الشاحنات في تربية الاغنام الامكانية لبعض الاسر للتوطن في القرى . واخذ الوهن يدب في صلات القرى داخل القبائل لان مربي الاغنام نادرا ما يرتحلون سوياً مع رعاة الابل .

في بعض الاحيان كان مربو الاغنام يعودون الى مراعيهم القديمة صيفاً ، ولكنهم في الاغلب كانوا يمكثون قرب الابار الجديدة حيث يسكن ابناء قبائل اخرى . وادى الانفصال الاقتصادي عن رعاة الابل والتخالف مع القبائل الاخرى والاشغال الجديدة الى قيام روابط اجتماعية جديدة وتغير نفسية الرحل . واصبح تزواج ابناء وبنات العمومة اقل انتشاراً بين البدو (١٢٧) .

ان التغيرات في النشاط الاقتصادي في ظروف الامن النسبي الذي توفره الدولة المركزية ادت الى اضعاف تبعية الاسر البدوية للتنظيم العشائري الحربي - الديمقراطي . وتقلص حجم الوحدة العائلية القائمة بذاتها اللازم لبقائها على قيد الحياة (١٢٨) . وادى العمل في المدينة الى المزيد من الوهن في الصلة بين الخلايا العائلية المنفصلة والقبيلة .

وتأثرت السيكولوجيا العشائرية بوسائل الاعلام ، اذ ظهرت اجهزة الراديو والتلفزيون في المضارب . وكان الاطلاع على القيم الاجتماعية الجديدة متقدماً في بعض الحالات على تغير النشاط الاقتصادي .

وتسرب من التنظيم العشائري انشط افراده منجذبين الى

الوظائف المجزية في القوات المسلحة والشرطة او في جهاز الدولة البيروقراطي مزودة الحرس الوطني والهجانة والشرطة بكوادر الضباط ، كما زاول بعض ممثليها التجارة . واصبحت هيبة المناصب الجديدة والرواتب العالية عاملا منافسا لمشاعر الافتخار بالنسب وكرم المحتد . (١٢٩) .

وبغية الاحتفاظ بولاء عليا البدو دأب السعوديون على مدهم بالاموال مقابل الكف عن مهاجمة المتوطنين وجباية الاتاوات من القوافل . وتزايدت هذه العطايا مع تزايد عوائد البترول (١٣٠) . واصبح الاخلاص للملك والقرب من ديوانه مؤشرين على رفاهية العلية ومكانتها الاجتماعية ، الى جانب ما توفره لها من مكانة ملكيتها من المواشى او الاراضى فى الواحات ، وسطوتها داخل القبيلة وارتكازها على بقايا البنية الحربية الديمقراطية . وانتقل عدد من شيوخ قبائل البدو الى المدن ومارسوا البنزس ، مما ادى ايضا الى اضعاف الروابط العشائرية التقليدية (١٣١) .

بيد ان الوهن الذى اصاب التنظيم العشائرى لم يعن اندثار عامل صلات العشيرة والدم من مجتمع الجزيرة . فحتى فى المدن احتفظ ابناء كل قبيلة بروابط التعاضد والتضامن ، وكانوا يؤثرون ان يسكنوا ويعملوا سوياً ويتفاخروا بنسبهم على ابناء العشائر الاخرى او على «مقطوعى الاصل» (١٣٢) . وظلت صلات الفخذ والعشيرة تحدد دور الفرد ونجاحاته واخفاقاته فى الجهاز البيروقراطي والجيش والشرطة بل وحتى فى ميدان الاعمال .

وفى الخمسينات لم يكن البسطاء من البدو يحصلون الا على جزء يسير من الاموال التى تقدمها الاوساط العليا . وقد كتب عن ذلك الامير طلال الذى تزعم فى الستينات رابطته «الامراء الاحرار» فى كتابه «رسالة الى مواطن» (١٣٣) . كما اشار الباحث فيلبى الى ان «سبل الثروات الاسطورية لم يعد على الصحراء الا بنزر يسير من الفوائد الفعلية . فقد ظل التعليم والخدمات الصحية بمنأى عن البدوى . ورغم ارتفاع اسعار المنتجات الحيوانية ، فان مستوى حياة البدو انخفض» (١٣٤) .

وقد ادركت الاسرة السعودية الحاكمة خطورة تعاظم الاستياء بين البدو ، فشرعت منذ الخمسينات باتخاذ تدابير للحد من التأثيرات السلبية لازمة الاقتصاد البدوى . وبفضل عوائد البترول تسنى

للدولة تقليص الزكاة الى النصف . وكان عشرات الآلاف من البدو يقيمون مضاربهم حول الرياض ومدن اخرى وتتولى الدولة اطعامهم لمدة اسابيع او اشهر . وفى مستهل الستينات كانت الدولة تمنون اكثر من نصف مليون بدوى ، واستمر العدد فى الارتفاع خلال الستينات والسبعينات (١٣٥) .

نشأ وضع غير طبيعى : اذ ان النشاط الاقتصادى لشريحة لا يستهان بها من السكان توقف او تحول الى مصدر ثانوى للدخل ، ولكن لم يستعض عنه بمصدر آخر . وصار عشرات الآلاف ، ان لم نقل مئات الآلاف ، من البدو يعيشون اضطرابا متطفلين على حساب جزء من الريع النفطى كانت الطبقة الحاكمة تقاسمهم اياه .

نشوء الطبقة العاملة السعودية وخصائصها . العمل المأجور .

ان نشوء سوق الايدى العاملة المأجورة هو عملية طويلة الامد تنضج خلالها هذه السوق فى احشاء المجتمع السابق للرأسمالية ، وتتضمن العملية المذكورة : انعزال المنتجين المباشرين عن وسائل الانتاج طوال عقود بل وقرون احيانا ، وزيادة نسبة السكان العاملين فى الصناعة والتجارة مع ما يقترن بذلك من دربة مهنية مناسبة وتغيرات اجتماعية سيكولوجية ، والتوسع التدريجى فى ميدان استخدام العمل المأجور . ولقد جرت هذه العملية فى العربية السعودية بسرعة بالغة ، خلال حياة جيل او جيلين ورافقها هدم موجه للنمط القديم .

منذ اللحظات الاولى احتاجت ارامكو الى اليد العاملة المحلية ، ولكن لم تتوفر فى المجتمع الاقطاعى العشائرى سوق فعلية لها . بيد ان الاعمال التى عرضتها الشركة كانت تعد بتحسين الاحوال المادية والوضع الاجتماعى لبعض فئات السكان الذين تركوا مهنتهم السابقة (ووسائل الانتاج ان كانت لديهم) واصبحوا العمود الفقرى للقوى العاملة ونواة الطبقة العاملة المحلية المقبلة .

عام ١٩٦٥ كان ٧,٦٪ من عمال ارامكو ينحدرون من اصل بدوى و٢٣,٤٪ يعتبرون انهم على صلة بالعشائر و٤٤,٨٪ من الفلاحين ، اما القسم المتبقى فهم من صيادى الاسماك والبحارة والغطاسين الباحثين عن اللؤلؤ والحرفيين والتجار (١٣٦) . واشتغل كعمال لدى الشركة ابناء العشائر «الدنيا» مثل العوازم

والشرارات وفلاحون واجراء زراعيون او حرفيون من ابناء الطائفة الشيعية فى المنطقة الشرقية (١٣٧) . ولم يكن هؤلاء «يزدرون» بالعمل الجسدى و «الكفار» من الاجانب . وفيما يخص البدو «الكريمى المحتد» او المتوطنين من الوهابيين المتعصبين ، فقد دفعهم الى العمل الجوع والفاقة (١٣٨) . وكما اسلفنا فان البدو عملوا كحراس وسواق وعمال كهرباء ، بيد انهم لم يكونوا مكيفين لممارسة العمل الجسدى المضنى او الرتيب الممل .

فى مطلع السبعينات استقر عدد العاملين لدى ارامكو فى حدود ١١-١٣ الفا (١٣٩) .

ان تركز الطبقة العاملة الفتية فى مؤسسة واحدة وظروف العمل الشاقة وانخفاض مستوى الاجور ، هذه العوامل جميعا ساعدت على تحقيق الخطوات الاولى فى تنظيم العمال ونضالهم دفاعا عن حقوقهم . وغالبا ما كان العمال الوافدون من البلدان العربية على درجة اعلى من الوعى البروليتارى والخبرة التنظيمية . وبعد اضطرابات عامى ١٩٥٣ و ١٩٥٦ قامت ادارة ارامكو والسلطات السعودية بممارسة البطش والتنكيل ضد العمال . وسرح العمال «المشتبه بهم سياسيا» والذين ادرجوا فى القوائم السوداء (١٤٠) .

بيد ان البطش والملاحقة والضغط والتمييز لم تكن تمثل سوى جانب واحد من جوانب نشاط الشركة والسلطات السعودية الرامى الى الحيلولة دون حصول تحركات عمالية . وقد كانت الارباح التى تحصل عليها ارامكو فى السعودية طائلة وعدد العمال ضئيلا الى حد بحيث صار يوسعها زيادة اجورهم بنسبة كبيرة . وشملت الزيادة بالدرجة الاولى العمال المهرة ، والذين اصبحت اجورهم منذ اواخر الخمسينات اكثر من رواتب صغار موظفى الدولة ورجال الشرطة ، وتزيد عن اجور العمال غير المهرة بـ ٤-٦ مرات . وفى السنوات التالية ظلت نسبة زيادة اجور العاملين لدى ارامكو ومستوى حياتهم اعلى من زيادة دخول سائر العاملين بالاجرة (١٤١) .

فى اواخر الاربعينات عمل فى ارامكو عشرة آلاف سعودى غالبيتهم من العمال غير المهرة . وبعد مضى عشر سنوات صار ثلثا السعوديين من العمال المهرة وشبه المهرة . وخلال الفترة ذاتها اسندت الى ٤٤ سعوديا مناصب هامة فى الشركة وعين زهاء ثلاثة آلاف سعودى فى الحلقات الوسيطة (١٤٢) . وظل عدد السعوديين

المشتغلين بشكل دائم في ارامكو كعمال او موظفين في ارتفاع مستمر فبلغ عام ١٩٦٤ نسبة ٨٠٪ من مجموع العاملين (١٢٨٠٠) ، وازدادت النسبة عام ١٩٧٠ الى ٨٣٪ (من مجموع ١٠٣٥٣) (١٤٣) . واصبح كثيرون من السعوديين يعملون جيولوجيين ومهندسين وفنيين واطباء وحفارين ومحللين في المختبرات . وكانت التغيرات في البنية العامة للقوى العاملة بaramكو ناجمة عن الارتفاع الملموس في الكفاءة المهنية للسعوديين العاملين في مجالات البترول والذين جرى تأهيلهم في مراكز تدريبية وورشات بمناطق استخراج البترول وفي خارج البلد . ففي عام ١٩٧١ بلغت نسبة الفنيين ورؤساء العمال والمهندسين والمدراء ١٤,٥٪ (مقابل ١,٠٪ عام ١٩٥٢) من المجموع الاجمالي للسعوديين العاملين في ارامكو ، ونسبة العمال المهرة ٥٩,٤٪ (مقابل ٣٪ عام ١٩٥٢) والعمال غير المهرة ٢٦,١٪ (٩٦,٩٪ عام ١٩٥٢) (١٤٤) .

وارتفع معدل الاجر السنوي للسعوديين في ارامكو من ٣٨٠٠ ريال عام ١٩٥٣ الى ١٠٧٠٠ ريال عام ١٩٦٤ ، واصبح من اعلى المستويات في البلد . وفي عام ١٩٧١ بلغ معدل الاجر السنوي لكل سعودي عامل لدى ارامكو ١٧٨٠٠ ريال (١٤٥) . وعلاوة على ذلك اخذت ادارة الشركة تدفع للاشخاص الذين امضوا مدة طويلة في العمل «النزاهة» علاوات ومكافآت خاصة وتوفر لهم بيوت السكن المزودة باسباب الراحة ، او تدمهم بسلف تسدد على اقساط لشراء بيوت (١٤٦) . وكانت الشركة تتولى تسديد جزء من القروض المقدمة لشراء بيوت ، وفي نهاية عام ١٩٧٠ كان ٨٨٪ من جميع السعوديين العاملين لدى ارامكو يمتلكون بيوتا (١٤٧) . وبذا يصبحون مدينين للشركة ، الامر الذي ثبت الملاك عمليا . كما قامت ارامكو بافتتاح مستشفيات ومدارس ومستوصفات ، وبتشجيع منها مارس جزء من العمال التجارة .

وبذا انخفضت الى حد كبير الروح الكفاحية لدى عمال ارامكو . وبعد ان تخلصت الشركة ، بمساعدة السلطات السعودية ، من العمال النشطاء سياسيا قامت بـ«شراء» الآخرين وانقذت نفسها مؤقتا من التحركات العمالية المنظمة . ونتيجة للسياسة الموجهة التي اتبعتها ادارة الشركة والحكومة السعودية جرى تحويل جزء كبير من الفصيلة الطليعية للبروليتاريا السعودية الى «ارستقراطية عمال» .

ولم تكن الظروف الاجتماعية السياسية العائق الوحيد في طريق تكون الطبقة العاملة السعودية ، اذ ان ضيق سوق العمل المأجور الناجم عن قلة عدد السكان قد لعب دوره ايضا . ويذكر «الدليل الاقليمي» ان العاملين بالاجرة كانوا يشكلون ربع المجموع الكلي للفاعلين اقتصاديا الذي بلغ مليون شخص عام ١٩٦٥ . وبالمقارنة مع البلدان النامية الاخرى فان نسبة العاملين في القطاع الزراعي كانت في السعودية اوطأ ، اما نسبة العاملين في حقل الخدمات فهي اعلى .

وفيما يخص البنية الاجتماعية في المدن فان العاملين في الصناعة كانوا يشكلون نسبة ضئيلة في حين ان جهاز الدولة متضخم للغاية . وتشكلت الفئات الدنيا من سكان المدن من اشباه البروليتاريين القادمين في غالبيتهم من الارياف (الفلاحون والبدو) والاميين وغير المؤهلين . وقد استخدموا كعمال دائمين او مؤقتين غير مؤهلين في البناء والتجارة والخدمات ، ولكن كثيرين منهم كانوا يتقاضون اعانات من الحكومة (١٤٨) .

وفي اواخر الستينات ومطلع السبعينات وضع في البلد حد ادنى رسمي لاجرة العامل قدره ستة ريالات في اليوم ، ولكن اصحاب الاعمال لم يكونوا عادة يتقيدون به وخاصة بالنسبة للعمال الاجانب . وحتى اذا اعتمدنا الاحصاءات الرسمية لوجدنا ان الحد الادنى لاجور العمال السعوديين في التجارة بلغ ٢٠٠-٢١٠ ريالات شهريا ولغير السعوديين ١٢٠-١٨٠ ، وفي الخدمات ١٣٠-١٧٠ ريالا للسعوديين و١٤٠-١٥٠ لغيرهم و١٠٠-١٢٠ في الحرف للسعوديين مقابل ٩٠-١١٠ لغيرهم . وكان الوضع افضل بكثير بالنسبة للعمال شبه المؤهلين اذ كان هناك طلب مستمر عليهم . وفي المتوسط كان الواحد منهم يتقاضى ٣٠٠-٤٠٠ ريال شهريا في القطاع الخاص (باستثناء الصناعة النفطية) و٦٠٠-٧٠٠ ريال في مؤسسات الدولة . ويدانى هذه الفئة من حيث المداخليل موظفو المكاتب الذين تراوح مرتبهم الشهري بين ٣٠٠ و٥٠٠ ريال . وعموما كانت هذه الفئة من العاملين بالاجرة توفر الحد الادنى للمعيشة . اما العمال المؤهلون فقد كانوا يحصلون وفق المعايير السعودية آنذاك ، على مداخليل كبيرة : ٧٠٠-١٠٠٠ ريال شهريا وتصل الى ١٥٠٠ ريال لذوي المهارة العالية (١٤٩) .

كيف كانت صورة البنية الاجتماعية لمدينة في وسط الجزيرة ،
مثلا ، وما هي الامكانيات التي كانت متوفرة فيها لانشاء سوق للعمل
المأجور ؟ يمكن استخلاص الجواب من دراسة اجراها الباحث
الاجتماعى السعودى عبد الرحمن صادق الشريف في عنيزة في اواسط
الستينات . كان في المدينة آنذاك ٢١٦ حرفيا و ٣٥٠ صانعا ، اى
ان عدد الاسر المعيشية على الحرف يقرب من ٥٦٠ (١٨-٢٠٪ من
سكان المدينة) . هذا ما يقوله الباحث ، ولكن يبدو لنا ان عدد
الاسر كان اقل اذ غالبا ما يعمل الابناء مع ابيهم والاخوة مع اخيهم .
ويدرج الباحث في فئة «الحرفيين» القصابين والنجارين والخبازين
والدباغين والبنائين والحمالين والصباغين والحدادين والميكانيكيين
والحكاة والحلاقين واصحاب الكاراجات وورش تصليح السيارات
والطحانيين والغسلات والكهربائيين (١٥٠) .

واشار باحثون آخرون الى ان نظاما غير دقيق للتصنيف الحرفي
كان قائما في السعودية ، وكان لدى التجار شيوخ يمثلونهم في
مجلس المدينة ويتابعون المواصفات ونوعية البضائع والتقىد بالعرف
التجارى (١٥١) .

وفي مطلع الستينات كان في عنيزة ٢٣,٥ ألف نسمة ويزيد عدد
النساء بثلاثة آلاف عن الرجال الذين غادر كثيرون منهم الى مناطق
اخرى بحثا عن الرزق (١٥٢) .

كانت عنيزة مركزا تجاريا كبيرا نسبيا ومن اضخم المراكز في
نجد ، وليبوتاتها التجارية صلات مع الرياض والدمام وجدة ومكة
والمدينة ، وكذلك مع العراق والكويت وسورية (١٥٣) .

تكون في المدينة حتى خاص سكنه ٥٠٠ بدوى ، الكثيرون منهم
وفدوا من هجر الاخوان السابقة . وصار البدو موظفين صغارا
وانتسبوا الى الجيش ، وتعلموا السياقة (١٥٤) . واضطر بعضهم
الى ان يصبحوا بنائين وعمالا زراعيين ورعاة ، ولكن الازدراء البدوى
التقليدى بالعمل الجسدى والحرف ظل قائما . وبالإضافة الى ذلك
اصر البدو على عدم التزاوج خارج اطار القبيلة ولم يزوجوا بناتهم
حتى لاثرىاء الحضر (١٥٥) . ولكن فرص الاغتناء الاقتصادى وتسلق
السلم الوظيفى المتوفرة للحضر جعلت الكثيرين منهم يتعالون
بدورهم على البدو (١٥٦) .

لقد توفرت في مدن الجزيرة المستلزمات الموضوعية لقيام سوق

محدودة للعمل المأجور . وكان الصناع والعمال غير المؤهلين والفلاحون المفلسون والبدو مرشحين لان يصبحوا برولييتاريين . ولكن كان ثمة مشاكل ذات طابع اجتماعي نفساني تعترض سبيل نشوء الطبقة العاملة .

ويطرح عدد من الباحثين الامريكان رأيا جازما مفاده ان «قابلية العمل لم تكن مرتبطة بالوضع الاجتماعي في السعودية . والارجح ان من كان يسمح لنفسه بعدم مزاولة عمل كان في موضع اجتماعي ارقى . . . فان للعمل في العربية السعودية مكانة واطئة في حين ان الناظر او المساهم في اتخاذ القرارات السياسية كان في موقع ارقى . لذا ظلت الخدمة في اجهزة الدولة العمل المنشود . فحتى صغار الموظفين يتمتعون بالاحترام . . . وفي العادة فانه كلما ارتفع مقام الشخص قل عمله . وينطبق هذا بشكل خاص على الجهاز الحكومي . فالموظف الذي يتسهم منصبا اعلى في جهاز الدولة يكون له امتياز مباشرة العمل في وقت متأخر والانصراف قبل الآخرين ، ولديه متسع اكبر لتسلية الزوار» (١٥٧) .

وقد كانت النزعة «الابوية» في السعودية عاملا قائما في العلاقات بين ارباب العمل والعمال . اذ كانت الروابط العائلية والوضع الاجتماعي متقدمة على اعتبارات الاهلية والفعالية . ولعبت الروابط الشخصية العائلية دورا هاما في التوظيف (١٥٨) .

وكان رب العمل يمثل السلطة والهيبة وعليه في الوقت ذاته الاهتمام باحتياجات العمال . كما انه يفقد هيئته اذا لم يبد تشددا وصرامة . ولكنه كان يفقد الاحترام والتعاطف اذا لم يساعد العامل عند مرضه او زواج ابنه او لم يسد له النصح والمشورة (١٥٩) . وكان رب العمل ينتقى عماله من بين افراد عائلته ومعارفه . ورغم ان هذا التقليد ظل معمولا به في الشركات التجارية والصناعية الصغيرة ، فان استخدام العمال «بصرف النظر عن الروابط الشخصية» صار متبعا في المؤسسات الكبيرة في الستينات (١٦٠) .

ويشير «الدليل الاقليمي» الى ان «الصناعي كان يطلب من العمال الامانة والدقة والاستعداد للخضوع للسلطة والنظام المعمول به بصرف النظر عن العوامل الشخصية ، وكانت تلك كلها امورا غريبة على ابناء البلد العرب القادمين من الارياف الذين لم يعتادوا ساعات العمل المنتظمة وكانوا ينتظرون معاملة ابوية من رب

العمل» (١٦١) . بيد ان مؤلفى الكتاب التزموا الصمت حول ما جابهه السعوديون فى ارامكو : فعوضاً عن «العلاقات الابدوية» تعرضوا لاستغلال بشع ذى طابع استعمارى . وقد آثر المؤلفون ان يتناسوا كون الشركة كانت فى السنوات العشر الاولى لمزاوتها العمل تدفع للسعوديين اجورا ضئيلة للغاية مستغلة الفقر المتفشى بين السكان ، ولم تسمح بمجرد التفكير بحقوق العمال . وقد ارغم العمال الشركة والحكومة السعودية على زيادة الاجور ، بعد نضال عنيد ظهرت ابانه البذور الاولى للوعى الطبقي .

وادى الانقجار البترولى وازمة الزراعة وتربية المواشى وظهور اعمال جديدة فى المدن وارتفاع مستوى الحياة فيها الى تمدن سريع فى العربية السعودية . وقد كان السكان دائماً موزعين بشكل غير متساو فى البلد ، اذ ان غالبيتهم قطنوا المناطق الواقعة بين المدينة والطائف فى سهل الحجاز الساحلى وفى عسير ونجد من بريده الى الخرج وكذلك فى المنطقة الشرقية بين رأس تنورة وحرص . وزاد التمدن من التباين فى توزيع السكان .

بلغ عدد سكان العاصمة السعودية الرياض زهاء ٨٠ الفا عام ١٩٥٥ وازداد الى ١٦٢ الفا عام ١٩٦٢ وبلغ فى مستهل السبعينات ٣٠٠-٣٥٠ الفا ، وبالنسبة لمكة بلغت هذه الارقام على التوالى ١٠٠ الف و١٥٩ الفا و٢٠٠ الف ، وجدة ٨٠ الفا و١٤٨ الفا و٢٥٠-٣٠٠ الف والمدينة ٥٠ الفا و٧٢ الفا و١٠٠ الف والطائف ٨ آلاف و٥٤ الفا و١٠٠ الف . وفى نهاية الستينات بلغ عدد سكان الهفوف والخرج زهاء ١٠٠ الف ، وميناء الدمام ٤٠ الفا وميناء الخبر ٣٥ الفا (١٦٢) .

الوافدون (الاجانب) . بالرغم من مصاعب الاندماج فى المجتمع السعودى اقام فى السعودية عدد كبير من الوافدين وغير العرب : العبيد والمعتقون من اصل افريقى واخلاف الحجاج الوافدين من بلدان مختلفة والذين استقروا فى مكة وجدة .

وادى الطلب على الايدى العاملة الى اجتذاب اعداد متزايدة من الوافدين الجدد الى العربية السعودية ، وخاصة المؤهلين (١٦٣) . كما ان البلد كان بحاجة الى غير المؤهلين لممارسة الاعمال الشاقة او المستهجنة . وصارت هذه الاعمال تسند الى يمنيين وسودانيين وصوماليين . اما الفلسطينيون والاردنيون والسوريون واللبنانيون

فقد أصبحوا تجارا ومعلمين وموظفين واطباء ومهندسين وحرفيين .
وفى مطلع الستينات عمل المصريون معلمين وموظفين ولكن اثر
تدهور وقطع العلاقات بين البلدين توقف تدفق القوى العاملة
المصرية مؤقتا (١٦٤) ، واستؤنف بعد تحسن العلاقات بين الرياض
ونظام السادات . وفى النصف الثانى من السبعينات عمل فى
السعودية مئات آلاف المصريين فى مختلف المجالات : من الطب
والهندسة الى العمل اليدوى غير المؤهل .

وفى السبعينات كان الوافدون يشكلون اكثر من نصف القوى
العاملة فى المدن . ومن الطبيعى ان نسبة الاجانب اكبر بين المهندسين
والفنيين . فقد كان ٦٠٪ من مهندسى وزارة المواصلات مصريين
واردنيين ولبنانيين وسوريين (١٦٥) . وكان الاجانب يشكلون
الغالبية الساحقة من مدرسى المعاهد العليا وجزءا كبيرا من معلمى
المدارس وموظفى الجهاز الادارى . فقد بلغت نسبتهم فى الصناعة
التحويلية وخاصة فى الحجاز ٦٠-٧٠٪ ، وفى النقل والمواصلات
٥٠٪ وفى البناء من ٣٠-٥٠٪ (١٦٦) .

وعمل فى ارامكو عدد كبير من الاجانب . ورغم ان عدد العرب
السعوديين فى ملاك الشركة ارتفع ، الا انها استمرت فى استقدام
الاطباء من الهند والمحاسبين من الباكستان والمعلمين من الاردن
ومصر والمترجمين من لبنان . وكان الفلسطينيون يشغلون الكثير
من المناصب الهندسية الفنية وفى الحلقات الوسيطة من جهاز
الموظفين (١٦٧) . وكانت نسبة السعوديين اقل فى الشركات والفروع
ال اخرى .

وقد حظر على الاجانب العمل فى المملكة دون اذن رسمى .
والزم الاجنبى بان يدخل البلد بشكل شرعى وان يكون ممتلكا
ناصية معارف او مهن يحتاجها البلد ، وان يكون لديه عمل متفق
عليه مسبقا . غير ان كثيرين دخلوا العربية السعودية بشكل غير
شرعى ، وخاصة من اليمنيين (١٦٨) .

وبلغ العدد الاجمالى للعمال الاجانب المسجلين عام ١٩٦٣-
٧٦ الفا وعام ١٩٦٥-١٤٤ الفا وعام ١٩٦٧-١٦٥ الفا وعام
١٩٦٩-٢٣١ الفا وعام ١٩٧٠-٣٢٠ الفا (١٦٩) ، وفى نهاية
١٩٧٢-٧٠٠ الف (١٧٠) . ولا تشمل هذه الارقام سوى القوى
العاملة «شرعيا» فى المدن .

وثمة تقديرات تفيد بأن عدد الوافدين بلغ في النصف الثاني من السبعينيات ٢-٣ ملايين . اى كان معادلا تقريبا لمجموع المواطنين البالغين . وربما عدد اليمينيين وحدهم على المليون (١٧١) ، وعمل في العربية السعودية اشخاص ينتمون الى ٥٠ قومية ، بينهم بضع عشرات الآلاف من الاوربيين والامريكان (١٧٢) . ولم يكن هناك وضع مماثل الا في امارات الخليج النفطية وليبيا ، ولكن ابعاد النزوح الى السعودية كانت اكبر .

ان عواقب استيراد القوى العاملة بكميات كبيرة يصعب حصرها ، ولكنها تعنى فى المقام الاول ان وتيرة التغيرات الاجتماعية فى العربية السعودية تتسارع وتنشأ تناقضات اجتماعية من نمط جديد .

المعتوقون . القبائل «الوضيعة» . النساء . لئن كان ظهور الصناعة النفطية فى البلد والارتفاع الحاد فى مداخيل الفئة الحاكمة ، واتساع السوق الداخلية قد ادت الى نشوء نمط رأسمالى وبروليتاريا عصرية فى البلد ، فان نفسل هذه العوامل عززت مؤقتا فى الاربعينات والخمسينات نمط العبودية ، رغم ان هذا الرأى قد يبدو متناقضا . وقد تزايد آنذاك الطلب على العبيد (١٧٣) .

الغى الرق فى العربية السعودية عام ١٩٦٢ بضغط خارجى وليس داخليا ، رغم ان بعض الاصوات ارتفعت داخل البلد ايضا مطالبة بالغاء هذه المؤسسة الاجتماعية المخزية . وظل الرق عمليا موجودا فى السعودية حتى بعد الغائه . ولكن ليس كنمط قائم بذاته بل كان يجرى ابقاء العبيد والاماء فى عائلات الصفوة سرا .

وحتى بعد الغاء العبودية لم يصبح العبيد مواطنين متكافئى الحقوق فى السعودية التى ظل مجتمعها محافظا على صفات التقسيم الفئوى . ولكن ينبغى القول ان العبيد كان بإمكانهم فى بعض الحالات بلوغ درجات عالية فى السلم الوظيفى ، كما هى الحال سابقا .

وظلت القبائل «الوضيعة» : الصلبة (فى الشمال) وهتييم والشرارات (فى الحجاز) والعوازم (فى الاحساء) وغيرها تعاني من الاجحاف . وكانت هذه القبائل ترفد البلد بالعمال والحرفيين لمزاولة «المهن المستهجنة» كالقصابين والحلاقين والموسيقيين والسمكرين . وحتى اذا تمكن بعض ابناء هذه القبائل من تجميع ثروة ، فانهم

ظلوا كالسابق لا يتصاهرون مع القبائل «الكريمة المحتد» . فقد اسس عبد الله السليمان وهو شخصية معروفة من بنى خضر ، صار وزيرا للمالية فى عهد عبد العزيز ، واحدا من اكبر بيوت الاعمال فى المملكة . ولكن ابناء القبائل «الرفيعة النسب» مثل عنزة وعتيبة وشمر وقريش ، ناهيك عن آل سعود وارستقراطية القبائل ، ظلوا يأنفون من مصاهرته (١٧٤) .

ثمة سمات مشتركة للاوضاع الاجتماعية للوافدين والمعتوقين والقبائل «الوضيعة» والصناع والشيعة . اذ انهم ظلوا وكأنهم خارج المجتمع ولا يتمتعون بحقوق سياسية .

من الاسباب التى ادت الى تفاقم الحاجة الى الايدى العاملة فى السعودية وجود تقييدات كبيرة على العمل النسوى . فقد كانت اوضاع النساء تحدد طبقا للشريعة باكثر صيغها تشددا وصرامة وكان علماء الدين يفرضون رأيهم على السلطات بهذا الخصوص رغم تراجعهم فى ميادين اخرى .

فى مطلع السبعينات اسست معاهد للتمريض فى الرياض وجدة والنفوف ، وازداد عدد التلميذات فى المدارس . وكان المبدأ الرئيسى المعتمد يتمثل فى توجيه النساء الى الفروع والمهن التى تكفل ان يكون اختلاطهن مع قريناتهن فقط (١٧٥) .

فعلى سبيل المثال تخرج فى معهد الادارة الحكومية منذ تأسيسه عام ١٩٦١ زهاء عشرة آلاف موظف ولم تكن بينهم امرأة واحدة (١٧٦) .

تشريعات العمل . لم تعد احكام الشريعة الاسلامية قادرة على استيعاب علاقات العمل الجديدة التى تطلب تقنينها . ونظرا لنشوء الحركة العمالية اقرت الحكومة عام ١٩٤٧ قانون العمل الذى كان فى كثير من احكامه نسخة عن القانون المصرى . وفيما بعد عدلت مواد كثيرة منه وادخلت اضافات . وكان من المفترض ان يسرى القانون على كل مؤسسة صناعية او تجارية او زراعية يزيد عدد العاملين فيها على العشرة . ان مجرد الاعتماد الشكلى لتشريعات عمل على غرار ما جرى فى مصر حيث اثير نضال العمال الطويل عن حصولهم على بعض الحقوق ، كان بحد ذاته مكسبا هاما للكادحين السعوديين رغم انه اتضح منذ البداية ان حقوقهم منتقصة .

لقد حدد القانون اسبوع عمل من ستة ايام ويوم عمل مدته

ثمانى ساعات واجازة سنوية بمرتب لمدة عشرة ايام واجازة مرضية لمدة خمسة ايام . وحظر عمل الاطفال الذين دون العاشرة . وحددت مواد خاصة نظام العمل الاضافى واجوره والتعويضات فى حالة الاصابة بعامة اثناء الواجب . وجعل الحد الادنى للاجور ٥ ريالات يوميا . ونص القانون على ان عقد العمل يمكن ان يكون تحريريا او شفويا . والزم القانون ارباب العمل على انشاء حوانيت خاصة للعمال ومدارس ومستشفيات ومكتبات ورياض اطفال .

وخولت وزارة المالية صلاحية تفتيش اية مؤسسة والحصول على معلومات من ارباب العمل والعمال عن ظروف العمل والحياة ، ومطالبة ارباب العمل بتنفيذ احكام القانون . ونص القانون على ان استخدام العمال يجب ان يستند الى اذن خاص من وزارة المالية (١٧٧) .

فى عام ١٩٥٠ شكلت وزارة المالية مديرية العمل فى المنطقة الشرقية واصبحت دائرة مستقلة عام ١٩٥٣ ، ثم ادمجت عام ١٩٦١ بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية عند استحداثها (١٧٨) . ولم يمنح القانون العمال حق تشكيل نقابات ، وفى عام ١٩٥٦ صدر مرسوم ملكى خاص يحظر اضرابات العمال (١٧٩) .

ومنح ارباب العمل حق تسريح العمال دون تبيان الاسباب . كما اهمل القانون حقوق النساء العاملات ولم يتطرق الى الرواتب التقاعدية . ولم يطبق الضمان الاجتماعى والتقاعد الا فى مستهل الستينات (١٨٠) .

ومع تطور واتساع نطاق العمل المأجور تزايدت نزاعات العمل (١٨١) التى تقرر ان تتولى النظر فيها هيئة تحكيم من عضوين يعين رب العمل احدهما وتعين الحكومة الآخر ، ولكن الهيئة لا تضم مندوبا عن العمال . وفى حالة اختلاف عضوى الهيئة فان الحكومة التى تزعم انها هى الحكم العدل تعين قاضيا اعلى مرتبة . ومن الناحية العملية كان الموظفون الحكوميون يقفون الى جانب اربابهم عند نشوب نزاع بينها وبين العمال . فبخلاف ذلك يتهمون بـ«النشاط الشيوعى» ويقولون من مناصبهم . وطالب العمال فى عرائض رفعت الى الملك بان تقوم مديرية العمل بحماية مصالح العمال بالفعل وليس بالقول (١٨٢) .

ويؤكد كتاب «قوانين العمل وتطبيقاتها فى العربية السعودية» الصادر

فى الولايات المتحدة على ان «الاضرابات جرت بالرغم من الحظر . ونظمت غالبيتها فى القطاع النفطى الصناعى المعقد فى منطقة الحياء والمنطقة الشرقية . ورغم ان العاملين فى حقول النفط كانوا يتمتعون بظروف عمل افضل من سائر فئات العمال ، فانهم ناضلوا فى سبيل مطالبهم باصرار متميز ولامد طويل» (١٨٣) . وتولى تنظيم الاضرابات فى منطقة الحياء الكويتيون لان الاضرابات فى الكويت لم تكن محظورة شكليا . وبلغ الاستياء اشدده لدى عمال شركات المقاوله ، التى مارست ايشع انواع الاستغلال ولم تراع قوانين العمل (١٨٤) .

وجاء فى كتاب «قوانين العمل . . .» ان «عمال النفط قاموا بالتظاهر والاعتصام ومغادرة موقع العمل والمقاطعة وكتابة العرائض والنداءات الى مسؤولى الشركات ، ولكنهم لم يلجأوا الى العنف . وقد اجريت حملة اعتقالات وزج بزعماء العمال فى السجن . وفى بعض الحالات كان العمال يسرحون والاجانب يرحلون لمجرد احتجاجهم باى شكل من الاشكال . كما اوقف العمل مرات عديدة» (١٨٥) . وكانت مطالب العمال ذات طابع اقتصادى وتتعلق بالمكافآت والخدمات الطبية والمواصلات والتغذية .

فى الستينات ادى ازدياد الاجور واعمال التنكيل المتواصلة الى اضعاف حدة نزاعات العمل . غير ان استياء العمال والنقد الموجه للنظام فى الخارج حملا الحكومة على ادخال تعديلات على تشريعات العمل . فان ازدياد عوائد النفط والنهوض الاقتصادى قد اتاحا للحكومة ورجال الاعمال الموافقة على تقديم بعض التسهيلات الاضافية للعمال .

ونص القانون الجديد للمؤسسات التى يبلغ عدد العاملين فيها عشرة عمال او اكثر والذى استئن عام ١٩٦٩ ، على يوم عمل من ثمانى ساعات واسبوع عمل من ٤٨ ساعة و٣٦ ساعة فى كل اسبوع من شهر رمضان . وفى ارامكو وسائر شركات استخراج النفط وكذلك فى بترومين حدد اسبوع عمل من ٤٠ ساعة مع عطلة لمدة يومين فى الاسبوع . وبلغت مدة الاجازات المدفوعة للعمال ٢١ يوما والاجازات المرضية ٣٠ يوما تدفع كاملة و٦٠ يوما يدفع خلالها ثلاثة ارباع المرتب . ونص القانون على منح العمال اذونات اذا اقتضت الظروف العائلية . وفى الصناعة النفطية بلغت اجازة

العمال ٢٨ يوما ووصلت اجازة المستخدمين الى الشهر .
وحظرت المادة ٧٥ تسريح العامل بدون اسباب ، كما جعل
الحد الأدنى للاجور ١٠ ريالاً يومياً . وبالإضافة الى ذلك راعى
قانون عام ١٩٦٩ بعض مطالب العمال الاجتماعية .
تضمن القانون مادة خاصة حول العاملات ولكن لم تكن لها
اهمية تذكر لان استخدام عمل النساء كان محدوداً للغاية ، وحظر
القانون اشتغال الرجال والنساء سوياً .
وقد منع تشغيل من هم دون الثالثة عشرة ، وحدد يوم العمل
للقاصرين بست ساعات .

فى عام ١٩٦٩ ذاته وضع ، الى جانب القانون المذكور ، نظام
الضمان الاجتماعى الذى اعتبر الزامياً بالرغم من معارضة رجال
الدين . وقد جمع النظام ، الى حد ما ، بين اساليب الضمان
الاجتماعى الحديث وتقاليد البر والاحسان الاسلامية .

كان تشغيل العامل يتطلب استحصال اذن من مكتب العمل او
دائرة الاقامة . والزم كل شركة يزيد عدد عمالها على المائة
بتشغيل ٧٥٪ من السعوديين على ان يتقاضوا ما لا يقل عن ٥١٪
من الاجور . وبناء على طلب بترومين كان ينبغى على الشركات
المختلطة تشغيل نسبة مماثلة (١٨٦) .

ان محدودية تشريعات العمل كانت بادية للعيان وذلك لان
الاغلبية المطلقة من الكادحين السعوديين عملت فى مؤسسات يقل
عدد العاملين فى كل منها عن العشرة . ولم يطبق القانون عملياً الا
فى كبريات الشركات . ويؤكد مؤلفو كتاب «قوانين العمل وتطبيقها
فى العربية السعودية» على ان «الكثير من مواد قانون ١٩٦٩ ظلت
حبراً على ورق» (١٨٧) .

أكدت المواد ١٨٩-١٩١ على حظر الاضرابات واعلنت ان
قيام العمال بنشاطات جماعية يشكل جريمة عقوبتها الحبس لمدة
لا تتجاوز الست سنوات او دفع غرامات كبيرة (١٨٨) .
شكلت عام ١٩٦٩ هيئات للنظر فى نزاعات العمل ، وزاولت
اعمالها جنباً الى جنب مع المحاكم الشرعية . وكما فى الماضى
تولى موظفون حكوميون البت فى القضايا ، وفى حالة عدم توصلهم
الى قرار تحال الى مكتب الشكاوى . وفى عام ١٩٧٠ شكلت الهيئة
العلية لنزاعات العمل (١٨٩) .

التعليم . فى اواخر الخمسينات اشار باحثون امريكان الى ان «التعليم العام ما زال فى مرحلة الطفولة» . وفى سنة ١٩٥٦ كانت نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة اكثر بقليل من ٥٪ (١٩٠) .
فى عام ١٩٥٤ كان ٨٪ فقط من الاطفال الذين بلغوا سن الدراسة يرتادون المدارس . وانشأ الملك سعود فى قصره بالرياض مدرسة على النمط الانجليزى لابنائيه وخدمهم وعبيدهم .
كما انشأ اخواه عبد الله وفيصل مدارس لاولادهما . ولكن تيقن حتى افراد الاسرة المالكة من ضرورة منح فرص التعليم ولو لجزء من السكان (١٩١) .

عام ١٩٥٤ استحدثت وزارة المعارف واقيم نظام المدارس على غرار النظام المعمول به فى اكثر البلدان العربية تطورا . وبلغت مدة الدراسة فى المرحلة الابتدائية ست سنوات وفى المتوسطة ثلاث سنوات وفى الثانوية ثلاث سنوات . وفى النصف الثانى من الخمسينات لم يتخرج فى المدارس الثانوية سوى بضع عشرات من التلاميذ (١٩٢) . واستمر الاهتمام الاكبر فى المدارس منصبا على دراسة القرآن والفقه ، بينما اثير اهتمام اقل للطبييعات والرياضيات .

اوحد الملك عبد العزيز عددا من الشباب السعوديين الى الخارج وانفق على تحصيلهم . وبضغط من رجال الدين المحافظين حاول الملك سعود فى بداية عهده نبذ هذا التقليد ، ولكنه اضطر فيما بعد الى الاقرار بضرورة دراسة السعوديين فى الخارج . وفى عام ١٩٥٧ كان ما لا يقل عن ستمائة سعودى يتلقون العلم فى جامعات ومعاهد اجنبية (فى مصر والولايات المتحدة وسورية ولبنان واوربا الغربية) .

افتتح اول معهد دراسى عال فى السعودية - كلية الحقوق الاسلامية - فى مكة عام ١٩٤٩ . وكان برنامج الدراسة يكاد يكون مقتصرا على القرآن والحديث واللغة وتاريخ العرب . وانيطت بالكلية مهمة اعداد المدرسين للمدارس الثانوية ، التى كانت برامج العديد منها مماثلة لبرامج الكلية ذاتها . وفى عام ١٩٥٣ افتتحت فى الرياض كليتا الشريعة واللغة العربية ، لاعداد مدرسين وحقوقيين وقضاة (١٩٣) .

افتتحت جامعة مدنية على غرار الجامعات المصرية فى الرياض

عام ١٩٥٧ ، وكان جل اساتذتها من الاجانب ، وصار عدد غير قليل من خريجيها انصاراً لتحديث البلد .

صار التعليم يحظى باهتمام متزايد وذلك للنهوض بهيبة الدولة ولتوفير ما يحتاجه المجتمع من الاختصاصيين . في مستهل الستينات وفد من الخارج زهاء الف معلم (١٩٤) ، وزاد هذا الرقم الى عشرة اضعافه بعد عشر سنوات تقريبا (١٩٥) ، ولكن طرحت مهمة قصر التدريس على السعوديين ، ولو في المراحل الابتدائية . في عام ١٩٧٣ كان في العربية السعودية ١٤ كلية لاعداد المعلمين ومعهـدان لاعداد مدرسي المدارس المتوسطة والثانوية (١٩٦) .

بلغت نفقات التعليم عام ١٩٥٩ مقدار ١١٨ مليون ريال ، وارتفع الرقم عام ١٩٧٣ الى ١٦٧٧ مليوناً (١٩٧) . وبعد ان كان عدد الدارسين في المدارس بكل انواعها لا يزيد عن ١٤٣ الفا عام ١٩٦٣ ، فانه وصل عام ١٩٧٣ الى ٧٣٩٣ الف تلميذ ، ولكن عدد البنات اقل من نصف عدد الصبيان . (في عام ١٩٦٠ كان عددهن اقل بـ ٢٥ مرة من عدد الصبيان) (١٩٨) .

تزايد بسرعة عدد طلاب جامعة الرياض . اذ كان فيها عام ١٩٦٠ حوالى ٥٠٠ طالب و١٥٠ من طلاب الدراسات العليا (في المعاهد الدينية ٢٢٠٠ طالب و٢٦٠ طالب دراسات عليا) ، اما في عام ١٩٧٣ فقد بلغ عدد طلاب الجامعة ٤٤٠٠ (عدد طلاب الدراسات العليا غير معلوم ولكنه يربو على الثلاثمائة فيما يبدو) . وفي سنة ١٩٦٨/١٩٦٩ افتتحت كلية النساء في جدة وجامعة عبد العزيز التي توزعت كلياتها على جدة ومكة (١٩٩) .

في عام ١٩٧٣ بلغ عدد الطلاب في جامعة عبد العزيز زهاء ٢٥٠٠ ، وفي كلية النفط والمعادن بالمحافظة الشرقية قرابة ٩٠٠ وفي الجامعة الاسلامية بالمدينة (حيث غالبية الطلاب من الاجانب) ٦٦٠ . ويستفاد من ارقام سنة ١٩٧١ ان عدد الدارسين في الكليات والمعاهد الاسلامية بلغ حوالى ١١ الف طالب و٥٠٠ طالب دراسات عليا . ورغم ان ٦٠٪ من طلبة جامعة عبد العزيز درسوا العلوم التكنيكية الا ان الكثيرين اشتغلوا بعد التخرج في وظائف ادارية حكومية (٢٠٠) .

في الستينات والسبعينات تزايد عدد السعوديين الدارسين

فى الخارج ، وخاصة فى الولايات المتحدة حيث بلغ عددهم ٣-٥
آلاف فى اواسط السبعينات (٢٠١) .

اسست اول مدرسة مهنية فنية عام ١٩٤٩ . وفى سنة ١٩٦٠
انشئ فى الرياض المعهد الفنى النموذجى الحكومى واستدعى
اساتذة من الخارج للتدريس فيه . وانشئت مدارس فنية فى مكة
وجدة والدمام وبريدة والمدينة وسواها من المدن (٢٠٢) .

ولم يكن التعليم مختلطا فى اى من المراحل . ففى جامعة
الرياض يسمح للفتيات بارتياذ المكتبة فى ساعات خاصة ، اما فى
جامعة عبد العزيز فقد كان تدريس الفتيات يجرى بواسطة
التلفزيون (٢٠٣) .

ان الطبقة الحاكمة التى اضطرت الى تطوير نظام التعليم ،
حاولت تحويله الى اداة لتربية الدارسين بروح الولاء للمؤسسات
الحكومية والاجتماعية التقليدية وللنظام بشكل عام .

صدر عام ١٩٧٠ البرنامج الحكومى الموسوم «سياسة التعليم»
واكد على ان المهمة الاساسية للتعليم هى التعريف بالدين وجعل
تصرفات الدارسين متماشية مع شرائع الدين واحتياجات المجتمع
(٢٠٤) . ولكن مطالب علماء الدين المحافظين لم تعد تقبل دون
تحفظات من لدن كل الفئات الاجتماعية . واصبح التعارض بين
الافكار السلفية المستندة الى التفسير الوهابى للاسلام وبين السعى
للتحديث والتغيير الاجتماعى ، وهو سعى ناجم عن انتشار
التعليم ، من عناصر التوتر فى المجتمع السعودى .

ان التوسع السريع فى التعليم الذى استدعته المستلزمات
الموضوعية لتطور الرأسمالية صار بمثابة سهم ارتد الى نحر
الطبقات الحاكمة التى كان جهل الجماهير من مقومات سلطتها . كما
ان ارتفاع المستوى الثقافى والمعارف الانسانية والتكنيكية لدى
سكان العربية السعودية ، قد ادى الى تنامى المتطلبات الاجتماعية
السياسية ، وخاصة فى ظروف تكاثر السفرات التى يقوم بها العديد
من السعوديين الى الخارج ، وانتشار اجهزة الراديو والتلفزيون ،
وفود عدد كبير من الاجانب الى البلد . وتزايد باطراد عدد
السعوديين الذين صار لديهم من سعة الافق القدر الكافى لطرح
تساؤل حول مشروعية واحقية بقاء النظام الاقطاعى العشائرى
القديم والقيم الاجتماعية المهرثة .

النظام السياسى

آل سعود فى نظام السلطة . خلال بضعة عقود من السنين طرأت تغييرات معينة على النظام الملكى السعودى الذى استتب فى مطلع الثلاثينات . فان الاسرة السعودية بتفرعاتها التى كانت اصلا كثيرة العدد فى فترة توحيد اراضى الجزيرة حول الرياض ، قد تنامت اعتمادا على مبدأ تعدد الزوجات ، وتحولت الى ما هو اشبه بالقبيلة الحاكمة . وبلغ عدد رجالها فقط فى اواسط السبعينات بين ٢ و ٥ آلاف (١) . وكان آل سعود بالذات يتصرفون بـموارد البلد الاساسية وعوائده النفطية ، ويتولى خدمتهم جهاز الدولة الذى يقفون على رأسه . بيد ان ميكانيزم الدولة ذاته تنامى وتعددت وطراً عليه نوع من التحديث وصارت له وظائف جديدة .

بديهى ان الملك ظل الشخصية المركزية فى نظام السلطة ، وهو الامام والقائد العسكرى وقاضى القضاة . ورغم انه لم يكن من الناحية الشكلية مشرعا ، لان احكام الشريعة ثابتة ، فانه تولى اصدار مراسيم عن الحالات التى لم ترد احكامها فى الشريعة . وبذا تركزت فى شخص الملك اعلى سلطة تنفيذية وتشريعية وقضائية . وفى الممارسة العملية اناط الملك هذه الوظائف بدوائر حكومية او مؤسسات او افراد : مجلس الوزراء او الديوان الملكى ، نائب رئيس مجلس الوزراء اذا تولى الملك رئاسة الحكومة ، مكتب الشكاوى لدى مجلس الوزراء ، وزارة العدل ، وزارة الدفاع ، هيئة اركان القوات المسلحة وقائد الحرس الوطنى ، مجلس الشورى الذى يضع توصيات تكون اساسا لمراسيم الملك (٢) .

ولم يحد من سلطة الملك سوى ضرورة اقامة اعتبار لمصالح ومطالب الفئات المتنفة فى الاسرة السعودية الحاكمة ورجال الدين ، الذين اضيف اليهم فى السنوات الاخيرة ممثلو فئات اجتماعية

جديدة ما زالت هلامية حتى الآن ، لها ارتباط بالقطاعات الحديثة فى الاقتصاد والقوات المسلحة والجهاز البيروقراطى . وكان عليه ، من حيث المبدأ ، الا يتخذ قرارا هاما الا بعد استمراج رأى الفئات الحاكمة الرئيسية (٣) ، وذلك عن طريق المشاورات التقليدية . وجرت العادة على ان يتشاور الملك مع المتنفذين من افراد الاسرة السعودية وكبار شيوخ القبائل او العشائر وامراء كبريات المناطق وكبار رجال الدين .

واشار واحد من البلاغات الرسمية عن الملك فيصل انه عرف عنه تمسكه باهداب الديــــن الاسلامى الذى يقضى بالشورى . والملك لا ينفرد بالرأى بل يطلع على آراء رجال الدولة والعلماء والوجهاء ، رغم ان رأيه هو النافذ ، كما يشير البلاغ المذكور (٤) .

ان صيانة وحدة الاسرة السعودية هى من اسس استقرار سلطتها . ولا ينسب افراد هذه الاسرة ان احتدام الصراع على السلطة بين سعود و فيصل فى الفترة ١٩٥٨-١٩٦٤ وتمرد «الامراء الاحرار» وانقسام الاسرة السعودية الى كتل متصارعة ، قد احدث جميعا ضعفا كبيرا وازمة فى النظام . وكانت وحدة الاسرة تقوم على مبدأ اجماع الاعيان . ومن بين ٢-٥ آلاف من افراد الاسرة السعودية تشارك فى اتخاذ اهم القرارات مجموعة صغيرة نسبيا لا يتجاوز عددها المائة . وان الثمانية والستين توقيعاً على قرار الاسرة السعودية الصادر فى ٢ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٤ حول مبايعة فيصل ملكا ، انما تبين الحدود التقريبية للمجموعة التى تولت رسم السياسة و«انتخاب» منفذها الرئيسيين (٥) .

وضمت هذه المجموعة كل ذوى الكلمة المسموعة من الفروع المتنفذة الكثيرة لآل سعود ، والتى كان يجرى بينها صراع مستمر لم يسمح لاي منها باحتكار السلطة .

فى الخمسينات والستينات كان الفرع الاقدم من العائلة المالكة ممثلا باخوة مؤسس الدولة السعودية عبد العزيز الثلاثة الباقين على قيد الحياة وهم عبد الله واحمد ومساعد . وتولى عبد الله الوساطة بين فيصل وسعود اثناء صراعهما على السلطة ، اما مساعد الذى يصغر ابن الملك المقبل فيصل بخمس عشرة سنة ، فقد اصبح على عهده وزيرا للمالية والاقتصاد الوطنى عام ١٩٦٢ (٦) .

وكانت مجموعة من المقربين للملك تتخذ اهم القرارات حول الشؤون الجارية . وعلى عهد فيصل كانت هذه المجموعة تضم اعمامه واخوته لاييه ولى العهد خالد والامير فهد وقائد الحرس الوطنى عبد الله ووزير الدفاع والطيران سلطان . واثر مقتل فيصل فى ٢٥ آذار (مارس) ١٩٧٥ دعت هذه المجموعة بضـع عشرات من كبار افراد الاسرة السعودية ، وتمكنت من تأمين انتقال السلطة بدون مشاكل فصار خالد ملكا ورئيسا للوزراء وفهد وليا للعهد والنائب الاول لرئيس الوزراء وتولى منصب النائب الثانى ووزير الدفاع قائد الحرس الوطنى عبد الله وهو السادس من ابناء عبد العزيز الباقيين على قيد الحياة (٧) .

ان مبايعة خالد لم تكن تعنى الوراثة ولا التقيد بمبدأ القدم فى شجرة العائلة . فبعد مقتل فيصل كان يليه من هذه الناحية شقيقه محمد وهو الابن الرابع لمؤسس المملكة . ويبدو ان «اختيار» الملك جرى وفقا لصفاته الشخصية وتناسب القوى بين المجموعات المتنافسة (٨) .

كان الملك خالد يرتبط ، عن امه ، بآل جلوى المتنفذين الذين يكادون يكونون مستقلين فى حكم المنطقة الشرقية ويتوارثون امارتها . وبعد وفاة عبد الله جلوى ابن عم مؤسس المملكة ، تولى امارة المنطقة ابنه سعود ، ومن ثم ابنه الآخر عبد المحسن الذى احتفظ بهذا المنصب حتى اواسط السبعينات . كما تسنم افراد من آل جلوى مناصب هامة اخرى فى الاحساء . وام الملك خالد هى جوهرة بنت مساعد ، من هذه العائلة ، التى تزوج الملك فيصل واحدة من بناتها (٩) .

تزعم الامير فهد ، الذى صار ملكا عام ١٩٨٢ ، ما يسمى بـ«السباعى السديرى» . وضمت هذه المجموعة ، علاوة على فهد ، ستة من اخوته ابناء عبد العزيز من زوجته المنتسبة الى آل سديرى وهى عائلة اقطاعية متنفذة فى نجد . وشكل الاخوة الذين تربطهم صلات وثيقة مجموعة ذات نفوذ كبير . فقد شغل سلطان ، الابن الثانى عشر لعبد العزيز ، منصب وزير الدفاع والطيران فى الستينات والسبعينات ، وكان تركى وهو الابن العشرون نائبه ، وتولى نايف وهو الابن الثالث والعشرون منصب وزير الداخلية ، وكان الابن السادس والعشرون وهو سلمان محافظا للرياض ،

واحمد الابن الثامن والعشرون ، نائبا لمحافظ مكة ، وصدام الابن التاسع والعشرون نائبا لمحافظ الرياض (١٠) . وكان لعبد العزيز عدة زوجات من آل سديري ، وبالإضافة لهؤلاء السبعة كان له ستة ابناء من نساء هذه الاسرة (١١) .

لم يكن لدى الامير عبد الله الذى صار آنذاك الشخص الثانى فى المملكة اخوة اشقاء ولكن امه تنتسب الى قبيلة متنفذة من قبائل شمر الشمالية (١٢) .

ثمة فرع متنفذ آخر يرتبط بالاسرة الحاكمة ، ونعنى به آل ثنيان . ويعود نسب هؤلاء الى ثنيان شقيق محمد بن سعود مؤسس الاسرة فى القرن الثامن عشر . حكم عبد الله آل ثنيان نجد فى الفترة ١٨٤١-١٨٤٣ . وسكن افراد آل ثنيان تركيا ، وعاد احمد آل ثنيان الى نجد واصبح من المقربين لعبد العزيز وسافر مع فيصل الى لندن وباريس عام ١٩١٩ ، وتوفى عام ١٩٢١ . وفى عام ١٩٣٠ عرج فيصل على اسطنبول وزار ارملة احمد ودعاها للسعودية حيث تزوج من ابنتها عفة التى صارت زوجته الاثيرة والاكثر نفوذا . انتقل عدد من آل ثنيان من تركيا الى السعودية ، حيث صار لهم جاه ومال . وفى اواخر حكم فيصل كانت عفة تعرف بـ«الملكة» كدليل على ما تتمتع به من احترام لان زوجات الملوك لم يعتبرن قط ملكات فى السعودية . وقد مارسست عفة الاعمال التجارية بنشاط كبير (١٣) .

ثمة مجموعة خاصة قوامها احفاد عبد العزيز الذين تزايد وزنهم بفضل ما تلقوه من تحصيل علمى ، واصبحوا يشكلون «التكنوقراطيا الملكية» . وبرز من بينهم ابناء الملك فيصل الذين اصبحوا جزءا من نظام السلطة . فقد صار سعود الفيصل ، الذى درس فى برينستون ، وزيرا للخارجية وخالد محافظا لعسير ومحمدا مديرا للرى وعبد الرحمن آمرا للواء مدرع وسعد نائبا لمدير بترومين وبندر ضابطا فى الطيران وتركى نائبا لمدير المباحث وعبد الله شاعرا ورجل اعمال (١٤) .

بعد خلع الملك سعود اصبح ابناءؤه الاربعون خارجين عن دائرة اصحاب القرار فى الاسرة السعودية واصحاب السلطة فيها . بعد انتهاء حركة «الامراء الاحرار» المناوئة للسلطة المطلقة لم

يعد طلال يشارك فى الحياة السياسية ، ولكن بدر اصبغ نائباً
لقائد الحرس الوطنى (١٥) .

قد يكون «للعراف» تأثير مستتر بين آل سعود . وهؤلاء من
سلالة سعود بن فيصل الذى تولى الرياض فى السبعينات من القرن
الماضى حينما دب الشقاق بين ابناء الامير فيصل . وقد وقف
«العراف» ضد مؤسس المملكة عبد العزيز مرارا ، ولكنهم اضطروا
اخيرا الى مبايعته . وكان رئيس هذا الفرع محمد سعود الكابر
يعتبر نفسه الشخص الثانى بعد الملك ، من حيث القدم (١٦) .
ارتبط آل سعود بصلات قريى مع آل الشيخ وهم من سلالة
مؤسس الوهابية ، ومع آل سديرى الاقطاعية ومن الارستقراطية
العشائرية الاقطاعية المنتمية الى «اكرم محتد» فى الجزيرة . ولعبت
النساء دورا هاما فى اقامة اواصر متينة بين ابنائهن
واشقائهن (١٧) .

ومن المحظور على الصحافة السعودية نشر شىء يتعلق بالاسرة
المالكة ، باستثناء البلاغات الرسمية . وحتى لو جرى صراع داخل
الاسرة فلا يجوز ان يكون موضع نقاش علنى . وتعامل السلطات
الدينية والادارية والقضائية افراد الاسرة الحاكمة وكأنهم فوق
القانون . فعندما قتل احد الامراء القنصل البريطانى اثناء حفل فى
جدة ، وحكم عليه بالسجن المؤبد ، فانه سكن عمليا احد قصور
العائلة متمتعا بكل اسباب الراحة (١٨) .

اثناء حكم فيصل قلصت شكليا مخصصات افراد الاسرة
المالكة . وتذكر الارقام الرسمية ان زهاء ٣٠٠ مليون دولار سنويا
كانت تنفق على اسرة آل سعود فى اواسط السبعينات ، ولكن
الرقم الفعلى غير معروف وهو ، على ما يبدو ، اكثر بعشرات
المرات . وكانت مخصصات الامير تتراوح شكليا بين ٦٠ و ١٥٠
الف دولار سنويا . ومن غير المعروف كم خصص لآلاف النساء من
افراد الاسرة المالكة (١٩) .

زاول الكثير من آل سعود الاعمال التجارية على نطاق واسع .
وكان الامراء يغتنون من المضاربة بالاراضى ويحصلون على عمولة
من عقود الاستيراد البالغة قيمتها مليارات الدولارات ، او من
العقود الحكومية . وكان للكثير منهم قطع من الاراضى قرب المدن
الكبرى ، وحينما يخطط لبناء مشاريع صناعية او سكنية هناك

فانهم كانوا يحصلون على مبالغ خيالية من بيع هذه الاراضى للدولة
احيانا ولشركات اهلية احيانا اخرى (٢٠) .

فى اواخر السبعينات اصبح آل سعود اغنى «اسرة» فى العالم .
وكانوا يتصرفون عمليا بالدخل القومى للبلد الذى قارب التسعين
مليار دولار سنويا ، ويوجهون الى الخارج سيول الاستثمارات
السعودية التى ربت على مائة مليار دولار ، وفق تقديرات معينة .
واصبح مئات الامراء من كبار اصحاب الملايين فى العالم (٢١) .

رجال الدين . طرأ نوع من الانكماش على نفوذ رجال الدين فى
السعودية خلال السنوات العشرين او الثلاثين الاخيرة المرتبطة
«عصر النفط» ، وذلك نتيجة لانتشار التعليم وظهور فروع صناعية
جديدة وانماط جديدة من النشاط الاقتصادى والادارى وكثرة
سفرات السعوديين الى الخارج ووفود الاجانب واستخدام اجهزة
الراديو . بيد ان المواقع الرئيسية لكبار رجال الدين المرتبطين
بآل سعود ظلت على حالها ، ويمثل رجال الدين قوة سلفية يجب
على الحكومة ان تحسب حسابها على الدوام .

وكان قرار خلع سعود وتنصيب فيصل ملكا عام ١٩٦٤ قد
اقترن بفتوى وقعها اثنا عشر عالما من اكثر علماء الدين
سطوة (٢٢) .

كان الملك ، بوصفه اماما للمسلمين فى البلد ، يؤكد دوما
تمسكه باصول الاسلام ، الامر الذى يتطلب منه التشاور مع علماء
الدين والاقرار بان لهم كلمة مسموعة .

احتفظ رجال الدين باداة قوية للتأثير فى المجتمع ، وهى
هيئات الامر بالمعروف . وقد شكلت هذه اللجان فى العشرينات
لنشر المذهب الوهابى ، واستمرت تفرض على المجتمع احكاما فى
الاخلاق والحياة والسلوك ، وتحرص على عزلة النساء وتمسك
الناس بالحظر المفروض على التدخين وتعاطى المسكرات والرقص
(٢٣) . وفى الستينات رضخت هيئات الامر بالمعروف
لانتشار اجهزة الحاكي وبيع التبغ والعروض السينمائية الخاصة
وتوزيع الصحف والمجلات المصورة واشتغال المرأة فى الاذاعة
(٢٤) ، ولكن رجال الدين لم يتراجعوا اكثر من ذلك .

كانت اللجان المحلية لهيئات الامر بالمعروف خاضعة للجان
المناطق فى نجد والحجاز والمنطقة الشرقية . وهى بدورها تخضع

لمفتى الديار ، وهو فى العادة اكثر ابناء آل الشيخ نفوذا ، بينما يمارس الملك الاشراف الاعلى على اللجان . ورغم ورغم ان منصب المفتى الذى توفى عام ١٩٧٠ ظل شاغرا ، فان المنتسبين الى الشجرة الوهابية ظلت محتفظة بنفوذ كبير (٢٥) . وفى عام ١٩٧١ عين ابراهيم آل الشيخ وزيرا للعدل مما اعاد سيطرة الاسرة على النظام القضائى (٢٦) .

ومن الاسباب الموضوعية لتوطد مواقع علماء الدين وجود الحرمين فى اراضى المملكة التى كانت مهد الاسلام . وكان تدعيم الشرائع والمؤسسات الاسلامية يتجاوب مع المهمات الداخلية فى مجال صيانة القاعدة الدينية للنظام وهى اهم ركائزه ، وتوطيد هبة الملك بوصفه اماما وعلماء الدين بوصفهم القيمين على تطبيق احكام الشريعة . كما انه كان يتجاوب مع مهمات تعزيز المواقع الدولية للعربية السعودية ، فان وجود الحرمين على اراضيها كان دوما سببا فى اعلاء شأنها فى العالم الاسلامى . وقد تزايد عدد الحجاج زيادة كبيرة بفضل وسائل النقل الجوية والبحرية والبرية السريعة وازدياد حركة الموجات البشرية بين البلدان الاسلامية .

وفى عام ١٩٧٢ ربا عدد الحجاج ، لأول مرة فى تاريخ الاسلام ، على المليون ، رغم ان ما ينوف على نصفهم كانوا من السعودية ، ولم ينخفض عمليا عن هذا المستوى منذ ذلك الحين . وقد شقت طرق للسيارات وشيدت مطارات وفنادق فى الحجاز لاستقبال هذا السيل البشرى . ولم تعد عوائد الحج تلعب دورا يذكر فى اقتصاد البلد ، بل ان الاموال التى تنفق لهذه الاغراض اخذت تتزايد باطراد . كما خصصت مبالغ طائلة لترميم وتوسيع العتبات المقدسة (٢٧) .

اعتمد آل سعود احكام الشريعة وهبة علماء الدين لتعزيز سلطتهم داخل البلد ، ودخلوا المعترك الدولى حاملين راية الاسلام . وبديهي ان هذا النهج حظى بتأييد علماء الدين وساعد على ابقاء نفوذهم .

هيئات الامن والقوات المسلحة . استمر فى الستينات والسبعينات تعزيز وزارة الداخلية ، رغم ان النظام السعودى لم يواجه خلال هذه الفترة اى خطر داخلى يذكر . وكانت مسؤولية وزارة الداخلية تعتبر دوما من اهم المناصب فى مجلس الوزراء ،

وتسند الى اقرب المقربين للملك او لممثل اكثر الكتل سطوة داخل الاسرة السعودية . فان ولى العهد فهد بن عبد العزيز سبق ان شغل هذا المنصب فترة طويلة . وضمت وزارة الداخلية مديريةية الامن العام التى تولت الاشراف على الشرطة ، ومديرية خفر السواحل وشرطة الحدود ، ومديرية فرق المطافىء ، والمديرية العامة للتحقيقات الجنائية . وكانت هناك دائرة منفصلة للمباحث الداخلية .

اسست كلية الشرطة فى مكة عام ١٩٦٠ (٢٨) .

ولحين عام ١٩٦٠ كان الحرس الوطنى السريع الحركة والجيد التسليح تابعا للملك مباشرة ، ثم اصبح تحت امرة واحد من المتنفذين فى الاسرة السعودية وهو عبد الله بن عبد العزيز الذى صار وليا للعهد منذ عام ١٩٨٢ . وتولى الحرس الوطنى مساعدة الشرطة فى المحافظة على الامن والنظام وكان بمثابة معادل للجيش . يجرى اختيار منتسبى الحرس الوطنى من «القبائل الكريمة المحتد» المخلصة للملك ، فى حين ان باب الانتماء للشرطة والجيش مفتوح لجميع فئات السكان . ومن المعتاد ان تعزل وحدات الحرس الوطنى عن السكان (٢٩) . علاوة على الشرطة التى هى من سلك وزارة الداخلية كان لامراء المناطق حرس خاص ، وقد تبيت هذا الحرس عمليا فى الستينات ، بعد ان كان شكليا قبل هذا التاريخ . وقد استخدم الحرس الخاص لآل جلوى ، مثلا فى قمع اضراب عمال آرامكو عامى ١٩٥٣ و١٩٥٦ . وكانت وحدات الجيش تقوم بدوريات منتظمة فى مناطق الموانئ وتساعد الشرطة والحرس الوطنى فى حفظ النظام خلال شهر رمضان وفى موسم الحج .

بدأ تطوير الجيش النظامى بعد الحرب العالمية الثانية ، وتزايد الانفاق على القوات المسلحة عاما اثر عام . وارسلت الى مصر والسودان بعثات عسكرية لدراسة ميكانيك السيارات ، واستقدمت بعثتان عسكريتان بريطانية وامريكية (٣٠) .

بعد الحرب اعيد فتح المدرسة العسكرية للضباط ، وافتتحت مدرسة الاشارة واللاسلكى ومدرسة الصحة والاسعاف الاولى ، وانشئت مدرسة الطيران . كما انشئت ورش عسكرية للسيارات والميكانيك والصيانة ومستشفى عسكرى فى مدينة الطائف يتسع لخمسمائة مريض . وارسل خريجو مدرسة الطيران فى

الطائف الى بريطانيا للدراسة ، اما الطلاب الذين اتموا دراستهم الاولى في الطيران في القاعدة الامريكية بالظهران فقد ارسلوا الى امريكا . وشرعت وزارة الدفاع بتنظيم شعب ومديريات حسب اصناف القوات المسلحة (٣١) .

استمر في الخمسينات تطوير الجيش واستكمال معداته . ورغم ان السعودية لم تشارك بعد حربها في الثلاثينات مع اليمن في اي نزاع عسكري واسع النطاق ، فإن نفقاتها على القوات المسلحة كانت من اكبر النفقات في الشرقين الاوسط والادنى ، سواء من حيث الارقام المطلقة او من حيث نسبتها الى الناتج الوطنى الاجمالى .

فى سنة ١٩٦٥ بلغ تعداد القوات المسلحة زهاء اربعين الف فرد موزعين على الجيش وسلاح الطيران الضئيل العدد آنذاك والاسطول الصغير والحرس الوطنى . وكان فى كل من الجيش والحرس الوطنى قرابة عشرين الف فرد . وفى ربيع عام ١٩٦٤ ادمج الحرس الملكى المؤلف من اربعة آلاف شخص فى الجيش النظامى كفوج مشاة (٣٢) .

وكان كبار ضباط الجيش والحرس الوطنى ينتقون من افراد الاسرة المالكة على ان يكون ولاؤهم للملك مطلقا ، وغالبيتهم من العارض . وقد حظر مرسوم خاص صدر فى ٢٠ آذار (مارس) ١٩٦٠ على منتسبى الجيش ممارسة السياسة (٣٣) .

وزع الجيش السعودى فى البلد على تكتلات اقيمت قرب المدن الرئيسية ، وبعد حرب اليمن رابطت الوحدات السعودية والاردنية فى منطقتى جيزان ونجران (٣٤) .

توزعت القوات الجوية السعودية فى قاعدتين جويتين رئيسيتين بجدة والظهران .

بعد الحرب العالمية الثانية صارت الولايات المتحدة الامريكية المصدر الرئيسى للأسلحة ، واوفدت الى السعودية عددا كبيرا من المدربين . وبناء على اتفاقية ١٩٤٧ انشأت الولايات المتحدة قاعدة تدريبية فى الظهران ، وفى العام نفسه شرع البريطانيون باعداد فرقة مدرعة على غرار الفيلق العربى فى الاردن . وفى سنة ١٩٥١ وقعت الولايات المتحدة والسعودية اتفاقية حول الدفاع والمساعدة المتبادلة . احتفظت الولايات المتحدة بقاعدة الظهران وارسلت

للسعودية اسلحة جديدة ومعدات عسكرية . وفى سنة ١٩٥٢ اوفدت الولايات المتحدة بعثة خاصة لتدريب الجيش السعودى عوضا عن البعثة البريطانية التى استدعيت اثر النزاع البريطانى السعودى على واحة البريمى . وفى سنة ١٩٥٧ مدد عقد ايجار قاعدة الظهران لمدة خمس سنوات وواصلت الولايات المتحدة مشاركتها فى اعداد القوات المسلحة السعودية . وفى سنة ١٩٦٢ رفضت الحكومة السعودية تمديد عقد ايجار قاعدة الظهران ، ولكن بعثة التدريب العسكرية الامريكية ظلت فى البلد (٣٥) .

المعقود فى اطار الجامعة العربية ، وفى سنة ١٩٥١ اوفدت بعثة مصرية للعمل فى سلاح الطيران السعودى . ولكن السعودية لم تشارك فى اى عمل عسكرى ضمن اطار الميثاق . فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٥ وقعت العربية السعودية ومصر ميثاقا حول الدفاع المشترك نص على توحيد قيادة القوات المسلحة فى ظروف الحرب والسلام . وبعد عامين ونصف العام طرد الملك سعود البعثة المصرية فى اطار حملته المناوئة للجمهورية العربية المتحدة .

ذكر «الدليل الاقليمى» ان العربية السعودية تتكل فى المجال العسكرى «على الولايات المتحدة اساسا ، وان الضباط السعوديين يدرسون فى المدارس والاكاديميات الحربية بالولايات المتحدة . والولايات المتحدة هى حليف للسعودية وتشرف على اعداد القوات البرية والجوية والبحرية» (٣٦) .

تنامت القوات المسلحة السعودية بسرعة ، وفى اواخر الستينات بلغ تعداد افرادها (بدون الحرس الوطنى) زهاء ٣٦ الفا منهم خمسة آلاف فى سلاح الطيران والى فى الاسطول . وفى سنة ١٩٧٦ بلغ تعداد القوات المسلحة النظامية ٤٢ الفا ، والحرس الوطنى ٣٣ الفا (٣٧) . وفى اواخر السبعينات بلغ عدد افراد الجيش ٤٥ الفا لديهم ٧٥ دبابة و ١٥٠ دبابة خفيفة و ٤٠٠ مصفحة ، بينما وصل عدد افراد القوات الجوية الى ١٥ الفا (زهاء مائة وخمسين طائرة مقاتلة حديثة و ٣٣ طائرة نقل وقرابة اربعين طائرة عمودية) ، وبلغ عدد منتسبى القوات البحرية ٢٥٠٠ . واستوردت الاسلحة من الولايات المتحدة اساسا ، بالاضافة الى بريطانيا وفرنسا (٣٨) .

ويتكون الجيش من المحترفين والمتطوعين (فترة عقد التطوع خمس سنوات ويجوز تمديدها) ، وهم اساسا نازحون من الارياف . اما ضباط الصف فى سلاح المشاة فهم عادة من الجنود الذين اكملوا فترة الخدمة ، غير ان الاصناف الفنية تضم ضباط صف ينتمون الى فئات مدنية لها نصيب اوفر من التعليم . والضباط هم من حملة الشهادة الثانوية وغالبيتهم ابناء موظفين وضباط وتجار ورجال اعمال . وبين الضباط عدد غير قليل من اعيان القبائل والاقطاعيين وافراد الاسرة الحاكمة .

تدفع الحكومة مبالغ مجزية لمنتسبى القوات المسلحة تتكون من الرواتب المماثلة لما يتقاضاه الموظفون المدنيون ، ويضاف اليها كثير من العلاوات والمخصصات «الثابتة» و«الفنية» . وتدخل ضمن الفئة الاولى المبالغ المخصصة لخياطة البزة العسكرية وايجار المسكن والاكل ، والخدام بالنسبة للضباط . اما العلاوات «الفنية» فتدفع لمنتسبى القوات الجوية والبحرية والاصناف الفنية . وكان المبلغ الاجمالى للعلاوات يصل الى زهاء ٤٠-٥٠٪ من الراتب الاسمى .

ويحصل افراد القوات المسلحة على امتيازات اخرى منها التطبيب المجانى . وكانت مداخل منتسبى القوات المسلحة اعلى من مداخل الموظفين المدنيين ، وفى الستينات والسبعينات رفعت رواتبهم عدة مرات واستحدثت علاوات جديدة وزيدت العلاوات القديمة (٣٩) .

ان الامتيازات الممنوحة لمنتسبى القوات المسلحة تعكس طموح العائلة المالكة لضمان ولاء الجيش للنظام . وقد اقترن «اغداق المال» باعمال التنكيل بكل العناصر غير الموثوق بها سياسيا داخل الجيش . ولكن التكتلات المتكررة الهادفة الى القيام بانقلاب ، وخاصة فى الستينات ، تدل على ان ضباط الجيش ليسوا موالين جميعا للعائلة الحاكمة . وكان للنزعات الديمقراطية الثورية صدى فى نفوس عدد من الضباط الشباب . ولهذا السبب بالذات جرى الى جانب توطيد الجيش تعزيز الحرس الوطنى المكون من ابناء الفئات البدوية الاكثر تخلفا .

فى السبعينات ابعدت وحدات الجيش عن المناطق المأهولة

واسكنت في مدن وثكنات عسكرية خاصة ، واحتل الحرس الوطني مواقع في المراكز الهامة استراتيجيا .

آلية السلطة . الإدارة . الدعاية والاعلام . بدأ الجهاز الحكومي والاداري في العربية السعودية يتغير ويتعد من مستهل الخمسينات . وقد صدر في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٣ مرسوم بتشكيل مجلس وزراء المملكة . ومن الناحية الشكلية كانت صلاحية «مجلس الوكلاء» قبل هذا التاريخ تنسحب على الحجاز فقط ، رغم ان نشاطه كان يشمل في بعض المجالات المملكة كلها . وبعد وفاة ابن سعود لم يعد يعين نائب للملك في الحجاز ، وهو منصب تسنمه فيصل ، ولا امير لنجد وهو الموقع الذي شغله ولي العهد سعود (٤٠) .

وكما كان الحال في السابق ، ظل لدوائر الديوان الملكي حق التدخل في اعمال مجلس الوزراء ، ولكن هذا الحق لم يقنن باحكام بل كان متوقفا على سلطة الملك الفعلية حيال رئيس الوزراء ، وعلى نفوذ افراد معينين في دوائر البلاط .

تولى الديوان الملكي تصريف امور الملك الخاصة ، وكان يشرف مع الحكومة على هيئات مركزية مثل وزارتي المالية والاقتصاد الوطني والخارجية . كما كان للملك عدد من المستشارين للشؤون الخاصة (٤١) .

حدد المرسوم الملكي الصادر في ١٢ أيار (مايو) ١٩٥٨ التركيب الجديد لمجلس الوزراء ووظائفه . وقضى بان تضم الحكومة رئيسا للوزراء ونائبا له يعينهما الملك ووزراء يعينون وفقا لتوصية رئيس الحكومة . كما يمكن ان يضم المجلس في عضويته وزراء بلا وزارة ومستشاري الملك . وقصر الاستيزار على رعايا المملكة .

اعضاء الحكومة مسؤولون امام رئيس الوزراء وهذا بدوره مسؤول امام الملك . ويحق لرئيس الوزراء ان يطلب من الملك اعفاء اي من اعضاء الحكومة من منصبه . وتعنى استقالة رئيس الوزراء استقالة الحكومة بأكملها . ويتحمل رئيس الوزراء مسؤولية السياسة العامة للدولة ، وتتولى الحكومة وضع الميزانية وهي اعلى سلطة عاملة باشراف الملك في الشؤون المالية . وتخضع الادارة المحلية لمجلس الوزراء .

ويؤدي الوزير عند تسلمه مهام منصبه اليمين التالي : «اقسم بالله العظيم ان اكون مخلصا لدينى ، ثم لمليكى وبلادى وان لا ابوح بسر من اسرار الدولة ، وان احافظ على مصالحها وانظمها وان اؤدى اعمالى بالصدق والامانة والاخلاص» (٤٢) .

ويحظر على اعضاء مجلس الوزراء ، اثناء فترة استيزارهم ، ان يقوموا بانفسهم او عبر وسطاء ، بشراء واستئجار ممتلكات الدولة او بيع اى شىء للدولة (٤٣) . وسبب هذا الحظر تفشى الرشوة بين افراد الاسرة المالكة . ولكن الوزراء واصلوا عمليا اكتناز الثروات عبر اشخاص مأجورين .

استمر فى العربية السعودية عمل مجلس الشورى الذى ضم فى اواسط الستينات ٣٤ عضوا . وكان قد شكل فى الاساس كمجلس استشارى اقليمى للحجاز ولكن نطاق عمله اتسع ليشمل المملكة كلها . وتولى المجلس وضع التوصيات التى هى اساس المراسيم الملكية والانظمة (٤٤) .

فى مطلع الستينات اسس معهد الادارة لاعداد الموظفين لجهاز الدولة ، وكان هذا واحدا من الاجراءات التى اوصت بها بعثة البنك الدولى للانشاء والتعمير . ورغم ان المسؤولين السعوديين اخذوا يتحدثون كثيرا عن تحسن جهاز الدولة ، الا ان مآل الامر كان تضخم الملاك بشكل غير معقول .

فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٣ اعتمد تقسيم ادارى جديد اتاح للحكومة احكام سيطرتها على الادارة المحلية . قسم البلد الى اربع مقاطعات اساسية على رأس كل منها حاكم ووكيله . والحاكم هو الرئيس الادارى للمقاطعة وممثل الحكومة فيها (٤٥) . وترفع وزارة الداخلية توصية حول ترشيح الحاكم ، ثم يعين بمرسوم ملكى بناء على اقتراح رئيس الحكومة ، رغم ان الملك هو الذى ينتقى عمليا حكام المقاطعات الاربع . ويؤدى الحكام قسما حول اخلاصهم للدين والملك والبلاد . ومن وظائف الحكام انفاذ الاحكام القضائية وحفظ الامن والنظام والتعاون مع مجلس المقاطعة فى الشؤون البلدية (٤٦) .

تنقسم المقاطعة الى مناطق برئاسة المحافظين ومراكز يقودها رؤساء . وعلاوة على مقاطعات نجد والاحساء والحجاز وعسير شكلت مقاطعة الحدود الشمالية التى يخضع لادارتها البدو فى مناطق

الحدود مع العراق والاردن وبامتداد خطوط انابيب النفط عبر الجزيرة (٤٧) . وفى الخمسينات كانت نجران وبيشه تعتبران امارتين تابعتين للرياض مباشرة (٤٨) .

يعين مجلس الوزراء ، بناء على توصية وزير الداخلية ، مجالس المقاطعات على الا يزيد عدد اعضاء كل منها على الثلاثين . وتحصل المجالس على الجزء الاكبر من مداخيلها من الحكومة المركزية ، علاوة على بعض الضرائب المحلية (٤٩) .

ان حدود المقاطعات والمناطق غير ثابتة وتتوقف على شخصية الحاكم وعلاقاته بالقبائل وهيبته فى هذه المنطقة او تلك وروابطه العائلية (٥٠) .

يعتبر منصب الحاكم مصدرا للغنى والجاه ، لذا اقتصر تعيين الحاكم على افراد الاسرة السعودية واسرة السديري الوفية لها والقريبة منها (٥١) . وواصلت الادارات المحلية العمل بقدر كبير من الاستقلالية فى بعض المجالات (٥٢) . واستمر نفوذ الاسر المحلية العريقة مثل آل جلوى فى المقاطعة الشرقية . وكان الكثير من المراسيم والقرارات ، على اهميتها ، لا تطبق عمليا الا بالقدر الذى يتماشى مع مصالح وجهاء المنطقة .

فى اواسط السبعينات قسمت المملكة الى ١٨ مقاطعة ، ولكن الرئيسية منها خمس وهى مكة (وتضم ايضا جدة والطائف) والرياض والمقاطعة الشرقية ومقاطعة الحدود الشمالية والحائل ، الى جانب مقاطعتين اقل اهمية هما القصيم والمدينة . وتخضع هذه المقاطعات لوزير الداخلية اما الباقية فهى خاضعة لنائبه (٥٣) .

لكل قرية صغيرة شيخ يحتل موقعه بفضل روابطه العائلية وثروته وحكمته ومقدرته على النظر فى النزاعات داخل القرية واقامة علاقات طيبة مع الجيران وقبائل البدو الرحل ، والتعاون مع الادارة الاعلى . وفى القرى الكبيرة او الواحات يسعى الامير المحل او الشيخ الى الحصول على مبايعة الاعيان وعلماء الدين والقضاة والتجار المحليين . وكان المسؤول الادارى عن القرية او الواحة يعين من قبل مسؤول الوحدة الادارية التى تليها . اما القرى التى ما برحت الروابط العائلية والقبلية قوية فيها ، فان الشيخ يكون عادة من الاسر الارستقراطية فى القبيلة ، ولكن هذا المبدأ لا يعد الزاميا فى القرى التى اضمحلت فيها تلك الروابط (٥٤) .

ان اكثر من نصف سكان المملكة العربية السعودية مازالوا مرتبطين بالتنظيم القبلي ، وحتى سكان القرى والمدن يقيمون روابط قبلية واسعة . وحتى في الخمسينات كانت المشيخة وراثية ، او اذا توخينا الدقة مقصورة على اسر الوجهاء . وتولت الحكومة المركزية الاشراف على قبائل الرحل بواسطة ادارة المقاطعات الاقليمية . وكما في الثلاثينات والاربعينات ، واصل وكلاء الامراء جباية الضرائب من القبائل ، ولكن الزكاة صارت رمزية بالنسبة للبدو الرحل .

كما كان الحال في الماضي ، يعتبر الملك «شيخ الشيوخ» .
وحيثما زار الملك سعود شمال البلاد عام ١٩٥٤ اكرم ضيافته وجهاء القبائل الذين عبروا الحدود من سورية والعراق للترحيب به . ويرى مؤلفو كتاب «العربية السعودية : شعبها ومجتمعها وثقافتها» ان تلك كانت «حالة واضحة بينت ان الولاء القبلي له افضلية على الاعتبارات الجغرافية البحت» (٥٥) . ولكن وجهاء القبائل في الواقع كانوا ، على الارجح ، ينتظرون العطايا السخية من الملك دون ان يلتفتوا لوقع موقفهم في نفوس الادارة السورية او العراقية ، او طمعا في الحصول على مراعى افضل في اراضي المملكة العربية السعودية .

ان تدفق عوائد النفط الهائلة وتوزيعها بشكل مركزي كانت له اهمية جلية اخرى ، اذ اضعف الى حد كبير ، ان لم يكن قد الغى تماما ، القوى النابذة في مجتمع الجزيرة . فقبل «عصر النفط» كانت في العربية السعودية بضع مناطق اساسية : نجد بوصفها المركز السياسى للدولة ومهد الوهابية وموطن اكثر السكان اخلاصا لآل سعود ، والحجاز حيث توجد العتبات المقدسة والمعروفة بنشاطها التجارى المرتبط بالحجاج ، وعسير المشهورة بزراعتها ، وشرق الجزيرة المهم من الناحيتين التجارية والاقتصادية رغم انه اقل اهمية مما في الحجاز . ولكن انشاء الصناعة النفطية جعل الاحساء القلب الاقتصادى للبلد ، ولولاها لغدت كل اجزاء الدولة الاخرى محرومة من الموارد والعوائد ولا رتدت الى الوراء ، الى مستوى القرون الوسطى . لذا فان النزعة الانفصالية ، بمعناها المباشر ، اصبحت عديمة المعنى في السعودية وخبت (٥٦) ، الا ان اصداها ظلت على شكل تنافس في الجهاز البيروقراطى وسائر هيئات

الدولة ، ومن امثلة ذلك التنافس بين الحجازيين الاكثر ثقافة وبين النجديين .

فى الستينات بدأ اسناد بعض المناصب التى تتطلب معارف عصرية الى سعوديين تلقوا تحصيلاً مدياً وليس دينياً فى الخارج اول الامر ، ومن ثم داخل البلد . واتاح ذلك للباحث الأمريكى رو الذى عكف على دراسة مجتمع الجزيرة امكانية الحديث عن «طبقة متوسطة جديدة» فى العربية السعودية ، وقال انها تضم الاشخاص ذوى التحصيل المدينى (٥٧) . ويجمع هذا المنهج فى «طبقة» واحدة كبار تجار الجملة من جدة والسعوديين من اعضاء مجلس ادارة ارامكو والعمال المهرة والمهندسين والفنيين والاطباء ومدرسى العلوم الحديثة والافراد الثانويين من آل سعود . وهذا التقسيم «الطبقي» مرفوض من وجهة النظر الماركسية . ولكن الحزاقات والتنافس بل وحتى التناقض بين دعاة التحديث الحاصلين على تعليم مدينى وبين السلفيين الحاصلين اساساً على تعليم دينى تقليدى ، ظلت قائمة فى اطار فئات اجتماعية بعينها . الا ان هذه الخلافات لم تكن شاملة وحاسمة . وحسبنا التذكير بان مجموعة الامير طلال ، التى طالبت باصلاحات ، ضمت اشخاصاً ذوى تحصيل تقليدى ، فى حين كان بين السلفيين عدد غير قليل من حملة شهادات الجامعات الامريكية والاوربية الغربية .

سنة ١٩٦٠ اسند الملك سعود خمس حقائب وزارية ، بينها اثنتان كانتا لدى امراء ، الى خمسة من شباب «الفئات الوسيطة» ، واربعة منهم يحملون شهادة جامعة القاهرة . اما الخامس الذى اسندت اليه وزارة النفط والموارد المعدنية المستحدثة فلم يرب عمره على ٣٥ عاماً وهو خريج جامعة تكساس .

حينما استحدثت وزارة الاعلام عام ١٩٦٣ اسندت الى سعودى متخرج فى جامعة القاهرة . ومن هذه السنة لم يعد افراد الاسرة المالكة يشغلون سوى خمسة من المناصب الوزارية الاربعة عشر . ولكن هذه الوزارات - وهى الداخلية ، الدفاع ، الحرس الوطنى ، المالية ، الخارجية - هى وزارات اساسية لذا احتفظ آل سعود بزمم الحكم فى ايديهم . اما المناصب الاقل اهمية فى هذه الوزارات ، كما هو شأن كل المناصب فى الوزارات الاخرى (النفط ، التجارة ، الاعلام ، الزراعة ، المواصلات ، المالية) فقد

اصبحت تسند على نطاق متزايد الى اشخاص لا ينحدرون من اصل ارستقراطي ولهم تحصيل مدنى . ولعبت هذه الدوائر دورا فعالا فى تحديث المملكة . وهيمن المتدينون السلفيون على وزارتى المعارف والاشغال اللتين كان من المفترض ان يسودهما التحديث .

فى بداية السبعينات عين الملك فيصل قاضيا من جدة من ذوى التحصيل الدينى وزيرا للعدل ، علما بان نظام العدلية قائم اساسا على احكام الشريعة . ولكن هذا الوزير كان قد اكتنز اثناء اشتغاله مع رجال الاعمال فى جدة خبرة واسعة فى الشؤون الدنيوية ، واساليب تصريفها . واثّر ذلك اسندت وزارة الحج والاقواف الى سعودى من اسرة تجار فى جدة درس فى جامعة القاهرة .

تولى منصب وزير المعارف واحد من آل الشيخ ، ولكن ابتداء من عام ١٩٧١ عين اثنان من خريجي الجامعات الامريكية نائبين له . وفى سنة ١٩٧١ ذاتها عين نائبان جديدان لوزيرى الاشغال والشؤون الاجتماعية وكلاهما من خريجي الولايات المتحدة . ورفع اربعة سعوديين الى مناصب امناء الدولة بصلاحيات وزير ، وكان اثنان منهما - رئيسا هيئة التخطيط المركزية ومديرية الادارة والذاتية - من خريجي الولايات المتحدة والاثنان الاخران من خريجي القاهرة . وفى الوقت نفسه تقريبا عين الملك ستة من الامراء الشباب من خريجي الكليات البريطانية والامريكية امناء للدولة ومحافظين (٥٨) .

ان الطبقة الحاكمة بنشرها التعليم وتعيينها حملة الشهادات العصرية فى كل حلقات الجهاز الادارى قد حاولت ، عفويا او قصدا وهذا ليس بالامر الهام ، ان تضىفى نوعا من الحداثة على نظام السلطة البالى دون ان تغير جوهره . وبديهي ان تنشأ حزازات بين الموظفين من حملة الشهادات الامريكية الذين يرتقون السلم الوظيفى بسرعة ، وبين البيروقراطيين الطاعنين . ولكن الروابط العائلية القبلية لعبت فى خاتمة المطاف الدور الرئيسى . وقد عمل المئات ، ومن ثم الآلاف من السعوديين حملة المعارف الحديثة ، فى جو تسوده التقاليد والالتزامات الاقطاعية القبلية .

كما فى سائر بلدان الشرق الاوسط اصبح الاعلام فى السعودية الواقع تحت سيطرة الطبقة الحاكمة اداة قوية للتأثير فى الجماهير .

وصار الاعلام يستأثر بالاهتمام الاول لما تأكدت فعالية الاعلام
الاذاعي المصرى وتأثيره فى سكان المملكة فى الخمسينات ومطلع
الستينات . وقد كانت خطب الجمعة ومواعظ المطاوعة القناة
الرئيسية للتأثير فى عقول الناس . ولكن الازاعة ، ومن ثم
التلفزيون ، وفرا للفتنة الحاكمة ادوات فنية عصرية للتبشير
بافكارها . ابتداء من عام ١٩٦٣ شرعت الحكومة ببناء محطات اذاعة
ضخمة ، ومن ١٩٦٥ بدأ البث التلفزيونى . وفى بلد تسوده الامية
صار الترانزستور والتلفزيون اهم ادوات الاعلام ، وتشغل الحيز
الاكبر فى البث الازاعى والتلفزيونى البرامج الدينية وتلاوات
القرآن .

لم تلعب الصحافة دورا يذكر ، وكانت اول صحيفة يومية هى
«البلاد السعودية» التى بدأت الصدور فى جدة عام ١٩٥٣ . وعند
اواخر الستينات كان يصدر فى السعودية زهاء ١٥ صحيفة ولكن
بعدد محدود جدا من النسخ . وفى اواسط السبعينات كانت تصدر
فى الحجاز اربع صحف عربية هى «المدينة» و«عكاظ» و«الندوة»
و«البلاد السعودية» علاوة على الصحيفة الاسبوعية الرسمية «ام
القرى» ، والى جانب ذلك صدرت «الرياض» فى نجد و«اليوم» فى
المنطقة الشرقية . وفرض اشراف حكومى على الصحف ، رغم انه كان
من المتعذر حتى قبل ذلك اصدار صحف ومجلات بدون معونات
حكومية (٥٩) .

القضاء والنظام القضائى .

فى اواسط الخمسينات اشار الفقيه العربى صبحى المحمصانى
الى ان التشريع فى السعودية واجه صعوبات تتمثل فى العرف
البدوى ، وفى اعتراضات السلفيين الذين اعتبروا كل ما لم يتضمنه
الشرع نوعا من البدع . وقال المحمصانى ان هذه المصاعب لم تعق
«موكب الحياة الجديدة» عن السير قدما وفقا لمتطلبات المجتمع
المعاصر . وقد غذت هذه المسيرة الثورة الصناعية القائمة على
النفط وانتشار التعليم والمدارس وتحضر البدو والاصلاحات
الاجتماعية والاقتصادية الجديدة . وذهب المحمصانى الى ان السعودية

قطعت خلال ربع قرن طريقا اطول من الطريق الذى قطعته خلال
١٤ قرنا قبل ذلك .

ولكن اتضح ان «موكب الحياة الجديدة» فى المجال القانونى كان
ابطأ سيرا مما توقع المحمصانى فى الخمسينات .

فى القرن العشرين اعتمدت فى غالبية البلدان الاسلامية قوانين
تجارية وجنائية ومدنية جديدة . ولم يبق فى الغالبية العظمى من
هذه البلدان ، باستثناء تركيا وتونس ، فى اطار الشرع سوى
الاحوال الشخصية (الزواج والطلاق والارث) وحتى هذه ادخلت عليها
تعديلات . والسعودية هى البلد الوحيد الذى يعتمد احكام الشريعة
«خالصة» .

ان النظام القضائى والقانونى فى العربية السعودية ، المكيف
لدولة اقطاعية مركزية لم يكن مهيا لمواجهة القضايا الاجتماعية
الاقتصادية التى خلقها تطور مجتمع الجزيرة العربية . واقتصر
المذهب الوهابى على الاحكام المصاغة فى القرون الثلاثة الاولى التى
تلت ظهور الاسلام ، ورفض كل ما ورد بعد ذلك عن الاسلام
واعتبره «بدعا» (٦٠) .

وبعد اكتمال المذاهب الاساسية الاربعة اغلق عمليا باب
الاجتهاد الذى كان معمولا به فى القرون الاولى التى اعقبت الدعوة
الاسلامية . ورفض العلماء الحنابلة الاجتهاد رفضا تاما ، لذا حاول
رجال القانون السعوديون البحث عن حلول لمشاكل القرن العشرين
فى تقاليد القرون السابع والثامن والتاسع ، مما اوقعهم ،
بالضرورة ، فى طريق مسدود (٦١) .

ثمة مثالان يبينان صعوبة تطبيق احكام القرون الوسطى فى
القرن العشرين . فالقرآن يحرم الربا ولكن الاقتصاد الرأسمالى
المعاصر لا يمكن ان يقوم بدون سوق نقدية يتحكم فيها ميكانيزم
الربح . ويحظر نظام وكالة النقد السعودية الفوائد ، بينما تتجاهل
تشريعات البنوك التجارية هذه المسألة تماما . وبغية عدم الخروج
على احكام الدين ابتدع ما يسمى بـ«بدل» الخدمات وهو مجرد تورية
للفظة الفائدة (٦٢) .

القضية الثانية هى غياب القانون التجارى . ورغم ان الشريعة
حافلة باحكام عديدة حول التجارة ، الا انها لا تتطرق الى الكثير من

جوانب النشاط الاقتصادى المعاصر . وقد جوبهت محاولة سن قانون تجارى بمعارضة شديدة من لدن رجال الدين (٦٣) .

وقد اقر عدد من رجال الدولة السعوديين بضرورة الجمع بين الشرع الاسلامى ومتطلبات المجتمع الحديث . فقد ذكر احمد زكى يمانى ، وزير النفط والمعادن فى محاضرة بالجامعة الامريكية ببيروت فى شباط (فبراير) ١٩٦٧ ان تطبيق الاحكام الشرعية يتطلب من الدولة انتقاء مبادئ من مختلف المدارس القانونية دون استثناء ، استنادا الى ما يمتاشى واحتياجات كل بلد . واشار الى انه يجب سن قوانين تعتمد على الاحكام الشرعية العامة ومقتضيات الصالح العام ورخاء المجتمع . وكان ذلك بمثابة قطيعة واضحة مع المذهب الوهابى ، لذا لم يلق تأييدا لدى رجال الدين وظل رأيا خاصا بالوزير (٦٤) .

وقبل ذلك لم يكن ثمة صدى ايجابى لنداء الامير طلال زعيم حركة «الامراء الاحرار» الذى دعا الى ان تشرع الابواب امام الاجتهاد (٦٥) . اما الفئات الاجتماعية الاخرى ، وخاصة المعارضة الديمقراطية الثورية ، فانها بحثت عن حل لمشاكل المجتمع الرئيسية خارج اطار الشريعة .

بيد ان علماء الدين السعوديين وجدوا فى احكام الشريعة منفذا لتبرير الاصول القانونية الجديدة اللازمة لادارة الاقتصاد والمجتمع . فقد اتفق رجال الدين فى صدر الاسلام على تقسيم احكام الدين الى واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح . وقد استخدمت الدولة فى المملكة العربية السعودية «المباح» فاعتمدت منذ العشرينات النظم والمراسيم الملكية التى كانت عمليا بحكم القانون وان لم تتخذ شكله (٦٦) .

اضطرت المحاكم السعودية التى تعتمد الشريعة ، الى نقل جزء من وظائفها الى هيئات ادارية او مؤسسات اجتماعية مثل الغرف التجارية والصناعية (٦٧) . وفى البدء كانت كل الحالات غير المنصوص عليها فى الشرع الاسلامى يبت فيها اعتمادا على القانون المدنى العثمانى الموضوع فى عهد التنظيمات ، ثم وضع عمليا نظام قانونى جديد عماده المراسيم والانظمة الملكية وقرارات مجلس الشورى . وكمثال على ذلك نذكر اعتماد قوانين السير والمرور وقانون العمل ومرسوم حظر الاضرابات والمراسيم الخاصة بالضرائب

وعمل الشركات واستثمار الرأسمال الاجنبى (٦٨) . وفى عام ١٩٢٦
اسس فى جدة المجلس التجارى ، وهو بمثابة غرفة تجارة ، ومنذ عام
١٩٣١ اعتمدت «اصول التجارة» المعتمدة على القانون التجارى العثمانى
لسنة ١٨٥٠ ، بعد اسقاط كل المواد المتعلقة بالفوائد والارباح .
وفى سنة ١٩٥٤ حلت وزارة التجارة محل المجلس المذكور ،
واسست غرف تجارية فى عدد من المدن السعودية . منذ مطلع
السبعينات بدأ تأمين كل اشكال الملكية ، ولكن التأمين لم يشمل
الحياة . وفى سنة ١٩٧٠ الغيت القواعد العامة للملاك الموضوعة عام
١٩٥٧ واستعير عنها بلوائح الانضباط الالزامية للموظفين
والمستخدمين كافة (٦٩) .

ان النظام القضائى الذى ارسيت اسسه فى السعودية خلال
العشرينات والثلاثينات قد استمر معمولاً به فى العقود التالية . بيد
ان هيئة التدقيقات القضائية الغيت فى السبعينات وحلت محلها
وزارة العدل والمجلس القضائى الاعلى .

وفى اواسط الخمسينات اسس ديوان المظالم التابع لمجلس
الوزراء للنظر فى القضايا الهامة والمتنازع عليها وصار الديوان
بمناخ الحكم وهو فى الوقت ذاته مرجع ادارى ينظر فى الشكاوى
المرفوعة ضد الادارات الحكومية وفى قضايا الرشاوى ومقاطعة
اسرائيل والنزاعات الكبرى التى لها صلة بالقبائل والاجانب . ويرى
بعض الباحثين الامريكان والبريطانيين ان ديوان المظالم يعود فى
جذوره الى التقاليد القضائية الفارسية قبل ظهور الاسلام والتى
اعتمدتها الشريعة فيما بعد . وينسبون الى ان انبعث ديوان المظالم
فى السعودية واتساع وظائفه هو دليل نوع من المرونة لدى مقلدى
المذهب الحنبلى (٧٠) .

ان كل سكان المملكة العربية السعودية سواسية امام القانون
من الناحية الشكلية . ولكن فى واقع الحال كان افراد الاسرة المالكة
وكبار علماء الدين وابناء العوائل الارستقراطية الكبرى يتمتعون
بحصانة قضائية وهم فوق القانون عملياً . وعلى النقيض من ذلك ،
فان الاحكام السائدة ذاتها تنتهك حينما تروم السلطات التنكيل
بالمعارضة الديمقراطية الثورية .

الخلاصة

شهدت فترة ما بعد الحرب تطورا فى استخراج النفط وزيادة صادراته وتكريره فى المملكة العربية السعودية ، مما احدث تأثيرا عميقا متعدد الجوانب ، وان كان متناقضا ، فى اقتصاد البلد والمجتمع والسياسة ، وادى الى تحولات اجتماعية اقتصادية هامة . لقد نقلت مؤسسة عصرية هائلة عالية التطور من حيث التكنولوجيا وتنظيم العمل ، من اكثر دول العالم الرأسمالى تطورا الى بلد تسوده العلاقات الاقطاعية القبلية لاقتصاده سمات القرون الوسطى او حتى ما قبلها . وحينما عكفت الشركات الامريكية على انشاء هذه المؤسسة استنادا الى اغنى مصادر النفط فى العالم ، فانها وضعت نصب عينها مهمة استخراج الخامات الثمينة من جوف اراضى البلد والحصول على اقصى الارباح .

بيد ان وجود هذه المؤسسة بحد ذاته احدث فى البلد تغيرات لا نكوص عنها . فقد تكونت فى السعودية نواة بروليتاريا صناعية عصرية اثبتت ، بما قدمته من مطالب اقتصادية وسياسية ، ان بواكير الوعى الطبقي اخذت تظهر لديها . وقد ظل القطاع الرأسمالى المعاصر لفترة من الوقت جسما غريبا فى الكيان الاجتماعى الاقتصادى السابق للرأسمالية فى البلد . ولكن بدأ بالتدرج وبوتائر متسارعة تطور التجارة وفروع الاقتصاد الثانويّة والمواصلات وبعض المؤسسات الرأسمالية الوطنية ، حول هذا القطاع وبتأثيره .

لقد ازداد حجم عوائد الدولة المباشرة فى السعودية بفعل تنامى استخراج النفط وارتفاع اسعاره ارتفاعا كبيرا منذ بداية السبعينات . وحتى فى الظروف التى كان ابانها جزء كبير من هذه الاموال ينفق لاغراض «الاستهلاك» ، فانها حفزت تطور العلاقات السلعية النقدية وهدم الانماط القديمة وظهور النمط الرأسمالى .

وتسارعت هذه العملية اكثر من ذى قبل عندما اخذ رصيد التراكم الوطنى ينمو بسرعة ، واضطرت الدولة الاقطاعية الى الاضطلاع بمهمة انشاء قطاع الدولة الرأسمالى .

عند حلول السبعينات كان البلد قد حقق بعض النجاحات فى تطوير الاقتصاد وتغييره وانشأ من الاساس عمليا نظاما للتعليم المدنى يضم شبكة واسعة من المؤسسات الدراسية على اختلاف مراحلها ، بما فيها الجامعات ، وارسى اسس التطبيق الحديث . ولكن هذه النتائج لا يمكن ان توصف حتى بانها متواضعة ، اذا اخذنا بعين الاعتبار حجم الموارد المالية التى تدفقت على الطبقة الحاكمة فى البلد . واقتصرت هذه الطبقة على «استهلاك» مبالغ طائلة وانفاقها فى وجوه لا انتاجية على القوات المسلحة واجهزة القمع والجهاز البيروقراطى . اما المشاريع الاجتماعية الاقتصادية الحكومية فلم يكن الحافز اليها الطموح الى التقدم ، بل ان وراءها دوافع دعائية وسياسية ، ومحاولة اقناع سكان البلد بان عوائد النفط ليست من نصيب العائلة الحاكمة واحاشيتها فقط ، بل انها تنفق لخير الشعب كله (كذا !)

ان النظام الاجتماعى السياسى البالى كان عقبة وحائلا فى طريق الاحتياجات الموضوعية لتنمية المجتمع السعودى ، ابتداء من بناء الاقتصاد الوطنى المتعدد الفروع المستند الى التكنولوجيا الحديثة وانتهاء بتحضر البدو ، ومن مساواة المرأة الى اعداد الكوادر الوطنية واستخدامها بشكل منتج . ومع ان هذا التعارض كان عميقا وموجعا بحد ذاته ، الا ان ما زاد فى الطين بلة ان النظام البالى كان فشيا من الناحية التاريخية . فالدولة الاقطاعية المركزية التى لم يكتمل تكونها الا فى العشرينات والثلاثينات لم تكن متماشية مع مستوى مجتمع الجزيرة فى ذلك الحين فحسب ، بل انها ايضا كانت بالنسبة له خطوة الى الامام بالمقارنة مع التششت القبلى الاقطاعى والاحتراب الداخلى والنزعات الانفصالية . غير ان المجتمع السعودى واشكال التنظيم السياسى الجديدة عليه كانت متخلفة عن العصر لقرون طويلة . وقد اقتحمت الرأسمالية «الحرم» الاقطاعى القبلى بالجزيرة بما لديها من مؤسسات عصرية ووسائل اتصالات وعلاقات نقدية سلعية وتكنولوجيا عسكرية وتنظيم . وادى ذلك كله الى ظهور طبقات وفئات اجتماعية جديدة وتسرب افكار جديدة .

وبالرغم من سلفية الطبقة الحاكمة فى السعودية فانها كانت لبعض الوقت مستقرة نسبيا وقادرة على الاحتفاظ بالسلطة وحاولت التكيف مع الظروف المستجدة . ومن خصائصها انها نشأت فى رحم مجتمع الجزيرة ولم تكن مفروضة من الخارج . وعند حلول السبعينات تمثلت هذه الطبقة بال سعود الذين كانوا بمثابة «العشيرة المهيمنة» وبالصفوة الاقطاعية القبلية والدينية المرتبطة بال سعود بروابط اجتماعية سياسية وعلاقات قربى ، كما تمثلت ايضا بالبرجوازية التجارية المضاربة . ويتأتى الاستقرار النسبى لسلطة آل سعود من انهم كانوا ينكلون بالحركة العمالية والمعارضة الديمقراطية الثورية من جهة ، بينما تقوم «عشيرتهم» من جهة اخرى بتلبية مصالح الحلقات الاخرى من الطبقة الحاكمة والبيروقراطية ومنتسبى القوات المسلحة ، مما يكفل ولائهم . وفى الستينات والسبعينات وازن آل سعود بعذر بين الاوساط السلفية المهيمنة فى الطبقة الحاكمة وبين الاعداد المتزايدة من انصار الاصلاحات والتحديث النسبى .

امتازت الطبقة الحاكمة فى السعودية بسمة خاصة وهى ان الجزء الاكبر من عوائدها لم يكن مستمدا من الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، سواء اكانت الارض او المواشى او المصانع ، وليس من الممتلكات الاقطاعية ، ولا عن طريق استغلال جماهير الكادحين من رعايا البلد . بل ان الثروات تدفقت عليها بفضل موقعها كزمرة اقطاعية قبلية حاكمة من النمط الشرقاوسطى تستند الى ماكنة الدولة التى تشكل هى ذاتها الجزء الاعلى منها ، والى جهاز القمع المتمثل بالجيش والشرطة والقضاء ، والى بقايا التنظيم الحربى القبلى . ويتمثل المصدر الرئيسى لدخل هذه الزمرة فى ريع الارض الفريد (المنطبق مع الريع - الضريبة) المتكون بفضل وجود كميات هائلة من النفط فى البلد . ولئن كان من المؤكد ممارسة الاستغلال حيال العمال القليلي العدد نسبيا (بضع عشرات الآلاف فى شركات النفط وشركات المقاولات) ، فان نسبة الناتج الفائض من عملهم كانت ضئيلة جدا بالمقارنة مع القيمة الاجمالية للخامات المستخرجة . وقد استثمرت الطبقة الحاكمة بشكل غير مباشر عمل الامريكان والاوربيين الغربيين واليابانيين الموظفين فى معدات النفط والتكنولوجيا . ولكن هذا العمل المعجسد ماديا بدوره لم يشكل

سوى جزء ضئيل من قيمة النفط المستخرج ، والذي هو ملك لشعب البلد ولكن الطبقة الحاكمة اغتصبته واستأثرت به .

وبمعنى ما يمكن القول بان الريع النفطى حل محل الواردات السابقة للنفقة الاقطاعية القبلية والتي لم تكن تحصلها مباشرة من البدو او الحضر التابعين لها ، بل عن طريق الاستغلال الخارجى . وبدأت الفئة الاقطاعية القبلية «متبرجز» ، اى تساهم فى المضاربة بالاراضى وتجارة الاستيراد والمقاوالات الحكومية . بيد ان كل هذه النشاطات كانت ثانوية ومعتمدة على المداخل النفطية ، وغالبا ما كان هذا النوع من «الاعمال» مجرد نشاط متطفل على الريع النفطى .

اكتسبت الطبقة الحاكمة فى السعودية ، كما هى الحال بالنسبة لسائر الممالك النفطية فى الجزيرة العربية ، خاصية متميزة . فقد ظلت فى الغالب طبقة اقطاعية (رغم انها «متبرجة») داخل البلد ، ولكنها صارت فى الخارج جزءا من الاوليفارشيا المالية العالمية . فان الثروات الطائلة المستثمرة او الموظفة فى الاوراق المالية او بنوك الولايات المتحدة الامريكية واوروبا الغربية ، قد جعلت من وجهاء السعودية مجموعة مالية متنفذة فى العالم الرأسمالى ، رغم ان غياب الكوادر والجهاز المصرفى والخبرة ادى الى جعل تأثيرها الفعلى ووزنها اقل بكثير من حجم حساباتها المصرفية وما يعوزتها من اوراق المال . وان الفرق بين الاموال «الخاصة» لآل سعود وخزينة الدولة لم يكن ابدا فى هذه المملكة من الاهمية بحيث يدفع الى طرح تساؤل حول عائدة الاموال المستثمرة فى الخارج . وعبر قنوات الهيئات المالية الدولية والشركات المتعددة الجنسيات ، تشارك هذه الطبقة الحاكمة فى الاستغلال المباشر للكادحين فى البلدان الرأسمالية المتطورة والنامية على حد سواء ، وان كانت مشاركتها ثانوية وغالبا على شكل مساهمة فى الحصص .

من الطابع المزدوج للطبقة الحاكمة فى السعودية - اقطاع «متبرجز» داخل البلد وبرجوازية مالية فريدة على النطاق الدولى - ينبع تناقض سياستها الخارجية ، الوهمى احيانا والفعلى احيانا اخرى . فقد تعين على النظام الملكى ، بوصفه حليفا وزبونا للامبريالية الامريكية وجزءا من الرأسمال المالى الدولى الذى تجمعه به مصالح مشتركة ، ان يدعم النشاطات السياسية الخارجية الامريكية . ولكن ملك السعودية (المعبر عن مصالح الاسرة الحاكمة

والطامح الى استقرار النظام داخليا) بوصفه سادن الحرمين وامام
«الموحدين» ، اضطر الى الوقوف ضد العدوان الاسرائيلى
والصهيونية وعلان المقاطعة النفطية الموجهة ضد الولايات المتحدة ،
ومساندة قضية الشعب العربى الفلسطينى العادلة والمطالبة بتحرير
شرقى القدس من «المشركين» حيث الجامع الاقصى ، والتبديد
باتفاقيات كامب ديفيد واتفاقية «السلام» المصرية الاسرائيلية .
جرى توزيع ريع النفط فى السعودية بشكل مركزى ، سواء
عن طريق الاقتسام المباشر لجزء من العوائد وتوزيعها على افراد
الطبقة الحاكمة ، او عن طريق الاختلاس الذى صار شبه علنى
رسميا . ويتدفق سيل الاموال الاساسى من الاعلى الى الاسفل :
من الملك الى حاشيته والنخبة الاقطاعية القبلية والدينية والتجار .
وهذا ايضا استمرار للممارسة المعهودة سابقا فى الدولة الاقطاعية
بالجزيرة .

من خلال التجارة والمضاربة بالاراضى والمقاولات وبناء المساكن
والصناعات الصغيرة نشأت فى البلد برجوازية . وعند حلول
السبعينات كان مقام البيوتات التجارية الكبرى فى المجتمع السعودى
مكافئا لمقام شيوخ البدو المتنفيدين رغم ان ثروة التجار المستمدة
من التجارة والمضاربة اكبر بكثير . وكانت البرجوازية السعودية
الكبيرة تتطفل الى حد كبير على عوائد النفط والريع النفطى ،
مستأثرة منه بحصة الاسد اثناء اعادة التوزيع ، ومستغلة تخلف
المجتمع السعودى . وهذا هو سبب تمسكها بالنزعة السلفية فى
الشؤون الاجتماعية والسياسية . وعلاوة على ذلك فانها التحمت
بوشائج وثقى مع النظام عموما وبشكل مباشر مع آل سعود . وكان
النظام القائم ملائما لها (البرجوازية الكبيرة) نظرا لانه ساعد على
اغتنائها السريع وضمان الاستقرار الاجتماعى اللازم لها عن طريق
التنكيل او شراء الضمائر . وتولت الدولة تمويل الشركات
السعودية ، بطريق مباشر او غير مباشر ، وذلك بتزويدها
بالقروض والسلف والعقود المربحة ، وباعفائها من ضريبة الدخل
وضريبة الشركات ومن رسوم استيراد المعدات والمكانن
والمواد (١) .

جرى اتحاد البيوتات التجارية مع الطبقة الاقطاعية القبلية
الحاكمة باتجاهين . فقد اخذ عدد متزايد من ممثلى النخبة الاقطاعية

القبلية - ابتداء من افراد آل سعود و انتهاء بشيوخ العشائر الصغيرة - يمارس التجارة والمضاربة باعتبارهما عملا مغريا وذا مردود كبير . ولكن آل سعود بدورهم اضطروا الى منح التجار مناصب تعود عليهم بالجاه والمال . فقد اسندت الى ممثلى عائلتى على رضا والغصينى التجاريتين الكبيرتين مناصب مسؤولية فى الوزارات والسفارات والمصالح الكبيرة . ولم يجر تصاهر بين اسر التجار التى ليس لها نسب عريق ، وبين النخبة الاقطاعية القبلية التى تفاخر «كرم المحتد» وبالاجداد . ولكن ذلك لم يحل دون قيام تعاون عملى واجتماعى وسياسى بين الجهتين .

يبدو ان النزعة المحافظة للفئات العليا من البرجوازية التجارية لم تكن نابعة عن اسباب داخلية . فان تعاملها التقليدى مع الرأسمال الاجنبى حولها الى ممثل مباشر له عند استيراد البضائع الجاهزة والغامات والمعدات ووكيل له فى المقاولات ، واضفى ذلك عليها طابعا كومبرادوريا سافرا . وينسحب هذا التقييم على البرجوازية الجديدة التى نشأت حول ارامكو فى المنطقة الشرقية ، وعلى فئة التجار التقليدية فى الحجاز . لذا لا يمكن اعتماد مصطلح «الوطنية» على البرجوازية السعودية الكبيرة الا بعد حصره بين هلالين او بتحفظات كبيرة .

ليست لدينا معطيات حول التناقضات الملموسة بين الصفوة الحاكمة والبرجوازية التى رسخت اقدامها . ولكن يمكن الافتراض بان البرجوازية التجارية المضاربة قد ساءها ان الحصة الاكبر من الكعكة النفطية من نصيب آل سعود وليس من نصيبها . وبما ان البرجوازية هى ، من حيث العموم ، اكثر تنورا وتعلّما من «العشيرة الحاكمة» فانها ادركت بوضوح اكبر خطر تعمق الهوة بين الفئات «العليا» و«الدنيا» وتلبسها الخوف من ان السلفية الصارخة للنظام قد تهدم صرح الملكية والبيوتات التجارية القديمة والجديدة على حد سواء . لذا فانها ، ورغم تمسكها بالنزعة المحافظة ، دعت الى اصلاحات .

كما لا تتوفر معلومات حول امزجة الفئات الوسطى من البرجوازية الوطنية التى يمكن ان يدرج فى عدادها تجار الجملة والمفرق المتوسطون وفئة الفلاحين الاثرياء التى ترسخت مواقعها وشرعت تمارس اعمالها على غرار المزارعين الامريكان ، واصحاب

الورشات والمؤسسات غير الكبيرة في مجال الصناعة الخفيفة والخدمات وتصلح السيارات والادوات المنزلية . وبوسعنا الافتراض بان هذه الفئات ، رغم حصولها على عوائد متنامية من النهوض الاقتصادي ، قد ساءها الغياب التام للحقوق السياسية . فخلافا للبيوتات التجارية الكبرى لم يكن لهذه الفئات صوت عند اتخاذ القرارات حتى على «المستوى الفني» . وهذه الفئات التي لها نصيب اقل من التعليم والتمسكة عادة بالتقاليد والواقعة تحت تأثير المطاوعة وعلماء الدين ، كان يمكن ان تشكل معارضة محافظة للنظام ، تثير استياءها التصرفات الخارجة عن المألوف واسراف الصفوة الحاكمة ، وكذلك ما تقوم به من اصلاحات محدودة تعتبرها هذه الفئات من قبيل البدع .

كان جزء من عوائد النفط يصل ، بشكل مباشر او غير مباشر ، الى فئات المدن والمجموعات الوسيطة مثل موظفي الجهاز البيروقراطي ومنتسبي الجيش والشرطة والخبراء الفنيين والمدرسين . وحصل شطر من قبائل البدو «الكريمة المحتد» الموالية للأسرة الحاكمة على منافع كبيرة عبر المخصصات الحكومية . وهكذا اتسعت القاعدة الاجتماعية للنظام : اذ ان جزءا من هذه المجموعات السكانية صار من الفئات الدنيا للطبقة الحاكمة ، يحصل لقاء ولائه على مكافآت مجزية .

ولكن من بين الفئات المدنية «الوسيطة» او «الوسطى» بالذات ظهرت مجموعات قادرة على التنظيم السياسي . ومن وسطها نشأ ممثلو المعارضة الديمقراطية الثورية للنظام ، من الضباط الشباب والصحفيين والمدرسين والموظفين وصغار التجار . وصار هؤلاء ، الى جانب العمال السعوديين ، نواة لعدد من المنظمات السياسية السرية . ورغم ان طروحاتهم الفكرية كانت مستمدة من الخارج ، الا انهم يمثلون موضوعيا مصالح البرجوازية الوطنية وجماهير السكان الواسعة على حد سواء .

ان اثراء «الصفوة» وازدهار الفئات «الوسيطة» لم ينسجبا على غالبية السكان الا بنسبة ضئيلة . فان الذين لا يمتلكون ارضا على الاطلاق او اصحاب الاراضي الصغيرة ، وكذلك اشباه الرحل المعدمين او الفقراء وصغار الحرفيين ، ظلوا جميعا يتحملون عبء التغييرات الرأسمالية في المجتمع . ونسبة ارتفاع مستوى

معيشتهم اقل بكثير مما تتيحه عوائد الدولة الهائلة . وقد ادى استيراد المواد الغذائية والمنتجات الصناعية الى افلاسهم ، علما بان الانتقال الى مزاولة اشغال جديدة والانخراط فى صفوف البروليتاريا قد رافقهما هدم موجه للنمط القديم ، لطراز الحياة ، ولم يصحبهما باستمرار ودفعة واحدة تحسن فى المستوى المعيشى . وبالنسبة لغالبية سكان السعودية كانت اشكال الاستغلال السابقة للرأسمالية تقترن بالاشكال الرأسمالية .

فى الخمسينات والستينات اشتغل فى اجهزة الدولة وفى مجال الاعمال والمهن الحرة عشرات الآلاف من الاجانب : مدراء ومهندسون وفنيون ومدرسون واطباء وصحفيون واقتصاديون . وقد اضطلعوا بالدور الاجتماعى الاقتصادى الذى كان ينبغى ان تقوم به «الفئات الوسطى» فى المجتمع السعودى ، غير ان اولئك الاجانب ظلوا وكأنهم خارج المجتمع . وتفاقم هذا الوضع فى اواخر الستينات وفى السبعينات بعد ان ادى تنامى المداخل وتطور الاقتصاد الى تدفق مئات الآلاف من الوافدين المؤهلين وغير المؤهلين الذين اصبحوا يشكلون غالبية العاملين بالاجرة سواء بين «الفئات المتوسطة» او بين العمال . ولم تحصل الغالبية الساحقة من الوافدين على الجنسية السعودية بل ان هؤلاء استورثوا ، ضمن ظروف اجتماعية اقتصادية وتاريخية جديدة ، الدور الذى كان يفرد تقليديا للصناع والمعتوقين فى مجتمع الجزيرة . فقد كان بوسع الصناع او المعتوق ان يصبح من اصحاب الثروة والجاه ولكنه لا يصبح ابدا ندا للاستقرابية الحاكمة ولا يتمتع بالحقوق السياسية . وخلق ذلك توترا اجتماعيا ذا طابع جديد ، رغم ان الوافدين ظلوا سلبيين ازاء السياسة لحاجتهم الى الكسب وبسبب خضوعهم لرقابة صارمة من الشرطة واجهزة الامن .

يصعب ايجاد سلم معايير لتحديد درجة تطور العلاقات الرأسمالية فى المجتمع السعودى ابان «العصر النفطى» . واذا اعتمدنا معيارا نسبة عوائد مؤسسات النمط الرأسمالى ، بما فى ذلك استخراج النفط ، فى الناتج الوطنى الاجمالى ، لبدا ان المجتمع السعودى كان يمكن تسميته «رأسماليا» منذ اواسط الاربعينات ، ومن الواضح ان هذا امر غير جائز . اما اذا تحدثنا عن عدد او نسبة المرتبطين بالانماط السابقة للرأسمالية فانهم

كانوا حتى بداية السبعينات يشكلون اكثر من نصف السكان الاصليين فى البلد . كما ان شكل توزيع عوائد النفط بين الطبقة الحاكمة كان هو الآخر سابقا للرأسمالية الى حد كبير . ويبدو ان من الارجح اعتبار السعودية فى الستينات والسبعينات مجتمعاً «اقطاعياً - رأسمالياً» . ومن الطبيعى ان تكون الحدود بين الفئات الاجتماعية متعرجة وهلامية احيانا فى مجتمع مثل هذا تداخلت فيه الرأسمالية مع علاقات اقطاعية قبلية يزيد من تعقيدها ان بنيتها تكاد تكون شبه فئوية .

ومنذ الثلاثينات بدأ الوهن يدب فى البنية القبلية بفعل قيام دولة مركزية وحظر الحروب والغزوات بين القبائل وانتهاء وجود القبائل او مجموعات القبائل كوحدات سياسية مستقلة . وتسارعت عملية الاستعاضة عن التضامن القبلى بروابط اجتماعية اخرى مع تحضر البدو ونمو المدن ، واشترك افراد مختلف القبائل فى النشاط الصناعى والتجارى وهجرة السكان من منطقة الى اخرى (٢) .

بيد ان العربية السعودية ، شأن الكثير من البلدان الاخرى التى تسودها تقاليد القرابة والعشيرة القوية ، برهنت على ان صلات القربى والدم تبقى فى الظروف الاجتماعية الاقتصادية الجديدة ، وتندوم فترة اطول بكثير من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية وغيرها من الظروف التى نشأت عنها . وظلت رابطة الدم والانتماء الى الفخذ او العشيرة تحدد موقع الفرد فى المجتمع ونجاحه (او اخفاقه) فى الارتقاء سواء فى مجالات العمل التقليدية او الجديدة (٣) . وكانت مصالح وتضامن المجموعة المتراصة بوشائج القربى تأتى فى المجتمع فى المقام الاول مقارنة بمصالح الفرد وكل من هو خارج هذه المجموعة . واستمرت علاقات المحسوبية والمنسوبية بالنسبة لافراد العائلة او الفخذ او العشيرة هى السائدة فى المجال الاقتصادى وفى جهاز الدولة البيروقراطى والقوات المسلحة . واعتبر الحفاظ على شرف العائلة وسمعتها مسؤولية كل فرد ، وواجب الثأر لزاما على الاقارب مهما نأت علاقات القربى . وظلت سمعة الشيوخ ووجهاء القبائل عالية .

اننا نتحاشى ، عن قصد ، استخدام اصطلاح «النزعة القبلية» بالنسبة للعربية السعودية لان الباحثين تعارفوا على اعتماده عند

الحديث عن مجتمعات البلدان الافريقية الواقعة جنوبى الصحراء ،
بينما تقتصر نحن على استخدام تعبير «روابط الدم والقربى
والعشيرة» . ورغم ان الاسلام اقر مبدئيا بان البشر سواسية ،
الا انه ظل طوال قرون متعاشيا مع البنية القبلية شبه الفئوية
لمجتمع الجزيرة . وبعد انهيار حركة الاخوان اندمجت العلاقات
القبلية وروابط الدم والقرابة ببنية الدولة المركزية التى تعود
من حيث الجوهر الى الفترة الاقطاعية المبكرة . ومن البديهي انه
كان من المتعذر اندثار العلاقات المذكورة خلال ثلاثة او اربعة عقود
من «عصر النفط» . فما برحت الروابط العائلية - العشائرية تعتبر
اهم من الكفاءة والمثابرة وغيرها من النصال العملية ، كما ان
الثقة الشخصية والاعجاب يعدان اهم من الدقة فى الحسابات
الاقتصادية . ويصعب الجمع بين ذلك كله وبين تطور العلاقات
الرأسمالية ، او اى تحديث على العموم .

وقد ظلت علاقات الدم والقربى ستارا يغطى الاستغلال الطبقي
والفوارق الطبقيه فى مجتمع الجزيرة . وكان التعاضد العشائرى
وعلاقات الراعى والرعية والهيبة الابوية لشيخ القبيلة او البطن ،
اقوى فى احيان كثيرة من الصلات الاجتماعية الجديدة والانتماء
الطبقى .

لكن طابع الصلات العائلية تغير تدريجيا رغم احتفاظها بقوتها
فى المجتمع السعودى . واخذت اتحادات القبائل تضمحل شيئا فشيئا
مفسحة المجال لمجموعات عائلية اضيق نطاقا . وتجلت هذه
التغيرات باوضح صورها فى الشريعة ذات التحصيل المدنى ، بين
اوساط الموظفين والتجار والمثقفين والعمال المهرة . واخذ
السعوديون المتعلمون يبتعدون اكثر فاكتر عن تعدد الزوجات ،
ولا يعزى ذلك الى ارتفاع تكاليف الزواج فحسب ، بل ويعزى ايضا
الى ان الزيجة الواحدة تتماشى اكثر مع نمط الحياة ووظائف الانسان
المعاصر . وتميل هذه العوائل الى منح فرص التعليم ليس للبنات
فقط بل وللزوجات ايضا . ويعكس وجود مثل هذه العوائل ارتقاء
نمط الحياة والتفكير ، النابع من الاشكال الجديدة فى التعليم
والتجربة ومن صراع الاجيال . غير ان التعليم المدنى (الدنيوى)
والمداخل العالية لا تؤدى بالضرورة الى انحلال الروابط العائلية .
فان الشباب ، رغم ابتعاده عن الاسرة ، يستمر فى اداء فروض

الاحترام والعرفان لوالديه مقيما معهما علاقات شخصية قوية . ويؤثر الاقارب ان يسكنوا فى اماكن متجاورة حتى فى المدن العصرية . ولم تخلع المرأة العباءة فى المحلات العامة ، وهى لا تقبل بان يراها رجل من خارج نطاق الاسرة الضيق .

نذكر بان كلمة «العرب» ذاتها تعنى فى الجزيرة البدو فى المقام الاول . ولم تكن تشمل الفلاحين الذين توارثوا المهنة والعبيد والمعتوقين و«القبائل الوضيعة» والصناع . اما الآن فقد صار للكلمة معنى اوسع وهذا من ثمار القرن العشرين .

ان الوعى الوطنى ، ونقصد وعى الانتماء الى امة «عربية سعودية» كان ضعيفا ، الامر الذى اكده باحثون غربيون ايضا (٤) . وان ظهور وسائل الاتصال والاعلام الجديدة وتنامي الترابط الاقتصادى بين مختلف المقاطعات والصلات مع الاجانب والسفر الى الخارج (مما ادى الى تبيان الفرق فى الحضارة ونمط الحياة بين العربية السعودية والبلدان الاخرى) ، تلك العوامل جميعا ادت الى استحداث تكون الامة ، والى نشوء مشاعر الانتماء الوطنى . ولكن ليس ثمة شك فى ان التكون الفعلى «لالمة العربية السعودية» حتى فى اطار «الامة العربية» ، مازال بعيدا جدا عن المستوى الذى بلغته هذه العملية فى مصر او سورية مثلا . وبالرغم من وحدة اللغة والثقافة والتاريخ والارض والوحدة الاقتصادية التى هى فى طور التكون ، فان الروابط العائلية - القبلية والدينية ظلت ، حتى بداية السبعينات على اقل تقدير ، اقوى من الصلات «الوطنية العامة» .

يمكن الموافقة على ما ذهب اليه م . وينير فى مقاله «العربية السعودية . استمرارية الصفة التقليدية» ، حين ذكر «ان الروابط العشائرية ووزن القبائل فى التنظيم السياسى للعربية السعودية ما برحت هائلة للغاية ، لذا يصعب الحديث عن القومية بمعناها المتعارف عليه» (٥) . وكانت فكرة الدولة الوطنية القائمة على ارض واحدة - الوطن - بحد ذاتها جديدة على مجتمع الجزيرة . فان فكرة «الوطن» الذى يحرص الانسان على تأكيد ولانه له بالدرجة الاولى ، تناقض روح الاسلام الذى يركز على وحدة الموحدين ويجعل منهم نقيضا للمشركين .

وقد اقتصر الوعى الوطنى والمشاعر القومية على شريحة صغيرة

من السكان المرتبطين بالقطاع العصري فى الاقتصاد ،
وبالبيروقراطية المدنية والعسكرية . اما الذين سموا انفسهم
«قوميين» فانهم كانوا اقرب الى دعاة الاصلاح والتحديث ، منهم الى
الطامحين الى بناء مجتمع اكثر عصرية . غير ان مشاعرهم كانت
مبهمة الى حد بحيث ان الجناح اليسارى من «القوميين» رفض حتى
تسمية «السعودية» عند الحديث عن الشعب والامة ، بسبب الموقف
من آل سعود .

الى جانب صلات الدم والقربى ، ظل الاسلام قوة تقليدية
مهيمنة فى المجتمع السعودى ، وانتظم البنية الاجتماعية السياسية
التي تكونت بناء على احكامه وسننه الاجتماعية .
وقد مارس الاسلام فى المجتمع السعودى تأثيرا مكثفا
ومتواصلا ، يفوق تأثيره فى اى من بلدان العالم الاسلامى ، نظرا
لان هذا البلد كان مهد الاسلام وظل بمنأى عن التأثيرات
الايدولوجية والحضارية المنافسة له . ولم تتعرض السعودية قط
لتأثير ثقافة اجنبية مضاه لتأثير الثقافة الفرنسية فى المغرب
العربى ولبنان ، والثقافة الفرنسية والانجليزية فى مصر ، بل وحتى
تأثير الثقافة الانجليزية فى امارات الخليج واليمن الجنوبي . ولكن
فى اواخر الستينات ومطلع السبعينات بدأ تغلغل التأثير الأمريكى
بفعل تدفق بعض القيم الاستهلاكية من الطراز الأمريكى وتلقى
بضعة آلاف من السعوديين تحصيلهم فى الولايات المتحدة . بيد
ان ذلك التأثير كان محدودا ولم يمس سوى جزء من الشرائح
الموسرة والمتعلمة .

ثمة مسألة مازالت معلقة فى العلم العالمى : هل كان الاسلام
بعد ذاته فى القرون الوسطى عقبة امام نشوء وارتقاء العلاقات
الرأسمالية ام لا ؟ ولكن فى العربية السعودية كان الاسلام بصيغته
الوهابية (الحنبلية) مرتبطا بالمؤسسات الاجتماعية التقليدية
(كنظام توزيع مداخيل خزانة الدولة الذى عفا عليه الزمن) وبنظام
السلطة الهالى ممثلا بال سعود والمجموعات المرتبطة به ، وبنظام
القوانين (الاحكام الشرعية) الذى لم يعد مناسباً للعصر وبالتعليم
التقليدى الذى يركز على تدريس العلوم الدينية ، وبتفكير القرون
الوسطى والايمان بالمقدر والمكتوب . لذا فان دعاة التحديث فى
العربية السعودية ، ابتداء من «الامراء الاحرار» وانتهاء بالمعارضة

الديمقراطية الثورية ، طالبوا جميعا بتحديث الاسلام بما يتماشى ومتطلبات الربيع الاخير من القرن العشرين ، واجراء تغييرات اجتماعية اقتصادية سريعة في المجتمع السعودي .

ان المذهب الوهابي في الاسلام والروابط القبلية العشائرية هي من العوامل القائمة فعلا والطويلة الامد في المجتمع السعودي . وحتى في ظل النمو السريع للعلاقات الرأسمالية ، فان هذه العوامل سوف تمارس تأثيرها في تطور البنية الاجتماعية السياسية وطابع النزاعات الثورية المحتملة .

جرت التغيرات في المجتمع السعودي بوتائر اسرع مما في سائر بلدان الشرق الاوسط ، مع مراعاة نقطة انطلاق كل منها بالطبع . وقد اختلف التوازن الاجتماعي القديم وزال الى الابد . وواجه البلد تناقضات داخلية حادة لم يعرفها من قبل . وهذه التناقضات نابعة من تغير البنية الطبقية والتوطد التدريجي لمواقع البرجوازية ونمو الطبقة العاملة والوهن الذي دب في روابط الدم والقربى والعشيرة ، وتصادم مصالح مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية ، والتضاد بين المفاهيم التقليدية والافكار الاجتماعية السياسية الجديدة . ولكن يصعب علينا تقييم درجة التوتر الاجتماعي في البلد . فان الصحافة السعودية لم تعكس ابدا المشاكل الاجتماعية ، كما ان الاحزاب السياسية والنقابات والنوادي والتجمعات محظورة ، والتجأت المعارضة الديمقراطية الثورية ، مضطرة ، الى العمل السري او الهجرة ، لذا فان الوقائع والشواهد غير مباشرة وليست شمولية .

حتى السبعينات لم ينشأ في العربية السعودية وضع اجتماعي متفجر . فقد احتفظت الطبقة الحاكمة ورأس الهرم الاجتماعي الممثل بال سعود بالسلطة ، وبينت انها لا تعتزم التخلي عنها . وقامت بالنزول اليسير من الاصلاحات هذه الطبقة بالذات ، وليس ممثلو «الفئات الوسطى» او الجيش او البيروقراطية او البرجوازية الذين تسلموا زمام الحكم في غالبية البلدان العربية الاخرى . وازاء ضغط الشريعة المتعلمة في الجهاز البيروقراطي والقوات المسلحة واوساط رجال الاعمال شرع آل سعود بتحديث حذر للمجتمع . ففي الستينات والسبعينات اقر قانون عمل جديد وخطط اقتصادية وبدأ البث التلفزيوني واعتمد التعليم المدني ، بما في ذلك مدارس

البنات ، واجريت بعض التعديلات فى مجال الاحوال الشخصية .
وكان من المتعذر اعتماد اى من هذه «البدع» قبل عقدين او ثلاثة ،
ولكن الطبقة الحاكمة حاولت جعل «التحديث» درعا يقيها من الهزات
الاجتماعية التى تهدد وجودها بالخطر . وبعد ان ادركت الاسرة
السعودية ان المعارف العصرية امر لا غنى عنه ، طفقت تغدق المال
لتوفير التعليم الارقى لابنائها ، والى جانب ذلك شرعت تضم الى
قمة الجهاز البيروقراطى عددا من ابناء الفئات الاجتماعية الاخرى ،
وخاصة البرجوازية التجارية ، من المتعلمين ، على ان يكونوا مواليين
لها .

بغية احكام السيطرة على الطبقات والفئات المضطهدة ، عمدت
الطبقة الحاكمة الى تعزيز جهاز القمع والقوات المسلحة . وانفق على
الجيش والحرس الوطنى والشرطة جزء لا يستهان به من الميزانية ،
وجرى استيراد الاسلحة الحديثة والمعدات الفنية . وازداد تعداد
هذه الاصناف الثلاثة بضع مرات خلال الستينات والسبعينات . ولم
يتردد آل سعود فى استخدام اجهزة الامن والقوات المسلحة لقمع
المعارضة الديمقراطية الثورية ، وسائر اشكال المعارضة ، واغراقها
فى بحر من الدماء .

ان عوائد النفط المتنامية باطراد والتى بلغت ارقاما خيالية ،
مكنّت النظام السعودى حتى الان من «دفع جزية» لاسكات المطالبين
باجراء تغييرات جذرية . اذ ان جهاز الدولة المتضخم وغير الفعال
الذى يغدو الانتساب اليه مصدرا للجهل والمال قد عمل على ابتلاع
ذوى النشاط السياسى ومن يحتمل ان يبدى استياء من الوضع .
واغتنت من النهوض الاقتصادى شرائح واسعة . والى حين ضمن
النظام لنفسه قاعدة اجتماعية واسعة ومتينة بدرجة كافية ، تتكون
من الفئات «الوسطى» فى المدن والبيروقراطية وقبائل البدو
«الكريمة المحتد» الحاصلة على مخصصات ملكية ، وكذلك من
اوساط التجار ذوى النزعة المحافظة والبرجوازية الصناعية
الناشئة . بيد ان للمجتمع السعودى خاصية تمثلت فى كون جزء لا
يستهان به من الطبقات والفئات المستغلة المضطهدة التى يحتمل ان
تكون معادية للنظام ظلت امدا طويلا رازحة فى لجة الجهل وواقعة
تحت تأثير شيوخ القبائل وغيرهم من الزعماء التقليديين وكذلك

المطاوعة وعلماء الدين ، الامر الذى جعلها ذات نزعة محافظة ، علاوة على ان السلطات عملت على «اطعامها» بالفتات .
ان هذه المحصلة من الاصلاحات الفوقية والتنكيل و«شراء» جزء غير قليل من السكان والنزعة المحافظة للمجتمع السعودى ، قد ضمنت استقرارا مؤقتا لواحد من اكثر انظمة العالم بدائية . بيد ان التحولات الاجتماعية الاقتصادية ذاتها ، بل وحتى عناصر التحديث المعتمدة ، اضطرارا ، من الاعلى قد وسعت قاعدة النزاعات فى المجتمع السعودى . كما تعمقت التناقضات بين النظام والطبقات والفئات الاجتماعية الطامحة الى اصلاحات اعظم ، والى الاستيلاء على السلطة فى خاتمة المطاف .

لقد اختل التوازن الاجتماعى القديم فى العربية السعودية ، ولكن لم يرق توازن جديد رغم كل ما يبتدع من مرتكزات واجراءات جزئية . وهذه حالة مهزوزة ومشحونة بانفجارات اجتماعية قد تتخذ اشكالا غير متوقعة على الاطلاق . ونظرا لما للعربية السعودية من وزن فى عالم النفط والمال والاسلام ، فان الهزات والزلازل الاجتماعية فى هذا البلد ستكون لها عواقب دولية بعيدة المدى .

الفصل الاول

- Doughty Ch. Travels in Arabia Deserta. Cambridge, 1888, vol. — ١
2, p. 355.
- Volney C.-F. Voyage en Syrie et en Egypte pendant les années — ٢
1783, 1784 et 1785. La Haye, 1959, p. 203.
- Montagne R. La civilisation du désert. Nomades d'Orient et — ٣
d'Afrique. Paris, 1947, p. 45.
- Wallin G. A. Narrative of a Journey from Cairo to Medina — ٤
and Mecca by Suez, Acaba, Tawila, al-Yauf, Jubbe, Hail
and Nejd in 1845. — Journal of the Royal Geographical So-
ciety, London, 1854, vol. 24, p. 198.
- Burckhardt J. L. Notes on the Bedouins and Wahabys Col- — ٥
lected during his Travels in the East. London, 1831, vol. 2,
p. 32.
- Philby H. St. — J. B. The Heart of Arabia. London, 1922, — ٦
vol. 2, p. 97.
- Doughty Ch. Travels ... Vol. 2, pp. 6, 401. — ٧
- Mengin F. Histoire de l'Egypte sous le gouvernement de — ٨
Mohammed Aly. Paris, 1823, vol. 2, p. 175.
- ٩ — بيرشيتس ا. ي. الاقتصاد والنظام السياسي الاجتماعى فى شمال
الجزيرة العربية فى القرن التاسع عشر والثالث الاول من القرن
العشرين. موسكو، ١٩٦١، (باللغة الروسية)، ص ٤٧-٦٦ .
- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, p. 70. — ١٠
- Montagne R. La civilisation ..., p. 45. — ١١
- Wallin G. A. Narrative ..., p. 125; Doughty Ch. Travels. .. — ١٢
Vol. 1, p. 153; Niebuhr C. Voyage de m. Niebuhr en Arabie
et en d'autres pays d'Orient, 1780, en Suisse. Vol. 1, p. 247;
Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, pp. 42-46, 191, 245-246;
Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 174.
- ١٣ — لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب لمؤلف مجهول . تحقيق
احمد مصطفى ابو حاكمه . بيروت ، ١٩٦٧ م . ص ٤٩٩-٥٠١ .

- ١٤ - لمع الشهاب ص ٥١٠-٥١٧ .
- ١٥ - بيرشيتس ا . الاقتصاد ص ٥٧ (باللغة الروسية) .
- ١٦ - Doughty Ch. Travels ... Vol. 1, p. 480.
- ١٧ - Wallin G. A. Narrative ... p. 140; Jaussen A. Contumes des Arabes au pays de Moab, Paris, 1908, pp. 236-238.
- ١٨ - بيرشيتس ا . الاقتصاد ص ٩٥-٩٦ .
- ١٩ - ابن بشر النجدى ، عثمان بن عبد الله . عنوان المجد فى تاريخ نجد ، مكة ، ١٣٤٩ هـ ، ج ١ ، ص ١١ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte. ... Vol. 2, p. 450.
- ٢٠ - لمع الشهاب ص ٢٨٧ .
- ٢١ - Palgrave W. G. Narrative of a Year's Journey through Central and Eastern Arabia (1862-1863), London, 1865. Vol. 1, pp. 315- 461.
- ٢٢ - Doughty Ch. Travels ... Vol. 2, pp. 355, 388.
- ٢٣ - ابن بشر . عنوان المجد ج ١ ، ص ١٢ .
- ٢٤ - Burckhardt J. L. Travels in Arabia. London, 1829. Vol. 1, pp. 40-41, 91, 436-438.
- ٢٥ - Niebuhr C. Voyage ... Vol. 2, pp. 176, 19-20.
- ٢٦ - لمع الشهاب ص ٤٤٧-٤٦٥ .
- ٢٧ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 164.
- ٢٨ - Montagne R. La civilisation ... p. 52.
- ٢٩ - اجمل بيرشيتس هذه المعلومات استنادا الى مواد اى . بوركهاردت وتش . دوتى وش . يويسر وا . جوسان وا . موسيل ور . مونتان وا . بوشمان وج . فيلبى وابحات اخرى (بيرشيتس ، الاقتصاد ص ٦٩-٧٢) .
- ٣٠ - Volney C.-F. Voyage ... , p. 205.
- ٣١ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, pp. 228-229.
- ٣٢ - Huber Ch. Journal d'un Voyage en Arabie (1883-1884). Paris, 1891, pp. 671, 674; Jaussen A. Coutumes des Arabes ... , p. 238.
- ٣٣ - Philby H. The Heart of Arabia. Vol. 2, p. 13.
- ٣٤ - شرباتوف ا ، ستروغانوف س . كتاب عن الحصان العربى . سنت بطرسبورغ ، ١٩٠٠ ، ص ٨ .
- ٣٥ - Volney C.-F. Voyage ... , pp. 211-212.
- ٣٦ - Doughty Ch. Travels ... Vol. 1, p. 344.
- ٣٧ - Niebuhr C. Voyage ... Vol. 2, pp. 210-217.
- ٣٨ - Volney C.-F. Voyage ... , pp. 205-206.
- ٣٩ - بيرشيتس ا . الاقتصاد ص ٧٧-٧٩ (باللغة الروسية) .

- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, pp. 167-176. — ٤٠
- Musil A. The Manners and Customs of the Rwala Beduins. — ٤١
New York, 1928, pp. 452-453, 471.
- Montagne R. La civilisation ... , p. 66. — ٤٢
- Volney C.-F. Voyage ... , pp. 208-209. — ٤٣
- نفس المرجع ، ص ٢٠٤-٢٠٥ . — ٤٤
- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, p. 69. — ٤٥
- Jaussen A. Coutumes des Arabes ... , p. 273. — ٤٦
- Guarmani C. Northern Najd. A : ٢٧٨ ؛ نفس المرجع ، ص ٢٧٨ — ٤٧
Journey from Jerusalem to Anaiza in Qasim. London, 1938, p.
107.
- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, p. 246. — ٤٨
- انظر : بيرشيتس أ . الاقتصاد ... ، ص ١٢٦ . — ٤٩
- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, p. 317. — ٥٠
- Volney C.-F. Voyage ... , p. 207, — ٥١
- Jaussen A. Coutumes des Arabes ... , pp. 199, 208-220. — ٥٢
- ٥٣ . ك . ماركس . رأس المال . المجلد الثالث . ك . ماركس ،
ف . انجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٥ ، ج ٢ ، ص ١٦٥ .
- ٥٤ — راجع بهذا الصدد تطور آراء الباحث السوفييتي بيرشيتس الذي
خفف الى حد كبير ، في مجرى دراسته لمجتمع الجزيرة ، من
رأيه القطعي الاول (« حق الملكية الاقطاعية ») عند تقييم طابع
ملكية المراعى (١ . ا . ي . بيرشيتس . الاقتصاد ... ص ١٢٤) .
وقد توصل الى استنتاج مؤداه ان « ... اراضى المراعى كانت
تعتبر ملكا جماعيا للقبائل ، غير ان كبار رجال البدو تولوا
تنظيم الترحال والرعى » . بيد انه واصل التشيبت برأيه القائل بان
المقصود هو « تصرف نخبة البدو (بالمراعى) تصرفا اشبه بالملكية
الاقطاعية » . (بيرشيتس . بعض خصائص نشوء الطبقات والعلاقات
الطبقية المبكرة عند الرعاة الرحل ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٦) .
- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, p. 133. — ٥٥
- Volney C.-F. Voyage ... , p. 211. — ٥٦
- Niebuhr C. Voyage ... Vol. 2, p. 139. — ٥٧
- Burckhardt J. L. Notes ... , Vol. 1, pp. 140-141, 299; Guar- — ٥٨
mani C. Northern Najd ... , p. 116; Doughy Ch. Travels ...
Vol. 1, pp. 251, 334.
- Volney C.-F. Voyage ... , p. 207. — ٥٩
- Jaussen A. Coutumes des Arabes ... , p. 124. — ٦٠
- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, pp. 193-194. — ٦١

- Wallin G. A. Narrative ... , p. 122. — ٦٢
- Guarmani C. Northern Najd ... ، ص ١٢٢ ؛ pp. 109-110; Huber Ch. Journal ... , p. 592. — ٦٣
- Dickson H.R.P. Kuwait and her Neighbours. London, 1968, pp. 102, 622; Dickson H.R.P. The Arab of the Desert. London, 1949, pp. 572, 573. — ٦٤
- ٦٥ — ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٢٦ .
- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, p. 194; vol. 2, pp. 9, 34. — ٦٦
- Niebuhr C. Voyage ... Vol. 3, pp. 178-179. — ٦٧
- Musil A. The Manners ... , pp. 280-282. — ٦٨
- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 19-20. — ٦٩
- Montagne R. La civilisation ... , pp. 68, 107; Guarmani C. Northern Najd ... , p. 120; Musil A. The Manners ... , p. 406. — ٧٠
- Montagne R. La civilisation ... , p. 23. — ٧١
- Doughty Ch. Travels ... Vol. 2, p. 136. — ٧٢
- ٧٣ — للتفصيل عن الرق راجع : بيرشيتس . الاقتصاد . . . ، ص ٩٧ — ١٠٧ .
- Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 1, p. 452. — ٧٤
- ٧٥ — نفس المرجع ، ص ٤٥٣ .
- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, p. 181. — ٧٦
- ٧٧ — نفس المرجع .
- ٧٨ — نفس المرجع ، ص ١٨١-١٨٢ .
- Wallin G. A. Notes Taken During a Journey through Part of Northern Arabia in 1848. London, 1850, p. 26. — ٧٩
- Musil A. The Manners ... , p. 277. — ٨٠
- ٨١ — كما يرى بيرشيتس ان «رأس حربة الاستغلال الذي مارسه الشيوخ كان موجها ليس فقط الى داخل القبيلة البدوية او الجزء المتنقل منها ، بل موجها وبدرجة اكبر ، الى خارجها» (بيرشيتس . الاقتصاد . . . ، ص ١٤٠) .
- Jaussen A. Coutumes des Arabes ... , pp. 140-145. — ٨٢
- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, p. 117. — ٨٣
- Doughty Ch. Travels ... Vol. 1, p. 248. — ٨٤
- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, p. 117. — ٨٥
- Doughty Ch. Travels ... Vol. 1, pp. 248-249. — ٨٦
- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, p. 296. — ٨٧
- Jaussen A. Coutumes des Arabes ... , pp. 128-129. — ٨٨

- Volney C.-F. Voyage ... , p. 208. — ٨٩
- Doughty Ch. Travels ... Vol. 1, p. 251. — ٩٠
- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, pp. 119-123. — ٩١
- Volney C.-F. Voyage ... , pp. 207-208. — ٩٢
- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, pp. 116-117. — ٩٣
- بيرشيتس أ. الاقتصاد ... ، ص ١٥٥ . — ٩٤
- Blunt A. A. Pilgrimage to Nejd, the Gradle of the Arab Race. — ٩٥
- London, 1881, vol. 1, pp. 260-261, 270.
- Doughty Ch. Travels ... Vol. 2, p. 50; Guarmani C. Northern — ٩٦
- Najd ... , pp. 46-48, 91-92; Montagne R. La civilisation ... ,
- pp. 151-158; Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 1, pp. 109-113.
- Doughty Ch. Travels ... Vol. 2, p. 368. — ٩٧
- Burckhardt J. L. Travels ... Vol. 1, pp. 415-417; — ٩٨
- حسين . تاريخ نجد المسمى روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام
- وتعداد غزوات ذوى الاسلام . القاهرة ١٩٦١ ، ج ١ ، ص ٥ .
- Montagne R. La civilisation ... , p. 66. — ٩٩
- ١٠٠ — نفس المرجع ، ص ١٤١ .
- Doughty Ch. Travels ... Vol. 1, p. 251. — ١٠١
- Volney C.-F. Voyage ... p. 207. — ١٠٢
- Pelly L. A Visit to the Wohabee Capital, Central Arabia. — ١٠٣
- Journal of the Royal Geographical Society, London, 1865,
- vol. 35, pp. 189-190.
- Montagne R. La civilisation ... pp. 110, 134. — ١٠٤
- ١٠٥ — نفس المرجع ، ص ١٨ .
- Wellsted J. R. Travels in Arabia London, 1838, vol. 2, — ١٠٦
- pp. 258-260; Doughty Ch. Travels ... Vol. 1, pp. 280-282;
- Philby H. The Heart of Arabia. Vol. 1, p. 268.
- Musil A. The Manners ... , pp. 136, 281. — ١٠٧
- ١٠٨ — بيلاييف ي. ا. العرب والاسلام والخلافة في اوائل القرون الوسطى .
- موسكو ، ١٩٦٥ ، ص ٦٩-٧٨ ، (باللغة الروسية) .
- Lammens H. L'Arabie Occidentale avant l'Hégire. Beyrouth, — ١٠٩
- 1928, p. 189.
- De Gaury G. Rulers of Mecca. London, 1951, pp. 147-153. — ١١٠
- Niebuhr C. Voyage ... Vol. 2, pp. 16, 26-29, 178-179. — ١١١
- ١١٢ — ابن بشر . عنوان المجد ... ، ج ١ ، ص ٦٥-٦٤ .
- ١١٣ — نفس المرجع ، ص ٦١ ، ٨٥ ، ١١٠-١٢٢ .
- ١١٤ — نفس المرجع ، ص ٢٢٣ .
- ١١٥ — نفس المرجع ، ص ١٣٨ .

- ١١٦ - نفس المرجع ، ص ٢١٨ .
- ١١٧ - Philby H. St. — J. B. Saudi Arabia, London, 1955, p. 30 .
- ١١٨ - لمع الشهاب . . . ، ص ٥٨-٥٩ .
- ١١٩ - العجلاني منير . تاريخ البلاد العربية السعودية . دار الكتاب العربي ، بيروت . الجزء الاول ، ص ٦٨ ، ٧٧ .
- ١٢٠ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٥٧ ، ١٦٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٣-٢٢٤ .
- ١٢١ - نفس المرجع ، ص ٢٣٤-٢٣٥ .
- ١٢٢ - نفس المرجع ، ص ٩٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ .
- ١٢٣ - نفس المرجع ، ص ٢٣٤-٢٣٥ .
- ١٢٤ - ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ٢ ، ص ٥-٦ .
- ١٢٥ - Abir M. Relations between the Government of India and the Sharif of Mecca during the French Invasion of Egypt, 1798-1801. — «Journal of the Royal Asiatic Society», London, 1965, p. 34.

الفصل الثاني

- ١ - «مجلة المنوعات الادبية» ، ١٨٠٥ ، المجلد ٢ ، رقم ١ ، ص ٢٠ (باللغة الروسية) .
- ٢ - ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ١ ، ص ٢٥ ؛ ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٦ .
- ٣ - ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ١ ، ص ٢٥-٢٦ ؛ ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٦-٧ .
- ٤ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٧ .
- ٥ - نفس المرجع ، ص ٨ ؛ ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ١ ، ص ٢٨ .
- ٦ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٨ .
- ٧ - نفس المرجع .
- ٨ - ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ١ ، ص ٢٩-٣٠ .
- ٩ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٨ ؛ ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ١ ، ص ٢٩-٣٠ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 449.
- ١٠ - ذكر منجيين انه مكث في العيينه ثمانية اعوام ، اى انه وصل الى هناك عام ١٧٣٦/١٧٣٧ . (Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 449).
- ١١ - لمع الشهاب . . . ، ص ٣٢-٧ .
- ١٢ - احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام فى بيان امراء البلد الحرام . المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٨٨٨ ، ص ٢٢٨ .

- ١٣ - «The Encyclopaedia of Islam». 1971, vol. 3, pp. 677-679.
- ١٤ - العجلاني منير . تاريخ . . . ج ١ ، ص ١٩٦ .
- ١٥ - Goldziher I. Le dogme et la loi de l'Islam. Paris, 1920, p. 49.
- ١٦ - نفس المرجع ، ص ٢٢٤ .
- ١٧ - Niebuhr C. Voyage ... Vol. 1, pp. 393-394, vol. 2, pp. 21, 204. جرى اللقاء في هذه الديار في القرن العشرين . انظر : Philby H. The Heart of Arabia. Vol. 2, p. 299.
- ١٨ - Niebuhr C. Voyage ... Vol. 2, pp. 21, 140; Niebuhr C. Description de l'Arabie d'après les observations et recherches faites dans le pays même. Copenhague, 1773, p. 298.
- ١٩ - ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ١ ، ص ١٣-٥ .
- ٢٠ - ابن عبد الوهاب محمد . كتاب التوحيد . المطبعة المنيرية ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ ، ص ١١٨ .
- ٢١ - انظر : ابن حسن عبد الرحمن . فتح المجيد ، شرح كتاب التوحيد ، في «مجموعة التوحيد النجدية» القاهرة ، ١٣٧٧ هـ ، ص ٦٤ .
- ٢٢ - Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 1, pp. 61, 68.
- ٢٣ - Volney C.-F. Voyage ... , p. 212.
- ٢٤ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, pp. 99-102.
- ٢٥ - Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 1, p. 9.
- ٢٦ - Montagne R. La civilisation ... , pp. 73-75.
- ٢٧ - Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 1, p. 33.
- ٢٨ - Wallin G. A. Notes ... p. 21.
- ٢٩ - دافليتشين . تقرير النقيب دافليتشين عن رحلة الى الحجاز ، بطرسبورغ ، ١٨٩٩ ، ص ٨ .
- ٣٠ - Jaussen A. Coutumes des Arabes ... , p. 316.
- ٣١ - نفس المرجع ، ص ١٧٤. ٥71-573. Musil A. The Manners ... , pp.
- ٣٢ - ابن عبد الوهاب محمد . كتاب التوحيد ، ص ١٣٤ .
- ٣٣ - ابن عبد الوهاب محمد . اصول الايمان ، ص ١٦٧ - ١٧٠ ؛ ابن عبد الوهاب محمد . الاصول الثلاثة . . . ، ص ٨ ؛ عبد العزيز الاول . الرسالة ، ص ١٩ .
- ٣٤ - ابن عبد الوهاب محمد . فضل الاسلام . في مجموعة الحديث النجدية . القاهرة ، ١٣٧٥ هـ . ص ١٩٨ .
- ٣٥ - ابن الوهاب محمد . كشف الشبهات في التوحيد . المطبعة المنيرية ، القاهرة ، ص ٢٢٠-٢٢٣ ، ٢٣٢ ؛ ابن عبد الوهاب محمد . مسائل الجاهلية . المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ ، ص ١٢٣-١٢٥ .

- ٣٦- ابن عبد الوهاب محمد . كتاب التوحيد . . . ، ص ٥٦ .
- ٣٧- ابن عبد الوهاب محمد . كتاب الكبائر ، ص ٢٠٦ ؛ عبد العزيز الاول . الرسالة ، ص ٥ .
- ٣٨- ابن عبد الوهاب محمد . كتاب التوحيد . . . ، ص ٦٠ ، ٧٠ ، ٨٦ ؛ ابن عبد الوهاب محمد . الاصول الثلاثة . . . ، ص ٤٢ ؛ ابن عبد الوهاب محمد . مسائل الجاهلية . . . ، ص ٧٦ .
- ٣٩- ابن عبد الوهاب محمد . مفيد المستفيد في كفر طريق التوحيد . القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٢٨ ؛ مسائل الجاهلية . . . ، ص ٧٠ ؛ عبد العزيز الاول . الرسالة . . . ، ص ٦ .
- ٤٠- ابن عبد الوهاب محمد . كتاب التوحيد . . . ، ص ٦٧ .
- ٤١- نفس المرجع ، ص ٩٠ ؛ ابن عبد الوهاب محمد . مسائل الجاهلية . . . ، ص ٢٩ ، ٧٢ ، ١١٨ ؛ كتاب التوحيد . . . ، ص ٥٥ ، ٩٥ ، ٩٩ ؛ كشف الشبهات في التوحيد . . . ، ص ٢٢٦ .
- ٤٢- ابن عبد الوهاب محمد . مسائل الجاهلية . . . ، ص ٩١ ، ١٢٠ ؛ كشف الشبهات في التوحيد . . . ، ص ٢٣٠ ؛ عبد الرحمن بن حسن . «فتح المجيد . شرح «كتاب التوحيد» . . . ، ص ١٠٢ ؛ عبد العزيز الاول . الرسالة . . . ، ص ١٠ ، ١٣ ؛ ابن عبد الوهاب محمد . كتاب التوحيد . . . ، ص ٧٤ ، ٨٧ ، ٢٠٧-٢٠٩ ؛ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . الرسالة - في الهدية السننية والتحفة الوهابية النجدية . القاهرة ، ١٣٤٢ هـ ، ص ٤٧-٤٨ .
- ٤٣- ابن عبد الوهاب محمد . كتاب التوحيد . . . ، ص ١١١ ، ١١٨ ؛ مسائل الجاهلية . . . ، ص ٣٣ ، ١٤٤ .
- ٤٤- ابن عبد الوهاب محمد . كتاب التوحيد . . . ، ص ٥٢ .
- ٤٥- عبد العزيز الاول . الرسالة . . . ، ص ٥ ؛ ابن غنام . تاريخ نجد . . . ، ج ١ ، ص ٣٨ .
- ٤٦- Didier Ch. Séjour chez le grand-chérif de la Mekke. Paris, 1857, p. 179; [Rousseau J.]. Description du pachalik de Bagdad suivie d'une notice historique sur les Wahabis. Paris, 1809, pp. 129, 146.
- ٤٧- عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . الرسالة . . . ، ص ٥٣ .
- ٤٨- كريمسكى أ . تاريخ العرب والادب العربى . موسكو ، ١٩١١-١٩١٢ ، ص ٢٠١ (باللغة الروسية) ؛ احمد امين . زعماء الاصلاح في العصر الحديث . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٨ م ، ص ١٣ .
- ٤٩- ابن غنام . تاريخ نجد . . . ، ج ١ ، ص ١٧ ، ١٩ ، ٥٣ .
- ٥٠- عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . الرسالة . . . ، ص ٥٣ .

- ٥١ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 113.
- ٥٢ - كريمسكى أ. تاريخ ... ص ١٩٥ (باللغة الروسية).
- ٥٣ - عثمان بن سند البصرى . تاريخ بغداد . بومبى ، ١٢٠٤ هـ ، ص ٣٢ .
- ٥٤ - [Corancez L. A.] Histoire des wahabis depuis leur origine jusqu'a la fin de 1809. Paris, 1810, pp. 7, 18.
- ٥٥ - احمد عبد الغفور العطار . محمد بن عبد الوهاب . مطبعة الاستقامة ، ١٩٤٣ . ص ١٥١ .
- ٥٦ - [Corancez L. A.] Histoire ... , p. 18.
- ٥٧ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, p. 102.
- ٥٨ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ١ ، ص ٥٣-٥٤ ؛ ابن حسن . فتح المجيد ... ، ص ٤ .
- ٥٩ - Gibb H.A.R. Mohammedanism. London, 1954, p. 168.
- ٦٠ - احمد امين . زعماء الاصلاح ... ، ص ٢١-٢٣ .
- ٦١ - محمد بن عبد الوهاب . سترة الاصول العظيمة . القاهرة ، ص ٢٧٥ .
- ٦٢ - محمد بن عبد الوهاب . كتاب الكبائر ، ص ٢٢٥ .
- ٦٣ - محمد بن عبد الوهاب . مفيد المستفيد ... ، ص ٣٧ ؛ عبد العزيز الاول . الرسالة ... ، ص ٣٣ ؛ احمد بن نصير بن عثمان المعمارى . الرسالة ، ص ٦٨ .
- ٦٤ - عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . الرسالة ... ، ص ٤٦ .
- ٦٥ - محمد بن عبد الوهاب . كتاب الكبائر ... ، ص ٢٣٨-٢٣٩ ، ٢٤١ .
- ٦٦ - محمد بن عبد الوهاب . نصيحة المسلمين باحاديث خاتم المرسلين . في مجموعة الحديث النجدية . القاهرة ، ١٣٧٥ هـ ، ص ٣٢٣-٣٢٤ ، ٣٢٨ .
- ٦٧ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ١ ، ص ١٦٥-١٦٦ ؛ عبد الرحمن الجبرتى . مصر ... ، ص ٣٢٦ .
- ٦٨ - محمد بن عبد الوهاب . كتاب الكبائر ... ، ص ٢٤٠ .
- ٦٩ - نفس المرجع ، ص ٢٤٣ .
- ٧٠ - عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . الرسالة ، ص ٤٨-٤٩ .
- ٧١ - محمد بن عبد الوهاب . نصيحة المسلمين ... ، ص ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٩٩ .
- ٧٢ - محمد بن عبد الوهاب . كتاب الكبائر ... ، ص ٢١٣ .
- ٧٣ - محمد بن عبد الوهاب . نصيحة المسلمين ... ، ص ٣٣٢ .
- ٧٤ - محمد بن عبد الوهاب . كتاب الكبائر ... ، ص ٢١٢-٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٠ .

- ٧٥- محمد بن عبد الوهاب . نصيحة المسلمين . . . ، ص ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ .
- ٧٦- محمد بن عبد الوهاب . كشف الشبهات . . . ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .
- ٧٧- احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام . . . ، ص ٢٣٢ .
- ٧٨- عثمان بن سند البصري . تاريخ بغداد . . . ، ص ٢٣ .
- ٧٩- بيلاييف أ . الطوائف الاسلاميية . موسكو ، ١٩٥٧ ، ص ٩٩ (باللغة الروسية) .
- ٨٠- [Corancez L. A.] Histoire ... , p. 16. .
- ٨١- احمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام . . . ، ص ٢٣٠ .
- ٨٢- Goldziher I. Le dogme ... , p. 225. .
- ٨٣- محمد بن عبد الوهاب . كتاب الكبائر ، ص ٢٣١ .
- ٨٤- عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . الرسالة ، ص ٥٤ .
- ٨٥- نفس المرجع ، ص ٤٣ ؛ ابن بشر . عنوان المجد . . . ، ج ١ ، ص ١٥١ ؛ [Corancez L. A.] Histoire ... , p. 17. .
- ٨٦- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, p. 102; vol. 2, p. 115. .
- ٨٧- نفس المرجع ، Vol. 2, p. 114. .
- ٨٨- نفس المرجع ، ص ١١٠-١١١ .
- ٨٩- Raymond J. Les wahabys. Document inédit de 1806. Le Claire, 1925, p. 34. .
- ٩٠- ابن بشر . عنوان المجد . . . ، ج ١ ، ص ٩ . انظر ايضا : ابن غنام . تاريخ نجد . . . ، ج ١ ، ص ٣٠ .
- ٩١- ابن غنام . تاريخ نجد . . . ، ج ١ ، ص ٣٠-٣١ ؛ ابن بشر . عنوان المجد . . . ، ج ١ ، ص ٩ .
- ٩٢- ابن بشر . عنوان المجد . . . ، ج ١ ، ص ٩-١٠ .
- ٩٣- نفس المرجع ، ص ١٠ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 449-450. .
- ٩٤- ابن غنام . تاريخ نجد . . . ، ج ٢ ، ص ٢ .
- ٩٥- نفس المرجع .
- ٩٦- ابن غنام . تاريخ نجد . . . ، ج ٢ ، ص ٣ ؛ ابن بشر . عنوان المجد . . . ، ج ١ ، ص ١٠-١١ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 450; .
- ٩٧- Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 450. .
- ٩٨- يشير ابن غنام الى عام ١١٥٧ هـ (ج ٢ ، ص ٤) ؛ وابن بشر الى عام ١١٥٨ هـ (ج ١ ، ص ١٥) ؛ انظر ايضا : Mengin F. Histoire de l'Egypte. Vol. 2, p. 452. .
- ٩٩- ابن غنام . تاريخ نجد . . . ، ج ٢ ، ص ٣ ؛ ابن بشر . عنوان المجد . . . ، ج ١ ، ص ١١ .

١٠٠- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٢ ؛ ابن غنام يشير الى الشرط الاول فقط (ج ٢ ، ص ٣) .

الفصل الثالث

- ١- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٣ .
- ٢- نفس المرجع ، ص ١٤ .
- ٣- ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ٢ ، ص ٩-١٢ ؛ ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٢١ .
- ٤- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٢٣ .
- ٥- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٢٣-٢٤ ؛ ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ٢ ، ص ١٣-١٤ ؛ لمع الشهاب . . . ص ٧٥ .
- ٦- ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ٢ ، ص ٥٧ ؛ ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٤٣ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 457.
- ٧- ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ٢ ، ص ٦ ، ٩ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ؛ ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٨-٢٦ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 451-454.
- يقول متجين ان هذا الحدث وقع في النصف الثاني من الاربعينات .
- ٨- ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ٢ ، ص ٢٠ .
- ٩- نفس المرجع ، ص ٤٥ ؛ ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٢٩-٣٠ .
- ١٠- ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ٢ ، ص ٦٥-٦٦ ؛ ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٤٧-٤٨ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 462.
- ١١- ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ٢ ، ص ٦٦-٦٨ ؛ ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٤٨-٤٩ ؛ لمع الشهاب . . . ص ٧٧ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 463-464.
- كما تحدث نيبور الذي زار الاحساء في اواسط 463-464 السنين عن الهزيمة التي حققها النجرايون بالوهابيين ، وعن غزو عريب لنجد . ولكنه يقول ان النجرايين كانوا بزعمه شخص يدعى مكرمى ، ويذهب الى ان الاشتباكات بين الوهابيين واهالي الاحساء جرت قبل المعارك بين الوهابيين والنجرايين . (Niebuhr C. Description ... , pp. 299-300).
- ١٢- ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ٢ ، ص ٧٥-٨٢ ؛ ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٤٩-٥٨ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 465-470.

١٣- ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ٨٢-٨٦ ؛ ابن بشر .
عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ٦٠-٦١ ؛ Mengin F. Histoire
de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 473-474.

Philby H. Saudi Arabia, p. 62. - ١٤

١٥- ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ٨٨-٩٠ ، ٩٤ ؛ ابن
بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ٦١-٦٢ ؛
Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 475-478;
لمع الشهاب ، . . . ص ١٥٦-١٥٩ .

Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 483-484. - ١٦

١٧- ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ٩٥ ؛ ابن بشر . عنوان
المجد ، . . . ج ١ ، ص ٦٥ ؛

Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 479.

١٨- ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ٩١-١١٤ ؛ ابن بشر .
عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ٧٥-٧٦ ؛ Mengin F. Histoire
de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 485-486.

١٩- ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ١١٩ ؛ ابن بشر . عنوان
المجد ، . . . ج ١ ، ص ٧٨ .

٢٠- ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ١٢٠-١٢٤ ، ١٣٢ ؛ ابن
بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ٧٨-٨٠ . يقول منجيين ان
الحاق الخرج والدلم تم عام ١٧٨٣ .

Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 492.

٢١- ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ١٢٤-١٣١ ؛ ابن بشر .
عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ٧٩-٨٠ ، ٨٣ ؛

Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 491, 496-499.

٢٢- ابن بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ٧٥ . لا يورد ابن غنام
اية ارقام فى معرض حديثه عن هذه الواقعة (تاريخ ، . . . ج ٢ ،
ص ١١٠-١١١) .

٢٣- ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ١٢٦-١٣٠ ؛ ابن بشر .
عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ٧٧-٨٢ ؛ كما يتحدث منجيين عن
الحاق جبل شمر ، ولكنه يقول ان ذلك جرى عام ١٧٨٥ .
(Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 496).

٢٤- ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ١٣٦ ؛ ابن بشر .
عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ٨٣ ؛ Mengin F. Histoire de
l'Egypte ... Vol. 2, p. 499. يبدأ الاختلاف مجددا بين المؤرخين
العرب ومنجيين فى تحديد التواريخ ابتداء من عام ١٧٨٣ .

٢٥- ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ١٣٧ ؛ ابن بشر .
عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ٨٣ ؛ يؤرخ منجيين هذا الحدث

- في عام ١٧٨٧ . (Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 499-500).
- ٢٦- ابن غنام . تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ١٢٤-١٢٥ ؛ ابن بشر . عنوان المجد ، ج ١ ، ص ٨٠ ؛ يؤرخ منجین هذا الحدث في عام ١٧٨٤ . (Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 492-493).
- ٢٧- ابن غنام . تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ١٢٧-١٢٩ ؛ ابن بشر . عنوان المجد ، ج ١ ، ص ٨١ ؛ يشير منجین الى عام ١٧٨٥ . (Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 494-495).
- ٢٨- ابن غنام . تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ١٢٩-١٣٠ ؛ ابن بشر . عنوان المجد ، ج ١ ، ص ٨١-٨٣ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, 496, ولكن منجین يذهب الى ان هذا الحدث وقع خريف عام ١٧٨٥ ، كما ان هناك اختلافا مع مؤرخي الجزيرة في بعض التفاصيل .
- ٢٩- ابن غنام . تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ١٣٨-١٣٩ ؛ ابن بشر . عنوان المجد ، ج ١ ، ص ٨٤-٨٥ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 500-501.
- ٣٠- ابن غنام . تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ١٤١ .
- ٣١- نفس المرجع ، ص ١٤٢-١٥٣ ؛ ابن بشر . عنوان المجد ، ج ١ ، ص ٨٥-٨٦ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 502-503. ان تتابع الاحداث السريع وتنقل بعض الاشخاص من معسكر الى آخر احداثا تعقيدا في صورة تلك الاحداث . وتختلف تفاصيل هذه الصورة في المصادر الثلاثة وفي «لمع الشهاب» .
- ٣٢- ابن غنام . تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ١٥٢-١٥٣ ؛ ابن بشر . عنوان المجد ، ج ١ ، ص ٨٨ .
- ٣٣- ابن غنام . تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ١٥٧-١٦٢ ؛ ابن بشر . عنوان المجد ، ج ١ ، ص ٩٧-٩٩ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 507-509.
- ٣٤- ابن غنام . تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ١٥٤ ؛ ابن بشر . عنوان المجد ، ج ١ ، ص ٨٩ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 506.
- ٣٥- ابن بشر . عنوان المجد ، ج ١ ، ص ٩٠ .
- ٣٦- Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 506.
- ٣٧- لمع الشهاب ، ص ٦٧ .
- ٣٨- Mengin F. Histoire de l'Egypte... Vol. 2, p. 506 يشير لمع الشهاب « (ص ٢٦٥-٢٦٦) الى ان محمد بن عبد الوهاب

- خلف اربعة ابناء وست بنات . وهذا لا يخالف ما ذكره منجيين لان من المحتمل ان بعض الاولاد قد توفوا قبل وفاة ابيهم .
- ٣٩- ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ١٥٨-١٦٦ ؛ ابن بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ٩٧-١٠١ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 508-509. لا يورد منجيين كل التفاصيل ، غير ان ابن غنام عاصر الاحداث المذكورة وهو موضع ثقة اكبر .
- ٤٠- ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ١٧٤-١٧٥ .
- ٤١- نفس المرجع ، ص ١٧٤-١٨٥ ؛ ابن بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ١٠٥-١٠٦ .
- ٤٢- ابن بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ١٠٦ .
- ٤٣- لمع الشهاب ، . . . ص ١٨٤-١٨٦ .
- ٤٤- Volney C.-F. Voyage ... , pp. 81-82, 88; Burckhardt J. L. Travels ... Vol. 1, p. 412.
- ٤٥- احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام ، . . . ص ٢٢٨ ؛ ابن بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ٢٣ .
- ٤٦- Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 490.
- ٤٧- محمد بن علي الشوكاني . البدر الطالع ، مصر ، ١٣٤٨ هـ ، ج ٢ ، ص ٤ ؛ Burckhardt J. L. Travels ... Vol. 1, pp. 410-413; Didier Ch. Sejour ... p. 171-172.
- ٤٨- Burckhardt J. L. Travels ... Vol. 1, pp. 415-417.
- ٤٩- احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام ، . . . ص ٢٦١-٢٦٢ ؛ ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ١٤٥-١٥٢ ؛ ابن بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ٨٦-٨٧ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 502-505.
- ٥٠- ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ١٧١ ؛ ابن بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ١٠٢-١٠٣ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 510.
- ٥١- ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ١٧٣ ؛ ابن بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ١٠٣-١٠٥ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 510-511.
- ٥٢- المعمرى . الرسالة ، ص ٥٥ ؛ ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ٢٠٣-٢٠٠ .
- ٥٣- ابن غنام . تاريخ نجد ، . . . ج ٢ ، ص ١٧٤ ؛ ابن بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ١٠٥ .
- ٥٤- Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 514, ابن غنام .

- تاريخ نجد . . . ج ٢ ، ص ٢٤٥ ؛ ابن بشر . عنوان
المجد . . . ج ١ ، ص ١١١ .
- ٥٥ - ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ٢ ، ص ٢٤٢-٢٤٧ ؛ ابن
بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١١٢-١١٧ ، ١٢٠ ؛
Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 516-517.
- ٥٦ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٢٠-١٢١ .
- ٥٧ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 521.
- ٥٨ - Longrigg S. H. Four Centuries of Modern Iraq, Oxford, 1925, p. 202.
- ٥٩ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٥٢ .
- ٦٠ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 511؛
- ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ٢ ، ص ١٨٦-١٨٧ .
- ٦١ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٠٧-١٠٨ .
- ٦٢ - ابن غنام . تاريخ . . . ج ٢ ، ص ١٩٣-١٩٩ ، ٢٣٣-٢٣٥ ؛
ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٠٧-١١٠ ؛
Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 511-514؛
- عثمان بن سند البصري . تاريخ بغداد ، ص ٢١-٢٣ .
- ٦٣ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١١١-١١٢ ؛ Men-
gin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 517.
- عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١١٨-١١٩ .
- ٦٤ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 518-521; Ray-
mond J. Les Wahabys. Document inédit de 1806. Le Caire,
1925, pp. 12-15; . ٣٤٢-٣٦٦ .
- ٦٥ - Brydges H. J. An Account of the Transactions of His Ma-
jesty's Mission to the Court of Persia (1807-1811), to Which
is Appended a Brief History of the Warauby, London, 1834,
Vol. 2, pp. 24, 27.
- ٦٦ - عثمان بن سند البصري . تاريخ بغداد ، ص ٢٧ .
- ٦٧ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٢١-١٢٢ .
- ٦٨ - [Rousseau J.] Description ... p. 73.
- ٦٩ - [Corancez L. A.] Histoire ... p. 27.
- ٧٠ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 186.
- ٧١ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 522-524.
- ٧٢ - Philby H. Saudi Arabia, p. 93.
- ٧٣ - عثمان بن سند البصري . تاريخ بغداد ، ص ٢٨ .
- ٧٤ - Raymond J. Les Wahabys ... , p. 16.
- ٧٥ - «مجلة المنوعات الادبية» ، ١٨٠٥ ، مجلد ٢ ، ص ٢٥ .
- ٧٦ - [Rousseau J.] Description ... , pp. 72-75.

- ٧٧- انظر : Raymond J. Les Wahabys ... , p. 1.
- ٧٨- يورد روسو فى كتابه رقما اقرب الى الحقيقة ، وهو ٢٠٠ رأس من الابل . ([Rousseau J.] Description ... , p. 74)
- ٧٩- ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «الديوان» ، ١٨٠٣ ، الاضبارة ٢٢٣٥ ، ص ٣٨-٤٠ .
- ٨٠- Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 522-524.
- ٨١- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٢١-١٢٢ .
- ٨٢- Longrigg S. H. Four Centuries ... p. 217.
- ٨٣- Raymond J. Les Wahabys ... , p. 21; Brydges H. J. An Account... Vol. 2, p. 28; [Gorancez L. A.] Histoire ... , pp. 28, 186.
- ٨٤- Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 525.
- ٨٥- G. de Gaury. Rulers of Mecca, pp. 181-182.
- ٨٦- Abir A. Relations ... , pp. 34-40.
- ٨٧- Burckhardt J. L. Travels ... Vol. 1, pp. 440-441.
- ٨٨- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١/١٢٢ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 526.
- ٨٩- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١/١٢٢ ؛ Burckhardt J. L. Travels ... Vol. 1, p. 154; يقول احمد دحلان ان الاستيلاء على الطائف كان فى مطلع عام ١٨٠٣ (خلاصة الكلام . . . ص ٢٧٤-٢٧٥) .
- ٩٠- ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «ديوان» ، الاضبارة ٢٢٣٤ ، ص ٣٠٠ .
- ٩١- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٢/١٢٢ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 527; احمد بن زينى دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٢٧٧ ؛ Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 184.
- ٩٢- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٢/١٢٢ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 527-528; احمد بن زينى دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٢٧٧-٢٧٩ ؛ Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 195-196.
- ٩٣- ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، ١٨٠٤ ، «ديوان» ، الاضبارة ٢٢٤٢ ، ص ٢٠٢ .
- ٩٤- نفس المرجع ، الاضبارة ٢٢٣٥ ، ص ٢٤٩ .
- ٩٥- نفس المرجع ، ص ١٨٤-١٨٦ .
- ٩٦- نفس المرجع ، ص ٢١١-٢١٤ .
- ٩٧- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٣٠٠ ؛ احمد بن زينى دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٢٨٠-٢٨٥ .

٩٨ - ارشيف السياسة الخارجية ، «ديوان» ، ١٨٠٣ ، الاضبارة
Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 196. . ٤٠٧ ص

٩٩ - ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «ديوان» ، ١٨٠٣ ، الاضبارة
٢٢٣٥ ص ، ٢٦٠ .

١٠٠ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٢٣ .

١٠١ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 201-202; Brydges H. J. An Account ... Vol. 2, p. 32; [Corancez L. A.] Histoire ...

p. 42; ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «ديوان» ، ١٨٠٤ ،
الاضبارة ٢٢٤١ ، ج ١ ، ص ٩٥ .

١٠٢ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 529.

١٠٣ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٢٤ .

١٠٤ - لمع الشهاب . . . ص ٢٧٣-٢٧٦ .

١٠٥ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٣٢-١٣٣ ؛
Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 531;

احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٢٨٥ .

١٠٦ - احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٢٨٥ .

١٠٧ - نفس المرجع ، ص ٢٨٥-٢٩٢ ؛ ابن بشر . عنوان المجد . . .
ج ١ ، ص ١٣٣-١٣٤ ، ١٤٤ ؛

Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 533.

١٠٨ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٣٣-١٣٤ ؛ احمد
بن زيني دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٢٩٢ .

١٠٩ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٣٥ ؛ يؤرخ منجبن هذا
الحدث في عام ١٨٠٩ تقريبا

(Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 534).

Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 203. - ١١٠

١١١ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٣٧-١٤٥ ، ١٥١ .
تختلف معلومات منجبن عما ذكره ابن بشر .

(Mengin. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 534-535).

١١٢ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٥١ .

١١٣ - [Corancez L. A.] Histoire ... pp. 34-35, 74-81. -

١١٤ - احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٢٨٥ .

١١٥ - [Corancez L. A.] Histoire ... p. 102. -

١١٦ - بازيل ك . م . سوريا وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين
التاريخية والسياسية . موسكو ، ١٩٦٢ ، ص ٧٩ (باللغة
الروسية) .

[Corancez L. A.] Histoire ... pp. 126-132. - ١١٧

١١٨ - Winder R. B. Saudi Arabia in the Nineteenth Century.: انظر
New York, 1965, pp. 92-93.

- ١١٩ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٢٢ .
- ١٢٠ - Salil-ibn-Razik. History of the Imams and Seyyids of Oman (661-1856). London, 1871, pp. 248-250.
- ١٢١ - نفس المرجع ، ص ٢٢٩-٢٣٠ .
- ١٢٢ - لمع الشهاب . . . ص ٢٠١-٢٠٦ .
- ١٢٣ - Salil-ibn-Razik. History ... , pp. 229-230; Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 522; Lorimer J. G. Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia. Calcutta. Vol. 1, 1915, p. 424.
- ١٢٤ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٣١ ؛
- Salil-ibn-Razik. History ... , pp. 169-170, 238-239; Raymond J. Les Wahabys ... , p. 29; [Corancez L. A.] Histoire ... , pp. 56-59.
- ١٢٥ - Miles S. B. The Countries and Tribes of the Persian Gulf. - London, 1919, Vol. 2, pp. 305-309.
- ١٢٦ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٣٦ .
- ١٢٧ - Salil-ibn-Razik. History ... , pp. 307-308, 314.
- ١٢٨ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٤١-١٤٢ .
- ١٢٩ - Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 181.
- ١٣٠ - Brydges H. J. An Account ... Vol. 2, p. 15.
- ١٣١ - نفس المرجع ؛ [Corancez L. A.] Histoire ... pp. 49-50.
- ١٣٢ - Brydges H. J. An Account ... Vol. 2, p. 16.
- ١٣٣ - [Reinaud]. Auszug aus dem Briefe des Hrn. Reinaud au Dr. Seetzen, Haleb, 2. Apr. 1805. — «Monatliche Correspondenz zur Beförderung der Erd-und Himmels-kunde», h rsg. von Zach. Gotha, 1805, Br. 12, N 22, p. 235.
- ١٣٤ - عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم . الدولة السعودية الاولى ١٧٤٥-١٨١٨ م / ١١٥٨-١٢٣٢ هـ . معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٩١ .
- ١٣٥ - Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 181.
- ١٣٦ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٤٦ ؛
- Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 541; [Corancez L. A.] Histoire ... , pp. 142-145; Brydges H. J. Account ... Vol. 2, pp. 38-44; Burckhardt J. L. Notes ... , vol 2, p. 208; Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 183-185.
- ١٣٧ - ابن . بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٤٧-١٤٨ ، ١٥٣-١٥٤ .
- ١٣٨ - Winder R. B. Saudi Arabia ... , p. 38.

۱۳۹ - Clevedet Ahmed. Tarih-i-Vekayi-i-Devlet-i Aliyye. Istambul, 1271-1292, VI, p. 353.

۱۴۰ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ۱ ، ص ۱۴۶-۱۴۷ ؛
Salil-ibn-Razik. History ... , pp. 324-326; Memorial of the Go-
vernment of Saudi Arabia. Arbitration for the Settlement of
the Territorial Dispute. Cairo, 1955, Vol. 1, pp. 111-112.
۱۴۱ - محمد بن هاشم . حضرموت ، ۱۳۶۷ هـ / ۱۹۴۸ م ، ص ۱۲۰-
۱۲۲ .

۱۴۲ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 525;
ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ۱ ، ص ۱۲۱ ؛ محمد بن
على الشوكاني . البدر الطالع . . . ج ۲ ، ص ۸-۶ .
۱۴۳ - عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم . الدولة السعودية . . . ص
۱۴۵-۱۴۶ .

۱۴۴ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 533.
۱۴۵ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ۱ ، ص ۱۴۵-۱۴۴ ؛ يورد
منجین تفصيلات اخرى عن هذا الحدث ويؤرخها في عام ۱۸۱۰ .
(Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 1, p. 541);
Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 208-209.

۱۴۶ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ۱ ، ص ۱۲۶ .
[Corancez L. A.]. Histoire ... , pp. 133-135. - ۱۴۷
۱۴۸ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ۱ ، ص ۱۴۸-۱۴۹ ؛
Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 209-210; Mengin F.
Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 542-544.

منجین على خطأ حينما يؤرخ هذه الحملة في عام ۱۸۱۱) .
۱۴۹ - لمع الشهاب . . . ص ۴۶۹-۴۷۰ .

الفصل الرابع

- ۱ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ۱ ، ص ۱۷۳ .
- ۲ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 151.
- ۳ - ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ۲ ، ص ۱۷۳ .
- ۴ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ۱ ، ص ۸۷ .
- ۵ - ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ۲ ، ص ۱۳۶ .
- ۶ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ۱ ، ص ۴۲ .
- ۷ - نفس المرجع ، ص ۵۱-۵۲ .
- ۸ - ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ۲ ، ص ۱۲۴ .
- ۹ - نفس المرجع ، ص ۲۴۵ .
- ۱۰ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ۱ ، ص ۶۱ .

- ١١- نفس المرجع ، ص ٧١-٧٢ .
- ١٢- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 154-155.
- ١٣- ابن بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ٤٠-٤١ .
- ١٤- نفس المرجع ، ص ٩٠ .
- ١٥- نفس المرجع ، ص ١٧٣ .
- ١٦- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 158.
- ١٧- ابن بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ١٧٣ .
- ١٨- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 152.
- ١٩- نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١٠٤ .
- ٢٠- ابن بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ١٢٦-١٢٧ .
- ٢١- نفس المرجع ، ص ١٧٣ .
- ٢٢- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 161.
- ٢٣- لمع الشهاب . . . ص ٤٦٦-٤٦٩ .
- ٢٤- ابن بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ٢١٤ .
- ٢٥- نفس المرجع ، ص ١٧٣ .
- ٢٦- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 121-123.
- ٢٧- [Corancez L. A.] Histoire ... , pp. 66-67.
- ٢٨- لمع الشهاب . . . ص ٤٨٠-٤٨٦ .
- ٢٩- Raymond J. Les Wahabys ... , p. 26.
- ٣٠- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٧١ ؛
- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 129.
- ٣١- ابن بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ١٧١ .
- ٣٢- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 129
- ٣٣- نفس المرجع ، ص ١٥٩-١٦٠
- ٣٤- نفس المرجع ، ص ١٣٠ .
- ٣٥- ابن بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ١٧٠-١٧١ .
- ٣٦- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 131.
- ٣٧- نفس المرجع ، ص ١٣٠ .
- ٣٨- ابن بشر . عنوان المجد ، . . . ج ١ ، ص ١٧١ .
- ٣٩- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 169.
- ٤٠- نفس المرجع ، ص ١٢٨ .
- ٤١- [Corancez L. A.] Histoire ... , pp. 21-23
- ٤٢- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 126.
- ٤٣- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٦٨-١٧٠ .
- ٤٤- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 158.
- ٤٥- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٢٧ .
- ٤٦- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 155-157.

- ٤٧- نفس المرجع ، ص ١٥٧ .
- ٤٨- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٧٣ .
- ٤٩- نفس المرجع ، ص ١٢٧-١٢٨ .
- ٥٠- ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ٢ ، ص ١٩٩ .
- ٥١- نفس المرجع ، ص ٩ .
- ٥٢- نفس المرجع ، ص ٩٠ .
- ٥٣- Pelly L. A Visit . . . , p. 187. -
- ٥٤- Burckhardt J. L. Notes . . . Vol. 2, pp. 138-139. -
- ٥٥- Burckhardt J. L. Notes . . . Vol. 1, pp. 287-288. -
- ٥٦- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٦٧ ، ١٣٠ .
- ٥٧- Burckhardt J. L. Notes . . . Vol. 2, p. 172. -
- ٥٨- نفس المرجع ، ص ١٣٢-١٣٣ .
- ٥٩- نفس المرجع .
- ٦٠- لمع الشهاب . . . ، ص ١٠٢-١٠٤ .
- ٦١- نفس المرجع ، ص ١٠٥-١٠٧ .
- ٦٢- ابن غنام . تاريخ نجد . . . ج ٢ ، ص ١٨٥ .
- ٦٣- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٦٦ .
- ٦٤- نفس المرجع ، ص ٩١ .
- ٦٥- نفس المرجع ، ص ١٥ .
- ٦٦- نفس المرجع ، ص ٩٣-٩٤ .
- ٦٧- نفس المرجع ، ص ١٢٧ .
- ٦٨- نفس المرجع ، ص ٩٢ .
- ٦٩- Mengin F. Histoire de l'Egypte . . . Vol. 2, p. 176. -
- ٧٠- لمع الشهاب . . . ، ص ١١١ ، ٢٦٧ .
- ٧١- Burckhardt J. L. Notes . . . Vol. 1, pp. 249-250. -
- ٧٢- نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .
- ٧٣- نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٣٧٩-٣٨٠ .
- ٧٤- نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .
- ٧٥- عثمان بن سند البصرى . تاريخ بغداد ، ص ٣١ .
- ٧٦- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٢٥ .
- ٧٧- نفس المرجع ، ص ١٢٦ .
- ٧٨- نفس المرجع ، ص ١٢٤ .
- ٧٩- Burckhardt J. L. Notes . . . Vol. 2, p. 143. -
- ٨٠- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٢٤-١٢٦ .
- ٨١- احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام . . . ، ص ٢٧٩-٢٨٠ .
- ٨٢- Mengin F. Histoire de l'Egypte . . . Vol. 2, p. 174. -
- ٨٣- Burckhardt J. L. Notes . . . Vol. 2, pp. 149-150. -

- ٨٤ - نفس المرجع ، ص ١٥٠ : Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 452; الجبرتي . مصر ص ٣٢٥-٣٢٦ .
- ٨٥ - ابن بشر . عنوان المجد ج ١ ، ص ١٣ .
- ٨٦ - نفس المرجع ، ص ٢١٤ .
- ٨٧ - نفس المرجع ، ص ٤ .
- ٨٨ - عثمان بن سند البصرى . تاريخ بغداد ، ص ٣١ .
- ٨٩ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 171. -
- ٩٠ - نفس المرجع ، ص ١٦٣ .
- ٩١ - ابن بشر . عنوان المجد ج ١ ، ص ١٢٨ ؛ انظر ايضا : Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 163.
- ٩٢ - عثمان بن سند البصرى . تاريخ بغداد ، ص ٣٢ .
- ٩٣ - Ali bey. Travels. London, 1816, Vol. 2, p. 136. -
- ٩٤ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 177. -
- ٩٥ - ابن بشر . عنوان المجد ج ١ ، ص ١٧٢ .
- ٩٦ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 177. -
- ٩٧ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 165. -
- ٩٨ - عثمان بن سند البصرى . تاريخ بغداد ، ص ٣٢ .
- ٩٩ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 164. -
- ١٠٠ - Raymond J. Les Wahābys ... , pp. 24-25. -
- ١٠١ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 171. -
- ١٠٢ - ابن بشر . عنوان المجد ج ١ ، ص ١٦٧-١٦٨ .
- ١٠٣ - نفس المرجع ، ص ١٦٦ ؛ انظر ايضا : Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 170.
- ١٠٤ - كان من الممكن ان يستخدم حداة ابل مختصون لاداء هذه الاعمال . فمن المتعارف عليه لدى البدو ان الراكب الى الخلف يتولى حراسة الابل اثناء المعركة او يقود الغنائم . ومن المحتمل ان الوهابيين غيروا هذا التكتيك وجعلوا من الراكبين مقاتلين وعلى اية حال فان معاصرى الحركة الوهابية فى تلك المرحلة لم يوردوا شيئا عن استخدام الراكب الى الخلف فى اعمال غير قتالية .
- ١٠٥ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 178-179. -
- ١٠٦ - نفس المرجع ، ص ١٧٩-١٨٠ .
- ١٠٧ - ابن بشر . عنوان المجد ج ١ ، ص ١٤٠ .
- ١٠٨ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, pp. 53-56. -
- ١٠٩ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 179; Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, p. 179. -
- ١١٠ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, p. 58. -
- ١١١ - نفس المرجع ، ص ٢٣٧ .

- ١١٢ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 179.
- ١١٣ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٧١ .
- ١١٤ - عثمان بن سند البصرى . تاريخ بغداد ، ص ٣٣ ؛ يورد ابن بشر الرقم ذاته .
- ١١٥ - «مجلة المنوعات الادبية» ، ١٨٠٥ ، المجلد ٢ ، رقم ١ ، ص ٣٠ .
- [Reinaud]. Auszug aus dem Briefe ... , p. 241; [Coran-
cez L. A.]. Histoire ... , p. 118.
- ١١٦ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 1, p. 106.
- ١١٧ - نفس المرجع ، المجلد ٢ ، ص ١٦٨ .
- ١١٨ - نفس المرجع ، ص ١٤٠-١٤١ .
- ١١٩ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٧٩ ؛
- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 140-141.
- ١٢٠ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 141-214.
- ١٢١ - عثمان بن سند البصرى . تاريخ بغداد ، ص ٣٥ .
- ١٢٢ - Burckhardt J. L. Travels ... Vol. 1, pp. 355-360.
- ١٢٣ - الجبرتي ، مصر . . . ص ٢١١ ؛ انظر ايضا :
- Burckhardt J. L. Travels ... Vol. 1, p. 349.
- ١٢٤ - Burckhardt J. L. Travels ... Vol. 1, p. 25.
- ١٢٥ - نفس المرجع ، المجلد ٢ ، ص ٢٠٨-٢٠٩ .
- ١٢٦ - نفس المرجع ، المجلد ١ ، ص ٢٣٣-٢٣٤ ، ٣٦١-٣٦٣ ؛ ٣٧٧ .

الفصل الخامس

- ١ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 219; عبد الرحيم ،
الدولة . . . ص ٢٨٤-٢٨٥ .
- ٢ - Burckhardt J. L. Notetes ... Vol. 2, pp. 218-219; Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 1, pp. 342-343, 450; Sabry M. L'Empire Egyptien sous Mohammed-Ali et la question d'Orient (1811-1849). Paris, 1909, p. 46; عبد الرحيم . الدولة . . . ص ٢٨٦-٢٨٧ .
- ٣ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 1, pp. 342-343; Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 220.
- ٤ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 220-221; Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 1, pp. 343-344.
- ٥ - نفس المرجع ؛ Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 223. الجبرتي . مصر . . . ص ٣٠٠ ؛ احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٣٠١ .
- ٦ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 1, pp. 359, 373; Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 221.

- ٧- ابن بشر . عنوان المجلد . . . ج ١ ، ص ١٣١-١٣٤ ؛
 احمد بن زيني دحلان . [Corancez L. A.]. Histoire ... , p. 140;
 خلاصة الكلام . . . ص ٢٨٥-٢٩٢ .
- ٨- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 225; الجبرتي . مصر . . .
 ص ٣١٧ .
- ٩- الجبرتي . مصر . . . ص ٣١٧ ؛
 Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 1, pp. 375-376.
- ١٠- ابن بشر . عنوان المجلد . . . ج ١ ، ص ١٥٥ .
- ١١- Finati G. Narrative of the Life and Adventures of Giovanni
 Finati. Native of Ferrara. London, 1830, vol. 1, p. 136.
- ١٢- ابن بشر . عنوان المجلد . . . ج ١ ، ص ١٥٥-١٥٦ ؛
 Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 1, p. 382.
- ١٣- Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 1, pp. 384-385;
 ابن بشر . عنوان المجلد . . . ج ١ ، ص ١٥٥-١٥٦ ؛
 Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 230-232.
- ١٤- الجبرتي . مصر . . . ص ٣٢٠ .
- ١٥- نفس المرجع ، ص ٣٢٥-٣٢٦ .
- ١٦- ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «ديوان» ، ١٨١٢ ،
 الاضبارة ٢٢٨٢ ؛ ص ١٢٨ .
- ١٧- Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 1, pp. 384-388; Burck-
 hardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 237;
 ج ١ ، ص ١٥٧-١٥٨ ؛ الجبرتي . مصر . . . ص ٣٩٠، ٣٢١ .
- ١٨- احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٢٩٥ .
- ١٩- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 237-240; Mengin F.
 Histoire de l'Egypte ... Vol. 1, pp. 390-396;
 المجلد . . . ج ١ ، ص ١٥٨-١٥٩ ؛ الجبرتي . مصر . . .
 ص ٣٤٦ .
- ٢٠- Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 1, p. 390.
- ٢١- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 240-243.
- ٢٢- ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «ديوان» ، ١٨١٣ ، الاضبارة
 ٢٢٨٥ ، ص ٦٧-٦٨ ؛ يذكر عبد الرحيم ان ثلاثة الاف اذن قطعت
 (الدولة . . . ص ٢٩٦) .
- ٢٣- Burckhardt J. L. Travels ... Vol. 2, p. 286.
- ٢٤- ابن بشر . عنوان المجلد . . . ج ١ ، ص ١٥٩ ؛ احمد بن زيني
 دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٢٩٥ .
- ٢٥- Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 1, pp. 391-399;
 Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 244-247;
 عنوان

- المجد . . . ج ١ ، ص ١٥٩-١٦٠ ؛ الجبرتي . مصر . . . ص ٣٩١-٣٩٣ .
- ٢٦- ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «ديوان» ، ١٨١٣ ، الاضبارة ٢٢٨٥ ، ص ٣٢٥ .
- ٢٧- Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 1, pp. 399-403; الجبرتي . مصر . . . ص ٣٩٣-٣٩٨ ؛ احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٢٩٦ .
- ٢٨- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٦١ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 1, pp. 403-407; Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 248-250.
- ٢٩- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 248; ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٦٢ ؛ احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٢٩٦ .
- ٣٠- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٦٣ ؛ احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٢٩٦ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 1, pp. 407-408; vol. 2, pp. 1-2; Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, p. 251
- ٣١- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 251-260; Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 2-3; ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٦٣ ؛ الجبرتي . مصر . . . ص ٤٥٠-٤٥١ .
- ٣٢- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٦٣ ؛ الجبرتي . مصر . . . ص ٤٥١-٤٥٦ ؛ ٤٧٧ ؛ Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 260-262; Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 3-16.
- ٣٣- Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 3-16; Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 264-267; ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٦٤-١٦٥ ؛ عبد الرحيم . الدولة . . . ص ٣٠٢-٣٠٤ .
- ٣٤- Finati G. Narrative ... Vol. 1, pp. 222-223; احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٣٠٠ .
- ٣٥- Finati G. Narrative ... Vol. 1, pp. 226-232; Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 17-19; Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 274-277; ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ١٧٧ .
- ٣٦- Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 252, 278, 280-284, 290-294, 303-305; Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 26-29.

- ٣٧ - احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام ص ٣٠٠ .
- ٣٨ - نفس المرجع ؛ Burckhardt J. L. Travels ... Vol. 1, p. 82, Vol. 2, pp. 286-287, 306.
- ٣٩ - ابن بشر . عنوان المجد ج ١ ، ص ١٧٦ ؛ الجبرتي . مصر ص ٤٦٤ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 20.
- ٤٠ - ابن بشر . عنوان المجد ج ١ ، ص ١٦٥-١٦٦ .
- ٤١ - نفس المرجع ، ص ١٧٨ .
- ٤٢ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 290-292 .
- ٤٣ - ابن بشر . عنوان المجد ج ١ ، ص ١٧٩-١٨١ ؛ الجبرتي . مصر ص ٤٨٧-٤٩١ ؛ احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام ص ٢٩٨-٣٠١ ؛
- Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 30-32; Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 310-332.
- ٤٤ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 338-339; Burckhardt J. L. Travels ... Vol. 1, pp. 133-136; Sabry M. L'Empire Egyptien ... , p. 48.
- ٤٥ - ابن بشر . عنوان المجد ج ١ ، ص ١٨١-١٨٢ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 32-34; Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 339-343.
- ٤٦ - احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام ص ٣٠١ .
- ٤٧ - ابن بشر . عنوان المجد ج ١ ، ص ١٨٢-١٨٣ ؛ Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 343-345; Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 34-48; عبد الرحيم الدولة ص ٣١٢ .
- ٤٨ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 57; الجبرتي . مصر ص ٥١٠-٥١١ .
- ٤٩ - ابن بشر . عنوان المجد ج ١ ، ص ١٨٤-١٨٥ ؛ Burckhardt J. L. Notes ... , vol. 2, pp. 346-356; Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 55-57.
- ٥٠ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 56-57, 67-71.
- ٥١ - Sabry M. L'Empire Egyptien ... , pp. 44-46.
- ٥٢ - نفس المرجع ، ص ٤٩-٥٠ .
- ٥٣ - Burckhardt J. L. Notes ... Vol. 2, pp. 356-357; عبد الرحيم الدولة ص ٣١٨ .
- ٥٤ - ابن بشر . عنوان المجد ج ١ ، ص ١٨٧-١٨٨ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 98-104.
- ٥٥ - Sadlier G. F. Account of a Journey from Katif on the Persian Gulf to Yamboo on the Red sea (Rear 24.4.1821). —

- «Transactions of the Literary Society of Bombay». Vol. 3.
London, 1823, p. 486.
- ٥٦ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 105; Sadlier G. F. Account ... , p. 486; ج ١ ، ص ١٨٨ .
- ٥٧ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ١ ، ص ١٨٨-١٨٩ ؛ Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 106-107.
- ٥٨ - Sabry M. L'Empire Egyptien ... , p. 52.
- ٥٩ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ١ ، ص ١٩٧ .
- ٦٠ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 107-111.
- ٦١ - نفس المرجع ، ص ١١٢-١١١ ؛ Sadlier G. F. Account ... , pp. 487-488; ج ١ ، ص ١٩١-١٨٩ .
- ٦٢ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ١ ، ص ١٩٢-١٩٠ .
- ٦٣ - نفس المرجع ، ص ١٩٢-١٩٤ ؛ Sadlier G. F. Account ... , p. 488; Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 115-117.
- ٦٤ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ١ ، ص ١٩٤-١٩٥ .
- ٦٥ - Sadlier G. F. Account ... , p. 488.
- ٦٦ - Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 118-131; ابن بشر . عنوان المجد ... ج ١ ، ص ٦٣٤ ؛ Sadlier G. F. Account ... , p. 488; ج ١ ، ص ١٩٦-٢٠٣ ؛ الجبرتي . مصر ... ، ص ٣٠٢ .
- ٦٧ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ١ ، ص ٢٠٦-٢٠٧ . ان التفاصيل الدقيقة عن واقعة الدرعة التي استمرت بضعة اشهر تدل على ان ابن بشر كان فى العاصمة آنذاك ، او انه جمع معلومات عن هذا الحدث من اشخاص كثيرين . واعتبر منجيين ان عبد الله استسلم فى ٩ ايلول (سبتمبر) (F. Mengin ... Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 139-140) وهذا ما تؤكد معلومات . ابن بشر ، لان من المحتمل ان المصريين اعتبروا ذلك التاريخ يوما للنصر . ويورد سيدليسر يوم ٤ ايلول ، (Sadlier G. F. Account ... , p. 488) اما صبرى فيورد تاريخ ١٥ ايلول ، استنادا الى مصادر لم يرد ذكرها (M. Sabry. L'Empire Egyptien ... , p. 55).
- ٦٨ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ١ ، ص ٢٠٧ .
- ٦٩ - ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «ديوان» ، ١٨١٨ ، الاضبارة ٢٣٢١ ، ص ٤٣٩ .
- ٧٠ - الجبرتي . مصر ... ج ١ ، ص ٦٣٦-٦٣٧ .

- ٧١- ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «ديوان» ، ١٨١٨ ،
الاضطراب ٢٣٢١ ، ص ٤٣٥ .
- ٧٢- عبد الرحيم . الدولة . . . ، ص ٤٠٠-٤٠١ .
- ٧٣- ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «ديوان» ، ١٨١٨ ،
الاضطراب ٢٣٢١ ، ص ٤٧٩-٤٨٠ .
- ٧٤- Rehatsek E. The History of the Wahhabys in Arabia and in India. — «The Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic Society». Vol. 14, 1878-188. Bombay, 1880, p. 361.
- ٧٥- انظر : اشراف ك . م . ممثلو النهضة الاسلامية واحداث عام ١٨٥٧ . — التمرد الشعبى بالهند فى اعوام ١٨٥٧-١٨٥٩ .
موسكو ، ١٩٥٧ . (باللغة الروسية) .
- ٧٦- كما جاء فى نفس المرجع ، ص ١٤٥ .
- ٧٧- محمد عبد الله ماضى . النهضة الحديثة فى جزيرة العرب .
الطبعة الثانية ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٢ ،
ج ١ ، ص ٦٢-٦٨ .
- ٧٨- ايفانوف ن . ا . المغرب . — تاريخ النضال التحررى الوطنى
لشعوب افريقيا فى العصر الحديث ، موسكو ، ١٩٧٢ ، ص ٣٠-
٣٤ (باللغة الروسية) .

الفصل السادس

- ١- Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 136; —
عنوان المجد . . . ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، ٢١٠ ، ٢١٢-٢١٣ .
- ٢- ابن بشر . عنوان المجد . . . ، ج ١ ، ص ١١٥ ؛
Sadlier G. F. Account ... , p. 471.
- ٣- Sadlier G. F. Diary of a journey across Arabia. — Selections from the Records of the Government. Bombay, 1866, p. 158.
- ٤- ابن بشر . عنوان المجد . . . ، ج ١ ، ص ٢١٣ ؛
Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, p. 231;
احمد بن زبنى دحلان . خلاصة الكلام . . . ، ص ٣٠٣
- ٥- ابن بشر . عنوان المجد . . . ، ج ١ ، ص ٢١٣ ؛
Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 151, 158-162; Sadlier G. F. Account ... , pp. 474, 486.
- ٦- عثمان بن سند البصرى . تاريخ بغداد ، ص ٥٠ ؛ ابن بشر .
عنوان المجد . . . ، ج ١ ، ص ٢١٢-٢١٣ .
- ٧- Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 160-162; Weygand, le général. Histoire militaire de Mohammed Aly et de ses fils. Paris, 1936, vol. 1, pp. 113-114.

Philby H. Saudi Arabia, p. 148. — ٨

Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp^t 160-162; — ٩
Weygand. Histoire ... Vol. 1, pp. 113-114.

Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 197-200, 658-677. — ١٠

Winder R. B. Saudi Arabia, pp. 46-49. : انظر ايضا

١١- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٢١٢ .

Sadlier G. F. Account ... , p. 469. — ١٢

١٣- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٢١٠ ، ٢١٢-٢١٧ ؛
Mengin F. Histoire de l'Egypte ... Vol. 2, pp. 158-159.

١٤- احمد بن زيني دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٣٠٣ ؛
Hurgronje C. S. Mekka. Haag, 1888, p. 161; Tamisier M. Voyage en Arabie. Séjour dans le Hejaz. Campagne d'Assier. Paris, 1840, vol. 1, pp. 144-149.

١٥- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٢١٧-٢١٩ .

١٦- نفس المرجع ، ص ٢١٨-٢١٩ ؛

Musil A. Northern Neêd. New York, 1928, p. 270.

١٧- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ٢ ، ص ٥٦ .

١٨- نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٢٢٠-٢٢٢ ؛ احمد بن زيني دحلان .
خلاصة الكلام . . . ص ٣٠٣ .

١٩- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٢٢٢ ؛ احمد بن زيني
دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٣٠٣ .

٢٠- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٢٢٤-٢٢٥ ؛ احمد
بن زيني دحلان . خلاصة الكلام . . . ص ٣٠٣ ؛

Cevdet A. Tarih ... Vol. 11, pp. 190-191.

٢١- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٢٢٦-٢٢٧ ؛
Musil A. Northern Neêd, p. 270.

٢٢- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٢٢٧ .

٢٣- نفس المرجع ، p. 270. Musil A. Northern Neêd,

٢٤- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٢٣٠-٢٣٢ ؛
Musil A. Northern Neêd, p. 271.

٢٥- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ٢ ، ص ١١ ، ٥٦ .

٢٦- نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٢٣١-٢٣٢ .

٢٧- نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١١-١٢ .

٢٨- نفس المرجع ، ص ١٢ ؛

Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 2, p. 62.

٢٩- ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ٢ ، ص ١٣-١٧ ؛ ٢٧ .

٣٠- نفس المرجع ، ص ١٧-١٩ ؛

Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 2, p. 62-63.

- 31 - Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 1094. Winder R. B. Saudi Arabia ..., p. 65.
- 32 - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ٢ ، ص ١٩-٢٢ ، ٦٢ .
- 33 - نفس المرجع ، ص ٢٣-٢٦ .
- 34 - Wallin G. Narrative ..., p. 186.
- 35 - Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 2, p. 18.
- 36 - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ٢ ، ص ٢٦-٣٠ ؛ ٣٢-٣٣ .
- 37 - نفس المرجع .
- 38 - نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، ٦٢ ؛
- Musil A. Northern Negd, p. 271.
- 39 - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ٢ ، ص ٣٢ ؛ فؤاد حمزة . قلب الجزيرة العربية . المطبعة السلفية الكبرى ومكتبتها ، ١٩٣٣ ،
- Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 1161. ؛ ٣٣٦ ، ١٤١ ص
- 40 - Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 950-951, 954.
- 41 - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ٢ ، ص ٣٥-٣٧ ؛
- Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 954.
- 42 - Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 954-955.
- 43 - نفس المرجع ، ص ٨٥٦-٨٥٧ ، ٩٥٥-٩٥٦ ، ١٠٩٥ ؛
- Winder R. B. Saudi Arabia ..., pp. 78-79.
- 44 - Salil-ibn-Razik. History ..., pp. LXXXI-LXXXII.
- 45 - Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 687.
- 46 - Winder R. B. Saudi Arabia ..., p. 79.
- 47 - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ٢ ، ص ٣٣-٣٨ .
- 48 - Precs Regarding Muscat and its Realtions with the Wahabee Power. اوردها بدجير في مقدمته ، Salil-ibn-Razik, History ..., p. LXXXVI-LXXXVII.
- 49 - Wilson A. J. The Persian Gulf. An Historical Sketch from the Earliest Times to the Beginning of the Twentieth Century, Oxford, 1928, p. 198.
- 50 - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ٢ ، ص ٣٨-٣٩ ، ٤٥ ، ٤٨ -
- Lorimer J. G. Grazeetter ... Vol. 1, p. 1094. ؛ ٤٩ ، ٥٤
- 51 - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ٢ ، ص ٤ .
- 52 - محمود شكرى الاوسى . تاريخ نجد ، تحقيق محمد بهجت الاثرى . المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٣ هـ ، ص ٩٧-١٠٠ .
- 53 - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ١ ، ص ٢١٩ ؛ ج ٢ ، ص ٢٨ - ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٥ .
- 54 - نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٣٣ ، ٣٩ ، ٤١ ؛

Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 2518-2519; Wellsted J. R. Travels in Arabia ... Vol. 2, p. 253.

٥٥ - محمد بن خليفة النبهاني . التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية . القاهرة ، ١٣٣١ هـ ، ص ١٥٤-١٥٥ ؛ ابن بشر . عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ٤٨ .

٥٦ - Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 857-1095.

٥٧ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ٤٩ .

٥٨ - Winder R. B. Saudi Arabia ... , p. 95.

٥٩ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ٥١-٥٣ .

٦٠ - نفس المرجع ، ص ٦٥-٦٦ ؛ Memorial ... Vol. 1, pp. 170-171.

٦١ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ٦٨-٦٩ ؛

Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 858, 956-957, 1097-1098.

٦٢ - Wellsted J. R. Travels in Arabia. Vol. 1, pp. 54-65, 96-97,

انظر ايضا : 219, 223-224, 231. Lorimer J. G. Gazetteer ...

Vol. 1, p. 454, 1098-1099; Memorial ... Vol. 1, p. 173.

٦٣ - Wallin G. A. Narrative ... , pp. 180-184; Guarmani C. Northern

Najd ... , pp. 88, 92; Huber Ch. Journal ... , p. 151.

٦٤ - Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp. 101-104.

٦٥ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ٦٨-٧٠ ؛

Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 1097; Cevdet Ahmed.

Tezâkir 1-12. Ankara, 1953, p. 139.

٦٦ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ٦٩ .

٦٧ - نفس المرجع ، ص ٧٠ .

٦٨ - Philby H. Saudi Arabia, p. 176.

٦٩ - انظر : Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp. 110-111; ابن بشر .

عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ٧٢ ؛ فؤاد حمزة . قلب الجزيرة

العربية ... ص ٣٤٢ ؛ Musil A. Northern Neğd, p. 272.

٧٠ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ٧٢ .

٧١ - نفس المرجع ، ص ٧٣-٧٤ ، ٧٩-٨٠ .

٧٢ - نفس المرجع ، ص ٧٧ .

٧٣ - نفس المرجع ، ص ٨٠-٨١ ؛ فؤاد حمزة . قلب الجزيرة العربية ،

ص ٣٣٦ ، ٣٤٢ ؛ Musil A. Northern Neğd, p. 272.

٧٤ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ٨١-٨٤ ؛

Jomard E. F. Etudes géographiques et historiques sur l'Arabie..

Paris, 1839, pp. 239-241; Winder R. B. Saudi Arabia ... ,

pp. 118-120.

٧٥ - Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 1099.

٧٦ - Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp. 122-123.

- ٧٧ - Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 862.
- ٧٨ - نفس المرجع ، ص ٨٦٢-٨٦٥ ؛
- Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp. 125-128.
- ٧٩ - Fresnel F. L'Arabie. «Revue de deux mondes». Sér. 4, 1839, vol. 17, p. 250; Winder R. B. Saudi Arabia ... , p. 131.
- ٨٠ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ٨٩ ؛
Driault E. L'Egypte et l'Europe. La crise de 1839-1841. Cairo, 1930-1933. Vol. 2, pp. 176, 190, 323; Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 1104-1105; Cevdet A. Tezâkir ... 1-12, pp. 139-140.

الفصل السابع

- ١ - Cevdet A. Tezâkir ... 1-12, pp. 139-140.
- ٢ - Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 1104-1105; Winder R. B. Saudi Arabia, p. 112.
- ٣ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ٩٢-٩٣ ، ٩٥ ؛
Blunt A. A. Pilgrimage ... , p. 263; Musil A. Northern Neğd, p. 273; فؤاد حمزة . قلب الجزيرة العربية ... ص ٢٧٢-٢٧٣ .
- ٤ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ٩٦ ؛
Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 1105-1106; احمد بن زيني
Musil A. Northern Neğd, p. 273; Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp. 139-140.
- ٥ - Winder R. B. Saudi Arabia ... , p. 142.
- ٦ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ٩٩ ؛ احمد بن زيني
دحلان . خلاصة الكلام ... ص ٣١٢-٣١٣ ؛
Winder R. B. Saudi Arabia ... , p. 142.
- ٧ - Wallin G. A. Narrative ... , p. 179.
- ٨ - Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp. 143-147; ابن بشر . عنوان
المجد ... ج ٢ ، ص ٩٩-١٠٣ ؛ احمد بن زيني دحلان .
خلاصة الكلام ... ص ١١٣ ؛ امين الريحاني . تاريخ نجد
الحديث وملحقاته وسيرة الملك عبد العزيز عبد الرحمن آل فيصل
آل سعود . بيروت ، ١٩٢٧ ، ص ٨١ .
- ٩ - Philby H. Saudi Arabia, pp. 193-194.
- ١٠ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ١٠٨-١١٠ ؛
Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 866-875.
- ١١ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ١١١-١١٢ ؛
Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp. 152-153
- ١٢ - ابن بشر . عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ١١١ ، ١١٣ .

- ١٣ - Doughty Ch. Travels ... Vol. 2, p. 42.
- ١٤ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ٢ ، ص ١١٢ ؛
- Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp. 154-155.
- ١٥ - Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 1111.
- ١٦ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ٢ ، ص ١١٤ ، ١١٧ ،
- Wallin G. A. Narrative ... , pp. 146, 149; Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp. 155-156.
- ١٧ - Huber Ch. Voyage dans l'Arabie centrale, Hammôde, Sammar, Kasîm, Hedjâs. — «Bulletin de la société géographique», Paris, 1884-1885, vol. 6, p. 147.
- ١٨ - نفس المرجع ، المجلد ٥ ، ص ٤٩٤ ؛ المجلد ٦ ، ص ١٤٧-١٤٨ .
- ١٩ - نفس المرجع ، المجلد ٥ ، ص ٤٩٤ ؛
- Doughty Ch. Travels ... Vol. 2, pp. 340-341, 357.
- ٢٠ - Doughty Ch. Travels ... Vol. 2, pp. 337, 395, 416, 433-434, 443-444; Huber Ch. Voyage ... BSG. Vol. 5, p. 494.
- ٢١ - Doughty Ch. Travels ... Vol. 2, p. 357.
- ٢٢ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ٢ ، ص ١١٤-١١٥ .
- ٢٣ - انظر بشأن القصيم : ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ٢ ، ص ١١٩-١٣٠ ؛
- Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 1, pp. 168-169; Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp. 157-165.
- ٢٤ - Doughty Ch. Travels ... Vol. 2, p. 458.
- ٢٥ - Huber Ch. Journal ... , p. 493; Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp. 165-168.
- ٢٦ - Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp 170-171; هذه المعركة في عام ١٨٥٩ . (Philby H. Saudi Arabia ... , p. 208).
- ٢٧ - Winder R. B. Saudi Arabia ... pp. 171-172.
- ٢٨ - Doughty Ch. Travels ... Vol. 2, p. 459; Philby H. Saudi Arabia ... , p. 313; Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp. 173-174.
- ٢٩ - Doughty Ch. Travels ... Vol. 2, pp. 459-463.
- ٣٠ - Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 2, p. 109.
- ٣١ - للتفصيل عن «الحرب الثانية» راجع :
- Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 2, pp. 108-111, 171-174, 249-250; Guarmani G. Northern Najd ... , p. 93; Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp. 174-178.
- ٣٢ - Hurgronje C. S. Mekka (1888), p. 164.
- ٣٣ - ابن بشر . عنوان المجد . . . ج ٢ ، ص ١١٤-١١٥ .
- ٣٤ - نفس المرجع .

Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 1110-1111; Winder R. B. Saudi Arabia ..., p. 182. — ٣٥

De Gaury G. Rulers of Mecca, pp. 248-249. — ٣٦

Marston T. E. Britain's Imperial Role in the Red Sea Area (1800-1878). Hamden. (Connecticut), 1961, pp. 162-163, 216-217; Cevdet A. Tezâkir ... 1-12, pp. 101-129. — ٣٧

De Gaury G. Rulers of Mecca, p. 252. — ٣٨

Winder R. B. Saudi Arabia ..., p. 207. — ٣٩

Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 1116. — ٤٠

Pelly L. Report on a Journey to the Wahabee, Capital of Riyadh in Central Arabia. Bombay, 1866, p. 51. — ٤١

٤٢ — نفس المرجع ، ص ٥٢ .

Pelly L. Report on the Tribes, Trade and Resources around the Shore of the Persian Gulf. — Transactions of the Bombay geographical Society, XVII. (1863), pp. 65, 69. — ٤٣

Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 1111. — ٤٤

٤٥ — ابن بشر . عنوان المجد ... ج ٢ ، ص ١٣٠-١٣٢ ؛ Memorial ... Vol. 1, p. 207; Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 800, 961-962; 1112; Salil-ibn-Razik. History ..., p. XC; النبھانی . التحفة ... ص ١٦٣-١٦٤ . — ٤٦

Winder R. B. Saudi Arabia ..., p. 189. — ٤٧

Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 887-890; Aitchison C.U. A Collection of Treaties, Engagements and Sanads. Vol. 11, Delhi, 1933, pp. 185, 192; Winder R. B. Saudi Arabia ..., pp. 190-191. — ٤٨

٤٨ — نورد الاحداث المتعلقة بعمان وفقا لويندر الذى اعتمد على مصادر لم يفلح المؤلف فى العثور عليها . (Winder R. B. Saudi Arabia ..., pp. 192-203). — ٤٩

Pelly L. Report on a Journey ..., pp. 35; 49; Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 2, p. 98. — ٥٠

Philby H. The Heart of Arabia. Vol. 1, p. 99; Philby H. St.-J. Arabia of the Wahhabis. London, 1928, p. 141. — ٥١

Winder R. B. Saudi Arabia ..., p. 225. — ٥٢

Pelly L. Report on a Journey ..., p. 7. — ٥٣

Winder R. B. Saudi Arabia ..., p. 225-226. — ٥٤

Pelly L. Report on a Journey ..., p. 55. — ٥٥

Philby. Saudi Arabia, p. 194-195; Winder R. B. Saudi Arabia ..., p. 209; — ٥٦

Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 1, p. 399; vol. 2, p. 189. — ٥٧

Pelly L. Report on a Journey ... , p. 92-93; Memorial ... Vol. — ٥٧
2, pp. 323-330.

Pelly L. Report on a Journey ... , pp. 92-93. — ٥٨

. نفس المرجع ، ص ٣٤ .

Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 2, p. 86. — ٦٠

Pelly L. A Visit ... , p. 188 — ٦١

Pelly L. Report on a Journey ... , pp. 11, 91; Palgrave W. G. — ٦٢

Narrative ... Vol. 2, pp. 178-179; Zwemer S. M. Arabia: The
Cradle of Islam. London. 1900, pp. 115-116.

Hogarth D. G. The Penetration of Arabia. London, 1905, — ٦٣

pp. 150, 160, 267, 277; Pelly L. A. Visit ... , p. 188; Guar-

mani G. Northern Najd ... , p. 42; Lorimer J. G. Gazetteer ...

Vol. 1, p. 2335-2340; Blunt A. A Pilgrimage ... Vol. 1, p. 255;

vol. 2, pp. 2-3.

Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 2220-2293. — ٦٤

الفصل الثامن

١ - حافظ وهبة . جزيرة العرب في القرن العشرين . لجنة التأليف

والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٢٤٤ .

Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 2, pp. 73-74. — ٢

Philby H. Saudi Arabia, p. 218. — ٣

Philby H. The Heart of Arabia. Vol. 1, p. 99; Philby H. — ٤

Arabia of the Wahhabis, p. 141.

Pelly L. Report on a Journey ... , pp. 33-34. — ٥

Winder R. B. Saudi Arabia ... , p. 231. — ٦

Pelly L. Report on a Journey ... , p. 52. — ٧

Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 473-476, 1121-1125; — ٨

Salil-ibn-Razik. History ... , pp. C-CIV; Aitchison C. U. A

Collection ... , p. 185; Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp. 232-

234.

Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp. 234-237. — ٩

Philby H. Saudi Arabia, p. 218. — ١٠

Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 892-902; — ١١

Winder R. B. Saudi Arabi ... ، ص ١٩١ ؛

p. 245.

Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 726-727; Memorial ... — ١٢

Vol. 1, p. 244; Winder R. B. Saudi Arabia ... , pp. 245-247.

- Winder R. B. Saudi Arabia ..., p. 247. — ١٣
 ١٤ — نفس المرجع .
 ١٥ — الريحاني . تاريخ . . . ، ص ٨٤ ؛ النبهاني . التحفة . . . ، ص
 Salil-ibn-Razik. History ... , pp. CXV-CXVI ؛ ٢٤٠-٢٣٩
 Pelly L. Report on a Journey ... , p. 76; Lorimer J. G.
 Gazetteer ... Vol. 1, p. 1128.
 Winder R. B. Saudi Arabia ... , p. 242. — ١٦
 Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 1, p. 203. — ١٧
 Blunt A. A. Pilgrimage ... , p. 194. — ١٨
 Doughty Ch. Travels ... Vol. 2, pp. 41-42. — ١٩
 Musil A. Northern Neğd, p. 239. — ٢٠
 Palgrave W. G. Narrative ... Vol. 1, p. 130. — ٢١
 Guarmani C. Northern Neğd ... ، ص ١٢٨ ؛ ٢٢
 pp. 53-54; Huber Ch. Voyage ... BSG. Vol. 5, p. 357.
 Wallin G. A. Narrative ... , p. 179. — ٢٣
 Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 1163-1165; Huber — ٢٤
 Ch. Journal ... , p. 190; Winder R. B. Saudi Arabia ... ,
 pp. 242-244.
 Philby H. Saudi Arabia, p. 224. — ٢٥
 Guarmani C. Northern Najd ... , pp. 90-91; Doughty Ch. — ٢٦
 Travels ... Vol. 2, p. 20; Philby H. St.-J. Arabia, London,
 1930, p. 196; Huber Ch. Voyage ... BSG. Vol. 6, p. 140,
 141, 146.
 Blunt W. F. A Visit to Jebel Shammar (Nejd), — Proceedings — ٢٧
 of the Royal Geographical Society, London, 1880, vol. 2,
 p. 88.
 Wallin G. A. Narrative ... , p. 180. Guarmani C. Northern — ٢٨
 Najd ... , p. 91; Doughty Ch. Travels ... Vol. 1, pp. 23, 33,
 35, 52; Huber Ch. Voyage ... BSG. Vol. 5, p. 354.
 Montagne R. Notes sur la vie sociale et politique de l'Arabie — ٢٩
 du Nord: les Sammar du Neğd. — « Revue des Etudes Is-
 lamiques », 1932, cah. 1, p. 78; Montagne R. La civilisa-
 tion ... , p. 156.
 Doughty Ch. Travels ... Vol. 1, p. 588. Nolde E. Reise Nach — ٣٠
 Innerarabien, Kurdist und Armenien, 1892. Braunschweig, 1895,
 pp. 80, 86, 89; Montagne R. Notes ... , p. 78; Montagne R.
 La civilisation ... , pp. 155-156.
 Wallin G. A. Narrative ... , p. 180; Euting J. Reise in In- — ٣١
 nerarabien 1883/84 — «Verhandlungen d. Gessellschaft f.

Erdkunde zu Berlin». 1886, vol. 1, pp. 200-201. Doughty Ch. Travels ... Vol. 1, p. 610.

Wallin G. A. Notes ..., p. 43; Wallin G. A. Narrative ..., - ٢٢ pp. 179-180.

Wallin G. A. Narrative ..., p. 80; Guarmani C. Northern - ٢٣ Najd ..., pp. 46-48; Euting J. Reise in Innerarabien ... Vol. 1, p. 203.

Nolde E. Reise Nach Innerarabien ..., p. 34; Palgrave W. G. - ٢٤ Narrative ... Vol. 1, p. 109.

Guarmani C. Northern Najd ..., p. 91. - ٢٥

Nolde E. Reise Nach Innerarabien ..., p. 84. - ٢٦

Huber Ch. Voyage ... BSG Vol. 5, p. 357; Euting J. Reise - ٢٧ in Innerarabien ... Vol. 1, p. 177; Nolde E. Reise Nach Innerarabien ..., p. 36.

Philby H. Saudi Arabia, p. 219; Winder R. B. Saudi Arabia ..., - ٢٨ pp. 248-249.

Winder R. B. Saudi Arabia ..., pp. 250-251. - ٢٩

٤٠ - نفس المرجع ، ص ٢٥١ .

Longrigg S. H. Four Centures ..., p. 302; Midhat Ali Haydar. The Life of Midhat Pasha. London, 1903, pp. 56-57; Blunt A. A Pilgrimage ... Vol. 2, p. 266; Winder R. B. Saudi Arabia ..., p. 252.

Blunt A. A Pilgrimage ... Vol. 2, pp. 266-267. - ٤٢

Memorial ... Vol. 1, p. 257; Minder ٤٣ - نفس المرجع ، ص ٢٦٦ ؛ R. B. Saudi Arabia ..., p. 255.

Winder R. B. Saudi Arabia ..., p. 256. - ٤٤

Doughty Ch. Travels ... Vol. 2, p. 368; Musil A. Northern - ٤٥ Nejd, p. 274; Lorimer ٤٥ - تاريخ ، ص ٨٥ ؛ J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 1132-1133.

Philby H. Saudi Arabia, pp. 224-225. - ٤٦

Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 914, 917; - ٤٧

Blunt A. A. Pilgrimage... ٤٧ - تاريخ ، ص ٨٥ ؛ Vol. 2, p. 267;

Winder R. B. Saudi Arabia ..., pp. 259-260.

Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 1132; Doughty Ch. - ٤٨ Travels ... Vol. 2, pp. 51, 453-455; Winder R. B. Saudi Arabia ..., pp. 260-261.

٤٩ - Philby H. Saudi Arabia, p. 226; Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 1134, 1137.

Philby H. Saudi Arabia, p. 226. - ٥٠

Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 983; Memorial ... - ٥١
Vol. 1, p. 267.

Doughty Ch. Travels ... Vol. 2, p. 455. - ٥٢

Winder R. B. Saudi Arabia ..., p. 266. - ٥٣

٥٤ - فؤاد حمزة . البلاد العربية السعودية . مكة المكرمة ، ١٣٥٥ هـ /
١٩٣١-٣٢ ، ص ٣ ، ٥-١٠ ؛ صلاح الدين المختار . تاريخ المملكة
العربية السعودية في ماضيها وحاضرها . بيروت ، ١٩٥٧ ، ج
٢ ، ص ١٨ ؛ Kheirallah G. Arabia Reborn. — Albuquerque,
New Mexico, 1952, p. 74.

٥٥ - Huber Ch. Journal ..., p. 162; Doughty Ch. Travels ... Vol. 2, pp. 38, 51, 307, 315, 338,
394, 456; Winder R. B. Saudi Arabia ..., p. 267.

٥٦ - Philby H. Saudi Arabia, p. 229; تاريخ . . . ، ص
٨٧ .

Philby H. Saudi Arabia, p. 230. - ٥٧

٥٨ - الريحاني . تاريخ . . . ، ص ٨٨ ؛ Lorimer J. G. Gazetteer ...
Vol. 1, p. 1137; Musil A. Northern Negd, p. 278; البلاد
العربية السعودية ، ص ٦ ؛ حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ،
ص ٢٣٥-٢٣٦ . يقع فيلبى فى خطا فاحش بتاريخه هذه الاحداث
ص 231 (Philby. Saudi Arabia ..., p. 231) عام ١٨٨٥ . فقد ارخها
آداموف ، قنصل روسيا فى البصرة فى عام ١٨٨٦ . (ارشيف
السياسة الخارجية لروسيا ، «سفارة فى الاستانة» ، ١٩٠٢ ،
الاضبارة ١٢٦٥ ، ص ٨٤ .

٥٩ - الريحاني . تاريخ . . . ، ص ٨٨ .

Winder R. B. Saudi Arabia ..., pp. 272-273. - ٦٠

Philby H. Saudi Arabia, p. 232; Winder R. B. Saudi Ara-
bia ..., p. 273. - ٦١

Philby H. Saudi Arabia, p. 232. - ٦٢

٦٣ - الريحاني . تاريخ . . . ، ص ٨٨-٨٩ ؛ Musil A. Northern
Negd, pp. 278-279; Winder R. B. Saudi Arabia ..., pp. 274-
275.

Musil A. Northern Negd, p. 279. - ٦٤

٦٥ - نفس المرجع ، ص ٢٧٩-٢٨٠ ؛

Philby H. Arabia of the Wahhabis
pp. 272-273; Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 1177;

حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ، ص ٢٣٧ .

٦٦ - الريحاني . تاريخ . . . ، ص ٩١ ؛ Philby H. Saudi Arabia,

- pp. 235-239; Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, p. 1140;
Winder R. B Saudi Arabia ..., pp. 277-278.
- ٦٧ - Rihani Ameen. Ibn Saoud of Arabia, Maker of Modern Arabia. Boston—New-York, 1928, p. 218.
- ٦٨ - Musil A. Zur Zeit geschichte von Arabien. Leipzig—Wien, 1918, p. 68.
- ٦٩ - خير الدين الزركلى . شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز . بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٨٥ .
- ٧٠ - نفس المرجع ، ص ١١٩ .
- ٧١ - بونداريفسكى غ . السياسة البريطانية والعلاقات الدولية فى حوض الخليج (نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) ، موسكو ، ١٩٦٨ ، ص ١٧ (باللغة الروسية) .
- ٧٢ - نفس المرجع ، ص ٣٤ .
- ٧٣ - Troeller G. The Birth of Saudi Arabia. London, 1976, p. 3.
- ٧٤ - بونداريفسكى . السياسة البريطانية . . . ، ص ٢٠٨ ؛ Troeller G. The Birth of Saudi Arabia, p. 3.
- ٧٥ - De Gaury G. Rullers of Mecca, p. 253.
- ٧٦ - نفس المرجع ، ص ٢٥٤-٢٦٠ .
- ٧٧ - نفس المرجع ، ص ٢٦٠ .
- ٧٨ - بونداريفسكى . السياسة البريطانية . . . ، ص ٨٩ ؛ (Philby H. Saudi Arabia, p. 236).
- ٧٩ - بونداريفسكى . السياسة البريطانية . . . ، ص ١٠٥-١٠٧ .
- ٨٠ - نفس المرجع ، ص ١٠٩ ، ١١٤ ؛ حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ، ص ٨٥-٨٦ ؛ Aitchison C. U. A Collection ... Vol. 9, p. 262; Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 1049-1050.
- ٨١ - بونداريفسكى . السياسة البريطانية . . . ، ص ١٤٣-١٤٨ .

الفصل التاسع

- ١ - Philby H. Saudi Arabia, p. 238.
- ٢ - بونداريفسكى . السياسة البريطانية . . . ، ص ٢١٨-٢٢١ ؛ ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «السفارة فى الاستانة» ، ١٩٠١ ، الاضبارة ١٢٤٤ ، ص ٢٢١-٢٢٤ .
- ٣ - Philby H. Saudi Arabia, p. 238.
- ٤ - اداموف أ . العراق العربى . ولاية البصرة فى ماضيها وحاضرها ، بطرسبورغ ، ١٩١٢ ، ص ٤٧١ (باللغة الروسية) .
- ٥ - بونداريفسكى . السياسة البريطانية . . . ، ص ٢٣٤-٢٣٥ .
- ٦ - ضارى بن فحيد آل رشيد . نبذة تاريخية . عن نجد الرياض ،

١٩٦١ ، ص ٥٨-٦٠ ؛ حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ،
ص ٨٦ ؛ اداموف . العراق العربى . . . ، ص ٤٧١ ؛ ارشيف
السياسة الخارجية لروسيا ، «ارشيف سياسى» ، ١٩٠١ ،
الاضبارة ٣٦٤ ، ٣١ . Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1,
p. 1029;

Philby H. Saudi Arabia, p. 238.

٧- ارشيف السياسة الخارجية ، «سفارة فى الاستانة» ، ١٩٠٢ ،
الاضبارة ١٢٦٥ ، ص ٩٤ .

٨- ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «ارشيف سياسى» ، ١٩٠١ ،
الاضبارة ٣١٩٥ ، ص ٣٤ ؛ «السفارة فى الاستانة» ، ١٩٠١ ،
الاضبارة ١٢٤٥ ، ص ١٧٢ .

٩- بوبداريفسكى . السياسة البريطانية . . . ، ص ٢٩٢ .

١٠- ارشيف السياسة الخارجية ، «ارشيف سياسى» ، ١٩٠١ ، ج
٤٨٢ ، الاضبارة ٣٦٤ ، ص ٧ .

١١- سعود ابن هذلول . تاريخ ملوك آل سعود . مطابح الرياض ،
١٩٦١ ، ص ٥٧-٦٠ ؛ الريحانى . تاريخ . . . ، ص ١١٠ .

١٢- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٥٧-٦٠ ؛ فؤاد حمزة .
البلاد . . . ، ص ١٢-١٦ ؛ الريحانى . تاريخ . . . ، ص ١٠٨-
١١٣ ؛ الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ٩٧-١٠٢ ؛

Philby H. Saudi Arabia, p. 239.

١٣- آل رشيد . نبذة . . . ، ص ١١٧-١١٨ .

١٤- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٦٢-٦٣ ؛ الزركلى . شبه
الجزيرة . . . ، ص ١٢٩-١٣٠ ؛ محمد بن عبد الله آل عبد
القادر الانصارى الاحسانى . تاريخ الاحساء تحفة المستفيد بتاريخ
الاحساء فى القديم والحديث . الرياض ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ ، ص

١٩٩ ؛ Philby H. Saudi Arabia, pp. 239-241.

١٥- Bell G. The Arab War. London, 1940, p. 9.

١٦- بوندارييفسكى . السياسة البريطانية . . . ، ص ٤١٨-٤١٩ .

١٧- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٦٢-٦٣ ؛ عبد الله بن محمد بن
عبد العزيز البسام . تحفة المشتاق فى اخبار نجد والحجاز والعراق ،
ص ٣٦١-٣٦٢ .

١٨- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٦٣-٦٤ ؛ البسام . تحفة . . . ،
ص ٣٦٢-٣٦٣ ؛ الريحانى . تاريخ . . . ، ص ١١٨-١١٥ ؛
Philby H. Saudi Arabia, pp. 240-242.

١٩- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٦٤-٦٥ ؛ البسام . تحفة . . . ،
ص ٣٦٣ ؛ الريحانى . تاريخ . . . ، ص ١٢٣ ؛

Philby H. Saudi Arabia, p. 242.

٢٠- ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «سفارة في الاستانة» ،
١٩٠٣ ، الاضبارة ١٢٦٦ ، ص ٣٦-٣٨ .

٢١- ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «ارشيف سياسى» ، ١٩٠٢ ،
رقم ٤٨٢ ، الاضبارة ٣٦٥ ، ص ١٣-١٤ .

Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 1145-1146.

زعم لوريمير ان اللقاء جرى مع عبد العزيز .

٢٢- بونداريفسكى . السياسة البريطانية ص ٣٩٣-٣٩٤ .

٢٣- ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «ارشيف سياسى» ، ١٩٠٣ ،
رقم ٤٨٢ ، الاضبارة ٣٦٦ ، ص ٢ .

٢٤- ابن هذلول . تاريخ ص ٦٥-٦٦ ؛ البسام . تحفة
ص ٣٦٤-٣٦٨ .

٢٥- الاحسانى . تاريخ الاحساء ص ٢٠١-٢٠٢ ؛ البسام .
تحفة ص ٣٦٩-٣٧٠ ؛

Philby H. Saudi Arabia, pp. 244-245.

٢٦- ابن هذلول . تاريخ ص ٦٩ .

٢٧- ابن هذلول . تاريخ ص ٧٠ ؛
Philby H. Saudi Arabia, p. 245.

٢٨- الاحسانى . تاريخ الاحساء ص ٢٠٢ .

٢٩- ابن هذلول . تاريخ ص ٦٩ ؛ الاحسانى . تاريخ
الاحساء ص ٢٠٢ ؛ البسام . تحفة ص ٣٧١ ؛
Philby H. Saudi Arabia, p. 245.

٣٠- بونداريفسكى . السياسة البريطانية ص ٤٣١ .

٣١- Philby H. Saudi Arabia, p. 245. البسام . تحفة ص ٣٧١ .

٣٢- الريحانى . تاريخ ص ١٢٥-١٢٦ ؛ البسام . تحفة
ص ٣٧١ .

٣٣- البسام . تحفة ص ٣٧٧-٣٧٩ ؛ الزركلى . شبه
الجزيرة ص ١٥٥-١٥٧ .

٣٤- بونداريفسكى . السياسة البريطانية ص ٤٣٢-٤٣٣ .

٣٥- ابن هذلول . تاريخ ص ٦٩-٧٠ .

٣٦- آل رشيد نبذة ص ١٢٠ .

٣٧- الريحانى . تاريخ ص ١٢٦ ؛ الاحسانى . تاريخ
الاحساء ص ٢٠٣ .

٣٨- Lorimer J. G. Gazetteer ... Vol. 1, pp. 1147-1148.

٣٩- Philby H. Saudi Arabia, p. 246. ابن هذلول . تاريخ ص

٧١ ؛ الاحسانى . تاريخ الاحساء ص ٢٠٣-٢٠٤ ؛

الريحاني . تاريخ . . . ، ص ١٢٦-١٣١ ؛ الزركلي . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٥٠-١٥١ ؛

Philby H. Saudi Arabia, pp. 246-247.

٤٠- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٧١-٧٣ ؛ الاحساني . تاريخ الاحساء . . . ، ص ٢٠٣-٢٠٤ ؛ البسام . تحفة . . . ، ص ٣٧٣ .

٤١- ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «ارشيف سياسي» ، ١٩٠٥ ، رقم ٤٨٢ ، الاضبارة ٣٦٨ ، ص ٢-٣ .
Lorimer J. G. Gazetteer . . . Vol. 1, pp. 1148-1149.

٤٢- ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «ارشيف سياسي» ، ١٩٠٥ ، رقم ٤٨٢ ، الاضبارة ٣٦٨ ، ص ٤ .

٤٣- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٧٤ ؛ البسام . تحفة . . . ، ص ٣٧٤-٣٧٥ ؛ الزركلي . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٦٧ .

٤٤- ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، «ارشيف سياسي» ، ١٩٠٥ ، رقم ٤٨٢ ، الاضبارة ٣٦٨ ، ص ١٠ ؛ ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٧٣ ؛ البسام . تحفة . . . ، ص ٣٧٥ ؛ الزركلي . شبه الجزيرة . . . ، ١٦٧ .

٤٥- Lorimer J. G. Gazetteer . . . Vol. 1, pp. 1149-1150.

٤٦- نفس المرجع ، ص ١١٥٠ .

٤٧- Philby H. Saudi Arabia, p. 248؛ ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٧٣-٧٤ .

٤٨- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٧٣-٧٤ ؛ البسام . تحفة . . . ، ص ٣٧٥ .

٤٩- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٧٦-٧٧ .

٥٠- Lorimer J. G. Gazetteer . . . Vol. 1, p. 1152؛ Philby H. Saudi Arabia, p. 250.

٥١- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٨٠ ؛
Philby H. Saudi Arabia, p. 250.

٥٢- Lorimer J. G. Gazetteer . . . Vol. 1, pp. 1152-1153

٥٣- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٨٠-٨١ .

٥٤- نفس المرجع ، ص ٨٣ .

٥٥- نفس المرجع .

٥٦- Lorimer J. G. Gazetteer . . . Vol. 1, pp. 1154-1155.

٥٧- البسام . تحفة . . . ، ص ٣٨١ .

٥٨- Lorimer J. G. Gazetteer . . . Vol. 1, pp. 1155-1156.

٥٩- الريحاني . تاريخ . . . ، ص ١٤٣-١٥٠ .

٦٠- Philby H. Saudi Arabia, pp. 251-253. سليمان بن صالح الدخيل .

مقتطفات من القول السديد في اخبار اماره آل رشيد . الرياض ،
١٩٦٦ ، ص ١٥٥-١٥٦ ؛ الريحاني . تاريخ . . . ، ص ١٦٠ ؛
Butler S. S. Baghdad to Damascus via el-Jauf, Northern
Arabia. — «Geographical Journal», 1909, vol. 33, pp. 517-535.

٦١ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٨٥ ؛
Philby H. Saudi Arabia, p. 252.

٦٢ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٨٦-٨٧ ؛ البسام . تحفة . . . ،
ص ٣٨٤-٣٨٥ .

٦٣ - يؤرخ فيلبى وفاته في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٨ ، ولكن
البسام يذكر تاريخا آخر حزيران (يونيو) ١٩٠٨ (Philby H.
Saudi Arabia, p. 251). (البسام . تحفة . . . ، ص ٣٨٧) .

٦٤ - Philby H. Saudi Arabia, p. 254.

٦٥ - البسام . تحفة . . . ، ص ٣٨٥-٣٨٨ .

٦٦ - Musil A. The Northern Heḡaz, New York, 1926, pp. 22-23.

٦٧ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٩١ ؛ البسام . تحفة . . . ، ص
٣٨٦-٣٨٧ .

٦٨ - البسام . تحفة . . . ، ص ٣٨٩ ؛
Philby H. Saudi Arabia, p. 255; Leachman G. E. A Journey in North-Eastern Arabia. —
«Geographical Journal», 1911, vol. 38, N 3, pp. 266-267.

٦٩ - Musil A. Arabia Deserta, New York, 1927, pp. 117, 142-143, 159, 285.

٧٠ - Philby H. Saudi Arabia, p. 257; ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص
٩٢-٩٤ ؛ البسام . تحفة . . . ، ص ٣٨٩ .

٧١ - Philby H. Saudi Arabia, p. 258.

٧٢ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٩٤ .

٧٣ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٨٩ .

٧٤ - Troeller G. The Birth of Saudi Arabia, p. 36.

٧٥ - De Gaury G. Faisal, King of Saudi Arabia, London, 1966, p. 13.

٧٦ - حسين بن محمد نصيف . ماضى الحجاز وحاضره .. القاهرة ،
١٣٤٩ هـ ، ص ١٨-١٩ .

٧٧ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٩٦-٩٨ ؛ الزركلى . شبه
الجزيرة . . . ، ص ١٩٧ ؛ Philby H. Saudi Arabia, p. 259.

٧٨ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٩٨ .

٧٩ - « لغة العرب » . بغداد ، ١٩١٢ ، اغسطس ، ص ٧٤ .

٨٠ - Musil A. Northern Neḡd, p. 284.

٨١ - Dickson H. Kuwait . . . , p. 149.

- ٨٢ - نفس المرجع ، ص ١٥٣ ، ١٥٦ .
- ٨٣ - « لغة العرب » . بغداد ، ١٩١٣ ، مايو ، ص ٤٨١-٤٨٨ .
- ٨٤ - « ام القرى » ، مكة ، ١٩٢٩/٣/١ .
- ٨٥ - « لغة العرب » ، ١٩١٣ ، مايو ، ص ٤٨١-٤٨٨ .
- ٨٦ - Nallino C. A. انظر ايضا : Dickson H. Kuwait ... p. 155-156; Raccolta di Scrcitti Vol. 1. L'Arabia Sa'udiana. Rome, 1939, vol. 1, p. 118 .
- ٨٧ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٠٩ .
- ٨٨ - Dickson H. Kuwait ... , p. 250 .
- ٨٩ - Van der Meulen D. The Wells of Ibn Saud. London, 1957, p. 66; Leppens Ph. Expédition en Arabia Central. Paris, 1956, p. 187.
- ٩٠ - « ام القرى » . مكة ، ١٩٢٩/٣/١ .
- ٩١ - Philby H. The Heart of Arabia, vol. 2, pp. 41-42; .
- ٩٢ - محمد فتیح المدنی . فرقة الاخوان الاسلامیة بنجد . القاهرة ، ١٣٤٢ هـ ، ص ٤١ .
- ٩٣ - Rihani A. Ibn Saoud ... , p. 194; Dickson H. The Arab of the Desert, p. 109.
- ٩٤ - « لغة العرب » . بغداد ، ١٩١٣ ، مايو ، ص ٤٨٢-٤٨٣ .
- ٩٥ - Forde C. D. The Habitat and Economy of the North Arabian Badawin. — «Geography», 1933, vol. 17, pp. 215-216; Musil A. Northern Neğd, pp. 281-282.
- ٩٦ - حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ، ص ٥٠ ؛ Rihani A. Ibn Saoud ... , pp. 202-203.
- ٩٧ - Philby H. The Heart of Arabia. Vol. 1, p. 297; Philby H. Arabia of the Wahhabis, pp. 110-112; Philby H. Arabia, p. 225; Rihani A. Ibn Saoud ... , pp. 194, 202-203.
- ٩٨ - Musil A. Arabia Deserta, p. 427 .
- ٩٩ - De Gaury G. Faisal ... , p. 15 .
- ١٠٠ - Dickson H. Kuwait ... , p. 155 .
- ١٠١ - المدنی . فرقة الاخوان . . . ، ص ٣٤-٣٥ ؛ « لغة العرب » ، ١٩١٣ ، نوفمبر ، ص ٢٧٧-٢٧٨ .
- ١٠٢ - فهد المارك . لمحات من التطور الفكري في جزيرة العرب في القرن العشرين . مطابع ابن زيدون ، دمشق ، ١٩٦٢ ، ص ٥٦-٦٠ .
- ١٠٣ - Dickson H. The Arab of the Desert, p. 232 .
- ١٠٤ - Dickson H. Kuwait ... , p. 249; المدنی . فرقة الاخوان . . . ، ص ٣٥-٣٩ ؛ حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ، ص ٢٩٤-٢٩٥ .

- ١٠٥ - Dickson H. Kuwait ... , p. 153.
- ١٠٦ - « لغة العرب » ، ١٩١٣ ، فبراير ، ص ٣٦٠ .
- ١٠٧ - Philby H. Saudi Arabia, pp. 266-267.
- ١٠٨ - ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، « سفارة فى الاستانة » ، ١٩٠٣ ، الاضبارة ١٢٦٦ ، ص ٨٧ .
- ١٠٩ - ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، « ارشيف سياسى » ، ١٩١٢ - ١٩١٤ ، رقم ٤٨٢ ، الاضبارة ٣٧٥ ، ص ٩٤-٩٥ .
- ١١٠ - Philby H. Saudi Arabia ... , p. 266.
- ١١١ - ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، « ارشيف سياسى » ، ١٩١٢ - ١٩١٤ ، رقم ٤٨٢ ، الاضبارة ٣٧٥ ، ص ٩٥ .
- ١١٢ - الريحانى . تاريخ . . . ، ص ١٨٤-١٩٠ ؛ لغة العرب ، ١٩١٣ ، يوليو ، ص ٤٠ .
- ١١٣ - ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، « ارشيف سياسى » ، ١٩١١ ، رقم ٤٨٢ ، الاضبارة ٣٧٤ ، ص ١٥ ؛ ذكرت « لغة العرب » (فى عدد تموز (يوليو) ١٩١٣ ، ص ٥٦) ان الدخل من الاحساء بلغ ٦٠ الف ليرة سنويا .
- ١١٤ - « لغة العرب » ، ١٩١٣ ، اغسطس ، ص ١١٢ .
- ١١٥ - « لغة العرب » ١٩١٣ ، سبتمبر ، ص ١٥٦ .
- ١١٦ - Philby H. Saudi Arabia, p. 269.
- ١١٧ - [Gooch G. P. and Temperley H.] British Documents on the Origins of the War, 1898-1914, vol. 10, London, 1938, p. 193.
- ١١٨ - Philby H. Saudi Arabia, p. 270.
- ١١٩ - ارشيف السياسة الخارجية لروسيا ، « سفارة فى الاستانة » ، بصرة ، ١٩١٤ ، الاضبارة ١٢٧٦ ، ص ٢٧ .
- ١٢٠ - Troeller G. The Birth of Saudi Arabia, p. 244.
- ١٢١ - Philby H. Arabian Jubilee London, 1954, p. 38.
- ١٢٢ - Memorial ... Vol. 1, p. 391.
- ١٢٣ - « لغة العرب » ، ١٩١٤ ، يونيو ، ص ٦٧٢ ؛ ١٩١٣ ، نوفمبر ، ص ٢٧١ .

الفصل العاشر

- ١ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٠٣ - ١٠٤ ؛ الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ٢١٦ ، ٢٨٦ .
- ٢ - انظر : Philby H. Saudi Arabia, p. 271; Carruthers D. A. Captain Shakespear's Last Journey. — «The Geographical Journal», 1922, vol. 59 (N 5, pp. 330-334; N 6, pp. 401-402).

- ٣ - ابن هذلول . تاريخ ص ١٠٤ .
- ٤ - Troeller G. The Birth of Saudi Arabia, p. 81.
- ٥ - Philby H. Saudi Arabia, p. 272.
- ٦ - ابن هذلول . تاريخ ص ١٠٤-١٠٥ ؛ الزركلى . شبه الجزيرة ص ٢٢٢ ؛ الريحانى . تاريخ ص ٢٠٠ .
- ٧ - الريحانى . تاريخ ص ٢٢١ ؛ الزركلى . شبه الجزيرة ص ٢٢٢ .
- ٨ - Philby H. Saudi Arabia, p. 272.
- ٩ - Troeller G. The Birth of Saudi Arabia, p. 83.
- ١٠ - Graves Ph. The Life of Sir Percy Cox. London, 1941, p. 187; Musil A. Northern Nejd, pp. 42, 50-52, 179-180, 249; Philby H. Arabian Jubilee, pp. 40-41.
- ١١ - Philby H. Saudi Arabia, pp. 272-273.
- ١٢ - Aitchison C. U. A Collection ..., vol. 11, pp. 206-208; حافظ وهبة . جزيرة العرب ص ٣٣٤-٣٣٥ .
- Troeller G. The Birth of Saudia Arabia, p. 244.
- ١٣ - Philby H. Saudi Arabia, p. 274; الزركلى . شبه الجزيرة ص ٢٨٦ .
- ١٤ - الاحسانى . تحفة ص ٢١٣ ؛ الزركلى . شبه الجزيرة ص ٢٢٧ .
- ١٥ - الزركلى . شبه الجزيرة ص ٢٢٧ .
- ١٦ - ابن هذلول . تاريخ ص ١٠٥-١٠٨ ؛ الزركلى . شبه الجزيرة ص ٢٣٠ .
- ١٧ - يستند هذا الفصل الى عدد من المؤلفات المعروفة لمدونى تاريخ الشرق الاوسط والجزيرة العربية : Antonius G. The Arab Awakening. London, 1945; Brémond E. Le Hedjaz dans la guerre mondiale. Paris, 1931; De Gaury G. Rulers of Mecca; Jung E. La révolte arabe. Vol. 1-2, Paris, 1924-1925; Lawrence T. E. Seven pillars of Wisdon. London, 1942; [Storrs R.]. The Memoirs of Sir Ronald Storrs. New York, 1937; Troeller G. The Birth of Saudi Arabia; حافظ وهبة . جزيرة العرب ؛ لازاريف م . سقوط السيطرة العثمانية فى العالم العربى (١٩١٤-١٩١٨) . موسكو ، ١٩٦٠ (باللغة الروسية) .
- ١٨ - Lawrence T. E. Seven Phillars of Wisdom, p. 283.
- ١٩ - Philby H. Arabian Jubilee, p. 44. شبه الجزيرة ص ٢٠٨ .
- ٢٠ - Musil A. Northern Nejd, pp. 288-289.
- ٢١ - Philby H. Arabian Jubilee, p. 45.

- ٢٢ - الريحاني . تاريخ ص ٢١٠-٢١١ .
- Philby H. Saudi Arabia, pp. 273-274; Troeller G. The Birth of Saudi Arabia, pp. 99-101. — ٢٣
- Graves Ph. The Life of Sir Percy Cox, p. 214. — ٢٤
- Philby H. Saudi Arabia, p. 274; تاريخ ص ٢١٥-٢١٦ .
- Philby H. Arabian Jubilee, pp. 46-48. — ٢٦
- Troeller G. The Birth of Saudi Arabia, p. 83. — ٢٧
- Philby H. Saudi Arabia, p. 275. — ٢٨
- ٢٩ - نفس المرجع ، ص ٢٧٥-٢٧٦ .
- Philby H. Arabian Jubilee, pp. 52-54. — ٣٠
- Philby H. The Heart of Arabia. Vol. 1, pp. 284-285. — ٣١
- Philby H. Arabia of the Wahhabis, pp. 223-224, 296, 100-101, — ٣٢
- 258, 331-335; Philby H. Arabian Jubilee, p. 59.
- ٣٣ - ابن هذلول . تاريخ ص ١١٤ .
- ٣٤ - «القبلة» ، ١٩١٧/٩/٢٤ .
- ٣٥ - ابن هذلول . تاريخ ص ١١٣ .
- Philby H. Arabia of the Wahhabis, p. 19. — ٣٦
- ٣٧ - نفس المرجع ، ص ١٩-٢١ ؛ ابن هذلول ، تاريخ ص ١١٤-١١٥ .
- ٣٨ - الزركلي . شبه الجزيرة ص ٣١٧ .
- ٣٩ - مثل من تاريخ الاقطار العربية المعاصر ، موسكو ، ١٩٦٨ ، ص ٨ .
(باللغة الروسية) .
- Philby H. Saudi Arabia, p. 277. — ٤٠
- ٤١ - «القبلة» ، ١٩١٨/٨/٣ ص ٢٧٧ ؛ البسام . تحفة ص ٣٩٨ ؛ ابن هذلول . تاريخ ص ١١٦-١١٧ .
- Philby H. Saudi Arabia, p. 277. — ٤٢
- ٤٣ - ابن هذلول . تاريخ ص ١١٨-١١٩ .
- ٤٤ - نفس المرجع ، ص ١١٩-١٢٠ .
- ٤٥ - عبد الله . مذكرات الملك عبد الله بن الحسين . عمان ، ١٩٦٥ ، ص ١٥٠-١٥١ ؛ الريحاني . تاريخ ص ٢١٩-٢٢٦ .
- ٤٦ - ابن هذلول . تاريخ ص ١٢١-١٢٢ .
- Philby H. Saudi Arabia, p. 278; حسين بن محمد نصيف . ماضي الحجاز ص ٦٥ . — ٤٧
- ٤٨ - لويد جورج د . حقيقة عن معاهدات الصلح . موسكو ، ١٩٥٧ ، مجلد ٢ ، ص ٢٢٢ (باللغة الروسية) .

الفصل الحادى عشر

- ١ - Dickson H. Kuwait ..., p. 250.
- ٢ - نفس المرجع ، ص ٢٥٠-٢٥١ ؛ ابن هذلول . تاريخ ، ص ١١٢ .
- ٣ - Dickson H. Kuwait ..., p. 251.
- ٤ - Aitchison C. U. A Collection ... Vol. 11, p. 208.
- ٥ - ابن هذلول . تاريخ ، ص ١٢٢-١٢٣ ؛
- Dickson H. Kuwait ..., p. 251.
- ٦ - Dickson H. Kuwait ..., p. 251.
- ٧ - ابن هذلول . تاريخ ، ص ١٢٥-١٢٦ ؛
- Dickson H. Kuwait ..., p. 253.
- ٨ - سيف الدين مرزوق الشملان . من تاريخ الكويت . مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م ، ص ١٨٦ .
- ٩ - الزركلى . شبه الجزيرة ، ص ٢٣٨-٢٣٩ ؛ Dickson H. Kuwait ..., pp. 253-255؛
- ١٠ - ابن هذلول . تاريخ ، ص ١٢٧-١٢٨ .
- Dickson H. Kuwait ..., p. 257؛
- ١١ - فؤاد حمزة . قلب الجزيرة العربية ، ص ١٦٦-١٦٧ .
- ١٢ - البسام . تحفة ، ص ٤٠٠-٤٠١ ؛ Philby H. Saudi Arabia, p. 280؛
- الريحانى . تاريخ ، ص ٢٦٦ ؛ فؤاد حمزة . قلب الجزيرة العربية ، ص ١٦٧ .
- ١٣ - Philby H. Saudi Arabia, p. 280.
- ١٤ - البسام . تحفة ، ص ٤٠٢ .
- ١٥ - ابن هذلول . تاريخ ، ص ١٢٩-١٣١ .
- ١٦ - نفس المرجع ، ص ١٣١-١٣٣ .
- ١٧ - ابن هذلول . تاريخ ، ص ٢٨١؛ Philby H. Saudi Arabia, p. 281؛
- ١٨ - البسام . تحفة ، ص ٤٠٤ ؛ الريحانى . تاريخ ، ص ٢٦٦-٢٦٧ ؛
- Harrison P. W. The Arab at Home. New York, 1924, pp. 131-132.
- ١٩ - Philby H. Arabia of the Wahhabis, p. 102.
- ٢٠ - Bell G. The Letters of Gertrude Bell. New York, 1927, Vol. 2, pp. 534-535.
- ٢١ - Glubb J. B. War in the Desert. London, 1960, p. 62.
- ٢٢ - حافظ وهبة . جزيرة العرب ، ص ٢٦٢ ؛
- Bell G. The Letters ... Vol. 2, pp. 635-636.

- ٢٣ - وزارة الخارجية . مجموعة المعاهدات من ١٣٤١ الى ١٣٧٠ . دار
الاصفهانى ، جدة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ / ١٩٥٦ ، ص ٢٨٤ ؛ Bell G. The
Letters ... Vol. 2, p. 659; Musil A. Northern Neğd, p. 293.
- ٢٤ - Musil A. Northern Neğd, p. 292.
- ٢٥ - Philby H. Saudi Arabia, p. 283; Jarvis C. S. Arab Command.
London. 1942, pp. 101-102.
- ٢٦ - Dickson H. Kuwait ..., pp. 267-268; Philby H. Saudi Arabia,
p. 284.
- ٢٧ - وزارة الخارجية . مجموعة المعاهدات ، ص ٩-٥ .
- ٢٨ - Dickson H. Kuwait ..., pp. 272-275.
- ٢٩ - نفس المرجع ، ص ٢٧٢-٢٧٣ .
- ٣٠ - Jarvis C. S. Arab Command, p. 106.
- ٣١ - Glubb J. B. War in the Desert, pp. 74-78.
- ٣٢ - Philby H. Saudi Arabia, p. 285; Musil A. Northern Neğd,
p. 295.
- ٣٣ - Philby H. Saudi Arabia, pp. 285-286; ماضى الحجاز ... ،
ص ٩٧-٩٨ ؛ سلطة نجد . الكتاب الاخضر النجدى . مكة ،
١٩٢٥ ، ص ١-٧٦ ؛ Glubb J. B. War in the Desert, pp.
107-110.
- ٣٤ - Jarvis C. S. Arab Command, pp. 115-118; تاريخ ... ،
ص ٢٩٦-٢٩٨ .
- ٣٥ - ابن هذلول . تاريخ ... ، ص ١٤٤-١٤٥ .
- ٣٦ - Rutter E. The Holy Cities of Arabia. London, 1928, vol. 1,
p. 63.
- ٣٧ - «Oriente Moderno». Roma, 1920, vol. 4, N 10, p. 647.
- ٣٨ - فؤاد حمزة . البلاد ... ، ص ٥٣ .
- ٣٩ - ابن هذلول . تاريخ ... ، ص ١٤٥-١٥٠ .
- ٤٠ - Musil A. Northern Neğd, pp. 294-295; عبد الحميد الخطيب . الامام
العاذل . القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ٤٢ .
- ٤١ - حافظ وهبة . جزيرة العرب ... ، ص ٢٧٠ .
- ٤٢ - Toynbee A. J. Survey of International Affairs. 1925. Vol. 1.
The Islamic World. Oxford, 1927, pp. 290-293.
- ٤٣ - Antonius G. The Arab Awakening, p. 331.
- ٤٤ - نفس المرجع ، ص ٣٣١-٣٣٥ ؛ الريحانى . تاريخ ... ، ص
٢٩٢-٢٩٣ .
- ٤٥ - حافظ وهبة . جزيرة العرب ... ، ص ٢٧١ ؛ الخطيب . الامام
العاذل ، ص ٤٣-٤٤ ؛ Philby H. Saudi Arabia, p. 285.

- ٤٦- حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ، ص ١٤٧-١٤٩ ؛ حافظ وهبة . خمسون عاما فى جزيرة العرب . القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٤٠ ؛ الخطيب . الامام العادل ، ص ٤١ ؛ ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٥٠-١٥١ .
- ٤٧- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٥١-١٥٣ ؛ الريحانى . تاريخ . . . ، ص ٢٩٩-٣٠٣ ؛ الخطيب . الامام العادل ، ص ٤٥-٤٧ ؛ Philby H. Saudi Arabia, p. 287.
- ٤٨- حافظ وهبة . خمسون عاما . . . ، ص ٥٧-٦٠ .
- ٤٩- Rutter E. The Holy Cities of Arabia, vol. 2, pp. 29-33. — ٥٠ Philby H. Saudi Arabia, p. 287.
- ٥١- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٥٤-١٥٥ ؛ الخطيب . الامام العادل ، ص ٥٥-٦٥ ؛ نصيف . ماضى الحجاز . . . ، ص ١٤٣ ؛ الريحانى . تاريخ . . . ، ص ٣٠٤-٣٠٩ ؛ Philby H. Saudi Arabia, p. 288.
- ٥٢- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٥٦ ؛ الخطيب . الامام العادل . . . ، ص ٦٩ ؛ حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ، ص ٢٧٣ .
- ٥٣- نصيف . ماضى الحجاز . . . ، ص ١٤١-١٤٣ ؛ الخطيب . الامام العادل ، ص ٧٢-٧٩ .
- ٥٤- نصيف . ماضى الحجاز . . . ، ص ١٥٦-١٦٧ ؛ الخطيب . الامام العادل ، ص ٧٥-٧٦ .
- ٥٥- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٦٦-١٦٧ .
- ٥٦- حافظ وهبة . خمسون عاما . . . ، ص ٦١ .
- ٥٧- «ام القرى» ، ١٢/١٢/١٩٢٤ .
- ٥٨- الخطيب . الامام العادل ، ص ٩٢-٩٤ .
- ٥٩- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٦٨-١٦٩ .
- ٦٠- «ام القرى» ، ١٠/١/١٩٢٥ ؛ ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٦٦ .
- ٦١- الخطيب . الامام العادل . . . ، ص ١٠١ .
- ٦٢- الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ٣٤٤ .
- ٦٣- الخطيب . الامام العادل ، ص ١٠٦ .
- ٦٤- نفس المرجع ، ص ١٠٣-١٠٧ .
- ٦٥- نفس المرجع ، ص ٩٨-٩٩ ؛ وزارة الخارجية . صحيفة تاريخية عن المفاوضات الاخيرة . مكة ، ١٩٢٥ ؛ حافظ وهبة ، جزيرة العرب . . . ، ص ٢٧٥ .
- ٦٦- Clayton G. An Arabian Diary. Berkley. Los Angeles, 1969, pp. 130-131.

- ٦٧ - Dickson H. Kuwait ... , p. 284.
- ٦٨ - Clayton G. An Arabian Diary, pp. 99-129; مجموعة المعاهدات . . . ، ص ١٠-١٧ .
- ٦٩ - الريحاني . تاريخ . . . ، ص ٣٨٣-٣٨٧؛ Philby H. Saudi Arabia, p. 290; نصيف . ماضي الحجاز . . . ، ص ٢٠٤-٢١٣ .
- ٧٠ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٧٣-١٧٧ ؛ «ام القرى» ، ١٩٢٥/٩/١٣ ؛ الريحاني . تاريخ . . . ، ص ٣٩٢ ؛ Philby H. Saudi Arabia, pp. 289-290.
- ٧١ - ارشيف السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي ، ١٩٢٦ ، الاضبارة ١٢٧ ، رقم ١ ، كراسة ٦ ، ص ٦-٤ .
- ٧٢ - الخطيب . الامام العادل ، ص ١٣٣-١٣٥ ؛ «ام القرى» ، ٨ ، ١٩٢٦/١/١٥ .
- ٧٣ - الخطيب . الامام العادل ، ص ١٣٧ .
- ٧٤ - Philby H. Saudi Arabia, p. 301.
- ٧٥ - الخطيب . الامام العادل ، ص ١٤٣ ؛ Philby H. Saudi Arabia, p. 301.
- ٧٦ - وكالة تاس ، ١٩٢٦/٩/٢٧ ، النشرة اليومية ، رقم ١٥ .
- ٧٧ - ارشيف السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي ، ١٩٢٩ ، الاضبارة ١٢٧ ، رقم ١ ، كراسة ٢-١٨ ، ص ٣-٥ ؛ ١٠ .

الفصل الثاني عشر

- ١ - حافظ وهبة . خمسون عاما . . . ، ص ٢٦٤-٢٧١ .
- ٢ - Philby H. Arabian Jubilee, p. 82.
- ٣ - Philby H. Saudi Arabia, p. 305.
- ٤ - نفس المرجع ، ص ٣٠٤-٣٠٥ .
- ٥ - نفس المرجع .
- ٦ - «ام القرى» ، ١٩٢٦/٩/١٣ ؛ Laoust H. Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki-d-Din Ahmad b. Taimija. Le Caire, 1939, pp. 624-630.
- ٧ - «ام القرى» ، ١٩٢٥/٤/١ .
- ٨ - Wahba Hafiz. Arabian Days, London, 1964, p. 98.
- ٩ - حافظ وهبة . جزيرة العرب . ص ٢٢ .
- ١٠ - Philby H. St. — J. A Pilgrim in Arabia, London, 1946, pp. 60-63.
- ١١ - Wahba H. Arabian Days, p. 20.
- ١٢ - حافظ وهبة . خمسون عاما . . . ، ص ٦٦-٦٩ ؛ Wahba H. Arabian Days, pp. 95-96.

- ١٣- «ام القرى» ، ١٩٢٥/٩/٢٥ .
- ١٤- حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ، ص ٣٠٩-٣١٢ .
- ١٥- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٨٤-١٨٥ .
- ١٦- Toynbee A. J. Survey of International Affairs, pp. 312-319 .
- ١٧- محمد شفيق مصطفى . رحلة فى قلب نجد والحجاز . القاهرة ، ١٩٢٧ ، ص ٤١ .
- ١٨- «ام القرى» ، ١٩٢٦/٤/٢٣ .
- ١٩- حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ، ص ٣٠٩-٣١٢ .
- ٢٠- فؤاد حمزة . البلاد . . . ، ص ٢١٦ ؛ حافظ وهبة . خمسون عاما . . . ، ص ٢٧١ .
- ٢١- «ام القرى» ، ١/٢٨ ؛ ١١ ؛ ٢/٢٥ ؛ ٤ ؛ ١١ ، ١٨/٣/١٩٢٧ ؛ ١٩٢٨/٨/٢٧ .
- ٢٢- «ام القرى» ، ١٩٢٩/٨/٢ .
- ٢٣- ارشيف السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى ، ١٩٢٩ ، الاضبارة ١٢٧-١-٢ ، كراسة ١٨ ، ص ١٩ .
- ٢٤- Dickson H. Kuwait ... , pp. 285-286; Dickson H. The Arab of the Desert, p. 353; Rihani 'A. Ibn Saoud ... , pp. 192-193.
- ٢٥- Dickson H. Kuwait ... , p. 281 .
- ٢٦- Glubb J. B. War in the Desert, p. 178; الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ٤٧٠ .
- ٢٧- الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ٤٦٤-٤٦٥ .
- ٢٨- نفس المرجع ، ص ٤٦٨-٤٦٩ .
- ٢٩- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٨٥-١٨٦ ؛ حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ، ص ٢٩١ ؛ Armstrong H. Lord of Arabia p. 216.
- ٣٠- «ام القرى» ، ١٩٢٧/٤/٨ ؛ حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ، ص ٢٩٣ .
- ٣١- ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٨٧-١٩٠ .
- ٣٢- «لغة العرب» ، اغسطس ، ١٩٢٧ ، ص ١٢٣ ؛ نوفمبر ، ص ٥٧٤-٥٧٥ .
- ٣٣- Dickson H. Kuwait ... , p. 287. غير ان الزركلى يشير الى ان خالد بن محمد حارب الاخوان ، وان كان من المحتمل ان ابن سعود «عفا عنه» واعطاه فرصة لاثبات ولائه . (شبه الجزيرة . . . ، ص ٤٩٤) .
- ٣٤- Great Britain. Colonial Office. Report by His Britannic Majesty's Government on the Administration of Iraq for the Period April 1923 — November 1924, London, 1925, p. 24.

- Glubb J. B. War in the Desert, p. 193. - ٣٥
- Philby H. Saudi Arabia, p. 306; Dickson H. Kuwait ..., - ٣٦
p. 294.
- Philby H. Saudi Arabia, p. 306; Dickson H. Kuwait ..., - ٣٧
ص ٩٠ .
- Philby H. Saudi Arabia, p. 306; Dickson H. Kuwait ..., - ٣٨
p. 287.
- Dickson H. Kuwait ..., pp. 288-289. - ٣٩
- Glubb J. B. War in the Desert, p. 195. - ٤٠
- ٤١ - نفس المرجع ، ص ٢٠٠ .
- ٤٢ - نفس المرجع ، ص ٢٠١-٢٠٢ .
- ٤٣ - «Daily Telegraph», London, 27. 3. 1928. -
- ٤٤ - «ام القرى» ، ١٣/٤/١٩٢٨ .
- ٤٥ - Philby H. Saudi Arabia, p. 307; Glubb J. B. War in the
Desert, pp. 209-225.
- ٤٦ - Philby H. Saudi Arabia, p. 308. -
- ٤٧ - Glubb J. B. War in the Desert, p. 267. -
- ٤٨ - «ام القرى» ، ١٠/٢ ، ١٨/١٢/١٩٢٨ .
- ٤٩ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٩١ ؛ الزركلي . شبه
الجزيرة . . . ، ص ٤٧٧ .
- ٥٠ - حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ، ص ٣٠٢ .
- ٥١ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٩٢ .
- ٥٢ - Glubb J. B. War in the Desert, pp. 236-247, 264-267, 281-284; -
«لغة العرب» ، ابريل ، ١٩٢٩ ، ص ٣٥١-٣٥٢ .
- ٥٣ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٩٢ .
- ٥٤ - نفس المرجع ، ص ١٩٣ .
- ٥٥ - Glubb J. B. War in the Desert, pp. 287-289; Philby H. Saudi
Arabia, p. 309.
- ٥٦ - Dickson H. Kuwait ..., pp. 302-303; Philby H. Saudi Arabia, -
p. 309.
- ٥٧ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٩٣-١٩٤ ؛
- Philby H. Saudi Arabia, p. 309.
- ٥٨ - حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ، ص ٣٠٤ .
- ٥٩ - الاحسائي . تاريخ . . . ، ص ٢٣٠ ؛
- Philby H. Saudi Arabia, p. 310.
- ٦٠ - Dickson H. Kuwait ..., pp. 305-306. -
- ٦١ - حافظ وهبة . خمسون عاما . . . ، ص ٢٩٣-٣٠١ .
- ٦٢ - الزركلي . شبه الجزيرة . . . ، ص ٤٩١ .

- ٦٣ - Philby H. Saudi Arabia, pp. 309-310.
- ٦٤ - Dickson H. Kuwait ..., pp. 313-315.
- ٦٥ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٩٥-١٩٦ .
- ٦٦ - Glubb J. B. War in the Desert, p. 306.
- ٦٧ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ٤٩٦ .
- ٦٨ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٩٦-١٩٩ ؛ الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ٤٩٩-٥٠٤ .
- ٦٩ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٩٩ ؛ Glubb J. B. War in the Desert, pp. 313-314; Dickson H. Kuwait ..., pp. 306-318.
- ٧٠ - Glubb J. B. War in the Desert, pp. 320-326; Dickson H. Kuwait ..., pp. 317-320.
- ٧١ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ١٩٩ .
- ٧٢ - Dickson H. Kuwait ..., pp. 319-320.
- ٧٣ - Philby H. Saudi Arabia, p. 311; Dickson H. Kuwait ..., pp. 323-324; . ٥٠٥-٥٠٤ .
- ٧٤ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٢٠١-٢٠٣ ؛ الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ٥٠٧ .
- ٧٥ - Dickson H. Kuwait ..., pp. 326-327.
- ٧٦ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ٥٠٧ .
- ٧٧ - Wahba H. Arabian Days, p. 145.
- ٧٨ - ذهب بيرشيتس الى ان هزيمة الاخوان كانت ضربة تلحق بدسائس الرجعية المحلية والاجنبية (بيرشيتس ، الاقتصاد . . . ، ص ٢١٨) .
- ٧٩ - Philby H. Saudi Arabia, p. 312; وزارة الخارجية . مجموعة المعاهدات . . . ، ص ٦٨-٧٢ .
- ٨٠ - المملكة العربية السعودية فى عهدنا الحاضر . المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر ، جدة ، ص ٢٥٨ .
- ٨١ - Philby H. Saudi Arabia, pp. 314-315; صلاح الدين المختار . تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها . بيروت ، ١٩٥٧ ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ .
- ٨٢ - الخطيب . الامام العادل ، ص ١٦١-١٦٣ .
- ٨٣ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٢٠٤-٢٠٧ .
- ٨٤ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ٥٥٧-٥٥٩ .
- ٨٥ - ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٢٠٧-٢١٣ .
- ٨٦ - «ام القرى» ، ١٩٣٢/٨/٥ ؛ الخطيب . الامام العادل ، ص ٢٠٤ .
- ٨٧ - «ام القرى» ، ١٩٣٢/٨/٥ ؛ ابن هذلول . تاريخ . . . ، ص ٢١٢-٢١٣ .

- ٨٨- انظر : نوسنكو ف . ي . الصراع السعودي اليمني حول عسير
تاريخ واقتصاد بلدان المشرق العربى وافريقيا الشمالية ، موسكو
١٩٧٥ ، ص ٢٩٤-٢٩٨ (باللغة الروسية) ؛ « لغة العرب » ،
يوليو ، ١٩٢٦ ، ص ٥٤ ؛ امين سعيد . ملوك المسلمين
المعاصرين ودولهم . القاهرة ، ١٩٣٣ ، ص ١٣٦-١٣٨ ؛
Philby H. Arabian Jubilee, pp. 127-128.
- ٨٩- ارشيف السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى ، ١٩٣٢ ، الاضبارة
١٢٧ ، رقم ١ ، كراسة ٣-٢٩ ، ص ٣-٤ .
- ٩٠- الخطيب . الامام العادل ، ص ٢٠٧ ؛ ابن هذلول . تاريخ . . . ،
ص ٢١٣-٢١٦ .
- ٩١- دساتير دول الشرقى الاوسط والادنى ، موسكو ، ١٩٥٦ ، ص
٤٣٧-٤٣٨ (باللغة الروسية) .
- ٩٢- فؤاد حمزة . البلاد . . . ، ص ٨٤-٨٧ ؛ Philby H. Saudi
دساتير دول . . . ، ص ٤٣١-٤٣٧ . Arabia, p. 325;
- ٩٣- الخطيب . الامام العادل . . . ، ص ٢٢١-٢٢٣ .
- ٩٤- حول تفاصيل الازمة السعودية اليمنية انظر : نوسنكو ف . الصراع
السعودى اليمنى . . . ؛ Wenner M. W. Modern Yemen,
1918-1966, Baltimore, 1967; Faroughy A. Introducing Yemen.
New York, 1947; De Gaury G. Faisal
سليم رشيد مصطفى . القاهرة ، ١٩٦٣ .
تكوين اليمن الحديث .
- ٩٥- ارشيف السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى ، ١٩٣٤ ، الاضبارة
١٢٧ ، رقم ١ ، كراسة ٣-٣٤ ، ص ١ .

الفصل الثالث عشر

- ١- الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ٦٥٠ .
- ٢- Lipsky G. A. Saudi Arabia. Its People, Its Society, Its Culture,
New Haven, 1959, p. 311.
- ٣- Laoust H. Essai . . . , p. 294.
- ٤- نفس المرجع ، ص ٣١٠ .
- ٥- نفس المرجع ، ص ٣٠٠-٣٠١ .
- ٦- Laoust H. Le traité de droit public d'Ibn Taimiya. Beirut,
1948, pp. 169-170.
- ٧- محمد فتوح المدنى . فرقة الاخوان الاسلامية بنجد . القاهرة ،
١٣٤٢ هـ ، ص ٣٥ .
- ٨- حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ، ص ٢٩٠-٢٩٢ .
- ٩- Rihani A. Ibn Saoud . . . , pp. 204-206.

- ١٠ - Laoust H. Essai ... , pp. 316-317.
- ١١ - الزركلى . شبه الجزيرة ، ص ٥٧٥ .
- ١٢ - نفس المرجع ، ص ٧٤٣-٧٤٤ .
- ١٣ - Philby H. The Heart of Arabia. Vol. 1, p. 297.
- ١٤ - حافظ وهبة . جزيرة العرب ، ص ١٢٩-١٣٢ .
- ١٥ - ARAMCO. The Royal Family, officials of the Saudi Arab Government List and Prominent Saudi Arabs. Dhahran, 1953, pp. 30-31.
- ١٦ - الزركلى . الاعلام - قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب . القاهرة ، ١٣٧٦ هـ ، IV ، ص ٢٧٧ .
- ١٧ - Philby H. The Heart of Arabia. Vol. 1, pp. 76, 360.
- ١٨ - فؤاد حمزة . قلب ، ص ٧٢ .
- ١٩ - الزركلى . شبه الجزيرة ، ص ٣٥٥-٣٥٦ .
- ٢٠ - Nallino C. Raccolta di Scritti. Vol. 1. L'Arabia Sa'udiana. Rome, 1939, pp. 20-22.
- ٢١ - فؤاد حمزة . قلب ، ص ٧٣ .
- ٢٢ - نفس المرجع ، ص ٧٤ .
- ٢٣ - Nallino C. Raccolta ... Vol. 1, pp. 66-68, 74-76.
- ٢٤ - Mac-Kie Froud A. Recent Economic and Social Developments in Saudi Arabia, — «Geography» 1939, vol. 24, pp. 166-167.
- ٢٥ - محمد توفيق صادق . تطور الحكم والادارة فى المملكة العربية السعودية . معهد الادارة العامة . الرياض ، ١٩٦٥ ، ص ٢٦-٢٥ .
- ٢٦ - دساتير دول الشرقين الاوسط والادنى ، ص ٤٢٦-٤٢٧ .
- ٢٧ - نفس المرجع ، ص ٤٢٧ ، ٤٣٠ .
- ٢٨ - نفس المرجع ، ص ٤٣٠-٤٣٥ .
- ٢٩ - انظر : Lipsky G. Saudi Arabia ... , p. 114.
- ٣٠ - الزركلى . شبه الجزيرة ، ص ٥٧١-٥٧٢ .
- ٣١ - نفس المرجع ، ص ٥٧٣ .
- ٣٢ - Lipsky G. Saudi Arabia ... , pp. 114-115.
- ٣٣ - الزركلى . شبه الجزيرة ، ص ٥٧٧ .
- ٣٤ - نفس المرجع ، ص ٣٦٨ .
- ٣٥ - نفس المرجع ، ص ٣٨٢-٣٨٣ ..
- ٣٦ - نفس المرجع ، ص ٣٧٥ .
- ٣٧ - نفس المرجع ، ص ٣٧٦ .
- ٣٨ - نفس المرجع ، ص ٣٧٧-٣٧٨ .

- ٣٩- فؤاد حمزة . قلب . . . ، ص ٧٨ ؛ صبحي المحمصاني . الاوضاع التشريعية في الدول العربية ماضيها وحاضرها . الطبعة الثانية . دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٣١٩-٣٢٠ .
- ٤٠- فؤاد حمزة . قلب . . . ، ص ٧٨ .
- ٤١- الزركلي . شبه الجزيرة . . . ، ص ٤٥٤ .
- ٤٢- نفس المرجع ، ص ٣٥٨ .
- ٤٣- نفس المرجع ، ص ٣٥٩ .
- ٤٤- نفس المرجع ، ص ٤٠٢ .
- ٤٥- نفس المرجع .
- ٤٦- نفس المرجع ، ص ٤١٢ .
- ٤٧- بروشين ن . ي . العربية السعودية . موسكو ، ١٩٦٤ . ص ٨٧ (باللغة الروسية) .
- ٤٨- Mac-Kie Frood A. Recent ... , pp. 166-167 .
- ٤٩- دساتير دول الشرقين الاوسط والادنى ، ص ٤٣٧ .
- ٥٠- Philby H. Saudi Arabia, p. 294 .
- ٥١- نفس المرجع ، ص ٢٩٤-٢٩٥ .
- ٥٢- نفس المرجع ، ص ٢٩٦ ؛ الزركلي . شبه الجزيرة . . . ، ص ٣٦٧ .
- ٥٣- «لغة العرب» ، ١٩١٤ ، يناير ، ص ٣٥٥ .
- ٥٤- خير الدين الزركلي . ما رأيت وما سمعت ، رحلة من دمشق الى مكة ومصر . القاهرة ، ص ٢٧-٢٨ .
- ٥٥- Musil A. The Manners ... , p. 431 .
- ٥٦- Dickson H. The Arab ... , pp. 118-132; Musil A. The Manners ... , pp. 438-452; Wahba H. Arabian Days, p. 14 .
- ٥٧- Dickson H. The Arab ... , pp. 431-440; Hess J. J. Von den Beduinen des innern Arabiens. Luerick, 1938, p. 90; Musil A. The Manners ... , pp. 489-503 .
- ٥٨- «لغة العرب» ، ١٩١٤ ، يناير ، ص ٣٥٦ ؛ الزركلي . شبه الجزيرة . . . ، ص ٤٢٠ .
- ٥٩- Memorial ... Vol. 2, pp. 226-231 .
- ٦٠- Harrison P. W. The Arab at Home, p. 150 .
- ٦١- فؤاد حمزة . البلاد . . . ، ص ١٨٨ .
- ٦٢- Vidal F. S. The Oasis of al — Hasa. Dhahran, 1955, p. 34 .
- ٦٣- نفس المرجع ، ص ٢٠٩ .
- ٦٤- حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ، ص ٧١-٧٥ .
- ٦٥- Vidal F. S. The Oasis ... , p. 34 .
- ٦٦- Harrison P. W. The Arab ... pp. 229-230 .

- Vidal F. S. The Oasis ... , p. 96. — ٦٧
- ٦٨ — عبد الله عبد الجبار . التيارات الادبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية . القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ١٢٥-١٢٦ .
- ٦٩ — المجموعة العلمية السعودية ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ١-١٥ .
- ٧٠ — حافظ وهبة . جزيرة العرب ... ، ص ٣٠١-٣٠٠ .
- ٧١ — Philby H. The Heart of Arabia. Vol. 1, pp. 294-295. —
- ٧٢ — فؤاد حمزة . البلاد ... ، ص ١٩٠-١٩١ .
- ٧٣ — «ام القرى» ، ١٩٢٧/٨/١٩ ؛ المحمضاني . الاوضاع ... ، ص ٣٢٧-٣٢٩ .
- ٧٤ — المحمضاني . الاوضاع ... ، ص ٣٢٧ .
- ٧٥ — نفس المرجع ، ص ٣٢٩ .
- ٧٦ — الزركلي . شبه الجزيرة ... ، ص ٤٢٦ .
- ٧٧ — «ام القرى» ، ١٩٢٧/٨/١٩ .
- ٧٨ — الزركلي . شبه الجزيرة ... ، ص ٤٢٥ ؛ المحمضاني . الاوضاع ... ، ص ٣٢٩-٣٢٨ .
- ٧٩ — عبد الجبار . التيارات ... ، ص ١٢٦ .
- ٨٠ — «لغة العرب» ، يناير ، ١٩١٤ ، ص ٣٥٥-٣٥٦ ؛ المحمضاني . الاوضاع ... ، ص ٣٢٩-٣٣٢ .
- ٨١ — «ام القرى» ، ١٩٢٧/٨/١٩ .
- ٨٢ — المحمضاني . الاوضاع ... ، ص ٣٣٠-٣٣١ .
- ٨٣ — Baroody G. M. Crime and Punishment under Haubali Law. Dhahran, 1961, pp. 35-41.
- ٨٤ — Hart P. Application of Haubali Law and Decree Law to Foreigners in Saudi Arabia. — «The George Washington Law Review», vol. 22, December 22, 1953, pp. 165-173; Lipsky G. Saudi Arabia ... , p. 122.
- ٨٥ — Baroody G. M. Crime ... , pp. 89-101.
- ٨٦ — Area Handbook for Saudi Arabia. Washington, US Government, 1966, p. 194.
- ٨٧ — Lipsky G. Saudi Arabia ... , p. 122.
- ٨٨ — Baroody G. M. Crime ... , pp. 105-107; Area Handbook ... , p. 194.
- ٨٩ — Memorial ... Vol. 2, pp. 291-292. —
- ٩٠ — نفس المرجع ، ص ٣٢٩ ؛ «ام القرى» ، ١٩٢٥/٩/١٨ .
- ٩١ — Memorial ... Vol. 2, pp. 292-293. —
- ٩٢ — نفس المرجع ، ص ٣٠٦-٣٠٨ .
- ٩٣ — نفس المرجع ، ص ٣٢٠-٣٢١ .
- ٩٤ — Rihani A. Ibn Saoud ... , pp. 202-204. —

- Philby H. Arabia of the Wahhabis, p. 21. - ٩٥
 ٩٦ - نفس المرجع ، ص ٢١٧-٢١٨ .
 Dickson H. The Arabs ... , pp. 442-443. - ٩٧
 ٩٨ - نفس المرجع ، ص ٤٤٠ .
 Memorial ... Vol. 2, p. 318. - ٩٩
 Philby H. The Heart of Arabia. Vol. 1, p. 6. - ١٠٠
 ١٠١ - المدنى . فرقة الاخوان . . . ، ص ٤٢-٤٣ .
 Wahba H. Arabian Days, pp. 67-69. - ١٠٢
 ١٠٣ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ٧٥٨ .
 ١٠٤ - نفس المرجع ، ص ١٤٢٠ .
 ١٠٥ - المدنى . فرقة الاخوان . . . ، ص ٤٣ .
 ١٠٦ - حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ، ص ١٤٥-١٤٧ .
 ١٠٧ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٤١٩ .
 ١٠٨ - حافظ وهبة . . جزيرة العرب . . . ، ص ١١٠-١١٣ .
 ١٠٩ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٨٧ .
 ١١٠ - نفس المرجع ، ص ١٧٧-١٧٨ .
 Lebkicher R., Rentz G. and Steineke M. The Arabia of Ibn Saud. New York, 1952, pp. 86-88. - ١١١
 ١١٢ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٧٨ .
 ١١٣ - نفس المرجع ، ص ٤٥٨ .
 ١١٤ - «ام القرى» ، ١٩٥٠/٧/٢٠ .
 ١١٥ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ٩٩١ .
 ١١٦ - نفس المرجع ، ص ٩٨٩ ، ٩٩٠-٩٩١ .
 ١١٧ - نفس المرجع ، ص ٧٥١ .
 ١١٨ - نفس المرجع ، ص ٤١٢ .
 ١١٩ - « لغة العرب » ، ١٩١١ ، يوليو ، ص ١٦-٢٥ .
 ١٢٠ - Rihani A. Ibn Saoud ... , p. 207.
 ١٢١ - حافظ وهبة . جزيرة العرب . . . ، ص ٥٠ .
 ١٢٢ - فهد المارك . لمحات من التطور الفكرى فى جزيرة العرب فى القرن العشرين ، دمشق ، ١٩٦٢ ، ص ١٥-١٦ .
 ١٢٣ - Rihani A. Ibn Saoud ... , pp. 96-99
 ١٢٤ - Wahba H. Arabian Days, p. 77.
 ١٢٥ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٠٢٣ ، ١٠٢٥ .
 ١٢٦ - عبد الجبار . التيارات . . . ، ص ١٥٥-١٥٦ .
 ١٢٧ - نصيف . ماضى الحجاز . . . ، ص ١١٢ .
 ١٢٨ - نفس المرجع .
 ١٢٩ - المارك . لمحات . . . ، ص ١٥٦-١٥٧ .

- ١٣٠ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٠٢٥ .
- ١٣١ - «ام القرى» ، ١٨ ، ١٩٢٩/١/٢٥ ؛ ١٩٢٩/٢/١ فؤاد حمزة .
البلاد . . . ، ص ٢٢٠-٢٢٣ .
- ١٣٢ - Trial G. and Winder R. Modern Education in Saudi Arabia. —
«History of Education Journal» ((Spring, 1950), pp. 121-134.
- ١٣٣ - Wahba H. Arabian Days, pp. 173, 49-51.
- ١٣٤ - Vidal F. S. The Oasis . . . , p. 33.
- ١٣٥ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٠٢٦-١٠٢٨ .
- ١٣٦ - نفس المرجع ، ص ٦٣٥-٦٣٦ .

الفصل الرابع عشر

- ١ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٣٣٧ ؛ حافظ وهبة . جزيرة
العرب . . . ، ص ١٣٦ ؛ Philby H. Arabian Jubilee, pp.
170-175; Tomishé F. — J.L'Arabie Séoudite. Paris 1962 p., 56.
- ٢ - Philby H. Saudi Arabia, p. 330.
- ٣ - Philby H. Arabian Jubilee, p. 177; Philby H. Saudi Arabia, p. 330.
- ٤ - Klebanoff Sh. Middle East Oil and US Foreign Policy. New York, 1974, p. 4.
- ٥ - نفس المرجع ، ص ٥ .
- ٦ - نفس المرجع ، ص ٧ .
- ٧ - Philby H. Saudi Arabia, p. 329; Rihani A. Ibn Saoud . . . , pp. 79-88; Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy. New York, 1975, p. 157; Philby H. Arabian Jubilee, p. 177.
- ٨ - Philby H. Saudi Arabia, p. 329.
- ٩ - ARAMCO Handbook; Oil and the Middle East. Dhahran, 1968, pp. 108-109.
- ١٠ - نفس المرجع ، ص ١٠٩-١١٠ .
- ١١ - Twitchell K. S. Saudi Arabia. Princeton, 1958, pp. 220-224.
- ١٢ - Philby H. Saudi Arabia, p. 331; Philby H. Arabian Jubilee, pp. 177-178; Longrigg G. H. Oil in the Middle East. London, 1965, pp. 107-108.
- ١٣ - Howarth D. The Desert King. London, 1964, p. 182.
- ١٤ - ARAMCO Handbook . . . , p. 111.
- ١٥ - Philby H. Saudi Arabia, p. 331.
- ١٦ - «ام القرى» ، ١٤/٧/١٩٣٣ .
- ١٧ - ARAMCO Handbook . . . , pp. 113-114.

- ١٨ - Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 163.
١٩ - نفس المرجع ، ص ١٩٤ .

الفصل الخامس عشر

- ١ - بروشين ن . العربية السعودية ، ص ٩٨-١١٢ .
- ٢ - حافظ وهبة . خمسون عاما . . . ، ص ١٢١ .
- ٣ - بروشين ن . العربية السعودية ، ص ١٠٠ .
- ٤ - مينايف ف . النشاط التخريبي للفاشية الالمانية فى الشرق الاوسط . موسكو ، ١٩٤٢ ، ص ٤٧ (باللغة الروسية) .
- ٥ - حافظ وهبة . خمسون عاما . . . ، ص ١٠٨-١٠٩ .
- ٦ - نفس المرجع ، ص ١١١ .
- ٧ - Twitchell K. S. Saudi Arabia, pp. 167-168; Assah Ahmed. Miracle of the Desert Kingdom. London, 1969, pp. 64-65.
- ٨ - انظر : بروشين . العربية السعودية ، ص ١٠٣ .
- ٩ - مينايف . النشاط التخريبي . . . ، ص ٤٨ .
- ١٠ - بروشين . العربية السعودية ، ص ١٠٤ .
- ١١ - نفس المرجع .
- ١٢ - مينايف . النشاط التخريبي . . . ، ص ٤٨ .
- ١٣ - Philby H. Saudi Arabia, p. 337.
- ١٤ - بروشين . العربية السعودية ، ص ١٠٦ .
- ١٥ - Shwadran B. The Middle East, Oil and the great Powers. New York, 1956, pp. 318-319, 324.
- ١٦ - Klebanoff Sh. Middle East Oil . . . , p. 14.
- ١٧ - نفس المرجع ، ص ١٠ .
- ١٨ - نفس المرجع ، ص ١٧ .
- ١٩ - بيرلوف . الامبريالية الامريكية . موسكو ، ١٩٥١ (ترجمة من الانكليزية الى الروسية) ، ص ٢٢٧ .
- ٢٠ - Shwadran B. The Middle East . . . , p. 319.
- ٢١ - Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 194.
- ٢٢ - De Gaury G. Faisal . . . , p. 68; Klebanoff Sh. Middle East Oil . . . , p. 21; Lenczowsky G. The Middle East in World Affairs. New York, 1956, p. 442.
- ٢٣ - Klebanoff Sh. Middle East Oil . . . , p. 22.
- ٢٤ - نفس المرجع ، ص ٢٣ ؛ ARAMCO Handbook . . . , p. 86
- ٢٥ - ARAMCO Handbook . . . , p. 113.
- ٢٦ - Lenczowsky G. The Middle East . . . , p. 442; بروشين . العربية السعودية ، ص ١٠٩ .

٢٧ - تفاصيل اللقاء المذكورة في كراس ايدى . (Eddy W. A. F. D. R. Meets Ibn Saud, New York, 1954).

٢٨ - Eddy W. A. F. D. R. Meets Ibn Saud, p. 35.

٢٩ - نفس المرجع ، ص ٤٢ .

٣٠ - Area Handbook ... , p. 172.

٣١ - Klebanoff Sh. Middle East Oil ... , p. 57.

الفصل السادس عشر

١ - ARAMCO Handbook ... , p. 113.

٢ - اوزولنغ ف . اقتصاد العربية السعودية موسكو ، ١٩٧٥ ، ص ١٣١

Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p.. 196. (باللغة الروسية) ؛

٣ - ARAMCO Handbook ... , p. 77.

٤ - اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ١١١ ؛

Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 168.

٥ - ARAMCO Handbook ... , p. 148.

٦ - Longrigg S. H. Oil ... , p. 208.

٧ - ARAMCO Handbook ... , pp. 111-112; Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 193.

٨ - Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 180.

٩ - نفس المرجع ، ص ١٦٣ .

١٠ - انظر : فاسيليف أ . «مشاعل الخليج» ، موسكو ، ١٩٧٦ ، ص ٨٧-٩١ .

١١ - Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, pp. 180-181; Area Handbook ... , p. 246.

١٢ - Area Handbook ... , p. 246.

١٣ - اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية . . . ، ص ١٢٣ ؛

Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 181..

١٤ - اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ١٥٣-١٥٤ .

١٥ - Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, pp. 164-165.

١٦ - بروشين . العربية السعودية ، ص ١١٧ .

١٧ - Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 168.

١٨ - Kesting's Contemporary Archives (KCA). Bristol, p. 13655.

١٩ - بروشين . العربية السعودية ، ص ١١٣ .

٢٠ - Howarth D. The Desert King, p. 214; Philby H. Forty Years in the Wilderness. London, 1957, pp. 8, 38-39.

- ٢١- أمين سعيد . تاريخ الدولة السعودية . بيروت ، ١٩٦٤ ، ج ٣ ، ص ٢٣ .
- ٢٢- الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ٩٨٦ .
- ٢٣- نفس المرجع ، ص ١٤٣٣ .
- ٢٤- نفس المرجع ، ص ١٤٣٣ ؛ De Gaury G. Faisal ... , p. 78.
- ٢٥- أمين سعيد . تاريخ . . . ، ج ٣ ، ص ٥ . Philby H. Saudi Arabia, p. 358; De Gaury G. Faisal ... , pp. 78-80.
- ٢٦- De Gaury G. Faisal ... , p. 80 .
- ٢٧- الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٤٠٢ .
- ٢٨- نفس المرجع ، ص ٩٥٤ .
- ٢٩- Howarth D. The Desert King, p. 231 .
- ٣٠- أمين سعيد . تاريخ . . . ، ج ٣ ، ص ١٦-١٧ .
- ٣١- نفس المرجع ، ص ٤٠ .
- ٣٢- «الحركة النقابية العالمية» ، موسكو ، ١٩٥٤ ، رقم ١ ، ص ١٧ ، (باللغة الروسية) .
- ٣٣- Cheney M. S. Big Oilman from Arabia. London — New York, — بيليف اي . الامبريالية الامريكية فى العربية — 1958, p. 266; السعودية . موسكو ، ١٩٥٧ ، ص ١٧٨-١٨٥ (باللغة الروسية) ؛ بروشين . العربية السعودية ، ص ٢٨٤-٢٨٦ .
- ٣٤- جسيم الحكم السعودى . جبهة الاصلاح الوطنى فى السعودية ، ١٩٥٧ ، ص ٣٢ ، ١٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٩ .
- ٣٥- نفس المرجع ، ص ١٠٨ ، ١٢٥ . Cheney M. Big Oilman ... , p. 69. بروشين . العربية السعودية ، ص ٢٧٧ ، ٢٨٩-٢٩٠ .
- ٣٦- جسيم الحكم السعودى . جبهة الاصلاح الوطنى فى السعودية ، ١٩٥٧ ، ص ٨٢-٨٣ ، ٩٤-٩٥ ، ١٠٦-١١١ ، ١١٨ ، ١٢٥-١٣٠ ، ٣٠٩ ، ٣١٩ ؛ «قضايا السلم والاشتراكية» ، براغ ، ١٩٦٢ ، رقم ٥ ، ص ٩٢ (باللغة الروسية) .
- ٣٧- Labor Law and Practice in the Kingdom of Saudi Arabia. U.S. Department of Labor. Bureau of Labor Statisitcs. Washington, 1972, p. 58.
- ٣٨- Howarth D. The Desert King, p. 231 .
- ٣٩- نفس المرجع ، ص ٩٩-١٠٠ ، ١٧٩ .
- ٤٠- جسيم الحكم السعودى ، ص ١٢ ؛ بروشين . العربية السعودية ، ص ١٤٤ .
- ٤١- جسيم الحكم السعودى ، ص ١٣-١٤ ؛ «Arab Observer», Cairo, 13, 9. 1961, pp. 7-8.

- Lipsky G. Saudi Arabia ..., pp. 175-177; Philby H. Forty Years ..., pp. 168-169; «Newsweek», New York, 8.7.1963.
- جسيم p. 40; «Saturday Evening Post», Indianapolis, 30.9.1957.
- الحكم السعودي ، ص ٤٨ ، ٢٥٥-٢٧٣ .
- Philby H. Forty Years ..., p. 171. — ٤٣
- ٤٤- بروشين . العربية السعودية ، ص ١٦١ .
- ٤٥- نفس المرجع ، ص ١٦١ .
- ٤٦- جسيم الحكم السعودي .
- ٤٧- نفس المرجع ، ص ٢٢٩ .
- ٤٨- نفس المرجع ، ص ٦ ، ٦٥-٦٦ ، ٢٣٢ .
- Cheney M. Big Oilman ..., p. 282; Lipsky G. Saudi Arabia ..., — ٤٩
p. 282.
- Philby H. Forty Years ..., p. 34. — ٥٠
- ٥١- Twitchell K. S. Saudi Arabia, p. 187; «ام القسري» ،
١٩٦٢/١٢/٣٠ .
- Toy B. A. Fool Strikes Oil Across Saudi Arabia. London, — ٥٢
1957, p. 134; Cheney M. Big Oilman ..., p. 284.
- ٥٣- جسيم الحكم السعودي ، ص ١٣٩ : p. «Arab Observer», 13.11.1961,
8; Cheney M. Big Oilman ..., pp. 284-285.
- ٥٤- بروشين . العربية السعودية ، ص ١٥٧ .
- ٥٥- نفس المرجع ، ص ١٤٣-١٤٤ ؛ «المصور» ، القاهرة ،
١٩٦٢/١٠/١٣ ، ص ٣١ .
- ٥٦- جسيم الحكم السعودي ، ص ٦٦ ؛ بروشين . العربية السعودية ،
ص ١٦٤-١٦٥ .
- ٥٧- الزركلي . شبه الجزيرة . . . ، ص ٧٧٣-٧٧٨ .
- ٥٨- محمد عبد الله ماضي . النهضة الحديثة في جزيرة العرب .
القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٢٢٧-٢٥٣ ، ٢٧٤-٢٧٥ .
- Dickson H. Kuwait ..., p. 391. — ٥٩
- Philby H. Arabian Jubilee, pp. 212-214. — ٦٠
- Eddy W. A. F.D.R. Meets Ibn Saud, p. 37. Howarth D. The — ٦١
Desert King, p. 253.
- Lipsky G. Saudi Arabia ..., p. 17; Philby H. Forty Years ..., — ٦٢
p. 202.
- ٦٣- بروشين . العربية السعودية ، ص ١٢٣ .
- Lipsky G. Saudi Arabia ..., p. 173; Area Handbook ..., — ٦٤
p. 173.
- ٦٥- سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق العربي . موسكو ،
١٩٦١ ، ص ٢٣٨-٢٣٩ (باللغة الروسية) .

- ٦٦ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٣٩٣ .
- ٦٧ - نفس المرجع ، ص ١٣٩٤ .
- ٦٨ - نفس المرجع ، ص ١٣٩٥ .
- ٦٩ - نفس المرجع .
- ٧٠ - Hurewitz J. C. Middle East Politics: the Military Dimension. New York, 1969, p. 251.
- ٧١ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٣٩٦-١٣٩٧ .
- ٧١ - نفس المرجع ، ص ١٣٩٨ ؛ سياسة الولايات المتحدة الامريكية . . . ، ص ٢٤٤-٢٤٥ .
- ٧٣ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٣٩٩ .
- ٧٤ - نفس المرجع ، ص ١٣٩٩ ؛ امين سعيد . تاريخ . . . ، ج ٣ ، ص ١٠٧ .
- ٧٥ - امين سعيد . تاريخ . . . ، ج ٣ ، ص ١٠٩ ؛ الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٤٠٠ .
- ٧٦ - امين سعيد . تاريخ . . . ، ج ٣ ، ص ١٢٠-١٢١ ؛ سياسة الولايات المتحدة الامريكية . . . ، ص ٢٤٥-٢٤٦ .
- ٧٧ - Area Handbook . . . , p. 169.
- ٧٨ - عن الوضع فى عمان ابان تلك المرحلة راجع : كوتلوف ل . الثورة التحريرية فى عمان فى اعوام ١٩٥٧-١٩٥٩ . - البلدان العربية . تاريخها واقتصادها . موسكو ، ١٩٧٠ ، ص ٤٨-٧٨ (باللغة الروسية) ؛
- The Arabian Peninsula: Society and Politics. Ed by Derek Hopwood. London, 1972, pp. 107-141.
- ٧٩ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٣٦٨ ؛ كوتلوف ل . الاردن فى العصر الحديث . موسكو ، ١٩٦٢ ، ص ٧٤-٧٧ ، ٨٠-٨١ (باللغة الروسية) .
- ٨٠ - ماضى . النهضة . . . ، ص ٢٠٧ .
- ٨١ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٣٦٨ .
- ٨٢ - كوتلوف . الاردن . . . ، ص ٩٩ .
- ٨٣ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٣٦٨ ؛ كوتلوف . الاردن . . . ، ص ٩٩ .
- ٨٤ - Lipsky G. Saudi Arabia . . . , pp. 141-142.
- ٨٥ - امين سعيد . تاريخ . . . ، ج ٣ ، ص ١٦-١٧ .
- ٨٦ - نفس المرجع ، ص ١٢٣-١٢٤ .
- ٨٧ - نفس المرجع ، ص ١٢٨ ؛ Lipsky G. Saudi Arabia . . . , p. 143.
- ٨٨ - امين سعيد . تاريخ . . . ، ج ٣ ، ص ١٢٩-١٣٤ .
- ٨٩ - نفس المرجع ، ص ١٣٩-١٤٤ .

- ٩٠ - نفس المرجع ، ص ٨٩ .
- ٩١ - نفس المرجع ، ص ١٦٤-١٦٩ .
- ٩٢ - Lipsky G. Saudi Arabia ... , p. 142.
- ٩٣ - انظر : كونينا أ . مذهب ايزنهاور ؛ اخفاق مذهب ايزنهاور .
موسكو ، ١٩٥٧ (باللغة الروسية) .
- ٩٤ - توغانوفا او . سياسة الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا . . . ،
ص ١٠١ (باللغة الروسية) .
- ٩٥ - «New York Herald Tribune», 2.9.1957; Area Handbook ... ,
p. 173; Halliday F. Arabia Without Sultans. London, 1974,
p. 54-55; de Gaury G. Faisal ... , p. 83.
- ٩٦ - De Gaury G. Faisal ... , p. 83.
- ٩٧ - «برافدا» ، موسكو ، ١٩٥٧/٣/٢ (باللغة الروسية) .
- ٩٨ - Area Handbook ... , p. 165.
- ٩٩ - امين سعيد . تاريخ . . . ج ٣ ، ص ٢٠٧-٢٠٨ .
- ١٠٠ - كوتلوف . الاردن . . . ، ص ١٩٦-٢٢٠ .
- ١٠١ - امين سعيد . تاريخ . . . ج ٣ ، ص ٢١١ .
- ١٠٢ - نفس المرجع ، ص ٢٠٣-٢٠٥ .
- ١٠٣ - سياسة الولايات المتحدة الاميركية . . . ، ص ٢٤٧ .
- ١٠٤ - كوتلوف . الاردن . . . ، ص ٢٢٩ .

الفصل السابع عشر

- ١ - Lipsky G. Saudi Arabia ... , p. 139.
- ٢ - De Gaury G. Faisal ... , p. 92.
- ٣ - نصير السعيد . الرسالة . . . ، ص ٤٨-٥٦ ، ٦١-٦٢ .
- ٤ - De Gaury G. Faisal ... , pp. 91-92.
- ٥ - امين سعيد . تاريخ . . . ج ٣ ، ص ٢٣٩ .
- ٦ - بروشين . العربية السعودية ، ص ١٦٦ .
- ٧ - De Gaury G. Faisal ... , p. 93.
- ٨ - امين سعيد . تاريخ . . . ج ٣ ، ص ٢٣٩ .
- ٩ - سياسة الولايات المتحدة الاميركية . . . ، ص ٢٥٣ .
- ١٠ - بروشين . العربية السعودية . ص ١٦٩ .
- ١١ - نفس المرجع .
- ١٢ - نفس المرجع ، ص ١٧٠-١٧٦ .
- ١٣ - اوزولنغ . العربية السعودية . موسكو ، ١٩٦٨ ص ١٠٦-١٠٧ .
(باللغة الروسية) ؛ بروشين . العربية السعودية ، ص ١٧٢ .

- ١٤ - «Middle East Record». Jerusalem, 1960, vol. 1, p. 372.
- ١٥ - اوزولنخ . العربية السعودية ، ص ١٠٧-١٠٨ ، بروشين . العربية السعودية ، ص ١٧٢-١٧٣ .
- ١٦ - امين سعيد . تاريخ . . . ج ٣ ، ص ٢٣٥ .
- ١٧ - «Middle East Record», vol. 1, p. 373.
- ١٨ - نفس المرجع ، ص ٣٧٤ .
- ١٩ - الجمهورية ، القاهرة ، ١٩٦٠/٥/٢٥ .
- ٢٠ - Area Handbook ... , p. 153.
- ٢١ - «الحياة» ، بيروت ، ١٩٦٠/٩/٩ ؛ «Middle East Record». Vol. 1, p. 375.
- ٢٢ - «Middle East Record». Vol. 1, pp. 375-376.
- ٢٣ - نفس المرجع ، ص ٣٧٦ ؛ Area Handbook ... , p. 153.
- ٢٤ - «Middle East Record». Vol. 2, p. 428; Halliday F. Arabia Without Sultans, p. 59; Area Handbook ... , p. 173.
- ٢٥ - Area Handbook ... , p. 153.
- ٢٦ - «Middle East Record», Vol. 1, p. 377.
- ٢٧ - نفس المرجع ، مجلد ٢ ، ص ٤٢٠ .
- ٢٨ - نفس المرجع ، مجلد ٢ ، ص ٤١٧ ، ٤٢٠ .
- ٢٩ - بروشين . العربية السعودية ، ص ١٧٥ .
- ٣٠ - «Middle East Record». Vol. 2, p. 425.
- ٣١ - نفس المرجع .
- ٣٢ - نفس المرجع ، ص ٤٢٦ .
- ٣٣ - بروشين . العربية السعودية ، ص ١٧٨ .
- ٣٤ - نفس المرجع ، ص ١٧٧ .
- ٣٥ - نفس المرجع ، ص ١٧٧ .
- ٣٦ - «Middle East Record». Vol. 2, pp. 422-423.
- ٣٧ - نفس المرجع ، ص ٤٢٣ .
- ٣٨ - نفس المرجع ، ص ٤٢٤ .
- ٣٩ - بروشين . العربية السعودية ، ص ١٧٩ .
- ٤٠ - De Gaury G. Faisal ... , pp. 105-107.
- ٤١ - «Middle East Record». Vol. 2, p. 424.
- ٤٢ - نفس المرجع ، ص ٤٢٧ .
- ٤٣ - امين سعيد . تاريخ . . . ج ٣ ، ص ٦٦-٦٧ ؛ بروشين . العربية السعودية ، ص ١٨٠ . Area Handbook ... , p. 166;
- ٤٤ - Area Handbook ... , p. 170.
- ٤٥ - Schmidt D. A. Jemen: The Unkown War, London, 1968, p. 52.
- ٤٦ - نفس المرجع ، ص ٥٦-٥٢ .

- ٤٧- نفس المرجع ، ص ٥٠-٥١ .
- ٤٨- نفس المرجع ، ص ٥١ ؛ انظر : بروشين . العربية السعودية ، ص ١٨٢ .
- ٤٩- أمين سعيد . تاريخ . . . ج ٣ ، ص ٣٠١-٣٠٩ .
- ٥٠- «Newsweek», New York, 8.7.1963, p. 40.
- ٥١- نفس المرجع .
- ٥٢- «ام القرى» ١٩٦٢/١١/٣٠ ؛ اوزولنخ . العربية السعودية ، ص ٦٨-٩٨ .
- ٥٣- بروشين . العربية السعودية ، ص ١٨٦ .
- ٥٤- نفس المرجع .
- ٥٥- Area Handbook ... , p. 154; بروشين . العربية السعودية ، ص ١٨٨ .
- ٥٦- «New York Times», 3.11.1963.
- ٥٧- Area Handbook ... , p. 155.
- ٥٨- نفس المرجع ، ص ١٥٦ .
- ٥٩- نفس المرجع .
- ٦٠- De Gaury G. Faisal ... , pp. 130-133.
- ٦١- نفس المرجع ، ص ١٣٤-١٣٥ ؛ Area Handbook ... , p. 156; Assah A. Miracle ... , pp. 75-76.
- ٦٢- «Middle East Record». Vol. 3, p. 452; Halliday F. Arabia ... , p. 67; بروشين . العربية السعودية ، ص ١٩١ .
- ٦٣- بروشين . العربية السعودية ، ص ١٩١ .
- ٦٤- «الكفاح» ، بيروت ، ١٩٦٣/٥/١٢ .
- ٦٥- Keesing's Contemporary Archives, p. 1965. بروشين . العربية السعودية ، ص ١٩٤ .
- ٦٦- بروشين . العربية السعودية ، ص ١٩٥ .
- ٦٧- Labor Law ... , pp. 57-58; Area Handbook ... , p. 264.
- ٦٨- Area Handbook ... , p. 198.
- ٦٩- «Middle East Record». Vol. 3, p. 455; Halliday F. Arabia ... , p. 67.
- ٧٠- «Middle East Record». Vol. 5, pp. 1026-1027.
- ٧١- نفس المرجع ، ص ٤٥٦ .
- ٧٢- نفس المرجع ، مجلد ٥ ، ص ١٠٢٧ .
- ٧٣- نفس المرجع ، ص ١٠٢٨-١٠٢٩ ؛ Halliday F. Arabia ... , p. 69.
- ٧٤- Halliday F. Arabia ... , p. 68; «Middle East Record». Vol. 5, p. 1030.
- ٧٥- «Middle East Record». Vol. 5, p. 1031.

- De Gaury G. Faisal ..., p. 98. — ١٢٢
- Area Handbook ..., p. 172; Halliday F. Arabia ..., pp. 59-60; «The Gurdian», 15.3.1974. — ١٢٤
- «The Gurdian», 5.3.1974; Halliday F. Arabia ..., pp. 59-61. — ١٢٥
- Sullivan R. R. Saudi Arabia ..., p. 29. — ١٢٦
- ١٢٧ — «International Herald Tribune», 2.3.1971; «ميدفيدكو ل. رياح في الخليج ، موسكو ، ١٩٧٥ ، ص ١٧١ .
- ١٢٨ — «The Economist». London, 15.4.1969, p. 24.
- ١٢٩ — Keesing's Contemporary Archives, p. 23072 — A.
- ١٣٠ — «The Times», 21.11.1971.
- ١٣١ — «The Times», 21.12.1971; «International Herald Tribune», 2.12.1971.
- ١٣٢ — فالكوفا . العربية السعودية ص ١٩٤ .
- ١٣٣ — «The Economist» 2.1.1972, p. 35.
- ١٣٤ — فالكوفا . العربية السعودية ص ١٩٥ .
- ١٣٥ — فاسيليف أ . «مشاعل الخليج» ، ص ١٥٧-١٧٣ .
- ١٣٦ — «Economist», 21.2.1973; pp. 34-35; Sullivan R. R. Saudi Arabia ..., p. 33.
- ١٣٧ — Keesing's Contemporary Archives, p. 24629.
- ١٣٨ — «The Times», 3, 4, 6.1.1970.
- ١٣٩ — «الاهرام» ، ١٩٧١/٧/٢ ؛ انظر ايضا : «شعوب آسيا وافريقيا» ، موسكو ، ١٩٧٥ ، عدد ٦ ، ص ٤٥ (باللغة الروسية) .
- ١٤٠ — «The Times», 31, 8; 9.9.1973; «The Economist», 9.6.1973, pp. 35-36.
- ١٤١ — Assah A. Miracle ..., pp. 96-98; «The Economist», 4.4.1966, pp. 1077-1078; «The Egyptian Gazette», 1.2.1966.
- ١٤٢ — «The Times», 13.4.1966.
- ١٤٣ — «الاهرام» ، ١٩٦٦/٢/٢٣ .
- ١٤٤ — فالكوفا . العربية السعودية ص ١٦٨ .
- ١٤٥ — «The Times», 22.8.1969.
- ١٤٦ — «International Herald Tribune», 1.9.1969.
- ١٤٧ — «Middle East Record». Vol. 5, p. 578; «The Times», 25.9.1969.
- ١٤٨ — «Middle East Record». Vol. 5, p. 578.
- ١٤٩ — «ام القرى» ، ١٩٧٠/٣/٢٧ .
- ١٥٠ — Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, pp. 165-166.
- ١٥١ — نفس المرجع ، ص ١٧٠ .
- ١٥٢ — انظر : فاسيليف . مشاعل الخليج ، ص ٩١-٩٤ .

- ١٥٣ - نفس المرجع ، ص ٩٤-٩٧ .
- ١٥٤ - «Middle East Economic Survey», 1972, N 48, p. 1.
- ١٥٥ - Klebanoff Sh. Middle East Oil ..., p. 150.
- ١٥٦ - «International Herald Tribune», 7, 8.7.1973.
- ١٥٧ - «The Times», 28, 31.8.1973; «The Economist», 1.9.1973, pp. 15-16, 34-35; 22.9.1973, p. 64; «International Herald Tribune», 31.8.1973.
- ١٥٨ - انظر : فاسيليف . مشاعل الخليج ، ص ١٠٠-١٠٢ .
- ١٥٩ - «The Times», 8.10.1973.
- ١٦٠ - «The Times», 10.10.1973.
- ١٦١ - «The Times», 15.10.1973.
- ١٦٢ - «The Times», 19, 23.10.1973; «International Herald Tribune», 1.10.1973.
- ١٦٣ - انظر : فاسيليف . مشاعل الخليج ، ص ١٠٧-١٠٨ .
- ١٦٤ - اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ١٣٦-١٣٧ .
- ١٦٥ - «International Herald Tribune», 25.12.1973; Laguer W. Confrontation. The Middle East War and World Politics. London, 1974, pp. 208-211.
- ١٦٦ - «International Herald Tribune», 5, 9; 7, 24.9.1973.
- ١٦٧ - انظر : فاسيليف . مشاعل الخليج ، ص ١٠٧-١٠٨ .
- ١٦٨ - «The Times», 10.12.1973.
- ١٦٩ - «International Herald Tribune», 26, 27.12.1973.
- ١٧٠ - «The Times», 18.3.1974.

الفصل العشرون

- ١ - Lipsky G. Saudi Arabia ..., p. 89.
- ٢ - Philby H. Forty Years ..., pp. 38-39.
- ٣ - Lipsky G. Saudi Arabia ..., p. 178.
- ٤ - نفس المرجع ، ص ١٧٩ .
- ٥ - نفس المرجع .
- ٦ - اوزولنغ . العربية السعودية . . . ، ص ١٠٥-١٠٦ ؛
- Lipsky G. Saudi Arabia ..., p. 195.
- ٧ - المملكة العربية السعودية في عهدها الحاضر . المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر . جدة ، ١٩٥٦ ، ص ١٠٣-١٠٤ ؛
- Lipsky G. Saudi Arabia ..., p. 195; اوزولنغ . العربية السعودية ،
- ص ١٠٦-١٠٧ .

- ٨ - نشرة الاخبار التجارية العالمية . موسكو ، ١٩٧٢ ، عدد ١٣ ، ص ٨ ، (باللغة الروسية) .
- ٩ - نشرة الاخبار التجارية العالمية . ١٩٧٣ ، عدد ٩٨ ، ص ٨ .
- ١٠ - Lipsky G. Saudi Arabia ... , p. 198.
- ١١ - «ام القرى» ، ١٩٦٠/١/٨ ؛ اوزولنغ . اقتصاد العربيــــــــــــة السعودية ، ص ١٦٤ .
- ١٢ - Area Handbook ... , p. 294; Lipsky G. Saudi Arabia ... , p. 198.
- ١٣ - اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ١٦٥ .
- ١٤ - Lipsky G. Saudi Arabia ... , p. 198.
- ١٥ - Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, pp. 250-252.
- ١٦ - Lipsky G. Saudi Arabia ... , pp. 189-190.
- ١٧ - الزركى . شبة الجزيرة . . . ، ص ٧٥٨ .
- ١٨ - Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, pp. 316-320; Arca Handbook ... , p. 210.
- ١٩ - اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ١٧٤ .
- ٢٠ - نفس المرجع .
- ٢١ - نفس المرجع .
- ٢٢ - Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 301.
- ٢٣ - اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ١٦٦ .
- ٢٤ - «Middle East Reporter», 16.7.1977.
- ٢٥ - اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ٥٧ .
- ٢٦ - Lipsky G. Saudi Arabia ... , pp. 232-233.
- ٢٧ - لينين ف . إ . الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٧ ، ص ٣٦٢ .
- ٢٨ - بروشين . العربية السعودية ، ص ٢٤٢-٢٤٣ .
- ٢٩ - Kheirallan G. Arabia Reborn. New Mexico, 1952, pp. 202-204.
- ٣٠ - اوزولنغ . العربية السعودية . ص ٥٩ .
- ٣١ - نفس المرجع ، ص ٥٩-٦٠ .
- ٣٢ - المملكة العربية السعودية . . . ، ص ١١٢ .
- ٣٣ - استخدم هذا المصطلح لأول مرة فى مقال اندرياسيان الموسوم «الازدهار النفطى» والتحولات الرأسمالية للانظمة الملكية فى شبة الجزيرة العربية (مجلة «آسيا وافريقيا اليوم» ، ١٩٧٩ ، رقم ١) .
- ٣٤ - اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ٦٩-٧٠ .
- ٣٥ - Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 136.
- ٣٦ - نفس المرجع ، ص ١٤٢ .
- ٣٧ - نفس المرجع ، ص ١٤ .

- ٣٨ - اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ٧٢ .
- ٣٩ - Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 132.
- ٤٠ - نفس المرجع ، ص ١٣٦ .
- ٤١ - Lipsky G. Saudi Arabia ... , p. 235.
- ٤٢ - «Middle East Economic Digest». 1964. Vol. 8, N 10, p. 117.
- ٤٣ - Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 144.
- اقتصاد العربية السعودية ، ص ٧٦ .
- ٤٤ - اوزولنغ . العربية السعودية ، ص ٦٦-٦٧ . اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ٧٤ .
- ٤٥ - Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 144.
- ٤٦ - قافلة الزيت . ١٩٧٠ ، مجلد ١٨ ، عدد ٧ ، ص ٣٩ ؛ اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ٧٤ .
- ٤٧ - «ام القرى» ، ١٩٦٥/٧/٢٣ ؛ «الوقائع العربية» . بيروت ، ١٩٦٥ ، عدد ٣ ، ص ٣٦٢ .
- ٤٨ - Area Handbook ... , p. 238; اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ٩٣-٩٤ .
- ٤٩ - نهاد الغادري . التحدى الكبير . بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٩٦ .
- ٥٠ - اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ٩٥ .
- ٥١ - «Middle East and North Africa». London, 1964-1965, p. 471.
- ٥٢ - اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ٩٩-١٠٥ .
- ٥٣ - نفس المرجع ، ص ١٦١ .
- ٥٤ - نفس المرجع ، ص ١٨١-١٨٣ .
- ٥٥ - Lipsky G. Saudi Arabia ... , p. 239.
- ٥٦ - بروشين . العربية السعودية ، ص ٢٥١ ؛ اوزولنغ . العربية السعودية ، ص ١٢٧ .
- ٥٧ - International Herald Tribune. 1978, February, p. 2.
- ٥٨ - Bonnenfant P. Utilisation des recettes petrolières, et stratégie des groupes sociaux en Péninsule Arabe. — «Maghreb». Paris, 1979, N 83, p. 61.
- ٥٩ - نفس المرجع ، ص ٦٢ .
- ٦٠ - International Herald Tribune, 1978, February, p. 2.
- ٦١ - فؤاد شاكر . دليل المملكة العربية السعودية ، ١٩٤٨ ، ص ٣٢٢ .
- ٦٢ - Philby H. Forty Years ... , p. 33; Van der Meulen D. The Wells of Ibn Saud, p. 217.
- ٦٣ - Bonnenfant P. Utilisation ... , p. 62.
- ٦٤ - Jeddah 68/69. Nairobi, 1968, p. 109.
- ٦٥ - Hobday P. Saudi Arabia Today. London, 1978, pp. 83-84.

«Middle East Economic Digest». Saudi Arabia, Special Issue. — ٦٦
1978, p. 75.

Area Handbook ..., pp. 218-219. — ٦٧

. ٦٨ — نفس المرجع ، ص ٢٢٠ .

. ٦٩ — نفس المرجع ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

Knauerhase R. The Saudi Arabia Economy, p. 120. Lipsky — ٧٠

G. Saudi Arabia ..., pp. 210-211.

Area Handbook ..., p. 221. — ٧١

Lipsky G. Saudi Arabia ..., p. 210. — ٧٢

. ٧٣ — اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ٢٥ .

. ٧٤ — الكتاب الاحصائي السنوى ، ج ٣ ، ص ١٣٧ .

Labour Law ..., p. 9. — ٧٥

Area Handbook ..., p. 222. — ٧٦

. ٧٧ — نفس المرجع .

. ٧٨ — اوزولنغ . العربية السعودية ، ص ٤١ .

Area Handbook ..., p. 222. — ٧٩

. ٨٠ — نفس المرجع ، ص ٢٢٣ .

. ٨١ — نفس المرجع .

. ٨٢ — نفس المرجع ، ص ٢٢٤ .

Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 120. — ٨٣

Labour Law ..., p. 9. — ٨٤

Area Handbook ..., p. 226. — ٨٥

. ٨٦ — نفس المرجع .

. ٨٧ — نفس المرجع .

«Labour Development Abroad» Washington, 1969, N8, p. 2. — ٨٨

. ٨٩ — الكتاب السنوى الاحصائي السنوى ، ج ٣ ، ص ١٢٨ .

. ٩٠ — نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١١٠-١١١ .

. ٩١ — نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ١٣٧-١٣٨ .

Labour Law ..., p. 9. : انظر — ٩٢

٩٣ — انظر : خروستاليف م . التركيب الاجتماعى للمجتمع السعودى —

. «شعوب اسيا وافريقيا» ، موسكو ، ١٩٧٢ ، رقم ٤ ، ص ٣١ .

(باللغة الروسية) .

. ٩٤ — انظر : بروشين . العربية السعودية ، ص ٢٣٠ .

. ٩٥ — نفس المرجع ؛ «The Times», 29.11.1971؛

. ٩٦ — «ام القرى» ، ١٩٦٨/٩/١٩ ؛ «The Economist», 1971, 7-13

August, p. 25.

. ٩٧ — «ام القرى» ، ١٩٦٨/٩/١٩ .

- ٩٨ - عبد الرحمن صادق الشريف . منطقة عنيزة ، دراسة اقليمية .
القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ١٢٠-١٢٤ .
- ٩٩ - Katakura Motoko. Bedouin Village: A Study of a Saudi Arabian People in Transition. Tokyo, 1977.
- ١٠٠ - استنادا الى
Area Handbook ... , p. 213; Asfour E. G. Saudi Arabia. Long-term Projections of Supply and Demand for Agricultural Products. Beirut, 1965, p. 15; Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 113; Twitchell K. S. Saudi Arabia, p. 21; «De Monde diplomatique». 1974, février, pp. 26-27; اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ٤ .
- ١٠١ - Aspour E.-G. Saudi Arabia ... , p. 57; «Geography» 1970. Vol. 55, N 4, p. 415; اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ٢٤ .
- ١٠٢ - Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 113.
- ١٠٣ - Area Handbook ... , p. 238, Lipsky G. Saudi Arabia ... , p. 214.
- ١٠٤ - Area Handbook ... , p. 237.
- ١٠٥ - Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 126.
- ١٠٦ - نفس المرجع ، ص ١١٣ .
- ١٠٧ - Labour Law ... , p. 9.
- ١٠٨ - Area Handbook ... , p. 227.
- ١٠٩ - Bonnenfant P. Utilisation ... , p. 64.
- ١١٠ - نفس المرجع ؛ اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ٢٨-٢٩ .
- ١١١ - اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية ، ص ٥٩-٦٢ .
- ١١٢ - «Financial Times», 19.12.1972; Area Handbook ... , p. 227.
- ١١٣ - The Kingdom of Saudi Arabia. London, 1978, p. 138.
- ١١٤ - جامعة الدول العربية . ادارة الشؤون الاجتماعية والعمل . القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٤١١-٤١٢ .
- ١١٥ - Area Handbook ... , p. 233.
- ١١٦ - نفس المرجع ؛ Asfour A. Saudi Arabia ... , p. 98. The Middle East And North Africa 1965-1966, p. 491.
- ١١٧ - Area Handbook ... , p. 213.
- ١١٨ - «البلاد السعودية» ، ١٩٦٧/٨/١١ .
- ١١٩ - Labour Law ... , p. 39; «Le Monde Diplomatique». 1974, février; «شعوب آسيا وافريقيا» . موسكو ، ١٩٧٥ ، عدد ٦ ، ص ٤٢-٤٣ ، (باللغة الروسية) .
- ١٢٠ - Philby H. Forty Years ... , p. 57.

Sanger R. H. The Arabian Peninsula. New York, 1954, pp. 111- — ١٢١
112.

١٢٢ — جامعة الدول العربية . . . ، ص ٣٨٣ .

Vidal F. S. The Oasis . . . , p. 94. — ١٢٣

Cole D. P. Bedouins of the Oil Fields. — «Problmes politiques — ١٢٤
et Sociaux». 1974, N 230, p. 25.

١٢٥ — نفس المرجع ، ص ٢٥-٢٦ .

١٢٦ — كتب عن بداية هذه العملية م . تشيني

(Cheney M. S. Big Oilman . . . , p. 300).

١٢٧ — جامعة الدول العربية . . . ، ص ٤٠٨ .

Area Handbook . . . , p. 60. — ١٢٨

١٢٩ — جامعة الدول العربية . . . ، ص ٤٠٧-٤٠٨ .

Area Handbook . . . , p. 56. Lipsky G. Saudi Arabia . . . , p. 186; — ١٣٠
Tomishé F.-J. — L'Arabic Séodite. Paris, 1962 p. 87.,

Vidal F. S. The Oasis . . . , p. 101; Cheney M. S. Big Oil- — ١٣١
man . . . , p. 300.

Katakura M. Bedouin Village . . . , p. 167. — ١٣٢

١٣٣ — بروشين . العربية السعودية ، ص ٢١٩ .

Philby H. Forty Years . . . , p. 57. — ١٣٤

Aria Handbook . . . , p. 56; Kheirallah Arabia Reborn, p. 161; — ١٣٥
Lipsky G. Saudi Arabia . . . , pp. 78, 264.

Labor Law . . . , p. 14. — ١٣٦

Lipsky G. Saudi Arabia . . . , pp. 79, 91. — ١٣٧

Cheney M. S. Big Oilman . . . , p. 293.؛ ١٦٢ ص — ١٣٨

Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 207. — ١٣٩

١٤٠ — جعيم . . . ، ص ٢٠٨ .

Cheney M. S. Big Oilman . . . , p. 240, Rugh W. Emergence of a — ١٤١
New Middle Class in Saudi Arabia. — «Problemes politiques et
sossiaux». 1974, N 23, p. 16.

Rugh W Emergence . . . , p. 16. — ١٤٢

١٤٣ — «قافلة الزيت» ، ١٩٧١ ، مجلد ١٩ ، رقم ٣ ، ص ٢٨ .

١٤٤ — «البترول والغاز العربى» . ١٩٦٩ ، عدد ٨ ، ص ٤٧ ؛

Labour Law . . . , p. 36.

Rugh W. Emergence . . . , p. 16. — ١٤٥

Labour Law . . . , p. 39. — ١٤٦

١٤٧ — «قافلة الزيت» . ١٩٧١ ، ، مجلد ١٩ ، عدد ٣ ، ص ٣٠ .

١٤٨ — خروستاليف . التركيب الاجتماعى . . . ، ص ٣١ .

«Labour Development Abroad». 1969, N 8, p. 10. — ١٤٩

- ١٥٠ - الشريف . منطقة عنيزة . . . ، ص ١٥٨ .
 ١٥١ - Labour Law ... , p. 53.
 ١٥٢ - الشريف . منطقة عنيزة . . . ، ص ١٦٨ ، ١٩٥ .
 ١٥٣ - نفس المرجع ، ص ١٦٨ .
 ١٥٤ - نفس المرجع ، ص ١٩٨-١٩٩ .
 ١٥٥ - نفس المرجع ، ص ٢٣٨-٢٣٩ .
 ١٥٦ - نفس المرجع ، ص ٢٣٩-٢٤٠ .
 ١٥٧ - Lipsky G. Saudi Arabia ... , pp. 157-158.
 ١٥٨ - نفس المرجع ، ص ١٦٥ .
 ١٥٩ - نفس المرجع ، ص ١٦٦-١٦٧ .
 ١٦٠ - Area Handbook ... , p. 262.
 ١٦١ - نفس المرجع ، ص ٢٥٩ .
 ١٦٢ - Area Handbook ... , p. 19; Middle East Economic Digest». 1971. Vol. 15, N 16, p. 398; «Overseas Business Reports». 1971, N 25, p. 4.
 ١٦٣ - Area Handbook ... , p. 259.
 ١٦٤ - نفس المرجع .
 ١٦٥ - Labour Law ... , pp. 34-36.
 ١٦٦ - اوزولنغ . اقتصاد العربية السعودية . . . ، ص ٦ .
 ١٦٧ - Wenner M. W. Saudi Arabia ... , p. 170.
 ١٦٨ - Labour Law ... , pp. 63-64.
 ١٦٩ - نفس المرجع ، ص ٦٤ .
 ١٧٠ - Wenner M. W. Saudi Arabia ... , p. 171.
 ١٧١ - Long D. E. Saudi Arabia. London, 1976, p. 50.
 ١٧٢ - اندرياسيان . الازدهار النفطي والتحولات الراسمالية للانظمة الملكية في شبه الجزيرة العربية . - مجلة «آسيا وافريقيا اليوم» ، ١٩٧٩ ، رقم ١ ، ص ١١ (باللغة الروسية) .
 ١٧٣ - Lipsky G. Saudi Arabia ... , p. 169.
 ١٧٤ - Bonnenfant P. Utilisation ... , pp. 65-66.
 ١٧٥ - «The Gurdian», 2-5, 1973.
 ١٧٦ - نفس المرجع .
 ١٧٧ - الزركلى . شبه الجزيرة . . . ، ص ١٣٤٩-١٣٥٧ .
 ١٧٨ - Area Handbook ... , p. 261.
 ١٧٩ - نفس المرجع ، ص ٢٦٢ .
 ١٨٠ - «The Times», 28.1.1974.
 ١٨١ - Lipsky G. Saudi Arabia ... , p. 168.
 ١٨٢ - بروشين . العربية السعودية ، ص ٢٧٢ .

- Labour Law ..., p. 56. — ١٨٣
 . نفس المرجع . — ١٨٤
 . ١٨٥ — نفس المرجع ، ص ٥٧ .
 . ١٨٦ — نفس المرجع ، ص ٦٠-٦١ .
 . ١٨٧ — نفس المرجع ، ص ٨٢ .
 . ١٨٨ — نفس المرجع ، ص ٥٦ .
 . ١٨٩ — نفس المرجع ، ص ٥٥-٥٦ .
 Lipsky G. Saudi Arabia ..., p. 277. — ١٩٠
 . ١٩١ — نفس المرجع ، ص ٢٧٩ .
 Labour Law ..., p. 14. — ١٩٢
 Rugh W. Emergence ..., p. 17. — ١٩٣
 Area Handbook ..., p. 102. — ١٩٤
 Wenner M. W. Saudi Arabia ..., p. 176. — ١٩٥
 «The Times», 28.1.1974. — ١٩٦
 Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 211. — ١٩٧
 . ١٩٨ — نفس المرجع ، ص ٢١٨ .
 Labour Law ..., p. 25. ؛ ٢٢١ — نفس المرجع ، ص ٢٢١ ؛
 Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 221; «The — ٢٠٠
 Times», 28.1.1974.
 Long D. E. Saudi Arabia ..., p. 14. — ٢٠١
 Area Handbook ..., p. 97. — ٢٠٢
 «The Times», 28.1.1974. — ٢٠٣
 The Kingdom of Saudi Arabia ..., p. 200. — ٢٠٤

الفصل الحادى والعشرون

- «Time», 19.11.1973, pp. 90-91; Labour Law ..., p. 13. — ١
 Lipsky G. Saudi Arabia ..., p. 116. : انظر — ٢
 Wenner M. W. Saudi Arabia ..., p. 168. — ٣
 «Le monde diplomatique». 1974, février, p. 26-27. — ٤
 Area Handbook ..., p. 157. — ٥
 International Herald Tribune. 1978, February, p. 2. — ٦
 . ٧ — نفس المرجع .
 . ٨ — نفس المرجع .
 Long D. E. Saudi Arabia, p. 29. — ٩
 International Herald Tribune. 1978, February, p. 2; Hobday — ١٠
 P. Saudi Arabia Today, p. 65.
 Soulié Y. — L. et Champenois L. Le Royaume d'Arabia Saou- — ١١

dite face a l'islam révolutionnaire (1953—1964). Paris, 1966,
p. 59.

International Herald Tribune. 1978, February, p. 2. — ١٢

Long D. E. Saudi Arabia, pp. 29-30. — ١٣

Kelidar A. R. The Problem of Succession in Saudi Arabia. — — ١٤
«Asian Affairs», London, 1978, vol. 9, p. 30.

International Herald Tribune. 1978, February, p. 2. — ١٥

Long D. E. Saudi Arabia, p. 29. — ١٦

International Herald Tribune. 1978, February, p. 2. — ١٧

. ١٨ — نفس المرجع .

. ١٩ — نفس المرجع .

. ٢٠ — نفس المرجع .

. ٢١ — نفس المرجع .

Area Handbook ..., p. 143. : انظر — ٢٢

. ٢٣ — نفس المرجع ، ص ١٩٣ .

Soulié J. — L. et Champenois L. Le Royaume ..., p. 80. — ٢٤

Bonnenfant P. Utilisation ..., p. 69. — ٢٥

Long D. E. Saudi Arabia ..., p. 41 — ٢٦

«The Financial Times», 24.1.1973. — ٢٧

Area Handbook ..., p. 35. — ٢٨

Lipsky G. Saudi Arabia ..., p. 124. : نفس المرجع — ٢٩

Area Handbook ..., p. 191. — ٣٠

. ٣١ — الزركلي . شبه الجزيرة ص ٩٩٢-٩٩٣ .

Area Handbook ..., p. 321. — ٣٢

. ٣٣ — نفس المرجع ، ص ٣٢٤-٣٢٥ .

. ٣٤ — نفس المرجع ، ص ٣٢٥ .

. ٣٥ — نفس المرجع ، ص ٣٢٦-٣٢٧ .

. ٣٦ — نفس المرجع ، ص ٣٣٠-٣٣١ .

Long D. E. Saudi Arabia, p. 37. — ٣٧

The Kingdom of Saudi Arabia, p. 127. — ٣٨

. ٣٩ — خروستاليف . التركيب الاجتماعي ص ٣٤-٣٥ .

Lipsky G. Saudi Arabia ..., p. 115. — ٤٠

. ٤١ — نفس المرجع ، ص ١١٦ .

. ٤٢ — امين سعيد . تاريخ ج ٣ ، ص ٧٠ .

. ٤٣ — نفس المرجع .

Area Handbook ..., p. 139. — ٤٤

Soulié J. — L. et Champenois L. Le Royaume ..., p. 123. — ٤٥

- Area Handbook ..., p. 145; ١٢٤ : نفس المرجع ، ص ١٢٤
- Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 33. - ٤٧
- Soulié J. — L. et Champenois L. Le Royaume ..., p. 123. - ٤٨
- Lipsky G. Saudi Arabia ..., p. 126. - ٤٨
- Area Handbook ..., p. 148. - ٤٩
- Lipsky G. Saudi Arabia ..., p. 126. - ٥٠
- Long D. E. Saudi Arabia, p. 41. - ٥١
- Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 33. - ٥٢
- Long D. E. Saudi Arabia ..., p. 33. - ٥٣
- Lipsky G. Saudi Arabia ..., p. 127. - ٥٤
- ٥٥ - نفس المرجع ، ص ١٢٨ .
- Wenner M. W. Saudi Arabia ..., p. 180. : انظر - ٥٦
- Rugh W. Emergence ..., p. 15-17. - ٥٧
- ٥٨ - نفس المرجع ، ص ١٧-١٨ .
- Long D. E. Saudi Arabia, p. 16. - ٥٩
- The Kingdom of Saudi Arabia, p. 124. - ٦٠
- ٦١ - نفس المرجع .
- Knauerhase R. The Saudi Arabian Economy, p. 25. - ٦٢
- ٦٣ - نفس المرجع .
- ٦٤ - نفس المرجع .
- «Middle East Record», Vol. 2, p. 424. - ٦٥
- The Kingdom of Saudi Arabia, p. 124. - ٦٦
- ٦٧ - المحمصاني . الاوضاع . . . ، ص ٣٢٥-٣٣٠ .
- Area Handbook ..., p. 193. - ٦٨
- The Kingdom of Saudi Arabia, p. 125. - ٦٩
- Long D. E. Saudi Arabia, p. 39; The Kingdom of Saudi Arabia, - ٧٠
- p. 124; Area Handbook ..., p. 124.

الخلاصة

- ١ - انظر : «Middle East Economic Digest». 1964, vol. 8, N 10, p. 117.
- ٢ - انظر : Area Handbook ..., p. 5
- ٣ - نفس المرجع ، ص ٦٥ .
- ٤ - نفس المرجع ، ص ٢٠١ .
- ٥ - انظر : Wenner M. W. Saudi Arabia ..., p. 167.

اعتذار

يعتذر المترجمان للقارى الكريم على الاختلاف فى بعض اسماء الاشخاص والمواقع والقبائل العربية .
وقد بدلنا قصارى جهدنا فى تدقيق تلك الاسماء لتأتى بشكلها الصحيح . الا ان ورودها بصيغ مختلفة فى المراجع العربية ذاتها هو ، بالاساس ، سبب عدم دقة بعضها فى ترجمتنا ، ولذا نكرر اعتذارنا ونأمل ان يأخذ المخلصون بايدينا وينبهونا الى ما وقعنا فيه من اخطاء لتأتى الطبعة القادمة بصياغة ادق .
وتقبلوا فائق شكرنا .

العنوان

«دار التقدم» ، زوبوفسكى بولفار ١٧ ،
موسكو ، الاتحاد السوفييتى .

محتويات

| | |
|--|-----|
| المقدمة | ٣ |
| الجزء الاول | |
| الفصل الاول . الجزيرة العربية قبيل ظهور الوهابية . الاقتصاد والمجتمع والسياسة | ٢٢ |
| الفصل الثاني . محمد بن عبد الوهاب ومذهبه | ٧٤ |
| الفصل الثالث . قيام الدولة السعودية الاولى (١٧٤٥-١٨١١) | ١٠٠ |
| الفصل الرابع . النظام الاجتماعى والسياسى فى اماره الدرعية | ١٣٤ |
| الفصل الخامس . دحر الوهابيين على ايدى المصريين (١٨١١-١٨١٨) | ١٦٧ |
| الفصل السادس . من سقوط الدرعية حتى جلاء المصريين عن الجزيرة العربية (١٨١٨-١٨٤٠) | ١٨٩ |
| الفصل السابع . الدولة السعودية الثانية (١٨٤٣-١٨٦٥) | ٢٠٨ |
| الفصل الثامن . سقوط اماره الرياض ونهوض اماره جبل شمر (١٨٦٥-١٩٠٢) | ٢٢٨ |
| الفصل التاسع . بعث اماره الرياض فى مطلع القرن العشرين (١٩٠٢-١٩١٤) | ٢٤٩ |
| الفصل العاشر . نجد والحجاز ابان الحرب العالميه الاولى (١٩١٤-١٩١٨) | ٢٧٩ |
| الجزء الثانى | |
| الفصل الحادى عشر . توحيد اراضى الجزيرة من حول نجد (١٩١٨-١٩٢٦) | ٣٠٠ |
| الفصل الثانى عشر . توطد المركزية الاقطاعية وحركة الاخوان (١٩٢٦-١٩٣٤) | ٣٢١ |
| الفصل الثالث عشر . البنية الاجتماعية السياسية للملكة العربية السعودية اثر قيامها | ٣٤٧ |
| الفصل الرابع عشر . امتيازات النفط | ٣٧٨ |

| | |
|-----|---|
| ٣٨٩ | الفصل الخامس عشر . العربية السعودية والحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) |
| ٣٩٩ | الفصل السادس عشر . الوضع الداخلى فى المملكة وسياستها الخارجية (١٩٤٥-١٩٥٨) |
| ٤٣٧ | الفصل السابع عشر . ازمة السلطة وانحسارها المؤقت (١٩٥٨- ١٩٧٣) . دور السعودية الجديد |
| ٤٩٦ | الفصل الثامن عشر . الوضع الداخلى فى السبعينات ومطلع الثمانينات ومطلع الثمانينات |
| ٥٠٥ | الفصل التاسع عشر . السياسة الخارجية فى السبعينات والثمانينات الفصل العشرون . البنية الاجتماعية الاقتصادية للعربية السعودية فى « عصر البترول » |
| ٥٦٨ | الفصل الحادى والعشرون . النظام السياسى |
| ٥٨٩ | الخلاصة |
| ٦٠٤ | الملاحظات |

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم
وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب ،
وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن
رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكى بولفار ، ١٧
موسكو — الاتحاد السوفييتى

فاسيلييف تاريخ العربية السعودية



الكسي فاسيلييف مؤرخ ومستشرق معروف
وكاتب مهتم بقضايا الشرقين الاوسط
والادنى .

عمل مراسلا لصحيفة «البرافدا» وطاف العديد من بلدان آسيا
وافريقيا ، وامضى زهاء عشر سنوات في بلدان الشرقين الاوسط
والادنى . كتب مئات المقالات وعددا من الكتب العلمية والصحفية بينها
«الوهابية والدولة السعودية الاولى في الجزيرة العربية»
و«ببليوغرافيا العربية السعودية» و«مشاعل الخليج» و«النقط :
الاحتكارات والشعوب» و«الخليج في قلب العاصفة» و«رحلة الى الجزيرة
العربية السعيدة» و«جسر عبر البسفور» .

كتاب «تاريخ العربية السعودية» هو حصيلة عمل المستشرق طوال
اكثر من عشرين عاما . وقد اعتمد الكاتب الكثير من المصادر العربية
والغربية والسوفييتية لوضع دراسة عن التاريخ السياسى للسعودية
ومراحل تطور بنيتها الاجتماعية السياسية ودور حركة الاصلاح الاسلامية
وتأثير «العامل النفطى» في مجتمع السعودية وظهور طبقات وفئات
اجتماعية جديدة في البلد .